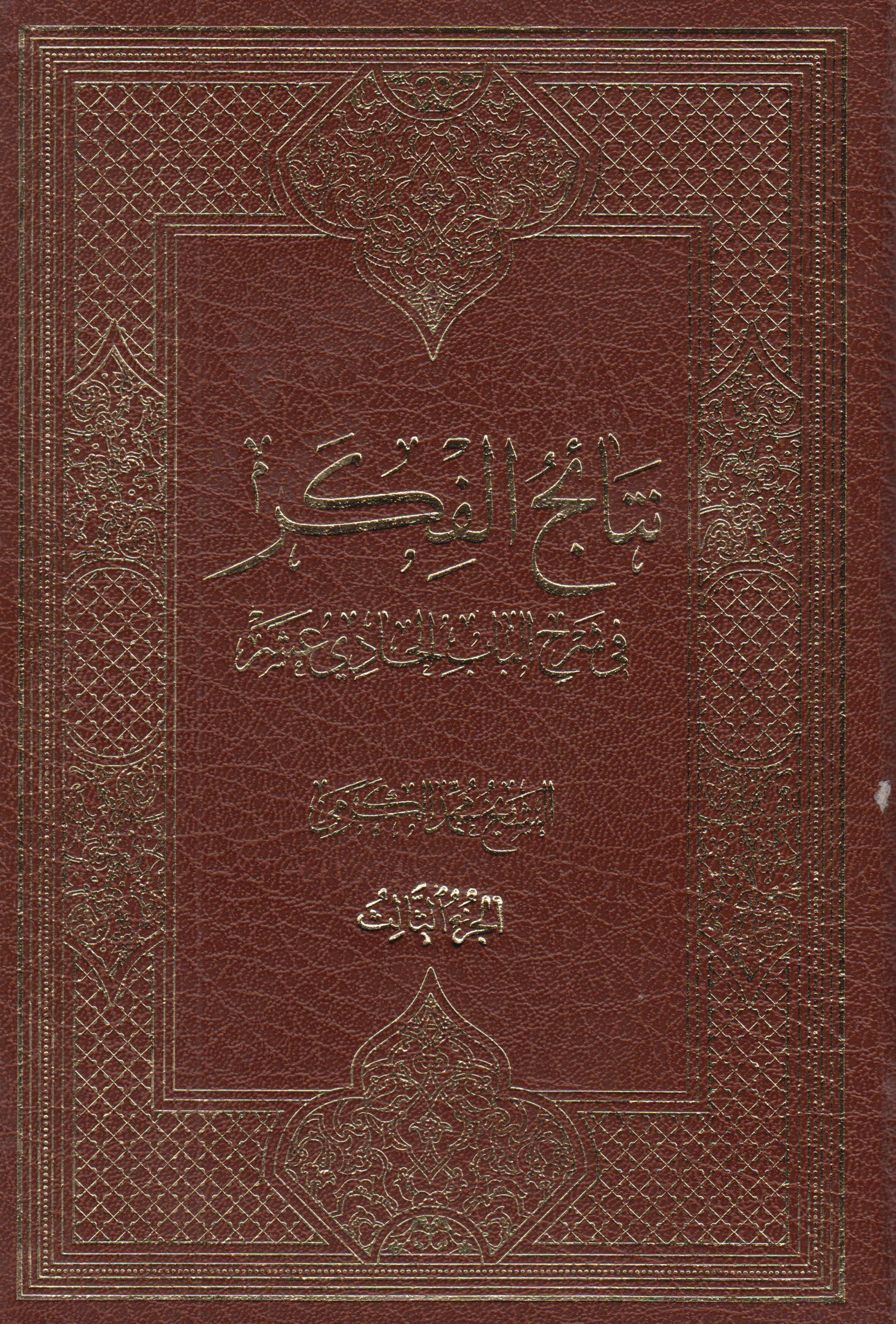

نتائج الفكر
في شرح الباب الحادي عشر
الشيخ محمد الكرمي
الجزء الثالث


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

نتائج الفكر

في شرح الباب الحادي عشر

القسم الثالث

تأليف خادم الشرع المقدّس
الشيخ محمّد الكرمي قدس سره
١٣٤٠ ـ ١٤٢٣ هـ

هوية الكتاب

الكتاب .... نتائج الفكر فی شرح الباب الحادی عشر / الجزء الثالث

المؤلف .... الشيخ محمد الكرمی

الناشر .... مهدی یار

تاریخ النشر .... ۱۴۲۷ هـ - ۲۰۰۶ م

الطبعة .... الاولی

تعداد النسخ ۱۰۰۰

المطبعة .... محمد

ISBN 964 - 7643 - 80 - 2 شابک: ۲ - ۸۰ - ۷۶۴۳ - ۹۶۴

اقرأ هذا القسم بدقة ؛ ولاحظ ما علقناه عـلى فـصول التاريخ والآثار الواردة من طريق السنة تعرف قـيمة هذا الكتاب وما هو وزنه من بين كتب السيرة . . .

يتكفّل هذا الكتاب البحث عن اثبات الصانع ؛ ونقد أقوال الماديّين الشرقيّين والغربيّين في كلّ اصولهم المؤسّسة لتشييد مباني الطبيعة ؛ والبحث عمّا يجب للصانع وما لا يجوز عليه ؛ وعن النبوّات العامّة والخاصّة ؛ وعن الإمامة والمعاد الجسماني . . .

محمّد الكرمي

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة على محمّد وآله الطاهرين

أمّا بعد : فهذا الجزء الذي بين يديك هو القسم الثالث من أجزاء نتائج الفكر وقد أشبعناه بالبحوث الرائقة حول حياة النبي الأعظم محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وله ميزته الواسعة على كل كتاب بحث عن السيرة النبوية من جنبته المعنوية وبختام هذا الجزء يتم البحث عن النبوة عامّها وخاصّها فلنحمد الله على ما أولانا



الاسراء والمعراج

هاتان كلمتان كل لمعنى من جهة اللغة ومن حيث الانطباق الخارجي وقد كثر الكلام فيهما من حيث انتسابهما للنبي ﷺ هل كانت لهما حقيقة أم لا وعلى فرض الثبوت فهل كانا بالروح أو بالجسد معه وهل وقعا متحدين في الزمان أو متفرقين ومتى كان ذلك .

امّا النافون فعلية الشيء الممكن كما لا يعتبرون السنة بالطريق الاولى وهؤلاء حتماً ليسوا بمسلمين . وأمّا المثبتون لها بالروح فقط فهم مخالفون لمنطوق الكتاب والسنة المستفيضة وأيّاً كانوا قدماء أم متأخرين . وأمّا القائلون بالاسراء والعروج الجسديين فهم أُناس مشوا مع ظواهر المدارك السمعية بعد أن أحرزوا بعقولهم امكان الواقعة بلا ريب ونفاة الامكان لهذه المطالب لا يجوز أن يكونوا إلّا طبيعيين ينكرون الصانع بالمرة ولا يعترفون إلّا بالطبيعة وحدها ، وامّا المعترفون بالصانع وعموم قدرته على كل ما يعقل في حقه أن يكون مقدوراً فهم لا يمتنعون من الحكم بالامكان على اسراء الله سبحانه بمحمد من مكة إلى المسجد الأقصى ومن هذا البيت المقدس إلى أطباق سماواته وعوده إلى مكة في ليلة واحدة بجسده فإنّ الوسائل السريعة الخطف ليست عزيزة عليه سبحانه ومن جملتها الهواء .

ولا ينسى ابن القرن العشرين انّه أصبح من طريق اعتيادي لا اعجاز فيه بقطع المسافات المترامية بعداً في سويعات قليلة بوسيلة الطائران فكيف إذا جاء الاعجاز وكسر حدود الطبيعة ، نعم كل المناقشة في هذا الباب من جهة المدرك .

أمّا المدرك من الكتاب:

فقوله سبحانه: ﴿ **سُبْحَانَ ٱلَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَىٰ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَىٰ ٱلَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ** ﴾ (١) ونفس قوله عزوجل سبحان الذي أسرى صريح في ان العمل الذي قامت بـه قـدرته عـمل اعجازي ولذلك نوه بعظمة نفسه ولا تنويه على الأمور الاعتيادية وكان زمن هذا الاسراء على ما يشعر به سياق حديث ابن اسحاق بعد البعثة بنحو من عشر سنين وروى البيهقي انّه كان قبل خروج النبي ﷺ إلى المـدينة بسـنة واحـدة قـال وكذلك ذكره ابن لهيعة.

ويرى الحاكم النيسابوري ان ذلك قبل الهجرة بستة عشر شهراً؛ والذي يظهر من كثير من أهل الدربة بهذا الفن ان النقطة التي أُسري منها بنبي الله من المسجد الحرام هي دار أُم هاني هند ابنة أبي طالب اخت علي عليه السلام والنبي كان تلك الليلة نائماً في بيتها وان المراد بالمسجد الحرام هنا مـعناه الأعـم وهـو حـرم مكـة لا خصوص المسجد والمسجد الأقصى هو بيت المقدس وإنّما كان قاصياً بالنسبة إلى مكة وإنّما كان مباركاً لأنّه مبعث الرسل ومقر الأنبياء ومهبط الملائكة وإنّما أسرى الله بنبيه من مكة إلى بيت المقدس ليريه جملة من آياته ودلائل صـنعته وجليل آثاره ليتسع محيط ايمانه بالله وعظيم شأنه ولا شبهة ان سـعة المـعارف تقوى بذرة الايمان ولنضخم بضاعة النبي التبليغية ويتسع مجال برهنته وتدليله أمام خصومه أعداء التوحيد ومنكري عظمة الخالق.

وقوله سبحانه في سورة النجم: ﴿ **عَلَّمَهُ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ * ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ * وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ * فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ***

---

(١) سورة الاسراء: آية ١.

مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۞ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۞ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۞ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۞ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ ۞ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۞ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۞ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾ تدل هذه الآيات بمجموعها من حيث هو مجموع على كون محمّد ﷺ في زمان ما في السماء بنص قوله ولقد رآه نزلة أُخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى إذ يغشى السدرة ما يغشى إلى آخر الآيات المذكورة.

وأمّا شرح هذه الآيات بما يعطي ارتباط بعضها ببعضٍ اشعاراً من ألفاظها فقط ﴿ عَلَّمَهُ ﴾ أي علم محمّداً من علم ربه ﴿ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ أي واسطته الذي لا يزال يرسله إلى رسله بتعاليمه التي يلقيها اليهم وقد شاء أن يكون واسطته هذا من أهم الوسطاء خلقة ومعنوية لمزيد انتسابه له من بين خدامه والقائمين بأوامره المتسخرين لارادته فجعله شديد القوة في نفسه وفي خلقته جميعاً فروحه لا تضطرب عند المخاوف وخلقته لا تهن عند الأُمور الجسام ومن بطشه الشديد اقتلاعه لقرى قوم لوط وقلبها وتصيير عاليها سافلها وصيحته بقوم ثمود حتى هلكوا.

﴿ ذُو مِرَّةٍ ﴾ أي صحيح سليم من كل آفة تعيب بها خلقته ﴿ فَاسْتَوَىٰ ﴾ هذا الواسطة المعلم لمحمد عند نزوله إليه في بدء الوحي على صورته الأصلية التي اختارها الله له في بدء خلقته.

﴿ وَهُوَ بِالْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ أي في طريق نزوله إلى الأرض لتوجيه محمّد نحو وظيفته اللازمة له من ربه وذلك في أوّل البعثة عندما كان محمّد يتحنث بحراء فطلع عليه جبرئيل من افق السماء بما سدّ بعظيم خلقته الفضاء المحيط به فأغشي على محمّد لهول ما رأى ولأنّه لم يسبق بمثل هذه العوالم أصلاً فتراجع جبرئيل إلى صورة الآدميين أي إلى الصورة الاعتيادية لمحمد حتى لا يجفل منها ولا

يستغرب .

﴿ ثُمَّ دَنَا ﴾ جبرئيل إلى الأرض التي عليها محمّد ﴿ فَتَدَلَّىٰ ﴾ من علو إلى سفل بهذه الصورة الاعتيادية .

﴿ فَكَانَ ﴾ جبرئيل من محمّد ﴿ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ أي قريباً منه جداً .

﴿ فَأَوْحَىٰ ﴾ عند إذ ﴿ إِلَىٰ عَبْدِهِ ﴾ أي عبد الله ﴿ مَا أَوْحَىٰ ﴾ الله بوسيلة هذه الواسطة إليه ...

﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ ﴾ فؤاد محمّد ﴿ مَا رَأَىٰ ﴾ ببصره من عظيم خلقة جبرئيل أوّلاً وتراجعه إلى الصور الاعتيادية ثانياً أي ان قلبه أقرّ لبصره على ما رآه ولم يتهمه بالتشوش وان المناظر الخيالية يحسبها أجساماً واقعية تجسمت له ـ لا ـ بل كلما رآه بصره رآه رؤية صادقة وقلبه مطمئن من توثق بصره أشد اطمئنان .

﴿ أَفَتُمَارُونَهُ ﴾ يا أيّها الناس ﴿ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾ ويقول لكم رأيت جبرئيل بالصورة الكذائية المدهشة أوّلاً ثمّ رأيته بصورة اعتيادية أخيراً بل لا ينبغي لكم التشكك إذا حدثكم بأنّه رأى الغرائب والعجائب مما لم ترونه أنتم فإنّ الله سبحانه قد ميزه عنكم بأن فتح له أبواب المعرفة على مصارعها ليكون دالاً على الله وعظمته مرشداً إلى عظيم قدرته وسيطرته ودينه وما يريده بكم من خير لا تعرفونه إلّا بواسطته .

﴿ وَلَقَدْ رَآهُ ﴾ أي رأى محمّد جبرئيل بصورته المدهشة التي رآه بها أوّل رؤيته له واتصاله به من عند الله ﴿ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ أي مرة ثانية نزل بها جبرئيل على محمّد فأثار من عجبه ما أثار وذلك ...

﴿ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ * عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ * إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ ﴾ المذكورة من قواهر عظمة الصانع ﴿ مَا يَغْشَىٰ ﴾ بما تتحير له الألباب وتدهش عنده الأبصار ...

﴿ مَا زَاغَ ٱلْـبَصَرُ ﴾ أي بصر محمّد عند معاينته لتلك المشاهد العجيبة في الملكوت الأعلى ﴿ وَمَا طَغَىٰ ﴾ أي وما استخفته تلك المناظر المتنوعة المدهشة إلى أن يتجول ببصره من يمين إلى شمال إلى خلف كسائر من يدهش بالمناظر الجذابة فلا يملك وزنه ولا وقاره...

﴿ لَقَدْ رَأَىٰ ﴾ محمّد في زورته الملاء الأعلى ﴿ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾ وعلائم عظمته البالغة الشيء الكثير الذي يستغرق الحواس بروعته القاهرة ويفوت الوصف لتعجيزه ؛ هذا أقصى ما يستفاد من حدود الكتاب العزيز وبه كفاية وبلاغ.

وامّا السنة الواردة فهي شارحة لمفاد الكتاب ولا تنافيه أصلاً في الصحيح المعتبر منها وامّا الغث والمج من أي طريق ورد لسنة أو لشيعة فهو لا قيمة له لا في هذا المقام وحده بل في كل مقام والوضع والاختلاق والتدليس وصدور الأقوال من غير أهلها كثير جداً والعقل الصحيح البعيد عن شوائب التذبذب والتعصب أكبر مخلص للمقبول من المرذول والصحيح من السقيم.

حديث متنوع عن الاسراء والمعراج

ما عن أبي سعيد الخدري [١] عن رسول الله قال لما اسري بي إلى السماء ما سمعت شيئاً هو أحلى من كلام ربي عزوجل قال فقلت : يا رب اتخذت ابراهيم خليلاً وكلمت موسى تكليما ورفعت ادريس مكاناً علياً وآتيت داود زبورا وأعطيت سليمان ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فماذا لي يا رب فقال جل جلاله : يا محمّد اتخذتك خليلاً كما اتخذت ابراهيم خليلاً وكلمتك تكليما كما كلمت موسى تكليما وأعطيتك فاتحة الكتاب وسورة البقرة ولم أعطها نبياً قبلك

(١) سادس البحار : ص ٤٨٣ من طبعته السابقة على الحروف.

وأرسلتك إلى أسود أهل الأرض وأحمرهم وأنسهم وجنهم ولم أرسل إلى جماعتهم نبياً قبلك وجعلت الأرض لك ولأمتك مسجداً وطهوراً وأطعمت امتك الفيء ولم أحله لأحد قبلها ونصرتك بالرعب حتى ان عدوك ليرعب منك وأنزلت سيد الكتب كلها مهيمناً عليك قرآناً عربياً مبينا ورفعت لك ذكرك حتى لا أذكر بشيء من شرائع ديني إلّا ذكرت معي.

عن أبي عبد الله جعفر بن محمّد عليه السلام [١] في قول الله عزوجل: ﴿ **ما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون** ﴾ قال: لما اسري برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتاه جبرئيل بالبراق فركبها فأتى بيت المقدس فلقى من لقى من الأنبياء صلوات الله عليهم ثمّ رجع فحدث أصحابه اني أتيت بيت المقدس ورجعت من الليلة وقد جائني جبرئيل بالبراق فركبتها وآية ذلك اني مررت بعير لأبي سفيان على ماء لبني فلان وقد أضلوا جملاً لهم أحمر وقد هم القوم في طلبه فقال بعضهم لبعض إنّما جاء الشام وهو راكب سريع ولكنكم قد أتيتم الشام وعرفتموها فسئلوه عن أسواقها وأبوابها وتجارها فقالوا يا رسول الله كيف الشام وكيف أسواقها قال: وكان رسول الله إذا سئل عن الشي لا يعرفه شقّ عليه حتى يرى ذلك في وجهه قال فبينما هوک ذلك إذ أتاه جبرئيل فقال يا رسول الله هذه الشام قد رفعت لك فالتفت رسول الله فإذا هو بالشام بأبوابها وأسواقها وتجارها وقال أين السائل عن الشام فقالوا له فلان وفلان فأجابهم رسول الله في كل ما سألوه عنه.

أقول: وأقرب تصوير لقوله هذه الشام قد رفعت لك ان مثالها الحاكي عن جميع صورها قد نصبناه لعينيك كما يجوز رفع محيطها أو نفوذ بصره اليها اعجازاً.

---

(١) سادس البحار: ص ٤٨٥ من طبعته السابقة على الحروف.

عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام [١] قال: لما اسري برسول الله إلى بيت المقدس حمله جبرئيل على البراق فأتيا بيت المقدس وعرض عليه محاريب الأنبياء وصلى بها ورده فمر رسول الله في رجوعه بعير لقريش وإذا لهم ماء في آنية وقد اضلوا بعيراً لهم وكانوا يطلبونه فشرب رسول الله من ذلك وأهرق باقيه فلما أصبح رسول الله قال لقريش ان الله جل جلاله قد أسرى بي إلى بيت المقدس وأراني آثار الأنبياء ومنازلها واني مررت بعير لقريش في موضع كذا وكذا وقد اضلوا بعيراً لهم فشربت من مائهم وأهرقت باقي ذلك فقال أبو جهل قد أمكنتكم الفرصة منه فاسألوه كم الأساطين فيها والقناديل فقالوا يا محمّد ان ههنا من قد دخل بيت المقدس فصف لنا كم أساطينه وقناديله ومحاريبه فجاء جبرئيل فعلق صورة بيت المقدس تجاه وجهه فجعل يخبرهم بما يسألونه عنه فلما أخبرهم قالوا حتى يجيء العير ونسألهم عما قلت، فقال لهم رسول الله: تصديق ذلك ان العير تطلع عليكم مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق فلما كان من الغد أقبلوا ينظرون إلى العقبة ويقولون هذه الشمس تطلع الساعة فبينا هم كذلك إذ طلعت عليهم العير حين طلع القرص يقدمها جمل اورق فسألوهم عما قال رسول الله فقالوا لقد كان هذا؛ ضل جمل لنا في موضع كذا وكذا ووضعنا ماءً فأصبحنا وقد اهريق الماء فلم يزدهم ذلك إلّا عتواً.

عن ثابت بن دينار قال: سألت زين العابدين علي بن الحسين عن الله جل جلاله هل يوصف بمكان فقال تعالى الله عن ذلك قلت فلم اسرى بنبيه محمّد إلى السماء، قال ليريه ملكوت السموات وما فيها من عجائب صنعه وبدائع خلقه، قلت فقول الله عزوجل: ﴿ ثمّ دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾ قال ذاك

(١) سادس البحار: ص ٤٨٧ من طبعته اسابقة على الحروف.

رسول الله دنى من حجب النور فرأى ملكوت السموات ثمّ تدلى ﷺ فنظر من تحته إلى ملكوت الأرض حتى ظن انّه في القرب من الأرض كقاب قوسين أو أدنى [١].

عن أبي سعيد الخدري في حديثه عن رسول الله قال: لما دخلت السماء الدنيا رأيت بها رجلاً جالساً تعرض عليه أرواح بني آدم فيقول بعضها إذا عرضت عليه خيراً ويسرّ به ويقول روح طيبة خرجت من جسد طيب ويقول بعضها إذا عرضت عليه افّ ويعبس بوجهه ويقول روح خبيثة خرجت من جسد خبيث، قال: قلت: من هذا يا جبرئيل ؟ قال: هذا أبوك آدم تعرض عليه أرواح ذريته فإذا مرت به روح المؤمن منهم سرّ بها وقال روح طيبة خرجت من جسد طيب وإذا مرّت به روح الكافر منهم افّف منها وكرهها وسائه ذلك وقال روح خبيثة خرجت من جسد خبيث، ثمّ أصعدني إلى السماء الثانية فإذا فيها ابنا الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا قال ثمّ أصعدني إلى السماء الثالثة فإذا فيها رجل صورته كصورة القمر ليلة البدر قال قلت من هذا يا جبرئيل ؟ قال: هذا أخوك يوسف بن يعقوب قال: ثمّ أصعدني إلى السماء الرابعة فإذا فيها رجل فسألته من هو فقال هذا ادريس، قال يقول رسول الله ورفعنا مكاناً علياً قال ثمّ أصعدني إلى السماء الخامسة فإذا فيها كهل أبيض الرأس واللحية عظيم العثنون لم أر كهلاً أجمل منه قال قلت: من هذا يا جبرئيل قال: هذا المحبّب في قومه هارون بن عمران قال: ثمّ أصعدني إلى السماء السادسة فإذا فيها رجل آدم طويل أقنى كأنّه من رجال شنوءة فقلت له: من هذا يا جبرئيل ؟ قال هذا أخوك موسى بن عمران ثمّ أصعدني إلى السماء السابعة فإذا فيها كهل جالس على كرسي إلى باب البيت

---

(١) سادس البحار: ص ٤٩٧ من طبعته السابقة على الحروف.

المعمور لم أر رجلاً أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم أشبه به منه قال قلت : من هذا يا جبرئيل ؟ قال : هذا أبوك ابراهيم (١).

قال ابن اسحاق ومن حديث عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما بلغني ان جبريل لم يصعد به إلى سماء من السموات إلّا قالوا له حين يستأذن في دخولها من هذا يا جبريل فيقول : محمّد فيقولون أو قد بعث إليه فيقول نعم فيقولون حياه الله من أخ وصاحب حتى انتهى به إلى السماء السابعة ثمّ انتهى به إلى ربه ففرض عليه خمسين صلاة كل يوم قال رسول الله فأقبلت راجعاً فلما مررت بموسى بن عمران ونعم الصاحب كان لكم سألني كم فرض عليك من الصلاة فقلت خمسين صلاة كل يوم فقال ان الصلاة ثقيلة وان امتك ضعيفة فارجع إلى ربك فاسأله أن يخفف عنك وعن امتك فرجعت فسألت ربي أن يخفف عني وعن امتي فوضع عني عشراً . ثمّ انصرفت فمررت على موسى فقال لي مثل ذلك فرجعت فسألت ربي أن يخفف عني وعن امتي فوضع عني عشراً . ثمّ انصرفت فمررت على موسى فقال لي مثل ذلك فرجعت فسألت ربي فوضع عني عشراً . ثمّ انصرفت فمررت على موسى فقال لي مثل ذلك فرجعت فسألت ربي فوضع عني عشراً . فمررت على موسى ثمّ لم يزل يقول لي مثل ذلك كلما رجعت إليه قال فارجع فسئل حتى انتهيت إلى أن وضع ذلك عني إلّا خمس صلوات في كل يوم وليلة ثمّ رجعت إلى موسى فقال لي مثل ذلك فقلت قد راجعت ربي وسألته حتى استحييت منه فما أنا بفاعل فمن أدّاهن منكم ايماناً بهن واحتساباً لهن كان له أجر خمسين صلاة (٢).

---

(١) السيرة الهشامية : ج ٢ ص ١٢ و ١٣ و ١٤.

(٢) السيرة الهشامية : ج ٢ ص ١٤ و ١٥ من طبع محمّد محيي الدين.

وقال ابن سعد في طبقاته [١]: قالوا كان رسول الله يسأل ربه ان يريه الجنة والنار فلما كان ليلة السبت لسبع عشرة خلت من شهر رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً ورسول الله نائم في بيته ظهراً أتاه جبرئيل وميكائيل فقالا انطلق إلى ما سألت الله فانطلقا به إلى ما بين المقام وزمزم فأتى بالمعراج فإذا هو أحسن شيء منظراً فعرجا به إلى السموات سماءً سماءً فلقى فيها الأنبياء وانتهى إلى سدرة المنتهى وارى الجنة والنار، قال رسول الله: ولما انتهيت إلى السماء السابعة لم أسمع إلّا صرير [٢] الأقلام وفرضت عليه الصلوات الخمس ونزل جبريل فصلى رسول الله الصلوات في مواقيتها.

(وقال في حديث الاسراء) قالوا: اسري برسول الله ليلة سبع عشرة من شهر ربيع الأوّل قبل الهجرة بسنة من شعب أبي طالب إلى بيت المقدس قال رسول الله وحملت على دابة بيضاء بين الحمار وبين البغلة في فخذيها جناحان تحفز بهما رجليها فلما دنوت لأركبها شمست فوضع جبريل يده على معرفتها ثمّ قال: ألا تستحيين يا براق مما تصنعين والله ما ركب عليك عبد الله قبل محمّد أكرم على الله منه فاستحيت حتى ارفضت عرقاً ثمّ قرّت حتى ركبتها وخرج معي جبريل لا يفوتني ولا أفوته حتى انتهى بي إلى بيت المقدس فانتهى البراق إلى موقفه الذي كان يقف فربطه فيه وكان مربط الأنبياء قبل رسول الله قال ورأيت الأنبياء جمعوا لي فرأيت ابراهيم وموسى وعيسى فظننت انّه لابد من أن يكون لهم امام فقدمني جبريل حتى صليت بين أيديهم وسألتهم فقالوا بعثنا بالتوحيد ـ اهـ ملخصاً ـ.

وذكر الشيخ الأجل الصدوق في الحديث السادس من باب فرض الصلاة من

---

(١) ج ١ ص ١٩٧ وما بعدها.

(٢) أي صوت جريانها بما تكتب.

كتابه من لا يحضره الفقيه ؛ قال الصادق انّ رسول الله لما أسرى به أمره ربه بخمسين صلاة فمرّ على النبيين نبي نبي لا يسألونه عن شيء حتى انتهى إلى موسى بن عمران فقال: بأي شيء أمرك ربك فقال بخمسين صلاة فقال اسأل ربك التخفيف فإنّ امتك لا تطيق ذلك فسأل ربه فحط عنه عشراً ثمّ مرّ بالنبيين نبي نبي لا يسألونه عن شيء حتى مرّ بموسى بن عمران فقال بأي شيء أمرك ربك فقال بأربعين صلاة فقال اسأل ربك التخفيف فإنّ امتك لا تطيق ذلك فسأل ربه عزوجل فحط عنه عشراً ثمّ مرّ بالنبيين نبي نبي لا يسألونه عن شيء حتى مر بموسى بن عمران فقال بأي شيء أمرك ربك فقال بثلاثين صلاة فقال اسأل ربك التخفيف فإنّ امتك لا تطيق ذلك فسأل ربه عزوجل فحط عنه عشراً ثمّ مرّ بالنبيين نبي نبي لا يسألونه عن شيء حتى مر بموسى بن عمران فقال بأي شيء أمرك ربك فقال بعشرين صلاة فقال اسأل ربك التخفيف فإنّ امتك لا تطيق ذلك فسأل ربه فحط عنه عشراً ثمّ مر بالنبيين نبي نبي لا يسألونه عن شيء حتى مر بموسى بن عمران فقال بأي شيء أمرك ربك فقال بعشر صلوات فقال اسأل ربك التخفيف فإنّ امتك لا تطيق ذلك فاني جئت إلى بني اسرائيل بما افترض الله عزوجل عليهم فلم يأخذوا به ولم يقرّوا عليه فسأل النبي ربه عزوجل فخفف عنه فجعلها خمساً ثمّ مرّ بالنبيين نبي نبي لا يسألونه عن شيء حتى مرّ بموسى فقال له بأي شيء أمرك ربك فقال بخمس صلوات فقال اسأل ربك التخفيف عن امتك فإنّ امتك لا تطيق ذلك ، فقال اني لأستحيي أن أعود إلى ربي فجاء رسول الله بخمس صلوات.

وذكر الصدوق في الحديث التاسع من الباب المتقدم من كتابه الفقيه قال: وروي عن زيد بن علي بن الحسين انّه قال سالت أبي سيد العابدين فقلت له يا أبة أليس الله جل ذكره لا يوصف بمكان فقال بلى تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

فقلت ما معنى قول موسى لرسول الله ارجع إلى ربك فقال معناه معنى قول ابراهيم اني ذاهب إلى ربي سيهدين ومعنى قول موسى وعجلت اليك رب لترضى ومعنى قول الله عزوجل ﴿ ففرّوا إلى الله ﴾ يعني حجوا إلى بيت الله يا بني ان الكعبة بيت الله فمن حج بيت الله فقد قصد إلى الله والمساجد بيوت الله فمن سعى اليها فقد سعى إلى الله وقصد إليه والمصلي ما دام في صلاته فهو واقف بين يدي الله عزوجل فإنّ لله تبارك وتعالى بقاعاً في سماواته فمن عرج به إلى بقعة منها فقد عرج به إليه إلّا تسمع الله عزوجل يقول تعرج الملائكة والروح إليه ويقول الله عزوجل في قصة عيسى بن مريم بل رفعه الله إليه ويقول الله عزوجل: ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾.

قال القاضي عياض في الشفاء [١] بسنده إلى ثابت البناني عن أنس بن مالك ان رسول الله قال أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء ثمّ دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثمّ خرجت فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترب اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثمّ عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقال من أنت فقال جبريل قيل ومن معك قال محمّد قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب به ودعا لي بخير ثمّ عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمّد قيل أو قد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا فرحبا بي ودعوا لي بخير ثمّ عرج بنا إلى السماء الثالثة فذكر مثل الأوّل ففتح لنا فإذا أنا بيوسف وإذا هو قد اعطى

---

(١) الشفاء معه شرحاه نسيم الرياض وشرح علي القارئ ج ٢ ص ٢٣٤ وما بعدها.

شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ثمّ عرج بنا إلى السماء الرابعة وذكر مثله فإذا أنا بادريس فرحب بي ودعا لي بخير قال الله تعالى ورفعناه مكاناً علياً ثـمّ عرج بنا إلى السماء الخامسة فذكر مثله فإذا أنا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير ثمّ عرج بنا إلى السماء السادسة فذكر مثله فإذا انا بموسى فرحب بي ودعـا لي بخير ثمّ عرج بنا إلى السماء السابعة فذكر مثله فإذا أنا بابراهيم مسنداً ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه ثمّ ذهب بي إلى سدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة وثمرها كالقلال قال فلما غشيها من أمر الله ما غشى تغيت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوى الله اليّ ما أوحى ففرض عليّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة فـنزلت إلى مـوسى فقال: ما فرض ربك على امتك، قلت: خمسين صلاة فقال ارجع إلى ربك فاسئله التخفيف فإنّ امتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم، قـال: فرجعت إلى ربي فقلت يا رب خفف عن امتي فحط عني خمساً فـرجـعت إلى موسى فقلت حط عني خمساً فقال ان امتك لا يـطيقون ذلك فـارجـع إلى ربك فاسئله التخفيف قال: فلم أزل أرجع بين ربي تعالى وبين موسى حـتى قـال يـا محمّد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون ومن همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشراً ومن همّ بسيئة فـلم يعملها لم تكتب شيئاً فإن عملها كتبت له سيئة واحدة، قال فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال: ارجع إلى ربك فاسئله التخفيف، فقال رسول الله فقلت قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه.

قال القاضي عياض: ولا خلاف انها ـ أي ليلة الاسراء ـ كانت بعد الوحي وقد قال غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا.

قال علي القاري في شرحه على هذا الموضوع ان النووي ذكر ان الاسراء كان

بعد البعثة بستة عشر شهراً وقال السبكي الإجماع على انّه كان بمكة والذي نختاره ما قاله شيخنا أبو محمّد الدمياطي انّه قبل الهجرة بسنة وهو في ربيع الأوّل، وقيل بعد نقض الصحيفة وقيل بعد بيعة العقبة وقال في نسيم الرياض شارحاً لهذا الموضع بعد كلام ذكره والحاصل انّه قيل ان الاسراء قبل الهجرة بسنة وقيل بسنة ونصف وقيل بسنة وكسر وقيل بعد البعثة بخمس سنين وقيل قبل الهجرة بخمس سنين.

أقول أنا: والذي يظهر للمتتبع في جزئيات حديث السيرة ان الاسراء الذي كان في ضمنه فرض الصلوات اليومية كان قريباً للهجرة بعيداً عن البعثة خصوصاً في سنيها الأوّل فاننا لا نزال نرى التاريخ يحدثنا عن طلبة محمّد ﷺ من مشركي قريش انها لم تعد كلمة التوحيد بالله والاعتراف برسالته كما يذكر المؤرخون ان قريشاً لما بلغهم احتضار أبي طالب اجمعوا عنه وطلبوا أن يحدد بينهم وبين ابن أخيه حداً تؤمن عواقبه فبعث إليه أبو طالب فجاءه فقال يا ابن أخي هؤلاء اشراف قومك قد اجتمعوا الك يعطوك وليأخذوا منك، فقال رسول الله يا عم كلمة واحدة يعطونيها يملكون بها العرب وتدين لهم بها العجم فقال أبو جهل نعم وأبيك وعشر كلمات قال تقولون لا اله إلّا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه وقد مرّ ذلك (١). ولم يذكر صلاة ولا غيرها وامّا عدم دعوتهم إلى الاعتراف برسالته فذلك لازم الاعتراف بتوحيد الله من لسان هذا الداعية وعلى يده فالاعتراف بالتوحيد عنده اعتراف ضمني برسالته بوضوح هذا وان أبا طالب وخديجة ماتا قبل الهجرة بثلاث سنين ولا نرى السيرة النبوية تحدثنا عن النبي الأكرم انّه كان يشترط الصلاة على جديد الإسلام بعد أن يعترف بالشهادتين

---

(١) انظر: اقلا السيرة الهشامية: ج ٢ ص ٢٧ من طبع محمّد محيي الدين.

والانتباذ عن عبادة الأصنام فهذا حديث اسلام الطفيل بن عمرو الدوسي يذكرونه بعد أن يقربوا من ذكر الهجرة إلى المدينة والتحديث عنها وهو على تفصيله عار عن التعرّ لاشتراط الصلاة فيه على الطفيل بن عمرو وعلى قومه.

قال ابن اسحاق [١]: وكان رسول الله على ما يرى من قومه يبذل لهم النصيحة ويدعوهم إلى النجاة مما هم فيه وجعلت قريش حين منعه الله منهم يحذرونه الناس ومن قدم عليهم من العرب وكان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدث انّه قدم مكة ورسول الله بها فمشى إليه رجال من قريش وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً فقالوا له: يا طفيل انك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل لنا وقد فرّق جماعتنا وشتّت أمرنا وإنّما قوله كالسحر يفرّق بين الرجل وبين أبيه وبين الرجل وبين اخيه وبين الرجل وبين زوجته وانا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا فلا تكلمه ولا تسمعنّ منه شيئاً، قال: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت ألّا أسمع منه شيئاً ولا اكلمه حتى حشوت في اذني حين غدوت إلى المسجد كرسفاً فرقاً من أن يبلغني شيء من قوله وأنا لا اريد أن أسمعه قال فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله قائم يصلي عند الكعبة قال فقمت منه قريباً فأبى الله إلّا أن يسمعني بعض قوله قال فسمعت كلاماً حسناً قال فقلت في نفسي واثكل امي والله اني لرجل لبيب شاعر ما يخفى علي الحسن من القبيح فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته وإن كان قبيحاً تركته، قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله إلى بيته فاتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه فقلت يا محمّد ان قومك قد قالوا لي كذا وكذا؛ للذي قالوا، فوالله ما برحوا يخوفونني أمرك حتى سددت اذني بكرسف لئلا أسمع قولك ثمّ

(١) السيرة الهشامية: ج ١ ص ٤٠٧ من طبع محمّد محيي الدين.

أبى الله إلّا أن يسمعني قولك فسمعته قولاً حسناً فاعرض عليّ أمرك قال فعرض عليّ رسول الله ﷺ الإسلام وتلا عليّ القرآن فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ولا أمراً أعدل منه قال فأسلمت وشهدت شهادة الحق ؛ إلى آخر ما ساق من حديث.

وأنت كما ترى لم يذكر في هذا الحديث وراء شهادة الحق اشتراط الصلاة عليه ويظهر ان ذلك كان قبل فرضها وما تراه متكرر الذكر من صلاة النبي وعلي وخديجة والأصحاب على طول خط السيرة من أوّل البعثة بل قبل ذلك بازمان وهو ما يطلق عليه التحنث لم يذكر بنحو الصلاة المفروضة المقررة الأوقات من زوال وغروب وطلوع فجر وإنّما كان يذكر لهم ويصدر عنهم مهملاً من الوقت والتحديد والخواص المقرونة بالفرائض اليومية وما ذكر لهم وصدر عنهم بترتيب ووزن وأوقات مخصوصة كان متأخراً عن زمن البعثة جداً وما ذكر عن كثير من أهل العلم كما أسلفناه في هذا المبحث من تاريخ اصل افتراض الصلاة اليومية بكونه قبل الهجرة بسنة أو بسنة ونصف وما حوالي ذلك من تقدير شاهد صدق لما ارتئيناه وقربناه.

ومن هذا يظهر ان صلاتهم كانت قبل ذلك بطور الخضوع واظهار العبودية لا بأركان مخصوصة وأذكار منصوصة ولأجل توضيح هذه النقطة حتى لا تكون معماة على دارسها نذكر الفصل الآتي :

❊ ❊ ❊

(فصل)

في تشريع الصلاة وغيرها من الوظائف في الإسلام

كل من يقرأ السيرة يرى بوضوح ان النبي ﷺ طيلة مكثه في مكة لم يكن إلّا داعياً إلى التوحيد صرفاً على كثرة المشكلات التي كانت تسايره كتفاً لكتف فلم تدعه يحفظ حتى نفسه لولا قيام أبي طالب دونه حتى مات وبموته صعب عليه القرار جداً حتى التجأ إلى أن يعرض نفسه على الطوائف بما سنفيض في شرحه وامّا اتباعه ففريق منهم انفصل إلى الحبشة وفريق آخر بقي يعاني العذاب وفريق ثالث قبع بالخمول والسكوت عن التظاهر بمظاهر الدين.

وأنت أيّها القارىء لو حللت هاته الثلاث عشرة سنة التي أقامها النبي بعنوان انّه نبي في مكة لتوزعت عليك قطعاً عادمة للثمرات المعنوية ففي السنين الثلاثة الأُولى من مبعثه كان مختفياً بدعوته لا يتظاهر فيها ولم يندد بالأوثان وعبادتها ولذلك لم تكن قريش تزاحمه بما زاحمته به بعد السنين الثلاثة المذكورة عندما أمره الله باعلان الدعوة ولا شبهة ان الدعوة الخافية القابعة بالتستر لا وزن لنتائجها ولما أصحر بدعوته بعد هذه الفاصلة حكمت قريش على أبي طالب حامي محمّد بالتطويق والحصار في الشعب وجرّت مدة هذا الحصار سنتين أو ثلاثاً فالنبي في هذه الفاصلة كالمسجون بسجن انفرادي لم تدعه قريش يتصل بالجماعات ويدعوها ويحرز الثمرة التي يتوخاها من دعوته ولو نسبياً وبعد موت أبي طالب بقي ثلاث سنين مشوش الحال مضطرب الحياة ومن يكن على هذه الصفة كيف يتمكن أن يناجز المشركين بالدعوة إلى التوحيد ومنابذة الأوثان فهل ترى يعقل في مثل هذه الظروف المستغلقة والأحوال القاسية وغلبة الالحاد

على التوحيد من كل وجه يرى ظاهره ان يكلف الله سبحانه المسلمين من الناس أو الذين ينتظر بهم الإسلام بتكاليف يثقل حملها ـ وكل تكليف ثقيل ـ فيوجب عليهم صلاة كثيرة في العدد وفيرة في الاجزاء بعيدة في بسط الشرائط أو صوماً أو زكوة على مال أو بدن أو جهاداً ولقاءً للعدو كيف يعقل هذا ونفس كلمة لا اله إلّا الله كانت عليهم من الصعوبة بالمحل الذي أخرجهم عن طورهم الاعتيادي مع النبي فناجزوه وبارزوه وآذوا أتباعه حتى احتملوا الهجرة إلى ديار الغربة ومع ذلك ما سكنوا عنهم بل اتبعوهم برشوات ورسل إلى ولاة ديار هجرتهم يومذاك.

إذاً فلا بدع إذا خلت هذه الازمان عن كل تكليف يذكر سوى كلمة التوحيد ونبذ عبادة الأصنام وشرّعت الصلاة فيها قبيل الهجرة بأوقات معدودة محدودة ولم تتمركز تكاليف الإسلام في المسلمين إلّا بعد الهجرة شيئاً بعد شيء فإنّ نبي الإسلام إن كان عرف لنفسه وقاراً ولدعوته نفوذاً ففي ديار الانصار فقط ؛ إذا جمعت هذه الكلمة في زاوية ذهنك فهلّم بنا إلى دراسة سورة في القرآن يظهر ان صدرها قرين أوّل البعثة في نزوله وهي سورة المزمل: **﴿يَا أَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ * قُمِ ٱللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً * نِصْفَهُ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْآنَ تَرْتِيلاً * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً * إِنَّ نَاشِئَةَ ٱللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً * إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً * وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾** [1] ثمّ يفيض الله سبحانه بعد هذه الآيات في شأن غير شأنها إلى أن تكون آخر آية من السورة فيقول تعالى: **﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ**

---

(١) سورة المزّمل: الآيات ١ ـ ٨.

فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَاةَ وَآتُوا ٱلزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا ٱللَّـهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) :

قال الشوكاني في تفسيره فتح القدير عند كلامه على هذه السورة وهي مكية ، قال الماوردي كلها في قول الحسن وعكرمة وجابر قال وقال ابن عباس وقتادة إلّا آيتين منها : ﴿ **واصبر على ما يقولون** ﴾ والتي تليها ، وقال الثعلبي إلّا قوله : ان ربك يعلم انك تقوم... إلى آخر فإنّه نزل بالمدينة وأخرج ابن الضريسْ وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال : نزلت يا أيّها المزمل بمكة وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله وأخرج النحاس عن ابن عباس قال نزلت سورة المزمل بمكة إلّا آيتين : ان ربك يعلم انك تقوم أدنى ؛ وأخرى البزاز والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الدلائل عن جابر قال : اجتمعت قريش في دار الندوة فقالوا سمّوا هذا الرجل اسماً تصدون الناس عنه ، فقالوا كاهن قالوا ليس بكاهن قالوا مجنون قالوا ليس بمجنون قالوا ساحر قالوا ليس بساحر فتفرق المشركون على ذلك فبلغ النبيّ فتزمل في ثيابه وتدثر فيها فأتاه جبريل فقال : يا أيّها المزمل يا أيّها المدثر .

وقال صاحب مجمع البيان مكية وقيل مدنية وقيل بعضها مكي وبعضها مدني .

أقول أنا : من ادعى انها بأسرها مكية خطّأته الآية الأخيرة فيها فإنّها تتضمن اقامة الصفة وايتاء الزكوة ولم تكن الزكوة واجبة بمكة بطور قاطع ولكن يتولد من قطع الآية الأخيرة منها وهي ان ربك يعلم انك تقوم الآية عن صدر السورة يا أيّها المزمل قم الليل اشكال وهو انّ الآية الأخيرة لا شبهة في ارتباطها بصدر السورة

---

(١) سورة المزّمل: آية ٢٠.

بوضوح وما ورد من الآثار صريح بأنّ صدر السورة كان في أوّل البعثة قال الشوكاني قد ثبت ان النبي لما سمع صوت الملك ونظر إليه أخذته الرعدة فأتى أهله وقال زملوني دثروني وكان خطابه بهذا الخطاب ـ يا أيّها المزمل ـ في أوّل نزول الوحي ثمّ بعد ذلك خوطب بالنبوة والرسالة.

وقال الطبرسي في مجمع البيان: وإنّما خوطب بهذا في بدء الوحي ولم يكن قد بلغ شيئاً ثمّ خوطب بعد ذلك بالنبي والرسول ثمّ صريح قوله تعالى: قم الليل إلّا قليلا اختصاص هذا الأمر بالنبي ﷺ وان هذا الايجاب كان زمان خطابه بيا أيّها المزمل أي في صدر البعثة ولكن الآية في آخر السورة تشرك معه في هذا التكليف غيره من المسلمين ففيها ان ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم ان لن تحصوه فتاب عليكم فارؤوا ما تيسر من القرآن وعلى هذا فصدر السورة وآخرها يدلانِ على استمرار هذا التكليف إلى ما بعد ايجاب الزكوة على المسلمين بالمدينة في حال ان الآثار الواردة في افتراض الصلاة اليومية تنفي أن يكون مثل هذا التكليف موجوداً على عواتق المسلمين وان الفرائض اليومية وردت عليها زيادة واضافة بل نفس السيرة حاكمة بصراحة ان هذا النوع من التكليف وهو قيام الليل لم يكن معروفاً بين المسلمين في عهود أوّل البعثة وما بعدها بل ولا رائحة منه.

فإن قلت فما تقول فيما يرويه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي ومحمّد بن نصر في كتاب الصلاة والبيهقي في سننه عن سعد بن هشام، قال قلت لعائشة أنبئيني عن قيام رسول الله، قالت: ألست تقرأ هذه السورة يا أيّها المزمل، قلت بلى قالت فإنّ الله افترض قيام الليل في أوّل هذه السورة فقام رسول الله وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم وأمسك الله خاتمتها في السماء اثني عشر شهراً ثمّ

أنزل التخفيف في آخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعاً بعد فرضه[١].

أقول: يظهر من السؤال ان السائل سئل عائشة عما كانت تراه من فعل النبي في عبادة الليل وعائشة لم تكن عند النبي في صدر بعثته بل بنى بها بعد خديجة بمدة طويلة كما سيجيء، فهي إنّما أخبرته عما رأت ورؤيتها كانت منحصرة بما بعد الهجرة على اننا لو قلنا انّ قيام النبي وأصحابه كان في صدر البعثة وان عائشة أخبرت السائل بما استفادته من تعليم النبي واخباره لقعدت بنا الآية الأخيرة التي حكت عائشة عنها ان الله أمسكها في السماء اثني عشر شهراً ثمّ أنزلها بعد صدر السورة فاننا كما أسلفنا نمنع أن تكون الآية الأخيرة غير مدنية ونلزم أن تكون بعد ايجاب الزكوة أيضاً لأنّها تحتوي ذكر الزكوة ولزوم ايتائها ولم تجب الزكوة إلّا في المدينة فلم تنزل هذه الآية إلّا في المدينة بل في خاتمة المطاف يجب أن نقول ان صدر السورة وآيتها الأخيرة مما لا شك في ارتباطهما معنى كما لا شك في كون الآية الأخيرة مدنية لاحتوائها على لزوم ايتاء الزكوة ولم تجب الزكوة إلّا في المدينة بلا شبهة ولم يقع الزام بكون صدر السورة مكياً بل ولا الزام بكون بعض منها مكياً كما قرأت عن الطبرسي انّ بعض الأقوال قاطع بمدنيتها جميعاً كما لا الزام بكون المزمل هو كون النبي ﷺ في أوّل البعثة تزمل وتدثر رعباً من جبرئيل حتى انس وإنّما وصف بالمزمل لأنّ الوحي صادفه متلففا بثيابه فنعته بهذا النعت أو معناه يا أيّها المتحمل لأثقال النبوة أو يا أيّها النائم وكان قد تزمل للنوم وكل هذه التفسيرات وارد فحفظاً على ارتباط صدر السورة وآخرها وانطباقها على ما هو الصحيح الثابت خارجاً من سير الإسلام بأهله من أوّل البعثة إلى خاتمة الهجرة يجب القطع بكون هذه السورة مدنية خصوصاً بصدرها

(١) الشوكاني في تفسير سورة المزمل.

وأخيرها وإلّا يلزم كثير من تلك المحذورات التي أسلفناها وغفل عنها كثير من المفسرين لعدم التفاتهم إلى نكاتها.

فالى هنا استبان لك ان سورة المزمل لم تعطنا صورة ثابتة من وجوب أي صلاة على المسلمين في أوّل البعثة بل فيما قبل الاسراء أيضاً وان يكن كلف المسلمون بعملية الصلاة ففي ليلة الاسراء التي ثبت عند الأكثر انها قبيل الهجرة بمدة طفيفة تقدر بسنة أو بكسر فوق السنة؛ وامّا ذات النبي ﷺ فمما لا شبهة فيه عند الفريقين انّه كان ذا خواص ينفرز بها عن عامة المكلفين من جملتها قيام الليل لكن لا يلزم أن يكون اصل افتراض صلاة الليل عليه كان بهذه السورة.

روى الكليني [١] عن علي بن ابراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن ابن اذينة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال: ما تروي هذه الناصبة فقلت جعلت فداك فيما ذاك فقال في اذانهم وركوعهم وسجودهم فقلت انهم يقولون ان أبي بن كعب رآه في النوم فقال كذبوا فإنّ دين الله عزوجل أعز من أن يرى في النوم قال فقال له سدير الصيرفي جعلت فداك فاحدث لنا من ذلك ذكرا فقال أبو عبد الله ان الله لما عرج بنبيه إلى السماء نفرت الملائكة إلى أطراف السماء وخرت سجداً وقالت سبوح قدوس ما أشبه هذا النور بنور ربنا فقال جبرئيل الله أكبر الله أكبر ثمّ فتحت أبواب السماء واجتمعت الملائكة فسلمت على النبي أفواجاً وعرج بي إلى السماء الثانية فلما قربت من باب السماء الثانية نفرت الملائكة إلى أطراف السماء وخرت سجداً وقالت سبوح قدوس ربّ الملائكة والروح ما أشبه هذا النور بنور ربنا فقال جبرئيل أشهد أن لا اله إلّا الله أشهد أن لا اله إلّا الله فاجتمعت الملائكة وقالت يا جبرئيل من هذا معك قال: هذا محمّد قالوا اوقد بعث قال نعم ثمّ عرج

---

(١) فروع الكافي: ج ١ ص ١٣٥ من طبعته الحجرية الجيدة.

بي إلى السماء الثالثة فنفرت الملائكة وخرّت سجداً وقالت سبوح قدوس رب الملائكة والروح ما هذا النور الذي يشبه نور ربنا فقال جبرئيل أشهد أنّ محمّداً رسول الله أشهد أنّ محمّداً رسول الله ثمّ عرج بي حتى انتهيت إلى السماء الرابعة فلم تقل الملائكة شيئاً وسمعت دوياً كأنّه في الصدور فاجتمعت الملائكة ففتحت أبواب السماء وخرجت اليّ شبه المعانيق فقال جبرئيل حي على الصلاة حيّ على الصلاة حيّ على الفلاح حيّ على الفلاح فقالت الملائكة صوتان مقرونان معروفان فقال جبرئيل قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة فقالت الملائكة هي لشيعته إلى يوم القيامة ثمّ أوحى الله إليّ يا محمّد ادن من صاد فاغسل مساجدك وطهرها وصل لربك فدنى رسول الله من صاد وهو ماء يسيل من ساق العرش الأيمن فتلقى رسول الله الماء بيده اليمنى فمن أجل ذلك صار الوضوء باليمين ثمّ أوحى إليه ان اغسل وجهك فانك تنظر إلى عظمتي ثمّ اغسل ذراعيك اليمنى واليسرى فانك تلقى بيدك كلامي ثمّ امسح رأسك بفضل ما بقي في يديك من الماء ورجليك إلى كعبيك فاني أُبارك عليك واوطئك موطئاً لا يطأه احد غيرك فهذا علة الأذان والوضوء ثمّ أوحى الله عزوجل إليه يا محمّد استقبل الحجر الأسود وكبر على عدد حجبي فمن أجل ذلك صار التكبير سبعاً لأنّ الحجب سبع فافتتح عند انقطاع الحجب فمن اجل ذلك صار الافتتاح سنة والحجب متطابقة بينهن بحار النور وذلك النور الذي أنزله على محمّد ﷺ فمن أجل ذلك صار الافتتاح ثلاث مرات لافتتاح الحجب ثلاث مرات فصار التكبير سبعاً والافتتاح ثلاثاً فلما فرغ من التكبير والافتتاح اوحى الله إليه سمّ باسمي فمن أجل ذلك جعل بسم الله الرحمن الرحيم في أوّل السورة ثمّ أوحى إليه ان احمدني فلما قال الحمد لله ربّ العالمين قال النبي في نفسه شكراً فأوحى الله إليه قطعت حمدي فسم باسمي فمن أجل ذلك جعل في الحمد الرحمن الرحيم

مرتين فلما بلغ ولا الضالين قال النبي الحمد لله ربّ العالمين شكراً فأوحى الله إليه قطعت ذكري فسم باسمي فمن أجل ذلك جعل بسم الله الرحمين الرحيم في أوّل السورة ثمّ أوحى الله إليه اقرأ يا محمّد نسبة ربك تبارك وتعالى قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ثمّ امسك عنه الوحي فقال رسول الله كذلك ربنا كذلك ربنا فلما قال ذلك اوحى الله إليه اركع لربك يا محمّد فركع فاوحى الله إليه وهو راكع قل سبحان ربي العظيم ففعل ذلك ثلاثاً ثمّ أوحى الله إليه ان ارفع رأسك يا محمّد ففعل رسول الله فقام منتصباً فأوحى الله إليه أن اسجد لربك يا محمّد فخرّ رسول الله ساجداً فاوحى الله إليه قل سبحان ربي الأعلى ففعل ذلك ثلاثاً ثمّ أوحى الله إليه استو جالساً يا محمّد ففعل فلما رفع رأسه من سجوده واستوى جالساً نظر إلى عظمة تجلت له فخرّ ساجداً من تلقاء نفسه لا لأمر أمر به فسبح أيضاً ثلاثاً فأوحى الله إليه انتصب قائماً ففعل فلم ير ما كان رأى من العظمة فمن أجل ذلك صارت الصلاة ركعة وسجدتين ثمّ اوحى الله عزوجل إليه اقرأ بالحمد لله فقرأها أوّلاً ثمّ اوحى الله إليه اقرأ انا أنزلناه فإنّها نسبتك ونسبة أهل بيتك إلى يوم القيامة وفعل في الركوع ما فعل في المرة الأُولى ثمّ سجد سجدة واحدة فلما رفع رأسه تجلت له العظمة فخر ساجداً من تلقاء نفسه لا لأمر به فسبح أيضاً ثمّ أوحى الله إليه ارفع رأسك يا محمّد ثبتك ربك فلما ذهب ليقوم قيل يا محمّد اجلس فجلس فأوحى الله إليه يا محمّد إذا ما أنعمت عليك فسم باسمي فألهم ان قال بسم الله وبالله ولا اله إلّا الله والاسماء الحسنى كلها لله ثمّ أوحى الله إليه يا محمّد صلّ على نفسك وعلى أهل بيتك فقال صلى الله عليّ وعلى أهل بيتي وقد فعل ثمّ التفت فإذا بصفوف الملائكة والمرسلين والنبيين فقيل يا محمّد سلّم عليهم فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثمّ أوحى الله إليه أن لا يلتفت يسراً وأوّل آية سمعها بعد قل هو الله أحد وانا انزلناه

آية أصحاب الشمال فمن اجل ذلك كان السلام واحدة تجاه القبلة وقوله سمع الله لمن حمده لأنّ النبي سمع ضجة الملائكة بالتسبيح والتحميد والتهليل فمن أجل ذلك قال سمع الله لمن حمده ومن اجل ذلك صارت الركعتان الأوليان كلما أحدث فيهما حدث كان على صاحبهما اعادتهما ـ اه مختصراً ملخصاً ـ .

وهذا الخبر يعطينا صورة واضحة من تشريع الوضوء والأذان والصلاة .

وقال ابن كثير في تاريخه (١): ولما أصبح رسول الله من صبيحة ليلة الاسراء جاءه جبرئيل عند الزوال فبيّن له كيفية الصلاة وأوقاتها وأمر رسول الله أصحابه فاجتمعوا وصلى به جبرئيل في ذلك اليوم إلى الغد والمسلمون يأتمون بالنبي وهو يقتدي بجبرئيل كما جاء في الحديث عن ابن عباس وجابر ـ أمّني جبرئيل عند البيت مرتين ـ فبيّن له الوقتين الأوّل والآخر فهما وما بينهما الوقت الموسع ولم يذكر توسعة في وقت المغرب وقد ثبت ذلك في حديث أبي موسى وبريدة وعبد الله بن عمرو .

وروى الترمذي في أوّل أبواب الصلاة (٢) بسنده عن ابن عباس ان النبي قال أمّني جبرئيل عليه السلام عند البيت مرتين فصلى الظهر في الأُولى منهما حين كان الفيء مثل الشراك ثمّ صلى العصر حين كان كل شيء مثل ظله ثمّ صلى المغرب حين وجبت الشمس وأفطر الصائم ثمّ صلى العشاء حين غاب الشفق ثمّ صلى الفجر حين برق الفجر وحرم الطعام على الصائم وصلى المرة الثانية الظهر حين كان ظل كل شيء مثله لوقت العصر بالأمس ثمّ صلى العصر حين كان ظل كل شيء مثليه ثمّ صلى المغرب لوقته الأوّل ثمّ صلى العشاء الآخرة حين ذهب ثلث الليل ثمّ

(١) البداية والنهاية: ج ٣ ص ١١٧.

(٢) ج ١ ص ٢٧٨ من طبع أحمد محمّد شاكر.

صلى الصبح حين أسفرت الأرض ثمّ التفت إلى جبرئيل فقال يا محمّد هذا وقت الأنبياء من قبلك والوقت فيما بين هذين الوقتين ؛ قال أبو عيسى : وفي الباب عن أبي هريرة وبريدة وأبي موسى وأبي مسعود الأنصاري وأبي سعيد وجابر وعمرو بن حزم والبراء وأنس.

فما عن ابن كثير والترمذي لا يختلف مع ما عن الكافي في اصل تشريع الصلاة المفروضة اليومية وان كانا يتفاوتان في ان التعليم للكيفية كان في المعراج نفسه كما عن الكافي أو في الأرض في خصوص مكة بمنظر في المسلمين كما عن ابن كثير والترمذي وهذا ليس بفارق مهم ولكنهما يختلفان في اصل تشريع الأذان كثيراً فعن الكافي ما قرأت.

وعن طبقات ابن سعد[1] كان الناس في عهد النبي قبل أن يؤمر بالأذان ينادي منادي النبي الصلاة جامعة فيجتمع الناس فلما صرفت القبلة إلى الكعبة أمر بالأذان وكان رسول الله قد أهمّه أمر الأذان وانهم ذكروا أشاء يجمعون بها الناس للصلاة فقال بعضهم البوق وقال بعضهم الناقوس فبينا هم على ذلك إذ نام عبد الله بن زيد الخزرجي فأري في النوم ان رجلاً مرّ وعليه ثوبأنّ أخضران وفي يده الناقوس قال فقلت أتبيع الناقوس فقال ماذا تريد به فقلت اريد أن أبتاعه لكي أضرب به للصلاة لجماعة الناس قال فأنا احدثك بخير لكم من ذلك تقول الله أكبر أشهد أن لا اله إلّا الله أشهد أن محمّداً رسول الله حي على الصلاة حي على الفلاح الله أكبر لا اله إلّا الله فأتى عبد الله بن زيد رسول الله فأخبره فقال له قم مع بلال فألق عليه ما قيل لك وليؤذن بذلك ففعل وجاء عمر فقال لقد رأيت مثل الذي رأى فقال رسول الله فلله الحمد فذلك اثبت.

---

(١) ج ٢ ص ١١ وما بعدها.

قال: وأذن بالأذان وبقي ينادي في الناس الصلاة جامعة للأمر يحدث فيحضرون له ويخبرون به مثل فتح يقرأ أو أمر يؤمرون به فينادى الصلوة جامعة وإن كان في غير وقت صلاة.

وروى أيضاً ابن سعد عن عبد الله بن زيد الأنصاري من بني النجار قال: استشار رسول الله الناس في الأذان فقال: لقد هممت أن أبعث رجالاً فيقومون على آطام المدينة فيؤذنون الناس بالصلاة حتى همّوا أن ينقسوا[١] قال فأتى عبد الله بن زيد اهله فقالوا ألا نعشيك قال لا أذوق طعاماً فاني قد رأيت نبي الله قد أهمه امره للصلاة فنام فرأى في المنام كان رجلاً عليه ثياب خضر وهو قائم على سقف المسجد فأذن ثمّ قعد قعدة ثمّ قام فأقام الصلاة قال فقام إلى رسول الله فأخبره بالذي رأى فأمره أن يعلم بلالاً ففعل.

وروى ابن سعد أيضاً عن عبد الله بن عمران ان رسول الله أراد أن يجعل شيئاً يجمع الناس للصلاة فذكر عنده البوق وأهله فكرهه وذكر الناقوس وأهله فكرهه حتى اري رجل من الأنصار يقال له عبد الله بن زيد الأذان وأريه عمر بن الخطاب تلك الليلة فاما عمر فقال إذا أصبحت أخبرت رسول الله وامّا الأنصاري فطرق رسول الله ﷺ من الليل فأخبره وأمر رسول الله بلالاً فأذن بالصلاة وذكر اذان الناس اليوم قال فزاد بلال في الصبح الصلاة خير من النوم فأقرّها رسول الله وليست فيما أري الأنصاري.

أقول: وهذه الأحاديث صريحة باحتفافاتها ان قضية الأذان كانت في المدينة وروى مسلم في صحيحه (ج ٢ ص ٢) في أوّل كتاب الصلاة عن ابن عمر انّه قال كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلوات

---

(١) من النقس وهو الضرب بالناقوس.

وليس ينادي بها أحد فتكلموا يوماً في ذلك فقال بعضهم اتخذوا ناقوساً مثل ناقوس النصارى وقال بعضهم قرنا مثل قرن اليهود فقال عمر أو لا تبعثون رجلاً ينادي بالصلاة قال رسول الله يا بلال قم فناد بالصلاة.

أقول: وإلى هذه المضامين في حديث الأذان ما يشير خبر الكافي بقوله: ان الله أعزّ من أن يري في النوم والاعتبار الصادق يؤيده فإنّ الأذان من أهم الأُمور في الدعوة إلى الصلاة جماعة وفرادى وفي الاشعار على وقتها وليس عزيزاً على الله بيان ما رآه الأنصاري في نومه لنبيه من طريق الوحي فإنّ به ملاك الحجة ومطابقة الواقع وشرف الصدور وأن لا يكون دين الله ملعبة بيد الأفراد كما في حديث ابن عمران بلالاً زاد من نفسه في الصبح الصلاة خير من النوم ولا ريب ان امور الدين توقيفية وانها عقلاً وشرعاً لا يجوز أخذها بالتخرص والاستحسان والشهوة ولهذا أنكر العلم على أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وغيرهم من الطبقات اجترائهم على التوقيف بالابتداع وادخالهم من أكياسهم ما ليس من الله في دينه كما سيأتي بيان ذلك مفصلاً في محله إن شاء الله ونحن لا نريد أن نحتج بهذه الحجة للزوم كون تشريع الأذان حصل في الاسراء تأييداً لخبر الكافي ولكنا نعدّ انتقاد الخبر على أبناء التسنن في محله وان موازين العلم تشهد له وان نقاط الدين لابدّ وأن تؤخذ عن المشرع لا عن الأفراد وان واجب الله اتمام دينه من نفسه لأنّه العالم بحقائق الأشياء وما غيره وحتى أعظم الأنبياء إلّا ومضة من شعاع علمه القهار.

قال الجزائري في كتابه آيات الأحكام (عند تكلمه على قوله تعالى وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا) وقد أجمع أصحابنا ـ أي الشيعة الامامية ـ على ان الأذان والاقامة وحي من الله على لسان جبرئيل كسائر العبادات ويدل عليه ما رواه في الكافي في الحسن عن منصور بن حازم عن أبي عبد الله قال: لما

هبط جبرئيل بالأذان على رسول الله كان رأسه في حجر عليّ فأذن جبرئيل وأقام فلما انتبه رسول الله قال: يا عليّ سمعت قال نعم قال حفظت قال نعم قال ادع بلالاً فدعى علي بلالاً فعلمه.

أقول أنا: قوله في الرواية فلما انتبه ليس المراد به النوم المستغرق للحاسة بقرائن منها: ان جبرئيل كيف يجوز له أن يلقي وحي الله على نائم فاقد لاحساسه، ومنها: ان رسول الله كيف ينام وهو يوحى إليه إذا كان شروعه في النوم عند مجيء جبرئيل، ومنها: انّه ﷺ كيف يكون نائماً حين الوحي ثمّ بعد ان ينتبه يستفهم من علي بالاستفاهم التقريري يا علي سمعت يا علي حفظت بل كان لا يجوز عليه اصل الاستفهام لأنّه ليس مسبوقاً على فرض نومه عند مجيء جبرئيل وايحائه له بأصل نزول جبرئيل ووحيه وكان مجرى القضية الطبيعي ان يقول له عليّ يا رسول الله كنت نائماً فجاء جبرئيل بالأذان والاقامة فبعد ذلك يستفسر منه النبي هل وعيت ما جاء به وهل سمعت وبعد هذا كل فإنّه من الممنوع عقلاً وشرعاً القاء الوحي إلى غير أهله علياً كان أم غيره بالضرورة، فإنّ الوحي من شؤون الرسالة الخاصة ولكن المراد بقوله فلما انتبه أي عاد إلى حالته الطبيعية بعد تمام الوحي فإنّ النبي كان يجهد لنزول الوحي عليه وتلزمه حالة جذبة وخلسة وقد تقدم بيان طرف من ذلك آنفاً.

قال: وفي الحسن عن زرارة والفضيل عن أبي جعفر قال: لما اسري برسول الله إلى السماء فبلغ البيت المعمور وحضرت الصلاة أذن جبرئيل وأقام فتقدم وصفّ الملائكة والنبيون خلفه.

قال: ولا تنافي بين الخبرين لجواز حصول ذلك مرتين في السماء واحدة وفي الأرض أُخرى.

أقول أنا: ولا مانع من تأكيد الأحكام الشرعية ولا يلزم منه طر ونسيان من

النبي حتى يجدد الوحي به عهداً بل كل الغاية هو التأكيد والتثبيت شأن كثير من المكررات الواردة في الكتاب الدافعة للمكلفين إلى القيام بوظائفهم التكليفية وقد كانت المرة الواحدة في الكتاب الدافعة للمكلفين إلى القيام بوظائفهم التكليفية وقد كانت المرة الواحدة كافية في اتمام الحجة عقلاً ولكن التفضل الرباني زاد في اتمام الحجة على المكلفين بزيادة التأكيد.

قال: وأطبق العامة على نسبته إلى رؤيا عبد الله بن زيد في منامه.

أقول: كما قرأت ذلك عنا مفصلاً.

قال: قال ابن عقيل: أجمعت الشيعة على ان الصادق لعن قوماً زعموا ان النبي أخذ الأذان من عبد الله بن زيد فقال: ينزل الوحي على نبيكم فتزعمون انّه أخذه من عبد الله بن زيد.

وامّا الوضوء المعروف ما بين المتشرعة فإنّما يتكفل تشريعه قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾[١]؛ ولا شبهة ان هذه الآية لو خليت ونفسها لأعطت ان وجوب ما سمي في الشريعة وضوءً تشترط به الصلاة لم يكن إلّا منها لأنّ شرح الموضوع واعطائه خصوصياته يعطي تأسيسه لا تأكيده إذ لو كان تأكيداً لرمز إليه بعنوانهِ المعروف به كما لو قال لا صلاة إلّا بطهور محيلاً ذلك على ما عهد للمسلمين في الطهور وامّا إذا قال لا صلاة إلّا بوضوء وهو أن تغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وتمسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين فذاك في عرض ما بيّن شرطية الصلاة بالطهور اعرب عن حقيقة الطهور وشرح اسمه ليكونوا على علم بمصب هذا الاشتراط، وهو واضح.

---

(١) سورة المائدة: آية ٦.

امّا سورة المائدة فمدنية كلها عند الجميع وإنّما حصل الاختلاف من بعضهم في قوله تعالى: ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ فإنّه يقال نزل والنبي واقف على راحلته في حجة الوداع.

أقول: ومثل هذا الاختلاف لا يعدّ مهما في موضوع تشخيص المكي من المدني فإنّ كلّ ما نزل من القرآن بعد الهجرة يعدّ مدنياً ولو لم يكن مكان نزوله بقعة المدينة وذلك لأنّ الهجرة هي المائز الوحيد في تطور الوضع الاسلامي بين سير النبوة الإسلامية قبلها وبعدها فاعرف ذلك وحجة الوداع إنّما كانت بعد الهجرة بوضوح.

عن الطبرسي قال: روى العياشي باسناده عن عيسى بن عبد الله عن أبيه عن جده عن علي قال: كان القرآن ينسخ بعضه بعضاً وإنّما يؤخذ ما أمر رسول الله بأخذه وكان من آخر ما نزل عليه سورة المائدة نسخت ما قبلها ولم ينسخها شيء لقد نزلت عليه وهو على بغلة شهباء وثقل عليه الوحي حتى وقف وتدلّى بطنها حتى رأيت سرّتها تكاد تمس الأرض واغمي على رسول الله حتى وضع يده على رأس شيبة بن وهب الجمحي ثمّ رفع ذلك عن رسول الله ﷺ فقرأ علينا سورة المائدة فعمل رسول الله وعملنا.

وقال الشوكاني في أوّل تفسير سورة المائدة (من كتاب فتح القدير) قال القرطبي: هي مدنية بالاجماع وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن قتادة قال: المائدة مدنية. وأخرج أحمد والنسائي وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في سننه عن جبير بن نفير قال: حججت فدخلت على عائشة فقالت لي يا جبير تقرأ المائدة فقلت نعم فقالت أما انها آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه وما وجدتم من حرام فحرموه.

وأخرج أحمد والترمذي وحسنه والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في

سننه عن عبد الله بن عمر وقال آخر سورة نزلت المائدة والفتح. وأخرج أحمد عنه قال: انزلت على رسول الله سورة المائدة وهو راكب على راحلته فلم تستطع أن تحمله فنزل عنها.

قال ابن كثير: تفرد به أحمد، قلت وفي اسناده ابن لهيعة وأخرج أحمد وعبد بن حميد وابن جرير ومحمّد بن نصر في كتاب الصلاة والطبراني وأبو نعيم في الدلائل والبيهقي في شعب الايمان عن أسماء بنت يزيد نحوه.

وأخرج ابن شيبة في مسنده والبغوي في معجمه وابن مردويه والبيهقي في دلائل النبوة عن ام عمرو بنت عيسى عن عمها نحوه أيضاً. وأخرج أبو عبيدة عن محمّد بن كعب القرظي نحوه وزاد انها نزلت في حجة الوداع فيما بين مكة والمدينة، وهكذا أخرج ابن جرير عن الربيع بن أنس بهذه الزيادة.

وأخرج أبو عبيد عن ضمرة بن حبيب وعطية بن قيس قالا: قال رسول الله ﷺ: المائدة من آخر القرآن تنزيلاً فاحلوا حلالها وحرموا حرامها. وأخرج أبو داود والنحاس كلاهما في الناسخ عن أبي ميسرة عمر بن شرحبيل قال: لم ينسخ من المائدة شيء. وكذا أخرجه سعيد بن منصور وابن المنذر عنه وكذا أخرجه عبد بن حميد وأبو داود في ناسخه وابن المنذر عن الحسن البصري وأخرج عبد بن حميد وأبو داود في ناسخه وابن جرير وابن المنذر عن الشعبي قال: لم ينسخ من المائدة إلّا هذه الآية: ﴿ **يا أيّها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد** ﴾.

وأخرج أبو داود في ناسخه وابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن ابن عباس قال: نسخ من هذه السورة آيتان آية القلائد وقوله فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم ـ اهـ.

وإنّما نقلنا عنه هذا بطوله لجامعيته للأقوال الصادرة في شأن هذه السورة

نزولاً وإحكاماً ونسخاً لتكون الافاضة فيما يتعلق بها من آي واضحة السبيل؛ فبعد هذا ثبت بصراحة الكتاب ان الصلاة لم تشترط بالوضوء هذا الحكم التأسيسي بكيفيته المشروحة في الآية المذكورة إلّا في المدينة وبعد فاصلة من الهجرة أيضاً وكذلك غسل الجنابة وعند تعذر الماء وجوداً واستعمالاً التيمم لأنّه سبحانه يقول في آية الوضوء: ﴿ **وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنكُم مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِنْ حَرَجٍ وَلٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾.

ويقول سبحانه في سورة النساء وهي مدنية أيضاً قيل كلها وقيل إلّا قوله: ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها الآية وقوله ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم في الكلالة إلى آخرها فإنّ الآيتين نزلتا بمكة ـ آية ٤٣ ـ ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلاَ جُنُباً إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنتُم مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنكُم مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً** ﴾[١].

ولكن يستفاد من تأخر نزول سورة المائدة بالنسبة إلى سورة النساء كما سبق ان المائدة كانت آخر سورة نزلت وتكفل سورة النساء أيضاً للوضوء ضمناً بقوله تعالى: أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنكُم مِنَ الْغَائِطِ... فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا فإنّ المجيء من الغائط لا يرتبط إلّا بالوضوء وانّه من موجباته كما هو من نواقضه ان الوضوء كان لزاماً قبل سورة المائدة أيضاً ولا مانع منه بأن يكون التكليف به صدر أوّلاً ثمّ

(١) سورة النساء: آية ٤٣.

شرح بآية الوضوء في سورة المائدة أخيراً فالآيتان تصرحان بأنّ شرطية الطهور الوضوء والغسل والتيمم للصلاة كانت في المدينة.

وذكر الطبرسي في مجمع البيان فقال: قيل ان الفرض كان في بدء الإسلام التوضؤ عند كل صلاة ثمّ نسخ بالتخفيف وبه قال ابن عمر قال: حدثتني أسماء بنت زيد بن الخطاب ان عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر الغسيل حدثها ان النبي أمر بالوضوء عند كل صلاة فشق ذلك عليه فأمر بالسواك ورفع عنه الوضوء إلّا من حدث فكان عبد الله يرى ان فرضه على ما كان عليه فكان يتوضأ.

وروى سليمان بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله يتوضأ لكل صلاة فلما كان عام الفتح صلى الصلاة كلها بوضوء واحد، فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله صنعت شيئاً ما كنت تصنعه، قال عمداً فعلته يا عمر وقيل ان هذا اعلام بأنّ الوضوء لا يجب إلّا للصلاة لأنّه روي ان النبي كان إذا أحدث امتنع من الأعمال كلها حتى لا يرد جواب السلام حتى يتطهر للصلاة ثمّ يجيب حتى نزلت هذه الآية ـ أي آية الوضوء في سورة المائدة ـ.

أقول: لا يذهب عليك ان المراد بقوله كان الفرض في بدء الإسلام التوضؤ عند كل صلاة! هو أوّل البعثة بل غاية ما يتناوله هو أوّل زمن ايجاب الصلوات اليومية وكان ذلك عند المعراج كما تقدم؛ هذا وقد تقدم لك في خبر الكافي ان حديث المعراج قد تكفل قضية الوضوء ولكن لم يصرح فيه انّه كان تشريعاً له ولأُمته جميعاً وفيما نسوقه لك تالياً يتجلى هذا المطلب بشراشره.

في السيرة الحلبية [1] باب ذكر وضوئه وصلاته ﷺ أوّل البعثة: قال في المواهب روي ان جبريل عليه السلام بدا له ﷺ في أحسن صورة وأطيب رائحة فقال

(١) ج ١ ص ٢٩٨ وما بعدها.

له يا محمّد ان الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك أنت رسول الله إلى الجن والانس فادعهم إلى قول لا اله إلّا الله ثمّ ضرب برجله الأرض فنبعت عين ماء فتوضأ منها جبريل ثمّ امره أن يتوضأ وقام جبريل يصلي وأمره أن يصلي معه فعلّمه الوضوء والصلاة.

وعن ابن اسحاق قال: حدثني بعض أهل العلم ان الصلاة حين افترضت على النبي ﷺ أي قبل الاسراء أتاه جبريل وهو بأعلا مكة فهمز له بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت منه عين فتوضأ جبريل ورسول الله ينظر ليريه كيف الطهور ثمّ قام جبريل فصلى به ﷺ ركعتين وفي الامتاع إنّما كانت الصلاة قبل الاسراء صلاة بالعشي ثمّ صارت صلاة بالغداة وصلاً بالعشي ركعتين ركعتين ولما صلى رسول الله بصلاة جبريل قال جبريل هكذا الصلاة يا محمّد ثمّ انصرف جبريل فجاء رسول الله إلى خديجة وأخبرها وتوضأ لها ليريها كيف الطهور للصلاة كما أراه جبريل ثمّ صلّى بها كما صلى به جبريل.

وفي سيرة الحافظ الدمياطي ما يفيد ان ذلك كان في يوم نزول جبريل بأقرأ باسم ربك حيث قال بعث النبي ﷺ يوم الاثنين وصلى فيه وصلت خديجة آخر يوم الاثنين.

وجاء انّه لما اقرأه باسم ربك قال له جبريل انزل عن الجبل فنزل معه إلى قرار الأرض ثمّ ضرب برجله الأرض فنبعت عن ماء فتوضأ منها جبريل فمشروعية الوضوء كانت مع مشروعية الصلاة التي هي غير الخمس وان ذلك كان في يوم نزول جبريل باقرأ وهو مخالف لقول ابن حزم لم يشرع الوضوء إلّا بالمدينة ومما يرد ما قاله ابن حزم نقل ابن عبد الر اتفاق أهل السير على انه لم يصل قط إلّا بوضوء قال وهذا مما لا يجهله عالم إلّا أن يقال مراد ابن حزم انّه لم يشرع وجوباً إلّا بالمدينة وهو الموافق لقول بعض المالكية انّه كان قبل الهجرة مندوباً وإنّما

وجب بالمدينة بآية المائدة يا أيّها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة.

وفي الاتقان ان هذه الآية مما تأخر نزوله عن حكمه فالآية مدنية اجماعاً، وفرض الوضوء كان بمكة مع فرض الصلاة وذكر بعضهم ان الغرض من نزول آية المائدة بيان ان من لم يقدر على الوضوء والغسل لمرض أو لعدم الماء يباح له التيمم فرضية الوضوء والغسل سابقة على نزولها ويؤيد ذلك قول عائشة في الآية ـ فأنزل الله تعالى آية التيمم ـ ولم تقل آية الوضوء وهي هي لأنّ الوضوء كان مفروضاً قبل أن توجد تلك الآية ويوافقه ما ذكر ابن عبد البر من اتفاق أهل السير على ان الغسل من الجنابة فرض عليه ﷺ وهو بمكة، وعن ابن عمر ما يقتضي ان فرض الغسل كان مع فرض الصلاة ليلة الاسراء.

وعن مقاتل بن سليمان فرض الله تعالى في أوّل الإسلام الصلاة ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي وفي بعض الأحاديث ما يدل على ان وجوب الركعتين كان خاصاً به ﷺ دون امته منها قوله ﷺ أوّل ما افترض الله على امتي الصلوات الخمس وفي الامتاع كان رسول الله يخرج إلى الكعبة أوّل النهار فيصلي صلاة الضحى وكانت صلاة لا تنكرها قريش وكان ﷺ واصحابه إذا جاء وقت العصر تفرقوا في الشعاب فرادى ومثنى فيصلون صلاة العشي ثمّ نزلت الصلوات الخمس وذهب جمع إلى انّه لم يكن قبل الاسراء صلاة مفروضة لا عليه ولا على امته ولم يذكر ائمتنا وجوب صلاة الركعتين عليه بل قالوا أوّل ما فرض عليه الانذار والدعاء إلى التوحيد ثمّ فرض عليه قيام الليل المذكور في أوّل سورة المزمل ثمّ نسخ بما في آخرها ثمّ نسخ بالصلوات الخمس، وفي كلام ابن حجر صاحب الصواعق لم يكلف الناس إلّا بالتوحيد فقط ثمّ استمروا على ذلك مدة مديدة ثمّ فرض عليهم من الصلاة ما ذكر في سورة المزمل ثمّ نسخ ذلك كله بالصلوات الخمس ثمّ لم تكثر الفرائض ولم تتابع إلّا بالمدينة لما ظهر

الإسلام وتمكن في القلوب وكان كلما زاد ظهوراً وتمكن ازدادت الفرائض وتتابعت ـ اهـ مختصراً ملخصاً ـ.

وأنت أيّها القارىء من بدء هذه النقول والأخبار المحكية لك في هذه الصفحات إلى هذه النهاية عرفت كم في سرد هذه الأحاديث من تناقض وتضارب وانها أقوال سيقت لا عن تمحيض إذاً فلا تبعد عنك كلمتنا التي صدرنا بها البحث وأثبتنا فيها ان الحالة الطبيعية التي كانت تحيط بالنبي وبأصحابه لم تكن تجوّز له إلّا مدّ الصوت في الفرص المستطاعة بكلمة التوحيد ونبذ الشركاء فحسب ، نعم قبيل الهجرة بسنة أو بزيادة كسر عليها كلف الله المسلمين بالصلوات اليومية في قضية المعراج وليس ببعيد أن تكون شرطية الطهور مقرونة بها من يومذاك وان لم يصحر بها الكتاب العزيز إلّا بالمدينة كما يجوز بتوسع أن يكون تشريع الصلاة منفكاً في الزمان عن تشريع الطهور واشتراطها به كما هو ظاهر الكتاب .

وان وظائف الإسلام بأسرها مما احتوت عليه الكتب الفقهية من عبادات وعقود وايقاعات وأحكام لم تكن إلّا في المدينة دار ظهور الإسلام وعزة المسلمين وان دعوة مكة لم تتجاوز كلمة التوحيد وتشريع الصلاة صرفا ان من جهة ما يعود للنبي من وظيفة وان من جهة ما يعود لأتباعه وامّا حديث ركعتي الضحى وركعتي العشي فلا ضمان له على مزيد الاختلاف فيه كما قرأت ، كما اننا بسطنا لك القول في سورة المزمل وأثبتنا بالتدليل الناضج ان الأقوى فيها خصوصاً مع مراعاة صدرها وذيلها ان تكون مدنية وفي خاتمة المطاف نوجب على كل باحث أن يقبض بكلتا يديه على ظواهر الكتاب خصوصاً في مثل هذه المباحث إلّا أن يجيء واضح السنة معرباً ومفسراً وشارحاً بما لا تنافي معه لظاهر الوحي فهناك تعتبر السنة ذات وزن لا مجال للتجاوز عنه ويجمع بينها

وبين القيّم عليها وهو القرآن الحكيم بأحسن جمع .

عدّة أحاديث

قال ابن هشام [١] حدثني خلاد بن قرّة بن خالد السدوسي وغيره من مشايخ بكر بن وائل من أهل العلم ان أعشى بني قيس بن ثعلبة خرج إلى رسول الله يريد الإسلام فقال يمدح رسول الله :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا ... وبتّ كما بات السليم مسهّدا
وما ذاك من عشق النساء وإنّما ... تناسيت قبل اليوم خلة مهددا [٢]
ولكن أرى الدهر الذي هو خائن ... إذا أصلحت كفاي عاد فأفسدا
كهولاً وشباناً فقدت وثروة ... فلله هذا الدهر كيف ترددا
وما زلت أبغي المال مذ أنا يافع ... وليداً وكهلاً حين شبت وأمردا
وابتذل العيس المراقيل تغتلي ... مسافة ما بين النجير فصرخدا [٣]
ألا ايّهذا السائلي أين يممت ... فإنّ لها في أهل يثرب موعدا
فإن تسألي عني فيارب سائل ... حفيّ عن الأعشى به حيث اصعدا
اجدت برجليها النجاء وراجعت ... يداها خنافاً ليّنا غير احردا [٤]
وفيها إذا ما هجّرت عجرفية ... إذا خلت حرباء الظهيرة احيدا [٥]

(١) السيرة الهشامية: ج ١ ص ٤١١ وما بعدها.

(٢) اسم امرأة.

(٣) النجير موضع في حضرموت وصرخد موضع بالجزيرة.

(٤) الخناف بكسر الخاء ان تلوى يديها في السير من النشاط والاحرد الذي لا ينبعث في المشي.

(٥) الأحيد الذي لا يعطف عنقه امّا من كبر وامّا من داء أصابه.

وآليت لا آوي لهـــا مـــن كـــلالة ... ولا من حفى حتى تـلاقي مـحمّدا
متى ما تناخي عند باب ابن هاشم ... تراحي وتلقي مـن فـواضـله نـدى
نـــبيّ يـــرى مـــا لا تـــرون وذكـره ... اغــار لعـمري فـي البـلاد وانـجدا
له صـــدقات مـــا تـــغبّ ونـــائل ... وليس عــطاء اليــوم مـانعه غـدا
اجـــدّك لم تسـمع وصـاة مـحمّد ... نبيّ الالٰـه حـيث أوصـى وأشـهدا
إذا أنت لم ترحـل بـزاد مـن التـقي ... ولاقيت بعد الموت من قـد تـزودا
نـــدمت عـلى أن لا تكـون كـمثله ... فترصد للموت الذي كـان أرصـدا

إلى بقية أبيات ذكرها حذفتها لأني لم أستجدها فلما كان بمكة أو قريباً منها اعترضه بعض المشركين من قريش فسأله عن أمره فأخبره انّه جاء يريد رسول الله ليسلم فقال له يا أبا بصير انّه يحرّم الزنا فقال الأعشي والله ان ذلك لأمر مالي فيه من ارب ، فقال له يا أبا بصير فإنّه يحرّم الخمر فقال الأعشي : أما هذه فوالله انّ في النفس منها لعلالات ولكني منصرف فأتروى منها عامي هذا ثمّ آتيه فأسلم فانصرف فمات في عامه ذلك ولم يعد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

أقــول : ذكر ابن هشام هذا الحديث في مصاف الأحوال النبوية في مكة بـل ذكره قبل أن يـذكر المـعراج ووفـاة أبـي طـالب وخـديجة وصـريح القـصيدة والاحتفافات الخارجية قاض بأنّ الأعشى لم يقصد قصده ذاك ولم يقل شعره إلّا والنبي في المدينة بل بعد مـهجره بـمدة حـين اتسـعت دعـوته فـي الانـتشار وامتلاءت قبضته من المال وذلك قوله :

ألا أيّ هذا السائلي أين يـممت ... فإنّ لها في أهـل يـثرب مـوعدا

فإنّه ينص في بيته هذا ان مقصده المدينة مهجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقوله :

متى ما تناخي عند باب ابن هاشم — تراحي وتلقي من فواضله ندى
نبيّ يرى ما لا ترون وذكره — اغار لعمري في البلاد وانجدا
له صدقات ما تغبّ ونائل — وليس عطاء اليوم مانعه غدا

فإنّ دعوة النبي لم تنتشر في الآفاق بحيث تهوى اليها الأنفس لعزتها وشرفها إلّا في المدينة ولم تكن له صدقات ونائل ويراح إليه بالمطايا إلّا في دار هجرته عندما حصل في يده من الغنائم الواردة والهدايا القادمة شيء وكل هذه المعاني كانت معدومة له في مكة ولم يكن اسلام مكة الذي كان مطوقاً بالحوادث والمخاوف مما يهش له الأعشى ونظائره الماديون القليلوا العناية بالتدين والتعبد .

٢ ـ حديث الأراشي

قال ابن اسحاق [١] : حدثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان الثقفي وكان واعية قال قدم رجل من أراش ـ ويقال أراشة ـ بابل له إلى مكة فابتاعها منه أبو جهل فمطله بأثمانها فأقبل الأراشي حتى وقف على ناد من قريش ورسول الله ﷺ في ناحية المسجد جالس فقال : يا معشر قريش من رجل يؤديني [٢] على أبي الحكم بن هشام فاني رجل غريب ابن سبيل وقد غلبني على حقي ، قال فقال له أهل ذلك المجلس أترى ذلك الرجل الجالس : مشيرين إلى رسول الله ﷺ وهم يستهزئون به لما يعلمون بينه وبين أبي جهل من العداوة : اذهب إليه فإنّه يؤديك عليه فأقبل الأراشي حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال :

---

(١) السيرة الهشامية : ج ١ ص ٤١٦ وما بعدها .

(٢) أي ليساعدني عليه ويأخذ بظلامتي منه .

يا عبد الله ان أبا الحكم ابن هشام قد غلبني على حق لي قبله وأنا غريب ابن سبيل وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤدني عليه يأخذ لي حقي منه فأشاروا اليك فخذ لي حقي منه يرحمك الله، قال انطلق إليه فقام مع رسول الله فلما رأوه قام معه قالوا الرجل ممن معهم اتبعه فانظر ماذا يصنع، قال وخرج رسول الله حتى جاءه فضرب عليه بابه فقال من هذا فقال محمّد فاخرج اليّ فخرج إليه وما في وجهه من رائحة [١] قد انتقع لونه [٢] فقال إعط هذا الرجل حقه، فقال: نعم لا تبرح حتى أعطيه الذي له، قال فدخل فخرج إليه بحقه فدفعه إليه ثمّ انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال للأراشي الحق بشأنك فأقبل الأراشي حتى وقف على ذلك المجلس فقال جزاه الله خيراً فقد والله أخذ لي حقي، قال وجاء الرجل الذي بعثوا معه فقالوا ويحك ماذا رأيت قال عجب من العجب والله ما هو إلّا أن ضرب عليه بابه فخرج إليه وما معه روحه فقال اعط هذا حقه فقال نعم لا تبرح حتى أخرج إليه حقه فدخل فخرج إليه بحقه فأعطاه اياه قال ثمّ لم يلبث أبو جهل أن جاء فقالوا مالك والله ما رأينا مثل ما صنعت قط قال ويحكم والله ما هو إلّا أن ضرب علي بابي وسمعت صوته فملئت منه رعباً ثمّ خرجت إليه وان فوق رأسه لفحلان من الابل ما رأيت مثل هامته ولا قصرته [٣] ولا أنيابه لفحل قط والله لو أبيت لأكلني.

أقول: ولا بدع فإنّه لولا مثل هذه الانتصارات تكون من الله لعبده ورسوله في متشتتة الوقائع في سلم أو في حرب مع فرد أو جماعة لما نجحت طريقته

---

(١) أي كأنّه مأخوذ وما فيه بقية روح.

(٢) أي تغيّر.

(٣) القصرة بالتحريك مفتوحاً.

الدينية ولا دعوته التوحيدية فيما بين جملة اولئك الوحوش الذين على طول خطهم مع تبليغه في الحياة ما انزاحوا عن الوثن إلى رب الوثن والصانع الحقيقي للعالم وإنّما جمعهم تحت جامع التوحيد وكلمته نظائر هذه الارعابات الآخذة بالمخنق الخارجة عن مجاري العادة وسير الطبيعة وإنّما لم يوال الله بها تباعاً الواحدة على أثر الأُخرى في كل حراجة تحدث لأنّه لا يكون حينئذ للداعي أجر ونصيب ولا للمدعو المجاهد والتابع المناجز والمجيب المبارز فضل ومزية من الله عزوجل ولا للمتعنت اللجوج والمتعصب المغرور وتمحيص يكون ورائه عذاب شديد يستحقه بحقه ويؤتاه بوجه مكشوف له ولغيره. ولم يكن على رأس محمّد عندما ذهب إلى أبي جهل فحل من الابل عظيم الهامة والأنياب مهول الشكل وإنّما هو خيال صوّره الله أمام أبي جهل فصرعه به وخوف ألقاه في قلبه من محمّد الذي كان مهزءة له في غير ساعته هذه وحديث الله مع عباده ذو شجون فتارة املاء وارخاء وثانية أخذ بالمخنق وتضييق وفي كل حكمة بالغة ومصلحة قائمة فتعالى الله في كل حين وعلى كل حال.

٣ـ وفد من نصارى الحبشة

قال ابن اسحاق [١]: ثمّ قدم على رسول الله ﷺ وهو بمكة عشرون رجلاً أو قريب من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة فوجدوه في المسجد فجلسوا إليه وكلموه وسألوه ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة فلما فرغوا من مسائلة رسول الله ﷺ عمّا أرادوا دعاهم رسول الله إلى الله وتلا عليهم القرآن فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع ثمّ استجابوا لله وآمنوا

---

(١) السيرة الهشامية: ج ١ ص ٤١٨ وما بعدها.

به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش فقالوا لهم خيبكم الله من ركب بعثكم من ورائكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال ما نعلم ركباً أحمق منكم أو كما قالوا لهم فقالوا لهم سلام عليكم لا نجاهلكم لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه لم نأل أنفسنا خيراً ويقال ان النفر من النصارى من أهل نجران فالله أعلم أي ذلك كان فيقال والله أعلم فيهم نزلت هؤلاء الآيات: ﴿ **ٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ * أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَاهِلِينَ** ﴾[١].

أقول: قال الطبرسي في سبب نزول هذه الآيات ان عبد الله بن سلام وتميم الداري والجارود العبدي وسلمان الفارسي لما أسلموا نزلت فيه الآيات المذكورة عن قتادة وقيل نزلت في أربعين رجلاً من أهل الانجيل كانوا مسلمين بالنبي قبل مبعثه اثنان وثلاثون من الحبشة أقبلوا مع جعفر بن أبي طالب وقت قدومه وثمانية قدموا من الشام.

وفي تفسير الشوكاني أخرج ابن مردويه عن ابن عباس: ﴿ **ٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ** ﴾ قال: يعني من آمن بمحمد من أهل الكتاب وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي موسى الأشعري قال رسول الله ﷺ ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بالكتاب الأوّل والآخر

(١) سورة القصص: من آية ٥٢ إلى نهاية آية ٥٥.

ورجل كانت له أمة فأدبها فأحسن تأديبها ثمّ أعتقها وتزوجها وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده.

أقول أنا: لسان هذه الآيات ناطق بانطباقها على مجرى حديث ابن اسحاق تمام الانطباق ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب** ﴾ السماوي وأيّ كتاب فرضته ﴿ **من قبله** ﴾ أي من قبل ارسال محمّد ﷺ ﴿ **هم به** ﴾ أي بمحمد ﷺ ﴿ **يؤمنون** ﴾ لأنّ الله سبحانه نعته في صحفهم كما نعت أنبيائه السابقين للاحقين ليكون السابق واللاحق جميعاً على بصيرة من حديث الله ورسله وما هو وظيفتهم أمام الكون فوظيفة الله الرحمة واللطف والهداية إلى أصلح الأُمور وأهدى الطرق ووظيفة الرسول السفارة في ذلك وملاك الجميع الدعوة الحقة إليه سبحانه ولا فرق بين متقدم ولا متأخر في هذا الهدف الذي يرمى إليه العموم بايعاز من المولى جل وعلا.

﴿ **وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ** ﴾ القرآن ﴿ **قَالُوا آمَنَّا بِهِ** ﴾ لارتباط مضامينه الجامعة العامة بما درسوه وتلقوه عن أنبيائهم في صحفهم ﴿ **إِنَّهُ** ﴾ أي ما يتلى علينا من القرآن ﴿ **الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا** ﴾ لأنّ الكتب السابقة ناطقة به مشتركة معه في الدعوة ترمى واياه إلى غرض جامع هو توحيد الله وتعريفه إلى خلقه القاصرين عن معرفته من غير طرق السماء كتاباً ورسولاً ﴿ **إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ** ﴾ أي من قبل ارساله في ظرف الخارج ﴿ **مُسْلِمِينَ** ﴾ له ومؤمنين به لاننا نجده فيما وظفنا به من كتاب وعلى لسان من جاءنا من رسول...

﴿ **أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا** ﴾ لانقيادهم إلى تكاليف ربهم في الشريعة السابقة واعتناقهم لما كانوا مسبوقين بعلمه من الشريعة اللاحقة ﴾ ﴿ **وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ** ﴾ فإنّ الحسنات عند الله يذهبن السيئات ﴿ **وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾ أي يواسي غنيهم فقيرهم وقويهم ضعيفهم وواجدهم فاقدهم

لأنّ الله أشبع أرواحهم بأنّ دينه دين مواساة وتعطف وانحرف عن الصواب.

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ ﴾ أي لغو يكون لأنّ المراد به كل شيء تجافي عن الواقع وانحرف عن الصواب ﴿ أَعْرَضُوا عَنْهُ ﴾ لأنّ دينهم وعقولهم ينهيانهم عنه ويصدانهم عن الوقوف معه ﴿ وَقَالُوا ﴾ للّلاغين مع كمال تأدب ونزاهة ألفاظ كما أدبهم ربهم ﴿ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لاَ نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ بسوء كما يبتغوننا ويتعرضون لنا فضولاً وبلا داع.

قال ابن احسان في ذيل حديثه الآنف وقد سألت ابن شهاب الزهري عن هؤلاء الآيات فيمن نزلت فقال لي: ما زلت أسمع من علمائنا انهن انزلن في النجاشي وأصحابه والآيات (من سورة المائدة آية ٨٢ و ٨٣): ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾.

أقول: ذكر الطبرسي في شأن نزول هذه الآيات ما ساقه عن المفسرين قال: قال المفسرون: ائتمرت قريش أن يفتنوا المؤمنين عن دينهم فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يؤذونهم ويعذبونهم فافتتن من افتتن وعصم الله منهم من شاء ومنع الله رسوله بعمه أبي طالب فلما رأى رسول الله ما بأصحابه ولم يقدر على منعهم ولم يؤمر بعد بالجهاد أمرهم بالخروج إلى ارض الحبشة وقال ان بها ملكاً صالحاً لا يظلم ولا يُظلم عنده أحد فاخرجوا إليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجاً وأراد به النجاشي واسمه اصحمة وهو بالحبشة عطية وإنّما النجاشي اسم الملك كقولهم كسرى وقيصر فخرج اليها سراً أحد عشر رجلاً وأربع نسوة فخرجوا إلى البحر وأخذوا سفينة إلى أرض الحبشة بنصف دينار وذلك في رجب

في السنة الخامسة من مبعث رسول الله وهذه هي الهجرة الأُولى ثمّ خرج جعفر بن أبي طالب وتتابع المسلمون اليها وكان جميع من هاجر إلى الحبشة من المسلمين اثنين وثمانين رجلاً سوى النساء والصبيان فلما علمت قريش بذلك وجّهوا عمرو بن العاص وصاحبه عمارة بن الوليد بالهدايا إلى النجاشي وإلى بطارقته ليردوهم اليهم وكان عمارة بن الوليد شاباً حسن الوجه وأخرج عمرو بن العاص أهله معه فلما ركبوا السفينة شربوا الخمر فقال عمارة لعمرو بن العاص قل لأهلك تقبلني فأبى فلما انتشى عمرو دفعه عمارة في الماء ونشب عمرو في صدر السفينة واخرج من الماء والقى الله بينهما العداوة في سيرهما قبل أن يقدما إلى النجاشي ثمّ وردوا على النجاشي فقال عمرو بن العاص أيّها الملك ان قوماً منا خالفونا في ديننا وسبّوا آلهتنا وصاروا اليك فردهم الينا فبعث النجاشي إلى جعفر فجاءه فقال يا أيّها الملك سلهم أنحن عبيد لهم فقال لا بل أحرار قال فسلهم ألهم علينا ديون يطالبوننا بها قال لا مالنا عليكم ديون قال فلكم في أعناقنا دماء تطالبوننا بها قال عمرو لا ، قال: فما تريدون منا آذيتمونا فخرجنا من دياركم ثمّ قال: أيّها الملك بعث الله فينا نبياً أمرنا بخلع الأنداد وترك الاستقسام بالأزلام وأمرنا بالصلاة والزكوة والعدل والاحسان وايتاء ذي القربى ونهانا عن الفحشاء والمنكر والبغي ، فقال النجاشي: بهذا بعث الله عيسى ثمّ قال النجاشي لجعفر هل تحفظ مما أنزل الله على نبيك شيئاً قال نعم فقرأ سورة مريم فلما بلغ قوله وهزّي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً قال هذا والله هو الحق فقال عمرو انّه مخالف لنا فرده الينا فرفع النجاشي يده وضرب بها وجه عمرو وقال اسكت والله لئن ذكرته بعد بسوء لأفعلن بك وقال ارجعوا إلى هذا هديته وقال لجعفر واصحابه امكثوا فانكم آمنون وأمر لهم بما يصلحهم من الرزق فانصرف عمرو وأقام المسلمون هناك بخير دار وأحسن جوار إلى أن هاجر رسول الله وعلا أمره

وهادن قريشاً وفتح خيبر فوافى جعفر إلى رسول الله بجميع من كانوا معه فقال رسول الله: لا أدري أنا بفتح خيبر أسرُّ أم بقدوم جعفر ووافى جعفر واصحابه رسول الله في سبعين رجلاً منهم اثنان وستون من الحبشة وثمانية أهل الشام فقرأ عليهم رسول الله سورة يس إلى آخرها فبكوا حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى فأنزل الله فيهم هذه الآيات.

وقال مقاتل والكلبي: كانوا أربعين رجلاً اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من أهل الشام، وقال عطاء: كانوا ثمانين رجلاً أربعون من أهل نجران من بني الحارث بن كعب واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية روميون من أهل الشام ـ اهـ ملخصاً ـ.

أقول: قد أسلفنا حديث هجرة الحبشة عن ابن اسحاق عن ام سلمة زوج رسول الله ﷺ وما أسلفناه أدق وأتقن وأبعد عن بعض الزوائد الذي ذكرت هنا في حديث جعفر عليه السلام مما لم يوظف إلّا بعد الهجرة إلى المدينة ولكن فيما ساقه الطبرسي بعض الفوائد التي عرى عنها خبر ابن اسحاق وهو الذي دعانا إلى ذكره مختصراً مضافاً إلى ما فيه من بيان السبب في نزول الآيات المصدر بها البحث.

وقال الشوكاني في شأن نزول الآيات المصدرة للبحث من تفسيره[1]: قد أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد في قوله ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَوَدَّةً ﴾ الآية قال: هم الوفد الذين جاءوا مع جعفر وأصحابه من ارض الحبشة وأخرج أبو الشيخ وابن مردويه عن أبي هريرة قال قال رسول الله: ما خلا يهودي بمسلم إلّا همّ بقتله، وفي لفظ: إلّا حدّث نفسه بقتله.

وأخرج ابن أبي حاتم عن عطاء قال: ما ذكر الله به النصارى من خير فإنّما يراد

---

(١) فتح القدير في تفسير سورة المائدة.

به النجاشي وأصحابه. وأخرج أبو الشيخ عنه قال: هم ناس من الحبشة آمنوا إذ جاءتهم مهاجرة المؤمنين فذلك لهم.

وأخرج النسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه عن عبد الله ابن الزبير قال: نزلت هذه الآية في النجاشي وأصحابه: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ ﴾.

وأخرج ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم وأبو نعيم في الحلية والواحدي من طريق ابن شهاب قال: أخبرني سعيد ابن المسيب وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعروة ابن الزبير قالوا: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن امية الضمري وكتب معه كتاباً إلى النجاشي فقدم على النجاشي فقرأ كتاب رسول الله ﷺ ثمّ دعا جعفر ابن أبي طالب والمهاجرين معه وأرسل النجاشي إلى الرهبان والقسيسين فجمعهم ثمّ أمر جعفر بن أبي طالب أن يقرأ عليهم القرآن فقرأ عليهم سورة مريم فآمنوا بالقرآن وفاضت أعينهم من الدمع وهم الذين أنزل الله فيهم: ﴿ ولتجدن أقربهم مودة ﴾ إلى قوله ﴿ من الشاهدين ﴾.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه عن سعيد بن جبير في الآية قال: هم رسل النجاشي باسامه واسلام قومه كانوا سبعين رجلاً يختارهم من قومه الخير فالخير في الفقه والسن ـ وفي لفظ ـ نعت من خيار اصحابه إلى رسول الله ثلاثين رجلاً فلما اتوا رسول الله ﷺ دخلوا عليه فقرأ عليهم سورة يس فبكوا حين سمعوا القرآن وعرفوا انّه الحق فأنزل الله فيهم ﴿ ذلك بأنّ منهم قسيسين ورهباناً ﴾ الآية، ونزلت هذه الآية فيهم أيضاً: ﴿ اولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ﴾ وأخرج عبد بن حميد والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس نحوه بدون ذكر العدد.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي قال بعث النجاشي إلى رسول

الله ﷺ اثني عشر رجلاً سبعة قسيسين وخمسة رهباناً ينظرون إليه ويسألونه فلما لقوه وقرأ عليهم ما أنزل الله بكوا وآمنوا فأنزل الله فيهم ﴿ **وإذا سمعوا ما انزل إلى الرسول** ﴾ الآية، وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن في قوله (قسيسين) قال هم علماؤهم ـ اهـ.

أقـول: قوله سبحانه ﴿ **لتجدن** ﴾ يصلح أن يكون خطاباً للنبي ﷺ المنزل عليه هذا الكتاب كما يصلح أن يكون خطاباً لكل مسلم يتأتى في حقه تمييز رويّات اليهود والمشركين والنصارى بل يصلح أن يكون خطاباً لكل انسان يتأتى له التمييز بين فرق أهل الدين ومن جملتهم المسلمون كما في قوله تعالى: ﴿ **ولو ترى إذ وقفوا على النار** ﴾ فإنّ احالة الله سبحانه بخبره هذا احالة إلى قضايا محسوسة فإنّ اليهود وان كانوا أكثر اطلاعاً من المشركين في باب الديانات وكان الرجاء فيهم إلى تصديق دعوة النبي ﷺ أوثق لأنّهم واردون في مثل هذه الخطط ويعرفون بتوسع ان عبادة الأوثان مما لا حظ له من الله سبحانه ولا تقرّب إليه زلفى وان عبادة فريق من آبائهم للعجل بعد عبورهم النيل مما أوقع بهم تنكيلاً عظيماً من الرب سبحانه وان البشر لابد وأن يكون تحت قيمومة شريعة سماوية وان المصالح الربانية تقضي على اختلاف الأدوار ببعث رسول عقيب رسول يكون الثاني منهما مكمّلاً لرسالة صاحبه ومبيّناً لوجه ما يريده الله سبحانه لهذا الجيل غير ما كان اراه للجيل السابق والمشركون عارون عن هذه المعارف لا يعرفون الديانات المعاصرة لهم إلّا بالسماع وإنّما يتعبدون بدين اختلاقي توحيه إليهم أوهامهم ولذلك لم يكونوا يصيخون لدعوة محمّد ﷺ لأنّ جزيرتهم لم تكن تعتاد نظيراً لهذه الدعوة أصلاً وإنّما كانت بأهلها هملا من كل معرفة واطلاع ان بالنسبة إلى معارف الدنيا وان بالنسبة إلى معارف الدين فمع هذه الفوارق الكثير بين اليهود والمشركين كيف صحّ بطبيعة التحليل الآنف أن يواجه الرسول

محمّد ﷺ من اليهود أشدّ مما كان يواجهه من المشركين المعاصرين له فإنّ اذية المشركين له كانت أزمان مكثه بمكة ولما هاجر واستقرت دعوته نسبياً وأخذ يستطيع المقاومة للمشركين ويناجزهم القتال خفّت وطأتهم بالنسبة وامّا اليهود فكانوا كلما اتسع الإسلام وتمكن تنمروا له أكثر وعادوه عداوة أشد وتذرع بعضهم باظهاره لكلمة الإسلام ان يكيده من حيث الدسّ في أحاديثه والتزلف إلى خلفائه والقائه اليهم ما ليس من دين الإسلام فتكاً بدين الإسلام.

وكثير من هذه الاسرائيليات التي يشهدها المسلم الناقد في دينه هي تراث اولئك من كعب الاحبار وغيره فقد تغلب كعب على روح عثمان بن عفان وكان من أسباب طرد هذا الخليفة لأبي ذر أعظم صحابي في صحابة الرسول إلى الربذة لأنّ هذا الصحابي خالف ذلك الاسرائيلي في امور كانت ترتبط بالخليفة المذكور وسنتكلم عنها مبسوطاً في محلها ان شاء الله.

إذاً فكما قال الله سبحانه وهو أخبر الخبراء بهذه الأُمور لتجدن ﴿ **أشد الناس عداوة للذين آمنوا** ﴾ ويريد بهم المسلمين المؤمنين برسالة محمّد ﷺ ﴿ **اليهود والذين أشركوا** ﴾ وهم مشركوا الجزيرة العربية منبعث دعوة محمّد ﷺ ﴿ **ولتجدن أقربهم** ﴾ أي أقرب العناصر الغير المعتنقة للاسلام ﴿ **مودة للذين آمنوا** ﴾ هم ﴿ **الذين قالوا انا نصارى** ﴾ وهذه الروح اللينة الموجودة فيهم هي التي وسّعت لهم مجال الحياة فكانوا أكثر من اليهود بآلاف المرات وأقرب للنفوس وموضع اطمئنان القلوب وامّا اليهود فلخبث طويتهم واستغلاق بواطنهم لا يزالون مقبوحين في الحياة على شدة تصامدهم حول مبدأهم وتكاتفهم في حفظه وبقاءه وعلّل الله سبحانه جهة قرب النصارى في المودة من المسلمين ﴿ **بأنّ منهم قسيسين ورهباناً** ﴾ أي أهل علم وأهل عبادة فعلماؤهم وعبّادهم لا يألونهم تعليماً وتزكية والإنسان إذا تأثر بعلم العالم وقدس العابد لانت عواطفه وخفّت

روحه ومرن عقله وكان قريباً من الانسانية التي فطر عليها ﴿ **وانهم لا يستكبرون** ﴾ عن الخضوع إلى الحق إذا تميزوه وعرفوه ﴿ **وإذا سمعوا ما أنزل الله إلى الرسول** ﴾ من هذا القرآن العظيم الروعة المحتضن لمواهب البلاغة في معانيه والفصاحة في ألفاظه ولمتن الواقع في مطالبه ﴿ **ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق** ﴾ فإنّهم يجدون في مضامينه العالية ما هو مطبوع على صفحات قلوبهم من كتابهم السماوي الذي كان يحدثهم به أهل علمهم وان شوّهه التحريف وتلاعب الأيدي الأثيمة به . . .

﴿ **يقولون** ﴾ أي الذين تأثروا بدعوة هذا الكتاب العالى المنزلة الذي أفاض دموعهم وقهر عواطفهم ﴿ **ربنا آمنا** ﴾ بما أنزلت وبمن أرسلت ﴿ **فاكتبنا مع الشاهدين** ﴾ بصدق الكتاب المنزل وحقيقة الرسول المرسل ﴿ **ومالنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق** ﴾ أي أيّ شيء يلوي بنا عن طريق الحق وقبول الحقيقة ونحن نلمسهما عياناً ونقيم عليهما موجبات التصديق دليلاً وبرهاناً ﴿ **ونطمع** ﴾ بالخضوع لما وجب علينا الخضوع له ﴿ **أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين** ﴾ المرضيين عنده المقبولين لديه ﴿ **فأثابهم الله بما قالوا** ﴾ قول الحق واعتقدوه ﴿ **جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها** ﴾ ببقاء الله سبحانه ﴿ **وذلك** ﴾ الخلود في النعيم الذي لا يفنى ﴿ **جزاء المحسنين** ﴾ من الله عزوجل .

٤ ـ مكانة المستضعفين عند الله والمشركين

قال ابن اسحاق [١] : وكان رسول الله ﷺ إذا جلس في المسجد فجلس إليه المستضعفون من أصحابه خبّاب وعمّار وأبو فكيهة يسار مولى صفوان بن امية

---

(١) السيرة الهشامية : ج ١ ص ٤٢٠ من طبع محمّد محيي الدين .

بن محرث وصهيب وأشباههم من المسلمين هزأت بهم قريش فقال بعضهم لبعض هؤلاء أصحابه كما ترون أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا بالهدى والحق لو كان ما جاء به محمّد خيراً ما سبقنا هؤلاء إليه وما خصّهم الله به دوننا فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿ وَلاَ تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَاةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ * وَكَذٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهٰؤُلاَءِ مَنَّ ٱللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِن بَيْنِنَا أَلَيْسَ ٱللّٰهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ * وَإِذَا جَاءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[1].

أقول: قال الطبرسي في شأن نزول هذه الآيات: روى الثعلبي باسناده عن عبد الله بن مسعود قال: مرّ الملأ من قريش على رسول الله وعنده صهيب وخبّاب وبلال وعمار وغيرهم من ضعفاء المسلمين فقالوا: يا محمّد أرضيت بهؤلاء من قومك أفنحن نكون تبعاً لهم أهؤلاء الذين منّ الله عليهم اطردهم عنك فلعلّك ان طردتهم اتبعناك، فأنزل الله تعالى: ﴿ **ولا تطرد الذين يدعون ربهم** ﴾ الخ.

وقال الشوكاني في هذه الآيات من تفسيره: أخرج أحمد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية عن عبد الله بن مسعود قال: مرّ الملأ من قريش على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعنده صهيب وعمار وبلال وخبّاب ونحوهم من ضعفاء المسلمين فقالوا: يا محمّد أرضيت بهؤلاء من قومك ﴿ **أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا** ﴾ أنحن نكون تبعاً لهؤلاء اطردهم عنا فلعلك ان طردتهم ان نتعبك فأنزل الله فيهم القرآن ﴿ **وأنذر به الذين**

---

(١) سورة الأنعام: آيات ٥٢ و ٥٣ و ٥٤.

يخافون ان يحشروا إلى ربهم ﴾ إلى قوله ﴿ **والله عليم بالظالمين** ﴾ .

وقد أخرج هذا السبب مطولاً ابن جرير وابن المنذر عن عكرمة وفيه ان الذين جاءوا إلى النبي عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وقرظة بن عبد عمرو بن نوفل والحارث بن عامر بن نوفل ومطعم بن عدي بن الخيار بن نوفل في أشراف الكفار من عبد مناف .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وكذلك فتنّا بعضهم ببعض** ﴾ يعني انّه جعل بعضهم أغنياء وبعضهم فقراء فقال الأغنياء للفقراء ﴿ **أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا** ﴾ يعني أهؤلاء هداهم الله وإنّما قالوا ذلك استهزاء وسخرية .

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريح أهؤلاء الذين منّ الله عليهم من بيننا أي لو كان لهم كرامة على الله ما أصابهم هذا الجهد . وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ماهان قال : أتى قوم النبي ﷺ فقالوا : انّ اصبنا ذنوباً عظاماً فما ردّ عليهم شيئاً فانصرفوا فأنزل الله : ﴿ **وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا** ﴾ الآية فدعاهم فقرأها عليهم . وأخرج ابن المنذر عن ابن جريح قال : أخبرت ان قوله ﴿ **سلام عليكم** ﴾ كانوا إذا دخلوا على النبي بدأهم بالسلام فقال سلام عليكم وإذا لقيهم فكذلك أيضاً .

أقول : قوله سبحانه ﴿ **ولا تطرد** ﴾ كما يصلح أن يكون خطاباً لنبيه الأكرم يصلح أن يكون خطاباً لكل مكلف وكل الناس مكلفون إلّا من رفع عنه القلم ﴿ **الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين** ﴾ فإنّ هذا الأصل الذي اسّسه سبحانه لضرب الأنانيات بعرض الجدار ليس مخصوصاً بنبيه وإن كان هو أصدق مصداق لأفراد الإنسان بهذا التوجيه فإنّ جامعة العقول بعد أن قرّرت ان

الشرف الذي يوصف به الإنسان فيقال في حقه شريف لا يجوز أن يعد شرفاً له حقيقة في متن الواقع إلّا إذا كان بكسب الفضائل وتحصيل الكمال ولا ريب ان الفضيلة بما هي فضيلة لا خصوصية لها بمن له أب عالي السمعة طائر الصيت وامّ وافرة الشهرة بعيدة مرمى الاسم واسرة ذات جولة ووضع مادي قهّار تحوطه قوة السلاح وشدة البطش وتوفر الثروة فإنّ هذه العناوين وإن كان لها الرواج الدائمي على طول الخط من ضعفاء النفوس في البشر الذين لا تهزهم إلّا روعة المناظر الجذابة إلّا انها إذا وضعت في بوتقة التحليلات العلمية طفحت مع التراب وانفصل عنها الذهب المذاهب وهو الكمال الروحي فالثروة العقلية هي ما كانت وليدة الرياضة الروحية والأعمال النفسية والعمل النفسي لا يحتاج إلّا إلى مرابطة سنن الانسانية العامة بلا دخل لأب ولا لأُم ولا لقوة مادية ولا لتضخم في الأسماء والألقاب فقد يبرز في هذه الأعمال النفسية العالية النكرة في الرجال ويندحر ابن الأُسرة المتجبرة الثري بأبيه وأمه وديناره ودرهمه فكان من واجب كل انسان أن يحرّر نفسه في المفاضلة بين هذين الفريقين الفريق الذي يكثر بعقله ونفسه والآخر الذي يعتزّ لنفسه بأبيه وأُمّه وديناره ودرهمه ولا يغره الشحم المتلبد على هياكل الطواغيت فقد اتيح لشاعر الحكمة أن قال:

اعيذها نظرات منك صادقة ان تحسب الشحم ممن شحمه ورم

وصدق فيما قال فإنّ هذا الشحم الذي تربّى على النهمة وضراوة الشهوة ورم والروحي الذي يستخدم جسمه لنفسه وقواه المادية لأعماله العقلية لا ترى نهمته إلّا في الكمال يكسبه ولا شهوته إلّا في الحق يطلبه ولا يعد متاع الدنيا إلّا وسيلة فانية في طريق ما يتوسل له وعلى هذه الطريقة الفاضلة التي أصر سبحانه على تمشيتها في الجوامع من قديم وحديث تجد ان صدر الإسلام كم كان يعتزّ

بالضعاف في دنياهم الأقوياء في نفوسهم الذين القوا بكل ما أعطاهم الله من نفس ونفيس في معامع مبارزة الفضيلة والرذيلة والكفر والايمان فحازوا سبق المبارزات الروحية وطلعوا على الدنيا زهّادها الأبرار وعلمائها الاخيار ورجالها الأطهار وحفظت لهم الأجواء السماوية أصداء دعواتهم الحارة في حضرة المعبود وعظاتهم الناجعة للقريب والبعيد ومبارزاتهم اللسانية واليدوية لطواغيت الانس ومردة الشياطين وإذا كنت تنحصر بقراءتك عن حال أبي ذر وعمار وسلمان والمقداد من تاريخ ما قبل الإسلام لم تكن تجد إلّا باحثاً عن ذوات نكرات وأسماء لا هوية لها في دفتر ذلك الجيل وامّا إذا لاحظت التاريخ الاسلامي وقرأت بحثه عن رجاله الأعاظم المنوّه بهم لم تجد نفسك إلّا واقفة من تيك الشخصيات الأربع بازاء أعاظم الرجال وأشهر الشخصيات وان حساب طواغيت قريش معهم وقياسهم بالنسبة اليهم كقياس الذر إلى الطود بل العدم إلى الوجود وما ذلك إلّا من اصرار الله سبحانه على تحطيم ائمة الكفر وعفاريت الانس وتعظيم الأماجد البررة والمقدسين الخيرة بمثل قول نبيه ﷺ: ان الجنة تشتاق إلى أربعة علي وعمار وسلمان والمقداد [١].

وقوله ﷺ أيضاً: ان الله تعالى أمرني بحب أربعة وأخبرني انّه يحبهم علي منهم وأبو ذر والمقداد وسلمان [٢].

وقوله ﷺ أيضاً: اشتاقت الجنة إلى أربعة علي وسلمان وأبي ذر والمقداد [٣].

---

(١) منتخب كنز العمال: ج ٥ ص ١٢٥ فيما رواه الطبراني في الكبير عن أنس.

(٢) المصدر نفسه ص ١٢٦ فيما رواه الترمذي وابن ماجة والحاكم في المستدرك عن بريدة.

(٣) المصدر نفسه: ص ١٢٦ فيما رواه أبو نعيم في الحلية وابن عساكر عن ابن بريدة عن أبيه.

وقوله ﷺ أيضاً: ان أبا ذر ليباري عيسى بن مريم في عبادته (١).

وقوله ﷺ أيضاً: ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء من ذي لهجة أصدق ولا أوفى من أبي ذر شبيه عيسى بن مريم (٢).

وقوله ﷺ أيضاً: من سرّه أن ينظر إلى تواضع عيسى بن مريم فلينظر إلى أبي ذر (٣).

وقوله ﷺ أيضاً: ما أظلت الخضراء ولا أقلّت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر فإذا أردتم أن تنظروا إلى من هو أشبه بعيسى بن مريم هدياً وبراً ونسكاً فعليكم به (٤).

عن أبي الدرداء انّه ذكر أبا ذر فقال: ان رسول الله كان يأتمنه حين لا يأتمن أحداً ويسرّ إليه حين لا يسر إلى أحد (٥).

وقوله ﷺ أيضاً: سلمان منا أهل البيت (٦).

وقوله ﷺ أيضاً: عمّار خلط الله الايمان ما بين قرنه إلى قدمه وخلط الايمان بلحمه ودمه يزول مع الحق حيث زال لا ينبغي للنار أن تأكل منه شيئاً (٧).

---

(١) المصدر نفسه: ص ١٥٦ فيما رواه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود.

(٢) المصدر نفسه: ص ١٥٦ فيما رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرك عن أبي ذر.

(٣) المصدر نفسه: ص ١٥٦ فيما رواه أبو يعلى في مسنده عن أبي هريرة.

(٤) المصدر نفسه: ص ١٥٧ فيما رواه ابن عساكر عن أبي هريرة.

(٥) المصدر نفسه: ص ١٥٧ فيما رواه ابن جرير.

(٦) المصدر نفسه: ص ١٩٤ فيما رواه الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك عن عمرو بن عوف.

(٧) المصدر نفسه: ص ٢٤٤ فيما رواه ابن عساكر عن علي.

وقوله ﷺ: دم عمار ولحمه حرام على النار أن تأكله أو تمسه [١].

وقوله ﷺ: قاتل عمار وسالبه في النار [٢].

وقوله ﷺ: كم من ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله تعالى لأبرّه منهم عمار بن ياسر [٣].

وقوله ﷺ: إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق [٤].

عن عثمان قال: بينما أنا أمشي مع رسول الله ﷺ بالبطحاء وأبو عمار وامه يعذبون في الشمس ليرتدوا عن الإسلام فقال أبو عمار يا رسول الله الدهر هكذا فقال صبراً يا آل ياسر اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت [٥]. ولا نطيل عليك بهذه الفضائل فإنّ لها موعداً آخر من هذا الكتاب إن شاء الله.

وحاشا عقلية النبي ﷺ أن لا تدرك هذه الحقيقة بفطرتها ويكون قوله سبحانه له ﴿ وَلاَ تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ من باب التأكيد عليه أوّلاً وتوجيه آراء العموم إلى هذا الهدف المقدس ثانياً ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ أي كالصورة التي تراها مجسمة أمام عينيك في الخارج من امتياز متعنتي قريش بأنفسهم لقوتهم وثروتهم عن المستضعفين من المسلمين لضعفهم وفقرهم ﴿ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ أي جعلنا الثروة في الأثرياء والفقر في الفقراء فتنة ومختبرا حتى ينكشف اغترار الغني بغناه أو تطامنه بنفسه ويظهر جزع الفقير من فقره أو صبره عليه وشكره لله على كل حال ﴿ لِيَقُولُوا ﴾ أي يقول الذين اوتوا حظاً من

---

(١) المصدر نفسه: ص ٢٤٤ فيما رواه ابن عساكر عن علي أيضاً.

(٢) المصدر نفسه: ص ٢٤٤ الطبراني في الكبير عن عمرو بن العاص وعن ابنه عبد الله.

(٣) المصدر نفسه: ص ٢٤٤ فيما رواه ابن عساكر عن عائشة.

(٤) المصدر نفسه: ص ٢٤٥ فيما رواه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود.

(٥) المصدر نفسه: ص ١٤٦ فيما رواه الحاكم في الكنى وابن عساكر في التاريخ.

القوة والثروة ﴿ أَهٰؤُلَاءِ ﴾ الضعاف ﴿ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ بالهداية إلى الايمان ﴿ مِن بَيْنِنَا ﴾ نحن أهل الكثرة والعزة والاسم والشهرة أي ولو كان ما يدعيه هؤلاء حقاً لامتن الله سبحانه علينا به قبل كل أحد فرد الله عليهم فقال: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ وهم هؤلاء الذين تسترذلونهم وتستضعفونهم فإنّهم شكروا الله على فقرهم وضعفهم وانقادوا إليه متابعة لفطرتهم والتزاماً بوحي عقولهم وامّا أنتم فاتخذتم احسان الله اليكم بقوة المال والرجال ذريعة إلى البطش والتعنت واستحقار عباد الله الضعفاء.

﴿ وَإِذَا جَاءَكَ ﴾ يا محمّد ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ أي حيهم وادع لهم بالسلامة تكرمة واجلالاً وليقتدوا بأخلاقك فيما بينهم وبين الناس وقل لهم ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ﴾ أي لم يرتكبه وهو حين يرتكبه عالم بحرمته وقبحه ومع ذلك اجترأ عليه وتعنت على وظائف ربه ﴿ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ ﴾ أي من بعد عمل السوء الذي صدر منه جهالة ﴿ وَأَصْلَحَ ﴾ بأن تلافي ما وقع منه بالجبران ﴿ فَانَّهُ ﴾ سبحانه ﴿ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ لا يضيّق على عباده فيؤاخذه حتى على ما جهلوه.

٥ ـ اتهام المشركين للنبي ﷺ انّه يأخذ عن النصارى ما يدعيه من الوحي

قال ابن اسحاق [١]: وكان رسول الله فيما بلغني كثيراً ما يجلس عند المروة إلى مبيعة [٢] غلام نصراني يقال به جبر عبد لابن الحضرمي وكانوا يقولون والله

(١) السيرة الهشامية: ج ١ ص ٤٢٠.

(٢) على وزن معيشة هي محل البيع والكسب.

ما يعلّم محمّداً كثيراً مما يأتي به إلّا جبر النصراني غلام ابن الحضرمي فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم قوله سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ (١).

أقول : قال الطبرسي في هذا الموضع من تفسيره قال ابن عباس قالت قريش إنّما يعلمه بلعام وكان قيناً بمكة رومياً نصرانياً وقال مجاهد وقتادة أرادوا به عبداً لبني الحضرمي رومياً يقال له يعيش أو عائش صاحب كتاب اسلم وحسن اسلامه وقال عبد الله بن مسلم كان غلامان في الجاهلية نصرانيان من أهل عين التمر اسم أحدهما يسار واسم الآخر جبر كانا صيقلين يقرآن كتاباً لهما بلسانهم وكان رسول الله ربما مرّ بهما واستمع لقرائتهما فقالوا إنّما يتعلم منهما .

وقال الشوكاني في تفسيره : وقد اختلف أهل العلم في تعيين هذا البشر الذي زعموا عليه ما زعموا فقيل هو غلام الفاكه بن المغيرة واسمه جبر وكان نصرانياً فأسلم وكان كفار قريش إذا سمعوا من النبي ﷺ أخبار القرون الأُولى مع كونه امياً قالوا إنّما يعلّمه جبر وقيل اسمه يعيش عبد لبني الحضرمي وكان يقرأ الكتب الأعجمية وقيل غلام لبني عامر بن لؤي وقيل هما غلامان اسم أحدهما يسار واسم الآخر جبر وكانا صيقلين يعملان السيوف وكانا يقرءان كتاباً لهم وقيل كانا يقرءان التوراة والانجيل وقيل عنوا نصرانياً بمكة اسمه بلعام وكان يقرء التوراة وقيل عنوا رجلاً نصرانياً كان اسمه أبا ميسرة يتكلم بالرومية وفي رواية اسمه عداس .

أقول : قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ ﴾ أي واضح لدينا اتهامهم لرسولنا ﴿ أَنَّهُمْ

---

(١) سورة النحل : آية ١٠٣.

يَقُولُونَ ﴾ فيه ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ ﴾ ما يأتينا به بزعم انّه وحي من السماء ﴿ بَشَرٌ ﴾ من الناس ذو اطلاع بخبر الديانات يلقي إليه بخبره فيجيئنا بـه نـاسباً له إلى نـفسه ولكننا لا نعتد بهذه الشبهة تلقى منهم ومن غيرهم لوضوح انكشـافها مـن عـدة جهات:

الجهة الأُولى: ﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ ﴾ وينسبون القرآن لوضـعه انسـان ﴿ أَعْجَمِيٌّ ﴾ لا يملك من فصاحة القرآن ومهما فـرضت له الفـصاحة شـبها ولا بعض شبه كيف وأهمّ بلغاء قريش وأهل البيان الساحر منهم عجزوا عن معارضة القرآن بمثله في غير موقف فكيف كان هـذا الإنسـان مـصدر القـرآن عـلى ان الروايات الواردة في حقه ترمي إلى كونه بعيداً عن العرب في العنصر واللسـان واللغة ﴿ وَهَٰذَا ﴾ الذي يجيئكم به محمّد في الفـترات المـتناوبة ﴿ لِسَـانٌ عَـرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ لا عجمة فيه ولا قصور في بيانه بل قد بلغ فـي اسـلوبه وطـرز تـركيبه وتفصيله وتبويبه وبالمعاني الفخمة التي احتوى عليها والألفاظ الرصينة الرائعة التي طلع بها مبلغاً من لغة العرب فات حد الوصف وأعجز الواصف وهو لجلواته البارعة ومظاهره الرائعة لا نرى له جدة تبلى ونجدنا في نظرتنا الثانية إليه أبهج منا في نظرتنا الأُولى وكم اجلّت الاسماع مواقع كـلمه واعـتزت بـجليل نـظمه وخضعت خاشعة لتسلسل عباراته وترابط جمله وإلى ما شئت أن تقول مـجوّزا لك غير مردود عليك.

الجهة الثانية: انّ القصص التي سـردت فـيه عـن الأُمـم السـالفة وحـديث انبيائهم معهم لا توجد في أي كتاب سماوي بدقة حكايتها عن الواقع وتقديسها لأنبياء الله تقديساً يليق بشأنهم وعرائها عن الخـرافـات والتـزويرات الواضـحة وكتب بني اسرائيل الموجودة يكثر فيها الحطّ من كرامـة الله والغـض مـن مـقام أنبيائه وتحوير الواقع بطور واضح حتى شاع فيما بين أهل العقول في الحـديث

الذي لا يرتضون مضامينه انّه من الاسرائيليات كما يقولون في نظيره انّه حديث خرافة .

الجهة الثالثة : ان أبواب القرآن من تشريعها ومنطقها وحكمتها وجميل وصفها للحسن والقبيح مما سنقوم بتدوينه في بحث معارف الكتاب والسنة تعطي وحتى في صميم هذا القرن العشرين انها لا يصح أن تكون إلّا من مبدأ اعجازي يبعد عنه الغلط والشهوة وتسويلات النفس ويرتبط بالواقع ارتباط مشرف على الواقع واقف على دقائقه ونكاته بما لا تخلف في منطقه ولا اختلاف بينه وبينه وهذا خارج عن طوق البشر وحدود طبيعته ومهما ترقت وضربت في الكمال .

والله سبحانه في رده على مشركي قريش بهذه الآية جدّ عالم بأنّ لهم في منتشتة القرون نظراء وشركاء في هذه التهمة وان اختلفوا في طرز تحريرها فما ينسب لبعض دكاترة مصر كطه حسين ان القرآن انتاج محمّد واخراجه ، نمقه في غار حراء زمان اعتزاله فيه وخلوته بنفسه ، واحد من مصاديق التهم التي اوعز اليها الله سبحانه وأخبر بها منذ انزل كتابه بقوله : ﴿ **ولقد نعلم انهم يقولون** ﴾ الآية واستسهل سبحانه ردها ففندها بكلمة خفيفة على اللسان ثقيلة في كفة الميزان هي قوله سبحانه ﴿ **وهذا لسان عربي مبين** ﴾ فإنّ كلمات هذه الفقرة كما تتناول الأعجمين بصراحتها تتناول وحتى العرب الأقحاح بملاك تعجيزها فإنّ من البيان ما يكون سحراً ومنه ما يكون فوق السحر والقرآن بهذه المرتبة العالية كما شهد له معاصروا نزوله وأهل الفن والصنعة وفوق كل ذلك الأذواق المرنة والقرائح المهذبة والأفهام التي خدمت الفن فأكسبها الدقة في التلقي والصحة في الدرك .

٦ـوصف المشركين للنبي انّه أبتر ورد الله عليهم

قال ابن اسحاق [(١)]: وكان العاص بن وائل السهمي فيما بلغني إذا ذكر رسول الله ﷺ قال: دعوه فإنّما هو رجل أبتر لا عقب له لو قد مات لقد انقطع ذكره واسترحتم منه فأنزل الله في ذلك قوله: ﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ** ﴾ [(٢)].

أقول: قال الطبرسي في تفسيره هذه السورة مكية عن ابن عباس والكلبي مدنية عن عكرمة والضحاك وقال الشوكاني في تفسيره على هذا الموضع انها مكية في قول ابن عباس والكلبي ومقاتل ومدنية في قول الحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس وابن الزبير وعائشة انها ـأي سورة الكوثر ـنزلت بمكة.

أقول أنا: إن كان المراد بصلّ صلاة العيد وبانحر نحر الأضاحي أو صلاة الغداة المفروضة بجمع والنحر بمنى فذلك مما يأبى أن تكون السورة مكية لكون ما ذكر مما وظف بالمدينة ظاهراً كما أسلفنا القول الجامع في ذلك، وإن كان المراد هي الصلاة اليومية المعهودة وبانحر رفع اليدين حيال النحر في مقام التكبير فذلك مما لا يمنع أن يكون نزولها بمكة فإنّ وظيفة الصلاة كانت في مكة كما تقدم وهذا من آدابها.

والآية الأخيرة ـان شانئك هو الأبتر ـمما تدل بوضوح انها صدرت جواباً من الله لأعداء رسوله وانتصاراً له ﷺ عندما عير بأنّه أبتر أي مقطوع الذكر

---

(١) السيرة الهشامية: ج ١ ص ٤٢١.

(٢) سورة الكوثر.

والاسم، ولكن الآية في نفسها لا تشعر بكون التعبير المذكور ودفاع الله عنه كان في مكة أو زمن هجرة الرسول إلى المدينة وان كانت الحوادث التاريخية ربما تساعدان هذه المقالة كان صدورها في مكة عندما مات أولاد النبي من خديجة فيها فكأن ذلك مما طيّب خواطر المشركين بأن محمّداً منقطع النسل ليس ورائه من يقوم مقامه ويحيى بين الناس ذكره ويعضد ذلك الروايات الواردة فعن الطبرسي في تفسيره قيل نزلت السورة في العاص بن وائل السهمي وذلك انّه رأى رسول الله يخرج من المسجد فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا واناس من صناديد قريش جلوس في المسجد فلما دخل العاص قالوا من الذي كنت تتحدث معه قال ذلك الأبتر وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله بن رسول الله وهو من خديجة وكانوا يسمون من ليس له ابن أبتر فسمته قريش عند موت ابنه أبتر ـ عن ابن عباس، اهـ.

وقال الشوكاني في تفسيره: أخرج الطبراني وابن مردويه عن أبي أيّوب قال: لما مات ابراهيم ابن رسول الله مشى المشركون بعضهم إلى بعض فقالوا ان هذا الصابىء قد بتر الليلة فأنزل الله انا أعطيناك الكوثر إلى آخر السورة.

وأخرج أبو سعد وابن عساكر من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: كان أكبر ولد رسول الله القاسم ثمّ زينب ثمّ عبد الله ثمّ ام كلثوم ثمّ فاطمة ثمّ رقية فمات القاسم وهو أوّل ميت من اهله وولده بمكة ثمّ مات عبد الله فقال العاص بن وائل السهمي قد انقطع نسله فهو أبتر فأنزل الله ان شانئك هو الأبتر، وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عنه ان شانئك يقول عدوك.

أقول: معنى ان شانئه هو الأبتر انّه المقطوع الذكر الباطل الطريقة الذي لا يدوم تعنته ولا تبقى قوته ولا يشاد بذكر آلهته وان الاسفم سوف يجترف الكفر وأهله ويقطع دابرهم ويبقى الذكر الخالد لمحمد ﷺ وأتباعه وطريقته

ولا يشاد إلّا بذكر الله وحده فلا هبل ولا لات ولا عزى ولا مناة ولا رجل من رجال الكفر إلّا وقد خضع ولا ملحد إلّا وحّد وهذا من الغيب الذي أصحر به الله سبحانه قبل أن يحتضنه الخارج فكان كما قال.

٧ـ طلب المشركين من النبي أن يكون معه ملك

قال ابن اسحاق [١]: فدعا رسول الله ﷺ قومه إلى الإسلام وكلّمهم فأبلغ اليهم فقال زمعة بن الأسود والنضر بن الحارث والأسود بن عبد يغوث وأبي بن خلف والعاص بن وائل لو جعل معك يا محمّد ملك يحدث عنك الناس ويرى معك فأنزل الله تعالى في ذلك قولهم: **﴿ وَقَالُوا لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنْظَرُونَ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَا يَلْبِسُونَ ﴾** [٢].

أقول: وأيّد الشوكاني رواية ابن هشام هذه عن ابن اسحاق فقال في تفسيره على هذا الموضع: أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن محمّد بن اسحاق قال: دعا رسول الله قومه إلى الإسلام إلى آخر ما ذكرناه عن ابن هشام هنا وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد في قوله: **﴿ وَقَالُوا لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴾** قال: ملك في صورة رجل **﴿ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ﴾** لقامت الساعة.

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن قتادة في قوله: **﴿ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ﴾** يقول لو أنزل الله ملكاً ثمّ لم

---

(١) السيرة الهشامية: ج ١ ص ٤٢٣.

(٢) سورة الأنعام: ٨ و ٩.

يؤمنوا لعجّل لهم العذاب .

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً** ﴾ قالو ولو أتاهم ملك في صورته ﴿ **لَقُضِيَ ٱلأَمْرُ** ﴾ لأهلكناهم ﴿ **ثُمَّ لاَ يُنْظَرُونَ** ﴾ لا يؤخرون ﴿ **وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً** ﴾ يقول لو أتاهم ملك ما أتاهم إلّا في صورة رجل لأنّهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة ﴿ **وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَا يَلْبِسُونَ** ﴾ يقول لخلطنا عليهم ما يخلطون .

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد في قوله : ﴿ **وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً** ﴾ قال في صورة رجل في خلق رجل .

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ عن قتادة في قوله :﴿ **وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً** ﴾ يقول في صورة آدمي .

وأخرج ابن جرير عن ابن زيد نحوه . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس ﴿ **وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم** ﴾ يقول شبهنا عليهم . وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن السدي في الآية قال : شبهنا عليهم ما يشبهون على أنفسهم .

أقول أنا : منظور الله سبحانه من قوله ﴿ **وَقَالُوا لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ** ﴾ بيان تشهياتهم العابثة ولجاجتهم الباطلة فإنّ الله لما بعث محمّداً عزّزه بالمعجزات الظاهرة وألقى على دعوته نوراً لا يشك فيه انّه نور الحق وان محمّداً لو لخي وطبعه ونشأته وما يملك من بضاعة مزجاة وهبته بها الطبيعة لما حدّث نفسه بهذه النهضة لقصوره عن أدنى مراحلها علماً وعملاً والفهمة من كفار قريش لم تفتهم هذه النكتة في محمّد ودعوته ولكن لأجل تطويل المعاذير وارخاء عنان التساهل والمحافظة على النزعة الالحادية الموروثة لهم من آبائهم وحب الذات بعدم الخضوع لمن هو معدود في طبقتهم شرفاً واسرة جاءوا يتطلبون منه طلبات

الطفل الرضيع من أبويه ما لا نفع له فيه وان كانا قادرين على تحصيله وإلّا فليت شعري وشعر كل عاقل ماذا يقول لها لملك إذا جاءهم رسولاً وماذا يقيم لهم من الأدلّة على توحيد الرب جل جلاله فهل يوجد في سفطه ما سفط محمّد خال عنه «كلّا» كيف والكلّ يستقون من ذنوب واحد وهو علم الله ومعارفه فأرسل الله لهم الملك هو عين ارساله لهم فرداً من أفراد البشر أو الجن أو مخلوق آخر في الملاك الذي له بعثه وبه أرسله فكما لم يخف على الله تجاهلهم في هذه الطلبة لم يخف على غيره لوضوح مدركها فيهم ومع ذلك كله لم يحرمهم الجواب فقال: ﴿ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنْظَرُونَ ﴾ لأننا نحن في الطريقة الاعتيادية في التبليغ والارشاد نساير المكلفين مسايرة ملؤها تسامح وحلم وعفو لطفاً وارفاقاً لا نضنّ بهما على عبادنا امّا لو دعت المصالح إلى حشر جنود الملأ الأعلى وحشد القوي من غير مجراها الطبيعي لقضينا على من أردنا قضاءنا النهائي فإذا القوم خبر بعد عين كما فعلناه ذلك في امة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وفرعون وموسى.

ثمّ ردّ عليهم رداً آخر له حظه الواسع من البرهنة فقال: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ ﴾ أي جعلنا هذا الذي طلبتموه ردءاً لمحمد يكون معه ﴿ مَلَكاً ﴾ أي من نوع الملائكة ﴿ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً ﴾ أي لأبرزناه بلباس البشر لأنّ هوية الملك بما هي هويته المجبول عليها ليست قابلة لأن تحشر محشر البشر فتكون معهم في الوضع كما يكون الإنسان مع الإنسان في عامة شؤونه الاجتماعية فإنّ خلقة الملائكة ممتازة لا قربى بينها وبين هذا النوع ولذلك لم يهبط رسل الله من ملائكته إلى الأرض لمباشرة بعض الأعمال المرتبطة بالبشر مجاهرة إلّا بظواهر البشر فإذا برزوا لكم بهذه الظاهرة أنكرتم عليهم كما أنكرتم على محمّد وكما أنكر غيركم على غيره من رسل البشر ولالتبس أمره عندكم لانكم لا تشخصون البشر من

غيره إذا كان الجميع بشارة وبزة واحدة وعليه فيختلف الغرض من انـزاله ردءاً لمحمد أو غير محمّد ﷺ وذلك مفاد قوله سبحانه ﴿ وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَا يَلْبِسُونَ ﴾ أي لبسنا عليهم بواسط انزالنا الملك بظاهرة البشر وفي ذلك لبس عليهم بلا شبهة وعنده يتخلف الغرض المقصود.

٨ـ تسلية الله سبحانه لنبيه محمّد ﷺ

قال ابن اسحاق [١]: ومرّ رسول الله ﷺ فيما بلغني بالوليد بن المغيرة وامية بن خلف وبأبي جهل بن هشام فغمزوه وهمزوه واستهزؤا به فغاظه ذلك فأنزل الله تعالى عليه في ذلك من أمرهم: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [٢].

وأيّد الشوكاني رواية ابن هشام عن ابن اسحاق بما أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم عن محمّد ابن اسحاق قال: مرّ رسول الله إلى آخر ما ذكرناه نحن عن ابن هشام وكم لله سبحانه على طول مسافة القرآن من تسلية عزّى بها محمّداً نبيه وألزمه الصبر والسكون وبيّن له ان ما يلقاه من أعداء الله يكون له ثواباً ويوجب له أجراً ويعطيه في خاتمة المطاف رقياً وتعالياً واشتهار دعوة ووصولاً إلى المقاصد بشرف وعزّة وان أسلافه الصالحين لقوا نماذج مما لاقاه وعانوا الشدائد كما عاناها فلتكن له بهم اسوة حسنة بدءً وختاماً، فمن ذلك:

قوله سبحانه ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوا

---

(١) السيرة الهشامية: ج ١ ص ٤٢٣.

(٢) سورة الأنعام: آية ١٠.

آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (١).

وقوله سبحانه ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ ٱللّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَبَإِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (٢).

وقوله سبحانه ﴿ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ ﴾ (٣).

وقوله سبحانه ﴿ وَلاَ يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً ﴾ (٤).

وقوله سبحانه ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ﴾ (٥).

وقوله سبحانه ﴿ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (٦).

وقوله سبحانه ﴿ وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ (٧).

وقوله سبحانه ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ (٨).

﴿ وَلَقَد أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ * وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (٩). (وآية ٩٧) ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾.

---

(١) سورة المائدة: آية ٤١.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٣٤.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٠٠.

(٤) سورة يونس: الآية ٦٥.

(٥) سورة يونس: الآية ١٠٩.

(٦) سورة هود: الآية ١١٥.

(٧) سورة هود: الآية ١٢٠.

(٨) سورة الرعد: الآية ٣٢.

(٩) سورة الحجر: الآية ١٠ و ١١.

وقوله سبحانه ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ (١).

وقوله سبحانه ﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (٢).

وقوله سبحانه ﴿ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُن فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ (٣).

وقوله سبحانه ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلاَ يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لاَ يُوقِنُونَ ﴾ (٤).

وقوله سبحانه ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ (٥).

وقوله سبحانه ﴿ فَلاَ يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ (٦).

وقوله سبحانه ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾.

وقوله سبحانه ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ (٧).

وقوله سبحانه ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾ (٨).

---

(١) سورة النحل: الآية ١٢٧.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٤١.

(٣) سورة النمل: الآية ٧٠.

(٤) سورة الروم: الآية ٦٠.

(٥) سورة فاطر: الآية ٤.

(٦) سورة يس: الآية ٧٦.

(٧) سورة الأحقاف: الآية ٣٥.

(٨) سورة ق: الآية ٣٩.

وقوله سبحانه ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾[١].

وقوله سبحانه ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾[٢].

وأغلب القرآن النازل بمكة فيه تثبيت له وتقوية لعزمه وحفز لهمته إلى أن تواصل السعي حتى تتصل بالمقصود بل نجده في ذيل كل قصة يجلوها له عن نبي سالف وامة سابقة يتعرض لذكره ويطلب إلفات نظره بأنّ في هذه الحوادث لك عبرة واسوة وانك لست بدعاً من الرسل حتى لا تلاقي ما لاقوه من الأذايا الروحية بل والجسمية فليكن سيرتك مع المشركين والمعاندين من أهل الكتاب سيراً مشفوعاً بالثبات وهدوء النفس حتى مع ما تلاقى من المزعجات فإنّه قد اتيح لكل عظيم أن يعذّب في طريق عظمته، وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرامها الأجسام.

وبهذه العظات الناجعة والوصايا الثمينة والعبر القيمة سكنت روح محمّد أمام ما يلاقي من مؤلمات الروح والجسد واستمر في نشر دعوته خصوصاً وله شريك في داخله يشاطره الترويح عن روحه وهو زوجه خديجة بنت خويلد ومساعد قوي في خارجه يذود عنه تفلتات المشركين ومقاصدهم السيئة به ويحوطه ويحميه من كل ما يتمكن الدفاع عنه بقدر ما أعطى من شخصية ووجاهة في امّ القرى ينتفع بهما في هذا المقصود وهو عمه شيخ الأباطح وشريف قريش على الإطلاق أبو طالب بن عبد المطلب.

---

(١) سورة الطور: الآية ٤٨.

(٢) سورة القلم: الآية ٤٨.

٩ ـ المستهزؤون وانتقام الله منهم

قال ابن اسحاق [١]: فأقام رسول الله ﷺ على أمر الله تعالى صابراً محتسباً مؤدياً إلى قومه النصيحة على ما يلقى منهم من التكذيب والأذى والاستهزاء وكان عظماء المستهزئين كما حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير خمسة نفر من قومه وكانوا ذوي أسنان وشرف في قومهم من بني أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب: الأسود بن المطلب بن أسد، أبو زمعة، وكان رسول الله ﷺ فيما بلغني قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه به فقال: اللهم اعم بصره وأثكله ولده.

ومن بني زهرة بن كلاب الأسود بن عبد يغوث، ومن بني مخزوم الوليد ابن المغيرة، ومن بني سهم العاص بن وائل بن هشام، ومن بني خزاعة الحرث ابن الطلاطلة، فلما تمادوا في الشر وأكثروا برسول الله ﷺ الاستهزاء أنزل الله سبحانه وتعالى عليه (١٥: ٩٤ ـ ٩٦): **﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ ﴿ انا كفيناك المستهزئين ﴾ ﴿ الذين يجعلون مع الله الٰهاً آخر فسوف يعلمون ﴾**.

قال ابن اسحاق: فحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير أو غيره من العلماء ان جبريل أتى رسول الله ﷺ وهم يطوفون بالبيت فقام وقام رسول الله إلى جنبه فمرّ به الأسود بن المطلب فرمى في وجهه بورقة خضراء فعمى ومرّ به الأسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستسقى بطنه فمات منه ومرّ به الوليد بن المغيرة فأشار إلى اثر جرح بأسفل كعب رجله كان أصابه قبل ذلك بسنين وهو

---

(١) السيرة الهشامية: ج ٢ ص ١٥ وما بعدها.

يجرّ سبله[١] وذلك انّه مرّ برجل من خزاعة وهو يريش نبلاً له فتعلق سهم من نبله بازاره فخدش في رجله ذلك الخدش وليس بشيء فانتقض فقتله ومرّ به العاص بن وائل فأشار إلى أخمص رجله فخرج على حمار له يريد الطائف فربض به على شبرقة[٢] فدخلت في أخمص رجله شوكة فقتلته ومرّ به الحرث ابن الطلاطلة فأشار إلى رأسه فامتخط قيحاً فقتله.

أقول: ذكر الطبرسي في تفسيره على هذا الموضع من سورة الحجر ﴿ **انا كفيناك المستهزئين** ﴾ أي كفيناك شر المستهزئين واستهزائهم بأن أهلكناهم، كانوا خمسة نفر من قريش العاص بن وائل والوليد بن المغيرة وأبو زمعة وهو الأسود بن المطلب والأسود بن عبد يغوث والحرث بن قيس عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقيل كانوا ستة رهط عن محمّد بن ثورو وسادسهم الحارث بن الطلاطلة وامه عيطلة قالوا وأتى جبرئيل النبي ﷺ والمستهزئون يطوفون بالبيت فقام جبرئيل ورسول الله إلى جنبه فمرّ به الوليد بن المغيرة المخزومي فأومى بيده إلى ساقه فمر الوليد على قين لخزاعة وهو يجر ثيابه فتعلقت بثوبه شوكة فمنعه الكبر أن يخفض رأسه فينزعها وجعلت تضرب ساقه فخدشته فلم يزل مريضاً حتى مات ومرّ به العاص بن وائل فأشار جبرئيل إلى رجله فوطأ العاص على شوكة فدخلت في أخمص رجله فلم يزل يحكها حتى مات ومرّ به الأسود بن المطلب فأشار إلى عينه فعمي وقيل رماه بورقة خضراء فعمي وجعل يضرب رأسه على الجدار حتى هلك ومرّ به الأسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستسقى فمات وقيل أصابه السموم فصار أسود فأتى أهله فلم يعرفوه

---

(١) السبل بالتحريك فتحاً فضول الثياب.

(٢) الشبرقة بكسر الشين والراء وسكون الباء نبات ذو شوك.

فمات وهو يقول قتلني ربّ محمّد ومرّ به الحارث بن الطلاطلة فأومى إلى رأسه فامتخط قيحاً فمات وقيل ان الحرث بن قيس أكل حوتاً مالحاً فأصابه العطش فما زال يشرب حتى انقدّ بطنه فمات.

وقال الشوكاني في تفسيره على هذا الموضع: وهؤلاء المستهزئون كانوا خمسة من رؤساء أهل مكة: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث، والحرث بن الطلاطلة، كذا قال القرطبي ووافقه غيره من المفسرين وقد أهلكهم الله جميعاً وكفاه أمرهم في يوم واحد. ثمّ قال: وأخرج الطبراني في الاوسط وابن مردويه وأبو نعيم والضياء في المختارة عن ابن عباس في قوله ﴿ **انا كفيناك المستهزئين** ﴾ قال: المستهزئون الوليد بن المغيرة والأسود بن عبد يغوث والأسود بن المطلب والحرث ابن عيطل السهمي والعاص بن وائل وذكر قصة هلاكهم.

وقال ابن كثير[١]: سفيان عن جعفر بن اياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: المستهزئون الوليد بن المغيرة والأسود بن عبد يغوث الزهري والأسود بن المطلب أبو زمعة والحارث بن عيطل والعاص بن وائل السهمي، فأتاه جبرئيل فشكاهم رسول الله ﷺ إليه فأراه الوليد فأشار جبرئيل إلى انمله وقال كفيته ثمّ اراه الأسود بن المطلب فأومأ إلى عنقه وقال كفيته ثمّ أراه الأسود بن عبد يغوث فأومأ إلى رأسه وقال كفيته ثمّ أراه الحارث بن عيطل فأومأ إلى بطنه وقال كفيته ومر به العاص بن وائل فأومأ إلى أخمصه وقال كفيته فأما الوليد فمر برجل من خزاعة وهو يريش نبلاً له فأصاب أنمله فقطعها وامّا الأسود بن عبد يغوث فخرج في رأسه قروح فمات منها وامّا الأسود بن المطلب فعمى وكان

---

(١) تاريخ ابن كثير: البداية والنهاية: ج ٣ ص ١٠٥.

سبب ذلك انّه نزل تحت سمرة فجعل يقول يا بنيّ ألا تدفعون عني قد قتلت فجعلوا يقولون ما نرى شيئاً وجعل يقول يا بنيّ ألا تمنعون عني قد هلكت ها هو ذا الطعن بالشوك في عيني فجعلوا يقولون ما نرى شيئاً فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه وامّا الحارث بن عيطل فأخذه الماء الأصفر في بطنه حتى خرج خرؤه من فيه فمات وامّا العاص بن وائل فبينما هو كذلك يوماً إذ دخل في رأسه شبرقة حتى امتلأ منها فمات وقيل ركب إلى الطائف على حمار فربض به على شبرقة ـ يعني شوكة ـ فدخلت في أخمص قدمه فقتلته، رواه البيهقي بنحو من هذا السياق.

أقول: كما أسلفت ان دعوة الإسلام لولا هذه الفلتات الاعجازية لما كان بها ان تنوء من شدة الضعف وقوة المزاحمة فإنّ مبارزة النبي لالحاد الجزيرة لم يكن على طرز هذه المبارزات الاعتقادية التي يشاهدها البشر بين الملل والاقوام بسعة التبليغ وفنون النشر والتحدي لأنّ الأقوام الذين أنزل الله نوره عليهم وبعث داعيه اليهم لم يكونوا من هذا البشر الذي يصيخ لاستماع القول فإن استحسنه قبله وإلّا رده فحسب، لم يكونوا يعرفون معنى للبحث ولا يقفون بأسماعهم آناً ليعوا دعوة الداعي وانها ماذا تكون في لونها وهويتها ولا يزنون المنطق بأي وزن يفرض؛ وليس من قصدهم إلّا البقاء على ما هم عليه من كل شيء أحاط بهم ان من جهة المعتقد وان من جهة الرسوم والعادات والأخلاق وطرز المعاملات فالتحدي لمثل هذه الطوائف يعدّ تحدياً عسراً بل قريباً من التعذر وهذه البلية ليست مخصوصة بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد قرأت في فصولنا السابقة عن الأنبياء السابقين صلوات الله عليهم أجمعين نظيراً لهذه الأحاديث التي تساق عن مشركي الجزيرة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن ههنا صعب موقف المبلغين الروحيين من اولئك الأقوام صعوبة جرّت عليهم

كل ويل منهم إلى ان انتصر الله سبحانه لأنبيائه بدك الظلمة الغشمة من عباده وكما اقتص لنوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى من امـمهم فقد اقتص لمحمد ﷺ من هذا الفريق المتعنت واجترفهم من طريق دعوته وامره بالاستمرار على تبليغ الدعوة واقامة مراسم النبوة فقال: ﴿ **فاصدع بما تؤمر** ﴾ أي ابن أمرك ابانة لا غبار عليها ولا تقية فيها ﴿ **وأعرض عن المشركين** ﴾ لا يهمك من أمرهم أقلّ شيء فاما المستهزئون منهم الذين يضايقونك على حيثيتك ويزاحمونك على شرفك فـ ﴿ **انّا كفيناك المستهزئين** ﴾ وأبعدناهم عن ساحتك ومجال دعوتك ﴿ **الذين** ﴾ فضلا عن انهم ﴿ **يجعلون مع الله الهاً آخر** ﴾ ليس أهلاً لأن يقاس بواجب الوجود من كافة نواحيه، و ﴿ **فسوف يعلمون** ﴾ أيضاً مغبة أعمالهم إذا حشرناهم فلم نغادر منهم ومن أعمالهم أحداً ولا عملاً واحداً؛ لا يقرّبهم قرار إذا رأوا داعية الله يدعو الناس إلى الايمان به والتصديق بتوحيده فلا يزالون من أهمّ السدد والعثرات في طريق الداعي ومن أعظم المجلبين على شرفه وحيثيته ﴿ **ولقد نعلم انك** ﴾ يا محمّد ﴿ **يضيق صدرك بما يقولون** ﴾ لك ولأتباعك من شتم وفحش مقذعين وانّه لبأعيننا وغير عازب عنا ولكن المقاصد المهمة يا محمّد وتحصيل العظمة مما لا يتأتيان بسهولة بل يحتاجان إلى مديد عنان ومزيد حلم وسعة صدر فكن على ذلك وقوتنا التي لا تدرك ردء لك في المناسبات اللازمة ﴿ **فسبح بحمد ربك** ﴾[1] واذكره سراً وعلناً بينك وبين ربك اظهاراً لمزيد العبودية وبينك وبين الناس تعليماً لهم وحثّاً على موجبات رحمة ربهم.

---

(١) الآيات ٩٤ إلى ٩٨ من سورة الحجر.

وفاة خديجة وأبو طالب وما لموتهما في حياة محمّد ﷺ من الأثر العميق

قال ابن اسحاق [١]: ثمّ ان خديجة بنت خويلد وأبا طالب هلكا في عام واحد فتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب بهلك خديجة وكانت له وزير صدق على الإسلام يشكوا اليها، وبهلك عمه أبي طالب وكان له عضداً وحرزاً لأمره وناصراً على قومه وذلك قبل مهاجرته إلى المدينة بثلاث سنين فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً.

قاتل ابن اسحاق: فحدثني هشام بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير قال: لما نثر ذلك السفيه على رأس رسول الله ﷺ ذلك التراب دخل رسول الله بيته والتراب على رأسه فقامت إليه احدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي ورسول الله ﷺ يقول لها لا تبكي يا بنية فإنّ الله مانع أباك ـ قال ويقول بين ذلك ـ ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب.

وقال ابن سعد [٢]: أخبرنا محمّد بن عمر الأسلمي قال: توفى أبو طالب للنصف من شوال في السنة العاشرة من حين نبّيء رسول الله ﷺ وهو يومئذ ابن بضع وثمانين سنة وتوفيت خديجة بعده بشهر وخمسة أيّام وهي يومئذ بنت خمس وستين سنة فاجتمعت على رسول الله ﷺ مصيبتان موت خديجة بنت خويلد وموت أبي طالب عمه.

---

(١) السيرة الهشامية: ج ٢ ص ٢٥ وما بعدها.

(٢) الطبقات: ج ١ ص ١٠٦.

وقال ابن الأثير [١]: توفي أبو طالب وخديجة قبل الهجرة بثلاث سنين وبعد خروجهم من الشعب فتوفي أبو طالب في شوال أو في ذي القعدة وعمره بضع وثمانون سنة وكانت خديجة ماتت قبله بخمسة وثلاثين يوماً وقيل كان بينهما خمسة وخمسون يوماً وقيل ثلاثة أيّام فعظمت المصيبة على رسول الله بهلاكهما فقال رسول الله ﷺ: ما نالت قريش مني شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب وذلك ان قريشاً وصلوا من أذاه بعد موت أبي طالب إلى ما لم يكونوا يصلون إليه في حياته حتى ينثر بعضهم التراب على رأسه وحتى ان بعضهم يطرح عليه رحم الشاة وهو يصلي.

أقول: قد تقدم منا بعض القول في جهاد أبي طالب وخديجة دون حياة محمّد ﷺ وتبليغ دعوته وان القسط الواسع من ذلك كان لأبي طالب ومن طبيعة القضايا أن تكون كذلك فإنّ خديجة ومهما تكن امرأة محدودة الشرف بين المشركين بل لا قيمة للمرأة عندهم بالمرة الواحدة وأبو طالب رجل قريش وشيخها لا يدفعونه عن مقامه هذا وبه استطاع أن يناضل دون ابن أخيه وأن يحميه طيلة عشر سنين بما أثّر موته أن يهيج عليه المشركون هيجاناً مرّاً لم يجد النبي معه بدأً من التنقل ههنا وههنا ليحرز بذلك بعض الراحة لنفسه كما سنسوق خبره بعد حين.

(١) تاريخ ابن الأثير: ج ٢ ص ٦٣.

من هو أبو طالب ومن هي خديجة

قال ابن حجر [١]: أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي الهاشمي عم رسول الله ﷺ شقيق أبيه امهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ المخزومية اشتهر بكنيته واسمه عبد مناف على المشهور وقيل عمران وقال الحاكم أكثر المتقدمين على انّ اسمه كنيته ولد قبل النبي بخمس وثلاثين سنة ولما مات عبد المطلب أوصى بمحمد ﷺ إلى أبي طالب فكفله وأحسن تربيته وسافر بصحبته إلى الشام وهو شاب ولما بعث قام في نصرته وذب عنه من عاداه ومدحه عدة مدائح منها قوله لما استسقى أهل مكة فسقوا:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

ومنها قوله من قصيدة

وشقّ له من اسمه ليجلّه فذو العرش محمود وهذا محمّد

قال ابن عيينة عن علي بن زيد ما سمعت احسن من هذا البيت ؛ قال المرزباني مات أبو طالب في السنة العاشرة من المبعث وكان له يوم مات بضع وثمانون سنة .

وقال ابن واضح [٢]: فكفل رسول الله بعد وفاة عبد المطلب أبو طالب عمه فكان خير كافل وكان أبو طالب سيداً شريفاً مطاعاً مهيباً مع املاقه قال علي بن

---

(١) الاصابة: ج ٤ باب الكنى.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ١٠ وما بعدها.

أبي طالب أبي ساد فقيراً وما ساد فقير قبله .

وخرج به إلى بصرى من ارض الشام وهو ابن تسع سنين قال والله لا أكلك إلى غيري وربّته فاطمة بنت اسد بن هاشم امرأة أبي طالب وأُم أولاده جميعاً ويروى عن رسول الله لما توفيت وكانت مسلمة فاضلة انّه قال: اليوم ماتت امي وكفنها بقميصه ونزل في قبرها واضطجع في لحدها فقيل له يا رسول الله لقد اشتدّ جزعك على فاطمة قال انها كانت امي إذ كانت لتجيع صبيانها وتشبعني وتشعثهم وتدهنني ولما بلغ ـ أي النبي ﷺ ـ العشرين ظهرت فيه العلامات وجعل أصحاب الكتب يقولون فيه ويتذاكرون أمره ويتوصفون حاله ويقربون ظهوره فقال يوماً لأبي طالب: يا عم اني أرى في المنام رجلاً يأتيني ومعه رجلان فيقولان هو هو وإذا بلغ فشأنك به والرجل لا يتكلم فوصف أبو طالب ما قال لبعض من كان بمكة من أهل العلم فلما نظر إلى رسول الله قال هذه الروح الطيبة هذا والله النبي المطهر، فقال له أبو طالب فاكتم على ابن أخي لا تغرّ به قومه ولقد أنبأني أبي عبد المطلب بأنّه النبي المبعوث وأمرني أن أستر ذلك لئلا يغري به الأعادي.

وذكر اليعقوبي عن حرب الفجار طرفاً وقال: وقد روي ان أبا طالب منع أن يكون فيها أحد من بني هاشم وقال هذا ظلم وعدوان وقطيعة واستحلال للشهر الحرام ولا أحضره ولا أحد من اهلي فأخرج الزبير بن عبد المطلب مستكرهاً وقيل ان أبا طالب كان يحضر في بعض الأيّام ومعه رسول الله فإذا حضر هزمت كنانة قيساً فعرفوا البركة بحضوره فقالوا يا ابن مطعم الطير وساقي الحجيج لا تغب عنا فانا نرى مع حضورك الظفر والغلبة، قال: فاجتنبوا الظلم والعدوان والقطيعة والبهتان فاني لا أغيب عنكم فقالوا ذاك لك فلم يزل يحضر حتى فتح عليهم، وروي عن رسول‌الله انّه قال شهدت الفجار مع عمي أبي طالب وأنا غلام.

وقال ابن سعد في الطبقات[١]: لما توفي عبد المطلب قبض أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان يكون معه وكان أبو طالب لا مال له وكان يحبه حباً شديداً لا يحبه ولده وكان لا ينام إلّا إلى جنبه ويخرج فيخرج معه وصبّ به أبو طالب صبابة لم يصب مثلها بشيء قط وكان أبو طالب توضع له وسادة بالبطحاء مثنية يتكيء عليها فجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فبسطها ثمّ استلقى عليها فجاء أبو طالب فأراد أن يتكيء عليها فسأل عنها فقالوا أخذها ابن أخيك فقال: وحقّ البطحاء انّ ابن أخي هذا ليحسن بنعيم[٢]. قال: ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اثنتي عشرة سنة خرج به أبو طالب إلى الشام في العير التي خرج فيها للتجارة ونزلوا بالراهب بحيرا فقال لأبي طالب في النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما قال وأمره أن يحتفظ به فرده أبو طالب معه إلى مكة وشبّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع أبي طالب يكلؤه الله ويحفظه ويحوطه من امور الجاهلية ومعايبها لما يريد به من كرامته وهو على دين قومه حتى بلغ ان كان رجلاً أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقاً وأكرمهم مخالطة وأحسنهم حواراً وأعظمهم حلماً وأمانة وأصدقهم حديثاً وأبعدهم من الفحش والأذى وما رئي ملاحياً ولا ممارياً أحداً حتى سمّاه قومه الأمين لما جمع الله له من الأُمور الصالحة فيه فلقد كان الغالب عليه بمكة الأمين وكان أبو طالب يحفظه ويحوطه ويعضده وينصره إلى أن مات.

وفي الشرح الحديدي[٣] قال الزبير: فاما أبو طالب بن عبد المطلب واسمه عبد مناف وهو كافل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحاميه من قريش وناصره والرفيق به

(١) ج ١ ص ١٠١ وما بعدها.

(٢) كناية عن انّه سيكون له شأن.

(٣) ج ٣ ص ٤٦١ وما بعدها.

الشفيق عليه ووصّى عبد المطلب فيه فكان سيد بني هاشم في زمانه ولم يكن أحد في قريش يسود في الجاهلية بلا مال إلّا أبا طالب وعتبة بن ربيعة قال الزبير: وأبو طالب أوّل من سنّ القسامة في الجاهلية في دم عمر بن علقمة ثمّ أثبتتها في الإسلام وكانت السقاية في الجاهلية بيد أبي طالب ثمّ سلّمها إلى أخيه العباس بن عبد المطلب، قال الزبير: وكان أبو طالب شاعراً مجيداً.

أقول: قد أسلفنا قطعة صالحة من القول فيما يعود لعقيدة أبي طالب بعد البعثة بما كان فيه بلاغ وكفاية ولكن وقفت عند مراجعتي في هذا الموضع لاصابةابن حجر على تصميم من هذا الرجل قاطع بأنّ أبا طالب ما عاش ولا مات إلّا كافراً ولا بدع منه في ذلك فإنّها جادة مسلوكة لأبناء التسنن يطأ المتأخر منهم فيها عقب المتقدم تقليداً صرفاً وتشبثاً بالأقوال التي تصدر منهم وتعود اليهم مطّرحين في مقام الاستدلال على مطلب ما تحكم به العقول والاعتبارات الصادقة وهم لو كانوا أُولي دربة وعقل لرفّهوا عن أنفسهم بعضاً من هذه القيود التي أوثقوا بها أنفسهم كتافاً بأهازيج أبي هريرة وابن عمر وابن العاص وعروة بن الزبير ومئات من نظرائهم الذين فضحهم التاريخ شرّ فضيحة على ان محور ما يتحدثون به يدور بأخبار الآحاد وقال فلان ونقل فلان مما لا يعطى وحتى في النقاط البعيدة عن التعصب إلّا احتمال الصدور صرفاً فكيف ليت شعري إذا جالت الأهواء التعصبية والأغراض الشخصية جولتها الرعناء هذا واننا على طول الخط نرى القوم فوق هذا الضعف الذي احتوش مباحثهم العلمية يؤمنون وحتى بالمتناقضات فيقولون مثلاً خرج طلحة بن عبيد الله إلى البصرة طلباً بدم عثمان وفي نفس حديث الواقعة يذكرون ان الذي قتل طلحة هو مروان بن الحكم طلباً ببعض ثار عثمان منه ويروون في حق عمار مستفيضاً انّه تقتله الفئة الباغية ومع ذلك يشيدون بمقام معاوية وعمرو بن العاص وولده عبد الله وما أكثر ما ورد من

هذا القبيل ولنا فيه جولة نقوم بها في موضعها اللازم إن شاء الله.

وإذا أعيتهم الحجج تأييداً فيما يهوون ومن يحبون جاءوا بقاعدتهم الكلية التي لا يزالون يتعللون بها في كل وقت وحين تأول فأخطأ اجتهد فأخطأ فإذا قيل لهم ان خالد بن الوليد مما استفاض في حقه انّه كان يغير على القوم فيكون منهم ما به ملاك التوحيد ومصونية الحق ويعترف لهم به أصحابه من المسلمين الذين معه ومع ذلك يندفع عليهم قتلاً وسبياً ذريعين فيبلغ النبي ذلك فيتبرأ من عمله، قالوا في الجواب: انّه اجتهد فأخطأ والمجتهد المخطأ معذور ويرون ساحة هذا الاجتهاد مبسوطة لكل انسان فكل انسان عندهم مجتهدون في السابق وحتى العوام والهمج الرعاع امّا بعد أن وصلت النوبة إلى اجتهاد مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد فقد انسد ذاك الباب الواسع الذي كان مفتوحاً وحتى للزعانف والأوباش والعوام الأُميين والطغام الوحشيين بتاتاً وبالمرة وإذا بهم على تضخم بضاعتهم العلمية معقولاً ومنقولاً لا يساوون وحتى خالد بن الوليد وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان في انفتاح باب الاجتهاد عليهم.

ومن الغريب ان هؤلاء لم يلتفتوا إلى هذه النقطة التافهة في وضوحها وساروا تحت حكومتها خاضعين مقبوحين وهم اولاء إذا افلتهم إلى المهم العويص من مسائل العلم أخذوا يناقشونك فيه الحساب بالقواعد والأُصول الفنية العلمية وما ذاك فيما أعتقده إلّا مشياً مع غوغاء العامة فإنّهم لا يرون لأنفسهم إذا ادعوا سقوط بعض من تلك المدعيات إلّا السقوط والتدهور في انظار الناس ولهم العبر الواسعة في ذلك فإنّهم يروون من الشواهد على ذلك ان أهل الشام طلبوا من النسائي ان يحدثهم بفضائل معاوية بن أبي سفيان فعندما قال لهم أما يرضى منا معاوية رأساً برأس لا نقول له ولا عليه قاموا إليه وهو شيخ الحديث وامام المحدثين في زمانه ضرباً وتبريحاً حتى هتكوه وخرج من ديارهم بأذل حالة

وأسوأ وضع فما نراه من خضوع افاضل القوم وحتى للموهومات من اتـخاذات عوامهم ليس إلّا من هذا القبيل.

وأمر آخر مما يزيد في الطنبور نغمة ان هؤلاء لا يرضون لأنفسهم أن يعيشوا فيما بين أفراد الناس نكرات لا يعرفون ويرون ان المـعرفة بـين العـوام مـنوطة بترويج عاداتهم واتخاذاتهم وتأييدهم والانتصار لهم وهذا ما يوجب عـليهم أن ينحتوا الفضائل الوفيرة وحتى لعسكر جمل عائشة ولبـغلات مـعاوية الشـهب ولثوب عثمان بن عفان وهلم دواليك ونحن لا نخصهم بهذا البلاء وان كانوا أكثر الناس ابتلاءً به فإنّ نوع المبادىء الدينية في العالم ممزوجة بالأوهام والأضاليل فكان الداعية في بدء امره هو الذي يزرع روح مرامه في قلوب عوام محيطه وإذا استقل به العوام مشوا به على عفو خواطرهم وما تـمنيهم بـه أنـفسهم الرعـناء الجاهلة فتفوت الحد المعقول الذي اتخذه الداعية لنفسه وعند ذلك تخرج القبضة من يد الداعي وتقع في تصرف المدعو حتى ينتهي الأمر إلى أن يكـون الداعـي نفسه رهينة بيد أتباعه مجبوراً على مماشاتهم ما دام يريد منهم بـغيته وتـحقيق اراداته.

وها أنت اليوم على انك غارق في تيارات النور للقرن العشـرين تسـتطيع أن تطبق الملاك الذي ذكرناه بجميع حروفه على الوضع الرائج بين عـلماء المـلل وعوامهم وترى بوضوح مغلوبية العلماء أمام مرام العوام على ان هذه الخطة التي أوعزنا اليها لا تبرر لهم في موقف العلم من العالم والعقل من العاقل وما أخذه الله من المواثيق في عالمي التكوين والتشريع عـلى المكـلفين خـصوصاً الأنـبياء والعلماء منهم أن يتركوا علومهم وعقولهم ومواثيق الله المأخوذة منهم جانباً بعيداً عن التناول وينجرفوا بأسرهم إلى الضلالات وما شـخصوه مـن خـلاف الحـق والواقع بشهادة الفن والاعتبار احرازاً لبعض الشهوات ونزولاً على رغبة الغوغاء

من العامة.

نعم لا شبهة ان التفلت من هذا الوثاق المرذول في حاجة إلى علو الهمة في صاحبها وقوة النفس عند مالكها وحرية الضمير لواجده وهذه مراتب تثمرها للانسان رياضته الروحية لا صرف دراسته العلمية فكم من نابغة في الفن ساقط في نفسه لا يزعه عن ان يقف في صفوف المكدين والسائلين بالكف أقل وازع ولا أكبره وآخر عظيم في همته قليل البضاعة في علمه لا يرضى بالملوك وأبنائهم قرناء له ولا شبهة ان الأوّل منهما لا يكون ذا دين ولا ثقة من بدو وروده إلى المجتمع فلا ضامن لأقواله وأفعاله من الشرع وان الثاني منهما هو الذي يسكن له ويؤمن به وهذا الخارج بطوله وبعرضه اطلعنا بخطوطه الكبيرة الحروف من أوّل زمن الصحابة إلى ساعتنا التي نحن فيها والمستقبل أخو حاضره وماضيه على ان أغلب الأفراد المنتسبين للروح والديانة كانوا من الفصيلة الأُولى ضعفاء في نفوسهم ميالين إلى حطام الدنيا جهد ما تستطيعه قواهم يحبون شرف الرياسة قدر ما تهزهم ظواهرها الجذابة ويتزلفون إلى أهل النفوذ ولو بتوسيط الوسائط وشفاعة الشفعاء وأهل الدنيا لا يهمهم من هذا الفريق المدعى للروح وللروحانية إلّا وقوعه آلة محضة يتصرفون بها لتسخير العوام وترويج منوياتهم بين الناس ماشاؤوا ضرورة ان جبابرة الدنيا لا يهمهم من أمر الدين ولا أهله قدر قلامة ظفر فلم يستخدموا هؤلاء الساقطين لأجل أن يعظوهم ويرشدوهم بل اتخذوهم علم نفاق ظواهرهم المصنوعة للعوام وبواطنهم الفارغة لهؤلاء ولا نسرد لك الشواهد التاريخية الوفيرة على هذه النقطة إلّا في موقعها ونريك بصراحة ان الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله على ما كانوا عليه من تضخم المادة والمال بحيث كانوا يعدون (مليونرية) أزمانهم ما جاء بهم إلى البصرة ناكثين إلّا بيض الدراهم وصفر الدنانير وان عثمان بن عفان ما قرّب كعب

الأحبار اليهودي وشرّد بأبي ذر ونكّل بابن مسعود وعمار واستعمل كل ساقط الكفة ملعون على لسان النبي الأمي بصراحة وجهار كآل الحكم وسعد بن أبي سرح والوليد بن عقبة إلّا لهذه الدواعي المادية والاستئثار بأُمور الناس وان معاوية ما جذب إليه كثيراً من الصحابة والتابعين إلّا ليحمي موقفه الدولي بين غوغاء المسلمين بتفاصيله التي ستجيء وطبعاً يكون ذلك فآل أبي سفيان ما عرفوا الإسلام لا في تحاملهم عليه سابقاً ولا في انقهارهم له لاحقاً.

وأمّا بقية هذه الأُسر المالكة من بني امية وبني العباس وآل الزبير وآل آل فكلها واضحة التكليف لقاريء سيرة الزمان بأبنائه وسير التاريخ بحوادثه وما أضلّ دفاع أبناء التسنن عنهم وتأييدهم من الوجهة الدينية لهم ضلالاً بعيد المسافة عن الصواب كمن يدافع عن الفاحشة الجاهرة بأعمالها بأنّ نكاحها على طول مسافتها مع الناس كان عن شبهة ولم يكن عن سفاح ومنذ انفصل الشيعة عن السنة ومن صدر الإسلام حدث هذا الانفصال حصلت فوارق بين هذين الفريقين فكانت شعاراً لهما ولأتباعهما وقد جدّ الطرفان في تثبيت هذه الفوارق والانتصار لها ونحن نأتي على نقاطها الرئيسية في بحوثنا من سلسلة هذا الكتاب.

ومن جملة هذه الفوارق قضية اسلام أبي طالب وكفره فقد أصرّ أبناء التسنن على تكفيره وخالفهم في ذلك الشيعة ولا شبهة ان هذه النقطة كبقية النقاط الفارقة وسّعها التعصب لا العلم وتصامدت عليها الأقلام لا الأفهام خصوصاً من أبناء التسنن وهذه القضايا وان وسّعت شقق البحث واستفزت نظريات أهل النظر فكانت في نفسها بحوثاً بحيالها إلّا انها أثارت من نخوة التعصب وامتيازات الأرواح بعضاً عن بعض بما جعلت الصدور تغلي والقلوب تتشقق غيظاً.

وقد أسلفنا في بحوثنا الآنفة ان اختلاف الأذواق من الشؤون العامة للطبيعة

وليست بدعاً ولا عجباً لكن هل يصح أن يقال ان مسألة الأنبياء يورثون أو لا يورثون ؛ وان متعة النساء والحج كانت في شرع الإسلام أو لم تكن وانها بعد كونها هل يجوز لمن يتصدى امور المسلمين ان يعدمها من وجهتها الشرعية أو لا يجوز وعلى سننها نظيراتها فلا نطيل من المسائل الذوقية أو من الأبحاث السمعية طبعاً يلزم أن تكون من الأبحاث السمعية ومن رديف ما تعبد الله به العباد وكثير من شؤون التعبد يجهل ولا يعرف وإنّما يتلقى عن الشارع تسلماً بخضوع.

نعم لا شبهة ان الذوق قد يقع في طريق السمع فيتأثر الاختلاف من جهته هو لا من جهة السمعيات بما هي وان كانت لها اختلافات بحيالها وتجريد الذوق والقوى النظرية عن تدخل التسويلات النفسية والأهواء التعصبية ليس بعزيز وإلّا لما اندحرت نظريات في العالم وقامت مقامها نظريات أُخرى تفوقت عليها من وجهتها الفنية الذوقية وقد حصل ذلك بكثرة مشهودة إذاً فلا مانع من جهة الدليل والذوق الذي يقع في طريقه والاعتبار الذي يسايره في بحثه ان يطيع السني ويطاوع لبحث يقوم به الشيعي فاتقاً عنه اهاب حقيقته.

والسني في مسألة ايمان أبي طالب أو بقائه على كفره لا يملك سلاحاً يبارز به الشيعي إلّا نقطة واحدة وهي ان أبا طالب لو كان مؤمناً بالنبي ودعوته وقابلاً لدين الإسلام لكان في مصاف مسلمي وقته يجهر بكلمة التوحيد لله والرسالة لرسول الله ﷺ كما كانوا يجهرون لكنه لم يفعل ذلك فهو ليس بمسلم، وأنا واحد من الشيعة اطابقهم على ان أبا طالب لم يكن في وضعه الظاهري كمسلمي وقته يوماً بالاشارة الحسية إلى اسلامه كما كان يوماً إلى اتباع النبي المعروفين باتباعه وجماع الإسلام كان يومذاك التجاهر بتوحيد الله والشهادة لمحمد بالرسالة ومنابذة الأوثان ليس غير فإنّ الوظائف الشرعية كلها كانت بعد ذلك أي من المعراج فما بعد وقد ثبت لك بالتحقيق الصحيح ان المعراج لم يكن إلّا قبيل

الهجرة بسنة أو يزيد عليها بكسر لكن السني من دون أن أحمله على الاعتراف معترف بأنّ أبا طالب لو كان مسلماً لما كانت به قدرة ولا حماية لمحمد أصلاً ولاحتوشه المشركون كما احتوشوا محمّداً بلا أقل ميز ولانقطعت بانقطاعه الوسائل الظاهرية والأسباب الاعتبارية لحفظ محمّد والبقاء على شرفه وحياته وكلهم مؤمن بأنّ النبي قال ما نالت مني قريش ما أكره إلّا بعد موت أبي طالب .

فما بال السني بعد أن يحتفظ بهذه المقدمة وهي ان سكون أبي طالب وعدم تظاهره بما يتظاهر به مسلموا وقته من أتباع محمّد ﷺ هو السبب الوحيد لحفظ حياة محمّد وسير دعوته واصحاره بدينه علناً وسب آلهة الشرك جهاراً وبذلك عرف ممتازاً عن كافة عرب الجزيرة ولأجله اتبعه من اتبعه ووطد به عرش دعوته بلا ريب ؛ لا يعود إلى مقدمة ثانية غزيرة المادة إذا ضمها إلى مقدمته الأُولى انتجت بوضوح وبداهة ان الرجل مسلم بحق الإسلام ولكن الدواعي المهمة التي هي أهم بملايين المرات من تجاهره بالاسلام كتجاهر علي ولده مثلاً هي التي قبضت على لسانه وأوقفت حركة أعضائه بما يكون معه معلوم الحال عند الصادر والوارد والبعيد والقريب انّه من أتباع ابن أخيه محمّد وانّه مسلم بلا تحاش ولا خفاء ولا شبهة ان الابقاء على حياة النبي ـ على استمراره بدعوته ـ على تجاهره بها ومنابذته لآلهة الشرك جهاراً ـ على تكثير الاتباع ـ على توطيد نبوته العامة التي لا تتسع ولا تضخم إلّا بهذا الحجر الأساسي الذي عليه يكون البناء وبه تكون قوته وتشييده منوط بأبي طالب بوصفه الحيادي في العقيدة ظاهراً وعدم انحرافه عن مجراه الذي كان عليه فيما يرى منه .

ولا شبهة ان سكوته مع هذا الوصف هو تكليفه اللازم شرعاً وعقلاً وانّه إذا تظاهر بالاسلام انقطعت بتظاهره الأسباب الاعتيادية لبقاء محمّد ودينه وبانهدام الأسباب تنهدم المسببات وما يلزم من وجوده عدمه غير عقلائي ولا صحيح فقد

كان اسلام أبي طالب في الظاهر مما يوجب تلاشي الإسلام بكله وهو من أفراده ومعتنقيه فيتلف بتلفه ويتلاشى بتلاشيه.

وأمّا قول من يقول ان الله هو الذي قام بتشييد دينه وحفظ نبيه واظهار دعوته واتمام نوره فذاك مما يهدم أتعاب محمّد نفسها من أوّل ما ابتعث إلى اليوم الذي مات فيه ومما يسقط عمل كل عامل وليس تعب رسول الله وجهوده في الدين بأعظم من تعب أبي طالب وجهوده له ﷺ طيلة ما مشى معه من عمر الإسلام بضرورة التاريخ فإذا أحب الطرف اسقاط هذا وانحى على عقله تفنيداً لاعتباره أسقطنا نحن ذاك كما نسقط كل جهد وتبريح يلاقيه عبد الله في سبيله.

ما هي المقدمة الثانية الغزيرة المادة التي صدرت عن أبي طالب:

هي المواد المشروحة ذيلاً:

(١) وقوفه مناضلاً عن محمّد طيلة عشر سنين دافع بها كافة المشركين وخاصة متعنتي قريش وأُولي القوة والنفوذ فيهم دفاعاً أدّى به إلى أن يحصر في الشعب طيلة ثلاث سنين أو أقل حصراً قطعه عن كل شيء وقطع كل شيء عنه وحتى سلام أخص الناس به عليه ولا نعيد ما أسلفناه مما ذكره المؤرخون في طول ما لاقاه أبو طالب مدة هذه العشرة السنين وهذا مما ينص على انّ الرجل من دهاة المبارزين واثبات المرابطين وإلى الهمم العالية التي لا تصيخ لاصابة المكروه ولا تضرع لحوادث الدهر ومهما ثقل ثقلها واعصوصب ويلها وليت ان غيره اتيح له مثل مقامه هذا لرأيته تاركاً موقفه من شهر وشهرين جزعاً ويأساً ولو كانت النبوة لنفس أبي طالب لما تصور في حقه دفاع أشد ولا أكثر مما بذله في نبوة ابن اخيه وهذه المرابطة لم ينسبها التاريخ لكبار المسلمين فضلاً عن انسان مشرك يقدس اللات والعزى وهبل ومناة الثالثة الأُخرى ثمّ هو نفسه ينتصر بمثل هذه الانتصارات الاعجازية لمن يسب آلهته ودينه ويفند رأيه

وزعمه ويحسبه رجلاً من أهل النار بلا كلام ـ هذا ما يتعقله انسان أصلاً ـ كيف وهذا التاريخ أجمع أهله على ان كثيراً من المسلمين رجعوا عن الإسلام بعد ما قام لهم المشركون وأرصدوا لهم العذاب والمحنة وهذا مقام زلّت فيه أقدام اناس متصبرين لا في شريعة محمّد وحده بل في كافة الشرائع بل والرويات الاجتماعية والسياسية في العالم من كافة طبقات الناس فإنّ المضائق الحرجة توجب الفرار بالنفس إلى حيث الراحة والقرار طبيعة وكم قال قائل من هؤلاء الناس بلسان حالهم أو بمقالهم :

تمشي المنايا إلى غيري فأكرهها فكيف أمشي اليها بارز الكتف

وقال فريق آخر : ما لنا والدخول بين السلاطين ؛ يقولون ذلك اخلاداً إلى السلامة وركوناً إلى الراحة وإلّا فكل انسان في كل قضية تحدث ورأى يحصل وسياسة تتجدد له ميل إلى جانب دون آخر وتأييد في نفسه لفريق دون فريق ولكن الذي يمنعه عن الشخوص حرارة التعب وألم الجهد واضطراب المقر وما إلى ذلك فهو لأجل أن يزيح عن نفسه بعض العار يتعلل بمثل تلك الأقوال ؛ ولشيء من ذلك شرعت التقية في الإسلام فضلاً عن المزاحمات المهمة والمخاوف العظيمة ، ولمثله أجاز الله الكفر باللسان إذا كان هو القلب مع الايمان . وهذا صريح القرآن يجابه محمّداً ﷺ بصراحة ﴿ **وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً * وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً * إِذاً لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَاةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً** ﴾ (١) وما كان من محمّد حتى يجابهه بهذه المقالة التي تعظم عليه طبعاً وما الذي حمله على أن يستوجب من ربه هذا العتب الحار .

---

(١) سورة الإسراء : الآيات ٧٣ ـ ٧٥.

نحن والنظر العلمي جميعا نجلّ محمّداً وهو نبي أن يصدر منه خلاف كما أسلفناه في بحثنا على قصة الغرانيق بتوسع ولكن الذي نراه ان مضايقة المشركين له وحبه للترفيه عن نفسه وعن دعوته وعن اتباعه ربما تطغو عليه فيفتش عن طريق صالح ربما يجمع بينه وبينهم بما لا يقطع دعوته ولا ينافي نبوته فيما يرى وهو مع ذلك يجلب شيئاً من توجههم ويدفع طرفاً من شدتهم ويخفف قليلاً من غلوائهم ولكن نظر الله فوق نظره واتصاله بالواقع ليس لغيره وهو سبحانه بعذر غيره إذا اجتهد في طلب الصواب من طريقه الذي يسلكه أهل النظر من البشر فأخطأ ولكن لا يعذر رسوله لأنّه يمثله ويمثل الواقع ويمثل الحقيقة الراهنة ويمثل كلما لا غبار عليه ولا شبهة تعتريه وهو سبحانه لا يرى من مصلحة الدين مع هؤلاء المشركين إلّا الترفع عن كل عقائدهم واتخاذاتهم واحقاق الحق جهاراً وعلنا بالدعوة والتبشير صرفاً تارة ومشفوعين بالقوة تارة أُخرى كما كانت الحالة الأُولى في مكة والحالة الثانية بعد الهجرة إلى المدينة.

ومما يرويه أبناء التسنن في شأن هاته الآيات: ونحن نذكر منه ما يلتئم مع الفن ونطرد ما يخالفه بملاك البحث الذي أسلفناه في قصة الغرانيق: ما ذكره الشوكاني في تفسيره على هذا الموضع قال: أخرج ابن اسحاق وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال: انّ امية بن خلف وأبا جهل بن هشام ورجالاً من قريش أتوا رسول الله فقالوا تعال فتمسح آلهتنا وندخل معك في دينك وكان رسول الله ﷺ يشتد عليه فراق قومه ويحب اسلامهم فرقّ لهم فأنزل الله وان كادوا ليفتنونك إلى قوله نصيرا.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال كان رسول الله ﷺ يستلم الحجر فقالوا لا ندعك تستلمه حتى تستلم بآلهتنا فقال رسول الله ﷺ وما عليّ لو فعلت والله يعلم مني خلافه فأنزل الله وإن كادوا يفتنونك الآية.

وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس ان ثقيفاً قالوا للنبي أجّلنا سنة حتى يهدى لآلهتنا فإذا قبضنا الذي يهدى للالهة أحرزناه ثمّ أسلمنا وكسرنا الآلهة فهمّ أن يؤجلهم فنزلت وإن كادوا ليفتنونك الآية .

وذكر الطبرسي وهو من الشيعة الإمامية في شأن النزول أقوالاً ذكر فيها بعضاً مما أسلفناه عن الشوكاني وزاد انّ رسول الله أخرج الأصنام من المسجد فطلبت إليه قريش أن يترك صنماً كان على المروة فهمّ بتركه ثمّ أمر بعد بكسره فنزلت الآية ، رواه العياشي باسناده .

وهذه الوجوه كما ترى لا يحال الهمّ بها من الأنبياء ، والقرآن أثبت عصمة الله لنبيه وانّه لم يصدر منه لا قول ولا عمل بنفع المشركين وإنّما هو اندفاع نفس وباعثه بالضرورة الواضحة ما ذكرناه وهو مضايقة المشركين له على شرفه وحيثيته ودعوته واتباعه وحرصهم على ما يسوئه ليلاً ونهاراً فأجزعه ذلك وكل اضطرار يوجب الجزع فهمّ إلى موادعتهم بما يثني من عواطفهم ولا يخل بدينه فيما يحسب ويستحيل أن يكون ذلك منه وهو مطمئن آمن ودعوته في سبيلها الواسع من الانتشار والترسل فإنّ موادة المشرك حرام في دين القرآن فلا يرتكبها المسلم إلّا تقية ودفع شر . فاعرف في هذه المادة ما لأبي طالب من الحقوق الكبار التي هي الحجر الأساسي لدعوة الإسلام من أوّلها إلى آخرها بل هي زبدة المخيض كلّه .

(٢) أقواله الشعرية المصرحة بأنّ محمّداً ليس بكاذب وانّه نبي وان دينه من خير أديان البرية وان الله قائم بنصره ومظهر لدينه الحق غير الباطل وانّه كموسى بن عمران خط في أوّل الكتب وما شابه ذلك من التصريحات التي لا غبار عليها ؛ ونحن قد أسلفنا جملة من ذلك ولأجل تزيين الباب نذكر ما هو اللازم ، فمنه قوله :

لقد علموا انّ ابننا لا مكذب لدينا ولا يعنى بقول الأباطل

وقوله

فأيّده ربّ العباد بنصره وأظهر ديناً حقه غير باطل

وقوله

وعرضت دينا قد علمت بأنّه من خير أديان البرية دينا

وقوله

وقالوا لأحمد أنت امرؤ خلوف الحديث ضعيف السبب

وإن كان أحمد قد جائهم بصدق ولم يأتهم بالكذب

وقوله

ألم تعلموا انّا وجدنا محمّداً نبيّاً كموسى خطّ في أوّل الكتب

فهذا شاهد صدق لا غبار عليه من جميع وجوهه ان الرجل يعترف بنبوة محمّد في زمانه كما كان موسى نبيّاً في زمانه ويعتقد ان دينه من خير أديان البرية وانّه صادق فيما يقول ولا يتهمه بالكذب وهذا لعمري حجة قاطعة أعربت عما في ضميره بلفظ لسانه وكشفت داخله المستور بظاهره المكشوف.

(٣) حثّه لولديه عليّ وجعفر على ملازمتهما لابن عمهما وانّه لا يدعوهما إلّا إلى الخير وقوله لجعفر صل جناح ابن عمك حينما كان النبي قائماً يصلّي والإنسان غير متهم على أولاده وأفلاذ كبده بالضرورة الواضحة فلو كان لأبي طالب أقل تردد في أمر الرسول ﷺ لمنعهما منه قطعاً ولصرّح لهما بذلك وان فرضنا عدم قبولهما لمنعه.

(٤) أقواله العامة وقد أسلفنا طرفاً منها ونذكر هنا ما أودعه ابن سعد في طبقاته (ج ١ ص ١٠٤) قال: ثمّ انّ أبا طالب دعا بني عبد المطلب فقال لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمّد وما اتبعتم أمره فاتبعوه وأعينوه ترشدوا؛ وهذا أيضاً

عين حثه لأولاده وبعين صراحته.

(٥) ايمان أبي طالب بأنّ ابن أخيه محمّداً سوف يبتعثه الله نبياً (قبل أن يبعثه الله) علم تلقاه من أبيه عبد المطلب ومن الرهبان وأهل العلم من الكتابيين فقد ذكر ابن سعد في الطبقات في عرض ما ذكره (١) وقال قوم من بني مدلج لعبد المطلب احتفظ به ـ أي بمحمد ـ فانا لم نر قدماً أشبه بالقدم التي في المقام منه فقال عبد المطلب لأبي طالب اسمع ما يقول هؤلاء فكان أبو طالب يحتفظ به وقال عبد المطلب لأمّ أيمن وكانت تحضن رسول الله ﷺ يا بركة لا تغفلي من ابني فاني وجدته مع غلمان قريباً من السدرة وان أهل الكتاب يزعمون انّ ابني هذا نبيّ هذه الأمّة.

وذكر ابن واضح (٢) قال: ولما بلغ (أي النبي ﷺ) العشرين ظهرت فيه العلامات وجعل أصحاب الكتب يقولون فيه ويتذاكرون امره ويتوصفون حاله ويقربون ظهروه فقال يوماً لأبي طالب يا عم اني أرى في المنام رجلاً يأتيني ومعه رجلان فيقولان هو هو وإذا بلغ فشأنك به والرجل لا يتكلم فوصف أبو طالب ما قال لبعض من كان بمكة من أهل العلم فلما نظر إلى رسول الله قال هذه الروح الطيبة هذا والله النبي المطهر فقال له أبو طالب فاكتم على ابن أخي لا تغرّ به قومه ولقد أنبأني أبي عبد المطلب بأنّه النبي المبعوث وأمرني أن أستر ذلك لئلا يغرى به الأعادي.

وقال ابن اسحاق (٣) من طبع محمّد محيي الدين: وكان رسول الله مع جده

---

(١) الطبقات ج ١ ص ٩٩ و ١٠٠).

(٢) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٠ و ١١.

(٣) السيرة الهشامية ج ١ ص ١٨٠.

عبد المطلب بن هاشم وكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه لا يجلس عليه أحد من بنيه اجلالاً له قال فكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلام حتى يجلس عليه فيأخذه أعـمامه ليؤخروه عنه فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم دعوا ابني فوالله انّ له لشأناً ثمّ يجلسه عليه ويمسح ظهره بيده ويسرّه ما يراه يصنع .

والحديث حول حمل امه به وما رأت في حملها وعند ولادته وما رآه مراضعه وما أخبر به عبد المطلب في شأن حفيده هذا من أهل الكتاب وغيرهم واسع ذو فنون وهو بمرأى وبمسمع من أبي طالب كما كان كذلك لعبد المطلب وكما أفاد مجموع هذه المقدمات عبد المطلب بن هاشم بأنّ حفيده هذا سيكون نبياً أفـاد مثله أبا طالب بطور قاطع فإنّ الجد والعم والحفيد جميعاً كانوا في عائلة واحدة وعلى نهج فذ من الحياة ولو لم يجد عبد المطلب في أبي طالب ما يدعوه إلى أن يخصه بكفالة محمّد لما اختص به من بين جميع ولده بالوصية به .

وقال ابن اسحاق (١) وكان رسول الله ﷺ بعد عبد المطلب مـع عـمه أبـي طالب وكان عبد المطلب فيما يزعمون يوصي به عمه أبا طالب وذلك لأنّ عبد الله أبا رسول الله وأبا طالب اخوان لأب وأُم امهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم وكان أبو طالب هو الذي يلي أمر رسول الله بعد جده فكان إليه ومعه .

قال ابن اسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير انّ أباه حدثه انّ رجلاً من لهب (قال ابن هشام ولهب من ازد شنوءة) كان عائفاً فكان إذا قدم مكة أتاه رجال من قريش بغلمانهم ينظر اليهم ويعتاف لهم فيهم فأتي به أبو طالب وهو

---

(١) السيرة الهشامية ج ١ ص ١٩٣ وما بعدها.

غلام مع من يأتيه فنظر إلى رسول الله ثمّ شغله عنه شيء فلما فرغ قال الغلام عليّ به فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غيّبه عنه فجعل يقول ويلكم ردوا عليّ الغلام الذي رأيت آنفاً فوالله ليكونّن له شأن قال فانطلق أبو طالب...

قال ابن اسحاق ثمّ انّ أبا طالب خرج في ركب تاجراً إلى الشام فلما تهيأ للرحيل واجمع المسير صبّ به رسول الله ﷺ فيما يزعمون فرقّ له وقال والله لأخرجن به معي ولا يفارقني ولا أُفارقه أبداً فخرج به معه فلما نزل الركب بصرى من ارض الشام وبها راهب يقال له بحيري في صومعة له وكان إليه علم أهل النصرانية ولم يزل في تلك الصومعة راهب إليه يصير علمهم عن كتاب فيها فيما يزعمون يتوارثونه كابراً عن كابر فلما نزلوا ذلك العام ببحيرى وكانوا كثيراً ما يمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يعرض لهم حتى كان ذلك العام فلما نزلوا به قريباً من صومعته صنع لهم طعاماً كثيراً وذلك فيما يزعمون عن شيء رآه وهو في صومعته يزعمون انّه رآى رسول الله ﷺ وهو في صومعته في الركب حين أقبلوا وغمامة تظله بين القوم قال ثمّ أقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريباً منه فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة وتهصّرت أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ حتى استظل تحتها فلما رأى ذلك بحيرى نزل من صومعته وقد أمر بذلك الطعام فصنع ثمّ أرسل اليهم فقال اني قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش فأنا أحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحركم قال له رجل منهم والله يا بحيرى ان لك شأناً اليوم ما كنت تصنع هذا بنا وقد كنا نمرّ بك كثيراً فما شأنك اليوم قال له بحيرى: صدقت قد كان ما تقول ولكنكم ضيف وقد أحببت أن أُكرمكم وأصنع لكم طعاماً فتأكلوا منه كلكم فاجتمعوا إليه وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم لحداثة سنه في رحال القوم تحت الشجرة فلما نظر بحيرى في القوم ولم ير الصفة التي يعرف ويجدها عنده قال: يا معشر قريش لا

يتخلفن احد منكم عن طعامي قالوا له يا بحيرى ما تخلف عنك أحد ينبغي له أن يأتيك إلّا غلاماً وهو أحدث القوم سناً فتخلف في رحالهم فقال لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم قال فقال رجل من قريش مع القوم واللات والعزى إن كان للؤم بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا ثمّ قام إليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم فلما رآه بحيرى جعل يلحظه لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء من جسده وقد كان يجدها عنده من صفته حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام إليه بحيرى فقال له: يا غلام أسألك بحق اللات والعزى إلّا ما أخبرتني عمّا أسألك عنه وإنّما قال له بحيرى ذلك لأنّه سمع قومه يحلفون بهما فزعموا انّ رسول الله قال لا تسألني باللات والعزى شيئاً فوالله ما أبغضت شيئاً قط بغضهما فقال بحيرى: فبالله إلّا ما أخبرتني عما أسألك عنه فقال له سلني عمّا بدا لك فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأُموره فجعل رسول الله يخبره فيوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته ثمّ نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده. قال ابن هشام: وكان مثل اثر المحجم.

قال ابن اسحاق: فلمّا فرغ أقبل على عمه أبي طالب فقال ما هذا الغلام منك قال ابني، قال له بحيرى: ما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيّاً، قال: فإنّه ابن أخي، قال: فما فعل أبوه، قال: مات وأُمّه حبلى به قال: صدقت فارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه اليهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغينه شراً فإنّه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فأسرع به إلى بلاده فخرج به عمه أبو طالب سريعاً حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام.

فأنت كما ترى انّ أبا طالب قد أحاط به علم واسع مما يصادفه في ابن أخيه وهذا علم شهودي حسي قد تكرر له من غير مواطاة من أحد عليه وهذه

المقارنات الاتفاقية لأي انسان حصلت افادته اليقين وسكون النفس من غير تردد ولا تلكأ بطبيعة وضعها فأبو طالب بمقتضى طبيعة هذه النقول لم تفده بعثة النبي وقيامه بالدعوة علما جديداً وإنّما أعطته النتيجة المترصدة من مقدماتها المتهيأة ولم يكن يحتاج من النبي إلى برهان يشيد به لعمه صحة دعواه وهو قد كان درسها حرفاً من لدن تصور ابن أخيه محمّد في رحم امه إلى أن بلغ معه أربعين سنة فابناء التسنن عندما يسوقون هذه النقول لأبي طالب يحكمون على أنفسهم حكماً طبيعياً بديهياً بأنّهم عندما يصرون على كفره بدعوة ابن أخيه وتكذيبه له منذ ابتعثه الله وآمن به طوائف من الناس على غير علم منهم بخبره السالف كما كان يعلمه أبو طالب بتفاصيله يصرّون على جهل أنفسهم لا على جهله وعلى انحرافهم عن الحقائق الواضحة لا على انحرافه ومن هذه المشاهدات الحسية التي اقترنت بأبي طالب وتميز منها شأن ابن أخيه محمّد يتجلى السرّ من المقدمة السادسة.

(٦) وهي تصدي أبي طالب لمدح محمّد ﷺ بعد نهوضه بالدعوة مدحاً لا يليق وحتى بالملوك أنفسهم وإنّما يليق بالأنبياء والذوات المقربة من حضرة المعبود سبحانه فإنّ قصارى ما تمدح به الملوك انها جبارة ذات بطش ونفوذ وقدرة مبسوطة وكرم سجال وما إلى ذلك ولا يوصفون بأنّ وجوههم يستسقى بها الغمام فإنّ هذا الوصف من شأن الصالحين المقربين المحترمي الشفاعة عند خالق الملك والملكوت ولو لم تكن روح أبي طالب خاضعة لناموس سماوي تجلى في محمّد ﷺ لما سمحت له روحه العالية ولا مقامه الكريم أن تتشقق أشداقه بمدح شاب عاش في كنفه وربّى على طعامه وشرابه وهو يتيمه وأسير نعمته وفي عداد أطفاله وأولاده ويهيب بشاعريته جلوة وتشعشعاً فيقول القصيدة بعد الثانية والمقطوعة بعد اختها في مدحه ووصفه بأهم الأوصاف فاننا في أجدّ

أدوار المدنية وتشعشع الأذهان وتقديس المعنويات لا نرى الأب ولا العم ولا كبير الأُسرة يحترم الشاب من أُسرته ابناً كان أو ابن أخ أو من هو في هذا الرديف ومهما بلغ في مقامه العلمي فلا يقوم له احتراماً إذا ورد مجلساً كان جالساً فيه لا ويبتدؤه بالسلام إذا لاقاه ولا يسميه إلّا باسمه العاري عن العناوين ولا يهتم له في ظاهره بما يعرف فيه أقل تكلف كما انّ الناس لا يتوقعون منه ذلك بل إذا وجدوه معظماً لمقام ابنه محترماً له كما يحترمه الأجانب حسبوا ذلك من سقم فيه بل لا يحسبونه إلّا ضرباً من التدليس والشيطنة.

واننا متى لم نصحح في أبي طالب عندما تصدى لمدح ابن أخيه ويتيمه ومكفوله داعي انكشاف العظمة الملكوتية الجاهرة في طلعة ابن أخيه لعينيه هو بما لم تنكشف لغيره عقمت علينا كل الدواعي العقلائية؛ فلم يكن محمّد غنياً بل كان أفقر الفقراء في ذات يده، ولم يكن شخصية لامعة في الجزيرة معروفة الشأن قاهرة الشرف بل كان من سائر الناس بلا ريب على انّ في الجزيرة العربية كان من الأشراف عدد غير منزور فلم نر أبا طالب تفتحت أشداقه بمدح واحد منهم يوماً ما وان يكن ذكر أحداً في شعره فمن باب الاخوانيات الدائرة بين المتعاصرين المتحابين؛ ولم يكن كبير أُسرة الهاشميين حتى يسوغ له مقامه بينهم أن يطريه بالثناء كما يطري أفراد الأُسرة كبيرهم وهلم دواليك في مقالة: ولا: ولا: هذا وان من مدح أبي طالب محمّداً ﷺ قوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه	**ثمال اليتامى عصمة للأرامل**
يلوذ به الهلّاك من آل هاشم	**فهم عنده في رحمة وفواضل**

لا ومحمّد نفسه لم يكن هو عندما قال فيه أبو طالب هذا القول وطيّره فيما بين الخافقين ثمال اليتامى ولا عصمة للأرامل ولم يلذ به هالك من هلاك بني هاشم

ولم يكن في قبضته شيء حتى يكونوا منه في رحمة وفواضل لكن أبا طالب إنّما قال فيه ذلك للمؤهلات الروحية العظيمة التي تجلت له منه وان مستقبله سوف يكون مصداقاً لما وصفه به من هذه الصفات العظام التي لا تقال إلّا للرؤساء الكبار أُولي القوة والقدرة والرحمة والعاطفة.

لعمري لقد كلفت وجداً بأحمد   واخوته دأب المحب المواصل
فلا زال في الدنيا جمالاً لأهلها   وزيناً لمن والاه رب المشاكل
فمن مثله في الناس أي مؤمل   إذا قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عادل غير طائش   يوالي إلهاً ليس عنه بغافل

وقوله من قصيدة أُخرى:

وتلقوا ربيع الأبطحين محمّداً   على ربوة في رأس عنقه عيطل
وتأوى إليه هاشم ان هاشماً   عرانين كعب آخر بعد أوّل

وقوله من أُخرى:

فلا تسفهوا أحلامكم في محمّد   ولا تتبعوا أمر الغواة الأشائم
تمنيتم أن تقتلوه وإنّما   أمانيّكم هذي كأحلام نائم
وانكم والله لا تقتلونه   ولما روا قطف اللحى والجماجم
زعمتم بأنّا مسلمون محمّداً   ولمّا نقاذف دونه ونزاحم
من القوم مفضال ابيّ على العدى   تمكن في الفرعين من آل هاشم
أمين حبيب في العباد مسوم   بخاتم ربّ قاهرٍ في الخواتم
يرى الناس برهاناً عليه وهيبة   وما جاهل في قومه مثل عالم
نبيّ أتاه الوحي من عند ربّه   ومن قال ـ لا ـ يقرع بها سنّ نادم

ومن ذلك قوله وقد غضب لعثمان بن مظعون الجمحي حين عذبته قريش ونالت منه:

أمن تذكر دهر غير مأمون ... أصبحت مكتئباً تبكي كمحزون
أم من تذكر أقوام ذوي سفه ... يغشون بالظلم من يدعو إلى الدين
ألا ترون أذل الله جمعكم ... انّا غضبنا لعثمان بن مظعون
ونمنع الضيم من يبغي تضيمنا ... بكل مطرد في الكفّ مسنون
ومرهفات كان الملح خالطها ... يشفي بها الداء من هام المجانين
حتى تقرّ رجال لا حلوم لها ... بعد الصعوبة بالاسماح واللين
أو يؤمنوا بكتاب منزل عجب ... على نبي كموسى أو كذي النون

هذا وانّ قارء السيرة عن أي كاتب شاء لا يرى قائلاً في محمّد ﷺ قول خير من مبتعثه إلى قبيل هجرته فضلاً عن ان يلمس مادحاً له ما سوى أبي طالب شيخ البطحاء والذي تفتقت أشداقه بمثل هذا المديح الذي تلوته والذي يعرب بكل حرف من حروفه عن نزول محمّد من صدر أبي طالب منزل السموّ والعظمة منزل الأرواح اللاهوتية والملكوتية ممن يقدسها ويؤمن بها وفي كل مادة من هذه المواد الستّ التي أسلفناها عبرة واضحة واعتبار صادق يأخذان بضبع أبي طالب إلى أوج العظمة الروحية والتأثير بأشعة الروح اللاهوتية ويشهدان له بالمعنى الحقيقي من الكشف الحقيقي وان الرجل درس خلقة محمّد من يوم صوّره باريه في رحم اُمّه إلى ما بعد بعثته بعشر سنين درساً لم تفته منه ذرة من ذرات حياته ومن يكن بهذا الوصف يحال عليه الجحود والانكار إذ لا يعقل الجحود في المحسوسات المتكررة آناً بعد آن.

وإلى هنا نختم البحث حول حياة أبي طالب مشيّد صروح الإسلام والحامي

الوحيد لداعيته والمروج لدين الله بكل قواه طيلة عشر سنين بلا مماراة فضلاً عن قيامه بشؤون محمّد ﷺ وحياته من كافة جهاتها قبل بعثته قياماً يجب أن يشكره له ـ لا محمّد وحده ـ بل كل محب لمحمد معتز بدين الإسلام.

وأمّا هذه الاسفافات التي يدوّنها تلامذة عمران بن حطان وهواة المغيرة بن شعبة وشيعة آل الحكم وآل أبي سفيان وخريجوا مدرسة الدجالين من أبي هريرة وعروة بن الزبير ونظائرهم ويقولون فيها لولا قربى محمّد من أبي طالب لكان في الدرك الأسفل من النار وان في رجلي أبي طالب نعلين من نار يغلي منهما دماغه فتلك من ايحاءات الجن الذين قتلوا سعد بن عبادة انتصاراً لدولة الشيخين هذا وانهم يروون عن صاحب الرسالة انّ المعرفة لتؤثر في الكلب العقور فكيف غاب عنهم انّ الله أجلّ من كل شكور فكيف يجازي خدمات أبي طالب في دينه تلك الخدمات الفائتة عن العدوّ الاحصاء بما يجازي به أعدائه الألداء ويفتح حضني الجنة لأبي سفيان والحكم بن أبي العاص وأمثال هذه الزعانف الذين يحكم أبناء التسنن بأنّهم صحابة رسول الله ويكيلون لهم المحاسن بالمكيال الذي يكيلون به للصحابي بما هو صحابي ؛ ولا يفوت قارء هذه الترجمة ما حررنا آنفاً عن موقف أبي طالب فإنّ فيه دروساً عالية.

خديجة بنت خويلد

قال ابن اسحاق [١]: هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر ؛ وأُمّها فاطمة بنت زائدة بن الأصم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر ؛

---

(١) السيرة الهشامية ج ١ ص ٢٠٥.

وأُم فاطمة : هالة بنت عبد مناف بن الحرث بن عمرو بن منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر : وأُم هالة : قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر .

وقال ابن حجر في الاصابة (عندما ترجم لها) قال الزبير بن بكار : كانت تدعى قبل البعثة الطاهرة وكانت عند أبي هالة بن زرارة بن النباش بن عدي التميمي أوّلاً ثمّ خلف عليها بعد أبي هالة عتيق بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ثمّ خلف عليها رسول الله ﷺ هذا قول ابن عبد البر ونسبه للأكثر .

وعن قتادة عكس هذا ، انّ أوّل أزواجها عتيق ثمّ أبو هالة ووافقه ابن اسحاق في رواية يونس بن بكير عنه وكذا في كتاب النسب للزبير بن بكار لكن حكى القول الأخير أيضاً عن بعض الناس وكان تزويج النبي خديجة قبل البعثة بخمس عشرة سنة وقيل أكثر من ذلك وكانت موسرة وكان سبب رغبتها فيه ما حكاه لها غلامها ميسرة مما شاهده من علامات النبوة قبل البعثة ومما سمعته من بحيرى الراهب في حقه لما سافر معه ميسرة في تجارة خديجة وولدت من رسول الله ﷺ أولاده كلهم إلّا ابراهيم ـ اهـ : ملخصاً ـ .

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب (عندما ترجم لها) : وكانت إذ تزوجها رسول الله ﷺ بنت أربعين سنة فأقامت معه اربعاً وعشرين سنة وتوفيت وهي بنت أربع وستين سنة وستة أشهر وكان رسول الله ﷺ إذ تزوج خديجة ابن احدى وعشرين سنة وقيل ابن خمس وعشرين سنة وهو الأكثر وقيل ابن ثلاثين سنة وأجمعوا انها ولدت له أربع بنات كلهن أدركن الإسلام وهاجرن وهن زينب وفاطمة ورقية وأُم كلثوم وأجمعوا انها ولدت له ابناً يسمى القاسم وبه كان يكنى وزعم بعض العلماء انها ولدت له ولداً يسمى الطاهر وقال بعضهم ما نعلمها ولدت له إلّا القاسم وولدت له بناته الأربع .

وقال قتادة : ولدت له خديجة غلامين وأربع بنات القاسم وبه كان يكنى وعاش حتى مشى وعبد الله مات صغيراً ، وقال الزبير : ولد لرسول الله ﷺ القاسم وهو أكبر ولده ثمّ زينب ثمّ عبد الله وكان يقال له الطيب ويقال له الطاهر ولد بعد النبوة ثمّ أُم كلثوم ثمّ فاطمة ثمّ رقية هكذا الأوّل فالأوّل ثمّ مات القاسم بمكة وهو أوّل ميت مات من ولده ثمّ مات عبد الله أيضاً بمكة وقال مصعب الزبيري ولد لرسول الله ﷺ القاسم وبه كان يكنى وعبد الله وهو الطيب والطاهر لأنّه ولد بعد الوحي وزينب وأُم كلثوم ورقية وفاطمة أُمهم كلهم خديجة ففي قول مصعب وهو قول الزبير وأكثر أهل النسب انّ عبد الله بن رسول الله هو الطيب وهو الطاهر له ثلاثة أسماء وقال علي بن عبد العزيز الجرجاني النسابة : أولاد رسول الله القاسم وهو أكبر أولاده ثمّ زينب. وقال ابن الكلبي زينب ثمّ القاسم ثمّ أُم كلثوم ثمّ فاطمة ثمّ رقية ثمّ عبد الله وكان يقال له الطيب والطاهر. قال : وهذا هو الصحيح وغيره تخليط.

قال ابن عبد البر : لا يختلفون انّ رسول الله لم يتزوج في الجاهلية غير خديجة ولا تزوج عليها أحداً من نساءه حتى ماتت ولم تلد له من المهارى غيرها واختلف في وقت وفاتها فقال أبو عبيدة معمر بن المثنى توفيت خديجة قبل الهجرة بخمس سنين وقيل بأربع سنين وكانت وفاتها قبل تزويج رسول الله ﷺ عائشة.

وقال قتادة : توفيت خديجة قبل الهجرة بثلاث سنين. قال أبو عمر : قول قتادة عندي أصح لرواية عروة انّه قال : توفيت خديجة قبل مخرج النبي بثلاث سنين أو نحو ذلك وعن عروة عن عائشة قالت : توفيت خديجة قبل أن تفرض الصلاة قال أبو عمر : يقال انها كانت وفاتها بعد موت أبي طالب بثلاثة أيّام وقيل انها كانت يوم توفيت بنت خمس وستين سنة توفيت في شهر رمضان ودفنت في

الحجون ذكره محمّد بن عمر وغيره ـ اﻫ: ملخصاً ـ.

وقال الحاكم [١]: عن جابر قال: استأجرت خديجة رضوان الله عليها رسول الله ﷺ سفرتين إلى جرش كل سفرة بقلوص. صححه الحاكم وأقرّه الذهبي.

عن الزهري قال: ان أوّل امرأة تزوجها رسول الله ﷺ خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى تزوجها في الجاهلية وأنكحها أبوها خويلد بن أسد.

أقول أنا: هذه نقطة خلافية تقدم بعض القول فيها آنفاً.

عن محمّد بن اسحاق انّ أبا طالب وخديجة بنت خويلد هلكا في عام واحد وذلك قبل مهاجر النبي ﷺ إلى المدينة بثلاث سنين ودفنت خديجة بالحجون ونزل في قبرها رسول الله ﷺ وكان لها يوم تزوجها ثمان وعشرون سنة قال محمّد وكنية خديجة أُم هند وكان لها ابن وابنة حين تزوجها رسول الله وأُم خديجة فاطمة بنت زائدة بن الأصم وامها هالة بنت عبد مناف.

عن هشام بن عروة قال: توفيت خديجة بنت خويلد وهي ابنة خمس وستين سنة هذا قول شاذ فإنّ الذي عندي انها لم تبلغ ستين سنة. عن ابن عباس قال: ولدت خديجة لرسول الله ﷺ غلامين وأربع نسوة القاسم وعبد الله وفاطمة وزينب ورقية وأُم كلثوم.

عن الزهري عن عروة عن عائشة [٢] قالت: أوّل ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم كان لا يرى رؤيا إلّا جائته مثل فلق الصبح ثمّ حبّب إليه الخلاء فكان يأتي جبل حراء فيتحنث وهو التعبد حتى فاجئه الحق وهو في غار حراء فجائه الملك فيه فقال اقرأ قال فقلت ما أنا بقارىء قال

---

(١) المستدرك ج ٣ ص ١٨٢.

(٢) المصدر نفسه: ص ١٨٣.

فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثمّ أرسلني فقال لي ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ * ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ قال: فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال: زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال: يا خديجة مالي فأخبرها الخبر وقال قد خشيت عليّ فقالت له كلا أبشر فوالله لا يحزنك الله أبداً انك لتصل الرحم وتصدق في الحديث وتحمل الكلّ وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ثمّ انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عمر خديجة أخي أبيها وكان امرءً تنصّر في الجاهلية وكان يكتب العربية ويكتب بالعربية من الانجيل ما شاء الله أن يكتب فكان شيخاً كبيراً قد عمي قالت خديجة: أي ابن عم اسمع من ابن أخيك، قال ورقة بن نوفل: يا ابن أخي ماذا ترى فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى فقال ورقة: هذا الناموس الذي أُنزل على موسى عليه السلام. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ولم يتعرض له الذهبي بسوء.

عن عليّ [(١)] قال: سمعت رسول الله يقول خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة. وعن هشام بن عروة عن أبيه عبد الله بن جعفر قال: قال النبي ﷺ: أمرت أن أُبشّر خديجة ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب.

عن ابن شهاب عن عروة [(٢)] قال: قالت عائشة لفاطمة بنت رسول الله ﷺ: ألا أُبشرك أنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول سيدات نساء أهل الجنة أربع مريم

---

(١) المصدر نفسه: ص ١٨٤.

(٢) المصدر نفسه: ص ١٨٥.

بنت عمران وفاطمة بنت رسول الله وخديجة بنت خويلد وآسية. صححه الذهبي على شرط الشيخين.

عن هشام بن عروة عن أبيه [١] عن عائشة قالت: ما حسدت امرأة ما حسدت خديجة وما تزوجني رسول الله إلّا بعدما ماتت وذلك انّ رسول الله بشّرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب. صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقرّه الذهبي كما هو.

عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: لم يتزوج النبي ﷺ على خديجة حتى ماتت قالت عائشة ما رأيت خديجة قط ولا غرت على امرأة من نسائه أشد من غيرتي على خديجة وذلك من كثرة ما كان يذكرها. صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

خروج النبي إلى الطائف بعد موت عمه أبي طالب

قال ابن اسحاق [٢]: ولمّا هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تنال منه في حياة عمه أبي طالب فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه ورجاء أن يقبلوا منه ما جائهم به من الله عزوجل فخرج اليهم وحده؛ قال ابن اسحاق فحدثني يزيد بن زياد عن محمّد بن كعب القرظي قال لما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم وهم اخوة ثلاثة عبد ياليل بن عمرو وبن عمير، ومسعود بن عمرو بن عمير، وحبيب بن عمرو بن عمير، وعند

---

(١) المصدر نفسه: ص ١٨٦.

(٢) السيرة الهشامية ج ٢ ص ٢٨.

أحدهم امرأة من قريش من بني جمح فجلس اليهم رسول الله ﷺ فدعاهم إلى الله وكلمهم بما جائهم له من نصرته على الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال له أحدهم هو يمرط [١] ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك. وقال الآخر أما وجد الله أحداً يرسله غيرك. وقال الثالث والله لا أُكلمك أبداً لئن كنت رسولاً من الله كما تقول، لأنت أعظم خطراً من أن أردّ عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أُكلمك فقام رسول الله من عندهم وقد يئس من خير ثقيف وقد قال لهم فيما ذكر لي إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه عنه فيذئرهم [٢] ذلك عليه فلم يفعلوا وأغروا به سفهائهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع على الناس وألجؤوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه فعمد إلى ظل حبلة [٣] من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران إليه ويريان ما لقي من سفهاء أهل الطائف وقد لقى رسول الله ﷺ فيما ذكر لي المرأة التي من بني جمح فقال لها ماذا لقينا من أحمائك فلما اطمئن رسول الله ﷺ قال فيما ذكر لي: اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلّة حيلتي وهواني على الناس يا ارحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري ان لم يكن بك علي غضب فلا أُبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو يحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلّا بك.

---

(١) يمرط أي يمزق.

(٢) أي يحركهم عليه ليتحرشون به.

(٣) هي الطاقات تصنع من قضبان شجر العنب.

أقول أنا: لا شبهة انّ مثل هذا الموقف يحرج الغيور ويحرّك عاطفة المحترم وينزل به من التأثر ما لا عاصم منه إلّا التصبر ولذلك هاج برسول الله ما يجده من ضعف الوضع إلى نهايته وانعدام الحامي عنه بالمرة الواحدة وضاقت عليه بدعوته مذاهب الدنيا وحتى بمثل سم الخياط فلما ان طغت به الهموم ووجد نفسه في عوالم الملك والملكوت وحيداً محاطاً به توجّه بكله وبجميع ما فيه من أمل حار إلى الله وحده وقال بلسان مديد في التعبير عن هواجسه اللاذعة (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي) ضعفاً أدّى بي إلى ان عجزت وحتى عن دفاع السفهاء والعبيد وضعفة الناس (وقلّة حيلتي) فلم أر لي فيما يحيط بي من كل موجود كائناً ما كان ناصراً ولا حامياً ولا متأثراً (وهواني على الناس) حتى انّه لا يعبأ بي أحقرهم وأفقرهم وأقلّهم وأذلهم (يا ارحم الراحمين) هذا تحريك منه لرحمة ربه واستجلاباً لها إليه لتكون له حصناً منيعاً يعتز به (انت رب المستضعفين) الذين لا يجدون ملجئاً في حنايا الوجود إلّا أنت (وأنت ربي) مقراً لك بالربوبية إذ جحدك الغير (إلى من تكلني) وقد تقطعت بي الأسباب (إلى بعيد يتجهمني) أي ينظر اليّ بوجه كالح وطلعة متجهمة عابسة (أم إلى عدو ملكته أمري) وجعلته عالياً على محنة له وفتنة به (ان لم يكن بك علي) وأنا أخص عبيدك بك (غضب) استثمر من نتائجه عزة موقفي واحترام جانبي (فلا أُبالي) ومهما جرّت علي الدواهي (ولكن عافيتك هي أوسع لي) فإن لم أحظ بأملي منك عاجلا ففي الآجل منك بلغة وكفاية (أعوذ) من كلما أخافه (بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة) وأتحصن بعزيز شأنك وعظيم جاهك (من أن تنزل بي غضبك أو يحل علي سخطك) لشيء وان كنت لا أدريه (لك العتبى) أي الاستسلام مني لكل قضاء أجريته علي (حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلّا بك) فهو ﷺ على ما احتشد فيه من هم مبرح وغم قد ضايقه على صبره

لم يعط متانته من يده امام حضرة ربه وهكذا شأن العارفين بالله الفانين في ذات الله .

قال ابن اسحاق فلما رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة وما لقي تحرّك له رحمهما فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له عدّاس فقالا له خذ قطفاً من هذا العنب فضعه في هذا الطبق ثمّ اذهب إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه ففعل عداس ثمّ أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ ثمّ قال له كل فلما وضع رسول الله ﷺ فيه يده قال بسم الله ثمّ أكل فنظر عداس في وجهه ثمّ قال والله انّ هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد فقال له رسول الله ﷺ ومن أهل أي البلاد أنت يا عداس وما دينك قال نصراني وأنا رجل من أهل نينوى فقال له رسول الله من قرية الرجل الصالح يونس بن متّى فقال عداس وما يدريك ما يونس بن متى فقال رسول الله ﷺ ذاك أخي كان نبياً وأنا نبي فأكبّ عدّاس على رسول الله يقبل رأسه ويديه وقدميه .

قال: يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه أمّا غلامك فقد أفسده عليك فلما جائهما عدا قالا له ويلك يا عداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه قال: ياسيدي ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلّا نبي، قالا له ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك فإنّ دينك خير من دينه .

قال ابن اسحاق ثمّ انّ رسول الله ﷺ انصرف من الطائف راجعاً إلى مكة حين يئس من خير ثقيف حتى إذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلي فمر به النفر من الجن الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى وهم فيما ذكر لي سبعة نفر من جنّ أهل نصيبين فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته ولّوا إلى قومهم منذرين قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا فقصّ الله خبرهم عليه ﷺ قال الله عزوجل (سورة ٤٦ آية ٢٩ إلى ٣١): ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْآنَ ﴾ إلى قوله

تعالى: ﴿ وَيُجِرْكُم مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾. وقال تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴾ [١] إلى آخر القصة من خبرهم في هذه السورة.

أقول أنا: قال الطبرسي في تفسيره على هذا الموضع من سورة الأحقاف: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْآنَ ﴾ معناه واذكر يا محمّد إذ وجّهنا اليك جماعة من الجن تسمع القرآن وقيل معناه صرفناهم اليك عن بلادهم بالتوفيق والألطاف حتى أتوك وقيل صرفناهم اليك عن استراق السمع من السماء برجوم الشهب ولم يكونوا بعد عيسى قد صرفوا عنه فقالوا ما هذا الذي حدث في السماء إلّا من أجل شيء قد حدث في الأرض فضربوا في الأرض حتى وقفوا على النبي ﷺ ببطن نخلة عامداً إلى عكاظ وهو يصلي الفجر فاستمعوا القرآن ونظروا كيف يصلي.

عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعلى هذا فيكون الرمي بالشهب لطفاً بالجن.
ثمّ ساق الطبرسي عن الزهري ما سقناه نحن عن ابن اسحاق من مسير رسول الله إلى الطائف وحديثه مع ثقيف وابني ربيعة وعداس باختلاف يسير ثمّ قال فرجع رسول الله ﷺ إلى مكة حتى إذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلي فمرّ به نفر من جن أهل نصيبين من اليمن فوجدوه يصلي صلاة الغداة ويتلو القرآن فاستمعوا له وهذا معنى قول سعيد بن جبير وجماعة. وقال آخرون: أمر رسول الله ﷺ أن ينذر الجن ويدعوهم إلى الله سبحانه ويقرأ عليهم القرآن فصرف الله إليه نفراً من الجن من نينوى فقال ﷺ: اني أُمرت أن أقرأ على الجن الليلة فأيكم يتبعني فأتبعه عبد الله بن مسعود قال عبد الله ولم يحضر معه أحد غيري فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلا مكة دخل نبي الله شعباً يقال له شعب الحجون وخطّ

---

(١) سورة ٧٢: الآية ١.

لي خطاً ثمّ أمرني أن أجلس فيه وقال لا تخرج منه حتى أعود إليك ثمّ انطلق حتى قام فافتتح القرآن فغشيته اسودة كثيرة حتى حالت بيني وبينه حتى لم أسمع صوته ثمّ انطلقوا وطفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين حتى بقي منهم رهط وفرغ رسول الله مع الفجر فانطلق فبرز ثمّ قال: هل رأيت شيئاً فقلت نعم رأيت رجالاً سوداً مستثفري ثياب بيض قال أُولئك جنّ نصيبين.

وروى علقمة عن عبد الله قال: لم أكن مع رسول الله ليلة الجن ووددت أني كنت معه. وروى عن ابن عباس انهم كانوا سبعة نفر من جنّ نصيبين فجعلهم رسول الله ﷺ رسلاً إلى قومهم قال: زر بن حبيش كانوا تسعة نفر منهم زوبعة وروى محمّد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: لما قرأ رسول الله ﷺ الرحمن على الناس سكتوا فلم يقولوا شيئاً فقال رسول الله ﷺ الجنّ كانوا أحسن جواباً منكم فلما قرأت عليهم فبأي آلاء ربكما تكذبان قالوا لا ولا بشيء من آلاء ربنا نكذب.

وقال الشوكاني في تفسيره على هذا الموضع من سورة الأحقاف: أخرج ابن أبي شيبة وابن منيع والحاكم وصححه وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل عن ابن مسعود قال: هبطوا يعني الجن على النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة فلما سمعوه قالوا: أنصتوا، قالوا صه، وكانوا تسعة أحدهم زوبعة فأنزل الله ﴿ **وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ** ﴾ إلى قوله ﴿ **ضلال مبين** ﴾.

وأخرج أحمد وابن جرير وابن مردويه عن ابن الزبير: وإذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن: قال بنخلة ورسول الله يصلي العشاء الآخرة؛ كادوا يكونون عليك لبدا؛ وأخرج ابن جرير والطبراني وابن مردويه: وإذ صرفنا اليك نفراً من الجن، الآية ـ قال كانوا تسعة نفر من أهل نصيبين فجعلهم رسول الله رسلاً إلى قومهم. وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن مردويه وأبو نعيم عنه

نحوه، وقال: أتوه ببطن نخلة.

وأخرج الطبراني في الاوسط وابن مردويه عنه أيضاً قال: صرفت الجن إلى رسول الله ﷺ مرتين وكانوا أشراف الجن بنصيبين؛ وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن مسروق قال: سألت عبد بن حميد وأحمد ومسلم والترمذي عن علقمة قال: قلت لابن مسعود هل صحب رسول الله ﷺ منكم أحداً ليلة الجن قال: ما صحبه منا أحد ولكنا فقدناه ذات ليلة فقلنا اغتيل ـ استطير ـ ما فعل قال فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما كان في وجه الصبح إذا نحن به يجيء من قبل حراء فأخبرناه فقال انّه أتاني داعي الجن فأتيتهم فقرأت عليهم القرآن فانطلق فأرانا آثار نيرانهم.

وأخرج أحمد عن ابن مسعود قال: كنت مع رسول الله ﷺ ليلة الجن وقد روى نحو هذا من طرق والجمع بين الروايات بالحمل على قصتين وقعت منه ﷺ مع الجن حضر احداهما ابن مسعود ولم يحضر في الأُخرى وقد وردت أحاديث كثيرة انّ الجن بعد هذا وفدت على رسول الله ﷺ مرة بعد مرة وأخذوا عنه الشرائع.

أقول أنا: قال سبحانه في سورة الأحقاف (آيات ٢٩ و ٣٠ و ٣١) ﴿ **وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ** ﴾ أي كشفنا لهم ما كان داعياً لتوجههم اليك وقصدهم إيّاك ليقفوا من شريعتك على خبر ويقين علم ﴿ **يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ** ﴾ الذي هو آية دعوتك وتبيان شريعتك ﴿ **فَلَمَّا حَضَرُوهُ** ﴾ أي حضروا القرآن لأنّه الهدف من الشريعة والمعرّف عن الداعي والمشرّع ﴿ **قَالُوا** ﴾ أي قال بعضهم لبعض ﴿ **أَنصِتُوا** ﴾ أي اجمعوا حواسكم واستحضروا أذهانكم لتعوا ما فيه وتفهموا عنه ما جئتم له ﴿ **فَلَمَّا قُضِيَ** ﴾ أي أتمّ الرسول تلاوته منه واستمعوا إلى طرف من آياته فعقلوا عنها ما أفادهم بصيرة بهذه الشريعة الجديدة فيما يعهدون ﴿ **وَلَّوْا إِلَىٰ**

قَوْمِهِم مُنذِرِينَ ﴾ يشرحون لهم ما شهادوا ويشركونهم فيما استفادوا ويحذرونهم ما حذرهم الله به فلما جاء هؤلاء النفر قومهم ﴿ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا ﴾ في توجهنا هذا ﴿ سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ ﴾ على محمّد ﴿ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ من الرسل الماضين والكتب السابقة ﴿ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ﴾ ويحقه ﴿ وَ ﴾ يوجه المكلفين ﴿ إِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ يتصل بالنتائج الصادقة والمقاصد الصالحة ويوفي بسالكه إلى خير عميم ﴿ يَا قَوْمَنَا ﴾ أي بعد أن أحطناكم علماً بهويته وجئناكم بصادق خبره ﴿ أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ ﴾ وهو محمّد بن عبد الله نبي الإسلام إلى ما يدعوكم له ﴿ وَآمِنُوا بِهِ ﴾ أي اطمئنوا إلى جهته واعزموا عقائدكم على التصديق به ﴿ يَغْفِرْ لَكُم ﴾ ربكم ﴿ مِن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أعدّه الله لكل من تميّز الحق وانحرف عنه وعرف الحقيقة ولم يتصل بها.

سورة الجنّ

قال الطبرسي: مكية وهي ثمان وعشرون آية وروى الواحدي باسناده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ما قرأ رسول الله على الجن وما رآهم؛ انطلق رسول الله في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا مالكم قالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب قالوا ما ذاك إلّا من شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فمرّ النفر الذين أخذوا نحو تهامة بالنبي وهو بنخلة عامداً إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا إلى قومهم وقالوا انّا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً فأوحى الله تعالى إلى نبيه ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ ﴾. ورواه

البخاري ومسلم أيضاً في الصحيح وساق بعد ذلك شيئاً مما آنفناه في التحديث عن آيات سورة الأحقاف ـ اهـ ملخصاً .

وقال الشوكاني : سورة الجن هي ثمان وعشرون آية وهي مكية . قال القرطبي في قول الجميع ؛ وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال : نزلت سورة الجن بمكة . وأخرج ابن مردويه عن عائشة وابن الزبير مثله ؛ قال : وأخرج ابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل عن ابن مسعود قال : خرج رسول الله قبل الهجرة إلى نواحي مكة فخط لي خطاً وقال : لا تحدثن شيئاً حتى آتيك ثمّ قال : لا يهولنك شيء تراه فتقدم شيئاً ثمّ جلس فإذا رجال سود كأنهم رجال الزط وكانوا كما قال الله تعالى ﴿ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً ﴾ .

وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس في الآية قال : لما سمعوا النبي يتلو القرآن كادوا يركبونه من الحرص لما سمعوه ودنوا منه فلم يعلم بهم حتى أتاه الرسول فجعل يقرؤه قل اوحي اليّ أنّه استمع نفر من الجن . وأخرج عبد بن حميد والترمذي وصححه وابن جرير والحاكم وصححه وابن مردويه والضياء في المختارة عنه أيضاً في الآية قال : لما أتى الجن إلى رسول الله وهو يصلي بأصحابه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده عجبوا من طواعية أصحابه فقالوا لقومهم لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا .

أقول أنا : قال سبحانه بايحائه إلى نبيّه محمّد ﷺ ﴿ قُلْ ﴾ يا محمّد لعموم من يسمعك لا تخص بذلك مؤمناً بك على منكر لك فإنّ دعوة القرآن عامة ﴿ أُوحِيَ إِلَيَّ ﴾ من الله سبحانه الذي يعلم الغيب وما يخفى ﴿ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ ﴾ للقرآن عندما كنت أتلوه ما قاصداً بأن أسمعهم إيّاه أو كنت أتلوه عفواً لخاصة نفسي أو لأصحاب مؤمنين كانوا بازائي أو أتلوه على الناس لا أخص فريقاً دون فريق ﴿ فَقَالُوا ﴾ أي قال الذين استمعوا لمن لم يحضر السماع منهم

﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً ﴾ أي مقروءً يثير في النفس العجب والاستغراب لفخامة تراكيبه وطراوة اسلوبه وضخامة معانيه ولصوق ما يتناوله من معنى بالواقع: برنامج هذا القرآن وهويته المشخصة له انّه...

﴿ يَهْدِي إِلَى ٱلرُّشْدِ ﴾ أي طريق الصواب والحق ﴿ فَآمَنَّا بِهِ ﴾ لما سمعناه وتميزناه وعرفنا انّه لا يكون هذا إلّا من مصدر غير مصدر الخلق مصدر لا تعرفه التسويلات النفسية وليست من واديه، مصدر انكشفت له الحقائق أتم انكشاف، مصدر هدفه الوحيد الارشاد والاصلاح وتوجيه الكائنات القابلة للتكليف والتوجيه إلى ما فيه سعادتها وهداها ﴿ وَلَن نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً ﴾ لأنّه أفادنا ببراهينه الواضحة ان كل ما تدعي له الشركة قاصر عنها بعيد عن محاذاتها كل البعد أجنبي بالمرة عن أن يكون مصدراً لدفع الضر وجلب الخير وتسخير الطبيعة إلى مقتضيات المصالح الراهنة وان الأُمور بأسرها قبضة خالقها وهو المبدأ الأزلي الذي كلما يفرض سواه مخلوق له وخاضع لحكومته بالقسر والقهر.

﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ ﴾ أي عظم كل العظمة ﴿ جَدُّ رَبِّنَا ﴾ أي شرفه وما طلع به من جلال وعزة ﴿ مَا ٱتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَداً ﴾ فكأنّ القرآن افادهم بسرعة خاطفة انّ بارئ الكون وجود مجرد عن المادة ولواحقها ومن يكون بهذا الوصف فلا صاحبة له ولا ولد ولا أي قريب أو بعيد مما ينتسب للمادة.

﴿ وَأَنَّهُ كَانَ ﴾ قبل أن يعرفنا القرآن بحقيقة ربنا ﴿ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطاً ﴾ من القول عندما ينسب له الصاحبة والولد والشريك وما هو من شؤون المادة والتجسيم.

﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّا ﴾ قبل هذا ﴿ أَن لَن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً ﴾ عندما تنسبه إلى نسب نزّه نفسه منها في قرآنه وكنا فيما سبق نعير تلك النسب اذناً واعية وأنفساً مصدقة حتى انكشفت لنا الحقائق الصادقة باستماعنا لآي القرآن

ففندنا ظنوننا السابقة ومزاعمنا الآنفة .

﴿ وَأَنَّهُ كَانَ ﴾ قبل شريعة القرآن وبيانها للناس البيان الوافي بأنّ مبدأ التصرف في كل شؤون الطبيعة ومنتهاه منحصر بواحد فذّ هو الله الذي خلق الجميع وبيده وحده أزمة تصريفها ﴿ رِجَالٌ مِنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ ﴾ في المخاوف التي تـهيج فـي أنفسهم وتملأ أوهامهم ﴿ بِرِجَالٍ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴾ على بعدهم عـنهم مـرأى ومسـمعاً فكان الرجل من أهل الشرك إذا هبط الوادي ليلاً وملأته الوحشة الغـالبة عـلى حواسه قال أعوذ بعزيز هذا الوادي من شر سفهاء قومه بناءً منه انّ ذلك يجديه في مقام نزول السوء به ﴿ فَزَادُوهُمْ ﴾ أي زاد الجـن المـتعوّذ بـهم الانس العـائذين ﴿ رَهَقاً ﴾ أي خوفاً على خوف وذلك انهم لما تمركز في أذهـانهم هـذا الوهـم والخيال نزل من نفوسهم منزل العظمة فكانوا يخافون تصوراتهم في الدن وهـم على وسائدهم في بطون بيوتهم بعد أن كانوا لا يعرفون هذه الخواطر المزعجة إلّا في المواقع الموحشة ...

﴿ وَأَنَّهُمْ ﴾ أي اولئك الذين كانوا يلجأون إلى الجن ويتعوذون بهم زعماً منهم انهن نافذون في المقدرات أقوياء على تصريف الأُمور عظماء في تسخير الطبيعة ﴿ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ ﴾ أنتم أيّها الجن قبل أن تستمعوا إلى القـرآن وتكسـبوا مـنه المعارف الثمينة في شأن الخالق وألطافه بعباده وارسـاله الرسـل فـي الفـترات المتناوبة لتعديل عقائدهم وتغذية أرواحهم وشحذ أفكارهم ﴿ أَن لَن يَبْعَثَ ٱللَّـهُ أَحَداً ﴾ بعدما بعث الرسل الماضين والأنبياء السالفين أو ان الله إذا توفى الأنفس في موتها لا يبعثها للحشر والحساب والمجازاة على الحسـن بـالحسن وعـلى السيء بالسيء وانا نجد هذا القرآن يشيد بذكر محمّد ورسـالته ويـعتبر البـعث والنشور ضربة لازب لا مقيل منها ...

﴿ وَأَنَّا ﴾ في هذه الأوان ﴿ لَمَسْنَا ٱلسَّماءَ ﴾ أي قربنا منها كعادتنا فيما سلف

لنا قرب اللامس من ملموسه ﴿ فَوَجَدْنَاهَا ﴾ على وضع غير وضعها الأوّل ﴿ مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً ﴾ من الملائكة ﴿ وَشُهُباً ﴾ ثاقبة من الأنوار تمنعنا من النفوذ اليها والاستماع لها مما كنا نستفيده ونسمعه من صوت الملائكة وكلامهم...

﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ﴾ فلا نطرد ولا نرمى ﴿ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً ﴾ يخطفه في آن مقاربته...

﴿ وَأَنَّا لاَ نَدْرِي ﴾ بعد طروّ هذا الوضع الجديد الذي طرأ على السماء ﴿ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمِن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ فيرمون بالصواعق من فوقهم أو يخسف بهم من تحتهم ﴿ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً ﴾ بتغيير الحالة إلى هذه الحالة وهي إنزال آي هذا الكتاب المعجز وارسال هذا الرسول الجديد المنوّه بشأنه أكثر من سالفيه...

﴿ وَأَنَّا ﴾ معاشر الجن مثلكم يا معاشر الانس أشتات في العقيدة والعمل ﴿ مِنَّا ٱلصَّالِحُونَ ﴾ في عقائدهم وأعمالهم ﴿ وَمِنَّا دُونَ ذٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً ﴾ شتى متفاوتين في المذاهب...

﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّا ﴾ أي تجلى لنا الآن بوجه أقطع للحجة وأقوى وثوقاً في النفس عندما وجدنا السماء مملوءة علينا حرساً شديداً وشهباً ﴿ أَن لَن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ بعد أن قطعنا عن السماء قطعاً باتّاً ﴿ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَباً ﴾ فلا نفوته أينما نكون فنحن في قبضته على كل حال فإنّ قدرته على سماءه ليست بأكثر ولا بأشد من قدرته على أرضه هما جميعاً في قبضته يتصرف بهما تصرفاً واحداً...

﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰ ﴾ باستماعنا لهذا الكتاب الفائض بمعانيه العامر بما فيه ﴿ آمَنَّا بِهِ ﴾ لأنّه أثّر على عواطفنا تأثيراً صادقاً فاقتبسنا منه نور الايمان لأنفسنا ﴿ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّه ﴾ من أي المكلفين كان ﴿ فَلاَ يَخَافُ بَخْساً ﴾ نقصاناً مما له من اجر عيّنه الله سبحانه لأيمان المؤمنين ﴿ وَلاَ رَهَقاً ﴾ خوفاً من عذاب

الله فإنّ المؤمن في أمنٍ من مؤاخذة ربه إلّا بحقها...

﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ ﴾ لله الخاضعون لأوامره ونواهيه القائمون بتكاليفه ﴿ وَمِنَّا ٱلْقَاسِطُونَ ﴾ العادلون عن المحجة المنصوبة من المكلّف الموظفة للسلوك عليها بتعليم من الرسل ﴿ فَمَنْ أَسْلَمَ ﴾ لله وخضع لمقام حاكميته الشرعية ﴿ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً ﴾ أي طلبوا طريق الهداية فبعد ما دلّوا عليه سلكوه...

﴿ وَأَمَّا ٱلْقَاسِطُونَ ﴾ أي الجائرون عن عادل المحجة ﴿ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً ﴾ ووقوداً...

﴿ وَأَن لَّوِ ٱسْتَقَامُوا ﴾ هذا التفات من الله سبحانه من حديث الجن إلى حديث أراد أن يفيضه عن لسان ذاته صرفاً تعقباً لما سلف بالتشريح له وتحقيقاً لمفاده فقال انّ هؤلاء القاسطين ومن هو على نمطهم في الانحراف عن اطاعة المولى في أوامره ونواهيه لو استقاموا ﴿ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ ﴾ الحقة والمحجة العادلة ﴿ لَأَسْقَيْنَاهُم مَاءً غَدَقاً ﴾ أي رزقناهم رزقاً واسعاً ومهدنا لهم طرق المعيشة بما يرضونه...

﴿ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ أي لنختبرهم ونمتحنهم هل يشكرون نعم الله بموجبات الشكر أو يتخذون امداد الله لهم وسيلة يتصلون بها إلى ما لا يرضيه ﴿ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ ﴾ فلا يذكره بالربوبية ولا يقوم له في مقام العبودية ﴿ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً ﴾ أي ذاهباً في المشقة أشد مذهب أو صاعداً في الإنسان من أدناه إلى أعلاه...

﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَاجِدَ ﴾ وهي محالّ العبادة سميت باسم أظهر أفعالها في مزية الخضوع والتعبد وهو السجود ﴿ لِلَّهِ ﴾ أي مخصوصة به لا يشاد فيها إلّا ذكره ولا تجري فيها إلّا مراسم عبادته ﴿ فَلَا تَدْعُوا ﴾ فيها ﴿ مَعَ ٱللَّهِ أَحَداً ﴾ كائناً ما كان...

﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ ﴾ أي شرع النبي آخذاً بتحميده وتمجيده ﴿ يَدْعُوهُ ﴾

بما هو أهل له ويرتل كتابه وقرآنه ﴿ كَادُوا ﴾ من شدة تجمعهم حوله ولصوقهم به لأجل أن يعوا عنه ويتبلغوا في السماع منه ﴿ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً ﴾ أي كاللبدة على معاطف الأسد...

﴿ قُلْ ﴾ يا محمّد ﴿ إِنَّمَا ﴾ أنا في دعائي وعبادتي ﴿ أَدْعُوا رَبِّي ﴾ الذي خلقني كما خلق كل موجود ﴿ وَلاَ أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً ﴾ عظم أم حقر كبر أم صغر وكائناً ما كان...

و ﴿ قُلْ ﴾ أيضاً يا محمّد ﴿ إِنِّي لَا أَمْلِكُ ﴾ لنفسي ولا ﴿ لَكُمْ ضَرّاً وَلَا رَشَداً ﴾ وإنّما هذه التسخيرات من قبض وبسط وتضعيف وتقوية وايجاد واعدام وما يحيط بذلك ويتصل به بيد فاطر السموات والأرض القائم عليها وعلى ما فيها قيام ايجاد وتدبير وتصريف وتسخير...

و ﴿ قُلْ ﴾ أيضاً يا محمّد ﴿ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّـهِ ﴾ إذا خالفته بالمعصية وتمردت عليه في مقام الطاعة ﴿ أَحَدٌ ﴾ وأي أحد كان ﴿ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً ﴾ ملجئاً يكنني ويمنعني منه...

﴿ إِلَّا بَلاَغاً مِنَ ٱللَّـهِ ﴾ أي إنّما ينجيني من مؤاخذة الله سبحانه ابلاغي لمن أتمكن من ابلاغه كلما بلغني به الله ﴿ وَ ﴾ قيامي بـ ﴿ رِسَالاتِهِ وَمَن يَعْصِ ٱللَّـهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ﴾ جزاءً لتمردهم وتأديباً لهم على عصيانهم...

﴿ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا ﴾ هؤلاء العصاة المتمردون ﴿ مَا يُوعَدُونَ ﴾ به من ربهم سواءً في الدنيا كما فعل الله بأقوام نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى وغيرهم أو في الآخرة ﴿ فَسَيَعْلَمُونَ ﴾ هنالك ﴿ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِراً وَأَقَلُّ عَدَداً ﴾ هم أو دعاتنا...

﴿ قُلْ ﴾ يا محمّد لمن يقول لك في سؤاله أقريب وقوع ما يتوعد الله به العصاة

من عباده بالنقمة والهداة المهتدين منهم بالرحمة ﴿ إنْ أَدْرِي ﴾ أي لا أعلم ﴿ أَقَرِيبٌ ﴾ وقوع ﴿ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَداً ﴾ أي غاية وحدّاً مجهولين لعبده معلومين عنده فإنّه هو وحده...

﴿ عَالِمُ ٱلْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِه ﴾ أي علمه بالخفايا ﴿ أَحَداً ﴾ من مخلوقاته...

﴿ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ وانتجب لاستيداع سره ﴿ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ ﴾ سبحانه إذا أراد تخصيص رسوله بعلم ليكون به ممتازاً عن كافة الخليقة ويعرف به اعجازه وتخصصه بالغيب من الله ﴿ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً ﴾ من ملائكته المقربين يحفظون وديعة الله من ان تتخطفها مردة الشياطين فيلقوها على الكهنة والسحرة والمشعوذين فتقل العناية هنالك برسله وتضعف جنبتهم الاعجازية بادعاء وجود المثل والنظير...

﴿ لِيَعْلَمَ ﴾ الرسول ﴿ أَن قَدْ أَبْلَغُوا ﴾ أي الملائكة الراصدون للوحي ﴿ رِسَالاَتِ رَبِّهِمْ ﴾ التي كلفوا بحفظها وايصالها إلى عبده المنتجب لودائعه ﴿ وَأَحَاطَ ﴾ الله سبحانه ﴿ بِمَا لَدَيْهِمْ ﴾ أي لدى أنبيائه وملائكته بل كل من يملك ما يجوز أن يتعلق به العلم والكشف فإنّه محاط به من ربه علماً وخبرة ﴿ وَأَحْصَىٰ ﴾ الله سبحانه ﴿ كُلَّ شَيءٍ عَدَداً ﴾ ألا يعلم ما خلق...

دخول النبي مكة بعد رجوعه من الطائف

قال ابن سعد [١] من جملة حديث له: فانصرف رسول الله من الطائف راجعاً إلى مكة وهو محزون لم يستجب له رجل واحد ولا امرأة فلما نزل نخلة أقام بها

(١) الطبقات ج ١ ص ١٩٦.

أيّاماً فقال له زيد بن حارثة (ويعده ابن سعد رفيقاً للنبي في خروجه إلى الطائف) : كيف تدخل على قريش وهم أخرجوك فقال : يا زيد انّ الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً وان الله ناصر دينه ومظهر نبيه ثمّ انتهى إلى حراء فأرسل رجلاً من خزاعة إلى مطعم بن عدي ـ ادخل في جوارك ـ فقال نعم ودعا بنيه وقومه فقال تلبسوا السلاح وكونوا عند أركان البيت فأني قد أجرت محمّداً فدخل رسول الله ﷺ ومعه زيد بن حارثة حتى انتهى إلى المسجد الحرام فقام مطعم ابن عدي على راحلته فنادى يا معشر قريش اني قد أجرت محمّداً فلا يهجه أحد منكم فانتهى رسول الله ﷺ إلى الركن فاستلمه وصلّى ركعتين وانصرف إلى بيته ومطعم بن عدي وولده مطيفون به ـ اهـ.

وقال ابن كثير [١] : قد ذكر الأموي في مغازيه ان رسول الله بعث اريقط إلى الأخنس بن شريق فطلب منه أن يجيره بمكة فقال ان حليف قريش لا يجير على صميمها ثمّ بعثه إلى سهيل بن عمرو ليجيره فقال ان بني عامر بن لؤي لا تجير على بني كعب بن لؤي فبعثه إلى المطعم بن عدي ليجيره فقال نعم قل له فليأت فذهب إليه رسول الله فبات عنده تلك الليلة فلما أصبح خرج معه هو وبنوه ستة أو سبعة متقلدي السيوف جميعاً فدخلوا المسجد وقال لرسول الله طف واحتجوا بحمائل سيوفهم في المطاف فأقبل أبو سفيان إلى المطعم فقال أمجير أو تابع قال لا بل مجير قال إذا لا تخفر فجلس معه حتى قضى رسول الله طوافه فلما انصرف انصرفوا معه وذهب أبو سفيان إلى مجلسه قال فمكث أيّاماً ثمّ أذن له في الهجرة فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة توفي مطعم بن عدي بعده بيسير فقال حسان بن ثابت والله لأرثينه فقال فيما قال :

---

(١) البداية والنهاية ج ٣ ص ١٣٧ وما بعدها.

فلو كان مجد مخلد اليوم واحداً ... من الناس نحّي مجده اليوم مطعما
أجرت رسول الله منهم فأصبحوا ... عبادك ما لبّى محل وأحرما
فلو سألت عنه معد بأسرها ... وقحطان أو باقي بقية جرهما
لقالوا هو الموفي بخفرة جاره ... وذمته يوما إذا ما تجشما
وما تطلع الشمس المنيرة فوقهم ... على مثله فيهم أعزّ وأكرما
ابــاء إذا يأبى وألين شيمة ... وانوم عن جار إذا الليل أظلما

قال ابن كثير: ولهذا قال النبي ﷺ يوم اسارى بدر لو كان المطعم بن عدي حيّاً ثمّ سألني في هؤلاء النقباء لوهبتهم له.

أقول أنا: هنا يتجلى مقام أبي طالب بالنسبة إلى النبي ﷺ وتعرف حمايته وقيمة دفاعه وثمن قيامه دون دعوة الإسلام وبوزن طوال السنين التي عانى فيها ما عنى في سبيل بعثة ابن أخيه توزن شخصيته وشخوصه مناجزاً ومبارزاً وما أيّام مطعم من سني أبي طالب إلّا كساعة من عمر وآن من سلسلة أزمان وإذا كان النبي يطلق اسارى بدر جزاءً وفاقاً لحماية مطعم بن عدي له صبابة أيّام بقيها في مكة فما ليت شعري يكون جزاء أبي طالب وقد حماه عشر سنين حارة الموقف تلهب بالشر آناً بعد آن قاسى فيها ما لا يقاسيه انسان على مصلحة مهمة تعود لخاصة نفسه فلله درّك أبا طالب وعلى من حميت وآويت ونصرت وكفيت وعانيت في حفظه وكلائته وتقويته واعزازه ما عانيت جزاؤك الجزاء الموفور ولا تضع من رفيع مقامك وجلالة شأنك وخطر موقفك وعظيم دفاعك ومبارزتك الشرك والمشركين واعلاءك كلمة الله وسيد المرسلين كلمات تسوقها زعانف هذه المتعصبة التي تنتمي إلى الإسلام بالاسم وتجحده حقائقه بالتمحيص.

عرض النبي نفسه على القبائل

وروى ابن سعد[١] عن رجاله قالوا: أقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاث سنين من أوّل نبوته مستخفياً ثمّ أعلن في الرابعة فدعا الناس إلى الإسلام عشر سنين يوافي المواسم كل عام يتبع الحاج في منازلهم في المواسم بعكاظ ومجنّة وذي المجاز يدعوهم إلى أن يمنعوه حتى يبلّغ رسالات ربه ولهم الجنة فلا يجد أحداً ينصره ولا يجيبه حتى انّه ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة ويقول يا أيّها الناس قولوا لا إله إلّا الله تفلحوا وتملكوا بها العرب وتذل لكم العجز وإذا آمنتم كنتم ملوكاً في الجنة وأبو لهب وراءه يقول لا تطيعوه فإنّه صابىء كاذب فيردون على رسول الله أقبح الرد ويؤذونه ويقولون اسرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك ويكلمونه ويجادلونه ويكلمهم ويدعوهم إلى الله ويقول اللهم لو شئت لم يكونوا هكذا فكان من سمّى لنا من القبائل الذين أتاهم رسول الله ﷺ وعرض نفسه عليهم بنو عامر بن صعصعة ومحارب بن خصفة وفزارة وغسان ومرّة وحنيفة وسليم وعبس وبنو نضر وبنو البكاء وكندة وكلب والحارث بن كعب وعذرة والحضارمة فلم يستجب منهم أحد.

أقول: من سياق هذا الحديث وكل أحاديث السيرة مثله تقف على صورة تحقيقية من عقول عرب الجزيرة وانها إلى أي بطنان من أعماق الجهل والتوحش وضعف المدارك بلغت؛ كيف لم تستمع إلى أحسن كلام يلقى اليها فإنّ القرآن بشتى أساليبه وتفنن معانيه ليس له أقل نظير في تراكيب أهمّ بلغائهم بالتحدي الواضح وها نحن نجدهم يتطايرون شعاعاً لبيت شعر يقال في مدح القبيلة أو

---

(١) الطبقات ج ١ ص ٢٠٠ وما بعدها.

ذمها وتزيكة الشخص أو قدحه ؛ ثمّ كيف بعد أن يستمعوا له نراهم يقلدون من يخطأه ويتهمه بالباطل ؛ أترى ذاك وهذا كان منهم لجاجة وتعنتاً ـ لا ـ لأنّ هذه المرحلة إنّما تصح في حق الفهمة الذين يعون المنطق ويخالفونه لدواعي شخصية وامّا هؤلاء ففضلاً عن تأخر بيئتهم بهم قاصرون بأنظارهم إلى ما كان عليه فرطهم وسابقوهم من آباء وأجداد وأسلاف معتقدين انّ الحق مع الأقدمين منهم بالتقليد المحض وكل جامعة إذا نظرت حقائقها بأحداق غيرها واتهمت قابلياتها منسوبة إلى من تقدمها في الزمن تأخرت في الفضيلة طبعاً وإنّما يكون التقدم لقمة مستساغة لمن ينظر إلى نفسه بما يحتف بها من مقارنات توجب الانتشار أو العقم فلا يرتبط بأب ولا بابن فإنّ لكل من هذين ومن غيرهما ظرفاً ومعدات غير ظرفه ومعداته وهو مربوط بما يخصه لا بما يخص الأغيار.

وان تجدهم يتأثرون بالشعر قدحاً ومدحاً فذلك لأنّ مادته التي كانت تتبادل فيهم مادة محدودة لا تتجاوز المدح بالكرم والشجاعة والوفاء والقدح بالبخل والجبن والغدر وما إلى ذلك ومحور القرآن يدور على معارف لا قربى بينها وبين تيك المواد إلّا في طرف متأخر وامّا صميمها فهو تعديل وضع الانسانية وتقويم أو الأخلاق بطور مطلق وسوق العقول إلى الاستقلال في الدرك والحرية وترك التقليد والأخذ بالظنون تركاً باتاً فمن هنا تتجلى لك نقطة الضعف فيهم والتوحش في بيئتهم.

وقال ابن كثير في تاريخه [١]: قال موسى بن عقبة عن الزهري: فكان رسول الله في تلك السنين يعرض نفسه على قبائل العرب في كل موسم ويكلم كل شريف قوم لا يسألهم مع ذلك إلّا أن يؤوه ويمنعوه ويقول لا أكره أحداً منكم على

(١) البداية والنهاية ج ٣ ص ١٤٠.

شيء من رضى منكم بالذي أدعوه إليه فذلك ومن كره لم أكرهه إنّما اريد أن تحرزوني فيما يراد لي من القتل حتى أبلغ رسالة ربي وحتى يقضي الله لي ولمن صحبني بما شاء فلم يقبله أحد منهم وما يأتي أحداً من تلك القبائل إلّا قال قوم الرجل اعلم به أترون ان رجلاً يصلحنا وقد أفسد قومه ولفظوه وكان ذلك مما ذخره الله للأنصار وأكرمهم به.

وقال ابن اسحاق [١]: ثمّ قدم رسول الله ﷺ مكة (أي بعد رجوعه من سفر الطائف الآنف الذكر) وقومه أشدّ ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه إلّا قليلاً مستضعفين ممن آمن به فكان رسول الله يعرض نفسه في المواسم إذا كانت على قبائل العرب يدعوهم إلى الله ويخبرهم انّه نبي مرسل ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به.

قال ابن اسحاق: وحدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس قال: سمعت ربيعة بن عباد يحدثه أبي فقال: إني لغلام شاب مع أبي بمنى ورسول الله ﷺ يقف على منازل القبائل من العرب فيقول: يا بني فلان اني رسول الله اليكم يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وان تخلعوا ما تعبدون من هذه الأنداد وأن تؤمنوا بي وتصدقوا بي وتمنعوني حتى أُبين عن الله ما بعثني به قال وخلفه رجل أوحل وضيء له غديرتان عليه حلّة عدنية فإذا فرغ رسول الله من قوله وما دعا إليه قال ذلك الرجل: يا بني فلان انّ هذا إنّما يدعوكم إلى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم وحلفائكم من الجن من بني مالك بن أقيش إلى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه قال فقلت لأبي يا أبت من هذا الذي يتبعه ويرد عليه ما يقول؟ قال: هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب

---

(١) السيرة الهشامية ج ٢ ص ٣١ وما بعدها من طبع محمّد محيي الدين.

أبو لهب.

وعن ابن اسحاق عن الزهري انّه ﷺ أتى كندة في منازلهم وفيهم سيد لهم يقال له مليح فدعاهم إلى الله عزوجل وعرض عليهم نفسه فأبوا عليه. وعن ابن اسحاق أيضاً انّه ﷺ أتى كلباً في منازلهم إلى بطن منهم يقال لهم بنو عبد الله فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه حتى انّه ليقول لهم يا بني عبد الله انّ الله عزوجل قد أحسن اسم أبيكم فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم... وانّه ﷺ أتى بني حنيفة في منازلهم فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه فلم يكن أحد من العرب أقبح عليه رداً منهم وانّه ﷺ أتى بني عامر بن صعصعة فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه فقال لهم رجل يقال له بيجرة بن فراس: والله اني لو أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب، ثمّ قال له أرأيت ان نحن تابعناك على أمرك ثمّ أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك، قال: الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء، قال فقال له: أفنهدف نحورنا للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا لا حاجة لنا بأمرك.

أقول: انظر إلى هؤلاء الأقوام كيف عاشوا وماتوا وعقولهم أقرب الأشياء اليهم لم يستعملوها في واقعة واحدة يستضيئون بها على ما تشع عليه من نور تكشفه لهم به وقصارى ما يحسون به مواقع أنظارهم من قريب فتعساً لجامعة يكون رجالها هؤلاء ويا بقيا على العقلاء ورحمي إذا كانوا مطوقين بمثل تيك الوحوش الكاسرة والهمج الرعاع.

قال ابن اسحاق في مساق حديثه: فأبوا عليه فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم قد كانت أدركته السنّ حتى لا يقدر أن يوافي معهم المواسم فكانوا إذا رجعوا إليه حدثوه بما يكون في ذلك الموسم فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان في موسمهم فقالوا جاءنا فتى من قريش ثمّ أحد بني عبد

المطلب يزعم انّه نبي يدعونا إلى ان نمنعه ونقوم معه ونخرج به إلى بلادنا ، قال فوضع الشيخ يديه على رأسه ثمّ قال : يا بني عامر هل لها من تلاف هل لذناباها من مطلب والذي نفس فلان بيده ما تقوّلها اسماعيلي قط وانها لحق فأين رأيكم كان عنكم .

قال ابن اسحاق : فكان رسول الله ﷺ على ذلك من أمره كلما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله وإلى الإسلام ويعرض عليهم نفسه وما جاء به من الله من الهدى والرحمة وهو لا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم وشرف إلّا تصدى له فدعاه إلى الله وعرضه عليه ما عنده .

قال ابن اسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري ثمّ الظفري عن اشياخ من قومه قالوا : قدم سويد بن صامت اخو بني عمرو بن عوف مكة حاجّاً أو معتمراً وكان سويد إنّما يسميه قومه فيهم الكامل لجلده وشرفه ونسبه فتصدى له رسول الله حين سمع به فدعاه إلى الله وإلى الإسلام فقال له سويد : فلعلّ الذي معك مثل الذي معي فقال له رسول الله وما الذي معك قال مجلّة لقمان يعني حكمة لقمان فقال رسول الله اعرضها عليّ فعرضها عليه فقال له انّ هذا الكلام حسن والذي معي أفضل من هذا قرآن أنزله الله تعالى عليّ هو هدى ونور ، فتلا عليه رسول الله القرآن ودعاه إلى الإسلام فلم يبعد منه وقال : انّ هذا لقول حسن ثمّ انصرف عنه فقدم المدينة على قومه فلم يلبث أن قتله الخزرج وكان رجال من قومه ليقولون انا لنراه قد قتل وهو مسلم وكان قتله قبل يوم بعاث .

قال ابن اسحاق : لما قدم أبو الحيسر أنس بن رافع مكة ومعه فتية من بني عبد الأشهل فيهم اياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج سمع بهم رسول الله فأتاهم فجلس اليهم فقال لهم هل لكم في خير مما جئتم له قال : فقالوا له : وما ذاك قال أنا رسول الله بعثني إلى العباد أدعوهم إلى أن يعبدوا

الله ولا يشركوا به شيئاً وأنزل عليّ الكتاب، قال ثمّ ذكر لهم الإسلام وتلا عليهم القرآن فقال اياس بن معاذ: وكان غلاماً حدثاً أي قوم هذا والله خير مما جئتم له قال فيأخذ أبو الحيسر أنس بن رافع حفنة من البطحاء فضرب بها وجه اياس بن معاذ وقال: دعنا منك فلعمري لقد جئنا لغير هذا، قال فصمت اياس وقام رسول الله ﷺ عنهم وانصرفوا إلى المدينة وكانت وقعة بعاث بين الأوس والخزرج قال ثمّ لم يلبث اياس بن معاذ أن هلك فأخبر من حضر موته انهم لم يزالوا يسمعونه يهلّل الله ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات فما كانوا يشكّون أن قد مات مسلماً.

العقبتان الأُولى والثانية

روى ابن سعد [١] عن رجاله قالوا: قام رسول الله ﷺ بمكة ما أقام يدعو القبائل إلى الله ويعرض نفسه عليهم كل سنة بمجنّة وعكاظ ومنى أن يؤوه حتى يبلغ رسالة ربه ولهم الجنة فليست قبيلة من العرب تستجيب له ويؤذى ويشتم حتى أراد الله اظهار دينه ونصر نبيّه وانجاز ما وعده فساقه إلى هذا الحي من الأنصار لما أراد ألله بهم من الكرامة فانتهى إلى نفر منهم وهم يحلقون رؤوسهم فجلس اليهم فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن فاستجابوا لله ولرسوله فأسرعوا وآمنوا وصدقوا وآووا ونصروا وواسوا وكانوا والله أطول الناس ألسنة وأحدّهم سيوفاً فاختلف علينا في أوّل من أسلم من الأنصار وأجاب فذكروا ان أوّل من أسلم ثمانية نفر وكتبنا كل ذلك وذكروا انّ أوّل من أسلم من الأنصار أسعد بن زرارة وذكوان بن عبد قيس خرجا إلى مكة يتنافران إلى عتبة بن ربيعة فقال لهما

---

(١) الطبقات ج ١ ص ٢٠١ وما بعدها.

قد شغلنا هذا المصلي عن كل شيء يزعم انّه رسول الله قال وكان أسعد بن زرارة وأبو الهيثم بن التيهان يتكلمان بالتوحيد بيثرب فقال ذكوان بن عبد القيس لأسعد بن زرارة حين سمع كلام عتبة دونك هذا دينك فقاما إلى رسول الله ﷺ فعرض عليهما الإسلام فأسلما ثمّ رجعا إلى المدينة فلقي أسعد أبا الهيثم بن التيهان فأخبره باسلامه وذكر له قول رسول الله ﷺ وما دعا إليه فقال أبو الهيثم فأنا أشهد معك انّه رسول الله وأسلم.

ويقال انّ رافع بن مالك الزرقي ومعاذ بن عفراء خرجا إلى مكة معتمرين فذكر لهما أمر رسول الله ﷺ فأتياه فعرض عليهما الإسلام فأسلما فكانا أوّل من أسلم وقدما المدينة فأوّل مسجد قرىء فيه القرآن بالمدينة مسجد بني زريق.

ويقال انّ رسول الله ﷺ خرج من مكة فمرّ على نفر من أهل يثرب نزول بمنى ثمانية نفر منهم من بني النجار معاذ بن عفراء وأسعد بن زرارة؛ ومن بني زريق رافع بن مالك وذكوان بن عبد قيس؛ ومن بني سالم عبادة بن الصامت وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة؛ ومن بني عبد الأشهل أبو الهيثم بن التيهان حليف لهم من بليّ؛ ومن بني عمرو بن عوف عويم بن ساعدة فعرض عليهم رسول الله الإسلام فأسلموا وقال لهم رسول الله ﷺ: تمنعون لي ظهري حتى أُبلّغ رسالة ربي، فقالوا: يا رسول الله نحن مجتهدون لله ولرسوله؛ نحن فاعلم أعداء متباغضون وإنّما كانت وقعة بعاث عام الأوّل يوم من أيّامنا اقتتلنا فيه فإن تقدم ونحن كذا لا يكون لنا عليك اجتماع فدعنا حتى نرجع إلى عشائرنا لعل الله يصلح ذات بيننا وموعدك الموسم العام المقبل.

ويقال خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقى فيه الستة النفر من الأنصار فوقف عليهم فقال (أحلفاء يهود) قالوا نعم فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن فأسلموا وهم من بني النجار أسعد بن زرارة وعوف

بن الحارث بن عفراء ؛ ومن بني زريق رافع بن مالك ومن بني سلمة قطبة بن عامر بن حديدة ؛ ومن بني حرام بن كعب عقبة بن عامر بن نابيء ؛ ومن بني عبيد بن عدي بن سلمة جابر بن عبد الله بن رئاب ؛ لم يكن قبلهم أحد ؛ قال محمّد بن عمر هذا عندنا أثبت ما سمعنا فيهم وهو المجتمع عليه ؛ أخبرنا محمّد بن عمر قال : حدثني زكريا بن زيد عن أبيه قال : هؤلاء الستة فيهم أبو الهيثم بن التيهان ثمّ رجع الحديث إلى الأوّل قالوا ثمّ قدموا إلى المدينة فدعوا قومهم إلى الإسلام فأسلم من أسلم ولم تبق دار من دور الأنصار إلّا فيها ذكر من رسول الله ﷺ كثيراً .

ذكر العقبة الأُولى الاثنى عشر

ليس فيهم عندنا اختلاف أخبرنا محمّد بن عمر قال حدثني محمّد بن صاله ـ إلى أن أنهى رجاله عند عبادة بن الصامت ـ قالوا : لما كان العام المقبل من العام الذي لقى فيه رسول الله ﷺ النفر الستة لقيه اثنا عشر رجلاً بعد ذلك بعام ـ وهي العقبة الأُولى ـ من بني النجار أسعد بن زرارة وعوف ومعاذ ابنا الحارث وهما ابنا عفراء ؛ ومن بني زريق ذكوان بن عبد قيس ورافع بن مالك ؛ ومن بني عوف بن الخزرج عبادة بن الصامت ويزيد بن ثعلبة أبو عبد الرحمن ؛ ومن بني عامر بن عوف عباس بن عبادة بن نضلة ؛ ومن بني سلمة عقبة بن عامر بن نابيء ؛ ومن بني سواد [١] قطبة بن عامر بن حديدة ؛ فهؤلاء عشرة من الخزرج . ومن الأوس رجلان أبو الهيثم بن التيهان من بلى حليف في بني عبد الأشهل ؛

(١) لا يذهب على قارىء هذه الأسطر ان ابن سعد نسب قطبة آنفاً إلى بني سلمة وهنا إلى بني سواد فإنّ بني سواد بن غنم بن كعب بن سلمة هم بنو سلمة الذين أشار اليهم ابن سعد أوّلاً .

ومن بني عمرو بن عوف عويم بن ساعدة فأسلموا وبايعوا على بيعة النساء [١] على أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف قال فإن وفيتم فلكم الجنة ومن غشي من ذلك شيئاً كان أمره إلى الله إن شاء عذّبه وإن شاء عفا عنه ولم يفرض يومئذ القتال ثمّ انصرفوا إلى المدينة فأظهر الله الإسلام وكان أسعد بن زرارة يجمّع بالمدينة بمن أسلم [٢] وكتبت الأوس والخزرج إلى رسول الله ﷺ ابعث الينا مقرءاً يقرءنا القرآن فبعث اليهم مصعب بن عمير العبدري فنزل على أسعد بن زرارة فكان يقرئهم القرآن فروى بعضهم انّ مصعباً كان يجمع بهم ثمّ خرج مع السبعين حتى وافوا الموسم مع رسول الله ﷺ .

ذكر العقبة الآخرة وهم السبعون الذين بايعوا رسول الله ﷺ

أخبرنا محمّد بن عمر بن واقد الأسلمي إلى أن أنهى رجاله بقوله دخل حديث بعضهم في حديث بعض قالوا لما حضر الحج مشى أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلموا بعضهم إلى بعض يتواعدون المسير إلى الحج وموافاة رسول الله ﷺ والإسلام يومئذ فاش بالمدينة فخرجوا وهم سبعون يزيدون رجلاً أو رجلين في خمر [٣] الأوس والخزرج وهم خمسمائة حتى قدموا على رسول

---

(١) مراده ببيعة النساء البيعة المجردة عن ذكر الحرب والدفاع والمحاماة كما بايع النبي ﷺ عندما انتشر الإسلام النساء المسلمات على النحو الذي ذكره ابن سعد العاري عن ذكر الدفاع والمحاماة والنصرة.

(٢) أي يصلي بهم جماعة وقد أخطأ من قال في هذا المورد يصلي بهم جمعة فإنّ صلاة الجمعة لم تجب إلّا في المدينة وزمان هذه الحكايات مكة قبل الهجرة.

(٣) أي في جماعة.

الله ﷺ مكة فسلّموا على رسول الله ثمّ وعدهم منى وسط أيّام التشريق ليلة النفر الأوّل إذا هدأت الرجل ان يوافوه في الشعب الأيمن إذا انحدروا من منى بأسفل العقبة حيث المسجد اليوم وأمرهم أن لا ينهبوا نائماً ولا ينتظروا غائباً قال فخرج القوم بعد هدءة يتسللون الرجل والرجلان وقد سبقهم رسول الله ﷺ إلى ذلك الموضع معه العباس بن عبد المطّلب ليس معه أحد غيره فكان أوّل من طلع على رسول الله ﷺ رافع بن مالك الزرقي ثمّ توافى السبعون ومعهم امرءتان قال أسعد بن زرارة فكان أوّل من تكلم العباس بن عبد المطلب فقال يا معشر الخزرج انكم قد دعوتم محمّداً إلى ما دعوتموه إليه ومحمّد من أعز الناس في عشيرته يمنعه والله منّا من كان على قوله؛ ومن لم يكن منا على قوله يمنعه للحسب والشرف [1] وقد أبى محمّد الناس كلهم غيركم فإن كنتم أهل قوة وجلد وبصر بالحرب واستقلال بعداوة العرب قاطبة ترميكم عن قوس واحد فارتأوا رأيكم وائتمروا أمركم ولا تفترقوا إلّا عن ملاء منكم واجتماع فإن أحسن الحديث أصدقه فقال البراء بن معرور قد سمعنا ما قلت وانا والله لو كان في أنفسنا غير ما ننطق به لقلناه ولكنا نريد الوفاء والصدق وبذل مهج أنفسنا دون رسول الله قال وتلا رسول الله ﷺ عليهم القرآن ثمّ دعاهم إلى الله ورغّبهم في الإسلام وذكر الذي اجتمعوا له فأجابه البراء بن معرور بالايمان والتصديق ثمّ قال: يا رسول الله بايعنا فنحن أهل الحلقة ورثناها كابراً عن كابر.

ويقال انّ أبا الهيثم كان أوّل من تكلم وأجاب إلى ما دعى إليه رسول الله ﷺ وصدقه وقالوا نقبله على مصيبة الأموال وقتل الأشراف ولغطوا فقال العباس بن

---

(١) أقول: إنّما قال ذلك تشديداً لعزائم القوم وإلّا فالرجل ليس بصادق في زعمه هذا فانك قد قرأت انّ النبي بعد أبي طالب لم يدخل مكة إلّا بجوار مطعم ابن عدي.

عبد المطلب وهو آخذ بين رسول الله أخفوا جرسكم (١) فإنّ علينا عيوناً وقدّموا ذوي أسنانكم فيكونون هم الذين يلون كلامنا منكم فانا نخاف قومكم عليكم ثمّ إذا بايعتم فتفرقوا إلى محالكم فتكلم البراء بن معرور فأجاب العباس بن عبد المطلب ثمّ قال ابسط يدك يا رسول الله فكان أوّل من ضرب على يد رسول الله البراء بن معرور ويقال أو من ضرب على يده أبو الهيثم بن التيهان ويقال أسعد بن زرارة ثمّ ضرب السبعون كلهم على يده وبايعوه فقال رسول الله ﷺ : ان موسى أخذ من بني اسرائيل اثنى عشر نقيباً فلا يجدن أحد منكم في نفسه أن يؤخذ غيره فإنّما يختار لي جبريل فلما تخيّرهم قال للنقباء أنتم كفلاء على غيركم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم ، وأنا كفيل على قومي ، قالوا : نعم فلما بايع القوم وكملوا صاح الشيطان على العقبة بأبعد صوت سمع : يا أهل الأخاشب (٢) هل لكم في محمّد والصباة معه قد أجمعوا على حربكم فقال رسول الله انفضّوا إلى رحالكم فقال العباس بن عبادة بن نضلة يا رسول الله والذي بعثك بالحق لئن أحببت لنميلن على أهل منى بأسيافنا وما أحد عليه سيف تلك الليلة غيره فقال رسول الله ﷺ انا لم نؤمر بذلك فانفضوا إلى رحالكم فتفرقوا إلى رحالهم فلما أصبح القوم غدت عليهم جلّة قريش وأشرافهم حتى دخلوا شعب الأنصار فقالوا يا معشر الخزرج انّه بلغنا انكم لقيتم صاحبنا البارحة وواعدتموه أن تبايعوه على حربنا وايم الله ما حيّ من العرب أبغض الينا أن تنشب بيننا وبينه الحرب منكم قال فانبعث من كان هناك من الخزرج من المشركين يحلفون لهم بالله ما كان هذا وما علمنا وجعل ابن أبيّ يقول : هذا باطل وما كان هذا وما كان قومي ليفتاتوا

---

(١) أي أصواتكم العالية.

(٢) الأخاشب هي الجبال جمع أخشب ويريد بهم أهل مكة.

عليّ بمثل هذا لو كنت بيثرب ما صنع هذا قومي حتى يؤامروني فلما رجعت قريش من عندهم رحل البراء بن معرور فتقدم إلى بطن يأجج وتلاحق أصحابه من المسلمين وجعلت قريش تطلبهم في كل وجه ولا تعدو طريق المدينة وحزبوا عليه فأدركوا سعد بن عبادة فجعلوا يده إلى عنقه بنسعة وجعلوا يضربونه ويجرّون شعره وكان ذا جمة حتى أدخلوه مكة فجاء مطعم بن عدي والحارث بن امية بن عبد شمس فخلصاه من بين أيديهم وائتمرت الأنصار حين فقدوا سعد بن عبادة أن يكروا إليه فإذا سعد قد طلع عليهم فرحل القوم جميعاً إلى المدينة ؛ هذا نهاية ما ساقه ابن سعد في طبقاته .

ثمّ نسوق عن ابن اسحاق ما له من حديث في هذا الموضوع وفي آخره نتكلم على هذه النقطة بما عندنا إن شاء الله :

قال ابن اسحاق [١] : فلما أراد الله اظهار دينه واعزاز نبيه وانجاز موعده له خرج رسول الله في الموسم الذي لقى فيه النفر من الأنصار فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم فبينما هو عند العقبة لقى رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً ، قال ابن اسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشاخ من قومه قالوا : لما لقيهم رسول الله قال لهم من أنتم قالوا : نفر من الخزرج قال أمن موالي اليهود قالوا نعم ، قال : أفلا تجلسون أكلمكم ، قالوا : بلى ، فجلسوا معه فدعاهم إلى الله عزوجل وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن قال وكان مما صنع الله لهم به في الإسلام انّ يهود كانوا معهم في بلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان وكانوا قد عزّوهم [٢] ببلادهم فكانوا

---

(١) السيرة الهشامية ج ٢ ص ٣٧ وما بعدها.

(٢) أي ظهروا عليهم وغلبوهم.

إذا كان بينهم شيء قالوا لهم ان نبيّاً مبعوث الآن قد أظلّ زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وارم فلما كلّم رسول الله ﷺ اولئك النفر ودعاهم إلى الله قال بعضهم لبعض يا قوم تعلموا والله انّه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا تسبقنكم إليه فأجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدّقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام وقالوا له انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم وعسى أن يجمعهم الله بك فتقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعزّ منك ثمّ انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا وصدقوا.

قال ابن اسحاق: وهم فيما ذكر لي ستة نفر من الخزرج منهم من بني النجار أسعد بن زرارة وعوف بن الحارث بن رفاعة وهو ابن عفراء؛ ومن بني زريق رافع بن مالك بن العجلان؛ ومن بني سلمة بن سعد ثمّ من بني سواد بن غنم قطبة بن عامر بن حديدة؛ ومن بني حزام بن كعب عقبة بن عامر بن نابيء؛ ومن بني عبيد بن عدي جابر بن عبد الله بن رئاب. فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم فلم تبق دار من دور الأنصار إلّا وفيها ذكر من رسول الله ﷺ حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً فلقوه بالعقبة وهي العقبة الأُولى فبايعوا رسول الله على بيعة النساء وذلك قبل أن تفترض عليهم الحرب؛ منهم من بني النجار: أسعد بن زرارة، وعوف ومعاذ ابنا الحارث، وهما ابناء عفراء؛ ومن بني زريق: رافع بن مالك وذكوان بن عبد قيس؛ ومن بني عوف بن الخزرج: عبادة بن الصامت وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة؛ ومن بني سالم بن عوف ثمّ من بني العجلان: العباس بن عبادة بن نضلة؛ ومن بني سلمة بن سعد ثمّ من بني حزام: عقبة بن عامر بن نابي؛ ومن بني سواد بن غنم: قطبة بن عامر بن حديدة؛ وشهدها من الأوس ثمّ

من بني عبد الأشهل: أبو الهيثم بن التيهان واسمه مالك؛ ومن بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس: عويم بن ساعدة.

قال ابن اسحاق وحدثني يزيد بن أبي حبيب عن أبي مرثد بن عبد الله اليزني عن عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحي عن عبادة بن الصامت قال كنت فيمن حضر العقبة الأُولى وكنا اثنى عشر رجلاً فبايعنا رسول الله على بيعة النساء وذلك قبل أن تفترض علينا الحرب على أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف فإن وفيتم فلكم الجنة وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأمركم إلى الله عزوجل إن شاء غفر وإن شاء عذب.

قال ابن اسحاق فلما انصرف القوم عن رسول الله ﷺ بعث معهم مصعب بن عمير وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين فكان يسمى مصعب بالمدينة المقرّى وكان منزله على اسعد بن زرارة.

قال ابن اسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة انّه كان يصلي بهم وذلك انّ الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمّه بعض، قال: وكان مسلموا الأنصار يومئذ أربعين رجلاً؛ ثمّ انّ أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بني عبد الأشهل ودار بني ظفر وكان سعد بن معاذ بن النعمان بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل ابن خالة اسعد بن زرارة فدخل به حائطاً من حوائط بني ظفر فجلسا في الحائط واجتمع اليهما رجال ممن أسلم وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير يومئذ سيدا قومهما من بني عبد الأشهل وكلاهما مشرك على دين قومه فلما سمعا به قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير لا أبا لك انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفّها ضعفاءنا فازجرهما وانههما عن أن يأتيا دارينا فإنّه لولا أن أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك وهو ابن خالتي ولا أجد

عليه مقدما قال فأخذ أسيد بن حضير حربته ثمّ أقبل اليهما فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب بن عمير هذا سيد قومه قد جائك فأصدق الله فيه قال مصعب إن يجلس أكلمه فوقف عليهما متشتماً قال ما جاء بكما الينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلانا إن كانت لما بأنفسكما حاجة، فقال له مصعب أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمراً قبلته وإن كرهته كفّ عنك ما تكره، قال أنصفت ثمّ ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن فقالا والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم به في اشراقه وتسهله ثمّ قال: ما أحسن هذا الكلام وأجمله كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين، قالا له: تغتسل وتطهر ثوبيك ثمّ تشهد شهادة الحق ثمّ تصلي فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق ثمّ قام فركع ركعتين ثمّ قال لهما: انّ ورائي رجلاً إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله اليكما الآن ثمّ أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلاً قال: أحلف بالله لقد جائكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف على النادي قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأساً وقد نهيتهما فقالا نفعل ما أحببت وقد حدثت ان بني حارثة قد خرجوا إلى اسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك انهم قد عرفوا انّه ابن خالتك ليخفروك (١) فقام سعد مغضباً مبادراً تخوفاً للذي ذكر له من بني حارثة فأخذ الحربة من يده ثمّ قال والله ما أراك أغنيت شيئاً ثمّ خرج اليهما فلما رآهما سعد مطمئنين عرف انّ أسيداً إنّما أراد منه أن يسمع منهما فوقف عليهما متشتماً ثمّ قال لأسعد بن زرارة: يا أبا أمامة لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني اتغشانا في دارينا بما نكره؟ فقال له مصعب:

---

(١) أي ليسقطوا من شرفك بقتلهم من هو في ساحتك وله انتساب اليك.

أو تقعد فتسمع فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره، قال سعد: أنصفت ثمّ ركز الحربة وجلس فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن، قالا: فعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم به لاشراقه وتسهله ثمّ قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين قالا له: تغتسل وتطهر ثوبيك وتشهد شهادة الحق ثمّ تصلي ركعتين ثمّ أخذ حربته فأقبل عامداً إلى نادي قومه ومعه أسيد بن حضير فلما رآه قومه مقبلاً قالوا نحلف بالله لقد رجع اليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون امري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأياً وايمننا نقيبة، قال: فإنّ كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله قالوا: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلّا مسلماً أو مسلمة ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلّا وفيها رجال ونساء مسلمون إلّا ما كان من دار بني امية بن زيد وخطمة ووائل وواقف وتلك أوس الله وهم من الأوس بن حارثة وذلك انّه كان فيهم أبو قيس بن الاسلت وكان شاعراً لهم قائداً يسمعون منه ويطيعونه فوقف بهم عن الإسلام فلم يزلع لى ذلك حتى هاجر رسول الله إلى المدينة ومضى بدر واحد والخندق.

قال ابن اسحاق: ثمّ ان مصعب بن عمير رجع إلى مكة وخرج من خرج من الأنصار المسلمين إلى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله العقبة من أوسط أيّام التشريق حين أراد الله بهم ما أراد من كرامته والنصر لنبيه واعزاز الإسلام وأهله وإذلال الشرك وأهله.

قال ابن اسحاق: وحدثني معبد بن كعب اخو بني سلمة انّ أخاه عبد الله بن كعب وكان من أعلم الأنصار حدثه انّ أباه كعبا حدثه وكان كعب ممن شهد العقبة

وبايع رسول الله بها قال خرجنا في حجاج قومنا من المشركين وقد صلينا وفقهنا ومعنا البراء بن معرورو سيدنا وكبيرنا فلما توجهنا لسفرنا وخرجنا من المدينة قال البراء لنا يا هؤلاء اني قد رأيت رأياً ووالله ما أدري أتوافقونني عليه أم لا، قلنا: وما ذاك؟ قال: قد رأيت ألا أدع هذه البنية منى بظهر (ويريد بها الكعبة) وان أصلي اليها فقلنا ما بلغنا انّ نبينا يصلي إلّا إلى الشام وما نريد أن نخالفه فقال: اني لمصل اليها فقلنا له لكنا لا نفعل فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام وصلى إلى الكعبة حتى قدمنا مكة فلما قدمناها قال لي: ياابن أخي انطلق بنا إلى رسول الله حتى أسأله عما صنعت في سفري هذا، فخرجنا نسأل عن رسول الله وكنا لا نعرفه لأننا لم نره قبل ذلك فلقينا رجل من أهل مكة فسألناه عن رسول الله فقال: هل تعرفانه قلنا: لا قال: فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه، قلنا: نعم، وقد كنا نعرف العباس كان لا يزال يقدم علينا تاجراً قال فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس فدخلنا المسجد فإذا العباس جالس ورسول الله جالس معه فسلمنا ثمّ جلسنا إليه فقال رسول الله للعباس هل تعرف هذين الرجلين؟ قال: نعم هذا البراء بن معرور سيد قومه وهذا كعب بن مالك قال فوالله ما أنسى قول رسول الله ﷺ (الشاعر) قال نعم، فقال البراء بن معرور: يا نبي الله اني خرجت في سفري هذا وقد هداني الله للاسلام فرأيت ألا أجعل هذه البنية منى بظهر فصليت اليها وقد خالفني أصحابي في ذلك حتى وقع في نفسي من ذلك شيء فماذا ترى يا رسول الله؟ قال: قد كنت على قبلة لو صبرت عليها فرجع البراء إلى قبلة رسول الله ﷺ وصلى معنا إلى الشام.

قال كعب ثمّ خرجنا الحج وواعدنا رسول الله العقبة من أواسط أيّام التشريق فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله لها ومعنا عبد الله بن

عمرو بن حزام أبو جابر سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا أخذناه معنا وكـنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين امرنا فكلمناه وقلنا له يا أبا جابر انك سيد من ساداتنا وشريف من اشرافنا وانا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً ثمّ دعوناه إلى الإسلام وأخبرناه بميعاد رسول الله اينا العقبة فأسلم وشـهد معنا العقبة وكان نقيباً قال فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حـتى إذا مـضى ثلث الليل خرجنا لميعاد رسول الله ﷺ نتسلل تسلل القطا مسـتخفين حـتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ومـعنا امـرءتان مـن نسائنا نسيبة بنت كعب ام عمارة احدى نساء بني مازن بن النجار وأسماء بـنت عمرو بن عدي بن نابي احدى نساء بني سلمة وهي ام منيع.

قال: فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه إلّا انّه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له فلما جلس كان أوّل متكلم العباس بن عبد المطلب فقال يا معشر الخزرج: قال وكانت العرب إنّما يسمون هذا الحي من الأنصار الخزرج خزرجها وأوسها: انّ محمّداً منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه فهو في عز من قومه ومنعة في بلده وانّه قد أبى إلّا الانحياز اليكم واللحوق بكم فإن كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك وإن كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم فـمن الآن فدعوه فإنّه في عز ومنعة من قومه وبلده.

قال: فقلنا له: قد سمعنا ما قلت، فتلكم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك مـا أحببت، قال: فتكلم رسـول الله ﷺ فـتلا القـرآن ودعـا إلى الله ورغب فـي الإسلام ثمّ قال: اُبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نسـائكم وأبـناءكم، قال: فأخذ البراء بن معرور بيده ثمّ قال: نعم والذي بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع

منه أزرنا (١) فبايعنا يا رسول الله فنحن والله يا رسول الله أهل الحروب وأهل الحلقة (٢) ورثناها كابراً عن كابر، قال: فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله أبو الهيثم بن التيهان فقال: يا رسول الله إنّ بيننا وبين القوم (يعني اليهود) حبالاً وانا قاطعوها فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثمّ أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا، قال: فتبسم رسول الله ثمّ قال: (بل الدم الدم والهدم الهدم(٣)) أنا منكم وأنتم مني أُحارب من حاربتم وأُسالم من سالمتم، قال كعب وقد قال رسول الله ﷺ اخرجوا اليّ منكم اثنى عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم فأخرجوا منهم اثنى عشر نقيباً تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس.

أسماء النقباء

من الخزرج:

١ ـ أبو امامة أسعد بن زرارة. ٢ ـ وسعد بن الربيع. ٣ ـ وعبد الله بن رواحة. ٤ ـ ورافع بن مالك. ٥ ـ والبراء بن معرور. ٦ ـ وعبد الله بن عمرو بن حرام. ٧ ـ وعبادة بن الصامت. ٨ ـ وسعد بن عبادة. ٩ ـ والمنذر بن عمرو بن خنيس.

ومن الأوس:

١٠ ـ أسيد بن حضير. ١١ ـ وسعد بن خيثمة. ١٢ ـ ورفاعة بن عبد المنذر.

قال ابن هشام: وأهل العلم يعدون فيهم أبا الهيثم بن التيهان ولا يعدون رفاعة.

---

(١) أي نسائنا.

(٢) أي السلاح.

(٣) أي ما تعتزون به من الدماء أعتز به وما تهدرونه أهدره أنا واحد منكم في ذلك كله.

وقال كعب بن مالك يذكرهم فيما أنشدني أبو زيد الأنصاري:

فأبلغ أبيّاً انّه قال رأيه ... وحان غداة الشعب والحين واقع
ابى الله ما منّتك نفسك انه ... بمرصاد أمر الناس راء وسامع
وأبلغ أبا سفيان ان قد بدا لنا ... بأحمد نور من هدى الله ساطع
فلا ترعين في حشد أمر تريده ... وألّب وجّمع كل ما أنت جامع (١)
ودونك فاعلم ان نقض عهودنا ... اباه عليك الرهط حين تبايعوا
أباه البراء وابن عمرو كلاهما ... وأسعد يأباه عليك ورافع
وسعد أباه الساعدي ومنذر ... لانفك ان حاولت ذلك جادع
وما ابن ربيع ان تناولت عهده ... بمسلمه لا يطمعن ثمّ طامع
وأيضاً فلا يعطيكه ابن رواحة ... وإخفاره من دونه السم ناقع
وفاءً به والقوقلى ابن صامت ... بمندوحة عمّا تحاول يافع (٢)
أبو هيثم أيضاً وفّى بمثلها ... وفاءً بما أعطى من العهد خانع (٣)
وما ابن حضير ان أردت بمطمع ... فهل أنت عن احموقة الغيّ نازع
وسعد أخو عمرو بن عوف فإنّه ... ضروح لما حاولت ملامر مانع (٤)
اولاك نجوم لا يغبّك منهم ... عليك بنحس في دجى الليل طالع

فذكر كعب فيهم أبا الهيثم بن التيهان ولم يذكر رفاعة.

---

(١) يقال ما أرعى عليه أي ما أبقى.

(٢) القواقل: قوم من الخزرج ويقال في الجاهلية للرجل إذا استجار بيثرب قوقل قد أمنت، عن الجوهري.

(٣) أي خاضع مقر.

(٤) أي دافع لما حاولت من الأمر الذي تريده منه.

قال ابن اسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة انّ القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله ﷺ قال العباس بن عبادة بن نضلة الأنصاري اخو بني سالم بن عوف: يا معشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم. قال: انكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس فإن كنتم ترون انكم إذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتل أسلمتموه فمن الآن فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة وإن كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة، قالوا: فانا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف فما لنا بذلك يا رسول الله ان نحن وفينا؟ قال: الجنة، قالوا ابسط يدك فبسط يده فبايعوه.

قال ابن اسحاق: فبنوا النجار يزعمون انّ أبا امامة أسعد بن زرارة كان أوّل من ضرب على يده وبنو عبد الأشهل يقولون بل أبو الهيثم بن التيهان.

وعن كعب بن مالك قال: كان أوّل من ضرب على يد رسول الله البراء بن معرور ثمّ بايع القوم فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته يا أهل الجباجب (والجباجب المنازل) هل لكم في مذمّم [١] والصباء معه قد اجتمعوا على حربكم، قال: فقال رسول الله ﷺ: استمع أي عدو الله أما والله لأفرغنّ لك، ثمّ قال رسول الله ﷺ: انفضّوا إلى رحالكم، فقال له العباس بن عبادة بن نضلة: والله الذي بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيافنا، فقال رسول الله لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم، قال: فرجعنا إلى مضاجعنا فنمنا علينا حتى أصبحنا فلما أصبحنا غدت علينا

(١) يريد بمذمم محمّد ﷺ والصباء بالهمزة جمع صابيء مهموز أو هم يرونهم المنحرفين عن الشرك التابعين لدين الإسلام.

جلّة قريش حتى جاؤونا في منازلنا فقالوا: يا معشر الخزرج انّه قد بلغنا انكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا وانّه والله ما من حيّ من العرب أبغض الينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم، قال: فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء وما علمناه، قال وصدقوا لم يعلموه، ثمّ قام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي وعليه نعلان له جديدان، قال: فقلت له كلمه كأني أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا يا أبا جابر أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيد من ساداتنا مثل نعلي هذا الفتى من قريش قال فسمعها الحارث فخلعهما من رجليه ثمّ رمى بهما اليّ فقال: والله لتنتعلنهما، قال يقول أبو جابر مه احفظت والله الفتى فاردد إليه نعليه، قال قلت: لا والله لا أردهما فأل والله صالح والله لئن صدق الفال لأسلبنه.

قال ابن اسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر انهم أتوا عبد الله بن أبيّ فقالوا له مثل ما قال كعب من القول فقال لهم انّ هذا لأمر جسيم ما كان قومي ليفوتوا عليّ بمثل هذا وما علمته كان فانصرفوا عنه، قال ونفر الناس من منى فتنطس[1] القوم الخبر فوجدوه قد كان وخرجوا في طلب القوم فأدركوا سعد بن عبادة بأذاخر[2] والمنذر بن عمرو أخا بني ساعدة وكلاهما كان نقيباً فأمّا المنذر فاعجز القوم وأمّا سعد فأخذوه فربطوا يديه إلى عنقه بنسع رحله ثمّ أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ويجذبونه بجمته وكان ذا شعر كثير قال سعد: اني لفي أيديهم إذ طلع على نفر من قريش فيهم رجل وضيء أبيض شعشاع حلو من الرجال فقلت في نفسي ان يك عند أحد من القوم خير فعند هذا فلما دنا مني رفع

---

(١) أي بحثوا عنه.

(٢) موضع قريب من مكة.

يده فلكمني لكمة شديدة فقلت في نفسي لا والله ما عندهم بعد هذا من خير، قال: واني لفي أيديهم يسحبونني إذ أوى[١] لي رجل ممن كان معهم فقال ويحك أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد، قلت بلى، والله لقد كنت أجير لجبير بن مطعم بن عدي تجارة وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادي وللحارث بن حرب بن امية بن عبد شمس، قال ويحك فاهتف باسم الرجلين واذكر ما بينك وبينهما، قال ففعلت وخرج ذلك الرجل اليهما فوجدهما في المسجد عند الكعبة فقال لهما انّ رجلاً من الخزرج الآن يضرب بالأبطح ليهتف بكما ويذكر انّ بينه وبينكما جواراً، قالا: ومن هو؟ قال: سعد بن عبادة، قالا صدق والله إن كان ليجير لنا تجارنا ويمنعهم أن يظلموا ببلده، قال: فجاءا فخلصا سعداً من أيديهم فانطلق وكان الذي لكم سعداً سهيل بن عمرو أخو بني عامر بن لؤي.

قال ابن اسحاق: وهذه تسمية من شهد العقبة وبايع رسول الله بها من الأوس والخزرج وكانوا ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين؛ شهدها من الأوس بن حارثة بن ثعلبة ثمّ من بني عبد الأشهل ١ ـ أسيد بن حضير نقيب لم يشهد بدراً. ٢ ـ وأبو الهيثم بن التيهان واسمه مالك؛ وقد تقدم عن ابن هشام انّه نقيب أيضاً، شهد بدراً. ٣ ـ وسلمة بن سلامة بن وقش؛ قال ابن اسحاق ومن بني حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عرو بن مالك بن الأوس. ٤ ـ ظهير بن رافع بن عدي. ٥ ـ وأبو بردة بن نيار؛ ككتاب، واسمه هانىء بن نيار شهد بدراً. ٦ ـ ونهير ابن الهيثم من بني نابي بن مجدعة.

ومن بني عامرو بن عوف بن مالك بن الأوس ٧ ـ سعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك نقيب شهد بدراً فقتل به مع رسول الله شهيداً. ٨ ـ ورفاعة بن عبد المنذر

---

(١) أوى: أي أشفق ولطف.

بن زنبر نقيب. على قول ابن اسحاق لا على قول ابن هشام فانك قد قرأت انّه جعل مكانه أبا الهيثم بن التيهان؛ شهد بدراً وقتل يوم أُحد شهيداً ٩ ـ وعبد الله بن جبير بن النعمان بن امية بن البرك واسم البرك امرؤ القيس بن ثعلبة بن عمرو شهد بدراً وقتل يوم احد شهيداً أميراً لرسول الله على الرماة. ١٠ ـ ومعن بن عدي بن الجد بن العجلان شهد بدراً وأُحداً والخندق ومشاهد رسول الله كلها قتل يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر. ١١ ـ وعويم بن ساعدة شهد بدراً وأُحداً والخندق؛ فجميع من شهد العقبة من الأوس أحد عشر رجلاً؛ وشهدها من الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ثمّ من بني النجار ١٢ ـ أبو أيّوب وهو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة شهد بدراً وأُحداً والخندق والمشاهد كلها ومات بأرض الروم غازياً في زمن معاوية بن أبي سفيان. ١٣ ـ ومعاذ بن الحارث بن رفاعة بن سواد شهد بدراً وأُحداً والخندق والمشاهد كلها وهو ابن العفراء. ١٤ ـ وأخوه عوف بن الحارث شهد بدراً وقتل به شهيداً. ١٥ ـ وأخوه معوذ بن الحارث شهد بدراً وقتل به شهيداً وهو الذي قتل أبا جهل بن هشام بن المغيرة وهو لعفراء ويقال رفاعة بن الحارث بن سواد فيما قال ابن هشام. ١٦ ـ وعمارة بن حزم بن زيد بن لوذان شهد بدراً وأُحداً والخندق والمشاهد كلها قتل يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر. ١٧ ـ وأسعد بن زرارة بن عدس نقيب مات قبل بدر ومسجد رسول الله يبنى وهو أبو امامة؛ ومن بني عمرو بن مبذول: ومبذول: عامر بن مالك بن النجار ١٨ ـ سهل بن عتيك بن نعمان شهد بدراً. ومن بني عمرو بن مالك بن النجار ١٩ ـ أوس بن ثابت بن المنذر بن حراز شهد بدراً. ٢٠ ـ وأبو طلحة وهو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام شهد بدراً. ومن بني مازن بن النجار ٢١ ـ قيس بن أبي صعصعة واسم أبي صعصعة عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول شهد بدراً وجعله رسول الله على الساقة يومئذ. ٢٢ ـ وعمرو بن غزية

بن عمرو بن ثعلبة.

ومن بني الحارث بن الخزرج ٢٣ ـ سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير نقيب شهد بدراً وقتل يوم أُحد شهيداً. ٢٤ ـ وخارجة بن زيد بن أبي زهير شهد بدراً وقتل يوم أُحد شهيداً. ٢٥ ـ وعبد الله بن رواحة بن امرىء القيس نقيب شهد بدراً وأُحداً والخندق ومشاهد رسول الله كلها إلّا الفتح وما بعده قتل يوم مؤتة شهيداً أميراً لرسول الله ﷺ. ٢٦ ـ وبشير بن سعد بن ثعلبة بن جلاس بن زيد بن مالك أبو النعمان بن بشير شهد بدراً. ٢٧ ـ وعبد الله بن زيد مناة بن ثعلبة بن عبد ربه شهد بدراً وهو الذي أُري في نومه الأذان للصلاة عن أبناء التسنن. ٢٨ ـ وخلاد بن سود بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة شهد بدراً وأُحداً والخندق وقتل يوم بني قريظة شهيداً طرحت عليه رحى من اطم [1] من آطامها فشدخته شدخاً شديداً فقال رسول الله فيما يذكرون انّ له لأجر شهيدين. ٢٩ ـ وعقبة بن عمرو بن ثعلبة بن اسيرة وهو أبو مسعود وكان أحدث من شهد العقبة سناً مات في أيّام معاوية لم يشهد بدراً.

ومن بني بياضة بن عامر بن زريق بن عبد حارثة ٣٠ ـ زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان شهد بدراً. ٣١ ـ وفروة بن عمرو بن وذفة بن عبيد بن عامر بن بياضة شهد بدراً. ٣٢ ـ وخالد بن قيس بن مالك بن العجلان شهد بدراً.

ومن بني زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة ٣٣ ـ رافع بن مالك بن العجلان نقيب. ٣٤ ـ وذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد وكان خرج إلى رسول الله وكان معه بمكة مهاجراً إلى رسول الله من المدينة فكان يقال له مهاجري أنصاري شهد بدراً وقتل يوم أُحد شهيداً. ٣٥ ـ وعبادة بن قيس بن

---

(١) الاطُمُ بضمتين الحصن.

عامر بن خلدة بن مخلد شهد بدراً . ٣٦ ـ والحارث بن قيس بن خالد بن عامر بن زريق وهو أبو خالد شهد بدراً .

ومن بني سلمة بن سعد بن علي بن اسد بن ساردة ثمّ من بني عبيد بن عدي بن غنم ٣٧ ـ البراء بن معرور بن صخر بن خنساء نقيب وهو الذي تزعم بنو سلمة انّه كان أوّل من ضرب على يد رسول الله ﷺ وشرط له واشترط عليه ثمّ توفي قبل مقدم رسول الله المدينة . ٣٨ ـ وابنه بشر بن البراء بن معرور شهد بدراً واحداً والخندق ومات بخيبر من أكلة أكلها مع رسول الله ﷺ من الشاة التي سم فيها وهو الذي قال له رسول الله حين سأل بني سلمة من سيدكم يا بني سلمة فقالوا الجد بن قيس على بخله فقال رسول الله وأي داء أكبر من البخل سيد بني سلمة الأبيض الجعد بشر بن البراء بن معرور ٣٩ ـ وسنان بن صيفي بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد شهد بدراً وتوفي يوم الخندق شهيداً . ٤٠ ـ ومعقل بن النعمان بن خنساء بن سنان بن عبيد شهد بدراً وقتل يوم الخندق شهيداً . ٤١ ـ ومعقل بن المنذر بن سرح بن خناس بن سنان بن عبيد شهد بدراً . ٤٢ ـ ويزيد بن المنذر بن سرح شهد بدراً . ٤٣ ـ ومسعود بن يزيد بن سبيع بن خنساء بن سنان بن عبيد . ٤٤ ـ والضحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عبيد شهد بدراً . ٤٥ ـ ويزيد بن خذام بن سبيع بن خنساء بن سنان بن عبيد . ٤٦ ـ وجبا بن صخر بن امية بن خنساء بن سنان بن عبيد شهد بدراً . ٤٧ ـ والطفيل بن مالك بن خنساء بن سنان بن عبيد شهد بدراً .

ومن بني سواد بن غنم بن كعب بن سلمة ثمّ من بني كعب بن سواد . ٤٨ ـ كعب بن مالك بن أبي كعب بن القين بن كعب . ومن بني غنم بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة ٤٩ ـ سليم بن عمرو بن حديدة بن عمرو بن غنم شهد بدراً . ٥٠ ـ وقطبة بن عامر بن حديدة شهد بدراً . ٥١ ـ ويزيد بن عامر بن حديدة وهو أبو المنذر

شهد بدراً . ٥٢ ـ وأبو اليسر كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن غنم شهد بدراً . ٥٣ ـ وصيفي بن سواد : قال ابن هشام صيفي ابن أسود لا سواد بن عباد بن عمرو .

ومن بني نابي بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة ٥٤ ـ ثعلبة بن غنمة بن عدي بن نابي شهد بدراً وقتل بالخندق شهيداً . ٥٥ ـ وعمرو بن غنمة بن عدي بن نابي . ٥٦ ـ وعبس بن عامر بن عدي بن نابي شهد بدراً . ٥٧ ـ وعبد الله بن أنيس حليف لهم من قضاعة . ٥٨ ـ وخالد بن عمرو بن عدي بن نابي .

ومن بني حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة ٥٩ ـ عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام نقيب شهد بدراً وقتل يوم أُحد شهيداً . ٦٠ ـ وابنه جابر بن عبد الله . ٦١ ـ ومعاذ بن عمرو بن الجموح بن حرام شهد بدراً وقتل بالطائف شهيداً . ٦٣ ـ وعمير بن الحارث بن ثعلبة بن زيد بن الحارث بن حرام شهد بدراً . ٦٤ ـ وخديج بن سلامة بن اوس بن عمرو بن الفرامز حليف لهم من بلى . ٦٥ ـ ومعاذ بن جبل بن عمرو بن اوس بن عائذ بن عدي بن كعب وكان في بني سلمة شهد بدراً والمشاهد كلها ومات بعمواس عام الطاعون بالشام في خلافة عمر بن الخطاب .

ومن بني عوف بن الخزرج ثمّ من بني سالم بن عوف : ٦٦ ـ عبادة بن الصامت بن قيس بمن اصرم نقيب شهد بدراً والمشاهد كلها . ٦٧ ـ والعباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان وكان ممن خرج إلى رسول الله وهو بمكة فأقام معه بها فكان يقال له مهاجري أنصاري وقتل يوم أُحد شهيداً . ٦٨ ـ وأبو عبد الرحمن بن زيد بن ثعلبة بن خزمة بن اصرم بن عمرو بن عمارة حليف لهم . ٦٩ ـ وعمرو بن الحارث بن لبدة بن عمرو بن ثعلبة وهم القواقل .

ومن بني سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج ٧٠ ـ رفاعة بن عمرو بن زيد بن

عمرو بن ثعلبة شهد بدراً وهو أبو الوليد. ٧١ ـ وعقبة بن وهب بن كلدة بن الجعد بن هلال حليف لهم شهد بدراً وكان ممن خرج إلى رسول الله ﷺ مهاجراً من المدينة إلى مكة فكان يقال له مهاجري أنصاري. ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج ٧٢ ـ سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة نقيب. ٧٣ ـ والمنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لوذان نقيب شهد بدراً وأُحداً وقتل يوم بئر معونة أمراً لرسول الله ﷺ.

قال ابن اسحاق فجميع من شهد العقبة من الأوس والخزرج ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان منهم يزعموم انهما قد بايعتا وكان رسول الله لا يصافح النساء إنّما كان يأخذ عليهن فإذا أقررن قال اذهبن فقد بايعتكن، من بني مازن بن النجار ٧٤ ـ نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول وهي امّ عمارة. كانت شهدت الحرب مع رسول الله وشهدت معها اختها وزوجها زيد بن عاصم بن كعب وابناها حبيب بن زيد وعبد الله بن زيد. ومن بني سلمة ٧٥ ـ ام منيع واسمها أسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي.

انتهى ما عن ابن اسحاق وابن هشام بتلخيص وتجويد وتحقيق كثير وكتاب السيرة كلهم يطؤون على هذا العقب ولا يتفاوتون إلّا في بعض زيادات تكون عند البعض مما أغفلها البعض الآخر وأنت إذا قرأت الطبري وابن الأثير وتاريخ ابن كثير وجدت صدق ما قلناه بوضوح وصراحة.

نفسية الأنصار وأثرهم في الدين الاسلامي الكريم

انّ قارىء السيرة النبوية منذ بدء البعثة إلى قبيل تاريخ العقبتين يرى الجزيرة المشركة العربية وكافة أهلها وفي طليعتهم قريش مكة محيطاً ذا تصاريف وأهوال لا منفذ فيه للانسانية بطور مطلق وكلما يلوح له فيها أشباح متجهمة

الوجوه عابسة الطلعة بغيضة المنظر لا تفترق عن وحوش صحاريها الكاسرة إلّا بالمشي على اثنين والتكلم فقط وتزيد عليها انها وحوش في الحواضر والبوادي جميعاً بخلاف تلك الحيوانات التي لا توجد إلّا في الفجوات الخالية والتيه الجرداء وأحسن تصوير يوقفك على هوية هذه المناظر المزعجة ما تلاه التاريخ من مشيهم مع نبي الإسلام والكمية المعدودة من أتباه الذين آمنوا به وصدقوه فانك قد قرأت التاريخ في هذه المراحل وهي طيلة ثلاثة عشرة سنة حرفاً حرفاً وتميزت اجلاب الجزيرة بكل ما فيها على هذا الإنسان الروحي وأتباعه اجلاباً لم يبق نقطة من نقاط الوحشية في اليد واللسان وحركات كافة الأعضاء إلّا أتى عليها بالعمل المصارح الخارجي من دون أقل مبرر يسوغ له ارتكاب أقل ما ارتكب فضلاً عن أكثره وأخطره فإنّ داعية الإسلام لم يكن منه إلّا طلاقة الوجه ونعومة اللسان وواضح البيان وصحيح البرهان على ترك عبادة الأحجار والنصب والأوثان والتوجه إلى معبود تليق به العبادة ومقصود يصح في حقه القصد ومرجع يصحح المنطق رجوع من يرجع إليه وهذه الكليات فضلاً عن مزيد وضوحها لكل مدرك لا غضاضة فيها على أي ديّار يفرض وحتى عبدة الأصنام فإنّ هؤلاء بأسرهم لا ينكرون المبدأ الأولي وهو الله الذي لا يزال ورد ألسنتهم في عهودهم وايمانهم بل وفي السائر من شتات حديثهم.

نعم غاية ما عندهم انّ هذه المجسمات المتنوعة ذات آثار فيما يزعمون وان تأثيرها منوط باعزاز الله لها واحترامه لجانبها وهذا أمر ليس له من الأهمية على فرض رسوخه في أذهانهم ما يزعجهم هذا الازعاج العظيم ويهيب بهم إلى أن يطاردوا في سبيله كل من إلّا يرضاه مطاردة عنيفة ربما لا يقومون بقليل منها في الدفاع عن أموالهم وأعراضهم وأولادهم ومطاردتهم للنبي وأتباعه في مكة قد لا تكون كبدتهم خسارة مالية ولا بدنية وان تأثر باجلابهم الشديد نبي الإسلام

والمسلمون تأثراً يوجب الجزع الخارج عن معتاده انصافاً ولكن هلم الخطب في الدماء التي أراقوها من أوداج أنفسهم في وقعات بدر وأُحد والخندق وهلم دواليك مهاجمين غير مدافعين والمنطق لا يعرف لهم في كل هذه المواقف داعياً عقلائياً يدورون حواليه ويندفعون من أجله إلّا نقطة الأوثان وقد تميزت سهولة امرها جداً.

وانك أيّها القارىء إذا تصفحت صفحات تاريخ بني الإنسان على طول خطه مع الحياة وجدت فيها من الاختلافات الرئيسية في المسائل النظرية شيئاً كثيراً لكنك لم تجد ازاء ذلك حربة تشرع يدفع بها مرتأي الرأي في صدر من يخالفه في رأيه وامّا وحوش البشر فجميع اختلافاتهم تدور مدار المطامع والانتهابات صرفاً والنزاع في الماديات أمر وراء ما نشاهده من الازعاجات المهمة التي شاهدها نبي الإسلام وتابعوه من مشركي الجزيرة العربية فما كان ـ لعمر الحق ـ ما كان من وحوش قريش مكة إلّا ضرب من ضروب التجبر الفارغ والأنانية البعيدة عن كل وجه عقلائي يعلم الله.

وانك كما قرأت لم تجد وحشية القوم في نهاية السنة الثالثة عشر من البعثة إلّا كما تجدها في أوّل أزمانها لم تسهل ولم تخف ولم تحلّل منها مسافات الأزمان أقل شدة وحدة بل استمر الأمر كذلك إلى أن دفعهم القهر الغالب بصرامته والقهر لا خيار معه؛ فمن هنا تستطيع أيّها القارىء أن تحكم بعفو خاطرك ان روحية الأنصار كانت بمكان بعيد عن هذه الروحيات الغارقة في الجهل الضاربة إلى أبعد مدى في التجبر الفارغ والأنانية الباردة وانهم اناس يملكون من القوى الحاسة ما لا تبعد عن متابعة المنطق إذا تميزته.

هذا في جانب، وله ما له من قيمته المعنوية، ولكن هلمّ النظر بكل اعجاب تملكه إلى انّ هذا الفريق لم يكتف بأن يكون مسلماً في العقيدة فقط بل جاء متلفاً

لماله في سبيله مشاطراً به الوافدين عليه من المهاجرين والأهم من ذلك اعطاؤه الوثائق اللازمة من نفسه انّه يعادي كل عدو لهذا المبدأ يقصده بسوء وجعل ضمان ذلك دمه وعرضه وكل نفيس يعز عليه وهذا الأمر لو صدر في القرن العشرين من عقلائه الأثرياء الأسخياء لعد معجزة يتحدى بها عالم السفل عالم الملكوت الأعلى وفوق كل هذه المقامات العالية وفاء القوم بكل ما شرطوه على أنفسهم لنبيهم ولقد قاموا في حروب النبي وغزواته مقاماً يكبره كل مؤمن بل كل حر ولو كان ملحداً وهذه اليد البيضاء التي وصلوا بها دعوة الإسلام شكرها لهم النبي ﷺ شكراً وافياً وآسفه جداً ان تصيبهم اثرة من بعض المهاجرين وأبنائهم ومن لفّ لفهم إذا نوى عنهم النبي ظعناً إلى دار آخرته. وسبحان المعز المقتدر مقلب القلوب والأحوال أن يصفي متاعب هؤلاء الغيارى المؤمنين بحق الايمان للمنافقين من خلقه الساعين في اطفاء نوره كآل أبي سفيان وآل الحكم بن أبي العاص ويمتحن الظالم والمظلوم من هذين الفريقين بهذا الامتحان الشديد، حكومة يزيد بن معاوية المجاري لابن الزبعري في نشيده:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

ومحكومية هذا الفريق الناصر لدينه المجاهد عن نبيه الحافظ لحياته والقابل عنه الذي في دياره عز الإسلام وفي ساحته كثر المسلمون ومن أرضه بزغت شموس الشريعة المحمدية على نقاط المعمور وليتها كانت محكومية خالية لا ضرر فيها ولا نفع بل كانت احدى نتائجها المثيرة للشجن وقعة الحرة التي استباحت الفروج فضلا عن الأنفس والأموال فيالله؛ ولا غالب لأمره ولا حاكم فوقه لا يسئل عمّا يفعل وهم يُسألون.

وقد نوّه الله سبحانه بشأن الانصال فقال (سورة الحشر: الآية ٩): ﴿ وَٱلَّذِينَ

﴿تَبَوَّءُوا الدَّارَ﴾ أي اتخذوا دار الهجرة وهي المدينة مباءة ومرجعاً ومآلاً ﴿وَالْإِيمَانَ﴾ أي التزموه وجعلوه شعاراً ظاهراً لأنفسهم ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي قبل هجرة المهاجرين اليهم ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ لأنّهم يرون المهاجرين مثلهم في العقيدة والذب عن دين الله ما استطاعوا ولذلك آثروا الغربة على الوطن والفقر على التمول فصادفوا في مهجرهم من الأنصار اخواناً في الظاهر والباطن فإنّهم ساكنوهم في دورهم وشاطروهم أموالهم وما عزوا عليهم قليلاً ولا كثيراً ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ أي انّ الأنصار لصفاء عقائدهم وطيب ضمائرهم لا يجدون في أنفسهم حسداً ولا شبه حزازة على المهاجرين عندما خصهم رسول الله ﷺ بمال بني النضير الذي أجهلاهم عنه وخصصه بالمهاجرين لشدة فقرهم.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ يوم بني النضير للأنصار إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركونهم في هذه الغنيمة وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكن شيء من هذه الغنيمة، فقال الأنصار بل تقسم لهم في أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها، فنزلت: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ أي فقر وحاجة فقسمها رسول الله بين المهاجرين ولم يعط الأنصار منها إلّا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة وهم أبو دجانة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ ويكون بمعزل عن رذيلة البخل والامساك وحب المال خارجاً عن معتاده ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي الناجحون الفائزون في مسابقات الناس إلى الخير وفعل المعروف.

وفي السنة النبوية ما عن البراء عن النبي ﷺ قال: الأنصار لا يحبهم إلّا مؤمن ولا يبغضهم إلّا منافق فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله: رواه

الشيخان والترمذي.

وعن أنس عن النبي قال: آية الايمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار؛ وعن أنس أيضاً انّ النبي رأى صبياناً ونساءً من الأنصار مقبلين من عرس فقام ممثلاً[1] وقال: اللهم أنتم من احب الناس إليّ ثلاث مرات.

وعن أنس أيضاً قال: جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ فخلا بها وقال: والذي نفسي بيده انكم لأحب الناس إليّ ثلاث مرّات. روي الشيخان هذه الثلاثة.

عن أبي هريرة عن النبي قال: لو انّ الأنصار سلكوا وادياً أو شعباً لسلكت في وادي الأنصار ولولا الهجرة لكنت امرءً من الأنصار رواه البخاري والترمذي.

وقيل لأنس أرأيت اسم الأنصار أكنتم تسمون بهام سمّاكم الله قال بل سمانا الله عزوجل[2] المؤنة وتشركونا في التمر قال المهاجرون سمعنا وأطعنا؛ عن زيد بن أرقم قالت الأنصار: يا رسول الله لكل نبي أتباع وأنا قد اتبعناك فادع الله أن يجعل أتباعنا منا فدعا به قال: اللهم اجعل أتباعهم منهم؛ روى البخاري هذه الثلاثة.

وعن زيد بن أرقم عن النبي قال: اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولأبناء أبناء الأنصار؛ رواه مسلم والترمذي ولفظه كتب زيد بن ارقم تعزية لأنس فقال اني أُبشرك ببشرى من الله سمعت رسول الله يقول اللهم اغفر للأنصار ولذراري الأنصار ولذراري ذراريهم؛ ولمسلم: ان رسول الله استغفر للأنصار ولذراري الأنصار ولموالي الأنصار؛ وللترمذي: اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار وأبناء

(١) أي منتصباً.

(٢) أي في قوله تعالى: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوهم باحسان﴾.

أبناء الأنصار ولنساء الأنصار؛ عن أبي أسيد عن النبي قال خير دور الأنصار خير فقال سعد بن عبادة ما أرى النبي إلّا قد فضّل علينا فقيل قد فضلكم على كثير. وفي رواية فقال سعد: يا رسول الله خيّرت دور الأنصار فجعلتنا آخراً فقال: أوليس بحسبكم أن تكونوا من الخيار؛ رواه الشيخان والترمذي.

عن أنس قال: مرّ أبو بكر والعباس بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون فسألهم فقالوا: ذكرنا مجلس النبي منا فدخل على النبي ﷺ فأخبره فخرج النبي وقد عصب على رأسه حاشية برده فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: اوصيكم بالأنصار فإنّهم كرشي وعيبتي وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فأقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم.

عن ابن عباس قال: خرج النبي وعليه ملحفة متعطفاً بها على منكبيه وعليه عصابة دسماء[١] حتى جلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أمّا بعد أيّها الناس انّ الناس يكثرون وتقل الأنصار حتى يكونوا كالملح في الطعام فمن ولى منكم أمراً يضر فيه أحداً أو ينفعه فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم.

عن أنس قال: دعا النبي الأنصار إلى أن يقطع لهم البحرين فقالوا لا إلّا أن تقطع لاخواننا من المهاجرين مثلها، قال: أمّا لا فاصبروا حتى تلقوني فإنّه سيصيبكم بعدي اثرة؛ روى البخاري هذه الثلاثة.

وعن أنس قال رجل من الأنصار يا رسول الله ألا تستعملني كما استعملت فلاناً، قال ستلقون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض؛ وعن أنس قال: كانت الأنصار يوم الخندق تقول:

---

(١) لونها أسود.

نحن الذين بايعوا محمّداً على الجهاد ما حيينا أبداً

فأجابهم

اللهم لا عيش إلّا عيش الآخرة فأكرم الأنصار والمهاجرة

رواهما البخاري والترمذي: عن أبي طلحة قال: قال لي رسول الله اقرء قومك السلام فإنّهم ما علمت اعفّة صبر؛ رواه الترمذي بسند حسن [١].

وذكر الحاكم [٢] عن الطفيل بن أبيّ بن كعب عن أبيه انّ النبي قال: لولا الهجرة لكنت امرءً من الأنصار ولو سلكت الأنصار وادياً أو شعباً لكنت مع الأنصار؛ عن كعب بن مالك قال انّ آخر خطبة خطبناها رسول الله ﷺ قال: يا معشر المهاجرين انكم قد أصبحتم تزيدون وان الأنصار قد انتهوا وانهم عيبتي التي آوي اليها فأكرموا محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم.

عن ابن عباس قال: خرج النبي في مرضه وقد عصب رأسه بخرقة فقال انّ الناس يكثرون ويقل الأنصار حتى يكونوا في الناس مثل الملح في الطعام فمن ولى منكم عملاً فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم.

وذكر الحاكم أيضاً [٣] عن أبي قتادة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر للأنصار ألا أنّ الناس دثاري وان الأنصار شعاري ولو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعبة لاتبعت شعبة الأنصار فمن ولى أمر الأنصار فليحسن إلى محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم ومن أفزعهم فقد أفزع الذي بين هذين، وأشار إلى نفسه لولا الهجرة لكنت امرءً من الأنصار.

---

(١) كل ذلك عن كتاب التاج للأصول في أحاديث الرسول ج ٣ ص ٤٠٣ وما بعدها.

(٢) المستدرك ج ٤ ص ٧٨.

(٣) المستدرك ج ٤ ص ٧٩.

عن أنس بن مالك قال رسول الله : يا معشر الأنصار جزاكم الله أطيب الجـزاء فانكم ما علمت أعفة صبر وسترون بعدي اثرة في الأمر والقسم فاصبروا حـتى تلقوني على الحوض.

وذكر الحاكم أيضاً [١] عن أنس قال : انّ الأنصار اشتدت عليهم السواني فأتوا النبي ﷺ ليدعو لهم أو يحفر لهم نهراً فأخبر النبي ﷺ فـقال : لا تسألونـي اليوم عن شيء إلّا أعطيتم فلما سمعوا مـا قـال النـبي ﷺ قـالوا : ادع الله لنـا بالمغفرة، قال : اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولأبناء أبناء الأنـصار. عـن أنس قال : انّ رسول الله استقبل غلماناً من غلمان الأنصار واماءً وعبيداً فـقال : والله اني لأحبكم.

ما نزل من القرآن بمكة

بما انّا قاربنا الحديث عن هجرة الرسول الأكرم إلى المدينة رأينا من الواجب أن نشير إلى عدد السور والآي النازل بمكة ونومي جملياً إلى مضامين ذلك لتتم فائدة الكتاب ويجتمع عند هذه النقطة كلما يرتبط بالحياة النبوية في مكة من أوّل البعثة إلى أوّل حديث الهجرة.

١ ـ سورة الفاتحة

قال الطبرسي مكية عن ابن عباس وقتادة ومدنية عن مجاهد وقـيل أُنـزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة. وقال الشوكاني قيل هي مكية وقيل مدنية وقد أخرج الواحدي في أسباب النزول والثعلبي في تفسيره عن عـلي قـال : نـزلت

---

(١) المستدرك ج ٤ ص ٨٠.

فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش.

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في دلائل النبوة والثعلبي والواحدي من حديث عمرو بن شرحبيل انّ رسول الله ﷺ لما شكى إلى خديجة ما يجده عند اوائل الوحي ذهبت به إلى ورقة فأخبره فقال له إذا خلوت وحدي سمعت نداءً خلفي يا محمّد يا محمّد يا محمّد فانطلق هارباً في الأرض، فقال: لا تفعل إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ثمّ ائتني فأخبرني، فلما خلا ناداه يا محمّد قل بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ربّ العالمين حتى بلغ ولا الضالين، الحديث.

وأخرج أبو نعيم في الدلائل عن رجل من بني سلمة قال: لما أسلمت فتيان بني سلمة وأسلم ولد عمرو بن الجموح قالت امرأة عمرو له هل لك أن تسمع من أبيك ما روى عنه فسأله فقرأ عليه الحمد لله ربّ العالمين وكان ذلك قبل الهجرة. وأخرج أبو بكر بن الأنباري في المصاحف عن عبادة قال: فاتح الكتاب نزلت بمكة. فهذا جملة ما استدلّ به من قال انها نزلت بمكة.

واستدلّ من قال انها نزلت بالمدينة بما أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف وأبو سعيد بن الأعرابيّ في معجمه والطبراني في الأوسط من طريق مجاهد عن أبي هريرة ورن ابليس حين أُنزلت فاتحة الكتاب وأُنزلت بالمدينة. وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر وأبو نعيم في الحلية وغيرهم من طرق عن مجاهد قال: نزلت فاتحة الكتاب بالمدينة وقيل انها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة جمعاً بين هذه الروايات.

أقول: ليس في مضامين هذه السورة ما يرشد إلى انها مكية أو مدنية لأنّ مضمونها يهدف إلى اظهار العبودية أمام المعبود وكيفية انصراف العبد بكله إلى مالك أمره والدعاء بالهداية إلى الطرق الموصلة لما يوجب رضوانه عزوجل وكل

هذا صالح لأن يكون بمكة بالمدينة بلا مزية لما قبل الهجرة على ما بعدها وبالعكس .

تنبيه : كلما ينزل بمكة بعد الهجرة إلى المدينة يحسب مدنياً وينسب اليها وحديثنا هنا عن المكي ما خلص نزوله بمكة قبل الهجرة فليتدبر من يقرأ هذه الصحائف .

سورة النساء

مدنية إلّا انّ الشوكاني نقل عن النقاش انّه قال : وقيل نزلت عند هجرة رسول الله من مكة إلى المدينة .

أقول : ويبطل هذا القول بصراحة تكفلها للأحكام الكثيرة التي لم تكن بمكة ويستبعد تشريعها مرة واحدة والنبيّ بعد لم يتمركز في دار هجرته ولم يكثر المسلمون بعد والأهمّ من ذلك انّ فيها عتاب الله للمسلمين على ترك القتال في سبيل الله والعتاب إنّما يصلح بعد التشريع بمدة ومن الواضح انّ النبي في طريق هجرته لم يوظف بقتال وجهاد وإنّما كانت الوظيفة بعد تمركزه في دار هجرته .

٢ ـ سورة الأنعام

قال الطبرسي : هي مكية ، عن ابن عباس : غير ست آيات : وما قدروا الله حق قدره إلى آخر ثلاث آيات ؛ وقل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم ، إلى آخر ثلاث آيات ـ فانهن نزلت بالمدينة ـ وفي رواية أُخرى عنه غير ثلاث آيات قل تعالوا أتل إلى آخر الثلاث وباقي السورة كلها نزل بمكة . وروي عن أبيّ بن كعب وعكرمة وقتادة انها كلها نزلت بمكة جملة واحدة ليلاً ومعها سبعون ألف ملك قد ملئوا ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتحميد فقال النبي : سبحان الله العظيم

وخرّ ساجداً ثمّ دعا الكتّاب فكتبوها من ليلتهم.

وقال الشوكاني: قال الثعلبي: سورة الأنعام مكية إلّا ستّ آيات نزلت بالمدينة وهي: وما قدروا الله حق قدره ـ إلى آخر ثلاث آيات ـ و: قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم ـ إلى آخر ثلاث آيات ـ قال ابن عطية الآيات المحكمات يعني في هذه السورة. وقال القرطبي: هي مكية إلّا آيتين هما: وما قدروا الله حق قدره، نزلت في مالك بن الصيف وكعب بن الأشرف اليهوديين. وقوله تعالى: وهو الذي أنشأ جنات معروشات؛ نزلت في ثابت بن قيس بن شماس؛ وأخرج أبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال: أُنزلت سورة الأنعام بمكة وأخرج أبو عبيد وابن المنذر والطبراني وابن مردويه عنه قال: أُنزلت سورة الأنعام بمكة ليلاً جملة وحولها سبعون ألف ملك يجأرون حولها بالتسبيح. وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال: نزلت سورة الأنعام يشيّعها سبعون ألفاً من الملائكة.

أقول:

أمّا الآيات الثلاث الأُول المشار اليها فهي الآية الـ ١٩ والـ ٩٢ والـ ٩٣ من سورة الأنعام بهذا الترتيب: ﴿ **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُوراً وَهُدىً لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ * وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ**

تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ .

ويقول الطبرسي في شأن نزول هذه الآيات : أمّا الآية الواحدة والتسعون فهو انّه جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبي فقال له النبي أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى أما تجد في التوراة انّ الله سبحانه يبغض الحبر السمين وكان سميناً فغضب وقال : ما أنزل الله على بشر من شيء ، فقال له أصحابه : ويحك ولا موسى فنزلت الآية عن سعيد بن جبير ؛ وقيل انّ الرجل كان فنحاص بن عازورا وهو قائل هذه المقالة .

عن السدي : وقيل : انّ اليهود قالت : يا محمّد أنزل الله عليك كتاباً ، قال : نعم ، قالوا : والله ما أنزل الله من السماء كتاباً فنزلت الآية .

عن ابن عباس : وأمّا الآية الثالثة والتسعون فقال اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية فقيل نزلت في مسيلمة حيث ادعى النبوة إلى قوله ولم يوح إليه شيء ؛ وقوله سأنزل مثل ما أنزل الله في عبد الله بن سعد بن أبي سرح فإنّه كان يكتب الوحي للنبي فكان إذا قال له اكتب عليماً حكيماً كتب غفوراً رحيماً وإذا قال له اكتب غفوراً رحيماً كتب عليماً حكيماً وارتد ولحق بمكة وقال اني أنزل مثل ما أنزل الله .

عن عكرمة وابن عباس ومجاهد والسدي وإليه ذهب الفراء والزجاج والجبائي وهو المروي عن أبي جعفر وقال قوم نزلت في ابن أبي سرح خاصة وقال قوم نزلت في مسيلمة خاصة .

وقال الشوكاني في ضمن ما قال : وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن السدي قال : قال فنحاص اليهودي : ما أنزل الله على محمّد من شيء فنزلت ، وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن عكرمة قال : نزلت في مالك بن الصيف . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال : جاء رجل

من اليهود يقال له مالك بن الصيف فخاصم النبي فقال له النبي: أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى هل تجد في التوراة أنّ الله يبغض الحبر السمين، وكان حبراً سميناً فغضب وقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء، فقال له أصحابه: ويحك ولا على موسى قال: ما أنزل الله على بشر من شيء فنزلت.

وأخرج الحاكم في المستدرك عن شرحبيل بن سعد قال: نزلت في عبد الله بن أبي سرح ﴿ **ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال اوحي إليّ ولم يوح إليه شيء** ﴾، الآية فلما دخل رسول الله مكة فرّ إلى عثمان أخيه من الرضاعة فغيّبه عنده حتى اطمئن أهل مكة ثمّ استأمن له.

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي خلف الأعمى انها نزلت في عبد الله بن أبي سرح وكذلك روى ابن أبي حاتم عن السدي. وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن ابن جريح في قوله: ﴿ **ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال اوحي إليّ ولم يوح إليه شيء** ﴾، قال: نزلت في مسيلمة الكذاب ونحوه ممن دعا إلى مثل ما دعا إليه ﴿ **ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله** ﴾، قال: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح.

أقول: ظواهر الآيات بل صراحتها تنطبق كل الانطباق على ما ذكر لها من شأن نزول فإنّ قوله تعالى: ﴿ **قُلْ مَنْ أَنْزَلَ ٱلْكِتَابَ ٱلَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُوراً وَهُدىً لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً** ﴾ صريح في انّ مجرى المحاورة كان مع اليهود وهكذا قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَاأَنْزَلَ ٱللَّهُ** ﴾ صريح بانطباقه خارجاً على مدعى النبوة من مسيلمة وغيره وعلى ابن أبي سرح بخاصته فإنّ مضمون هذه المقالة مما صدر عنه باجماع كتّاب السيرة والتاريخ ولذلك أهدر الرسول الأكرم دمه.

وبما انّ تحدي اليهود للنبي ﷺ وقضية ابن أبي سرح من القضايا الكائنة الحادثة في المدينة لا جرم حكم أهل الفن بنزول هذه الآيات بالمدينة دون مكة وله وجهه الوجيه.

وأمّا الآيات الأُخر فهي الآيات الـ ١٥١ والـ ١٥٢ والـ ١٥٣ بهذا الترتيب: **﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَاحَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَتَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُم مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُوا اَلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُوا اَلنَّفْسَ اَلَّتِي حَرَّمَ اَللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ اَلْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا اَلْكَيْلَ وَاَلْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَنُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاَعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اَللّهِ أَوْفُوا ذٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَنَّ هٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاَتَّبِعُوهُ وَلاَتَتَّبِعُوا اَلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾**.

أقول: لم يذكر أهل التفسير شأناً خاصاً لنزول هذه الآيات وليس فيها من الأحكام ما يأبى أن يكون مكياً والأثر ان صح فهو المتبع في الحكم بمدنيتها.

وقد ذكر الشوكاني كما أسلفناه في صدر هذا البحث عن القرطبي انّ سورة الأنعام مكية إلّا آيتين هما وما قدروا الله حق قدره. وقد قرأت عنها ما يناسبها؛ وقوله تعالى: وهو الذي أنشأ جنات معروشات، نزلت في ثابت بن قيس بن شماس. وهذه الآية هي الآية الـ ١٤١ من هذه السورة بهذا الترتيب: **﴿ وَهُوَ اَلَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَاَلنَّخْلَ وَاَلزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَاَلزَّيْتُونَ وَاَلرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَيُحِبُّ اَلْمُسْرِفِينَ ﴾**؛ قال الشوكاني: أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن جريج قال: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس جدّ نخلا فقال لا يأتيني اليوم أحد إلّا أطعمته فأطعم حتى أمسى وليس له تمرة فأنزل الله: **﴿ ولا تسرفوا**

انّه لا يحب المسرفين ﴾ .

أقــول : والذي يؤيد مدنيتها ما فيها من ذكر ايتاء الحق يوم الحصاد فإنّ هـذا الحكم لم يواجه المسلمين بالتكليف إلّا في المدينة لا لأنّه يشعر الزكاة والزكـاة إنّما وجبت بالمدينة بل حتى لو كان حكماً بحياله صار منسوخاً أم بقي محكماً لا محل له إلّا دار الأمن وكثرة المسلمين واستقرارهم وتجمعهم ـ وهي المدينة ـ وامّا مكة حينما كان الأنصار مشركين كغيرهم من العرب وكان المسلمون أفراداً منشعثين يكثر فيهم الفقر ولا يعرفون الزرع فليست محلاً لتشريع هـذا الحكـم بالضرورة .

قال الشوكاني : قد اختلف أهل العلم هل هذه الآية مـحكمة أو مـنسوخة أو محمولة على الندب فذهب ابن عمر وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير إلى انّ الآية محكمة وانّه يجب على المالك يوم الحصاد أن يعطي من حضر من المسـاكـين القبضة والضغث ونحوهما . وذهب ابن عـباس ومـحمّد بـن الحـنفية والحسـن والنخعي وطاووس وأبو الشعثاء وقتادة والضحاك وابـن جـريج ان هـذه الآيـة منسوخة بالزكاة واختاره ابن جرير ويؤيده انّ هذه الآية مكية وآية الزكاة مدنية في السنة الثانية بعد الهجرة وإلى هذا ذهب جمهور أهل العلم من السلف والخلف وقالت طائفة من العلماء انّ الآية محمولة على الندب لا على الوجوب .

أقـول : لا مانع من إحكامها وجعلها مقررة لما دلّ على وجوب الزكـاة فـإنّ الآية المذكورة كما ذكر الشوكاني نفسه عن القرطبي انها مدنية لا مكية ومفادها لا ينافي ما يدل على وجوب الزكاة المالية فإنّ الكروم والنخيل والزروع مـحل لوجوب الزكاة وما خرج مما ذكر في هذه الآية عن مورد وجوب الزكاة مشروح بالسنة وبما حدّد موارد وجوب ايتاءها فلا داعي للقول بنسخها أصلاً .

ثمّ لا يخفى على قارىء هـذه السـورة مـن أوّلهـا إلى خـتامها انّ جـماعها

الاستدلال على اثبات الصانع والنبوات العامة والخاصة واثبات البعث والحشر وتسلية النبي عما يصيبه من الأذى في طريق تبليغ الدعوة وتعليمه جملة من التعاليم الأخلاقية التي بها يستطيع المشي مع المؤمنين به أذلاء كانوا فيما بين الناس أو اشرافاً في أنفسهم باعتبار الظواهر الجارية وما كان من نظير هذه الأُمور المذكورة.

٣ـ سورة الأعراف

قال الطبرسي: هي مكية، وقد روى عن قتادة والضحاك انها مكية غير قوله واسألهم عن القرية إلى قوله: بما كانوا يفسقون، وقال الشوكاني هي مكية إلّا ثمان آيات: وهي قوله: واسألهم عن القرية إلى قوله: وإذ نتقنا الجبل فوقهم. وقد أخرج ابن الضريس والنحاس في ناسخه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل من طرق عن ابن عباس قال: سورة الأعراف نزلت بمكة وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ عن قتادة قال: آية من الأعراف مدنية وهي: واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إلى آخر الآية وسائرها مكي.

أقول: الآيات الثمان التي أشار اليها الشوكاني هي الآيات الـ ١٦٢ إلى ١٧٠، وفي جملتها ما أشار إليه الطبرسي بقوله إلى قوله بما كانوا يفسقون كما نرمز إليه عند سردها والآيات المذكورة بهذا الترتيب:

﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لَايَسْبِتُونَ لَاتَأْتِيهِمْ كَذٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ يحتمل أن يريد الطبرسي هذه الآية وحدها كما يحتمل أن يريد ختام الآية الـ ١٦٤ الآتية: **﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً ٱللّٰهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُوا**

مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَاذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ * وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ ٱلْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ * وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أُمَماً مِنْهُمُ ٱلصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذٰلِكَ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَٱلسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا ٱلْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ ٱلْكِتَابِ أَن لَا يَقُولُوا عَلَى ٱللّٰهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ .

أقول : لا شبهة انّ سياق هذه الآيات الثمان يدل على انها فصيلة واحدة لارتباط بعضها ببعض ارتباطاً شديداً كما لا شبهة انّ المراد بالمسؤولين في قوله سبحانه وتعالى ﴿واسألهم عن القرية﴾ هم اليهود المعاصرون للنبي ﷺ المجاورون له بالمدينة فهي مدنية بلا ريب وتدور مضامينها على أهل السبت الذين حرّم الله عليهم الصيد في هذا اليوم فارتكبوه فأوقع الله بهم ما قصّه في كتابه العزيز .

فعندي أنّ ما ذكره الشوكاني أوّلاً أولى مما ذكره من الأقوال التي نقلها وأولى مما ذكره الطبرسي كما أسلفنا كل ذلك في صدر هذا البحث ، وتدور مضامين هذه السورة على الاستدلال لوجود الله وتوصيف جنته وناره وايقاظ الناس من غفلاتهم ان في مرحلة الاعتقاد وإن من جهة العمل وفيها مساق عظيم عن سيرة الأنبياء الأقدمين صلوات الله عليهم أجمعين ليكون في ذلك درس ناجع للنبي ﷺ ولأمته بل لكل سامع مسملاً كان أم كتابياً أم مشركاً .

٤ ـ آيات من سورة الأنفال

قال الطبرسي : الأنفال مدنية عن ابن عباس وقتادة غير سبع آيات نزلت بمكة : وإذ يمكر بك الذين كفروا إلى آخرهن وقيل نزلت بأسرها في غزاة بدر عن الحسن وعكرمة ، وقال الشوكاني صرّح كثير من المفسرين بأنّها مدنية ولم يستثنوا منها شيئاً وبه قال الحسن وعكرمة وجابر بن زيد وعطاء ، وقال القرطبي : قال ابن عباس هي مدنية إلّا سبع آيات من قوله : وإذ يمكر بك الذين كفروا إلى آخر سبع آيات .

أقول : الآيات السبع الموماً اليها هي الآيات الـ ٣٠ إلى ٣٦ بهذا الترتيب :

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَاكِرِينَ * وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هٰذَا إِنْ هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ * وَإِذْ قَالُوا ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ ٱلسَّماءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ * وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ * إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾ .

أقول : هذه الآيات السبع مترابطة متصلة الحلقات ومضامينها تشهد بأنّ دواعيها مما حدث قبل الهجرة إلى المدينة ومما يتصل بمشركي مكة قطعاً مضافاً إلى ما ورد فيها من شأن نزول .

فقد قال الطبرسي حاكياً عن المفسرين انها نزلت في قصة دار الندوة وذلك انّ نفراً من قريش اجتمعوا فيها وهي دار قصي بن كلاب وتآمروا في أمر

النبي ﷺ فقال عروة بن هشام نتربص به ريب المنون، وقال أبو البختري: أخرجوه عنكم تستريحوا من أذاه، وقال أبو جهل: ما هذا برأي ولكن اقتلوه بأن يجتمع عليه من كل بطن رجل فيضربوه بأسيافهم ضربة رجل واحد فيرضى حينئذ بنو هاشم بالدية فصوّب ابليس هذا الرأي وكان قد جائهم في صورة شيخ كبير من أهل نجد وخطأ الأولين فاتفقوا على هذا الرأي وأعدوا الرجال والسلاح وجاء جبريل فأخبر رسول الله ﷺ فخرج إلى الغار وأمر عليّاً فبات على فراشه فلما أصبحوا وفتشوا عن الفراش وجدوا عليّاً وقد رد الله مكرهم فقالوا أين محمّد فقال لا أدري فاقتصوا أثره وأرسلوا في طلبه فلما بلغوا الجبل ومروا بالغار رأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لو كان ههنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه فمكث فيه ثلاثاً ثمّ قدم المدينة.

وقال الشوكاني: أخرج عبد الرزاق وأحمد وعبد بن حميد وابن المنذر والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل والخطيب عن ابن عباس في قوله: وإذ يمكر بك الذين كفروا، قال: تشاورت قريش ليلة بمكة فقال بعضهم إذا أصبح فاثبتوه بالوثاق يريدون النبي ﷺ وقال بعضهم بل اقتلوه وقال بعضهم بل أخرجوه فاطلع الله نبيه على ذلك فبات عليّ على فراش النبي حتى لحق بالغار فلما أصبحوا ثاروا إليه فلما رأوه عليّاً رد الله مكرهم فقالوا أين صاحبك هذا، فقال: لا أدري فاقتصوا أثره فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم فصعدوا في الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لو دخل هنا لم يكن نسج العنكبوت فمكث فيه ثلاث ليال.

٥ـ سورة يونس

قال الطبرسي: هي مكية في قول الأكثرين، وروي عن ابن عباس وقتادة إلّا ثلاث آيات نزلت بالمدينة: فإن كنت في شك مما أنزلنا اليك إلى آخرهن وقال

ابن المبارك إلّا : ومنهم من يؤمن به ، الآية فإنّها نزلت في اليهود بالمدينة .

وقال الشوكاني : هي مكية إلّا ثلاث آيات من قوله : فإن كنت في شك إلى آخرهن ، هكذا روى القرطبي في تفسيره عن ابن عباس وحكى عن مقاتل انها مكية إلّا آيتين وهي قوله : فإن كنت في شك فإنّها نزلت بالمدينة وحكى عن الكلبي انها مكية إلّا قوله : ومنهم من لا يؤمن به ، فإنّها نزلت بالمدينة وحكى عن الحسن وعكرمة وعطاء وجابر انها مكية من دون استثناء ، وأخرج النحاس وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس قال : نزلت سورة يونس بمكة ، وأخرج أبو الشيخ عن ابن سيرين قال : كانت سورة يونس بعد السابعة .

أقول : الآيات الثلاث المشار اليها هي الآية الـ ٩٤ والـ ٩٥ والـ ٩٦ من سورة يونس بالترتيب المشروح : ﴿ فَإِن كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ * إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ ، لا يعطي سياق هذه الآية لزوم نزولها بالمدينة لأنّ مكة لم تكن في عصر النبي خالية من أهل الكتاب إلّا انهم في المدينة أكثر وجرت بينهم وبين النبي مناقشات أيضاً فربما يكون هذا هو المؤيد لدعوى نزول هذه الآيات في المدينة ، وأمّا قوله سبحانه : فإن كنت في شك فإنّ المراد به التعريض بصورة واضحة مثل قوله تعالى : لئن أشركت ليحبطن عملك ، فإنّ المنظور الأصلي بهذه الخطابات هو غير النبي حتماً لأنّه لا يعقل أن يكون نبياً بصريح القرآن ثمّ يسأل عن صحة دينه وسقمه من أهل الكتاب الذين لا يزال القرآن يدحض حججهم ويكشف مخبآتهم التي يتسترون بها عن الناس وينعى عليهم أضاليلهم والغاية من السؤال انّ أهل الكتاب قبل ظهور النبي بدعوته كانوا كثيراً ما يذكرونه بأوصافه وعلاماته ويصرحون بأنّه قريب الظهور وبعد ظهوره لجّ طائفة واعترف آخرون والمقصود

بالسؤال هو الفريق الثاني الذي أنصف نفسه فأعطى الحق من نفسه اختياراً فإنّ هذا الفريق لا يخفى على السائل شيئاً من اطلاعه الذي استفاده من كتابه في حق نبي الإسلام ودينه ووظائفه المشرعة له والأخبار المقصوصة عليه مما تناولتها كل كتب السماء واشتركت في جوهرها.

وأمّا قول الطبرسي والشوكاني جميعاً حكاية عن الغير ان السورة التي نحن بصددها مكية إلّا قوله تعالى: ومنهم من لا يؤمن به، فذلك مما لا أرى له وجهاً لمدعيه فإنّ الآية المشار اليها هي الآية الـ ٤٠ من السورة المذكورة بهذا الترتيب: ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين، وهي بسابقها ولاحقها مما لا تشير إلى المدينة لا بطرف خفي ولا بطرف جلي.

٦ـ سورة هود

قال الطبرسي: هي مكية كلها في قول الأكثرين، وقال قتادة: إلّا آية وهي قوله: وأقم الصلاة طرفي النهار، فإنّها نزلت بالمدينة. وقال الشوكاني هي مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، قال ابن عباس وقتادة: إلّا آية وهي قوله: وأقم الصلاة طرفي النهار.

أقول: ما أشار إليه المفسران المذكوران هو الآية الـ ١١٥ من السورة المذكورة بهذا الترتيب: ﴿ **وَأَقِمِ ٱلصَّلَاةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ ٱللَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ** ﴾، وليس في هذه الآية وحتى بمراعات سابقها ولاحقها ما يشعر بمدنيتها فإنّ الصلوات الخمس المشار اليها في هذه الآية من تشريعات مكة كما أسلفنا ذلك في بحث المعراج، ومضمون هذه السورة التنديد بالمشركين وتسلية النبي ﷺ عما يلاقي في طريق تبليغه وقصّ تاريخ الأنبياء عليه ليكون له ولقومه عبرة.

٧ـ سورة يوسف

قال الطبرسي: هي مكية، وقال المعدل عن ابن عباس غير أربع آيات نـزلن بالمدينة ثلاث من أوّلها والرابعة لقد كان في يوسف واخوته آيـات للسـائلين. وقال الشوكاني: هي مكية كلها، وقيل نزلت ما بيت مكة والمدينة وقت الهجرة، وقال ابن عباس في رواية عنه وقتادة إلّا أربع آيات.

أقـول: لم يشر الشوكاني إلى هذه الأربع، أمّا الطبرسي فقد أشار كما قـرأت عنه امّا الآيات الثلاث من أوّلها فهي: ﴿ **الَر تِلْكَ آيَاتُ ٱلْكِتَابِ ٱلْمُبِينِ * إِنَّا أَنْـزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَا أَوْحَـيْنَا إِلَـيْكَ هٰـذَا ٱلْقُرْآنَ وَإِن كُنْتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ ٱلْغَافِلِينَ** ﴾، وأمّا الرابعة فهي الآية السابعة من السورة المذكورة ﴿ **لقد كان في يوسف واخوته آياتٌ للسائلين** ﴾، وأنت كما ترى ليس في هذه الآيات اشعار بنزولها بالمدينة والسورة على طولها تتكفل البحث عن حياة اسرة نبوية اسرائيلية وتنتهي بتذكير الله رسوله وتعليمه ما به ارشاد خلقه وتقوية عزمه بأنّ الله مقوّ له وحافظ، وقد آنفنا الحديث على هـذه السـورة فـي فـصل النبوات العامة من هذه السلسلة.

٨ـ سورة الرعد

قال الطبرسي: مكية كلها، عن ابن عباس وعطاء، وقـال الكـلبي ومـقاتل: مكية إلّا آخر آية منها نزلت في عبد الله بن سلام، وقال سعيد بن جـبير: كـيف تكون هذه الآية نزلت في عبد الله بن سلام والسورة كلها مكية، وقـال الحسـن وعكرمة وقتادة انها مدنية إلّا آيتين نزلتا بمكة ولو أنّ قرآناً سيّرت بـه الجـبال وما بعدها.

وقال الشوكاني قد وقع الخلاف هل هي مكية أو مدنية فروى النحاس في ناسخه عن ابن عباس انها نزلت بمكة وروى أبو الشيخ وابن مردويه عنه انها نزلت بالمدينة وممن ذهب إلى انها مكية سعيد بن جبير والحسن وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد وممن ذهب إلى انها نزلت بالمدينة ابن الزبير والكلبي ومقاتل وقول ثالث انها مدنية إلّا آيتين منها فانهما نزلتا بمكة وهما قوله تعالى: ولو انّ قرآناً سيّرت به الجبال؛ وقيل قوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة؛ وقد روي هذا عن ابن عباس أيضاً وقتادة.

أقول: أمّا الآيتان المشار اليهما فهما الآية الـ ٣١ والـ ٣٢ من السورة المذكورة بهذا الترتيب: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرآناً سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْكُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بل لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعاً أَفَلَمْ يَيْأَسِ ٱلَّذِينَ آمَنوا أَن لَوْ يَشَاءُ ٱللَّهُ لَهَدَي ٱلنَّاسَ جَمِيعاً وَلاَ يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ * وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾. وأمّا الآية الأخيرة فهي الآية ٤٣: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ ٱلْكِتَابِ ﴾.

وهذه الآيات كما ترى لا يعطي شيء منها انّه مدني أو مكي بخصوصه بما يؤيد جانباً على جانب فلا يبقى إلّا الأثر وهو مختلف كما قرأت وربما يرجح مكيتها انها شأن السور المكية الأُخر التي دأب سياقها التنديد بالشرك والمشركين واقامة الدليل على وجود الصانع للكون وشرح أوصافه اللازمة وما يؤول إليه المشركون من عذاب أليم وما جرى على هذه الروية.

لكن الطبرسي يذكر في شأن نزول الآية المتقدمة على آية ولو أنّ قرآناً سيرت به الجبال: وهي هذه الآية: كذلك أرسلناك في امة قد خلت من قبلها أُمم لتتلو عليهم الذي أوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلّا هو عليه

توكلت وإليه متاب ؛ انها نزلت في صلح الحديبية حين أرادوا كتاب الصلح فقال رسول الله لعلي : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل بن عمرو والمشركون : ما نعرف الرحمن إلّا صاحب اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب اكتب باسمك اللهم وهكذا كان أهل الجاهلية يكتبون ثمّ قال رسول الله اكتب هذا ما صالح عليه محمّد رسول الله فقال مشركوا قريش لئن كنت رسول الله ثمّ قاتلناك وصددناك لقد ظلمناك ولكن اكتب هذا ما صلح محمّد بن عبد الله فقال أصحاب رسول الله دعنا نقاتلهم قال : لا ولكن اكتبوا كما يريدون ، فأنزل الله عزوجل كذلك أرسلناك في امة ، الآية .

عن قتادة ومقاتل وابن جريح : وقيل نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي ﷺ اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن ، عن الضحاك عن ابن عباس : ونزلت الآية الأُخرى : وهو قوله تعالى : ولو انّ قرآناً ، الآية ، في نفر من مشركي مكة منهم أبو جهل بن هشام وعبد الله بن امية المخزومي جلسوا خلف الكعبة ثمّ أرسلوا إلى النبي ﷺ فأتاهم فقال له عبد الله بن امية ان سرّك ان نتعبك فسيّر لنا جبال مكة بالقرآن فأذهبها عنا حتى تنفسح فإنّها أرض ضيقة واجعل لنا فيها عيوناً وأنهاراً حتى نغرس ونزرع فلست كما زعمت أهون على ربك من داود حيث سخر له الجبال تسبح معه أو سخّر لنا الريح فنركبها إلى الشام فنقضي عليها ميرتنا وحوائجنا ثمّ نرجع من يومنا ، فقد كان سليمان سخرت له الريح فكما زعمت لنا لست أهون على ربك من سليمان واحيي لنا جدك قصياً أو من شئت من موتانا لنسأله أحق ما تقول أم باطل فإنّ عيسى كان يحيي الموتى ولست بأهون على الله ، فأنزل الله سبحانه : ولو انّ قرآناً سيّرت ، الآية .

وقد أشار الشوكاني إلى هذا الوجه أيضاً . وفي الختام ان ثبت انّ سورة الرعد مكية وان شأن النزول في الآية السابقة على : ولو أنّ قرآناً ، هو معاهدة صلح

الحديبية فذاك مما يوجب استثناء هذه الآية من السورة لأنّ صلح الحديبية بعد الهجرة.

٩ـسورة إبراهيم

قال الطبرسي: قال ابن عباس وقتادة والحسن هي مكية إلّا آيتان نـزلتا فـي قتلى بدر المشركين: ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً، إلى قوله فبئس القرار. وقال الشوكاني: هي مكية كما أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس، وأخرجه ابن مردويه أيضاً عن ابن الزبير وحكاه القرطبي عن الحسن وعكرمة وجابر بن زيد وقتادة إلّا آيتين منها، وقيل إلّا ثلاث آيات نزلت في الذين حـاربوا رسـول الله وهي قوله: ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفراً ـإلى قوله ـفإنّ مصيركم إلى النار، وأخرج النحاس في ناسخه عن ابن عباس قال: هي مكية سوى آيتين منها نزلتا بالمدينة وهي: ألم ترَ إلى الذين يدلوا نعمة الله كفراً، الآيتين نزلتا في قتلى بدر من المشركين.

أقـول: الآيات المشار اليها في الآيات الـ ٢٨ والـ ٢٩ والـ ٣٠ مـن السـورة المذكورة بهذا الترتيب: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ * وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ** ﴾ وورد بعض الآثار في شأن نزولها انها نزلت في كفار أهل مكة حينما ساقوا أنفسهم واخوتهم ومن قدروا عليه إلى حرب بدر فقتلوا فـيها ولو خليت الآيات وطبعها لما كان فيها اشارة خاصة إلى هذه الخصوصية وهذه السورة تعرضت لاثبات الصانع والتنديد بالمشركين وما هي الأهوال التي يلاقيها المنحرف عـن جـادة الله سـبحانه يـوم الوفـود عـليه وللـتحديث عـن بـعض الأنبياء عليهم السلام.

١٠ ـ سورة الحجر

قال الطبرسي : مكية في قول قتادة ومجاهد، وقال الحسن إلّا قوله : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْآنَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ ، وقوله : ﴿ كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ * ٱلَّذِينَ جَعَلُوا ٱلْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾ .

وقال الشوكاني : هي مكية بالاتفاق، كما قال القرطبي، وأخرج النحاس في ناسخه وابن مردويه عن ابن عباس قال : نزلت سورة الحجر بمكة، وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير مثله .

أقول الآيات المشار اليها عند الطبرسي هي الآية الـ ٨٧ والـ ٩٠ والـ ٩١ من السورة المذكورة وقد ذكرناها عن الطبرسي فأغنى عن الاعادة ولم يذكر المفسرون لها شأن نزول يوجب مدنيتها وهي كما ترى لا ترمي من دون اخواتها إلى حيّز مخصوص يخرجها عن المكية إلى المدنية وهذه السورة تتكفل البحث عن الصانع وقدرته وعظمته والتشديد بالمشركين وان ما يلقاه محمّد ﷺ من مشركي زمانه له نظير في الأُمم السابقة مع أنبيائهم والتعرض لسيرة بعض الأنبياء الأقدمين .

١١ ـ سورة النحل

قال الطبرسي : أربعون آية من أوّلها مكية والباقي من قوله : والذين هاجروا في الله من بعدما ظلموا لنبوئنهم... إلى آخر السورة مدني عن الحسن وقتادة وقيل مكية كلها غير ثلاث آيات نزلت في انصراف النبي من أُحد : وإن عاقبتم إلى آخر السورة نزلت بين مكة والمدينة .

عن ابن عباس وعطاء والشعبي وفي احدى الروايات عن ابن عباس بعضها

مكي وبعضها مدني فالمكي من أوّلها إلى قوله ولكم عذاب عظيم والمدني قوله: ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً إلى قوله: بأحسن ما كانوا يعملون.

وقال الشوكاني: هي مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، ورواه ابن مردويه عن ابن عباس، وعن ابن الزبير، وأخرج النحاس من طريق مجاهد عن ابن عباس قال: سورة النحل نزلت بمكة سوى ثلاث آيات من آخرها فانهن نزلن بين مكة والمدينة في منصرف رسول الله ﷺ من أُحد، قيل: وهي قوله: وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به، الآية، وقوله: واصبر وما صبرك إلّا بالله؛ في شأن التمثيل بحمزة وقتلى أُحد وقوله: ثمّ إنّ ربك للذين هاجروا، الآية؛ وقيل الثالثة: ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً إلى قوله بأحسن ما كانوا يعملون.

أقول: الآية الحادية والأربعون من هذه السورة وهي: ﴿ **وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا فِي ٱللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُم فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾. تعطي بظهور واضح انها مدنية وورد بها الأثر أيضاً، وهكذا الآية الـ ١١٠ من هذه السورة وهي: ﴿ **ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾. شارة المدنية عليها واضحة.

وذكر الطبرسي في شأن نزول الآية الخامسة والتسعين (٩٥) وهي: ﴿ **وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ والآية الـ ٩٦ ﴿ **مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾. عن ابن عباس انّ رجلاً من حضرموت يقال له عبدان الاشرع قال: يا رسول الله انّ امرىء القيس الكندي [١] جاورني في أرضي فاقتطع من أرضي

---

(١) ليس هو الشاعر المعروف وإنّما هذا صحابي.

فذهب بها منى والقوم يعلمون اني لصادق ولكنه أكرم عليهم مني فسأل رسول الله ﷺ امرىء القيس عنه فقال: لا أدري ما يقول فأمره أن يحلف فقال عبدان انّه فاجر لا يبالي أن يحلف فقال: ان لم يكن لك شهود فخذ بيمينه فلما قام ليحلف انظره فانصرفا فنزل قوله: ولا تشتروا بعهد الله، الآيتين.

فلما قرأهما رسول الله قال امرؤ القيس: امّا ما عندي فينفد وهو صادق فيما يقول لقد اقتطعت أرضه ولم أدر كم هي فليأخذ من أرضي ما شاء، ومثلها معها بما أكلت من ثمرها فنزل فيه الآية الـ ٩٧: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾. وهذه مرافعة حصلت بعد ما استقر أمر رسول الله وثبت وأخذ الناس يرجعون إليه في القضاء وغيره وذلك بعد مهجره فهذه الآيات الثلاث عليهذا مدنيات.

ويذكرون في شأن الآية الـ ١٢٦ من هذه السورة وهي: ﴿ **وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ** ﴾، ان المشركين لما مثلوا بقتلى أُحد وبحمزة بن عبد المطلب فشقوا بطنه وأخذت هند بنت عتبة كبده فجعلت تلوكه وجدعوا أنفه وأُذنه وقطعوا مذاكيره قال المسلمون: لئن أمكننا الله منهم لنمثلن بالأحياء فضلاً عن الأموات فنزلت الآية.

عن الشعبي وقتادة وعطاء بن يسار وقيل انّ الآية عامة ولا اختصاص لها بهذا المورد، وعلى كل فسورة النحل لا يجوز أن يقال انها مكية على الإطلاق لما فيها من مقطوع المدنية وتتضمن السورة المومأ اليها اثبات الصانع بألوان ما أبدعه وأنعم به وتتناول الحساب والمجازاة يوم الحشر وتهديد المشركين والتنديد بهم وبيان جملة من محاسن الأخلاق والآداب وذكر طرف قليل من الأحكام.

١٢ـ سورة الاسراء

قال الطبرسي : هي مكية كلها ، وقيل مكية إلّا خمس آيات : ولا تقتلوا النفس ، الآية . ولا تقربوا الزنا ، الآية . اولئك الذين يدعون ، الآية . أقم الصلاة ، الآية . وآت ذا القربى حقه ، الآية . عن الحسن وقيل : مكية إلّا ثماني آيات : وإن كادوا ليفتنونك إلى قوله : وقل ربّ أدخلني مدخل صدق ، الآية . عن قتادة والمعدل عن ابن عباس .

وقال الشوكاني : هي مكية إلّا ثلاث آيات ، قوله عزوجل : وإن كادوا ليستفزونك ، نزلت حين جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفد ثقيف وحين قالت اليهود ليست هذه بأرض الأنبياء ، وقوله : وقل ربّ أدخلني مدخل صدق ، وقوله : ان ربك أحاط بالناس ، وزاد مقاتل قوله : ان الذين اوتوا العلم من قبله .

أقول : الآيات المشار اليها هي الآية الـ ٢٦ من هذه السورة وهي : ﴿ وَآتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً ﴾ ، ولا ريب انّ الحقوق المالية لم تكن إلّا بعد الهجرة ، والآية الـ ٣٢ وهي : ﴿ وَلاَ تَقْرَبُوا ٱلزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾ ، وهذا غير متعين ان يكون بالمدينة لأنّ هذا الحكم حسبما يظهر من عامة الشرائع انّه قديم بقدمها والإسلام جاء مؤيداً ومؤكداً .

والآية الـ ٣٣ وهي : ﴿ وَلاَ تَقْتُلُوا ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مُظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلا يُسْرِف فِي ٱلْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُوراً ﴾ ، وكذلك لا اشعار بهذه الآية على مدنيتها فإنّ تحريم القتل إلّا بحقه قديم في الشرائع والإسلام أكّده وأيده والآية الـ ٥٧ وهي : ﴿ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً ﴾ وهذه كالسابقة لا اشعار فيها على كون نزولها في المدينة .

والآية الـ ٧٨ وهي : ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَاةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱللَّيْلِ وَقُرْآنَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً ﴾ ، وهذه فضلاً عن كونها لا تشعر بالمدنية مؤيدة بالسنة المستفيضة ان مفادها مكي فإنّ الصلوات الخمس فرضن بمكة وهكذا تعيين أوقاتها .

والآية ٧٦ وهي : ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذاً لاَّ يَلْبَثُونَ خِلاَفَكَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ قيل نزلت في يهود المدينة لما قدم رسول الله اليها قالوا له ان هذه الأرض ليست بأرض الأنبياء وإنّما أرض الأنبياء الشام فأت الشام عن ابن عباس : والآية الـ ٨٠ وهي : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِي مِن لَدُنكَ سُلْطَاناً نَصِيراً ﴾ ، قيل ان معناها ادخلني المدينة وأخرجني منها إلى مكة للفتح ، عن ابن عباس والحسن وقتادة وسعيد بن جبير . وعلى كل حال فهذه السورة لا تخلو من الآي المدني .

١٣ ـ سورة الكهف

قال الطبرسي : مكية ، قال ابن عباس إلّا آية : واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم ، فإنّها نزلت بالمدينة في قصة عيينة بن حصن الفزاري ؛ وقال الشوكاني قال القرطبي هي مكية في قول جميع المفسرين وروى عن فرقة ان أوّل السورة نزل بالمدينة إلى قوله جرزا والأوّل أصح .

أقول ما روى عن هذه الفرقة لا يؤيده من ظاهر هذه الآيات التي أشار اليها شيء وامّا الآية الـ ٢٨ وهي : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَاةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ﴾ ، فقد ذكر الطبرسي انها نزلت في سلمان وأبي ذر وصهيب وعمار وخباب وغيرهم من فقراء أصحاب النبي ﷺ

وذلك ان المؤلفة قلوبهم جاءوا إلى رسول الله ﷺ عيينة بن حصن والأقرع بن حابس وذووهم فقالوا: يا رسول الله ان جلست في صدر المجلس ونحيّت عنا هؤلاء جلسنا نحن اليك وأخذنا عنك فلا يمنعنا من الدخول عليك إلّا هؤلاء فلما نزلت الآية قام النبي يلتمسهم فأصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله عزوجل فقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من امتي معكم المحيا ومعكم الممات.

تحتوي هذه السورة على قصة أهل الكهف وموسى والخضر وذي القرنين والاستدلال على اثبات الصانع واخبار يوم القيامة ونظير ذلك.

١٤ـ سورة مريم

مكية باجماع المفسرين وهي تتناول ذكر زكريا ومريم ابنة عمران وإبراهيم وموسى وادريس وطرفاً مما يرتبط بيوم القيامة وشبيه ذلك.

١٥ـ سورة طه

حكم المفسرون بمكيتها تحتوي هذه السورة ذكر موسى وهارون وقومهما والتعرض لخلقة آدم وما جرى له وذكر النبي وتعليمه.

١٦ـ سورة الأنبياء

لم يذكر المفسرون في مكيتها خلافاً ولا استثناء تتناول هذه السورة التنديد بالمشركين ومؤاخذة الظالمين واثبات الصانع للكون والتعرض لجملة من الأنبياء الكرام وتحقيق حال النشوء والبعث وما هو من رديف ذلك.

١٧ ـ سورة الحج

قال الطبرسي: مكية عن ابن عباس وعطاء إلّا آيات، قال الحسن هي مدنية غير آيات نزلت في السفر، وقال بعضهم: غير ست آيات، وقال بعضهم غير أربع آيات. وقال الشوكاني: اختلف أهل العلم هل هي مكية أو مدنية، فأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت سورة الحج بالمدينة، وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير مثله، وأخرج ابن المنذر عن قتادة قال: نزلت بالمدينة من القرآن الحج غير أربع آيات مكيات: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ـ إلى ـ عذاب يوم عقيم.

وحكى القرطبي عن ابن عباس انها مكية سوى ثلاث آيات، وقيل أربع آيات إلى قوله عذاب الحريق، وحكي عن النقاش انّه نزل بالمدينة منها عشر آيات، قال القرطبي وقال الجمهور ان السورة مختلطة منها مكي ومنها مدني قال وهذا هو الصحيح، قال العزيزي وهي من أعاجيب السور نزلت ليلاً ونهاراً سفراً وحضراً مكياً ومدنياً سلمياً وحربياً ناسخاً ومنسوخاً محكماً ومتشابهاً.

أقول: ما ذكر ان ما كان منها إلى عذاب الحريق فهو مدني والباقي مكي لا نجد له شاهداً من سياق القرآن نفسه، فإنّ صدر السورة إلى هذا الموضع يتناول الحديث حول البعث وأهوال بما لا اشعار له بالمدينة أصلاً، نعم ذكر الطبرسي عن عمران بن الحصين وأبي سعيد الخدري انّ الآيتين من أوّل السورة نزلتا ليلاً في غزاة بني المصطلق وهم حي من خزاعة والناس يسيرون فنادى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحبسوا المطي حتى كانوا حول رسول الله فقرأها عليهم فلم ير أكثر باكياً من تلك الليلة ويؤيده الشوكاني بما حكاه عن سعيد بن منصور وأحمد وعبد بن حميد والترمذي وصححه والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي

حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه من طريق عن الحسن وغيره عن عمران بن حصين قال: لما نزلت ﴿ **يا أيّها الناس اتقوا ربكم انّ زلزلة الساعة شيء عظيم** ﴾ إلى قوله ﴿ **ولكن عذاب الله شديد** ﴾ وقد كانت نزلت عليه هذه وهو في سفر قال: أتدرون أيّ يوم ذلك ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذلك يوم يقول الله لآدم ابعث بعث النار قال يا رب وما بعث النار قال من كل ألف تسعماءة وتسعة وتسعين إلى النار وواحداً إلى الجنة إلى آخر ما ذكر. فعلى هذا تكون هاتان الآيتان مما نزل بالمدينة لأنّ غزاة بني المصطلق مدنية بل لم يكن للنبي سفر ومعه المسلمون إلّا بعد هجرته.

وذكر الطبرسي والشوكاني في شأن نزول الآية الـ ١١ من هذه السورة وهي ﴿ **ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمئن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين** ﴾ انّ جملة من ضعفاء العقائد والنفوس كانوا يقدمون على رسول الله المدينة فكان أحدهم إذا صحّ جمسه وأنتجت فرسه وولدت امرأته غلاماً وكثرت ماشيته رضى به واطمئن إليه وإن أصابه وجع المدينة وولدت امرأته جارية قال: ما أصبت في هذا الدين إلّا شراً. وعلى هذا الشأن فهي مدنية.

وهكذا ذكر الطبرسي والشوكاني وغيرهما في شأن نزول الآية الـ ١٩ وهي: ﴿ **هذان خصمان اختصموا في ربهم** ﴾ انها نزلت في ثلاثة مؤمنين وثلاثة مشركين في وقعة بدر، امّا المؤمنون فهم علي بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث، وأمّا المشركون فهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة عندما تبارزوا، فهذه الآية مدنية أيضاً، ويذكرون في شأن نزول هذه الآيات المتحدة السياق وهي الآية الـ ٣٩ والـ ٤٠ والـ ٤١ بهذا الترتيب: ﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ**

إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا ٱللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا ٱلصَّلَاةَ وَآتَوُا ٱلزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ انّ مشركي مكة كانوا يؤذون أصحاب رسول الله بألسنتهم وأيديهم فيشكون ذلك إلى رسول الله فيقول لهم اصبروا فاني لم أُؤمر بالقتال، حتى هاجر فأنزل الله سبحانه هذه الآية بالمدينة وهي أوّل آية نزلت في القتال.

وبعد هذا فأنت كما ترى انّ هذه السورة خليطة من مكي ومدني بوضوح كما أُشير إلى ذلك اجمالاً في صدر البحث وهذا الذي قرأته تفصيل له.

١٨ ـ سورة المؤمنون

قالوا هي مكية بلا خلاف لكن يشكل ذلك بأنّ فيها قوله: ﴿ **والذين هم للزكاة فاعلون** ﴾ والزكاة لم تفرض إلّا في المدينة قطعاً؛ وتتناول هذه السورة جملة من محاسن الأخلاق والاستدلال بالصنعة على الصانع وتتعرض لذكر جملة من الأنبياء عليهم السلام والتنديد بالمشركين بذكر عدة طرق تثبت الخالق وما جرى مجرى ذلك.

١٩ ـ سورة الفرقان

قال الطبرسي: مكية كلها عن مجاهد وقتادة وقال ابن عباس إلّا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة من قوله وَٱلَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلهاً إلى قوله: غَفُوراً رَحِيماً.

وقال الشوكاني: هي مكية كلها في قول الجمهور وكذا أخرجه ابن الضريس

والنحاس وابن مردويه من طرق عن ابن عباس وأخرجه ابن مردويه عن ابن الزبير قال القرطبي: وقال ابن عباس وقتادة إلّا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة وهي: والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر، الآيات.

أقول: الآيات المشار اليها هي الآية الـ ٦٨ والـ ٦٩ والـ ٧٠ بهذا الترتيب: **﴿ وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلٰهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذٰلِكَ يَلْقَ أَثَاماً * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً * إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾** وهي كما ترى لا إشعار فيها بالمدينة لولا نقل القول المذكور.

٢٠ ـ سورة الشعراء

قال الطبرسي: مكية كلها غير قوله والشعراء يتبعهم الغاوون الآيات إلى آخر السوةر فإنّها نزلت بالمدينة. وقال الشوكاني: هي مكية عند الجمهور وكذا أخرج ابن مردويه عن ابن عباس وابن الزبير وأخرج النحاس عن ابن عباس قال: سورة الشعراء أُنزلت بمكة سوى خمس آيات من آخرها نزلت بالمدينة وهي والشعراء يتبعهم الغاوون إلى آخرها.

أقول: الآيات المشار اليها هي الآية ٢٢٤ والـ ٢٢٥ والـ ٢٢٦ والـ ٢٢٧ بهذا الترتيب: **﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾**.

قال الطبرسي: قال ابن عباس يريد شعراء المشركين وذكر مقاتل أسمائهم فقال: منهم عبد الله بن الزبعري السهمي وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وهبيرة بن أبي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف الجمحي وأبو عزة عمرو

بن عبد الله كلهم من قريش وأُمية بن أبي الصلت الثقفي تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول مثلما قال محمّد، وقالو الشعر، واجتمع اليهم غواة من قومهم يستمعون أشعارهم ويروون عنهم حين يهجون النبي وأصحابه فذلك قوله يتبعهم الغاوون، وقال في قوله إلّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم شعراء المؤمنين مثل عبد لله بن رواحة وكعب بن مالك وحسان بن ثابت وسائر شعراء المؤمنين الذين مدحوا رسول الله وردّوا هجاء من هجاه؛ فإذا صح لهذه الآيات هذا الشأن من النزول فهي مدنيات لأنّ هذه المقابلات الشعرية والمعارضات الهجائية لم تحدث إلّا بعد الهجرة عندما قوي أمر النبي وصار له أتباع مجتمعون يأمنون بوائق القول إذا قالوه في المشركين.

٢١ ـ سورة النمل

قال الطبرسي: مكية وكذا قال الشوكاني حاكياً عن الجميع: أقول يشكل فيها قوله سبحانه في الآية الـ ٣ وهي: ﴿ **ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ** ﴾ إن كان المراد به ايتاء الزكاة الشرعية من مالية أو بدنية كما هو الظاهر فانا قد أسلفنا مراراً ان الزكاة الشرعية بجميع أقسامها مما وظف بالمدينة بطور قاطع.

٢٢ ـ سورة القصص

قال الطبرسي: مكية ولم يزد على ذلك، وقال الشوكاني هي مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وأخرج ابن الضريس وابن النجار وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال: نزلت سورة القصص بمكة وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثل ذلك، قال القرطبي: قال ابن عباس وقتادة انها نزلت

بين مكة والمدينة وقال ابن سلام بالجحفة وقت هجرة رسول الله وهي قوله عزوجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَاد ﴾ وقال مقاتل فيها من المدني (الذين آتيناهم الكتاب) إلى قوله: (لا نبتغي الجاهلين).

أقول: ما أشار إليه مقاتل هي الآيات الـ ٥٢ والـ٥٣ والـ ٥٤ والـ ٥٥ من هذه السورة المذكورة وقد أسلفنا القول فيها آنفاً فإنّ من بعض أقوال المفسرين في شأن نزولها انها نزلت في عبد الله بن سلام وتميم الداري والجارود العبدي وسلمان الفارسي فإنّهم لما أسلموا نزلت فيهم الآيات المذكورة.

عن قتادة: وقيل: نزلت في أربعين رجلاً من أهل الانجيل كانوا مسلمين بالنبي قبل مبعثه اثنان وثلاثون من الحبشة أقبلوا مع جعفر بن أبي طالب وقت قدومه وثمانية قدموا من الشام منهم بحيرى وأبرهة والأشرف وعامر وأيمن وادريس ونافع وتميم. وقيل في شأن نزول الآية الـ ٨٥ وهي: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَاد ﴾ انّ النبي في طريق هجرته إلى المدينة لما نزل بالجحفة اشتاق إلى مكة فأتاه جبرئيل فقال أتشتاق إلى بلدك ومولدك فقال نعم، قال جبرئيل فإنّ الله يقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَاد ﴾.

٢٣ ـ سورة العنكبوت

قال الطبرسي: مكية كلها في قول عكرمة وعطاء والكلبي ومدنية كلها في أحد القولين عن ابن عباس وقتادة ومكية إلّا عشر آيات من أوّلها فإنّها مدنية عن الحسن وفي أحد القولين عن ابن عباس ويحيى بن سلام، وقال الشوكاني: وقد اختلف في كونها مكية أو مدنية أو بعضها مكياً وبعضها مدنياً على ثلاثة أقوال:

الأوّل: انها مكية كلها، أخرجه ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس وأخرجه ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير وبه قال

الحسن وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد.

والقول الثاني: انها مدنية كلها، قال القرطبي وهو أحد قولي ابن عباس وقتادة.

والقول الثالث: انها مكية إلّا عشر آيات من أوّلها، قال القرطبي: وهو أحد قولي ابن عباس وقتادة وهو قول يحيى بن سلام وحكى عن علي بن أبي طالب انها نزلت بين مكة والمدينة، وهذا قول رابع.

أقول: لا اشعار في آيات السورة جميعاً بأنّها مدنية وسياقها سياق قرآن مكة فإنّ جماعة تحذير وتبشير وقص أحاديث وعبر واثبات لصانع الكون وتنديد بعقائد المشركين وما كان على هذا المنوال ولا أكاد أرى مرجحاً على قول من هذه الأقوال المذكورة إلّا المكية بتقريب ضعيف وقد ذكرناه.

٢٤ ـ سورة الروم

قال الطبرسي: هي مكية، قال الحسن إلّا قوله: ﴿ **فسبحان الله حين تمسون** ﴾ الآية، وقال الشوكاني: قال القرطبي كلها مكية بلا خلاف.

أقول: مساق ما ذكره الطبرسي هو الآية الـ ١٧ والـ ١٨ ﴿ **فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ * وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّماوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيّاً وَحِينَ تُظْهِرُونَ** ﴾، ولا إشعار فيه بمدنية، فإنّ الصلاة وأوقاتها كما عرفت وظفت بمكة، نعم في السورة ما لا يجوز ارتباطه بمكة وهو قوله سبحانه في الآية الـ ٣٨ والـ ٣٩: ﴿ **فَآتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ذٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ وَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * وَمَا آتَيْتُم مِن رِباً لِيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ ٱلنَّاسِ فَلاَ يَرْبُوا عِندَ ٱللَّهِ وَما آتَيْتُم مِن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ** ﴾ فإنّ الحقوق المالية كما أسلفنا لم توظف إلّا بالمدينة وقد قال الطبرسي أي واعط ذوي قرباك يا محمّد

حقوقهم التي جعلها الله لهم من الأخماس. عن مجاهد والسدي وروى أبو سعيد الخدري وغيره انّه لما نزلت هذه الآية على النبي أعطى فاطمة فدكاً وسلمه اليها.

٢٥ ـ سورة لقمان

قال الطبرسي: مكية، عن ابن عباس سوى ثلاث آيات نزلن بالمدينة: ولو انّ ما في الأرض من شجرة أقلام إلى تمام الآيات الثلاث، قاله ابن عباس فيما أخرجه النحاس عنه وأخرج ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عنه انها مكية ولم يستثن وحكى القرطبي عن قتادة انها مكية إلّا آيتين.

أقول: الآيات الثلاث المشار اليها هي الـ ٢٧ والـ ٢٨ والـ ٢٩ بهذا اللون: **﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * مَّا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱللَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱللَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجلٍ مُسَمّىً وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾**، ولا أرى في سياقها ما يعطي المدنية كما ترى أنت نعم هناك آية تشعر بكون مساقها مدنياً وهي الآية الـ ٤ وهي: **﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَهُم بِٱلآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾**، فإنّ وظيفة المال كما كررنا لم تشرع إلّا في المدينة.

٢٦ ـ سورة السجدة

قال الطبرسي: هي مكية ما خلا ثلاث آيات منها فإنّها نزلت بالمدينة أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون إلى تمام الآيات؛ وقال الشوكاني: هي مكية كما رواه ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس ورواه ابن مردويه عن ابن الزبير وأخرج ابن النجار عن ابن عباس قال: هي مكية

سوى ثلاث آيات أفمن كان مؤمناً إلى تمام الآيات الثلاث وكذا قال الكلبي ومقاتل وقيل إلّا خمس آيات من قوله تتجافى جنوبهم إلى قوله الذي كنتم به تكذبون.

أقول: الآيات الثلاث المشار اليها هي في ضمن الآيات الخمس التي أومأ اليها الشوكاني وهي الـ ١٦ والـ ١٧ والـ ١٨ والـ ١٩ والـ ٢٠ بهذا الترتيب: ﴿ **تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُم مِن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ * أَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلاً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ** ﴾، أمّا الآيتان الأوليان فليس فيهما شأن نزول يخصصهما بمكان دون مكان وبزمان دون زمان.

نعم ربما يشهد لمدنيتهما ان المسلمين لم يتفرغوا للعبادة والتهجد إلّا في المدينة دار الهجرة ودار عزة المسلمين والدين، وأمّا الآيات الثلاث الباقية فإنّها في حق علي عليه السلام والوليد بن عقبة بن أبي معيط الفاسق بنص الكتاب وابن اشد المشركين تحاملاً على الدين باجماع أهل السيرة.

قال الشوكاني: أخرج أبو الفرج الاصبهاني في كتاب الأغاني والواحدي وابن عدي وابن مردويه والخطيب وابن عساكر من طرق عن ابن عباس قال: قال الوليد بن عقبة لعلي بن أبي طالب: أنا أحد منك سناناً وأنشط منك لساناً وأملأ للكتيبة منك، فقال له علي: اسكت فإنّما أنت فاسق فنزلت: ﴿ **أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ** ﴾ يعني بالمؤمن عليّاً وبالفاسق الوليد ابن عقبة بن أبي معيط. وأخرج ابن مردويه والخطيب وابن عساكر عنه في الآية نحوه.

وروى نحو هذا عن عطاء بن يسار والسدي وعبد الرحمن بن أبي ليلى وروى الطبرسي مثل ذلك ؛ ولا شبهة ان كل ذلك كان في المدينة .

٢٧ ـ سورة سبأ

قال الطبرسي : مكية ، وقال الشوكاني مثله ، قال القرطبي في قول الجميع إلّا آية واحدة اختلف فيها وهي قوله : ويري الذين اوتوا العلم فقالت فرقة هي مكية وقالت فرقة هي مدنية .

أقـول : ما أشار إليه الشوكاني هو الآية الـ ٦ : ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ ولا إشعار فيها بمدنية أصلاً كما ترى .

٢٨ ـ سورة فاطر

قال الطبرسي : مكية قال الحسن إلّا آيتين : انّ الذين يتلون كتاب الله ، الآيـة وثمّ اورثنا الكتاب ، الآية . وقال الشوكاني : هي مكية ، قال القـرطبي فـي قـول الجميع ، وعن ابن عباس قال : انزلت سورة فاطر بمكة .

أقـول : الذي أشار إليه الطبرسي هو قوله في الآية الـ ٢٩ :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَن تَبُورَ ﴾ ، والآية الـ ٣٢ وهي : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَابَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ ، ولم يذكر لهما شأن نزول مخصوص كـما لا يشـعران بـمدنية أصلاً .

٢٩ ـ سورة يس

قال الطبرسي : مكية عند الجميع ، قال ابن عباس إلّا آية منها وهي قوله : وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله ، الآية نزلت بالمدينة . وقال الشوكاني هي مكية ، قال القرطبي : بالاجماع إلّا انّ فرقة قالت : ونكتب ما قدموا وآثارهم نزلت في بني سلمة من الأنصار حين أرادوا أن يتركوا ديارهم وينتقلوا إلى جوار مسجد رسول الله .

أقول : ما أشار إليه الطبرسي هو قوله سبحانه في الآية الـ ٤٧ وهي : ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** ﴾ ، وما أشار إليه الشوكاني هو قوله في الآية الـ ١٢ وهي : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ** ﴾ قال الشوكاني : أخرج عبد الرزاق والترمذي وحسنه والبزار وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن أبي سعيد الخدري قال : كان بنو سلمة في ناحية من المدينة فأرادوا أن ينتقلوا إلى قرب المسجد فأنزل الله : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ** ﴾ فدعاهم رسول الله ﷺ فقال : انّه يكتب آثاركم ثمّ قرأ عليهم الآية فتركوا ، وأخرج الفريابي وأحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن ماجة وابن جرير وابن المنذر والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس نحوه ، وفي صحيح مسلم وغيره من حديث جابر قال : انّ بني سلمة أرادوا أن يبيعوا ديارهم ويتحولوا قريباً من المسجد فقال لهم رسول الله : يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم ، هذا وان الآية الـ ٤٧ التي أشار اليها الطبرسي ليس فيها شأن نزول واضح يعرب عن مدنيتها .

٣٠ـ سورة الصافات

قال الطبرسي والشوكاني : مكية ، قال القرطبي : في قول الجميع .

٣١ـ سورة صاد

قال الطبرسي والشوكاني : مكية ، قال القرطبي : في قول الجميع .

٣٢ـ سورة الزمر

قال الطبرسي : هي مكية كلها عن مجاهد وقتادة والحسن وقيل سوى ثلاث آيات نزلن بالمدينة في وحشي قاتل حمزة : قل يا عبادي إلى آخرهن ، وقيل غير آية قل يا عبادي . وقال الشوكاني : هي مكية في قول الحسن وعكرمة وجابر بن زيد ، وأخرج ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال : انزلت سورة الزمر بمكة وأخرج النحاس في ناسخه عنه قال : نزلت بمكة سورة الزمر سوى ثلاث آيات نزلن بالمدينة في وحشي قاتل حمزة يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الثلاث الآيات وقال آخرون إلى سبع آيات من قوله قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم إلى آخر السبع .

أقول : الآيات المشار اليها تبتدأ من الآية الـ ٥٣ من هذه السورة وليس فيها من الآثار ما يعين نزولها في وحشي قاتل حمزة وإنّما هو قول في عرض أقوال فلا قيمة له .

٣٣ـ سورة المؤمن

قال الطبرسي : مكية ، قال ابن عباس وقتادة إلّا آيتين منها نزلتا بالمدينة : انّ

الذين يجادلون في آيات الله إلى قوله : لا يعلمون . وقال الحسن إلّا قوله وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار ، يعني بذلك صلاة الفجر وصلاة المغرب وقد ثبت ان فرض الصلاة نزل بالمدينة .

وقال الشوكاني : هي مكية في قول الحسن وعطاء وعكرمة وجابر قال الحسن إلّا قوله : وسبح بحمد ربك لأنّ الصلوات نزلت بالمدينة ، وقال ابن عباس وقتادة : إلّا آيتين نزلتا بالمدينة وهما : انّ الذين يجادلون في آيات الله ، والتي بعدها .

أقول : قد سبق لك انّ أصل فرض الصلاة مما ثبت بمكة بلا شبهة تشريعاً وتوقيتاً ، نعم هناك مجال لأن يقال انّ تشريعها لم يكن بقرآن وإنّما كان بطريق آخر من طرق ابلاغ الله رسله ما يريد وطرق الابلاغ كثيرة احدها القرآن ثمّ ابلاغها القرآني حصل بالمدينة على انّ السور التي حكموا بمكيتها طالما تعرض لمطلق لفظ الصلاة ولم يقولوا انّ الآي المتكفل لذلك مدني لا مكي .

نعم يجوز الاعتذار عنهم بعدم التعرض لذلك ان هذه الألفاظ التي سبقت لم يدر بها الصلاة المفروضة المعروفة ما بين المتشرعة وإنّما اريد بها صلاة يؤتى بها بعنوان العبادة واظهار الخضوع كصلاة النوافل . أمّا الآيتان المشار اليهما فهما الآية الـ ٥٦ والـ ٥٧ : ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ * لَخَلْقُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ ، وقد ذكر الطبرسي في شأن نزولهما انّ اليهود كانوا يقولون سيخرج الدجال فنعينه على محمّد وأصحابه ونستريح منهم ويرد الملك الينا عن أبي العالية ، وذكر الشوكاني نظيره .

٣٤ـسورة فصّلت

اتفق الجميع على انها مكية .

٣٥ـسورة الشورى

قال الطبرسي : هي مكية عن الحسن إلّا قوله : والذين استجابوا والذين إذا اصابهم ، إلى قوله : لا يحب الظالمين ، وعن ابن عباس وقتادة إلّا أربع آيات ، منها نزلن في المدينة : قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربى ، قال ابن عباس : لما نزلت هذه الآية قال رجل : والله ما أنزل الله هذه الآية ، فأنزل الله : أم يقولون افترى على الله كذباً ، ثمّ انّ الرجل تاب وندم فنزل : وهو الذي يقبل التوبة عن عباده إلى قوله لهم عذاب شديد .

وقال الشوكاني : هي مكية كلها ، أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : نزلت (حم عسق) بمكة ، وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله ، وكذا قال الحسن وعكرمة وعطاء وجابر ، وروى عن ابن عباس وقتادة انها مكية إلّا أربع آيات منها انزلت بالمدينة : قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربى ، إلى آخرها .

أقول : أمّا الآيات الأربع فهي الآيات الـ ٢٣ والـ ٢٤ والـ ٢٥ والـ ٢٦ بهذا الترتيب : ﴿ ذٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ * أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَاطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ * وَهُوَ ٱلَّذِي يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ ٱلسَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِن فَضْلِهِ وَٱلْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ ، ولا شك أنّ تبليغ الرسالة ما تمّ إلّا في

المدينة، ولم تكن الدعوة في مكة إلّا محدودة جداً في مادتها وسيرها كما قرأت ذلك مفصلاً فيما تقدم لك، وامّا الآيات الثلاث التي أشار اليها الطبرسي أوّلاً فهي الآية الـ ٣٨ والـ ٣٩ والـ ٤٠ بهذا الترتيب: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَٱلَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ * وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّالِمِينَ ﴾.

وقد ذكر الطبرسي والشوكاني في بعض ما قيل في شأن نزولها ان هؤلاء الذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم هم الأنصار بالمدينة استجابوا إلى الايمان بالرسول حين أنفذ اليهم اثنى عشر نقيباً منهم قبل الهجرة، وأقاموا الصلاة لمواقيتها بشروطها وهيئاتها، وان تشاورهم كان على الايمان بالرسول والنصرة له حين سمعوا بظهوره وورد النقباء اليهم، وهذا كما ترى كان واقعاً زمان كون النبي في مكة، نعم يمكن أن تكون هذه الآيات نزلت بعد الهجرة مخبرة عمّا سبق عليها وهو تصوير قريب.

٣٦ ـ سورة الزخرف

قال الطبرسي: مكية كلها، وقيل إلّا آية منها: واسأل من أرسلنا، عن مقاتل ومثله قال الشوكاني.

أقول: وهذه الآية هي الآية الـ ٤٥: ﴿ وَٱسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾، قيل انّ الآية على حذف مضاف وهو واسأل أُمم من أرسلنا من قبلك، أي سل أهل الكتاب تقريراً لا استفهاماً ليظهر للناس تأييد ما تقول وحتماً يلزم أن يكون المسؤولون هم المؤمنين منهم بشريعة الإسلام الذين لا يضنون بخبرهم عما يجدونه في معلوماتهم ويقولون الحق ولا

يخفونه ، وامّا غير المسلمين منهم فقد يجيبون نعم يعبد مع الله المسيح وامه وهو كما ترى خلاف الواقع وقد أسلفنا انّ الايمان من أهل الكتاب لم يحصل إلّا في المدينة وهذا غاية تقريب مدنية الآية .

٣٧ـ سورة الدخان

قال الطبرسي : هي مكية وحكى الشوكاني عن القرطبي انها مكية باتفاق إلّا قوله : إنّا كاشفوا العذاب .

أقـول : الآية المشار اليها هي الآية الـ ١٥ : ﴿ **إِنَّا كَـاشِفُوا الْـعَذَابِ قَـلِيلاً إِنَّكُـمْ عَائِدُونَ** ﴾ ، وهذه الآية بلحاظ نفسها وسابقها ولاحقها لا تعطي الانـحراف عـن سائر أخواتها من الآيات السابقة عليها واللاحقة لها فـي هـذه السـورة المكـية النزول .

٣٨ـ سورة الجاثية

قال الطبرسي : هي مكية قال قتادة إلّا آية منها نزلت بالمدينة : قل للذين آمنوا يغفروا ، الآية . وقال الشوكاني : هي مكية كلها في قول الحسن وجابر وعكرمة ، وروي عن ابن عباس وقتادة انهما قالا : إلّا آية منها وهي قوله للذين آمنوا إلى : أيّام الله ، فإنّها نزلت بالمدينة في عمر بن الخطاب .

أقـول : الآية المشار اليها هي الآية الـ ١٤ من السورة المذكورة وهي : ﴿ **قُـل لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْماً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ ، وليت شعري ما ربط هذه الآية بعمر بن الخطاب وما شأنها معه ، على انّ الشوكاني نفسه روى في تفسير هذه الآية باخراج ابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عـن ابـن عباس في قوله : قل للذين آمنوا يغفروا ، الآية . قال : كان نبي الله يـعرض عـلى

المشركين إذا آذوه وكانوا يستهزؤون به ويكذبونه فأمره الله أن يقاتل المشركين كافة فكان هذا من المنسوخ .

٣٩ـ سورة الأحقاف

قال الطبرسي : مكية قال ابن عباس وقتادة إلّا آية منها نزلت بالمدينة : قل أرأيتم إن كان من عند الله ، الآية . نزلت في عبد الله بن سلام . وقال الشوكاني : هي مكية ، قال في قول جميعهم .

أقول : ما أشار إليه الطبرسي هو قوله في الآية الـ ١٠ : ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ** ﴾ .

ثمّ الطبرسي نفسه ذكر في شأن نزولها انّ عبد الله بن سلام جاء إلى النبي فأسلم وقال : يا رسول الله سل اليهود عني فإنّهم يقولون هو أعلمنا ، فإذا قالوا ذلك قلت لهم : انّ التوراة دالة على نبوتك وان صفاتك فيها واضحة ، فلما سألهم قالوا ذلك فحينئذ أظهر عبد الله بن سلام ايمانه فكذبوه .

وقال الشوكاني : وهذا الشاهد من بني اسرائيل هو عبد الله بن سلام كما قال الحسن ومجاهد وقتادة وعكرمة وغيرهم وفي هذا نظر ، فإنّ السورة مكية بالاجماع وعبد الله بن سلام كان اسلامه بعد الهجرة فيكون المراد بالشاهد رجلاً من أهل الكتاب قد آمن بالقرآن في مكة وصدقه واختار هذا ابن جرير وسيأتي في آخر البحث ما يترجح به انّه عبد الله بن سلام وان هذه الآية مدنية لا مكية ، ثمّ ذكر الشوكاني في آخر بحثه الذي أشار إليه بحثاً مطولاً أثبت فيه من عدة روايات انّ الشاهد الاسرائيلي هو عبد الله بن سلام لا غيره ثمّ قال : وبهذه الآثار يخصص عموم قولهم انّ سورة الأحقاف كلها مكية .

٤٠ـ سورة ق

قال الطبرسي: مكية، قال الحسن غير قوله: ولقد خلقنا السموات والأرض، إلى قوله: وقبل الغروب، والمعدل عن ابن عباس: ولقد خلقنا السموات والأرض، الآية. وقال الشوكاني: هي مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وروى عن ابن عباس وقتادة انها مكية إلّا آية وهي قوله: ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيّام وما مسنا من لغوب.

أقول: لا اشعار بهذه الآية على مدنيتها أصلاً، نعم تشعر الآيتان بعدها وهما الآية الـ ٣٩ والـ ٤٠ بهذا الترتيب: ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ * وَمِنَ ٱللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ ٱلسُّجُودِ ﴾ بالمدنية بناء على ما سبق من قول المفسرين ان فرض الصلاة اليومية لم ينزل إلّا في المدينة وبناء أيضاً على انّ المراد بقبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه هي صلاة الصبح والظهرين والعشائين.

٤١ ـ سورة الذاريات

مكية باتفاق المفسرين.

٤٢ ـ سورة الطور

مكية أيضاً باتفاق المفسرين.

٤٣ ـ سورة النجم

اشترك الطبرسي والشوكاني في انّ السورة مكية إلّا فيما روي عن ابن عباس

وقتادة وعكرمة انها مكية غير آية منها نزلت في المدينة وهي: الذي يجتنبون كبائر الإثم والفواحش، الآية.

أقول: الآية المشار اليها هي قوله في الآية الـ ٣٢: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَاحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾، ويمكن تقريب مدنيتها انّ الآية المذكورة تتناول ذكر الكبائر والصغائر وهما فرع ارتكاب المحرمات الشرعية وجملة الأحكام بأقسامها إنّما كانت في المدينة فالكبائر والصغائر إنّما تكون بتبعها طبعاً.

٤٤ـ سورة القمر

قال الطبرسي والشوكاني: مكية وزاد الشوكاني انّ مقاتلاً قال: هي مكية إلّا ثلاث آيات من قوله أم يقولون نحن جميع منتصر، إلى قوله: والساعة أدهى وأمرّ، قال القرطبي: ولا يصح.

أقول: الآيات المشار اليها هي الآية الـ ٤٤ والـ ٤٥ والـ ٤٦ بهذا الترتيب: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ * سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ * بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾، وأنت إذا وازنت بين هذه الآيات وبين سابقها وجدتها تشعر بالمكية لا المدنية لأنّ سابقها بهذا الترتيب: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ * كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ ثمّ التفت إلى جمع قريش فقال لهم: ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي ٱلزُّبُرِ ﴾، أي انّ كفاركم يا قريش ليسوا بأعز علينا من آل فرعون الذين فعلنا بهم ما فعلنا كما انكم يا كفار قريش لا تجدون في الزبر النازل منّا على رسلنا أقل براءة من أخذنا لكم بالعذاب فأنتم كسائر الكافرين في كل شيء إلى آخر ما ذكر سبحانه من انهم سوف يهزمون

ويولون الدبر في حروبهم مع محمّد ﷺ وان ما يقدمون عليه عند الله أدهى وأمرّ .

٤٥ ـ سورة الرحمن

قال الطبرسي : مكية ، وقيل غير آية نزلت بالمدينة يسأله من في السماوات والأرض ، عن عطاء وقتادة وعكرمة واحدى الروايتين عن ابن عباس ، وقيل مدنية عن الحسن وهمام عن قتادة وأبي حاتم . وقال الشوكاني : هي مكية ، قال القرطبي : كلها في قول الحسن وعروة بن الزبير وعكرمة وعطاء وجابر ، وقال : قال ابن عباس : إلّا آية منها وهي قوله : يسأله من في السموات والأرض ، الآية . وقال ابن مسعود ومقاتل : هي مدنية كلها والأوّل أصح ، ثمّ قال الشوكاني : ويمكن الجمع بين القولين بأنّ بعضها نزل بمكة وبعضها بالمدينة .

أقول : الآية المشار اليها هي الآية الـ ٢٩ : ﴿ **يَسْأَلُهُ مَن فِي ٱلسَّماوَاتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ** ﴾ وهي كما ترى لا اشعار فيها بمدنية وسياق السورة سياق واحد وهي بمضامين القرآن النازل بمكة أشبه .

٤٦ ـ سورة الواقعة

قال الطبرسي : مكية ، وقال ابن عباس وقتادة إلّا آية منها نزلت بالمدينة وهي : وتجعلون رزقكم انكم تكذبون ، وقيل إلّا قوله ثلة من الأولين وقوله أفبهذا الحديث أنتم مدهنون ، نزلت في سفره إلى المدينة . وقال الشوكاني : هي مكية في قول الحسن وعكرمة وجابر وعطاء ، وقال ابن عباس وقتادة : إلّا آية منها نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى : وتجعلون رزقكم انكم تكذبون ، وقال الكلبي : انها مكية إلّا أربع آيات منها وهي : ﴿ **أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُدْهِنُونَ * وَتَجْعَلُونَ**

رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ ، وقوله : ﴿ ثلّةٌ من الأولين وقليل من الآخرين ﴾ .

أقـول : الآيات المشار اليها عند الطبرسي والشوكاني هي الآية الـ ١٣ والـ ١٤ ﴿ ثلّةٌ من الأولين وقليل من الآخرين ﴾ والآية الـ ٨١ والـ ٨٢ ﴿ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ * وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ ، وأنت كـما تـرى ليس فـي الآيـات المذكورة أقل إشعار بمدنية إلّا انّ هناك بعض الأثر الوارد بمدنيتها في خصوص الأخيرين .

٤٧ ـ سورة المجادلة

حصل قريب من الاتفاق على مدنيتها إلّا انّه حكى عن عطاء انّ العشر الأوّل منها مدني وباقيها مكي ، وقال الكلبي : نزلت جميعها بالمدينة غير قـوله : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ فإنّه نزل بمكة ، وعبارة المكي المودع في نزول المدينة لها احتمالان احتمال نـزوله بعد الهجرة إلى المدينة وصادف سفراً منها إلى مكة فنزل فيها شيء مـن القـرآن واحتمال نزوله قبل الهجرة لكننا قد أسلفنا فيما سبق انّ المراد بالمكي ما كان قبل الهجرة وامّا بعدها فهو مدني على كل حال وما ادعاه عطاء والكلبي لا شاهد له أصلاً فالسورة تعدّ بكلها في المدنيات .

٤٨ ـ سورة التغابن

قال الطبرسي : مدنية وقال ابن عباس مكية غير ثلاث آيات من آخرها نزلن بالمدينة : يا أيّها الذين آمنوا انّ من أزواجكم إلى آخر السورة . وقال الشوكاني : هي مدنية في قول الأكثر . وقال الضحاك : هي مكية ، وقال الكلبي : هي مـدنية

ومكية، وروي عن ابن عباس من طريق مدنيتها ومن آخر مكيتها إلّا آيات من آخرها نزلن بالمدينة في عوف بن مالك الأشجعي شكا إلى رسول الله جفاء أهله وولده فأنزل الله يا أيّها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم إلى آخر السورة.

٤٩ـ سورة الملك

مكية في قول الجميع.

٥٠ـ سورة ن والقلم

قال الطبرسي: هي مكية عن الحسن وعكرمة وعطاء، وقال ابن عباس وقتادة: من أوّلها إلى قوله: سنسمه على الخرطوم مكي وما بعده إلى قوله: لو كانوا يعلمون مدني وما بعده إلى قوله: يكتبون مكي وما بعده مدني.

أقول: قد ألقينا اليك القول آنفاً انّ كل مكي بعد المدينة فهو مدني في كل حكم فعلى ما حكاه الطبرسي لم يبق من هذه السورة مكي إلّا صدرها إلى قوله: سنسمه على الخرطوم والباقي كله يعد مدنياً.

وقال الشوكاني: هي مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، وروي عن ابن عباس وقتادة: انّ من أوّلها إلى قوله: سنسمه على الخرطوم مكي، ومن بعد ذلك إلى قوله: من الصالحين مدني، وباقيها مكي، كذا قال الماوردي.

٥١ـ سورة الحاقة

مكية على الإطلاق في قول الجميع.

٥٢ـ سورة المعارج

قال الشوكاني مكية باتفاق، وقال الطبرسي: مكية، قال الحسن: إلّا قوله: والذين في أموالهم حق معلوم.

أقول: ما أشار إليه الطبرسي هو الآية الـ ٢٤ والـ ٢٥ من هذه السورة ﴿ **والذين في أموالهم حقّ معلوم للسائل والمحروم** ﴾، فإن كان المراد بالحق المعلوم المذكور فيها هو الحق المالي المفروض فذلك مدني بالاتفاق وإلّا فلا.

٥٣ـ سورة نوح

مكية بالاتفاق على الإطلاق.

٥٤ـ سورة الجن

مكية بالاتفاق على الإطلاق أيضاً.

٥٥ـ سورة المزمل

قال الطبرسي: مكية وقيل مدنية وقيل بعضها مكي وبعضها مدني، وقال الشوكاني: هي مكية، قال الماوردي: كلها في قول الحسن وعكرمة وجابر، قال وقال ابن عباس وقتادة: إلّا آيتين منها: واصبر على ما يقولون، والتي تليها وقال الثعلبي: إلّا قوله: انّ ربك يعلم انك تقوم، إلى آخر السورة، فإنّه نزل بالمدينة.

أقول: لا شاهد للقول المحكي عن ابن عباس وقتادة انّ آيتي واصبر على ما يقولون والتي تليها من نزول المدينة، نعم قد أسلفنا في بحث الصلاة من هذ الكتاب ما يؤيد كون هذه السورة مدنية على الإطلاق فراجع.

٥٦ـ سورة المدثر

مكية بالاتفاق على الإطلاق.

٥٧ـ سورة القيامة

مكية بالاتفاق على الإطلاق أيضاً.

٥٨ـ سورة الإنسان

قال الطبرسي: اختلفوا فيها فقيل مكية كلها وقيل مدنية كلها عن مجاهد وقتادة، وقيل انها مدنية إلّا قوله: ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً فإنّه مكي، عن الحسن وعكرمة والكلبي، وقيل: ان قوله: انّا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً إلى آخر السورة مكي والباقي مدني وقال الشوكاني: قال الجمهور هي مدنية وقال مقاتل والكلبي: هي مكية وعن ابن عباس انها نزلت بمكة عن ابن الزبير مثله وقيل فيها مكي من قوله: انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا إلى آخر السورة وما قبله مدني.

أقول: ما اشار إليه الطبرسي من آية: ولا تطع، فهو الآية الـ ٢٤ فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثماً أو كفورا وما أشار إليه الطبرسي والشوكاني جميعاً من جهة المدني في هذه السورة والمكي فالآيات الـ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١ مكي وما سواها من جميع السورة مدني ويؤيد هذ التقسيم انّ آيات في صدر هذه السورة نزلت في عليّ وفاطمة والحسنين كما سيجيء في مبحث الإمامة مفصل ذكره إن شاء الله تعالى.

٥٩ـ سورة المرسلات

قال الطبرسي: هي مكية، وقال الشوكاني: هي مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، قال قتادة: إلّا آية منها وهي قوله: ﴿ **وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون** ﴾ فإنّها مدنية وروي هذا عن ابن عباس.

أقول: الآية المذكورة هي الآية الـ ٤٨ من هذه السورة حكى الطبرسي عن مقاتل قال: نزلت في ثقيف حين أمرهم رسول الله بالصلاة فقالوا: لا ننحني فإنّ ذلك سبة علينا، فقال ﷺ: لا خير في دين ليس فيه ركوع وسجود، فإن تمّ هذا القول فهي مدنية بلا إشكال.

٦٠ـ سورة عم

مكية بالاتفاق على الإطلاق.

٦١ـ سورة النازعات

مكية بالاتفاق على الإطلاق.

٦٢ـ سورة عبس

مكية بالاتفاق على الإطلاق.

٦٣ـ سورة التكوير

مكية كالسوالف.

٦٤ ـ سورة الانفطار

كذلك مكية بالاتفاق على الإطلاق.

٦٥ ـ سورة المطففين

قال الطبرسي: مكية، وقال المعدل مدنية عن الحسن والضحاك وعكرمة قال، وقال ابن عباس وقتادة إلّا ثماني آيات منها وهي انّ الذين أجرموا إلى آخر السورة. أقول: أي انها نزلت بمكة والباقي مدني.

وقال الشوكاني: قال القرطبي هي مكية في قول ابن مسعود والضحاك ومقاتل ومدنية في قول الحسن وعكرمة وقال مقاتل أيضاً هي أوّل سورة نزلت بالمدينة، وقال ابن عباس وقتادة: هي مدنية إلّا ثمان آيات من قوله: انّ الذين أجرموا، إلى آخرها، وقال الكلبي وجابر بن زيد: نزلت بين مكة والمدينة، وأخرج النحاس وابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت سورة المطففين بمكة، وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله، وأخرج ابن الضريس عن ابن عباس قال: آخر ما نزل بمكة سورة المطففين، وأخرج ابن مردويه والبيهقي في الشعب قال السيوطي بسند صحيح عن ابن عباس قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً فأنزل الله ويل للمطففين فأحسنو الكيل بعد ذلك.

أقول: لا شبهة انّ هذه الآيات التي أوعزوا اليها وهي الآية الـ ٢٩ و ٣٠ و ٣١ و ٣٢ و ٣٣ و ٣٤ و ٣٥ و ٣٦ مكية فإنّها صريحة في نزولها في شأن مشركي قريش المتعنتين مع أصحاب النبي المؤمنين المستضعفين كعمار وخباب وغيرهما.

٦٦ـسورة الانشقاق

مكية بلا خلاف.

٦٧ـسورة البروج

كذلك مكية بلا خلاف.

٦٨ـسورة الطارق

مكية بالاتفاق على الإطلاق.

٦٩ـسورة الأعلى

قال الطبرسي: مكية عن ابن عباس مدنية عن الضحاك وقال الشوكاني: مكية في قول الجمهور، وقال الضحاك هي مدنية، وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة سبح اسم ربك الأعلى بمكة وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير وعائشة مثله، وأخرج البخاري وغيره عن البراء بن عازب قال أوّل من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير وابن ام مكتوم فجعلا يقرآننا القرآن ثمّ جاء عمار وبلال وسعد ثمّ جاء عمر بن الخطاب في عشرين ثمّ جاء النبي ﷺ فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون هذا رسول الله ﷺ قد جاء فما جاء حتى قرأت سبح اسم ربك الأعلى في سور مثلها.

أقول: يريد ان يستدل الشوكاني بذلك على مكيتها أي انها كانت نازلة بمكة وتليت في أوّل قدوم النبي في المدينة لكن لا دليل في ذلك إذ يجوز أن يكون نزولها قبل تلاوتها بآنات قليلة فتكون مدنية لا مكية.

٧٠ـ سورة الغاشية

مكية بالاتفاق على الإطلاق.

٧١ـ سورة الفجر

مكية عند الجميع.

٧٢ـ سورة البلد

مكية بلا خلاف.

٧٣ـ سورة الشمس

مكية بالاتفاق على الإطلاق.

٧٤ـ سورة الليل

قال الطبرسي: مكية ولم يزد على ذلك، وقال الشوكاني: هي مكية عند الجمهور، وقيل مدنية.

٧٥ـ سورة الضحى

مكية على الإطلاق.

٧٦ـ سورة ألم نشرح

كذلك مكية بلا خلاف.

٧٧ـ سورة التين

بين قائل بمكيتها وآخر بمدنيتها في الطبرسي والشوكاني جميعاً.

٧٨ـ سورة العلق

مكية بلا خلاف، وقيل هي أوّل ما نزل من القرآن.

٧٩ـ سورة القدر

مختلف فيها فبعض يقول بمكيتها وبعض يحكم بمدنيتها.

٨٠ـ سورة لم يكن

عين ما في السابقة من اختلاف موجود فيها فقائل يقول نزلت بمكة وآخر يقول نزلت بالمدينة.

٨١ـ سورة الزلزلة

كذلك مختلف فيها فمن قائل بمكيتها وقائل بمدنيتها.

٨٢ـ سورة العاديات

كالسالفة مختلف فيها.

٨٣ـ سورة القارعة

مكية بلا خلاف.

٨٤ـ سورة التكاثر

مختلف فيها فقيل انها مكية وقيل مدنية .

٨٥ـ سورة العصر

قال الطبرسي : مكية ، وقال الشوكاني : هي مكية عند الجمهور ، وقال قتادة : هي مدنية .

٨٦ـ سورة الهمزة

مكية بلا خلاف .

٨٧ـ سورة الفيل

مكية مطلقاً .

٨٨ـ سورة قريش

قال الطبرسي : مكية ، وقال الشوكاني : هي مكية عند الجمهور ، وقال الضحاك والكلبي : هي مدنية .

٨٩ـ سورة الماعون

قال الطبرسي : مكية ، وقال الضحاك : مدنية ، وقيل بعضها مكي وبعضها مدني ، وقال الشوكاني : مكية في قول عطاء وأحد قولي ابن عباس ، ومدنية في قول قتادة وآخرين .

٩٠ـسورة الكوثر

قال الطبرسي: مكية عن ابن عباس والكلبي مدنية عن عكرمة والضحاك ونقل الشوكاني الاختلاف فيها أيضاً.

٩١ـسورة الكافرون

مختلف فيها بين قائل بمكيتها وآخر بمدنيتها.

٩٢ـسورة تبت

مكية بلا خلاف.

٩٣ـسورة الاخلاص

مختلف فيها فقائل بمكيتها وقائل بمدنيتها.

٩٤ـسورة الفلق

مكية على قول ومدنية على قول آخر.

٩٥ـسورة الناس

قال الشوكاني: والخلاف في كونها مكية أو مدنية كالخلاف الذي تقدم في سورة الفلق.

أقول: أكثر الأقوال الناسبة لمكة أو للمدينة عارية عن الشواهد ولا يستطيع الباحث تشخيص المكية من المدنية إلّا بعرض القرآن بعضه على بعض، وما ورد

من السنة الصحيحة في شأن نزوله كما أعطيناك نحن نموذجاً من هذه البحوث في طول مسافة هذا الفصل من أوّله إلى آخره لكننا لم نستوعب المسافة كلها بتجويد البحث لأنّ ذلك يحتاج إلى كتابة مجلدات ضخمة بل يعود تفسيراً واسعاً كأوسع التفاسير المكتوبة للقرآن العزيز، نعم نحن في هذا الفصل بطوله قد لخصنا فناً بحياله يسمى فن نزول القرآن وفي ذلك من الفائدة ما لا يخفى على أهل البحث ولله المنة ومنه يستمد التوفيق.

إذن رسول الله للمسلمين في الهجرة إلى المدينة وخروجه ﷺ هو بعد ذلك مهاجراً

قال ابن سعد [١]: لما صدر السبعون (يعني بهم أهل العقبة الثانية) من عند رسول الله ﷺ طابت نفسه وقد جعل الله له منعة وقوماً أهل حرب وعدة ونجدة وجعل البلاء يشتد على المسلمين من المشركين لما يعلمون من الخروج فضيقوا على أصحابه وعبثوا بهم ونالوا منهم ما لم يكونوا ينالون من الشتم والأذى فشكى ذلك أصحاب رسول الله ﷺ واستأذنوه في الهجرة، فقال: قد رأيت دار هجرتكم أريت سبخة ذات نخل بين لابتين (وهما الحرتان) ولو كانت السراة أرض نخل وسباخ لقلت هي هي ثمّ مكث اياما ثمّ خرج إلى أصحابه مسروراً فقال: قد اخبرت بدار هجرتكم وهي يثرب فمن أراد الخروج فليخرج اليها فجعل القوم يتجهزون ويتوافقون ويتواسعون ويخرجون ويخفون ذلك فكان أوّل من قدم المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ أبو سلمة بن عبد الأسد ثمّ قدم بعده عامر بن ربيعة معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة فهي أوّل ظعينة قدمت المدينة

---

(١) الطبقات: ج ١ ص ٢١٠ وما بعدها.

ثمّ قدم أصحاب رسول الله ﷺ ارسالا فنزلوا على الأنصار في دورهم فآووهم ونصروهم وآسوهم وكان سالم مولى أبي حذيفة يؤم المهاجرين بقباء قبل أن يقدم رسول الله ﷺ فلما خرج المسلمون في هجرتهم إلى المدينة كلبت قريش عليهم وحربوا واغتاظوا على من خرج من فتيانهم وكان نفر من الأنصار بايعوا رسول الله ﷺ في العقبة الآخرة ثمّ رجعوا إلى المدينة فلما قدم أوّل من هاجر إلى قباء خرجوا إلى رسول الله ﷺ بمكة حتى قدموا مع أصحابه في الهجرة فهم مهاجرون أنصاريون وهم ذكوان بن عبد قيس وعقبة بن وهب بن كلدة والعباس بن عبادة بن نضلة وزياد بن لبيد.

وخرج المسلمون جميعاً إلى المدينة فلم يبق بمكة منهم إلّا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعلي أو مفتون محبوس أو مريض أو ضعيف عن الخروج فلما رأى المشركون انّ أصحاب رسول الله ﷺ قد حملوا الذراري والأطفال إلى الأوس والخزرج عرفوا انها دار منعة وقوم أهل حلقة وبأس فخافوا خروج رسول الله ﷺ فاجتمعوا في دار الندوة ولم يتخلف أحد من أهل الرأي والحجى منهم ليتشاوروا في أمره وحضرهم ابليس في صورة شيخ كبير من أهل نجد مشتمل الصماء في بتّ [١]، فتذاكروا أمر رسول الله ﷺ فأشار كل رجل منهم برأي كل ذلك يرده ابليس عليهم ولا يرضاه لهم إلى أن قال أبو جهل: أرى أن نأخذ من كل قبيلة من قريش غلاماً نهداً جليداً ثمّ نعطيه سيفاً صارماً فيضربونه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يدري بنو عبد مناف بعد ذلك ما تصنع، قال: فقال النجدي: لله درّ الفتى، هذا والله الرأي وإلّا فلا.

وتفرقوا على ذلك وأجمعوا عليه، وأتى جبريل رسول الله ﷺ فأخبره

---

(١) البت هو الكساء الغليظ.

الخبر وأمره أن لا ينام في مضجعه تلك الليلة ، وجاء رسول الله ﷺ إلى أبي بكر فقال : انّ الله قد أذن لي في الخروج ، فقال أبو بكر : الصحابة يارسول الله فقال ﷺ : نعم ، قال أبو بكر فخذ احدى راحلتي هاتين فقال رسول الله ﷺ : بالثمن وكان أبو بكر اشتراهما بثمانمأة درهم من نعم بني قشير فأخذ احداهما وهي القصواء وأمر علياً أن يبيت في مضجعه تلك الليلة ، فبات فيه وتغشى برداً أحمر حضرمياً كان رسول الله ينام فيه واجتمع اولئك النفر من قريش يتطلعون من صير الباب (١) ويرصدونه ويأتمرون أيهم يحمل على المضطجع صاحب الفراش فخرج رسول الله ﷺ وهم جلوس على الباب فأخذ حفنة من البطحاء فجعل يذرها على رؤوسهم ويتلو ﴿ **يس والقرآن الحكيم** ﴾ حتى بلغ ﴿ **وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون** ﴾ .

ومضى رسول الله ﷺ فقال قائل لهم ما تنتظرون ، قالوا محمّداً قال خبتم وخسرتم قد والله مرّ بكم وذرّ على رؤوسكم التراب ، قالوا : والله ما أبصرناه وقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم وهم أبو جهل والحم بن أبي العاص وعقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث وامية بن خلف وابن الغيطلة وزمعة بن الأسود وطعيمة بن عدي وأبو لهب وأبيّ بن خلف وبنيه ومنبه ابنا الحجاج فلما أصبحوا قام عليّ عن الفراش فسألوه عن رسول الله ﷺ فقال : لا علم لي به ، وصار رسول الله إلى منزل أبي بكر فكان فيه إلى الليل ، ثمّ خرج هو وأبو بكر فمضيا إلى غار ثور فدخلاه وضربت العنكبوت على بابه بعشائش بعضها على بعض وطلبت قريش رسول الله أشد الطلب حتى انتهوا إلى باب الغار فقال بعضه انّ عليه العنكبوت قبل ميلاد محمّد ، فانصرفوا وكانت لأبي بكر منيحة غنم يرعاها

---

(١) صير الباب خرقه.

عامر بن فهيرة وكان يأتيهم بها ليلاً فيحتلبون فإذا كان سحر سرح مع الناس قالت عائشة وجهزناهما أحب الجهاز وصنعنا لهما سفرة في جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فأوكت به الجراب وقطعت أُخرى فصيّرته عصاماً لفم القربة فبذلك سميت ذات النطاقين.

ومكث رسول الله ﷺ وأبو بكر في الغار ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر واستأجر أبو بكر رجلاً من بني الديل هادياً خرّيتا يقال له عبد الله بن اريقط وهو على دين الكفر ولكنهما امناه فارتحلا ومعهما عامر بن فهيرة فأخذ بهم ابن اريقط يرتجز فما شعرت قريش أين توجه رسول الله، ومرّوا في طريقهم بخيمتي ام معبد الخزاعية وكانت امرأة جلدة برزة تحتبي وتقعد بفناء الخيمة ثمّ تسقي وتطعم فسألوها تمراً ولحماً يشترون فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك وإذا القوم مرملون مسنتون فقالت: والله لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القري فنظر رسول الله إلى شاة في كسر الخيمة فقال: ما هذه الشاة يا أُم معبد، قالت: هذه شاة خلفها الجهد عن الغنم فقال: هل بها من لبن؟ قالت: هي أجهد من ذلك، قال: أتأذنين لي أن أحلبها، قالت: نعم، ان رأيت بها حلباً فدعا رسول الله ﷺ بالشاة فمسح ضرعها وذكر اسم الله وقال: اللهم بارك لها في شاتها، قال: فتفاجّت ودرّت [١] واجترت، فدعا باناء لها فحلب فيه فسقاها فشربت حتى رويت وسقى أصحابه حتى رووا وشرب هو ﷺ آخرهم، وكان خروج رسول الله ﷺ من الغار ليلة الاثنين لأربع ليال خلون من شهر ربيع الأوّل، فقال يوم الثلاثاء بقديد فلما راحوا منها عرض لهم سراقة بن مالك بن جعشم وهو على فرس له فدعا عليه رسول الله فرسخت قوائم فرسه، فقال: يا محمّد ادع الله أن

(١) تفاجت أي فتحت ما بين رجليها. ودرّت: أي كثر لبنها وسال.

يطلق فرسي وأرجع عنك وأردّ من ورائي ، ففعل فأطلق ورجع فوجد الناس يلتمسون رسول الله ﷺ فقال : ارجعوا فقد استبرأت لكم ما ههنا ، وقد عرفتم بصري بالأثر ، فرجعوا عنه .

وكان المهاجرون قد استبطئوا رسول الله ﷺ في القدوم عليهم فكانوا يغدون مع الأنصار إلى ظهر حرة العصبة فيتحينون قدومه في أوّل النهار فإذا أحرقتهم الشمس رجعوا إلى منازلهم ، فلما كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ﷺ وهو يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأوّل ويقال لاثنتي عشرة ليلة خلت من الشهر المذكور جلسوا كما كانوا يجلسون فلما أحرقتهم الشمس رجعوا إلى بيوتهم فإذا رجل من اليهود يصيح على أطم [١] فأعلا صوته يا بني قيلة هذا صاحبكم قد جاء ، فخرجوا فإذا رسول الله وأصحابه الثلاثة ، فسمعت الرجّة في بني عمرو بن عوف والتكبير والتلبّس المسلمون السلاح فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى قباء جلس وجاء المسلمون يسلّمون عليه ، ونزل على كلثوم بن الهدم وهو الثبت عندنا ، ولكنه كان يتحدث مع أصحابه في منزل سعد بن خيثمة ، وكان يسمى منزل العزّاب ، فلذلك قيل نزل على سعد بن خيثمة .

وأقام رسول الله ﷺ ببني عمرو بن عوف يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة فجمع في بني سالم ويقال أقام ببني عمرو بن عوف أربع عشرة ليلة فلما كان يوم الجمعة وارتفع النهار دعا راحلته وحشد المسلمون وتلبسوا السلاح وركب رسول الله ناقته القصواء والناس معه عن يمينه وشماله فاعترضته الأنصار لا يمر بدار من دورهم إلّا قالوا : هلم يا نبي الله إلى القوة والمنعة والثروة ، فيقول لهم خيراً ويدعو لهم ويقول : انها مأمورة فخلوا سبيلها

---

(١) الأطم : بضمتين هو البناء المرتفع .

فلما أتى مسجد بني سالم جمع بمن كان معه من المسلمين وهم مأة ثمّ ركب رسول الله ناقته وأخذ بها حتى انتهى إلى المسجد فبركت عند مسجد رسول الله فجعل الناس يكلمونه في النزول عليهم وجاء أبو أيّوب فحط رحله وأدخله منزله فجعل النبي ﷺ يقول: المرء مع رحله وجاء أسعد بن زرارة فأخذ بزمام راحلة رسول الله فكانت عنده وهذا هو الثبت.

قال زيد بن ثابت: فأوّل هدية دخلت على رسول الله ﷺ في منزل أبي أيّوب هدية دخلت بها قصعة مثرودة فيها خبز وسمن ولبن فقلت أرسلت بهذه القصعة امي، فقال: بارك الله فيك، ودعا أصحابه فأكلوا فلم أبرح حتى جاءت قصعة سعد بن عبادة وما كان من ليلة إلّا وعلى باب رسول الله ﷺ الثلاثة والأربعة يحملون الطعام يتناوبون ذلك حتى تحول رسول الله ﷺ من منزل أبي أيّوب وكان مقامه فيه سبعة أشهر.

وبعث رسول الله ﷺ من منزل أبي أيّوب زيد بن حارثة وأبا رافع وأعطاهما بعيرين وخمسماءة درهم إلى مكة فقدما عليه بفاطمة وأُم كلثوم ابنتي رسول الله وسودة بنت زمعة زوجته وأُسامة بن زيد وكانت رقية بنته قد هاجر بها زوجها عثمان بن عفان قبل ذلك، وحبس أبو العاص بن الربيع امرأته زينب بنت رسول الله وحمل زيد بن حارثة امرأته أُم أيمن مع ابنها اسامة بن زيد، وخرج عبد الله بن أبي بكر معهم بعيال أبي بكر فيهم عائشة فقدموا المدينة فأنزلهم في بيت حارثة بن النعمان ـ اهملخصاً مجوداً ـ.

أقول: يلزمنا هنا أن نذكر موضوع مبيت عليّ على فراش النبي ونشيد بفضله كما هو حقه ونطرد عنه الأوهام الزائفة بل المختلقة بوضوح.

مبيت علي على فراش النبي

أورد ابن الأثير [١] من جملة حديث له :... فقال أبو جهل: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى نسيباً ونعطي كل فتى منهم سيفاً ثمّ يضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه فإذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل كلها فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً ورضوا منا بالعقل، فقال النجدي: القول ما قال الرجل ـ هذا الرأي ـ فتفرقوا على ذلك، فأتى جبريل النبي فقال: لا تبت الليلة على فراشك فلما كان العتمة اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام فيثبون عليه، فلما رآهم رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب: نم على فراشي واتشح ببردي الأخضر فنم فيه فإنّه لا يخلص اليك شيء تكرهه، وأمره أن يؤدي ما عنده من وديعة وأمانة وغير ذلك وخرج رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من تراب فجعله على رؤوسهم وهو يتلو هذه الآيات من: يس والقرآن الحكيم، إلى قوله: فهم لا يبصرون، ثمّ انصرف فلم يروه فأتاهم آت فقال: ما تنتظرون، قالوا: محمّداً، قال: خيبكم الله خرج عليكم ولم يترك أحداً منكم إلّا جعل على رأسه التراب، وانطلق لحاجته فوضعوا أيديهم على رؤوسهم فرأوا التراب وجعلوا ينظرون فيرون عليّاً نائماً وعليه برد النبي ﷺ فيقولون: ان محمّداً لنائم، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فقام عليّ عن الفراش فعرفوه، وأنزل الله في ذلك: ﴿ **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك** ﴾ ، الآية.

وسأل أُولئك الرهط عليّاً عن النبي فقال: لا أدري، أمرتموه بالخروج فخرج فضربوه وأخرجوه إلى المسجد فحبسوه ساعة ثمّ تركوه ونجى الله رسوله من

---

(١) تاريخ ابن الأثير: ج ٢ ص ٧٢ وما بعدها.

مكرهم، وأمره بالهجرة وقام علي يؤدي أمانة النبي ويفعل ما أمره ـ إلى أن يقول ـ وامّا علي فإنّه لما فرغ من الذي أمره به رسول الله هاجر إلى المدينة فكان يسير الليل ويكمن النهار حتى قدم المدينة وقد تفطرت قدماه، فقال النبي: ادعوا لي عليّاً، قيل: لا يقدر أن يمشي فأتاه النبي واعتنقه وبكى رحمة لما بقدميه من الورم وتفل في يديه وأمرّها على قدميه فلم يشتكهما بعد حتى قتل.

ونزل بالمدينة على امرأة لا زوج لها فرأى انساناً يأتيها كل ليلة ويعطيها شيئاً فاستراب بها فسألها عنه فقالت هو سهل بن حنيف قد علم اني امرأة لا زوج لي فهو يكسر أصنام قومه ويحملها اليّ ويقول احطبي بهذه، فكان علي يذكر ذلك عن سهل بن حنيف بعد موته.

وقال الطبري[1]: من جملة حديث له: فقال أبو جهل بن هشام: والله ان لي فيه لرأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد، قالوا: وما هو يا أبا الحكم، قال: أرى أن تأخذوا من كل قبيلة فتى شاباً جلداً نسيباً وسيطاً فينا ثمّ نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً ثمّ يضربونه بها ضربة رجل واحد فيقتلونه فنستريح فإنّهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل كلها فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً ورضوا منا بالعقل فعقلناه لهم، فقال الشيخ النجدي: القول ما قال الرجل، هذا الرأي لا رأي لكم غيره، فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له فأتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه، قال فلما كان العتمة من الليل اجتمعوا على بابه فترصدوه متى ينام فيثبون عليه فلما رأى رسول الله مكانهم قال لعلي بن أبي طالب: نم على فراشي واتشح ببردي الحضرمي الأخضر فنم فيه فإنّه لا يخلص اليك شيء تكرهه منهم، وكان رسول

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٢٤٣ وما بعدها.

الله ينام في برده ذلك إذا نام.

قال أبو جعفر : زاد بعضهم في هذه القصة في هذا الموضع وقال له : إن أتاك ابن أبي قحافة فأخبره اني توجهت إلى ثور فمره فليلحق بي ، وأرسل اليّ بطعام واستأجر لي دليلاً يدلني على طريق المدينة ، واشتر لي راحلة ، ثمّ مضى رسول الله ﷺ وأعمى الله أبصار الذين كانوا يرصدونه وخرج عليهم رسول الله ـ قال ـ اجتمعوا له وفيهم أبو جهل بن هشام فقال وهم على بابه انّ محمّداً يزعم انكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ثمّ بعثتم بعد موتكم فجعل لكم جنان كجنان الاردن وان لم تفعلوا كان لكم منه ذبح ثمّ بعثتم بعد موتكم فجعلت لكم نار تحرقون فيها ، قال : وخرج رسول الله فأخذ حفنة من تراب ثمّ قال : نعم أنا أقول ذلك أنت أحدهم وأخذ الله على أبصارهم عنه فلا يرونه فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هذه الآيات من : ﴿ **يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون** ﴾ حتى فرغ رسول الله من هؤلاء الآيات فلم يبق منهم رجل إلّا وضع على رأسه تراباً ثمّ انصرف إلى حيث أراد أن يذهب ، فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال : ما تنتظرون ههنا ؟ قالوا : محمّداً ، قال : خيّبكم الله قد والله خرج عليكم محمّد ثمّ ما ترك منكم رجلاً إلّا وقد وضع على رأسه تراباً وانطلق لحاجته أفما ترون ما بكم ، قال : فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب ، ثمّ جعلوا يطّلعون فيرون عليّاً على الفراش متسجياً ببرد رسول الله ﷺ فيقولون : والله انّ هذا لمحمد نائم عليه برده فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فقام عليّ عن الفراش فقالوا : والله لقد صدقنا الذي كان حدثنا.

فكان مما نزل من القرآن في ذلك اليوم وما كانوا أجمعوا له : ﴿ **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** ﴾ ،

وقول الله عزّوجل: ﴿ **أم يقولون شاعر نتربّص به ريب المنون قل تربصوا فإنّي معكم من المتربصين** ﴾، وقد زعم بعضهم انّ أبا بكر أتى عليّاً فسأله عن نبي الله فأخبره انّه لحق بالغار من ثور، وقال: إن كان لك في ظلمة الليل فحسبه من المشركين فأسرع ﷺ المشي فانقطع نعله ففلق ابهامه حجر فكثر دمها وأسرع السعي فخاف أبو بكر أن يشق على رسول الله فرفع صوته وتكلّم فعرفه رسول الله فقام حتى أتاه فانطلقا ورجل رسول الله تستنّ دماً حتى انتهى إلى الغار مع الصبح فدخلاه وأصبح الرهط الذين كانوا يرصدون رسول الله فدخلوا الدار وقام علي عن فراشه، فلما دنوا منه عرفوه فقالوا له: أين صاحبك؟ قال: لا أدري أو رقيباً كنت عليه أمرتموه بالخروج فخرج، فانتهروه وضربوه وأخرجوه إلى المسجد فحبسوه ساعة ثمّ تركوه ونجّى الله رسوله من مكرهم ـ اهـ ملخصاً ـ.

أقول: لا شبهة انّ في هذين الحديثين المسوقين عن ابن الأثير والطبري فقرات تؤذن بوجود تناقض صريح في سياق الحديث المزبور ولا يتفاوت أمر هذا التناقض أصلاً أعم من أن يكون النائم على فراش النبي عليّاً أم غير علي، وذلك هو انّ الذي يسوق في حديثه انّ جبريل أتى النبي ﷺ فقال له: لا تبت الليلة على فراشك فإنّ القوم متواطئون على قتلك ويسوق أيضاً انّ رسول الله سمع جرس أبي بكر في ظلمة الليل فحسبه من المشركين فأسرع ﷺ المشي فانقطع قبال نعله ففلق ابهامه حجر فكثر دمها وأسرع السعي فخاف أبو بكر أن يشق على رسول الله فرفع صوته وتكلم فعرفه النبي فقام حتى أتاه فانطلقا ورجل رسول الله تستن دماً لا يجوز له أن يسوق انّ النبي قال لعلي: أو لغير عليّ نم على فراشي واتشح ببردي الحضرمي فنم فيه فإنّه لا يخلص اليك شيء تكرهه منهم، وكان رسول الله ينام في برده ذلك إذا نام فإنّ قارىء حديثه وسامعه يعترض عليه في آخر كلمة يسمعها منه.

إذا كان المبيت على فراشك بوضعه العادي وعلى مجراه الطبيعي فلم تتحول أنت منه ولم ينهاك عن المبيت فيه جبريل ولم تقطع الليل ساهراً مفتشاً عن الزوايا التي يختبأ بها والمسالك التي يسلك منها إلى النجاة حتى انك تسرع العدو لأقل حس تسمعه وتظن انّه من مشرك يريدك فينقطع قبال نعلك فلا تمكنك العجلة من شده وحتى ينفلق ابهامك ويسيل دمه بكثرة وأنت في شاغل عنه بحفظ نفسك تسرع لامشي مغذاً لا تقلع عنه حتى يتشخص لك ان الحس الذي سمعته ليس لعدو وإنّما هو لصاحب من أصحابك فتقف ورجلك تفيض دماً يصيبك كل هذا من الخوف والشدة والألم وأنت بعيد عن بيتك ولا طالب يطلبك ولا أحد يدري بمسيرك ومع ذلك تقول لمن تنيمه في فراشك المعد لك المنظور وحده في التوطئة عليك وتغطيه بغطائك المشخص بوسمك مع علمك انّ القوم يطوقونه وطبق ما اتخذوا لأنفسهم من تدبير وتوطئة ـ كما أخبرك به رسول الوحي ـ انهم يريدون ايقاع عملية القتل بك: نم على فراشي واتشح ببردي الحضرمي الأخضر فإنّه لا يخلص اليك شيء تكرهه منهم.

نعم، لا شبهة انّ هذه المقالة مقالة خاطئة مزورة بصراحة لا غبار عليها وكذلك يكذب في الحديث ما يذكرونه ان رسول الله قرأ عليهم آياً من سورة يس فأعمى الله أبصارهم عنه حتى ذرّ على رؤوسهم التراب ولم يشعروا به، لا لأنّ الله عاجز عن ذلك أو انّ نبيّه ليس حقيقاً بهذه المنة وهذا التلطف؛ ولكن الله سبحانه لو كان أراد أن يعمل اعجازه في مثل هذه النقطة ويحفظ نبيه بطريق غيبي لأتاهم عن داره فلم يهتدوا اليها كما أتاه بني اسرائيل في كمية فراسِخ معدودة أربعين سنة وهم يزيدون على النصف مليون انسان ولا يزالون يسيرون فما يصلون إلى ما يصدون ولا إلى أقل هدف منه حتى فرّج الله عنهم بما اقتضته مصلحته؛ أو انّه سبحانه أعمى أبصارهم عنه ما داموا يريدونه بقتل حتى يتصل بالسلامة من غير

حاجة إلى أن ينام أحد على فراشه، أو انّه عزوجل ألقى الرعب في قلوبهم ففرقهم عن إعمال هذه الروية وترصد نبيه بالمرة الواحدة فكل هذا لما لم يكن في الخارج بواضح الضرورة علم ان مجري هذه القضية مجرى طبيعي ساذج لم يتميز فيه النبي عن غيره من أفراد البشر الذين طرح وضعهم الحيوي على عاتق العادة الجارية من مغلوبية الضعيف أمام القوي والفقير مقابل الغني وهلم دواليك.

ولا ريب في مثل هذه الحالة بوجود الظنون القوية بوصول المكاره إلى النبي إذا بات على فراشه أو من هو في ظاهره النبي وإن كان في الواقع ليس به ما دامت علامة التوطئة محفوظة بلعم المتواطئين انّ النائم على هذا الفراش بهذا الغطاء هو محمّد بن عبد الله ولو كان في الواقع حجراً ممدوداً فإنّ مرتبة الواقع هنا لا قيمة لها فمحمد بن عبد الله والحجر الصلد الذي لا يتأثر بالمعاول الهدامة على هذا الفراش بشعاره المخصوص سيان لا يفترقان بأقل فارق في نظر المتواطئين بطور قاطع.

ولا شبهة انّ هذه الزيادات التي أوجبت تضعضع الحديث وارتباك مضمونه وليدة تعصب ممقوت غفل الدساسون فيه عن مثل هذه المؤاخذات يؤاخذون بها على هذا التحوير والتطوير الذي شوهوا به منظرة الحديث وفي شرع التعصبات من هذه المؤاخذات والتناقضات شيء كثير لا حساب له وهو الذي ضعف جنبة الدين بأسره.

ولما ثبت انّ مجرى قضية المبيت كان مجرى طبيعياً ثبت أيضاً انّ هذه المواساة العظيمة أهل لأن يساق اليها كل حديث عامر بالفضل طافح بالفضيلة؛ فقد ذكر اليعقوبي في تاريخه [١]: واجتمعت قريش على قتل رسول الله ﷺ

(١) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٢٩.

وقالوا: ليس له اليوم أحد ينصره، وقد مات أبو طالب فأجمعوا جميعاً على أن يأتوا من كل قبيلة بغلام نهد فيجتمعوا عليه فيضربوه بأسيافهم ضربة رجل واحد فلا يكون لبني هاشم قوّة بمعاداة جميع قريش، فلما بلغ رسول الله ذلك وانهم أجمعوا على أن يأتوه في الليلة التي اتعدوا فيها خرج رسول الله لما اختلط الظلام ومعه أبو بكر وان الله عزوجل أوحى في تلك الليلة إلى جبرئيل وميكائيل اني قضيت على أحدكما بالموت فأيكما يواسي صاحبه؟ فاختار الحياة كلاهما، فأوحى الله اليهما: هلا كنتما كعلي بن أبي طالب آخيت بينه وبين محمّد وجعلت عمر أحدهما أكثر من الآخر فاختار عليّ الموت وآثر محمّداً بالبقاء، وقام في مضجعه إهبطا فاحفظاه من عدوه فهبط جبرئيل وميكائيل فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه يحرسانه من عدوه ويصرفان عنه الحجارة وجبريل يقول: بخ بخ لك يابن أبي طالب من مثلك يباهي الله بك ملائكة سبع سماوات.

وخلف ﷺ عليّاً على فراشه ولرد الودائع التي كانت عنده وصار إلى الغار فكمن فيه وأتت قريش فراشه فوجدوا عليّاً فقالوا: أين ابن عمك قال: قلتم له اخرج عنا فخرج عنكم فطلبوا الأثر فلم يقعوا عليه وأعمى الله عليهم المواضع فوقفوا على باب الغار وقد عششت عليه حمامة فقالوا ما في هذا الغار أحد وانصرفوا.

أقول: لا يصح في حديث اليعقوبي قوله: ويصرفان عنه الحجارة فإنّ الأحاديث الصحيحة ذكرت ان المتواطئين لم يزالوا يرمونه بالحجارة وهو يتضور كما نسوق ذلك؛ كما انّه لا يهمني ولا يهم أيّ باحث حرّ ورود لفظ ما أورده اليعوبي أو عدم وروده بعد أن كان المقصود من المقدمات البرهانية اثبات الفضيلة لعلي عليه السلام باستحقاقها في هذا الموضوع بخصوصه سواء كان لسان الفضيلة بالنحو الذي ذكره اليعقوبي أو بلون غيره فإنّ هذه القضايا أمثال وأشباه

تسيل في مصب واحد والذي يجمعها من دون أي ريب لأيّ عاقل فطن ان عليّاً في مبيته على فراش رسول الله مواس مؤثر ناصح باذل مهجته في سبيل رسول الله فاد بها اياه وفي المفاداة من الفضل ما لا يبلغه فضل آخر على ان هذا حسنة واحدة من حسنات عليّ التي لا تزال تتجلى الواحدة بعد اختها على طول ميدانهِ في الحياة في عصر النبوة وبعده إلى أن ادرج جثمانه الطاهر في مرقده المقدس صلوات الله عليه.

وقال ابن الصباغ المالكي[1]: وذهب من الليل ما ذهب وعلي نائم على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمشركون يرجمونه فلم يضطرب ولم يكترث ثمّ انهم تسوروا عليه ودخلوا شاهرين سيوفهم فثار في وجوههم فعرفوه فقالوا هو أنت فأين صاحبك فقال: لا أدري، فخرجوا عنه وتركوه ولم يصل إليه منهم مكروه وكفاه الله شرهم.

قال بعض أصحاب الحديث: وأوحى الله تعالى إلى جبرئيل ومكائيل أن انزلا إلى علي واحرساه في هذه الليلة إلى الصباح فنزلا إليه وهما يقولان بخ بخ من مثلك يا علي قد باهى الله بك ملائكته. وأورد الامام حجة الإسلام أبو حامد محمّد بن الغزالي في كتابه احياء علوم الدين ان ليلة بات علي بن أبي طالب على فراش رسول الله أوحى الله تعالى إلى جبرئيل وميكائيل اني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختار كلاهما الحياة وأحبّاها فأوحى الله تعالى اليهما أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب حين آخيت بينه وبين محمّد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه، وكان جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند

---

(١) الفصول المهمة: ص ٢٩ وما بعدها.

رجليه ينادي ويقول بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة، فأنزل الله عزوجل: ﴿ **ومن الناس من يشبري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد** ﴾ وفي تلك الليلة أنشأ علي كرّم الله وجهه يقول:

وقيت بنفسي خير من وطئ الثرى — وأكرم خلق طاف بالبيت والحجر
وبتّ اراعي منهم ما يسوئني — وقد صبرت نفسي على القتل والأسر
وبات رسول الله في الغار آمناً — وما زال في حفظ الاله وفي السر

وروى أحمد بن حنبل[١] عن عمرو بن ميمون من حديثه المطول عن ابن عباس قال: وشرى علي نفسه لبس ثوب النبي ثمّ نام مكانه، وقال: وكان المشركون يرمون رسول الله فجاء أبو بكر وعلي نائم قال وأبو بكر يحسب انّه نبي الله قال فقال: يا نبي الله قال فقال له علي انّ نبي الله قد انطلق نحو بئر ميمون فأدركه، قال فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار قال وجعل علي يرمى بالحجارة كما كان يرمى نبي الله وهو يتضور وقد لف رأسه في الثوب لا يخرجه حتى أصبح ثمّ كشف عن رأسه فقالوا انك للئيم كان صاحبك نرميه فلا يتضور وأنت تتضور وقد استنكرنا ذلك.

وروى الحاكم[٢] عن ابن عباس قال: شرى علي نفسه ولبس ثوب النبي ثمّ نام مكانه وكان المشركون يرمون رسول الله وقد كان رسول الله ألبسه برده وكانت قريش تريد أن تقتل النبي فجعلوا يرمون عليّاً ويرونه النبي وقد لبس برده وجعل علي يتضور فإذا هو علي فقالوا انك للئيم انك لتتضور وكان صاحبك لا يتضور

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج ١ ص ٣٢٠ من طبعته على المسانيد في مصر.

(٢) المستدرك: ج ٣ ص ٤.

ولقد استنكرناه منك. هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه وقد رواه أبو داود الطيالسي وغيره عن أبي عوانة بزيادة الفاظ. ولم يتعقبه الذهبي.

وروى الحاكم [١] عن علي بن الحسين قال: ان أوّل من شرى نفسه ابتغاء رضوان الله علي بن أبي طالب وقال عليّ عند مبيته على فراش رسول الله:

وقيت بنفسي خير من وطىء الحصى ... ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر

رسول إلٰه خاف أن يمكروا به ... فنجّاه ذو الطول الاله من المكر

وبات رسول الله في الغار آمناً ... موقى وفي حفظ الاله وفي ستر

وحذفنا بيتاً رابعاً لأننا وجدناه في المستدرك وفي تلخيصه مغلوطاً وما أحببنا التصرف فيه ولم يتعقب الذهبي الحاكم فيما أورده.

وروى الحاكم [٢] عن علي قال: لما كانت الليلة التي أمرني رسول الله أن أبيت على فراشه وخرج من مكة مهاجراً انطلق بي رسول الله إلى الأصنام فقال اجلس فجلست إلى جنب الكعبة ثمّ صعد رسول الله على منكبي ثمّ قال انهض فنهضت به فلما رأى ضعفي تحته قال اجلس فجلست فأنزلته عني وجلس لي رسول الله ثمّ قال لي يا علي اصعد على منكبي فصعدت على منكبيه ثمّ نهض بي رسول الله وخيّل الي أنّي لو شئت نلت السماء وصعدت إلى الكعبة وتنحى رسول الله فألقيت صنمهم الأكبر وكان من نحاس موتداً بأوتاد من حديد إلى الأرض فقال لي رسول الله عالجه فعالجت فما زلت اعالجه ويقول رسول الله ايه ايه حتى استمكنت منه فقال دقه فدققته فكسرته ونزلت؛ هذا حديث صحيح الاسناد ولم

(١) المصدر نفسه من جميع الوجوه.

(٢) المستدرك: ج ٣ ص ٥.

يخرجاه.

أقـول: وله شواهد كثيرة، فمن ذلك ما رواه أحمد بن حنبل [١] عن علي قال انطلقت أنا والنبي ﷺ حتى أتينا الكـعبة فـقال لي رسـول الله ﷺ اجـلس وصعد على منكبي فذهبت لأنهض به فرأى مني ضعفاً فنزل وجلس لي نبي الله وقال اصعد على منكبي قال فصعدت على منكبيه قال فنهض بي قال فإنّه يخيّل الي اني لو شئت لنلت افق السماء حتى صعدت على البيت وعليه تمثال صفر أو نحاس فجعلت ازاولهُ عن يمينه وعن شماله وبـين يـديه ومـن خـلفه حـتى إذا استمكنت منه قال لي رسول الله اقذف به فقذفت به فتكسر كما تتكسر القوارير ثمّ نزلت فانطلقت أنا ورسول الله نستبق حتى توارينا بالبيوت خشية أن يـلقانا أحد من الناس.

وما رواه المتقي الهندي في منتخب كنز العمال [٢] عن علي قال: انطلقت أنا والنبي ﷺ حتى أتينا الكعبة فقال لي رسول الله اجلس وصعد عـلى مـنكبي فذهبت لأنهض به فرأى مني ضعفاً فنزل وجلس لي نبي الله ﷺ فقال اصـعد على منكبي فصعدت على منكبه فنهض بي فإنّه يخيل إليّ أنّه لو شئت لنلت أُفق السماء حتى صعدت على البيت وعليه تمثال صفر أو نحاس فجعلت ازاولهُ عن يمينه وعن شماله وبين يديه ومن خلفه ورسول الله يقول هيه هيه وانـا أُعـالجه حتى استمكنت منه فقال لي رسول الله اقذف به فقذفت به فتكسر كـما تـتكسر القوارير ثمّ نزلت فانطلقت أنا رسول الله ﷺ نستبق حتى تـواريـنا بـالبيوت خشية أن يلقانا أحد من الناس فلم يرفع عليها بعد. ابن أبي شيبة؛ أبو يعلى في

(١) المسند ج ١ ص ٨٤ من طبعته على المسانيد في مصر.

(٢) ج ٥ ص ٥٤ مطبوع على هامش مسند أحمد.

مسنده وأحمد في المسند؛ وابن جرير؛ والحاكم في المستدرك وصححه؛ والخطيب في التاريخ.

وقد أخرج الحاكم [١] عن عمرو بن ميمون ما أخرجه ابن حنبل من حديث مبيت عليّ على فراش النبي الذي أسلفناه عنه ولا معنى لاعادته وقد صححه الحاكم وأقرّه الذهبي.

ومن كلام لأمير المؤمنين عليه السلام اقتص فيه ذكر ما كان منه بعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ لحاقه به؛ فجعلت اتبع مأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأطأ ذكره حتى انتهيت إلى العرج [٢] قال الشارح: العرج منزل بين مكة والمدينة إليه ينسب العرجي الشاعر، قال محمّد بن اسحاق في كتاب المغازي لم يعلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحداً من المسلمين ما كان عزم عليه من الهجر إلّا علي بن أبي طالب وأبا بكر بن أبي قحافة، امّا علي فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبره بخروجه وأمره أن يبيت في فراشه يخادع المشركين عنه ليروا انّه لم يبرح فلا يطلبوه حتى تبعد المسافة بينهم وبينه وان يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عن رسول الله الودائع التي عنده للناس وكان صلى الله عليه وآله وسلم استودعه رجال من مكة ودائع لهم لما يعرفونه من أمانته، وأمّا أبو بكر فخرج معه.

وسألت النقيب أبا جعفر يحيى بن أبي زيد الحسني رحمه الله فقلت: إذا كانت قريش قد محضت رأيها والقى اليها ابليس كما روي ذلك الرأي وهو ان يضربوه بأسياف من أيدي جماعة من بطون مختلفة ليضيع دمه في بطون قريش فلا تطلبه بنو عبد مناف فلماذا انتظروا به تلك الليلة الصبح فإنّ الرواية جاءت بأنّهم كانوا

---

(١) المستدرك ج ٣ ص ١٣٢.

(٢) ج ٣ ص ٢٨٤ من النهج معه الشرح الحديدي.

تسوروا الدار فعاينوا فيها شخصاً مسجى بالبرد الحضرمي الأخضر فلم يشكوا انّه هو فرصدوه إلى أن أصبحوا فوجوده عليّاً وهذا طريف لأنّهم كانوا قد أجمعوا على قتله تلك الليلة ؟

فقال في الجواب: لقد كانوا همّوا من النهار بقتله تلك الليلة وكان اجماعهم على ذلك وعزمهم في حقه من بني عبد مناف لأنّ الذين محضوا هذا الرأي واتفقوا عليه النضر بن الحارث من بني عبد الدار وأبو البختري بن هشام وحكيم بن حزام وزمعة بن الأسود بن المطلب هؤلاء الثلاثة من بني أسد بن عبد العزى أبو جهل بن هشام وأخوه الحارث وخالد بن الوليد بن المغيرة هؤلاء الثلاثة من بني مخزوم وبنيه ومنبه ابنا الحجاج وعمرو بن العاص هؤلاء الثلاثة من بني سهم وامية بن خلف وأخوه أبي بن خلف هذان من بني جمح فنما هذا الخبر من الليل إلى عتبة بن ربيعة بن عبد شمس فلقى منهم قوماً فنهاهم عنه وقال: انّ بني عبد مناف لا تمسك عن دمه ولكن صفدوه في الحديد واحبسوه في دار من دوركم وتربصوا به أن يصيبه من الموت ما أصاب أمثاله من الشعراء وكان عتبة بن ربيعة سيد بني عبد شمس ورئيسهم وهم من بني عبد مناف وبنو عم الرجل ورهطه فأحجم أبو جهل وأصحابه تلك الليلة عن قتله احجاماً ثمّ تسوروا عليه وهم يظنونه في الدار فلما رأوا انساناً مسجى بالبرد الأخضر الحضرمي لم يشكوا انّه هو وائتمروا في قتله فكان أبو جهل يذمرهم عليه فيهمون ثمّ يحجمون ثمّ قال بعضهم لبعض: ارموه بالحجارة فرموه فجعل علي يتضور منها ويتقلب ويتأوه تأوهاً خفيفاً فلم يزالوا كذلك في اقدام عليه واحجام عنه لما يريده الله تعالى من سلامته ونجاته حتى أصبح وهو وقيذ من رمي الحجارة ولو لم يخرج رسول الله ﷺ إلى المدينة وأقام بينهم بمكة ولم يقتلوه تلك الليلة لقتلوه في الليلة التي تليها وان شبت الحرب بينهم وبين بني عبد مناف فإنّ أبا جهل لم يكن بالذي

ليمسك عن قتله، وكان فاقد البصيرة شديد العزم على الولوغ في دمه.

قلت للنقيب: أفعلم رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ بما كان من نهي عتبة لهم.

قال: لا انهما لم يعلما ذلك تلك الليلة وإنّما عرفاه من بعد، ولقد قال رسول الله يوم بدر لما رآى عتبة وما كان منه ان يكن في القوم خير ففي صاحب الجمل الأحمر، ولو قدرنا أن عليّاً عليه السلام علم ما قال لهم عتبة لم يسقط ذلك فضيلته في المبيت لأنّه لم يكن على ثقة انهم يقبلون قول عتبة بل كان ظن الهلاك والقتل أغلب، وامّا حال علي عليه السلام فلما أدّى الودائع خرج بعد ثلاث من هجرة النبي صلى الله عليه وآله فجاء إلى المدينة راجلاً قد تورمت قدماه.

أقول: بحث النقيب بحث لا بأس به وفضيلة مبيت أمير المؤمنين مقرونة على كل التقادير بالداعي الذي أهاب بالنبي أن لا يبقى على فراشه وينجو بنفسه وقد شرحنا ذلك آنفاً فلا نطيل، وامّا خروج أبي بكر معه وكونه معه في الغار وفي طول الخط إلى المدينة فمما لا ميزة له ظاهرة، ولو كان معه على دون أبي بكر لقلنا في حقه عين هذه المقالة لا ننحرف عنها، وذلك لأنّ طالب السلامة غير الراصد للحوادث المزعجة والنبي في خروجه خارج مكة طالب للسلامة والبعد عن مظان الحوادث بطور قاطع فسبيل من في صحبته سبيله والكون مع النبي في غار أو في عريش لأيّ انسان يفرض أمر عادي جداً لأنّ النبي لم يكن من الشخصيات التي تعتز بنفسها وتنحاز عن الطبقات الرائجة السائرة إلى اختصاصات محدودة كما يكون ذلك في الجبابرة والملوك حتى تكون للخصيص به درجة ومكانة مرموقة مغبوطة بل كان في غالب أوقاته محشوراً بالضعفاء والفقراء والذين لا هوية لهم بين الناس أصلاً.

ومكان الغار لو لم يكن في نظر النبي مكناً لما آوى إليه طبعاً فإنّ العاقل لا يفرّ من خوف محتم أو غالب على النفس إلى مثله أو قريب منه وإنّما يتطلب مواقع

السلامة ومظانها وخارج مكة امّا فضاء مكشوف وهو محط لكل نظر أو جحر مستور وهو الذي تأمن إليه النفس وقد اختاره النبي ومعه صاحبه فكلا الرجلين طالب نجاة ومع ذلك نرى هذا الصاحب بنص القرآن يقال له لا تحزن فلولا انّه من مظان هذا الخطاب لما صح في حقه قطعاً فكم من فرق بين انسان يكون في احرز مكان للنفس ومع ذلك يرتجف من الخوف فيؤمن عليه ويؤمر بالصبر وانسان يكون في النقطة المرصودة للحوادث المحتمة الاتلاف أو الغالبة على النفس ومع ذلك لا يفزع ولا يؤمر بالصبر ولا يؤمن عليه.

هذا وانّ آية الغار لا تحتوي على أقل ميزة ولا اشعار بأدون فضيلة لثاني النبي بالمرة الواحدة فإنّها الآية الـ ٤٠ من سورة التوبة بهذا الترتيب: **﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾**.

ومعناها بصراحة لا تقبل التردد نصره الله حين أخرجه المشركون حال كونه ثانياً لانسان معه فيكونان في غار معهود يكمنان فيه فيقول لصاحبه لمّا رآى عليه ما يجوز معه الخطاب بلا تحزن: لا تنقبض نفسك ولا تخف من الوضع الذي نحن فيه انّ الله في جانبنا ولا يريد بنا تقدير سوء. ويجوز أن تكون هذه المقالة عن علم من الله وصل إليه أو تطييباً لخاطر صاحبه؛ فأنزل الله سكينته عليه، أي على رسوله فقط ولم يشرك صاحبه معه بصريح هذا الكلام وقرينة قوله عاطفاً وأيده بجنود لم تروها وهي الملائكة، فأي شيء في هذه الآية مما ينفع بحال أبي بكر.

نعم هناك كلمة الصاحب أطلقها الله عليه كما أطلقها على الرجلين اللذين ضرب بهما مثلاً في سورة الكهف من آية ٣٤ إلى نهاية ٣٩ فقال تعالى: **﴿ وَكَانَ لَهُ**

ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً * وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هٰذِهِ أَبَداً * وَمَا أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنقَلَباً * قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً * لٰكِنَّ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً * وَلَوْلاَ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ ٱللَّهُ لاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً * فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِنَ ٱلسَّماءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً ﴾ ، فها أنت ترى بصراحة انّ الله فرض الصحبة وأطلق لفظها على الموحد والملحد جميعاً فهل يشتهي أبناء التسنن أن نقول لهم ما المانع من أن يكون صاحبا الغار كصاحبي المثل المذكور في سورة الكهف موحداً وملحداً جمعتهم صحبة الطريق فقط والله سبحانه يقص علينا الواقع ويخبرنا عن دخائل القلوب وليس حديثه عن الأشياء كما يسوقه البخاري وغيره من حديث يدور على محور التعصب والأهواء فيجوز بالاحتمال العقلي الصحيح أن لا يكون أبو بكر مسلماً في قلبه وقد كشف الله تدليسه لنا بصراحة كتابه التي يعتزّ بها السنيون لصاحبهم زعماً منهم انها تنطق بنفعه ولا تريد به إلّا خيراً في حال انّ الواقع يقهقه من ورائهم ساخراً بهم ناقماً عليهم هذا وانّه كان معهما في سفرهما إلى المدينة دليلهما عبد الله بن اريقط وهو على دين الكفر وعامر بن فهيرة أيضاً الراعي الذي سبق خبره في نقل ابن سعد فهؤلاء أيضاً كانوا صحبة النبي في طريقه فما الذي يميز هؤلاء عن ابن أبي قحافة فلا يطلق عليهما لفظ الصاحب أو إذا أطلق لا تسري اليهما خواصه المترتبة عليه بما هو لفظ وله معناه الموضوع له.

وان كلما يساق لصاحب الغار عن المتعصبة له من حديث أو حكاية خبر فذلك مردود اليهم مضروب به عرض الجدار من دون تأمل لأنّ ذلك كله اختلاق محض وألفاظ تساق إلى غير معنى صحيح. والباحث ملزوم على عقله مجبور

على مقارنة الأشياء بعضها ببعض مع وساطة الاعتبار الصادق ولا يـجوز له أن يعير سمعاً إلى هذه الأصوات المتراصة العالية التي لم تزل ولا تزال الآفاق مرتجة بها والتي كل رجة منها بنفع شخص بعينه فذاك يصرخ للوثن وهذا للمسى باسم الله وذلك بأبي بكر وذياك بعلي إلّا بعد أن يفتش زوايا عقله ووجدانه الداخـلي ويدخل بحث النقليات دخول متهيب من تزويرها جريء على تحليلها بالتحليل الصحيح وأن لا يكون شأن هؤلاء المحدثين الذيـن لا يـملكون سـوى تـرديد الألفاظ ولو سيقت إلى محال في العقول ممتنع عند الأفهام أو مجّ تـافه مـرذول لدى الأذواق الحرة والوجدانات الصحيحة وهذه الشريطة ضرورية لكل باحث ولو كان ملحداً بالله إذا بحث عن الله ـ فرضاً ـ ولا يـهم اجـلاب هـؤلاء العـوام المتلبسين بلباس أهل العلم المتوسلين بهذا التدجيل إلى أهداف يرومونها مـن أوّل أمرهم امّا درهم لمّاع يتلذذون بمواقعه وامّا منصة رياسة يتمتعون بخواصها الكثيرة.

اللهم انّا نعوذ بك من هذه الرذائل في كافة شؤوننا مع الحياة.

هذا وانّ الأحاديث حول هجرة من هاجر من المسلمين وعلى من نزلوا فـي مهجرهم وأنواع الأخبار المتقاربة في لون هجرة النبي كثيرة ذات فنون ولا يهمنا التعرض إلى الزيادة عما نقلناه لأنّ فيما سلف منّا بلغة فقط نـختم هـذا الفـصل بجماع ما يتحدث به المؤرخون عن جملة ما بقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مكة وتـاريخ هجرته وما يرتبط بذلك:

فقد ساق ابن سعد[١] بطرقه التي ذكرها في كتابه الموعز إليه عن سعيد بـن المسيب ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزل عليه القرآن وهو ابن ثلاث وأربعين سنة وأقام

---

(١) الطبقات: ج ١ ص ٢٠٨ وما بعدها.

بمكة عشر سنين وعن انس بن مالك انّ رسول الله ﷺ أقام بمكة عشر سنين.

وعن عائشة وابن عباس انّ رسول الله ﷺ مكث بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن وبالمدينة عشر سنين وعن يزيد بن أبي حبيب انّ النبي ﷺ أقام بمكة عشراً وخرج منها في صفر وقدم المدينة في شهر ربيع الأوّل، وعن عكرمة عن ابن عباس قال: أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد أن بعث ثلاث عشرة سنة يوحى إليه ثمّ أمر بالهجرة، وعن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال: مكث رسول الله بمكة ثلاث عشرة سنة، وعن ابن عباس أيضاً يقول: أقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه.

وقال ابن الأثير [١] واختلف العلماء في مقامه بمكة بعد أن أوحى إليه فقال أنس وابن عباس من رواية أبي سلمة عنه وعائشة انّه أقام بمكة عشر سنين ومثلهم قال من التابعين ابن المسيب والحسن وعمرو بن دينار وقيل أقام ثلاث عشرة سنة، قاله ابن عباس من رواية أبي حمزة وعكرمة أيضاً عنه، ولعل الذي قال أقام عشر سنين أراد بعد اظهار الدعوة.

أقول: أي بعد الاصحار بها فإنّ المؤرخين قد اتفقوا انّه أقام بمكة ثلاث سنين يدعو الناس في الخفاء وبعدها أعلن بدعوته ودعا إلى ربه جهاراً ومن هنا ابتدأت مناصبة المشركين له ومبارزتهم ايّاه كما قرأت في سلسلة حديثنا الآنف، قال ابن الأثير: ومما يقوى هذا القول قول صرمة بن أبي أنس الأنصاري:

ثوى في قريش بضع عشرة حجة ... يذكّر لو يلقى صديقاً مواتيا

فهذا يدلّ على مقامه ثلاث عشرة سنة لأنّه قد زاد على عشر سنين فلو كان

(١) تاريخ: ج ٢ ص ٧٦.

خمس عشرة لصح الوزن وكذلك ست عشرة وسبع عشرة وحيث لم يستقم الوزن بأن يقول ثلاث عشرة قال بضع عشرة ولم ينقل في مقام زيادة على عشر سنين إلّا ثلاث عشرة وخمس عشرة.

وقال اليعقوبي [١]: وكان جميع مقامه بمكة حتى خرج منها إلى المدينة ثلاث عشرة سنة من مبعثه وقدم المدينة يوم الاثنين لثمان خلون من شهر بيع الأوّل وقيل يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة خلت منه.

وقال الطبري [٢]: واختلف السلف من أهل العلم في مدة مقام رسول الله بمكة بعدما استنبىء فقال بعضهم كانت مدة مقامه بها إلى أن هاجر إلى المدينة عشر سنين ثمّ ساق عن أنس بن مالك انّ رسول الله ﷺ بعث على رأس أربعين فأقام بمكة عشراً.

وساق عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: أخبرتني عائشة وابن عباس انّ رسول الله ﷺ لبث بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن. وعن سعيد بن المسيب قال: أنزل على رسول الله القرآن وهو ابن ثلاث وأربعين فأقام بمكة عشراً. وعن عكرمة عن ابن عباس قال: أنزل على النبي ﷺ وهو ابن ثلاث وأربعين سنة فمكث بمكة عشراً؛ وعن عمرو بن دينار قال: هاجر رسول الله ﷺ على رأس عشر من مخرجه. قال الطبري: وقال آخرون بل أقام بعدما استنبىء بمكة ثلاثة عشرة سنة فساق عن أبي حمزة عن ابن عباس قال: أقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ومن طريق آخر عن أبي حمزة الضبعي عن ابن عباس قال: بعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة.

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٢٩ و ٣٠.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٢٤٩ وما بعدها.

وعن عكرمة عن ابن عباس قال: بُعث النبي لأربعين سنة فمكثه بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه ثمّ اُمر بالهجرة. قال الطبري: وقد وافق قول من قال بعث رسول الله لأربعين سنة وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة قول أبي قيس صرمة بن أبي أنس أخي بني عدي بن النجار في قصيدته التي يقول فيها وهو يصف كرامة الله اياهم بما أكرمهم به من الإسلام ونزول نبي الله عليهم.

ثوى في قريش بضع عشرة حجة يــذكّر لو يلقى صديقاً مواتيا

ثمّ ساق الطبري قطعة لا بأس بها أعرضنا عن ذكرها لخروجها عمّا نحن بصدده.

قال: فأخبر أبو قيس في قصيدته هذه انّ مقام رسول الله ﷺ في قومه قريش كان بعدما استنبىء وصدع بالوحي من الله بضع عشرة حجة، قال وقال بعضهم كان مقامه بمكة خمس عشرة سنة؛ ثمّ قال الطبري: وبعث رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين سنة وقرن بنبوته كما قال الشعبي ثلاث سنين اسرافين وذلك قبل أن يؤمر بالدعاء واظهاره ثمّ قرن بنبوته جبريل بعد السنين الثلاث وأمره باظهار الدعوة إلى الله فأظهرها ودعا إلى الله مقيماً بمكة عشر سنين ثمّ هاجر إلى المدينة في شهر ربيع الأوّل من سنة أربع عشرة من حين استنبىء وكان خروجه من مكة اليها يوم الاثنين وقدومه المدينة يوم الاثنين لمضي اثنتي عشرة ليلة من شهر ربيع الأوّل.

وقال الكليني في أبواب تاريخ مولد النبي ﷺ ووفاته (من اُصول الكافي) ولد النبي لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأوّل في عام الفيل يوم الجمعة مع الزوال وروى أيضاً عند طلوع الفجر قبل ان يبعث بأربعين سنة وبقي بمكة بعد مبعثه ثلاث عشرة سنة ثمّ هاجر إلى المدينة ومكث بها عشر سنين ثمّ قبض

لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأوّل يوم الاثنين وهو ابن ثلاث وستين. على انّ ما ذكره الكليني ليس مما اتفق عليه الشيعة الإمامية وسوف نذكر أقوالهم في خاتمة المطاف من سيرة النبي ﷺ عند التعرض لوفاته.

أوّل الأعمال الدينية التي قام بها النبي في بدء وروده إلى دار هجرته

قال ابن اسحاق: فأقام رسول الله ﷺ بقباء في بني عمرو بن عوف يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس وأسّس مسجده ثمّ أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة وبنو عمرو بن عوف يزعمون انّه مكث فيهم أكثر من ذلك، فأدركت رسول الله ﷺ الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي وادي رانوناء فكانت أوّل جمعة صلاها بالمدينة فأتاه عتبان بن مالك وعباس بن عبادة بن نضلة في رجال من بي سالم بن عوف فقالوا: يا رسول الله أقم عندنا في العدد والعدة والمنعة، قال: خلّوا سبيلها فإنّها مأمورة ـ لناقته ـ فخلو سبيلها فانطلقت ـ إلى أن يقول ـ حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار بركت على باب مسجده ﷺ وهو يومئذ مربد [١] لغلامين يتيمين من بني النجار ثمّ من بني مالك بن النجار وهما في حجر معاذ بن عفراء ـ سهل وسهيل ابني عمرو ـ فلما بركت ورسول الله ﷺ عليها لم ينزل وثبت فسارت غير بعيد ورسول الله ﷺ واضع لها زمامها لا يثنيها به ثمّ التفتت إلى خلفها فرجعت إلى مبركها أوّل مرة فبركت فيه ثمّ تحلحلت وزمّت ووضعت جرانها فنزل عنها رسول الله ﷺ فاحتمل أبو أيّوب خالد ابن زيد رحله فوضعه

---

(١) المربد هو الموضع الذي يجفف فيه التمر.

في بيته ونزل عليه رسول الله ﷺ وسأل عن المربد لمن هو فقال له معاذ بن عفراء: هو يا رسول الله لسهل وسهيل ابني عمرو وهما يتيمان لي وسأرضيهما منه، فاتخذه مسجداً؛ قال: فأمر به رسول الله ﷺ أن يبنى مسجداً ونزل رسول الله ﷺ على أبي أيّوب حتى بنى مسجده ومساكنه فعمل فيه رسول الله ليرغب المسلمين في العمل فيه فعمل فيه المهاجرون والأنصار ودأبوا في فقال قائل من المسلمين:

لا يستوي من يعمر المساجدا　　　يدأب فيها قائماً وقاعداً
ومن يرى عن الغبار حائداً

قال ابن هشام سألت غير واحد من أهل العلم بالشعر عن هذا الرجز فقالوا بلغنا انّ علي بن أبي طالب ارتجز به فلا يدرى أهو قائله أم غيره. قال ابن اسحاق: فأخذها عمار بن ياسر فجعل يرتجز بها، قال ابن هشام: فلما أكثر ظن رجل من أصحاب رسول الله انّه إنّما يعرض به فيما حدثنا زياد بن عبد الملك البكائي عن ابن اسحاق وقد سمى ابن اسحاق الرجل (١)، قال ابن اسحاق: فقال قد سمعت ما تقول منذ اليوم يابن سمية والله لأراني سأعرض هذه العصا لانفك قال وفي يده عصا قال فغضب رسول الله ﷺ ثمّ قال: ما لهم ولعمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار انّ عماراً جلدة ما بين عيني وأنفي فإذا بلغ ذلك من الرجل فلم يستبق فاجتنبوه، قال ابن هشام وذكر سفيان بن عيينة عن زكريا عن

---

(١) في هامش سيرة ابن هشام: وقال أبو ذر: وقد سمى ابن اسحاق الرجل فقال انّ هذا الرجل هو عثمان بن عفان، أقول: ويؤيد ذلك تحامل عثمان بن عمار في كل موقف حتى انّه أوقع به شر ايقاع عندما تصدر لخلافة المسلمين.

الشعبي قال: انّ أوّل من بنى مسجداً عمار بن ياسر.

قال ابن اسحاق: وكانت أوّل خطبة خطبها رسول الله ﷺ انّه قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثمّ قال: أمّا بعد أيّها الناس فقدموا لأنفسكم تعلمنّ والله ليصعقنّ أحدكم ثمّ ليدعن غنمه ليس لها راع ثمّ ليقولن له ربّه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه ألم يأتك رسولي فبلغك وآتيتك مالاً وأفضلت عليك فما قدمت لنفسك فلينظرن يميناً وشمالاً فلا يرى شيئاً ثمّ لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق من تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فإنّ بها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى مئة ضعف والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قال ابن اسحاق وآخى رسول الله ﷺ بين اصحابه من المهاجرين والأنصار فقال فيما بلغنا: تآخوا في الله أخين أخوين ثمّ أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: هذا أخي فكان رسول الله ﷺ سيد المرسلين وامام المتقين ورسول ربّ العالمين الذي ليس له خطير ولا نظير من العباد وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أخوين. وكان حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله وعم رسول الله وزيد بن حارثة مولى رسول الله أخوين وإليه أوصى حمزة يوم أُحد حين حضره القتال ان حدث به حادث الموت. وجعفر بن أبي طالب ذو الجناحين الطيار يومئذ غائباً بأرض الحبشة، قال ابن اسحاق: وكان أبو بكر الصديق ابن أبي قحافة وخارجة بن زهير أخو بلحارث بن الخزرج أخوين، وعمر بن الخطالب وعتبان بن مالك اخو بني سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج اخوين، وأبو عبيدة بن عبد الله بن الجراح واسمه عامر بن عبد الله وسعد بن معاذ بن النعمان أخو بني عبد الأشهل أخوين، وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخو بلحارث بن الخزرج أخوين، والزبير بن العوام وسلامة بن وقش أخو بني عبد

الأشهل أخوين، ويقال بل الزبير وعبد الله بن مسعود حليف بني زهرة أخوين، وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت بن المنذر أخو بني النجار أخوين وطلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك أخو بني سلمة أخوين، وسعد بن زيد بن عمرو بن نفيل وأبيّ بن كعب أخو بني النجار أخوين، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وعباد بن بشر بن وقش أخو بني عبيد الأشهل أخوين، ويقال: ثابت بن قيس بن الشماس أخو بلحارث بن الخزرج خطيب رسول الله ﷺ وعمار بن ياسر أخوين، وأبو ذر وهو برير بن جنادة الغفاري والمنذر بن عمرو المعنق ليموت [١] أخو بني ساعدة بن كعب بن الخزرج أخوين.

قال ابن هشام: وسمعت غير واحد من العلماء يقول: أبو ذر جندب بن جنادة، قال ابن اسحاق: وكان حاطب بن أبي بلتعة حليف بني أسد بن عبد العزى وعويم بن ساعدة اخو بني عمرو بن عوف أخوين، وسلمان الفارسي وأبو الدرداء عويمر بن ثعلبة اخو بلحارث بن الخزرج أخوين، وبلال مولى أبي بكر مؤذن رسول الله ﷺ وأبو رويحة عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي أخوين، فهؤلاء من سمى لنا ممن كان رسول الله ﷺ آخى بينهم من أصحابه [٢].

وهنا يلزمنا البحث عن نقاط ثلاثة:

الأوّل ـ المساجد.

الثاني ـ الخطب الدينية.

الثالث ـ سرّ ايجاد المؤاخاة بين الأصحاب.

---

(١) أي الذي كان يسرع للموت شجاعة وجلداً وقرباً من الله وحباً للشهادة.

(٢) سيرة ابن هشام: ج ١ ص ٤٩٤ إلى ص ٥٠٧، طبع السقا والابياري والشلبي في مصر ونقولنا عن ابن هشام من الآن إلى منتهى البحث من هذه الطبعة.

البحث الأوّل ـ المساجد

المسجد والمعبد وكل كلمة أُخرى تقع في هذا الصف يراد منها معنى جوهري واحد وهو المكان الذي يعبد فيه الله سبحانه من المعترفين به، نعم لهذه الأمكنة المنشعثة في الخارج منذ تركزت العقائد باللاهوت في هذا العالم خصوصيات أولدتها التنوعات في المعتقد والنزعات في الدين ولكنها في نهاية المطاف تجتمع في نقطة واحدة وتقف أمام الالحاد والشرك الواضح في جهة مقابلة، ومن هنا يلزم أن يعرف انّ الجزيرة المشركة العربية لم تكن تعرف المساجد والمعابد إلّا بما كانت تألفه من هذه الأمكنة مصنوعاً قبلها ومستمراً معها كالبيت الحرام بمكة والكنائس المنشعثة في أطراف الجزيرة للمتنصرة منها ومعابد اليهود أيضاً وحق لها أن تجهل قيمة المسجد والمعبد بعد أن مشت شوطاً من الزمن جاهلة بكل شيء يعود لمبدأ المبادىء خصوصاً ولكافة المعارف عموماً فهي لا تدرك ما لله سبحانه من حقوق على عباده حتى تنساق إلى الخلوات الهادءة والأمكنة الطاهرة تظهر الخضوع لعظمة باريها وتشكر ما أسداه ويسديه اليها من يد بيضاء ونعمة ضافية وكان نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم يدرك فيهم من منابع هذه الأوصاف التي نسوقها لجهلهم بموجدهم خالق العالم والكائنات، ما يعسر علينا بيانه وقرآنه وما نحن إلى جنبه إلّا كما قد قيل: ما وراء كمن سمعا، ولذلك كانت مبارزاته قبل الهجرة منحصرة بدعوة واحدة بسيطة في جوهرها وان كانت ضخمة بأقيستها البرهانية، هي لزوم الاعتراف بالله واحداً لا شريك له موصوفاً بما يليق بقدس جلاله وجماله وقد استفرغ صلى الله عليه وآله وسلم وسعه في التعريف بذلك جهد ما يعطيه بيان الفصيح البليغ العارف المدرب لكن ذلك كان منه قولاً مجرداً لم يشفعه عمل عام حتى يطيح به عماد الشرك القائم واسطوانته الشارعة الماثلة ولم يكن ذلك عن

قصور فيه ولكن البيئة التي كان فيها قبل هجرته كانت بيئة ساقطة متمردة في جهلها وتوحشها إلى حد يعجز الوصف والواصف عن تحديده ولذلك لما سهّل الله عليه التحول من هذا المحيط المنكود إلى محيط المدينة بلد الأنصار ومنبتهم أخذ يطبق دعوته التوحيدية السابقة بالعمل الصارم منه ومن جميع من تبعه وكانت الظاهرة في بلد الهجرة له لا عليه بصورة بارزة لا يلحظ منها أقل محذور لا على نفسه ولا على كافة أتباعه المستضعف منهم والقوي، فمن هنا أخذ لا يمر بمكان إلّا صلّى فيه جماعة وأسس به مسجداً ليكون شعاراً تلمسه الحواس ولو عفواً وتدرك منه بوضوح تركز التوحيد من غير تقية في هذه البقاع، ولا شبهة انّ الآثار الشاخصة أبلغ في التدليل على ثبوت الشيء من اللفظ المجرد ومن هذا البرنامج العملي والوصايا القولية من الله والنبي وآل النبي تدرك السر في تكثير المسلمين للآثار الماثلة التي يستشعر منها الدين واضحاً في جميع محوطة الإسلام من مسجد ومعبد ومدرسة وغير ذلك مما يصطف في هذا الصف امّا الأقوال الصادرة من لسان الشرع في تقوية هذه الآثار والاشادة بها فهي كثيرة تقتطف منها ما يلي:

قال الله سبحانه في سورة التوبة آية ١٨: ﴿ **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلاَةَ وَآتَى ٱلزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ** ﴾، ففضلاً عن انّه سبحانه اعتبر السنخية التامة بين محالّ عبادته وبين من يقوم باشادتها وتجهيزها وان يكون المكان المقدس ملزوماً للمقدسين الطاهرين من كل حيثية ينظرها الناظر ويعتبرها المعتبر حثّ المؤمنين به وبما شرعه واعتبره من خلوص العقيدة له والاذعان بأنّ اياب الخلق إليه ومعادهم عليه وامتثال أوامره باقامة الصلاة وايتاء الزكوة والاجهار بعقيدة التوحيد قولاً وعملاً وان لا عظيم بحق هذا الوصف بحيث يرجى ويخشى إلّا هو على اشادة

المساجد وتعميرها وتجهيزها والقيام بوظائفها التي تناسب ما أسست له وبنيت من أجله، وفي هذا ما يدلّ على عظيم حرمة المسجد وجليل شأنه خصوصاً والموصى بذلك والقائم بحق التعبير عنه هو الله جلّ جلاله.

وقال سبحانه في سورة البقرة آية (١١٤): ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ﴾ فلم ير سبحانه ظالماً وما أكثر جهات الظلم في التصور وفي خارج العيان يكون في حدّ من يصدّ عن بيوت الله ويسعى في خرابها وفي ذلك من التجليل بمقام المساجد ما لا يخفى.

وقال الكليني ـ في النوادر من كتاب الصلاة من فروع كافيه ـ عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمّد عن ابن أبي عمير عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا جبرئيل أيّ البقاع أحب إلى الله عزوجل؟ قال: المساجد وأحب أهلها إلى الله أولهم دخولاً وآخرهم خروجاً منها.

وروى الجزائري في كتاب الصلاة من آيات أحكامه عن الصدوق في كتابه انّ في التوراة مكتوباً أنّ بيوتي في الأرض المساجد فطوبى لعبد تطهر في بيته ثمّ زارني في بيتي ألا انّ على المزور كرامة الزائر ألا بشّر المشائين في الظلمات إلى المساجد بالنور الساطع يوم القيامة. وفي خبر آخر عن الصادق عليه السلام عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من كان القرآن حديثه والمسجد بيته بنى الله له بيتاً في الجنة.

وفي كتاب التاج للأُصول في أحاديث الرسول عن بريدة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: بشّر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة. رواه أبو داود والترمذي ج ١ ص ٢٤٧، هذا مختصر من ناحية الأقوال.

وقد قرأت عن ابن اسحاق من السيرة الهشامية انّ رسول الله نفسه كان يعمل في المسجد ليرغب المسلمين في العمل فيه فعمل فيه المهاجرون والأنصار

ودأبوا فيه، وقال ابن كثير في تاريخه (ج ٣ ص ٢١٥).

روى البيهقي من طريق أبي بكر بن أبي الدنيا ـ إلى أن أنهاه بقوله ـ قال: لما بنى رسول الله ﷺ المسجد أعانه عليه أصحابه وهو معهم يتناول اللبن حتى أغبر صدره.

وقال ابن سعد[١]: وبنى رسول الله ﷺ وأصحابه وجعل ينقل معهم الحجارة بنفسه ونقل ابن كثير عن ابن اسحاق قال: فدخل عمار بن ياسر وقد أثقلوه باللبن فقال: يا رسول الله قتلوني يحملون عليّ ما لا يحملون، قالت ام سلمة فرأيت رسول الله ﷺ ينفض وفرته بيده وكان رجلاً جعداً وهو يقول: ويح ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك إنّما تقتلك الفئة الباغية. قال ابن كثير: وهذا منقطع من هذا الوجه بل هو معضل بين محمّد عن سعيد والحسن ـ يعني ابني أبي الحسن البصري ـ عن امهما خيرة مولاة ام سلمة عن ام سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: تقتل عماراً الفئة الباغية. ورواه من حديث ابن علية عن ابن عون عن الحسن عن امه عن ام سلمة انّ رسول الله قال لعمار وهو ينقل الحجارة: ويح لك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية. وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن الحسن يحدث عن امه عن ام سلمة قالت: لما كان رسول الله ﷺ واصحابه يبنون المسجد جعل أصحاب النبي يحمل كل واحد لبنة لبنة وعمار يحمل لبنتين لبنة عنه ولبنة عن النبي ﷺ فمسح ظهره وقال: ابن سمية، للناس أجر ولك أجران وآخر زادك شربة من لبن وتقتلك الفئة الباغية.

وهذا اسناد على شرط الصحيحين، وقد أورد البيهقي وغيره من طريق جماعة عن خالد الحذاء عن عكرمة عن أبي سعيد الخدري قال: كنا نحمل في

---

(١) طبقات ابن سعد: ج ٢ ص ٤.

بناء المسجد لبنة لبنة وعمار يحمل لبنتين لبنتين فرآه النبي ﷺ فجعل ينفض التراب عنه ويقول: ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، قال يقول عمار: أعوذ بالله من الفتن [١]، ثمّ عقب ذلك ابن كثير بقوله:

وهذا الحديث من دلائل النبوة حيث أخبر صلوات الله وسلامه عليه عن عمار انّه تقتله الفئة الباغية وقد قتله أهل الشام في وقعة صفين وعمار مع علي وأهل العراق كما سيأتي بيانه وتفصيله في موضعه، وقد كان علي أحق بالأمر من معاوية ولا يلزم من تسمية أصحاب معاوية بغاة تكفيرهم كما يحاوله جهلة الفرقة الضالة من الشيعة وغيرهم لأنّهم وان كانوا بغاة في نفس الأمر فإنّهم كانوا مجتهدين فيما تعاطوه من القتال وليس كل مجتهد مصيباً بل المصيب له أجران والمخطىء له أجر، وأمّا قوله: يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار فإنّ عماراً وأصحابه يدعون أهل الشام إلى الالفة واجتماع الكلمة وأهل الشام يريدون ان يستأثروا بالأمر دون من هو أحق منه وأن يكون الناس اوزاعاً على كل قطر إمام برأسه وهذا يؤدي إلى افتراق الكلمة واختلاف الأُمّة فهو لازم مذهبهم وناشىء عن مسلكهم وان كانوا لا يقصدونه، والله أعلم [٢].

ونحن نقول لهذا المتشدق: لا نطيل معك البحث في تكفير معاوية وأصحابه بل نجاريك مقتصرين على نص الحديث من انّ قتلة عمار وهم معاوية وجنوده بغىة بحكم الرسول الأكرم وانّ عماراً يدعوهم إلى الجنة والوقوف في صف علي وهم يدعونه إلى النار والانضمام إلى حزب معاوية بن أبي سفيان فإذا حكم النبي ﷺ بأنّ معاوية وأصحابه من أهل النار، فإنّ الذي يدعو إلى النار لا يعقل

---

(١) البداية والنهاية: ج ٣ ص ٢١٧.

(٢) البداية والنهاية: ج ٣ ص ٢١٨.

أن يكون من أهل الجنة ، فمن أين جاز لك يا حافظ الشام أن تجعلهم مجتهدين مخطئين لهم أجر واحد ، والمأجور من أهل الجنة طبعاً .

وهل هذا منك إلّا اجتهاد في مقابل النص بل حكم يناقض حكم الرسول مناقضة واضحة .

ثمّ انّكم هؤلاء أنتم أبناء التسنن لا تزالون تبررون الجرائم المتكثرة الصادرة عمن تهوون من صحابي وتابعي وجاهل وحشي وبهيمة ضالة بأنّها صدرت منهم عن اجتهاد والمجتهد إن لم يكن إذا أخطأ مأجوراً بأجر واحد فهو معذور بطور قاطع ولا تكادون تعقلون المدلول اللفظي لهذه الكلمة ـ الاجتهاد ـ أو انكم تعقلون ولكن تنحرفون انسياقاً مع الهوى الغالب فإنّ الاجتهاد إنّما يقال لمن له اهلية استنباط الحكم من مداركه الصحيحة العلمية من أيّ فن كان وأنتم تصفون بهذا الوصف الجليل الخطير من لا يعرف أكثر الأحكام الشرعية لا فتوى صرفة ولا مشفوعة بمدركها العلمي وعقيدتكم في الاجتهاد بهذا اللون مما يبرر موقف ملاحدة العالم وزنادقته بأسرهم فإنّهم اناس لم يعتنقوا عقيدة من العقائد إلّا عن طغيان فكرة طفحت لحواسهم فخضعوا لها فهم على هذا مجتهدون مخطئون والمجتهد المخطىء عندكم مأجور فضلاً عن كونه معذوراً وليس لكم أن تعترضوا علينا بأنّ كثيراً من هؤلاء المنحرفي العقائد لا يعيرون سمعاً للأدلّة الدامغة لعقائدهم من رسول وغير رسول فاجتهادهم كالاجتهاد في مقابل النص لا قيمة له فاننا نقول لكم : ان لم يكن طغام أهل الشام المساندين لمعاوية في مقابل علي واقفين على كلمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم تقتل عماراً الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار .

فإنّ المدبرين لهذا الحزب والجامعين لشمله والناهضين بأعبائه والمسيطرين عليه بالتبليغ وسرد الأحاديث عن النبي والأقوال عن مشاهير صحابته وتابعيه

جدّ عارفين بمواقع كلمات النبي في هذا الموقف ونظيره ولكنهم يحرفونها عمداً لتثبيت أقدامهم على هذه المزالق وتأييد كلمتهم وتشييد رياستهم فهم معتمدون بصراحة واضحة على تحوير الحقائق وتلبيس الواقع فكيف يصح أن يكون هؤلاء مجتهدين فإنّها كلمة بالنسبة إليه جدّ مضطربة ، فإنّه ليس من موضوعها ، كما انها هي ليست من وصفه بالبداهة الجاهرة ، ومن أين لطغام الشام أهلية الاجتهاد وهم الوحش الجاهل الصرف المحتاج في كافة حركاته وسكناته إلى معلم ومدرب يقيمه على جادة الشرع الشريف على انّ أمير المؤمنين عليّاً وأصحابه الخيرة البررة المعروفين بالصلاح والفقه والدربة لم يقصروا في انذار هذا الجمع والإعذار إليه بأنحاء البيان ولكن شياطينهم من معاوية وابن العاص ونظيرهما لا يزالون يموهون عليهم ويحرفون مجاري الكلم عن مسيرها الصحيح ، ومع هذا فالقوم مأخوذون بسماع الحق الذي يتركز في حواسهم ولا يعذرون بتمويه المفسدين عليهم فإنّ دعوة الأنبياء للأُمم كانت بهذا اللون من الاعذار والانذار وإنّما استحق اممهم العذاب من الله بشتى ألوانهُ لانجرافهم مع تمويه المفسدين واعراضهم عن دعوة الرسل فإن يكن اجتهاد أصحاب معاوية مما يوجب معذوريتهم فليكن اجتهاد الأُمم المعذبة من هذا القبيل مما يوجب معذوريتهم أيضاً في حال انّ الله سبحانه نكل بهم وجعلهم عبرة للأجيال.

وفضلاً عن انّ معاوية وأركان دولته بالعلم القاطع يشخصون هوية علي وعمار وغيرهما من سادات الصحابة الكبار الذين لم يأخذ عليهم الدهر بادرة واحدة طيلة ما عمّروا أو كان مدحهم في كل لسان ومن كل انسان أيضاً إلّا أن يكون متحيز إلى غرض نفساني فيرمى السماء بالموبقات فضلاً عن الأرض فإنّ هناك من الأثر الوارد من طريق أبناء التسنن في خصوص موقف عمار في صف عليّ قبالة جيش معاوية ما يكشف عن اطلاع معاوية وأركانهُ المعروفين بكلمة

النبي هذه: يا عمار تقتلك الفئة الباغية، وانهم هم المقصودون بها بطبع مفادها وان معاوية وحزبه طيلة موقفهم أمام علي في صفين لم يزالوا يبرقعون صراحة الحديث المزبور على الناس حتى لا تنكسر شوكتهم فيفشلوا وتذهب ريحهم، فمن ذاك ما رواه أحمد بن حنبل [١] عن حنظلة بن خويلد العنبري قال: بينما أنا عند معاوية إذ جاءه رجلان يختصمان في رأس عمار يقول كل واحد منهما أنا قتلته فقال عبد الله بن عمرو ليطب به أحدكما نفساً لصاحبه فاني سمعت رسول الله يقول: تقتله الفئة الباغية، قال معاوية فما بالك معنا، قال: انّ أبي شكاني إلى رسول الله فقال أطع أباك ما دام حيّاً ولا تعصه فأنا معكم ولست أقاتل، وذكر مثله ص ٢٠٦ من المجلد المذكور.

وروى أيضاً [٢] عن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله يقول: تقتله الفئة الباغية، بالنسبة إلى عمار.

وروى أيضاً [٣] عن أبي بكر بن محمّد بن عمرو بن حزم عن أبيه قال: لما قتل عمار بن ياسر دخل عمرو بن حزم على عمرو بن العاص فقال: قتل عمار وقد قال رسول الله تقتله الفئة الباغية، فقام عمرو بن العاص فزعاً يرجّع حتى دخل على معاوية، فقال له معاوية: ما شأنك؟ قال: قتل عمار، فقال معاوية: قد قتل عمار فماذا؟ قال عمرو: سمعت رسول الله يقول: تقتله الفئة الباغية، فقال له معاوية: دحضت في بولك أو نحن قتلناه؟ إنّما قتله علي وأصحابه جاؤوا به حتى ألقوه بين رماحنا أو قال بين سيوفنا.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ج ٢ ص ١٦٤ من طبعته على المسانيد في مصر.

(٢) في ج ٤ ص ١٩٧ من مسنده.

(٣) ص ١٩٩ من المجلد المذكور.

وروى أيضاً (الصفحة والمجلد عين الأوّل) عن أبي نوفل بن أبي عقرب قال : جزع عمرو بن العاص عند الموت جزعاً شديداً ، فلما رأى ذلك ابنه عبد الله بن عمرو قال : يا أبا عبد الله ما هذا الجزع وقد كان رسول الله يـدنيك ويسـتعملك ، قال : أي بني قد كان ذلك وسأخبرك عن ذلك اني والله ما أدري أحباً ذلك كان أم تألفاً يتألفني ، ولكن اشهد على رجلين انّه قد فارق الدنيا وهو يحبهما ابن سمية (يعني عماراً) وابن ام عبد فلما حدّثه وضع يده موضع الغلال من ذقـنه وقـال : اللهم أمرتنا فتركنا ونهيتنا فركبنا ولا يسعنا إلّا مغفرتك وكانت تلك هجيراه حتى مات .

وروى الحاكم [١] عند ذكره لعمار : عن عمارة بن خزيمة بن ثابت قال : شهد خزيمة بن ثابت الجمل وهو لا يسل سيفاً وشهد صفين قال أنا لا أضل أبداً بقتل عمار فانظر من يقتله فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : تقتلك الفئة البـاغية ، قال فلما قتل عمار قال خزيمة : قد حانت له الضلالة ثمّ اقرب وكان الذي قـتل عماراً أبو غادية المزني طعنه بالرمح فسقط فقاتل حتى قتل ، وكان يومئذ يقاتل وهو ابن أربع وتسعين فلما وقع أكبّ عـليه رجـل آخـر فـاحتز رأسـه فأقـبلا يختصمان كل منهما يقول : أنا قتلته [٢] فقال عمرو بن العاص والله ان يختصمان إلّا في النار ، فقال عمرو وهو والله ذاك والله انك لتعلمه ولوددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة .

وروى أيضاً [٣] عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو انّ رجلين أتيا عـمرو بـن

---

(١) مستدرك الحاكم : ج ٣ ص ٣٨٥.

(٢) اعتقد انّه سقط منه لفظ : عبد الله بن : كما يرشد إليه سياق الحديث وترشد إليه روايات اخر .

(٣) ص ٣٧٨ من المجلد المذكور.

العاص يختصمان في دم عمار بن ياسر وسلبه فقال عمرو خليا عنه فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول: اللهم أولعت قريش بعمار، انّ قاتل عمار وسالبه في النار.

وروى المتقي الهندي [١] عن خالد بن الوليد عن ابنة هشام بن الوليد بن المغيرة وكانت تمرض عماراً قالت جاء معاوية إلى عمار يعوده فلما خرج من عنده قال: اللهم لا تجعل منيته بأيدينا، فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقتل عماراً الفئة الباغية [٢].

والحديث في ذلك كثير وليس هذا موضع استقصائه، وقد تبين لك من مجموع هذه الأحاديث انّ معاوية وعمراً بن عمرو وهكذا الطبقة الراقية من بطانته كانوا جدّ عالمين بموقف عمار منهم في صف عليّ محرضاً عليهم بالتحريضات المهمة، مثل ما يرويه الحاكم [٣] عن عبد الله بن سلمة يقول: رأيت عمار بن ياسر يوم صفين شيخاً طوالا أخذ الحربة بيده ويده ترعد فقال: والذي نفسي بيده لو ضربونا حتى بلغوا بنا سعفات هجر لعرفت انّا على الحق وهم على الباطل.

وما يرويه الحاكم أيضاً [٤] قال ابن عمرو: حدثني عبد الله بن جعفر عن ابن أبي عوف قال: أقبل عمار وهو ابن احدى وتسعين سنة وكان أقدم في البلاد من رسول الله ﷺ وكان أقبل إليه ثلاثة نفر عقبة بن عامر الجهني وعمرو بن

---

(١) في منتخب كنز العمال ج ٥ ص ٢٤٧ من طبعته على مسند أحمد في مصر.

(٢) أبو يعلى في مسنده، وابن عساكر في تاريخه.

(٣) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٨٤.

(٤) مستدرك الحاكم: ج ٣ ص ٣٨٦.

الحارث الخولاني وشريك بن سلمة فـانتهوا إليـه جـميعاً وهـو يـقول: والله لو ضربتمونا حتى تبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا انا على الحق وأنتم على البـاطل، فحملوا عليه جميعاً فقتلوه وزعم بعض الناس انّ عقبة بن عامر هـو الذي قـتله ويقال: بل قتله عمرو بن الحارث الخولاني.

قال ابن عمر: والذي أجمع عليه في عمار انّه قتل مع علي بـن أبـي طـالب بصفين سنة سبع وثلاثين وهو ابن ثلاث وتسعين سنة ودفن هناك بصفين، وما كان يهمهم من أمر عمار أقل شيء لتصلب روح التمرد والطغيان فيهم عـلى الله ورسوله بصراحة وأظنك لا تنسى ما أمليناه عليك قريباً قول معاوية لابن العاص قد قتل عمار فماذا فإنّ هذه الكلمة تعرب عن حقيقة معاوية بظهور وانّه من أشد المستخفين بعمار وبرسول الله القائل في حقه تلك الكلمة: تقتلك الفئة الباغية، وكثيراً من نظائرها.

وما أسلفناه لك من اضطراب ابن العاص وابنه عبد الله عند مقتله، وما أقـبح اعتذار عبد الله هذا في الانضمام إلى حزب معاوية في مقابل عـلي وعـمار بأنّ رسول الله أوصاه باطاعة أبيه وعدم معصيته له فإنّ مما يدركه الأغبياء البلداء انّ طاعة الوالدين مشروطة بأن لا يكون فيها ما يـخالف رضـا الرب ومـن أوجب طاعتهم من رسول الله ونذير وليس ما اوصاه به الرسول في مقابل أبيه إلّا من باب الوصايا الارشادية التي شرعتها العقول وصرح بها الله في كتابه العزيز مشـترطاً فيها أن لا تكون في نقطة معاندة للشرع مثل موقف عبد الله هذا بين مبارزة عمار واطاعة أبيه عمرو فإنّ أباه في موقفه هذا ضالّ منحرف عن الحق باعتراف الأب والابن جميعاً كما قرأت عنهما آنفاً.

وأمّا قول معاوية لعمرو: دحضت في بولك أو نحن قـتلناه إنّـما قـتله عـلي واصحابه جاؤوا به حتى ألقوه بين رماحنا أو قال بين سيوفنا ـ في الحديث الآنف

ـ فهو أشبه ما يكون بامرأة دهمها أجنبي ولا ملحفة عليها فأرادت أن تتستر منه فرفعت ثوبها لتغطي وجهها فبانت عورتها فكان ما كشفته أسوأ عورة مما غطته، وأمثال هذه الأراجيف من رجال السوء في تخدير أعصاب البسطاء لا حدّ لها ولا حصر من قديم وجديد فلنلو عنها صفحاً.

ولكن تعس ابن كثير حافظ الشام في كل ما سطره وتفوّه به من خرافاته وأساطيره المارة الذكر فلنقف في تفنيها عند هذا الحد فعلاً إلى أن يجيء البحث عن صفين مستقبلاً فنتكلم هناك بما هو لازم البحث ان شاء الله.

ثمّ لنختم كلمتنا عن المساجد بالكيفية التي اتخذها النبي لمسجده وما فاه به عندما كلّمه بعض أصحابه في تحسينه وتزيينه.

روى الكليني [١] عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنى مسجده بالسميط ثمّ انّ المسلمين كثروا فقالوا: يا رسول الله لو أُمرت بالمسجد فزيد فيه فقال نعم، فأمر به فزيد فيه وبناه بالسعيدة ثمّ انّ المسلمين كثروا فقالوا: يا رسول الله لو امرت بالمسجد فزيد فيه فقال نعم، فأمر به فزيد فيه وبنى جداره بالانثى والذكر ثمّ اشتد عليهم الحر فقالوا يا رسول الله لو أمرت بالمسجد فظلل فقال نعم، فأمر به فأُقيمت فيه سوارى من جذوع النخل ثمّ طرحت عليه العوارض والخصف والاذخر فعاشوا فيه حتى أصابهم المطر فجعل المسجد يكف عليهم، فقالوا: يا رسول الله لو أمرت بالمسجد فطيّن فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا، عريش كعريش موسى، فلم يزل كذلك حتى قبض رسول الله، وكان جداره قبل أن يظلل قامة فكان إذا كان الفيء ذراعاً وهو قدر مربض عنز صلى الظهر وإذا كان ضعف ذلك صلى العصر، قال: والسميط لبنة لبنة

(١) في كتاب الصلاة: ص ٨١ من فروع كافية المطبوع على الحجر.

والسعيدة لبنة ونصف والذكر والانثى لبنتان مخالفتان.

وذكر ابن كثير [١] قال: وروى البيهقي قال: لما بنى رسول الله ﷺ المسجد أعانه عليه اصحابه وهو معهم يتناول اللبن حتى اغبر صدره فقال: ابنوه عريشاً كعريش موسى، وعريش موسى كان إذا رفع يديه بلغ السقف، وذكر أيضاً: انّ الأنصار جمعوا مالاً فأتوا به النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله ابن هذا المسجد وزينه إلى متى نصلي تحت هذا الجريد فقال ما بي رغبة عن أخي موسى عريش كعريش موسى. وعن ابن عمر: انّ مسجد النبي ﷺ كانت سواريه على عهده ﷺ من جذوه النخل وأعلاه مظلل بجريد النخل، وعن ابن عمر أيضاً: انّ المسجد كان على عهد رسول الله ﷺ مبنياً باللبن وسقفه الجريد وعمده خشب النخل.

ومنظوره ﷺ أن تكون محالّ العبادة في غاية من البساطة حتى يكون الإنسان فيها منصرفاً بكله إلى ورده الذي بيده مقبلاً على ربه بجميع حواسه امّا إذاكانت الزينة آخذة بست جهات المسجد بأطرى أساليبها فلا ريب في انصراف الحواس اليها ودقة النظر يها وذاك ما ينافي بطبعه وضع العبادة والوقوف بين يدي الله سبحانه.

البحث الثاني ـ الخطب الدينية

لم تكن تعهد جزيرة العرب قبل ابتعاث النبي ﷺ أن يقوم فيها الخطيب ذاكراً لله سبحانه ومؤيداً لدينه ومبشراً بنعيمه لمن أطاعه ومنذراً من عذابه لمن عصاه ومهيباً بالسامعين إلى التقوى ومزاولة أعمال الخير والانصراف عن

---

(١) البداية والنهاية: ج ٣ ص ٢١٥.

الشرور ومجانبة الأشرار والاقبال على الآخرة أكثر من الاقبال على الدنيا، وإنّما كانت تعهد خطيبها مفاخراً ومنافراً ومحرضاً وملهباً للعواطف نحو اراقة الدماء ونهب الأموال وإخافة الأبراء وما شابه ذلك مما ملؤه جناية وخيانة وايجاد للاضطراب الدائم وخلق للمكاره وإشعال للضغائن وتهييج للنفوس إلى مزاولة الفتن واثارة الحميات الهادءة الراكدة فلما ابتعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم واتسع له ميدان الخطاب وتطاولت لخطابه أعناق السامعين أخذ ينثر عليهم من منظوم كلمه ولئاليء حكمه ما حيّر عقولهم وعظم في نفوسهم واسمعهم خطاباً من أعلا طرزه وقف بالعيون عن نظراتها المرتابة وبالاسماع عن وعيها للحديث السقيم وبالأفواه عن كل كلمة خبيثة وبكافة الحواس والأعضاء عن كل ما لا يجوز في شريعة الأدب وحفظ نظام النوع ومصونية الحقوق بطور عام، فتبدل الوضع من يومذاك في كافة سكان الجزيرة المسلمين إلى هذا اللون من الخطب التي لا تعرف غير الوعظ والارشاد والتذكير والتحذير وسوق الناس نحو مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب والخوف من الله واليوم الآخر وبطلت تلك السوق الكاسدة في واقعها الرائجة بين جهلة الجزيرة في مظاهرها التي لم تكن تتجاوز إثارة الفتن وتحريك العصبيات الرعناء.

ذكر البيهقي فقال: باب: أوّل خطبة خطبها رسول الله حين قدم المدينة: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس الأصم حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن ابن اسحاق حدثني المغيرة بن عثمان بن محمّد بن عثمان والأخنس بن شريق عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال: كانت أوّل خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة أن قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثمّ قال: أمّا بعد أيّها الناس فقدموا لأنفسكم تعلمن والله ليصعقن أحدكم ثمّ ليدعنّ غنمه ليس لها راع ثمّ ليقولن له ربه ـ ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه

دونه ـ ألم يأتك رسولي فبلغك وآتيتك مالاً وأفضلت عليك فما قدمت لنفسك فينظر يميناً وشمالاً فلا يرى شيئاً ثمّ ينظر قدامه فلا يرى غير جهنم فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فإنّ بها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعماءة ضعف والسلام على رسول الله ورحمة الله وبركاته.

ثمّ خطب رسول الله مرة أُخرى فقال: أن الحمد لله أحمده وأستعينه نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، انّ أحسن الحديث كتاب الله قد أفلح من زينه الله في قلبه وأدخله في الإسلام بعد الكفر واختاره على ما سواه من أحاديث الناس انّه أحسن الحديث وأبلغه أحبوا من أحب الله أحبوا الله من كل قلوبكم ولا تملّوا كلام الله وذكره ولا تقس عنه قلوبكم فإنّه من يختار الله ويصطفي فقد سماه خيرته من الأعمال وخيرته من العباد والصالح من الحديث ومن كل ما أُوتي الناس من الحلال والحرام فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً واتقوه حق تقاته وأصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم وتحابوا بروح الله بينكم انّ الله يغضب أن ينكث عهده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (١).

وذكر الطبري في حوادث السنة الأُولى من الهجرة (٢) قال: حدثني يونس بن عبد الأعلى قال: أخبرنا ابن وهب قال: حدثني سعيد بن عبد الرحمن الجمحي انّه بلغه عن خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أوّل جمعة صلاها بالمدينة في بني سالم بن عوف: الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأُومن به ولا أكفره

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ٢١٣ و ٢١٤.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٢٥٥.

واعادي من يكفره وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وان محمّداً عبده ورسوله أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل وقلّة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الأجل من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى وفرّط وضلّ ضلالاً بعيداً واُوصيكم بتقوى الله فإنّه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضّه على الآخرة وأن يأمره بتقوى الله فاحذروا ما حذركم الله من نفسه ولا أفضل من ذلك نصيحة ولا أفضل من ذلك ذكراً وانّ تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السرّ والعلانية لا ينوي بذلك إلّا وجه الله يكن له ذكراً في عاجل أمره وذخراً فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدّم وما كان من سوى ذلك يود لو أنّ بينه وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد والذي صدّق قوله وأنجز وعده لا خلف لذلك فإنّه يقول عزوجل: ﴿ ما يبدل القول لديّ وما أنا بظلّام للعبيد ﴾.

فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السرّ والعلانية فإنّه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً ومن يتقل الله فقد فاز فوزاً عظيماً وانّ تقوى الله يوقي عقوبته ويوقى سخطه وانّ تقوى الله يبيض الوجوه ويرضي الرب ويرفع الدرجة خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله قد علمكم الله كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين فأحسنوا كما أحسن الله اليكم وعادوا أعدائه وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسمّاكم المسلمين ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيّ عن بينة ولا قوّة إلّا بالله فأكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد اليوم فإنّه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس ذلك بأنّ الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه الله أكبر ولا قوّة إلّا بالله العظيم.

هنا نكتفي بهذه الجمل القصيرة في حديثنا عن هذا الموضوع وسوف نبسط الكلام عليه عندما نتعرض للآثار النبوية في منتهى مباحث النبوّة إن شاء الله.

البحث الثالث ـ المؤاخاة

قد سلف منّا الكلام عن الجزيرة المشركة العربية وما فيها من مفاسد أخلاق وانحطاط روحيات قبل أن يبزغ النور المحمدي وتتسع دعوة هذا النبي الأُمّي وانّ الجزيرة كانت من حيث التشويش واضطراب القبائل وتفكك العلائق وتباعد القلوب واحتدام الضغائن وتوزع الأفراد في جانب يرثى له بجميع ما في هذه الكلمة من معنى صحيح، وقد أدرك النبي هذا الوضع الفاسد وعاين هذه البيئة المتلاشية من قرب ولكن ما حيلته وهو في نظر الأفراد المعاصرين أبعد ما يكون عن التأثير لأنّ التأثير كان منوطاً بمن له صيت وسمعة عند العشائر ومن كانت له هذه الموفقية لم يكن يصرفها إلّا في التهريج واثارة الفتن وتقطيع العلاقات وضرب الناس بعضهم ببعض عادة ورثها من مشي الكبراء بأهالي هذا المحيط وأوضاعه.

ومحمّد ﷺ لم يكن في الجزيرة من أهل الصيت والسمعة بادئاً ولا هو ممن يعرف هذه العادات المرذولة حتى يمشي إلى جنبها ويشايع الغابرين عليها فكان هذا الأمل حسرة في قلبه يترصد التوفيق له منذ قام بدعوته في أُمّ القرى ولكن لم يتهيأ له القليل من ذلك فضلاً عن الكثير من تكالب الحوادث عليه وضيق المحيط به إلى أن تيسرت له دار الهجرة وتذوق فيها حلاوة العزة وصدق اعتقاد المسلمين به فكان أوّل همه أن يقرب قلوب أصحابه بعضاً من بعض ويزيح عنها الحواجز التي أسستها الجاهلية من قديم أيّامها بين الفرد والفرد وان كانا من لحمة واحدة فلذلك أصحر بقضية المؤاخاة بين أصحابه وجعل نفسه واحداً منهم ليكون به

التأسي في كل شيء ويكون هو أوّل حلقة في سلسلة الخيرات التي يقوم بتأسيسها ويدعو الناس اليها فأوّل ما أوقع المؤاخاة بين نفسه وبين علي بن أبي طالب ثمّ تمشى بها على أصحابه المهاجرين والأنصار فتمّ له ما أراد وحقق ما كان في صدده عندما كانت الأُمور عصية عليه والدنيا ضيقة به.

روى صاحب التاج للأُصول في أحاديث الرسول عن عبد الرحمن بن عوف قال: لمّا قدم المهاجرون المدينة آخى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع فقال لبعد الرحمن اني أكثر الأنصار مالاً فأقسم مالي نصفين بيني وبينك ولي امرئتان فانظر أعجبهما اليك فسمّها لي اطلقها فإذا انقضت عدتها فتزوجها قال: بارك الله في أهلك ومالك أين سوقكم فدلوه على سوق بني قينقاع فما انقلب إلّا ومعه فضل من اقط وسمن ثمّ تابع الغدوّ إلى السوق ثمّ جاء يوماً وبه اثر صفرة فقال النبي ﷺ مهيم [1]؟ قال: تزوجت امرأة من الأنصار قال كم سقت اليها؟ قال: وزن نواة من ذهب، فقال أولم ولو بشاة، رواه الثلاثة.

عن أبي جحيفة قال: آخى رسول الله ﷺ بين أبي الدرداء وسلمان، رواه البخاري. عن أنس قال: آخى رسول الله بين أبي عبيدة ابن الجراح وبين أبي طلحة، رواه مسلم، وعلّق صاحب التاج على أصل عنوان المؤاخاة المذكور بقوله فالنبي ﷺ آخى بين مأة وخمسين من المهاجرين ومأة وخمسين من الأنصار قبل بدر بخمسة أشهر في المدينة فكان يقول: يا فلان أنت أخو فلان والمراد بهذه المؤاخاة التعاقد والتعاهد على نصر الحق ونصر الله ورسوله والتعاون على أُمور الدنيا والآخرة.

---

(١) هذه الكلمة يمانية معناها ما هذا.

وعلّق أيضاً على حديث أنس الذي رواه مسلم فقال: وكان علي رضي الله عنه غائباً وقت هذه المؤاخاة فلما حضر بكى وقال: يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد؟ قال: أنت أخي في الدنيا والآخرة، فما أربحه وما أرفعه بهذه المؤاخاة [١].

وذكر صاحب التاج أيضاً في الفصل الذي عقده لمناقب علي عليه السلام [٢] وقال ابن عمر: آخى النبي بين أصحابه فجاء علي تدمع عيناه فقال: يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد، فقال له رسول الله: أنت أخي في الدنيا والآخرة، وعلّق عليه فقال: وبهذا الحديث امتاز علي عن بقية الأصحاب. وأورد السيوطي في تاريخ الخلفاء عند ذكره لعلي هذا الحديث بعينه وقال: أخرجه الترمذي عن ابن عمر.

وذكر المتقي الهندي [٣] من كتابه منتخب كنز العمال المطبوع على هامش مسند أحمد المطبوع على المسانيد: في حديث المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار بعضهم مع بعض، قال رسول الله لعلي: والذي بعثني بالحق ما أخّرتك إلّا لنفسي وأنت مني بمنزلة هارون من موسى غير انّه لا نبي بعدي، وأنت أخي ووارثي.

وروى المتقي الهندي في كتابه المذكور من طبعته المذكورة (ج ٤ ص ٣٢٣) إذا كان يوم القيامة نوديت من بطنان العرش يا محمّد نعم الأب أبوك ابراهيم ونعم الأخ أخوك علي، الرافعي عن علي.

---

(١) التاج للأصول: ج ٣ ص ٤٢٠.

(٢) ج ٣ ص ٣٣٢.

(٣) ج ٣ ص ٣٧٠.

وروى المتقي الهندي أيضاً (١): أنت أخي في الدنيا والآخرة قاله لعلي؛ الترمذي والحاكم في المستدرك عن ابن عمر، وعن عمران بن حصين خير اخوتي علي وخير أعمامي حمزة، الديلمي في الفردوس عن عائشة، المصدر نفسه من جميع الوجوه.

وروى المتقي الهندي أيضاً (٢): قم فما صلحت أن تكون أبا تراب أغضبت عليّ حين واخيت بين المهاجرين والأنصار ولم اواخ بينك وبين أحد منهم أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلّا انّه ليس بعدي نبي ألا من أحبك حقّ بالأمن والايمان ومن أبغضك أماته الله ميتة الجاهلية وحوسب بعمله في الإسلام، الطبراني في الكبير عن ابن عباس.

وروى المتقي الهندي أيضاً (٣) ألا ارضيك يا علي أنت أخي ووزيري تقضي ديني وتنجز موعدي وتبرىء ذمتي فمن أحبك في حياة مني فقد قضى نحبه ومن أحبك في حياة منك بعدي ختم الله له بالأمن والايمان وآمنه يوم الفزع ومن مات وهو يبغضك يا علي مات ميتة جاهلية يحاسبه الله بما عمل في الإسلام، الطبراني في الكبير عن ابن عمر.

وروى المتقي الهندي أيضاً (٤) عن عباد بن عبد الله سمعت عليّاً يقول: أنا عبد الله وأخو رسوله وأنا الصدّيق الأكبر لا يقولها بعدي إلّا كذاب مفتري ولقد صلّيت قبل الناس سبع سنين، ابن أبي شيبة، والنسائي في الخصائص، وابن أبي عاصم

---

(١) ج ٥ ص ٣٠ من كتابه الآنف الذكر.

(٢) ج ٥ ص ٣١ من كتابه المذكور.

(٣) ج ٥ ص ٣٢ من كتابه المزبور.

(٤) ج ٥ ص ٤٠ من كتابه المذكور.

في السنة ، والعقيلي في الضعفاء ، والحاكم في المستدرك ، وأبو نعيم في المعرفة .

وروى المتقي الهندي أيضاً [١] عن علي قال : آخى رسول الله بين عمر وأبي بكر وبين حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وبين عبد الله بن مسعود والزبير بن العوام وبين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن مالك وبيني وبين نفسه ، الخلعي في الخلعيات وفيه رأو لم يسمّ ، والبيهقي في السنن ، والضياء في المختارة .

وروى أيضاً (المصدر نفسه) آخى رسول الله بين الناس وتركني فقلت : يارسول الله آخيت بين أصحابك وتركتني ، قال : ولم تركتك إنّما تركتك لنفسي أنت أخي وأنا أخوك قال فإنّ حاجّك أحد فقل اني عبد الله وأخو رسول الله لا يدعيها أحد بعدك إلّا كذّاب ، أبو يعلى في مسنده .

وروى أيضاً (المصدر نفسه) عن علي قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا علي أنت أخي وصاحبي ورفيقي في الجنة ، يا علي أسبغ الوضوء وان شقّ عليك ولا تأكل الصدقة ولا تنز الحمير على الخير ولا تجالس أصحاب النجوم (الخطيب في كتاب النجوم) .

وروى أيضاً (ج ٥ ص ٤٦) عن أبي يحيى قال : سمعت عليّاً يقول : أنا عبد الله وأخو رسوله لا يقولها أحد بعدي إلّا كاذب ، فقال بها رجل فأصابته جنة ، العدني .

وروى المتقي الهندي أيضاً [٢] عن سليمان بن الربيع حدثنا كادح بن رحمة الزاهد حدثنا مسعر بن كدام عن جابر سمعت رسول الله يقول : رأيت على باب الجنة مكتوباً لا إله إلّا الله محمّد رسول الله عليّ أخو رسول الله ، ابن عساكر في

---

(١) ج ٥ ص ٤٥ من كتابه المزبور.

(٢) ج ٥ ص ٤٦ من كتابه المذكور.

التاريخ.

وروى الحاكم في المستدرك (ج ٣ ص ١٤) عن ابن عمر قال: لمّا ورد رسول الله المدينة آخى بين أصحابه فجاء عليّ فقال: يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد، فقال رسول الله يا علي أنت أخي في الدنيا والآخرة، تابعه سالم بن أبي حفصة عن جميع بزيادة في السياق.

عن ابن عمر (المدرك نفسه من جميع الوجوه) قال: انّ رسول الله آخى بين أصحابه فآخى بين أبي بكر وعمر وبين طلحة والزبير وبين عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف فقال علي: يا رسول الله انك قد آخيت بين أصحابك فمن آخي؟ قال رسول الله: أما ترضى يا علي أن أكون أخاك؟ قال ابن عمر: وكان علي جلداً شجاعاً فقال علي: بلى يا رسول الله، فقال رسول الله: أنت أخي في الدنيا والآخرة، قال الذهبي جميع اتهم والكاهلي هالك، وهما في سند هذا الحديث.

أقول: إن كان مراد الذهبي التشكك في حديث المؤاخاة فهو مشهور مستفيض جداً وقد قرأت طرفاً من ذلك آنفاً وإن كان مراده تضعيف هذين الرجلين بما هما فهو أوّل الكلام في مقابل الحاكم الذي يعترف بفضله التام في فنّ الحديث والرجال الذهبي نفسه في تعليقه على المستدرك. هذا، على أنّ ذاك إن ثبت له لا يخدش في متن الحديث لانجباره بمؤيدات لا تحصى كثرة.

وروى الحاكم[١] عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان علي يقول في حياة رسول الله: انّ الله يقول: ﴿ **أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم** ﴾ والله لا ننقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله، والله لئن مات أو قتل لأُقاتلنّ على ما قاتل عليه

---

(١) مستدرك الحاكم: ج ٣ ص ١٢٦.

حتى أموت والله اني لأخوه ووليه وابن عمه ووارث علمه فمن أحق به مني، أقرّه الذهبي كما هو.

وروى القندوزي [١] فقال: أحمد في مسنده بسنده عن زيد بن أبي اوفى قال: لما آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه قال علي: يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد، فقال: والذي بعثني نبيّاً بالحق ما أخّرتك إلّا لنفسي فأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلّا انّه لا نبي بعدي، وأنت أخي ووارثي وأنت معي في قصري في الجنة مع ابنتي فاطمة وأنت أخي ورفيقي ثمّ تلا ﴿ **اخواناً على سرر متقابلين** ﴾ المتحابون في الله ينظر بعضهم إلى بعض.

وفي المشكاة عن ابن عمر قال: آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه فجاء علي تدمع عيناه فقال: يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد فقال رسول الله ﷺ: أنت أخي في الدنيا والآخرة. رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب. أيضاً الترمذي أخرج هذا الحديث عن زيد بن أبي أوفى.

عبد الله بن أحمد في زيادات المسند بسنده عن سعيد بن المسيب قال: آخى ﷺ بين أصحابه في مكة فآخى بين أبي بكر وعمر وقال لعلي أنت أخي.

أحمد في مسنده بسنده عن حذيفة بن اليمان قال: آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار وكان يؤاخي بين الرجل ونظيره ثمّ أخذ بيد عليّ فقال: هذا أخي.

موفق بن أحمد بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: سمعت عليّاً يقول شعراً:

---

(١) في ينابيع المودة، الباب التاسع في أحاديث المؤاخاة، ص ٥٥ و ص ٥٦ ج ١ من طبعة بيروت.

أنا أخو المصطفى لا شكّ في نسبي ربيت معه وسبطاه هما ولدي
جدي وجدّ رسول الله متحد وفاطم زوجتي لا قول ذي فند
صدقته وجميع الناس في بهم من الضلالة والاشراك في نكد
فالحمد لله شكراً لا شريك له البر بالعبد والباقي بلا أمد

أيضاً أخرجه موفق بن أحمد وأحد عشر حديثاً آخر في المؤاخاة.

أيضاً أخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائد المسند وستة أحاديث في المؤاخاة.

أيضاً أخرجه ابن المغازلي، أيضاً أخرج الحمويني الحديثين في المؤاخاة كلها بالاسناد عن مجاهد عن ابن عباس وعكرمة عن ابن عباس وعن سعيد بن المسيب وعن ابن عمرو عن زيد بن أبي أوفى وعن أنس وعن زيد بن أرقم وعن حذيفة بن اليمان وعن مخدوج بن زيد الهذلي وعن أبي امامة وعن جميع بن عمير.

عبد الله بن أحمد في زوائد المسند بسنده عن مخدوج بن زيد الهذلي انّ رسول الله ﷺ آخى بين أصحابه ثمّ قال: يا علي أنت أخي وأنت مني بمنزلة هارون من موسى غير انّه لا نبي بعدي، ويدفع اليك لوائي وهو لواء الحمد أبشر يا علي أنا وأنت أوّل من يدعي انك تكسى إذا كسيت وتدعى إذا دعيت، وتحيى إذا حييت والحسن والحسين معك حتى تقفوا بيني وبين ابراهيم في ظل العرش ثمّ ينادي مناد نعم الأب أبوك ابراهيم ونعم الأخ أخوك علي.

وقال الكنجي الشافعي [١] أخبرنا ابراهيم بن بركات الخشوعي أخبرنا

---

(١) في كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب في الباب السابع والأربعين منه ص ٨١ وما بعدها من مطبوعة النجف.

الحافظ أبو القاسم بن الحسن بن هبة الله الشافعي، أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن محمّد بن الحصين، أخبرنا الامير أبو محمّد الحسن بن عيسى بن المقتدر بالله، حدثنا أبو العباس أحمد بن المنصور اليشكري، حدثنا محمّد بن يحيى الصولي، حدثنا أبو علي هاشم بن علي العطار، حدثنا عمرو بن عبد الله التميمي، حدثنا حفص بن جميع، حدثني سماك بن حرب قال: قلت لجابر بن عبد الله: انّ هؤلاء القوم يدعونني إلى شتم علي بن أبي طالب، قال: وما عسيت أن تشتمه به قال: اكنيه بأبي تراب، قال فوالله ما كانت لعلي كنية أحب إليه من أبي تراب انّ النبي ﷺ آخى بين الناس ولم يؤاخ بينه وبين أحد فخرج مغضباً حتى أتى كثيباً من رمل فنام عليه فأتاه النبي ﷺ فقال قم يا أبا تراب أغضبت أن آخيت بين الناس ولم اواخ بينك وبين أحد؟ قال: نعم، قال رسول الله ﷺ: أنت أخي وأنا أخوك، هكذا رواه.

ثمّ قال: أخبرنا القاضي أحمد بن محمّد بن سيد الاواني بها: إلى أن أنهى سنده إلى ابن عمر، قال: آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه فجاء علي عليه السلام تدمع عيناه فقال: يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تواخ بيني وبين أحد فقال له رسول الله ﷺ: أنت أخي في الدنيا والآخرة. قلت: هذا حديث حسن عال صحيح أخرجه الترمذي في جامعه فإذا أردت أن تعلم قرب منزلته من رسول الله ﷺ فتأمل صنعه في المؤاخاة بين أصحابه فإنّه جعل يضم الشكل إلى الشكل والمثل إلى المثل فيؤلف بينهم إلى أن آخى بين أبي بكر وعمر وادخر علياً لنفسه واختصه باخوته وناهيك بها من فضيلة وشرف ـ انّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ـ.

وأخرجه الإمام أحمد في مناقب علي عن ابن الحباب عن حسين بن واقد حدثني مطر الوراق عن قتادة عن سعيد بن المسيب انّ رسول الله ﷺ آخى بين

أصحابه فبقي رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعلي فآخى بين أبي بكر وعمر وقال لعلي: أنت أخي وأنا أخوك، وناهيك به مخرجاً.

وقال الحافظ محب الدين الطبري[١] عن ابن عمر قال: آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه فجاء علي تدمع عيناه فقال يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد قال له رسول الله ﷺ: أنت أخي في الدنيا والآخرة. أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن وأخرجه البغوي في المصابيح الحسان.

وفي رواية من حديث الامام أحمد انّ النبي ﷺ قال له لما قال آخيت بين أصحابك وتركتني قال ولم تراني تركتك إنّما تركتك لنفسي أنت أخي وأنا أخوك.

وعن علي قال: طلبني النبي ﷺ فوجدني في حائط نائم فضربني برجله وقال: قم فوالله لأُرضيك، أنت أخي وأبو ولدي تقاتل على سنتي من مات على عهدي فهو في كنز الجنة ومن مات على عهدك فقد قضى نحبه ومن مات على دينك بعد موتك ختم الله له بالأمن والايمان ما طلعت شمس أو غربت. أخرجه أحمد، وعن جابر عليه السلام قال: على باب الجنة مكتوب لا إله إلّا الله محمّد رسول الله علي أخو رسول الله، وفي رواية مكتوب على باب الجنة محمّد رسول الله علي أخو رسول الله قبل أن تخلق السموات والأرض بألفي سنة، أخرجهما أحمد في المناقب.

وقال ابن الصباغ المالكي[٢]: فصل في مؤاخاة رسول الله ﷺ وسبب

(١) في كتابه ذخائر العقبى ص ٦٦ من مطبوعة مصر في ذكر اخائه للنبي.

(٢) في كتابه الفصول المهمة ص ٢٠ من مطبوعة النجف.

تسميته بأبي تراب وغير ذلك مما خصّ به من المزايا العلية الواردة في الأحاديث الصحيحة الجلية ، فمن ذلك ما رواه الترمذي في صحيحه بسنده عن عبد الله بن عمر انه قال : لما آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين صحابته جائه علي كرّم الله وجهه وعيناه تدمعان فقال يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد فسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : أنت أخي في الدنيا والآخرة .

ومن مناقب ضياء الدين الخوارزمي عن ابن عباس رضي الله عنه قال : لمّا آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار وهو انّه صلى الله عليه وآله وسلم آخى بين أبي بكر وعمر وآخى بين عثمان وعبد الرحمن بن عوف وآخى بين طلحة والزبير وآخى بين أبي ذر الغفاري والمقداد رضوان الله عليهم أجمعين ولم يؤاخ بين علي بن أبي طالب وبين أحد منهم خرج علي مغضباً حتى أتى جولاً من الأرض وتوسد ذراعه ونام فيه تسفي الريح عليه فطلبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فوجده على تلك الصفة فوكزه برجله وقال له : قم فما صلحت أن تكون إلّا أبا تراب أغضبت حين آخيت بين المهاجرين والأنصار ولم اواخ بينك وبين أحد منهم أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلّا انّه لا نبي بعدي ، ألا من أحبك فقد حفّ بالأمن والايمان ومن أبغضك أماته الله ميتة جاهلية .

وقال سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص [١] قد أخرج أحمد في الفضائل عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا علي والذي نفسي بيده انّ على باب الجنة مكتوباً لا إله إلّا الله محمّد رسول الله علي بن أبي طالب أخو رسول الله قبل أن يخلق الله السموات والأرض بألفي سنة .

فإن قيل : هذا الحديث مخرج في الموضوعات قلنا جملة ما ذكر في

(١) ص ٢٦ وما بعدها من مطبوعة النجف.

الموضوعات فإنّ المتهم به زكريا بن يحيى ضعّفه ابن معين وغيره وأحمد رواه من غير طريق زكريا ولو كان حديثاً مطعوناً فيه لبيّنه.

وقال أحمد: حدثنا زيد بن الحباب حدثني الحسين بن واقد حدثني مطر الوراق عن قتادة عن سعيد بن المسيب انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال وقد آخى بين أصحابه: أين علي بن أبي طالب فجاء فقال: يا علي أنت أخي وأنا أخوك فإن ناكرك أحد فقل: أنا عبد الله وأخو رسول الله لا يدّعيها بعدك إلّا كذاب. وهذا الحديث قد أخرجه جدي في كتاب الأحاديث الواهية وحكى عن ابن معين انّه قال في اسناده عمرو بن عبد الله ليس بشيء والجواب ما تقدم وعمرو بن عبد الله بن يعلى بن مرة من أولاد التابعين وكان يعلى بن مرة من الصحابة وأحمد أرسله عن ابن المسيب وذكر أحمد في الفضائل فقال: حدثنا أحمد بن جعفر حدثنا محمّد بن الحسن حدثنا أبو الحسين بن محمّد السعدي حدثنا عبد المؤمن بن عباد حدثنا يزيد بن معن عن عبد الله بن أبي أوفى قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مسجده فقال لي: أين فلان وأين فلان فجعل ينظر في وجوه أصحابه ويتفقدهم ويبعث اليهم حتى توافوا عنده فحمد الله وأثنى عليه وآخى بينهم فقال له علي بن أبي طالب: لقد ذهبت روحي يا رسول الله حين رأيتك فعلت بأصحابك ما فعلت غيري فإن كان هذا من الله فلك العتبى والكرامة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: والذي بعثني بالحق ما أخّرتك إلّا لنفسي وأنت مني بمنزلة هارون من موسى وأنت أخي ووارثي، فقال: يا رسول الله وما أرث منك، قال ما ورث الأنبياء قبلي، قال: وما ورثوا؟ قال: كتاب الله وسنن أنبيائه وأنت معي في قصري في الجنة مع فاطمة ابنتي والحسن والحسين ابنيّ وأنت رفيقي ثمّ تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ **اخواناً على سرر متقابلين** ﴾.

فإن قيل: ففي اسناده عبد المؤمن بن عباد وكان ضعيفاً. فالجواب: الحديث

الذي يرويه عبد المؤمن حديث طويل أخرجه أبو محمّد بن عدي الحافظ من حديث زيد بن أبي أوفى وقد خرجه جدي أبو الفرج في الأحاديث الواهية امّا هذا الحديث فخرجه أحمد في الفضائل من غير رواية عبد المؤمن ورجاله ثقاة وهو من حديث عبد الله بن أبي أوفى فهذا حديث وذاك آخر والدليل على صحته انّه أخرج الترمذي بمعناه في جامعة ـ اهملخصاً ـ.

أقـول: وقد سقنا لك آنفاً ما خرّجه الترمذي فلا نعيد.

وقال هيكل [١] من جملة كلام له: ولتحقيق هذه الغاية دعا المسلمين ليتآخوا في الله أخوين أخوين فكان هو وعلي بن أبي طالب أخوين ـ الخ ـ.

أقـول: وقد سبق منا نقل متوافر مما يتضمن إطلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم الاخاء بينه وبين علي فراجع الفصل الذي عقدناه في انذاره صلى الله عليه وآله وسلم لعشيرته الأقربين والفصل الذي طولناه في ان أوّل من أسلم هو علي بن أبي طالب تجد فيهما الشيء الكثير مما يرتبط بالموضوع ارتباط شهادة وتأييد.

ثمّ انّ ابن كثير بعد ما نقل عن ابن اسحاق حديثه في المؤاخاة وضمنه كتابه [٢] قال: قلت: وفي بعض ما ذكره نظر، امّا مؤاخاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلي فإنّ من العلماء من ينكر ذلك ويمنع صحته ومستنده في ذلك انّ هذه المؤاخاة إنّما شرعت لأجل ارتفاق بعضهم من بعض ولتتألف قلوب بعضهم مع بعض فلا معنى لمؤاخاة النبي لأحد منهم ولا مهاجري لمهاجري آخر كما ذكره من مؤاخاة حمزة وزيد بن حارثة اللهم إلّا أن يكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يجعل مصلحة عليّ إلى غيره فإنّه كان ممن ينفق عليه رسول الله من صغره في حياة أبيه أبي طالب كما تقدم عن مجاهد

---

(١) في كتابه حياة محمّد: ص ٢١٩.

(٢) البداية والنهاية: ج ٣ ص ٢٢٦ وما بعدها.

وغيره وكذلك يكون حمزة قد التزم بمصالح مولاهم زيد بن حارثة فآخاه بهذا الاعتبار والله أعلم.

أقول: ما أشد خطأ ابن كثير أو ذلك البعض الذي يدعي النقل عنه في انّ النبي لا معنى لمؤاخاته مع أحد من أصحابه فإنّ النبي دائماً في حاجة ماسة إلى أن يكثر ارتباطه بأصحابه حتى يكبر في عيونهم وينزل من قلوبهم منزل المحبوب في قلب محبه وأن لا يتأنف عليهم في حقير الأشياء وخطيرها ـ كما كان كذلك ـ حتى لا تبعد المسافة بينه وبينهم فإنّ النفوس مجبولة على بغض من يتفوق عليها ولا ينحشر معها تكبراً وأنانية وزهادة بالطرف؛ وهو لعمري شيء محسوس؛ مضافاً إلى أنّ النبي دائماً في حاجة أخلاقية إلى تكثير أصحابه واودائه والمعترفين بنبوته حتى تظهر دعوته ويكبت خصمه ويرغم حاسده وهذا مما يتوقف على ان يحسب النبي نفسه وان عظم مقامه واحداً من جماعته وان الأوضاع التي يشرعها لأمر ديني أو دنيوي تشمله كما تشمل غيره ولا ريب انّه لا ينتقد إذا ماشى الأصغر منهم وتعدى عن الأكبر روماً لمزيد التداخل وتحصيلا لأهم درجة في المواساة وفي مثل ذلك يجلب رضاء العموم بلا استثناء على ان عليّاً كان ألصق الناس به ان من الوجهة العائلية وان من الجهة الدينية وحياته مع ابن عمه ملؤها شواهد على ذلك كما اعترف به ابن كثير نفسه فيما نقلناه عنه هنا وفيما سلف لك ويأتي مؤيدات لا ينضب معينها ولا يفنى التحديث عن خبرها وهذه الهنات التي نجدها في ابن اكثير ورفاقه من دوافع العصبية القهارة التي لا تفيد صاحبها سوى الافتضاح أمام الباحثين الأحرار والله هو الموفق لطريق الصواب.

(خاتمة)

في سدّ الأبواب التي كانت شارعة إلى مسجد رسول الله إلّا باب علي عليه السلام

روى النسائي [١] فقال: أخبرنا محمّد بن بشار بن بندار البصري قال حدثنا محمّد بن جعفر قال حدثنا عوف عن ميمون أبي عبد الله عن زيد بن أرقم قال كان لنفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبواب شارعة في المسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: سدّوا الأبواب إلّا باب عليّ فتكلّم بذلك الناس فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أمّا بعد فاني أُمرت بسد هذه الأبواب غير باب علي وقال فيه قائلكم والله ما سددته ولا فتحته ولكن أُمرت فاتبعته.

وقال: قال فطر عن عبد الله بن شريك عن عبد الله بن أرقم عن سعد انّ العباس أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: سددت أبوابنا إلّا باب علي، فقال: ما أنا فتحتها ولا أنا سددتها، ثمّ قال: أخبرنا زكريا بن يحيى السجستاني قال: حدثنا عبد الله بن عمر قال أخبرنا محمّد بن وهب بن أبي كريمة الحراني قال أخبرنا مسكين قال حدثنا شعبة عن أبي مليح عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأبواب المسجد فسدت إلّا باب علي عليه السلام.

أخبرنا محمّد بن المثنى قال حدثنا يحيى بن معاذ قال حدثنا أبو وضاح قال أخبرنا يحيى حدثنا عمرو بن ميمون قال قال ابن عباس: وسد ابواب المسجد غير باب علي فكان يدخل المسجد وهو جنب وهو طريقه ليس له طريق غيره.

---

(١) الخصائص: ص ١٧ وما بعدها من مطبوعة النجف.

وروى المتقي الهندي [١] عن النبي انه قال: امّا بعد فاني أُمرت بسد هذه الأبواب غير باب علي، فقال فيه قائلكم واني والله ما سددت شيئاً ولا فتحته ولكني أُمرت بشيء فاتبعته [٢].

وروى أحمد [٣] عن ابن عمر لقد اوتي ابن أبي طالب ثلاث خصال لأن تكون لي واحدة منهن أحب اليّ من حمر النعم، زوّجه رسول الله ابنته وولدت له وسد الأبواب إلّا بابه في المسجد وأعطاه الراية يوم خيبر.

وروى الحاكم [٤] عن عوف عن ميمون أبي عبد الله عن زيد بن ارقم قال كانت لنفر من أصحاب رسول الله أبواب شارعة في المسجد فقال يوماً سدوا هذه الأبواب إلّا باب علي، قال فتكلّم في ذلك الناس فقام رسول الله فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أمّا بعد فاني أمرت بسد هذه الأبواب غير باب علي فقال فيه قائلكم والله ما سددت شيئاً ولا فتحته ولكن أُمرت بشيء فاتبعته، هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه أقرّه الذهبي كما هو.

وذكر القندوزي [٥] الباب السابع عشر في سد أبواب المسجد إلّا باب علي: في كنوز الدقائق للمناوي المصري لا ينبغي لأحد أن يجنب في المسجد إلّا أنا وعلي. للبخاري ومسلم، وفي سنن الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر بسد الأبواب إلّا باب علي. وفي الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي: يا علي لا يحل لأحد أن يجنب في هذا المسجد

---

(١) ج ٥ من منتخب كنز العمال المطبوع في مصر على هامش مسند أحمد ص ٢٩.

(٢) أحمد في مسنده والضياء عن زيد بن أرقم.

(٣) في ج ٢ من مسنده المطبوع في مصر على المسانيد ص ٢٦.

(٤) المستدرك: ج ٣ ص ١٢٥.

(٥) ينابيع المودة ج ١ ص ٨٤ من مطبوعة بيروت.

غيري وغيرك هذا حديث حسن غريب. وفي المشكاة هذا الحديثان مسطوران، وفي مسند أحمد عن زيد بن ارقم قال: كان لنفر من الصحابة أبواب شارعة في المسجد فقال رسول الله ﷺ: سدوا هذه الأبواب إلّا باب علي، فقال بعضهم فيه فقال النبي ﷺ: ما سددت شيئاً ولا فتحته ولكن أُمرت بشيء فاتبعته. أيضاً موفق بن أحمد الخوارزمي أخرجه عن زيد بن أرقم، وفي مسند أحمد بن حنبل بسنده عن النسيم قال: سمعت رجلاً من خثعم يقول: اني سمعت رسول الله ﷺ يقول: اللهم اني أقول كما قال أخي موسى اللهم اجعل لي وزيراً من أهلي عليّاً أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً انك كنت بنا بصيرا.

أيضاً في المناقب عن أسماء بنت عميس هذا الحديث، ابن المغازلي بسنده عن حذيفة بن أسيد الغفاري وعن سعد بن أبي وقاص وعن البراء بن عازب وعن ابن عباس وعن ابن عمر قال: كلهم خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد فقال انّ الله أوحى إلى نبيه موسى أن ابن لي مسجداً طاهراً لا يسكنه إلّا موسى وهارون وان الله أوحى إليّ أن ابن مسجداً طاهراً لا يسكنه إلّا أنا وأخي علي.

أيضاً موفق بن أحمد عن أبي ذر وعن أبي الطفيل قالا: انّ عليّاً احتج على أهل الشورى بسد الأبواب إلّا باب علي. أيضاً الحمويني عن ابن مسعود وعن بريد الأسلمي وعن ابن عباس وعن ابن عمر وعن ام سلمة رض. أيضاً أخرج هذا الحديث أي سد الأبواب إلّا باب علي محمّد بن اسحاق المطلبي صاحب المغازي عن سعيد بن أبي وقاص وعن عامر الشعبي، أيضاً أخرجه صاحب المناقب عن ابن عباس رضي الله عنه.

وفي المناقب عن أبي الطفيل عن حذيفة بن اسيد الغفاري قال: انّ النبي قام خطيباً وقال: انّ رجالاً يجدون في أنفسهم شيئاً أن أسكنت عليّاً في المسجد

وأخرجتهم والله ما أخرجتهم وأسكنته بل الله أخرجهم وأسكنه انّ الله عزوجل أوحى إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة ثمّ أمر موسى أن لا يسكن مسجده ولا ينكح فيه ولا يدخله جنب إلّا هارون وذريته وان عليّاً مني بمنزلة هارون من موسى وهو أخي ولا يحل لأحد أن ينكح فيه النساء إلّا علي وذريته فمن سائه فههنا وأشار بيده نحو الشام.

أيضاً أخرجه صاحب المناقب عن أبي رافع مولى النبي ﷺ: وحديث أحمد في مسنده عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس حديث طويل تقدم في باب استشهاد حديث الغدير منه سد أبواب المسجد غير باب علي ودخول علي المسجد جنباً وهو طريقه ليس له طريق غيره. موفق بن أحمد بسنده عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: يا علي انّه يحل لك في المسجد ما يحل لي وانك مني بمنزلة هارون من موسى إلّا انّه لا نبي بعدي والذي نفسي بيده انك تذود عن حوضي يوم القيامة رجالاً كما يذاد البعير الأجرب عن الماء بعصا لك من عوسج كأني أنظر إلى مقامك من حوضي.

وقال سبط ابن الجوزي [١] حديث في سد الأبواب أخرجه أحمد في الفضائل والترمذي في السنن فأما أحمد فقال حدثنا محمّد بن جعفر حدثنا عوف عن ميمون أبي عبد الله عن زيد بن ارقم قال: كان لنفر من الصحابة أبواب شارعة في المسجد فقال رسول الله ﷺ: سدوا هذه الأبواب إلّا باب علي بن أبي طالب فتكلم الناس في ذلك فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: ما سددت شيئاً ولا فتحته ولكن أُمرت بشيء فاتبعته، قال ابن عباس معناه انّ الله أمرني بشيء فاتبعت أمره. وأما الترمذي فقال: حدثنا محمّد بن حميد

---

(١) في كتابه تذكرة الخواص: ص ٤٦ و ٤٧ من مطبوعة النجف.

الرازي قال حدثنا ابراهيم بن المختار حدثنا شعبة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس قال: أمر رسول الله ﷺ بسد الأبواب إلّا باب علي، قال الترمذي: يعني الأبواب الشارعة في المسجد.

وقال الحافظ محب الدين الطبري [١]: عن زيد بن أرقم قال: كان لنفر من أصحاب رسول الله ﷺ أبواب شارعة في المسجد قال فقال يوماً: سدوا هذه الأبواب إلّا باب علي قال فتكلم في ذلك ناس قال فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: امّا بعد فاني ما أمرت بسد هذه الأبواب غير باب علي، فقال فيه قائلكم واني والله ما سددت شيئاً ولا فتحته ولكن اُمرت بشيء فاتبعته. أخرجه أحمد، عن ابن عمر قال: لقد اوتي علي بن أبي طالب ثلاث خصال لأن تكون لي واحدة منهن أحبّ إليّ من حمر النعم زوّجه رسول الله ﷺ ابنته وولدت له وسد الأبواب إلّا بابه في المسجد وأعطاه الراية يوم خيبر. أخرجه أحمد ولعله سقط قال عمر فإنّ هذا مروي عنه وكذلك رواه بريدة انّ عمر قال يعني هذا الحديث الأوّل.

وقال الكنجي [٢]: الباب الخمسون في تخصيص عليّ بفتح بابه عند سد أبواب سائر الأصحاب: أخبرنا أبو الحسن علي بن أبي عبد الله بن أبي الحسن الازجي بدمشق عن الفضل بن سهل بن بشر الاسفرايني عن أحمد بن علي الحافظ البغدادي أخبرنا أحمد بن محمّد بن غالب أخبرنا أبو حفص بن بشر ان حدثنا أبو عبد الله جعفر بن محمّد بن جعفر بن الحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب حدثنا محمّد بن المهدي الميموني حدثنا عبد

---

(١) في كتابه ذخائر العقبى ص ٧٦ و ٧٧ من مطبوعة مصر.

(٢) في كتابه كفاية الطالب: ص ٨٧ و ٨٨ من مطبوعة النجف.

العزيز بن الخطاب حدثنا شعبة قال: سمعت سيد الهاشميين زيد بن علي بن الحسين بالمدينة في الروضة النبوية قال حدثني أخي محمّد بن علي انّه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: سدوا الأبواب كلها إلّا باب علي بن أبي طالب وأومأ بيده إلى باب علي. قلت: تفرد به أبو عبد الله العلوي.

أخبرنا أحمد بن محمّد بن شمذويه الصريفيني بها وقرأت على القاضي أحمد بن محمّد بن سيد الاواني قالا: أخبرنا عمر الدينوري أخبرنا الكروخي أخبرنا القاضي أبو عامر محمّد بن القاسم الأزدي وغيره أخبرنا عبد الجبار بن محمّد الجراحي أخبرنا محمّد بن أحمد المحبوبي حدثنا أبو عيسى محمّد بن عيسى الترمذي حدثنا محمّد بن حميد الرازي حدثنا ابراهيم بن المختار عن شعبة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس ان النبي ﷺ أمر بسد الأبواب إلّا باب علي بن أبي طالب. قلت: هذا حديث حسن عال. وإنّما أمر النبي ﷺ بسد الأبواب لأنّ أبواب مساكنهم كانت شارعة إلى المسجد فنهى الله تعالى عن دخول المساجد مع وجود الحيض والجنابة فعمّ النبي ﷺ بالنهي عن الدخول في المسجد والمكث فيه للجنب والحائض وخصّ عليّاً بالاباحة في هذا الموضع وما ذاك دليلاً على اباحة المكروه له وإنّما خصّ بذلك لعلم المصطفى ﷺ بأنّه يتحرى من النجاسة هو وزوجته فاطمة وأولاده صلوات الله عليهم وقد نطق القرآن بتطهيرهم في قوله عزوجل: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾.

وأخرجه الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي في خصائص عليّ أتمّ من هذا شرحاً وبياناً كما أخبرنا أبو الحسن علي بن أبي عبد الله البغدادي بدمشق عن الفضل بن سهل بن بشر الاسفرايني أخبرنا أبي قال: أخبرنا أبو القاسم علي بن محمّد بن علي الفارسي أخبرنا أبو محمّد الحسن بن رشيق

وأبو محمّد عبد الله بن الناصح بن شجاع الدمشقي قالا: أخبرنا النسائي أخبرنا محمّد بن بشار حدثنا محمّد بن جعفر حدثنا عوف عن ميمون أبي عبد الله عن زيد بن ارقم قال: كان لنفر من أصحاب رسول الله ﷺ أبواب شارعة في المسجد فقال رسول الله سدوا هذه الأبواب إلّا باب علي فتكلم في ذلك الناس فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أمّا بعد فاني أُمرت بسد هذه الأبواب غير باب علي فقال فيه قائلكم والله ما سددته ولا فتحته ولكن أُمرت بشيء فاتبعته.

أقول أنا: جيد ما ذكره الكنجي في تعليل ما خص به النبي ﷺ عليّاً من بقاء بابه إلى المسجد الذي منه ممره إلى بيته ذهاباً واياباً فإنّه ليس المراد قطعاً جواز مرور علي بجنابة وامرأته بحيض إلى مسجد رسول الله ولكن بما انّ عليّاً وآله الذين في منزله كانوا جدّ مواظبين على ناموس الشرع بحيث علم من سيرتهم مواظبتهم على المستحبات وانتباذهم عن المكروهات فضلاً عن الواجبات والمحرمات بخلاف غيرهم الذي قد يتسامح ويتهاون في أمر دينه لذلك كان تخصيصهم ببقاء بابهم إلى المسجد دون غيرهم من باب كشف الواقع عن سيرهم الديني مع نواميس الشرع وسير غيرهم وانهم أُناس كانوا يتخذون الحائطة لدينهم خارجاً عن عادة المتدينين بالنسبة إلى أنظمة الدين وعلى هذا ينزل ما يمكن تنزيله من الروايات الواردة في هذا الشأن وما يقرب منه.

ونذكر هنا ما أورده ابن الجوزي في كتاب الأحاديث الموضوعة وما علّقه عليه الحافظ السيوطي في كتابه اللآليء المصنوعة [1] حدثنا حجاج حدثنا فطر عن عبد الله بن شريك عن عبد الله بن الرقيم الكناني قال: خرجنا إلى المدينة زمن

---

(١) الجزء الأوّل: ص ١٧٩ وما بعدها من مطبوعة مصر.

الجمل فلقينا سعد بن مالك بها فقال أمر رسول الله ﷺ بسد الأبواب الشارعة في المسجد وترك باب علي. النسائي: حدثنا أحمد بن يحيى حدثنا علي بن قادم أنبأنا اسرائيل عن عبد الله بن شريك عن الحارث بن مالك قال: اتيت مكة فلقيت سعد بن أبي وقاص فقلت: هل سمعت لعلي بن أبي طالب منقبة ؟ قال: كنا مع رسول الله ﷺ فنودي فينا ليلاً ليخرج من في المسجد إلّا آل رسول الله فلما أصبح أتاه عمه فقال: يا رسول الله أخرجت أصحابك وأعمامك وأسكنت هذا الغلام ؟ فقال: ما أنا الذي أمرت باخراجكم ولا باسكان هذا الغلام انّ الله هو أمر به.

أحمد: حدثنا وكيع عن هشام بن سعد عن عمر بن راشد عن ابن عمر انّ النبي ﷺ سد الأبواب في المسجد إلّا باب علي.

أبو نعيم: حدثنا محمّد بن أحمد بن الحسن حدثنا أبو شعيب حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحمالي حدثنا أبو عوانة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: سدوا أبواب المسجد كلها إلّا باب علي ـ أخبرنا ـ يحيى بن الطراح أنبأنا أبو منصور محمّد بن محمّد بن عبد العزيز العكبري أنبأنا أبو أحمد عبيد الله بن محمّد الفرضي حدثنا جعفر بن محمّد الخواص حدثنا الحسن بن عبيد الله الابزاري حدثنا ابراهيم بن سعيد عن المأمون عن الرشيد عن المهدي عن المنصور عن أبيه عن ابن عباس قال: قال رسول الله لعلي انّ موسى سأل ربه ان يطهر مسجده لهارون وذريته واني سألت الله أن يطهر مسجدي لك ولذريتك من بعدك ثمّ أرسل إلى أبي بكر ان سدّ بابك فاسترجع وقال سمعاً وطاعة فسد بابه ثمّ إلى عمر كذلك ثمّ صعد المنبر فقال: ما أنا سددت أبوابكم ولا تحت باب علي ولكن الله سدّ أبوابكم وفتح باب علي.

النسائي: حدثنا محمّد بن بشار أنبأنا محمّد بن جعفر حدثنا عوف عن ميمون

أبي عبد الله عن زيد بن أرقم قال: كان لنفر من الصحابة أبواب شارعة في المسجد فقال رسول الله ﷺ يوماً: سدوا هذه الأبواب إلّا باب علي فتكلم في ذلك الناس فقام فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: امّا بعد فاني أُمرت بسد هذه الأبواب غير باب علي، فقال فيه قائلكم والله ما سددت شيئاً ولا فتحته ولكني أُمرت بشيء فاتبعته.

الخطيب: أنبأنا أحمد بن محمّد بن غالب الفقيه أنبأنا أبو حفص بن بشر انبأنا أبو عبد الله جعفر بن محمّد العلوي حدثنا محمّد بن مهدي الميموني حدثنا عبد العزيز بن الخطاب حدثنا شعبة بن الحجاج سمعت زيد بن علي بن الحسين عن اخيه محمّد بن علي انّه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: سدوا الأبواب كلها إلّا باب علي.

علّق ابن الجوزي على مروياته هذه عقيب نقلها بقوله: كلها باطلة عبد الله بن شريك كذّاب وابن الرقيم والحارث، قال النسائي: لا أعرفهما وهشام بن سعد قال يحيى ليس بشيء وأبو بلج يحيى بن سليم قال أحمد حديث سدوا الأبواب منكر، وقال ابن حبان كان يخطىء، ويحيى بن عبد الحميد كذبه أحمد وطريق الابزاري من عمله وميمون مولى عبد الرحمن بن سمرة قال يحيى بن سعيد لا شيء، وحديث جابر تفرد به العلوي وفيه مجاهيل وهذه الأحاديث من وضع الرافضة قابلوا به حديث أبي بكر في الصحيح.

أقول: الذي اورد عنهم هذا الحديث في نص كتابه هم النسائي وأحمد وأبو نعيم والخطيب وكلهم من أكابر الحفاظ وأئمة الحفظ باعتراف جميع أبناء التسنن والنسائي فضلا عن ذلك من أهل الصحاح الست وأحمد امام في الحديث والتقليد جميعاً وهم أنفسهم محكّ الصحيح من الحديث والمكذوب وعليهم المعول في ذلك فكيف ساغ لابن الجوزي أن يتهم هذه الأحاديث المتراصة على

مضمون واحد بالوضع والتزوير وانها من اختلاق الرافضة وكيف لم يشخص اختلاقها عن الرافضة هؤلاء الأئمّة وتمّ تشخيصها لأبي الفرج وحده ولكن أبا الفرج أبرز لنا ما به جوّز لنفسه ان يرميها بالوضع حيث قال قابلوا به حديث أبي بكر في الصحيح ويريد به ان صاحبي الصحيح إنّما أوردا الاستثناء لأبي بكر لا لعليّ فكل نقل يخالفهما باطل ونحن نعكس عليه دعواه ونقول ما في الصحيحين تزوير محض من وضع السنية الناصبة حيث قابلوا به حديث علي الوارد بكثرة من طريق ابناء السنة والذي يشفع له تواتر النقول معنى بأنّ علياً لم يكن له مجاز يجوز منه إلى بيته سوى مسجد الرسول وان ما يرويه في حق علي هم السنة لا الشيعة كما قرأت شطراً وافراً من ذلك، وما يروى في حق أبي بكر هو من أحبته ومبتغي هواه فهو مردود عليهم لا يعيره الشيعي أقل لحظ على أنّ الصحيح الذي يتفيهق به ابن الجوزي حفظ العامة له اسمه ولم يحاسبوا صاحبه على معناه ولم ينتقدوه بروايته عن أشد الخوارج تصلباً في كفره عمران بن حطان، مع ما يرويه هو في حقهم من نفس صحيحه المومأ إليه من الموبقات وبايراده في كتابه أحاديث التجسيم الصريحة النابية عن التأويل المعاكسة لضرورة العقول في حق واجب الوجود خالق العالم وبذكره للخرافات الوهمية الساقطة عن درجة الاعتبار بالنظر السطحي والدقيق جميعاً.

انظر حد الاقل ما يرويه البخاري [١] قال: حدثنا محمّد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن سعد قال سمعت أبا سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: بينما رجل راكب على بقرة التفتت إليه فقالت لم أُخلق لهذا خلقت للحراثة قال آمنت به انا وأبو بكر وأخذ الذئب شاة فتبعها الراعي فقال الذئب من لها يوم السبع

(١) ج ٢ ص ٣٠ من مطبوعة مصر، باب استعمال البقر للحراثة.

يوم لا راعي لها غيري، قال: آمنت به أنا وأبو بكر وعمر قال أبو سلمة وما هما يومئذ في القوم تجشم البخاري تزوير هذه الاكذوبة النابية عن كل ذوق حتى يشيد بزعمه من مقام شيخيه وحق ذلك له ولكافة أبناء التسنن في رواياتهم فضائل الأشياخ بنحو من هذه المضامين فإنّ الواقع لما أعياهم منزعاً في هؤلاء النفر لم يجدوا بداً في افتراض الواقع لهم افتراضاً ولو كان بغيضاً ممقوتاً وسنبحث عن ذلك في محله إن شاء الله، وسوف نتحدث للقارىء عن انّ صحيح البخاري بالسبر والاستقصاء مأخوذ في أكثره عن أبي هريرة وان أبا هريرة دجال كذاب مرتش ونثبت ذلك بالنقول الصحيحة والاعتبارات الصادقة.

ثمّ علّق الحافظ السيوطي على قول أبي الفرج بن الجوزي بقوله: قلت قال الحافظ ابن حجر في القول المسدد في الذب عن مسند أحمد قول ابن الجوزي في هذا الحديث انّه باطل وانّه موضوع دعوى لم يستدل عليها إلّا بمخالفة الحديث الذي في الصحيحين وهذا اقدام على رد الأحاديث الصحيحة بمجرد التوهم ولا ينبغي الاقدام على حكم بالوضع إلّا عند عدم امكان الجمع ولا يلزم من تعذر الجمع في الحال انّه لا يمكن بعد ذلك لأنّ فوق كل ذي علم عليم وطريق الورع في مثل هذا أن لا يحكم على الحديث بالبطلان بل يتوقف فيه إلى أن يظهر لغيره ما لم يظهر له وهذا الحديث من هذا الباب هو حديث مشهور وله طرق متعددة كل طريق منها على انفراده لا يقصر عن رتبة الحسن ومجموعها مما يقطع بصحته على طريقة كثير من أهل الحديث، وامّا كونه معارضاً لما في الصحيحين فغير مسلم وليس بينهما معارضة، وقد ذكر البزاز في مسنده ان حديث سدوا كل باب في المسجد إلّا باب علي جاء من روايات أهل الكوفة وأهل المدينة يروون إلّا باب أبي بكر، قال: فإن ثبتت روايات أهل الكوفة فالمراد بها هذا المعنى فذكر حديث ابن سعيد الخدري الذي سأذكره فعد قال

على ان روايات أهل الكوفة جاءت من وجوه بأسانيد حسان ـ انتهى ـ.

وهذا أنا أذكر بقية طرقه ثمّ أُبيّن كيفية الجمع بينه وبين الذي في الصحيحين فمن طرقه حديث زيد بن أرقم وقد أخرجه أحمد في مسنده والنسائي في الكبرى والحاكم في المستدرك وقال: صحيح الاسناد وأخرجه الحافظ ضياء الدين في الأحاديث المختارة مما ليس في الصحيحين وأورده ابن الجوزي في الموضوعات من طريق النسائي وأعلّه بميمون وأخطأ في ذلك ظاهراً وميمون وثقه غير واحد وتكلم بعضهم في حفظه وقد صحح له الترمذي حديثاً غير هذا انفرد به عن زيد بن أرقم ومن طرقه حديث ابن عباس أخرجه الترمذي عن محمّد بن حميد عن ابراهيم بن المختارة والنسائي في الكبرى عن محمّد بن وهب عن مسكين بن بكر والكلا باذى في معاني الأخبار من وجه آخر عن مسكين كلاهما عن شعبة عن أبي بلج يحيى عن عمرو بن ميمون قال: قال ابن عباس في أثناء حديث سدوا أبواب المسجد إلّا باب علي وكان يدخل المسجد وهو جنب وهو طريقه ليس له طريق آخر، وأخرجه الكلاباذى في معاني الأخبار عن حاتم بن عبيد عن يحيى بن اسيد وأخرجه ابن الجوزي في الموضوعات من طريق أبي نعيم في الحلية حدثنا محمّد بن أحمد بن الحسن حدثنا أبو شعيب كلاهما عن يحيى بن عبد الحميد حدثنا أبو عوانة به وأعلّه بأبي بلج ويحيى بن عبد الحميد فلم يصب لأنّ يحيى لم ينفرد به.

وأخرج النسائي حديث سعد بن أبي وقاص من طريق آخر بمعناه، ورواه الطبراني في الأوسط من طريق الحكم بن عتيبة عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسد الأبواب إلّا باب علي فقالوا يا رسول الله سددت أبوابنا كلها إلّا باب علي؟ فقال: ما أنا سددت أبوابكم ولكن الله تعالى سدّها لم يروه عن الحكم إلّا معاوية بن ميسرة ابن شريح وهو حفيد القاضي شريح الكندي قال

البخاري في تاريخه : سمع الحكم بن عتيبة ولم يذكر فيه جرحاً وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال الطبراني في الكبير حدثنا ابراهيم بن نافلة الاصبهاني حدثنا اسماعيل بن عمرو البجلي حدثنا ناصح عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال : أمر رسول الله ﷺ بسد الأبواب كلها غير باب علي ، فقال العباس : يا رسول الله قدر ما أدخل وحدى قال ما أمرت بشيء من ذلك فسدها غير باب علي ، قال وربما مرّ وهو جنب .

وهشام بن سعد الذي أعلّ به ابن الجوزي حديث ابن عمر من رجال مسلم صدوق تكلموا في حفظه وحديثه يقوى بالشواهد وروى النسائي أيضاً حديث ابن عمر بسند صحيح أورده من طريق أبي اسحاق السبيعي عن العلاء بن عرار قال : قلت لعبد الله بن عمر : أخبرني عن علي وعثمان ؟ قال : أمّا علي فلا تسأل عنه أحداً وانظر إلى منزله من رسول الله ﷺ فإنّه سدّ أبوابنا في المسجد وأقرّ بابه ، رجاله رجال الصحيح إلّا العلاء وهو ثقة وثّقه ابن معين وغيره وأخرجه الكلاباذي في معاني الأخبار من طريق عبد الله بن سلمة الأفطس أحد الضعفاء عن الزهري عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه بنحوه وفيه هذا بيت رسول الله ﷺ وأشار إلى بيت عليّ إلى جنبه فهذه الطرق المتظافرة بروايات الثقات تدل على ان الحديث صحيح دلالة قوية وهذه غاية نظر المحدث وامّا كون المتن معارضاً للمتن الثابت في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري فليس كذلك ولا معارضة بينهما بل حديث سدوا الأبواب غير حديث سدوا الخوخ لأنّ بيت علي كان داخل المسجد مجاوراً بيوت النبي ﷺ .

قال القاضي اسماعيل بن اسحاق المالكي في كتاب أحكام القرآن له حدثنا ابراهيم بن حمزة حدثنا سفيان بن حمزة عن كثير بن زيد عن المطلب هو ابن عبد الله بن حنطب انّ النبي ﷺ لم يكن أذن لأحد أن يمرّ في المسجد ولا يجلس

فيه وهو جنب إلّا علي بن أبي طالب لأنّ بيته كان في المسجد وهذا مرسل قوي يشهد له ما أخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري ان النبي قال لعلي: لا يحل لأحد أن يطرق هذا المسجد جنباً غيري وغيرك فهذا ما يتعلق بسد الأبواب وامّا سد الخوخ فالمراد بها طاقات كانت في المسجد يستقربون الدخول منها فأمر النبي ﷺ في مرض موته بسدها إلّا خوخة أبي بكر وفي ذلك اشارة إلى استخلافه لأنّه يحتاج إلى المسجد كثيراً دون غيره فظهر بهذا الجمع ان لا تعارض فكيف يدعى الوضع على الأحاديث الصحيحة بمجرد هذا التوهم ولو فتح هذا الباب لرد الأحاديث لأدّى في كثير من الأحاديث الصحيحة إلى البطلان ولكن يأبى الله ذلك والمؤمنون ثمّ وجدت في كتاب معاني الأخبار لأبي بكر الكلاباذي قال: لا تعارض بين قصة علي وقصة أبي بكر لأنّ باب بي بكر كان من جملة أبواب تطلع إلى المسجد خوخات وأبواب البيوت خارجة من المسجد فأمر رسول الله بسد تلك الخوخ فلم يبق تطلع منها إلى المسجد وترك خوخة أبي بكر فقط وامّا باب علي فكان داخل المسجد يخرج منه ويدخل فيه كما قال ابن عمر للذي سأله حين أشار إلى بيت علي هذا بيت النبي وكان النبي في المسجد وبنحوه جمعهما الطحاوي في مشكل الآثار، انتهى كلام الحافظ ابن حجر.

أقول: نحن نتسلم اعترافهم بابقاء باب عليّ على فتحه من دون جميع الأبواب بالقبول ونرد ما يذكرونه في خوخة أبي بكر عليهم، ولعمري ما أشد استهجان قول ابن حجر وفي ذلك اشارة إلى استخلافه لأنّه يحتاج إلى المسجد كثيراً دون غيره فإنّ هذه الكلمة منه تنطبق على عليّ لقوله ﷺ سدّوا الأبواب كلها غير باب علي بما لا تنطبق على غيره فلم لم يجعلها اشارة إلى استخلافه وخصّها بأبي بكر أليس هذا هو التحكم البارد والافتراض المحض.

ثمّ قال الحافظ السيوطي ومن طرقه التي لم يوردها ـ أي ابن حجر ـ ما

أخرجه العقيلي حدثنا محمّد بن عبدوس حدثنا محمّد بن حميد حدثنا تميم بن عبد المؤمن حدثنا هلال بن سويد سمعت أنس بن مالك يقول لما سد النبي ﷺ أبواب المسجد أتته قريش فعاتبوه فقالوا سددت أبوابنا وتركت باب علي فقال ما بأمري سددتها ولا بأمري فتحتها وقال البزار حدثنا حاتم بن الليث حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا أبو ميمونة عن عيسى الملائي عن علي بن حسين عن أبيه عن علي بن أبي طالب قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: انّ موسى سأل ربه أن يطهر مسجده بهارون واني سألت ربي أن يطهر مسجدي بك وبذريتك ثمّ أرسل إلى أبي بكر أن سد بابك فاسترجع ثمّ قال: سمعاً وطاعة فسدّ بابه ثمّ أرسل إلى عمر ثمّ أرسل إلى العباس بمثل ذلك ثمّ قال رسول الله ﷺ ما أنا سددت أبوابكم وفتحت باب علي ولكن الله فتح باب علي وسد أبوابكم.

قال البزار: أبو ميمونة مجهول وعيسى الملائي لا نعلمه روى إلّا هذا وقال الطبراني حدثنا عبد الله بن زيدان البجلي حدثنا محمّد بن حماد بن عمرو الأزدي حدثنا حسين الأشقر حدثنا أبو عبد الرحمن المسعودي عن كثير النوا عن ميمون أبي عبد الله عن ابن عباس قال: لما أخرج أهل المسجد وترك علي قال الناس في ذلك فبلغ النبي ﷺ فقال: ما أنا أخرجتكم من قبل نفسي ولا أنا تركته ولكن الله أخرجكم وتركه إنّما انا عبد مأمور ما أمرت به فعلت ان اتبع إلّا ما يوحى إليّ.

وقال أبو نعيم في فضائل الصحابة: حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمّد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا خالد بن مخلد حدثنا راشد بن سلمة عن أبي داود عن بريدة الأسلمي قال: أمر رسول الله ﷺ بسد الأبواب فشق ذلك على اصحابه فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ دعا الصلاة جامعة حتى إذا اجتمعوا صعد المنبر ولم نسمع لرسول الله ﷺ تحميداً وتعظيماً في خطبة

مثل يومئذ فقال: يا أيّها الناس ما أنا سددتها ولا أنا فتحتها بل الله فتحها وسدها ثمّ قرأ ﴿ **والنجم إذا هوى ما ضلّ صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحيٌ يوحى** ﴾ فقال رجل: دع لي كوة تكون في المسجد فأبى وترك باب علي مفتوحاً فكان يدخل ويخرج منه وهو جنب.

وقال أيضاً: أنبأنا عمر بن أحمد حدثنا عبد الله بن أبي داود حدثنا يحيى بن حاتم العسكري حدثنا بشر بن مهران حدثنا شريك عن عثمان بن المغيرة عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود قال: انتهى الينا رسول الله ﷺ ذات ليلة ونحن في المسجد جماعة من الصحابة فينا أبو بكر وعمر وعثمان وحمزة وطلحة والزبير وجماعة من الصحابة بعدما صليت العشاء فقال ما هذه الجماعة قالوا يا رسول الله قعدنا نتحدث منا من يريد الصلاة ومنا من ينام فقال: ان مسجدي لا ينام فيه انصرفوا إلى منازلكم ومن أراد الصلاة فليصل في منزله راشداً ومن لم يستطع فلينم فإنّ صلاة السرّ تضعف على صلاة العلانية فقمنا فتفرقنا وفينا علي بن أبي طالب فقام معنا فأخذ بيد علي وقال: أما أنت فإنّه يحل لك في مسجدي ما يحل لي ويحرم عليك ما يحرم عليّ فقال له حمزة بن عبد المطلب: يا رسول الله أنا عمك وأنا أقرب اليك من علي، قال: صدقت يا عم انّه والله ما هو مني إنّما هو عن الله عزوجل.

وقال أيضاً: حدثنا عبد الله بن محمّد بن جعفر حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمّد بن يحيى الفيدي حدثنا نصر بن مزاحم حدثنا عبد الله بن مسلم الملائي عن أبيه عن جده عن علي قال: لما أمر ﷺ بسد الأبواب التي في المسجد خرج حمزة يجر قطيفة حمراء وعيناه تذرفانِ يبكي فقال ما أنا أخرجتك وما أنا أسكنته ولكن الله أسكنه. وقال أيضاً: حدثنا أبو محمّد بن حيان حدثنا أبو علي المالكي حدثنا لوين حدثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي جعفر عن

ابراهيم بن سعد عن أبيه قال: كنا عند النبي ﷺ فجاء علي فأخرجنا فتلاومنا فدخلنا فقال النبي ﷺ: ما أنا أخرجتكم وأدخلته بل الله أدخله وأخرجكم ـ والله أعلم ـ.

أقول: ما ذكره السيوطي من ضعف في بعض هذه الروايات فإنّه ينجبر بما سبقه ولحقه من الطرق البريئة عن العيب كما ينص على نظير ذلك أهل الحديث قاطبة.

صرف القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة

قال ابن سعد[1]: أخبرنا محمّد بن عمر أخبرنا ابراهيم بن اسماعيل بن أبي حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: وأخبرنا عبد الله بن جعفر الزهري عن عثمان بن محمّد الأخنسي وعن غيرهما انّ رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة صلّى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً وكان يحب أن يصرف إلى الكعبة فقال: «يا جبريل وددت أنّ الله صرف وجهي عن قبلة يهود» فقال جبريل: إنّما أنا عبد فادع ربك وسله وجعل إذا صلّى إلى بيت المقدس يرفع رأسه إلى السماء فنزلت عليه: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾ فوجه إلى الكعبة إلى الميزاب.

ويقال: صلى رسول الله ركعتين من الظهر في مسجده بالمسلمين ثمّ أمر أن يوجه إلى المسجد الحرام فاستدار إليه ودار معه المسلمون، ويقال: بل زار رسول الله ﷺ أم بشر بن البراء بن معرور في بني سلمة فصنعت له طعاماً وحانت صلاة الظهر فصلى رسول الله بأصحابه ركعتين ثمّ أمر أن يوجه إلى

(١) طبقات ابن سعد: ج ٢ ص ٦ وما بعدها من مطبوعة مصر.

الكعبة فاستدار إلى الكعبة واستقبل الميزاب فسمى المسجد مسجد القبلتين وذلك يوم الاثنين للنصف من رجب على رأس سبعة عشر شهراً وفرض صوم شهر رمضان في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً.

قال محمّد بن عمر: وهذا الثبت عندنا. وعن سعيد بن المسيب انّ رسول الله ﷺ صلّى إلى بيت المقدس بعد أن قدم المدينة ستة عشر شهراً ثمّ حوّل إلى الكعبة قبل بدر بشهرين.

وذكر الجزائري[1] قال: روى الطبرسي في الاحتجاج عن أبي محمّد الحسن العسكري عليه السلام انّه قال: لما كان رسول الله بمكة أمره الله تعالى أن يتوجه نحو البيت المقدس في صلاته ويجعل الكعبة بينه وبينها إذا أمكن وإذا لم يتمكن استقبل البيت المقدس كيف كان فكان رسول الله يفعل ذلك طول مقامه بها ثلاثة عشرة سنة فلما كان في المدينة وكان متعبداً باستقبال بيت المقدس استقبله وانحرف عن الكعبة سبعة عشر شهراً وجعل قوم من مردة اليهود يقولون: والله ما ندري محمّداً كيف يصلي حتى صار يتوجه إلى قبلتنا ويأخذ في صلاته بهدانا وتمسكنا فاشتد ذلك على رسول الله لما اتصل به عنهم من ذكر قبلتهم وأحب الكعبة فجاء جبرئيل فقال له رسول الله ﷺ: يا جبرئيل وددت لو صرفني الله تعالى عن بيت المقدس إلى الكعبة فقد تأذيت مما يتصل بي من قبل اليهود من قبلتهم قال جبرئيل فاسئل ربك أن يحولك اليها فإنّه لا يردك عن طلبتك ولا يخيبك من بغيتك فلما استتم دعاؤه صعد جبرئيل ثمّ عاد من ساعته فقال: اقرأ يا محمّد: «قد نرى؛ الآيات» فقالت اليهود عند ذلك ما ولّاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ فأجابهم الله بأحسن جواب فقال: قل لله المشرق والمغرب وهو يملكها

---

(١) في فصل القبلة من كتاب الصلاة من آيات أحكامه: ص ٣٨.

وتكليفه التحول إلى جانب كتحويله لكم إلى جانب آخر يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، هو مصلحتهم وتؤديهم طاعته إلى جنات النعيم.

قال أبو محمّد عليه السلام: وجاء قوم من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا: يا محمّد هذه القبلة بيت المقدس قد صليت اليها أربع عشرة سنة ثمّ تركتها أفحقاً كان ما كنت عليه فقد تركته إلى باطل فإنّما يخالف الحق بالباطل أو باطلاً كان ذلك فقد كنت عليه طول هذه المدة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: بل ذلك كان على حق وهذا حق يقول الله: قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم إذا عرف صلاحكم يا أيّها العباد في استقبال المشرق أمركم به وإذا عرف صلاحكم في استقبال المغرب أمركم به وان عرف صلاحكم في غيرهما أمركم به فلا تنكروا تدبير الله في عباده وقصده إلى مصالحكم ـ اهـ ملخصاً ـ.

وقال الصدوق[١]: وصلّى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى البيت المقدس بعد النبوة ثلاث عشرة سنة بمكة وتسعة عشر شهراً بالمدينة ثمّ عيّرته اليهود فقالوا له: انك تابع لقبلتنا فاغتمّ لذلك غمّاً شديداً فلما كان في بعض نصف الليل خرج يقلب وجهه في آفاق السماء فلما أصبح صلّى الغداة فلما صلّى من الظهر ركعتين جاء جبرئيل فقال له: ﴿ **قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ** ﴾، الآية.

ثمّ أخذ بيد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فحول وجهه إلى الكعبة وحوّل من خلفه وجوههم حتى قام الرجال مقام النساء والنساء مقام الرجال فكان أوّل صلاته إلى بيت المقدس وآخرها إلى الكعبة وبلغ الخبر مسجداً بالمدينة وقد صلّى أهله من العصر ركعتين فولوا نحو الكعبة وجوههم إلى القبلة فكانت أوّل صلاتهم إلى بيت

---

(١) في باب القبلة من صلاة الفقيه.

المقدس وآخرها إلى الكعبة فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين، فقال المسلمون: صلاتنا إلى البيت المقدس تضيع يا رسول الله فأنزل الله عزوجل: ﴿ وما كان الله ليضيع أيمانكم ﴾ يعني صلاتكم إلى بيت المقدس.

الآيات الواردة في ذلك والكلام في مضامينها

قال سبحانه وتعالى في سورة البقرة (آية ١٤٤): ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾، والآية ١٤٩ ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾، والآية ١٥٠ ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾.

وقال سبحانه في سورة البقرة أيضاً (آية ١٤٢): ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَاءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلّٰهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾، والآية ١٤٣ ﴿ وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾، وقال سبحاه في سورة البقرة أيضاً (آية ١١٥): ﴿ وَلِلّٰهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوْا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾.

قال الطبرسي في أسباب نزول هذه الآية من تفسيره مجمع البيان: اختلف في سبب نزول هذه الآية فقيل: انّ اليهود أنكروا تحويل القبلة إلى الكعبة عن بيت

المقدس فنزلت الآية رداً عليهم. عن ابن عباس واختاره الجبائي قال: بيّن سبحانه انّه ليس في جهة دون جهة كما تقول المجسمة وقيل كان للمسلمين التوجه حيث شاؤوا في صلاتهم وفيه نزلت الآية ثمّ نسخ ذلك بقوله: فول وجهك شطر المسجد الحرام.

عن قتادة قال: وكان النبي ﷺ قد اختار التوجه إلى بيت المقدس وكان له أن يتوجه حيث شاء وقيل نزلت في صلاة التطوع على الراحلة تصليها حيثما توجهت إذا كنت في سفر، وامّا الفرائض فقوله: وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره يعني انّ الفرائض لا تصليها إلّا إلى القبلة وهذا هو المروي عن أئمتنا عليهم السلام قالوا: وصلّى رسول الله ﷺ ايماء على راحلته أينما توجهت به حيث خرج إلى خيبر وحين رجع من مكة وجعل الكعبة خلف ظهره.

وروي عن جابر قال: بعث رسول الله ﷺ سرية كنت فيها فأصابتنا ظلمة فلم نعرف القبلة فقالت طائفة منا قد عرفنا القبلة هي ههنا قبل الشمال فصلوا وخطوا خوطوطاً وقال بعضنا القبلة ههنا قبل الجنوب وخطوا خطوطاً فلما أصبحوا وطلعت الشمس أصبحت تلك الخطوط لغير القبلة فلما قفلنا من سفرنا سألنا النبي ﷺ عن ذلك فسكت فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال الشوكاني في تفسيره فتح القدير عند تكلمه على هذا الموضع: وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في سننه عن ابن عباس قال: أوّل ما نسخ من القرآن فيما ذكر لنا والله أعلم شأن القبلة قال الله تعالى: ولله المشرق والمغرب، الآية فاستقبل رسول الله ﷺ فصلى نحو بيت المقدس وترك البيت العتيق ثمّ صرفه الله إلى البيت العتيق ونسخها فقال: ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام.

وأخرج ابن المنذر عن ابن مسعود نحوه، وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن

حميد ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم عن ابن عمر قال: كان النبي ﷺ يصلي على راحلته تطوعاً أينما توجهت به ثمّ قرأ ابن عمر هذه الآية: أينما تولوا فثم وجه الله، وقال في هذا انزلت هذه الآية وقد ثبت في صحيح البخاري من حديث جابر عن رسول الله ﷺ انّه كان يصلي على راحلته قبل المشرق فإذا أراد أن يصلي المكتوبة نزل واستقبل القبلة وصلّى ـ اهملخصاً ـ.

أقول أنا: لو مشينا مع ما تعطيه الآية المذكورة من ظهور لرأيناها بعيدة عن الاختصاص بكون استقبال الكعبة ليس شرطاً في صلاة النافلة كما انّه ليس بشرط إذا تعمى أمر القبلة وحتى في الفريضة بل جهد مدلولها انّ الله سبحانه ليس مختصاً بجهة من الجهات بل المشرق والمغرب وما فيهما ملك طلق له ويستويان في النسبة إليه إذ هو تعالى ليس في جهة حتى يخصص بواحدة من الجهات تعييناً أو بالغاء قيد التعيين فالذي يريد أن يتوجه إلى ربه بشتى أنواع التوجه يسوغ له التوجه إلى أي جهة شاء لا لأنّ الله في تلك الجهة التي يتوجه اليها العبد بل لأنّ الأجسام لا تخلو من الحيز تشغله ومن الجهة تتوجه اليها فتوجهها إلى قصد ما من ضرورياتها هي لا من شؤون من تتوجه إليه وهذا العموم كما يتناول التوجه الدعائي يتناول التوجه الصلاتي فإذا جاء بعده ـ قول: فولّ وجهك شطر المسجد الحرام ـ كان ذلك تخصيصاً له لا نسخاً لأنّ الناسخ لابد وأن يكون هو والمنسوخ على طرف بينونة وعدم تلاقي كقضية لزوم التوجه إلى بيت المقدس والتوجه إلى الكعبة مثلاً أو إلى المشرق نفسه والمغرب نفسه وامّا تطبيق الآية المذكورة على صلاة النافلة في حال الحركة أو انطماس وجه القبلة على المصلي فلا مانع منه إلّا انّه لا اختصاص له به وما يدل على هذا الاختصاص هو الأثر والسنة لا جري الظاهر المزبور بما هو فتدبر جيداً.

ثمّ لزوم التوجه في الصلاة إلى جهة مخصوصة وانها بيت المقدس تارة

والكعبة تارة أُخرى ليس فيه من المصالح الظاهرية التي تنكشف لاعتبارات عقولنا بصراحة إلّا قضية التكليف المبتني على الاختبار والامتحان وانّه من يطيع الله في أوامره ونواهيه ومن يعصيه وبذلك صريح قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مِن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ أي إلّا لينكشف للشهود المحسوس متابعة التابع وعصيان المتمرد لا بمعنى ان الله سبحانه لا يحيط بهوية مخلوقاته إلّا بعد أن تتجسم هذه الهويات وصوادرها في العيان المكشوف ؛ فإنّه سبحانه أجلّ من ذلك وأبعد علماً في مراحل الخفايا والبواطن فإنّه عزوجل لا حجاب بينه وبين مصنوعاته وإنّما الحجاب بين المصنوعات بعضها بالنسبة إلى بعض ، وصريح قوله أيضاً : ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَاءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ﴾ ، أي انّ الذين لا يملكون عقولاً سليمة لا تراهم إذا تحولت من قبلة إلى قبلة يغفلون هذه المظنة عن كلام يسوقونه واعتقاد يبرزونه ولا شك انك تسمع منهم بواسطة وبلا واسطة مفاد هذه المقالة : ان هؤلاء القوم وفي طليعتهم نبيهم ما كان الذي دعاهم أوّلاً إلى استقبال بيت المقدس وما الذي ألوى بهم ثانياً من هذا الوجه إلى الكعبة فإن كان الأوّل حقاً فما هذا الثاني وإن كان باطلاً فكيف يكون النبي على باطل ؟

فردّ عليهم الربّ سبحانه بقوله : قل لله المشرق والمغرب أي كل الجهات تحت سلطانه وكلها منافذ لاستدعاء لطفه ورحمته فلا خصوصية لجهة على جهة بالنسبة إلى مواجهة باب رحمته وان يكن سبحانه يأمر بصوب مخصوص دون صوب فلا لأنّ في الأوّل مزية ماسّة لا توجد في الثاني بل لأنّه انتخبه من بين الأفراد المتسانخة ليكون مصب تكليفه وابتلائه لا أكثر وانتخاب أحد الفردين دون الآخر مع حفظ درجة التساوي بينهما لا يقال فيه انّه ترجيح بلا مرجح بل ذاك مفوض إلى اختيار من يختار وقد تكون هناك محسنات ذات وجه طفيف

فتوجب الميزة لبعض على بعض والداعي الذي يظهر لنا في توجيهه تعالى نبيه ﷺ ومن تبعه ما دام في مكة إلى بيت المقدسة هو انّ أهل مكة بداعي أُنسهم بمحلهم وتشريفهم له أكثر من غيره لقربهم منه وشدة لصوقهم به ولو تقليداً للاباء وتعصباً للسنن الجارية كانوا لا يرون في مقابل مقامهم الذي يحومون حواليه على سبيل الاستمرار مقاماً يساويه ويدانيه فابتلوا بما لا يأنسون حتى تبرز عقائدهم مع تكاليف الله في انهم هل يتبعون خطوان المولى الآمر أينما توجه بهم أو يحتفظون بعاداتهم مؤثرين لها في مقابل دعوة الداعي الحقيق بالاجابة.

وفي توجيهه تعالى له ﷺ ولأتباعه بعد هجرته إلى المدينة لصوب الكعبة هو ان أهل المدينة ولو كانوا من غير عنصر اليهود لانحشارهم مع اليهود وتغلّب الطرائق اليهودية عليهم هل يتبعون الداعي الذي يظهرون الانقياد له إذا دعاهم إلى عكس ما عليه محيطهم في الاستقبال أو يتريثون عن اجابته ويترددون فيما دعاهم له؟ هذا وما يسانخه من الدواعي هو المنظور نوعاً في تغيير بعض التكاليف وتبديل بعض الأحكام وهو داخل في عنوان الامتحان والاختبار وهو من العناوين العقلائية المنظورة لعموم العقلاء وعليه تبتنى التجارب ونتائجها المهمة وكفى بذلك مقصوداً ومنظوراً.

❊ ❊ ❊

فرض عدّة تكاليف

الصيام:

قال ابن سعد[١]: أخبرنا محمّد بن عمر أخبرنا عبد الله بن عبد الرحمن الجمحي عن الزهري عن عروة عن عائشة قال: وأخبرنا عبيد الله بن عمر عن نافع عن أبيه قال: وأخبرنا عبد العزيز بن محمّد عن ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه عن جده قالوا: نزل فرض شهر رمضان بعدما صرفت القبلة إلى الكعبة بشهر في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مهاجر رسول الله ﷺ وأمر رسول الله ﷺ في هذه السنة بزكاة الفطر وذلك قبل أن تفرض الزكوة في الأموال وان تخرج عن الصغير والكبير والحر والعبد والذكر والأُنثى صاع من تمر أو صاع من شعير أو صاع من زبيب أو مدان من بر، وكان يخطب رسول الله ﷺ قبل الفطر بيومين فيأمر باخراجها قبل أن يغدو إلى المصلى وقال: اغنوهم ـ يعني المساكين ـ عن طواف هذا اليوم وكان يقسمها إذا رجع وصلّى رسول الله ﷺ صلاة العيد يوم الفطر بالمصلى قبل الخطبة وصلى العيد يوم الأضحى وأمر بالاضحية وأقام بالمدينة عشر سنين يضحي في كل عام ـ إلى أن يقول ـ قالوا وكان رسول الله ﷺ إذا ضحّى اشترى كبشين سمينين أقرنين أملحين فإذا صلى وخطب أتى بأحدهما وهو قائم في مصلاه فذبحه بيده بالمدية ثمّ يقول: اللهم هذا عن أُمتي جميعاً من شهد لك بالتوحيد وشهد لي بالبلاغ ثمّ يؤتى بالآخر فيذبحه هو عن نفسه بيده ثمّ يقول: هذا عن محمّد وآل محمّد فيأكل هو وأهله منها ويطعم المسكين ـ اهملخصاً ـ.

---

(١) طبقات ابن سعد: ج ٢ ص ١٣ وما بعدها من مطبوعة مصر.

الـزكـاة:

وذكر الجزائري[١] عند تعرضه لقوله تعالى: ﴿ **قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربّه فصلّى** ﴾ قال: ذكر جمع من المفسرين انّ المراد زكوة الفطرة وصلاة العيد، ورواه ابن بابويه في الصحيح عن أبي بصير وزرارة قالا: قال أبو عبد الله عليه السلام: انّ من تمام الصوم اعطاء الزكوة يعني الفطرة كما انّ الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله من تمام الصلاة لأنّه من صام ولم يؤد الزكوة فلا صوم له إذا تركها متعمداً ولا صلاة له إذا ترك الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله انّ الله عزوجل بدأ بها قبل الصلاة فقال: قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربّه فصلّى ونحوه روى مرسلا عن الصادق عليه السلام وعلي بن ابراهيم في تفسيره، وما ذكره الجزائري عن ابن بابويه فقد ذكره رحمه الله في باب الفطرة من كتاب الصوم في الفقيه.

وذكر الطبرسي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربّه فصلّى** ﴾ من كتابه مجمع البيان وقيل أراد صدقه الفطرة وصلاة العيد عن ابن عمرو وأبي العالية وعكرمة وابن سيرين وروى ذلك مرفوعاً عن أبي عبد الله، ومتى قيل على هذا القول كيف يصح ذلك والسورة مكية ولم يكن هناك صلاة عيد ولا زكوة ولا فطرة، قلنا: يحتمل أن تكون نزلت أوائلها بمكة وختمت بالمدينة.

أقول أنا: إذا لم نقل انّ السورة بأسرها مدنية فإنّ الطبرسي نفسه ذكر في أوّل هذه السورة اختلافاً في مكيتها ومدنيتها فقال مكية عن ابن عباس مدنية عن الضحاك. أقول: وبنظير هذا قال الشوكاني في تفسيره، وحقاً ان الآية المذكورة لا ظهور فيها بل ولا اشعار في خصوص زكوة الفطرة بل ولا في أي زكوة تفرض

---

(١) في كتاب الزكوة من آيات أحكامه: ص ١٠٣.

كما لا ظهور ولا إشعار فيها بصلاة العيد نعم هي لا تمتنع من الانطباق على هذه المحتملات إذا لم يثبت الإجماع على مكيتها وقد سلف انّه لا اجماع إذاً فالذي يثبت زكوة الفطرة وصلاة العيد بصراحة واسعة هو الأثر الوارد عن النبي وآله المعصومين.

صلاة العيدين:

وفي الوسائل ـ باب صلاة العيدين عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال التكبير في الفطر والأضحى اثنتا عشرة تكبيرة تكبر في الأُولى واحدة ثمّ تقرأ ثمّ تكبر بعد القراءة خمس تكبيرات والسابعة تركع بها ثمّ تقوم في الثانية فتقرأ ثمّ تكبر أربعاً والخامسة تركع بها وقال ينبغي للامام أن يلبس حلّة ويعتم شاتياً كان أو صائفاً.

وروى الكليني في الكافي عن علي بن محمّد عن محمّد بن عيسى عن يونس عن معاوية قال: سألته عن صلاة العيدين فقال: ركعتان ليس قبلهما ولا بعدهما شيء وليس فيهما أذان ولا اقامة يكبر فيهما اثنتي عشرة تكبيرة يبدأ فيكبر ويفتتح الصلاة ثمّ يقرأ فاتحة الكتابة ثمّ يقرأ والشمس وضحاها ثمّ يكبر خمس تكبيرات ثمّ يكبر ويركع فيكون يركع بالسابعة ثمّ يسجد سجدتين ثمّ يقوم فيقرأ فاتحة الكتاب وهل أتاك حديث الغاشية ثمّ يكبر أربع تكبيرات ويسجد سجدتين ويتشهد ويسلم، قال: وكذلك صنع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والخطبة بعد الصلاة وإذا خطب الامام فليقعد بين الخطبتين قليلاً وينبغي للامام أن يلبس يوم العيدين برداً ويعتم شاتياً كان أو قايظاً ويخرج إلى البر حيث ينظر إلى آفاق السماء ولا يصلّي على حصير ولا يسجد عليه وقد كان رسول الله يخرج إلى البقيع فيصلي بالناس.

وروى الصدوق في الفقيه (كتاب الصلاة باب صلاة العيدين) عن حريز عن

زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: لا تخرج يوم الفطر حتى تطعم شيئاً ولا تأكل يوم الأضحى شيئاً إلّا من هديتك (هديك: خ) واضحيتك ان قويت عليه وان لم تقو فمعذور، قال: وقال أبو جعفر: كان أمير المؤمنين عليه السلام لا يأكل يوم الأضحى شيئاً حتى يأكل من اضحيته ولا يخرج يوم الفطر حتى يطعم ويؤدي الفطرة ثمّ قال وكذلك نفعل نحن.

وروى جعفر بن غياث عن جعفر بن محمّد عن أبيه عليهما السلام قال: السنة على أهل الأمصار أن يبرزوا من أمصارهم في العيدين إلّا أهل مكة فإنّهم يصلون في المسجد الحرام.

قال الصدوق: فإذا قمت إلى الصلاة فكبر واحدة ثمّ تقول: أشهد لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله اللهم أنت أهل الكبرياء والعظمة وأهل الجود والجبروت والقدرة والسلطان والعزة أسألك في هذا اليوم الذي جعلته للمسلمين عيداً ولمحمد صلواتك عليه وآله ذخراً ومزيدا أن تصلي على محمّد وآل محمّد وأن تصلي على ملائكتك المقربين وأنبيائك المرسلين وأن تغفر لنا ولجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات اللهم اني اسألك من خير ما سألك به عبادك المخلصون الله أكبر أوّل كل شيء وآخره وبديع كل شيء ومنتهاه وعالم بكل شيء ومعاده ومصير كل شيء إليه ومرده ومدبر الأُمور وباعث من في القبور قابل الأعمال مبدي الخفيات معلن السرائر الله أكبر عظيم الملكوت شديد الجبروت حيّ لا يموت دائم لا يزول إذا قضى أمراً فإنّما يقول له كن فيكون الله أكبر خشعت لك الأصوات وعنت لك الوجوه وحارت دونك الأبصار وكلّت الألسن عن عظمتك والنواصي كلها بيدك ومقادير الأُمور كلها اليك لا يقضي فيها غيرك ولا يتم منها شيء دونك الله أكبر بكل شيء حفظك وقهر كل شيء عزك ونفذ في كل شيء أمرك وقام كل

شيء بك وتواضع كل شيء لعظمتك وذلّ كلّ شيء لعزتك واستسلم كل شيء لقدرتك وخضع كل شيء لملكك الله أكبر وتقرأ الحمد والشمس وضحاها وتركع بالسابعة وتقول في الثانية الله أكبر أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله اللهم أنت أهل الكبرياء والعظمة تتمه كله كما قلت أوّل كبير يكون هذا القول في كل تكبيرة حتى تتم خمس تكبيرات والخطبة في العيدين بعد الصلاة.

في الوسائل ـ باب صلاة العيدين ـ عن الحسين بن سعيد عن صفوان عن العلاء عن محمّد عن أحدهما عليهما السلام في صلاة العيدين قال: الصلاة قبل الخطبتين بعد القراءة سبع في الأُولى وخمس في الأخير وكان أوّل من أحدثها بعد الخطبة عثمان لما أحدث احداثه كان إذا فرغ من الصلاة قام الناس ليرجعوا فلما رأى ذلك قدم الخطبتين واحتبس الناس للصلاة.

وفي والوسائل أيضاً في الباب المذكور ـ محمّد بن يعقوب عن علي بن ابراهيم عن ياسر الخادم والريان بن الصلت جميعاً قالا: لما انقضى أمر المخلوع واستوى الأمر للمأمون كتب إلى الرضا عليه السلام يستقدمه إلى خراسان ثمّ ذكر ولايته لعهد المأمون إلى أن قال: فحدثني ياسر قال: لما حضر العيد بعث المأمون إلى الرضا عليه السلام يسأله أن يركب ويحضر العيد ويصلي ويخطب فبعث إليه الرضا قد علمت ما كان بيني وبينك من الشروط في دخول هذا الأمر إلى أن قال: إن أعفيتني من ذلك فهو أحب إليّ وإن لم تعفني خرجت كما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين، فقال المأمون: اخرج كيف شئت إلى أن قال: واجتمع القواد والجند على باب أبي الحسن عليه السلام فلما طلعت الشمس قام عليه السلام فاغتسل وتعمم بعمامة بيضاء من قطن ألقى طرفاً منها على صدره وطرفاً بين كتفيه وتشمر ثمّ قال لجميع مواليه: افعلوا مثل ما فعلت، ثمّ أخذ بيده عكازاً ثمّ خرج ونحن بين

يديه وهو حاف قد شمّر سراويله إلى نصف الساق وعليه ثياب مشمرة فلما مشى ومشينا بين يديه رفع رأسه إلى السماء وكبر أربع تكبيرات فخيل لنا انّ السماء والحيطان تجاوبه والقواد والناس على الباب قد تهيئوا ولبسوا السلاح وتزينوا بأحسن الزينة فلما طلعنا عليهم بهذه الصورة وطلع الرضا عليه السلام وقف على الباب وقفة ثمّ قال: الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر على ما هدانا الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام والحمد لله على ما أبلانا نرفع بها أصواتنا، قال ياسر: فتزعزعت مرو بالبكاء والضجيج والصياح لما نظروا إلى أبي الحسن عليه السلام وسقط القواد عن دوابهم ورموا بخفافهم لما رأوا أبا الحسن حافياً وكان يمشي ويقف في كل عشر خطوات ويكبر أربع تكبيرات، قال ياسر: فيتخيل لنا أنّ السماوات والأرض والجبال تجاوبه وصارت مرو ضجة واحدة بالبكاء وبلغ المأمون ذلك، فقال له الفضل بن سهل ذو الرياستين: يا أمير المؤمنين إن بلغ الرضا المصلى على هذا السبيل افتتن به الناس والرأي أن تسأله أن يرجع فبعث إليه المأمون فسأله الرجوع فدعا أبو الحسن عليه السلام بخفه فلبسه وركب ورجع.

وهذا عرض جميل لما في الباب من حديث وتفريع يكتفى به عن التطويل ونسوق نبذة من حديث العامة في هذا المضمون لتقف على رأي القوم فيه.

في التاج الجامع للأصول في أحدايث الرسول [١] عن علي رضي الله عنه قال: من السنة أن تخرج إلى العيد ماشياً وأن تأكل شيئاً قبل أن تخرج. رواه الترمذي. عن جابر بن سمرة قال: صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العيدين غير مرة ولا مرتين بغير أذان ولا اقامة، رواه الأربعة. عن ابن عمر قال: كان النبي وأبو بكر وعمر يصلون العيدين قبل الخطبة. عن عائشة انّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يكبر في

(١) ج ١ ص ٣٢٣ وما بعدها.

الفطر والأضحى في الأولى سبع تكبيرات وفي الثانية خمساً، رواه أبو داود وأحمد والترمذي ولفظه كان النبي يكبر في العيدين في الأُولى سبعاً قبل القراءة وفي الآخرة خمساً قبل القراءة. عن جابر رضي الله عنه قال: شهدت العيد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا اقامة ثمّ قام متوكئاً على بلال فأمر بتقوى الله وحثّ على طاعته ووعظ الناس وذكرهم ثمّ مضى حتى أتى النساء فوعظهن وذكّرهن.

صيام شهر رمضان:

قال الله سبحانه في سورة البقرة (آية ١٨٣ ـ ١٨٥) ﴿ **يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنْكُم مَرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ** ﴾.

فرض الصيام في الآية الأُولى محقق بقوله: كتب عليكم، ولكنه مجمل مبهم من حيث الكمية والزمان الذي يوقع فيه، ولكن الآية الأخير شارحة لاجماله رافعة لابهامه بتعيينا له في شهر معروف كمعروفية اخواته من شهور السنة ونصها على كميته وانها شهر محدود بما بين هلالين فإن قيل: الصوم الواجب في الشريعة الإسلامية غير منحصر بصوم شهر رمضان فكيف جاز لك أن تجعل قوله تعالى شهر رمضان شارحاً لقوله كتب عليكم الصيام أُجيب بأنّ كل صوم وجب في الشريعة الإسلامية ما عدا صوم شهر رمضان لم يجب لذاته ابتداءً ولم يتعلق به التكليف مباشرة وإنّما وجب لاةسباب أولية تنزلت إليه فهو في مرحلة ثانية لها كوقوع الصوم متعلقاً لنذر أو عهد أو يمين أو كفارة وما شابه ذلك مما هو مشروح

بتفاصيله في الفروع الفقهية وامّا صوم شهر رمضان نفسه فقد تعلق به التكـليف مباشرة ومن دون توسيط وابتداءً من غير تسبيب.

ذكر الصدوق (في كتاب الصوم من الفقيه) قال: سأل هشام بن الحكم أبا عبد الله عليه السلام عن علة الصيام فقال: إنّما فرض الله الصيام ليستوي به الغني والفقير وذلك انّ الغني لم يكن ليجد مسّ الجوع فيرحم الفقير لأنّ الغني كلما أراد شيئاً قـدر عليه فأراد الله عزوجل أن يسوي بين خلقه وأن يذيق الغني مسّ الجـوع والألم ليرقّ على الضعيف ويرحم الجائع، قال: وكتب أبـو الحسـن عـلي بـن مـوسى الرضا عليه السلام إلى محمّد بن سنان فيما كتب من جواب مسائله: علّة الصوم (الصيام ـ خ) لعرفان مسّ الجوع والعطش ليكون ذليلاً مستكيناً مأجوراً محتسباً صـابراً ويكون ذلك دليلاً له على شدائد الآخرة مع ما فيه من الانكسار له عن الشهوات واعظاً له في العاجل دليلاً على الآجل ليعلم شـدة مـبلغ ذلك مـن أهـل الفـقر والمسكنة (المسألة: خ) في الدنيا والآخرة.

اقـول: ما روى عن الإمامين الهمامين له قيمته ووزنه من الواقع وان كـانت التكاليف غير مربوطة في الظاهر إلى علل مكشوفة للـمكلفين بـل لله سـبحانه ولكل مختبر أن يكلف ولو بما لا علة له وحتى في الواقع سوى ارادة الاخـتبار والابتلاء وذلك هو العلة الأصلية في عامة التكاليف بلا ريب.

وروى الكليني (في كتاب الصيام من فروع كافيه) عن علي بن ابراهـيم بـن هاشم عن أبيه عن حماد بن عيسى عن حريز عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: بني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة والزكوة والحج والصـوم والولايـة وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الصوم جنة من النار.

وروى صاحب التاج للأصول في أحاديث الرسول [١] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: أتاكم رمضان شهر مبارك فرض الله عزوجل عليكم صيامه تفتح فيه أبواب السماء وتغلق فيه أبواب الجحيم وتغلّ فيه مردة الشياطين لله فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم، رواه النسائي والبيهقي. عن النضر بن شيبان قال: قلت لأبي سلمة بن عبد الرحمن حدثني بشيء سمعته من أبيك سمعه أبوك من رسول الله ﷺ ليس بين أبيك وبين رسول الله ﷺ أحد في شهر رمضان قال نعم حدثني أبي قال: قال رسول الله ﷺ: انّ الله تبارك وتعالى فرض صيام رمضان عليكم وسننت لكم قيامه فمن صامه وقامه ايماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته اُمّه، رواه النسائي وأحمد.

روى الصدوق [٢] عن رسول الله ﷺ قال: وقال رسول الله ﷺ استفرهوا ضحاياكم فإنّها مطاياكم على الصراط.

وجاءت امّ سلمة رضي الله عنها إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله يحضر الأضحى وليس عندي ثمن الاضحية فأستقرض واُضحّي؟ قال: استقرضي فإنّه دين مقضي ويغفر لصاحب الاضحية عند أوّل قطرة تقطر من دمها.

أقول: كما أسلفنا انّ التكاليف بمعناها الأعم الشامل للمندوبات والمكروهات لا يلزم في تشريعها من جانب المولى ظهور مصلحة شاخصة في المكلف به بحيث يلتفت اليها كل أحد أو المتعمقون في تحليل المطالب ويكفي في صحة تشريعها منظور الاختبار والامتحان ومن جملة ذلك موضوع اراقة دماء الحيوانات امّا بعنوان واجب أو بطور مستحب فإنّ الفذلكة فيه لم تظهر لنا

---

(١) ج ٢ ص ٥١ و ٥٢.

(٢) في باب فضائل الحج من كتابه الفقيه.

وحتى بطرف خفي ، فإنّ ازهاق الأرواح من الظالمين الغاشمين له وجهه الوجيه لكن ذلك من البهيمة المستسلمة الهادءة ليس له وجه يعرف لا بالدقة ولا بالبداهة والله ولي الأُمور كلها .

الجهـاد :

ومعناه ابراز الجهد في مقابلة العدو ويتناول الهجوم والدفـاع مـن دون بـذل عناية في توسيع معناه ، امّا الجهاد بمعنى الدفاع عن العرض والناموس والأموال والنفوس وحفظ العقيدة وكسب الحرية فتبريره وجـوازه لا يـحتاج إلى مـؤونة برهان لا من ناحية العقل ولا من جهة النقل ، لأنّ ما أشرنا إليه من الحيثيات حق طلق لأهله لا يجوز لأيّ أحد يفرض مزاحمتهم عليه من جميع الوجوه والمزاحم عن حقه والمتمكن من صده جائز له أن يبارزه ولو انتهت المبارزة إلى اراقة دمه . إنّما البحث في جواز الجهاد بمعنى الهجوم ، ولا ريب انّ هذا المعنى على اطلاقه لا حكم له بجواز أو حرمة لأنّه يحتاج إلى تفكيك فـي مـعنوناته وتـجزءة فـي مصاديقه حتى ينساق كل من الجواز والحرمة إلى ما يـليق بـه مـن مـوضوع ؛ فنقول :

لا شبهة انّ حرية الرأي وجواز الاصحار بالعقيدة حق ثابت لمن يخوّله العقلاء المتنورون هذا المنصب لنضجه ودربته وووروده في حلة الكمال وروداً مشفوعاً بالتجليل والاحترام ممن يزن هذه الموارد ويشخصها ، وامّا ان كـلّ رأي مـحترم وكل عقيدة يجوز الاصحار بها فلا بضرورة العقول فإنّ العـامي المـحض ومـن قاربه في روحياته وعدم نضجه بعيدون عن هذا الافق لبعدهم في معداتهم الفعلية عن درك المعاني الصحيحة ، ومن هنا شاع المثل انّ عقول العوام بأعينهم أي انهم محرومون بالفعل من لذائذ ادراكاتهم الباطنية ففضلاً عن انّ عقلياتهم ليست من منابعها ـ وهي العقول بهوياتها الصحيحة تـراهـم ـ لا يـجيدون إعـمال الخـيال

والوهم في خيالياتهم ووهمياتهم فإنّ قصارى خيالياتهم ان تنحت الخرافات الباردة والأساطير الممقوتة وخيال المهذبين يأتي بصنوف المتع والدقائق الشعرية الجذابة بمثل قولهم:

وكأنّ محمر الشقيق — إذا تصوب أو تصعد
اعلام ياقوت نصبن — على رماح من زبرجد

وملايين مثله إذاً فمن يكون متقهقراً وحتى في خيالياته ووهمياته فما تكون قيمة آرائه ومعتقداته وهل توصّل هذا البائس بعد إعمال فكرته إلى أكثر من أن يصنع من الحجارة صنماً ثمّ يسجد له ويناجيه بهواجسه وينيط به جيمع آماله التي يزويها في نفسه من دفع ما لا يلائمه وجلب ما يحبه ويهواه، وهذا مثال واحد من بين عشرات الملايين مما يتخذه العوام قديماً وحديثاً من اتخاذات في كافة جنبات الحياة مادياً ومعنوياً على توفر شعبها المتكثرة واعطاء الحرية لمثل هذه الآراء الساقطة هو الذي تنزل بمقام العلم والحقائق في عامة الأدوار والأجيال فانك أنت أيّها المتنور الفنان المدرب المهذب الذي احتككت بعقلك فاستنتجت منه ما تشاء من نتائج صالحة وحقائق راهنة تجد نفسك فيما يحيط بك من أبناء جيلك وعاداتهم واتخاذاتهم في كل شيء ـ إذا أحببت أن لا تبتذل ويزهد فيك ـ ملزوماً لأن تكون كواحد من هؤلاء الذين أحاطوا بك في كل شيء وترى بعينك انّ كافة معلوماتك الواقعية قد وضعتها في سلة المهملات من مماشاتك لأبناء جيلك وإذا بك تشعر شعوراً تاماً ان ما بحثت عنه ونقّحته وخسرت عليه راحتك وتفكرك قد عاد في صف المسائل الفرضية التي لا وزن لها من حيث أخذ النتائج وإنّما هي صرف محاورات لفظية لا تخرج من اللفظ إلى عالم التحقق أصلاً وهل للمسائل الفرضية ـ مثل فرض المحال انّه ليس بمحال ـ

قيمة وهل يليق بالعاقل أن يصرف فيها كدّه وجهده ـ لا ـ بجميع ما لهذه الأداة النافية من معنى.

ولا شبهة انّ أوّل هدف مقدس للجهاد الهجومي هو مطاردة هذه الآراء الساقطة في نفسها المسقطة للوجود بأسره من كافة حيثياته والسكوت عنها إحياء للجهل وتقوية للفساد ومساندة للانحطاط وترغيب في اعمال الباطل وتكثير في النتائج السقيمة كما هو مشهود لكل حساس من مشى جيله ودوره الذي هو فيه لا نزال نجد أنفسنا تتحرق أمام ما يبدعه العوام في كل شيء مما يعود لديننا أو لدنيانا وليس بالضعفاء منا أن ينسبوا في قبال ذلك بحرف لأنّ ابراز شعورهم بذلك موجب لاراقة دمائهم من النوع السائد ـ وهم العوام ـ وامّا من لهم نفوذ معنوي بين الناس فإنّما فازوا بهذا النفوذ لتشجيعهم اولئك الوحوش على طرائقهم التي بأيديهم زعماً منهم انّ ذلك من شعائر الدين التي يلزم تعظيمها ولو من طريق الترهات والاعيب الصبيان غافلين أو متغافلين عن ان توجيه هذه الأعمال الجاهلة مما يأتي على الدين الذي تشيدت قواعده على المنطق الصائب بالاندحار قليلاً قليلاً حتى لا تكاد ترى له من المتنورين تابعاً واحداً وتجد كل معتنق له دابة هاملة بلا ميزة له عن عبدة الأصنام في الأدوار السابقة واللاحقة والأمر في خارج العيان كذلك بالشهود الحسي، فإنّ سبب نفرة كثير من اللامعين عن الانقياد لأي شريعة تفرض هو ما يرونه من تصدر الجهلاء لادارة الشؤون الدينية وابتعاد أهل العقول النيّرة عنها بتاتاً.

فلم يشتبه على العقول قديماً كما لم يشتبه عليها حادثاً لزوم مطاردة الجهل العلمي والعملي بكل وسيلة مستطاعة لدرك العقول جميعاً ان مضرات الجهل ليست منحصرة بأهلها فلا يتضرر الجاهل بجهله إلّا لخاصة نفسه التي تعود له صرفاً، بل مما تستشري ملأ عنانها فالجاهل الواحد لأجل تحقيق منوياته

الجاهلة قد لا يتيسر له ما يروم إلّا بسحق العالم كله وسحق جميع حيثياته معه وهكذا كان الأمر في طواغيت الدنيا الجهلاء فإنّ حادثة التتر وهي واحدة من بين آلاف الحوادث السابقة عليها واللاحقة لها تعرب لك بوضوح عن جناياتها المتكررة المتكثرة الصادرة لا عن داع عقلائي صحيح ، فإنّ العقل ان جوّز ولو مع فرض مسامحات وفيرة ارادة التغلب على جامعة أو بلد للتحكم عليها فإنّه لا يجوز بضرس قاطع اباحة البلدان بعد تسلمها قهراً أو تسليمها طوعاً بسفك الدماء والفتك بالأعراض وتحليل كل حرام من كل أحد ولو كان انساناً لا اقتضائياً لا للدولة السابقة ولا للاحقة ولا عليهما وقد فعل التتر ما وصفناه وزادوا عليه بالحس الشهودي .

وهذا الارهاب العام وارتكاب القبائح الخارجة عن مدّ البصر إلّا من نتائج الجهل صرفاً أفلا ـ بربك ـ يجب قلع هذه البذرة الخطرة بكل مجهود يتأتى للانسان حتى لا تعود هذه البذرة تنمو فتتأصل في الوجود وتنبعث بعروقها من تحت وبغصونها من فوق إلى مسافات بعيدة في الزمان والمكان وتكون مكّناً لسراق الحيثيات والعقبان الكواسر من بني آدم ـ نعم يجب ذلك بأشد مراتب الوجوب ـ ولتأييد هذه الشدة من الوجوب سلاسل غير متناهية من جنايات البشر التي يكيلها التأثر الوجداني بصاع كبير فضلاً عن الجنايات الدارجة التي أصبحت لكثرتها وصدورها من أغلب الناس لا يعبأ بها وحتى الحساس السريع التأثر من مواجهة الشرور .

لهذا ولكثير مما هو على سنخية منه ترى أبواب الحث على الجهاد في الكتاب والسنة معززة بالترغيبات المهمة ذات الشأن حتى أثارت في المسلمين الأوائل روح التسابق إلى الشهادة في سبيل الله وكان من نتائج تفانيهم انهم غيّروا صبغة العالم بخافقيه في أيسر مدة تتصور لمثل هذه العملية الواسعة وان صارت نتائج

تضحياتهم هذه بعد قليل طعمة مستساغة ليزيد بن معاوية والوليد بن يزيد، وكل خلفاء الإسلام وملوكه كانوا على مقربة منهما ان لم يكونوا بعين ما كانوا عليه، بسطاً فيها كل سخف واستهتار وقذر وفحشاء وجعلاها ذريعة لكل منويّ أثارته نفوسهما المظلمة الظالمة فحققاه بأحسن ما يمكن تحقيقه ومن دون وجل أو تهيّب.

فمما أصح به الكتاب العزيز من التعزيز بالجهاد قوله تعالى (آية ١٢ إلى ١٦ من سورة الأنفال): ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلاَئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا ٱلَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ * ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا ٱللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللّٰهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ ٱللّٰهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ * ذٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ * يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ * وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ ٱللّٰهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ إلى أن يقول (آية ٣٩): ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لاَتَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُ لِلّٰهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا فَإِنَّ ٱللّٰهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ ثمّ يقول (آية ٦٠): ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَاٱسْتَطَعْتُم مِن قُوَّةٍ وَمِن رِبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ ٱللّٰهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ ثمّ يقول (آية ٦٥): ﴿ يَاأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ إِن يَكُن مِنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِنكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَيَفْقَهُونَ ﴾.

ويقول سبحانه في سورة التوبة (آية ٥): ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا ٱلصَّلاَةَ وَآتَوُا ٱلزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ...

إلى أن يقول (آية ١٣ و ١٤): ﴿ أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللّٰهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ *

قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴾ . إلى أن يقول (آية ٢٩) : ﴿ **قَاتِلُوا ٱلَّذِينَ لاَيُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَلاَيُحَرِّمُونَ مَاحَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ** ﴾ ، إلى أن يقول (آية ٤١) : ﴿ **انفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ ، إلى أن يقول (آية ٧٣) : ﴿ **يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَاهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَافِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ** ﴾ إلى أن يقول (آية ١٢٣) : ﴿ **يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ** ﴾ .

ومن السنة (ما رواه في الوسائل ـ كتاب الجهاد ـ) عن عمر بن أبان عن أبي عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : الخير كله في السيف وتحت ظل السيف ولا يقيم الناس إلّا السيف والسيوف مقاليد الجنة والنار . عن حيدرة عن أبي عبد الله قال : الجهاد أفضل الأشياء بعد الفرائض . عن أبي حمزة قال : سمعت أبا جعفر يقول : انّ علي بن الحسين كان يقول : قال رسول الله ﷺ : ما من قطرة أحب إلى الله عزوجل من قطرة دم في سبيل الله . عن ابن محبوب رفعه انّ أمير المؤمنين خطب يوم الجمل إلى أن قال : أيّها الناس انّ الموت لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب ليس عن الموت محيص ومن لم يمت يقتل وانّ أفضل الموت القتل والذي نفسي بيده لألف ضربة بالسيف أهون عليّ من ميتة على فراش .

عن أبي عبد الرحمن السلمي قال : قال أمير المؤمنين : امّا بعد فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه إلى أن قال : هو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة فمن تركه ألبسه الله ثوب الذل وشمله البلاء وديث بالصغار والقمأ وضرب على قلبه بالاسداد واديل الحق منه بتضييع الجهاد وسيم الخسف ومنع النصف .

عن أبي حفص الكلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: انّ الله عزوجل بعث رسوله بالاسلام إلى الناس عشر سنين فأبوا أن يقبلوا حتى أمره بالقتال فالخير في السيف وتحت السيف والأمر يعود كما بدأ. عن عثمان بن مظعون قال: قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انّ نفسي تحدثني بالسياحة وان ألحق بالجبال فقال: يا عثمان لا تفعل فإنّ سياحة أُمتي الغزو والجهاد، عن سعد بن سعد الأشعري عن أبي الحسن الرضا قال سألته عن قول أمير المؤمنين لألف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش فقال في سبيل الله.

ومن كتاب التاج للأصول في أحاديث الرسول [1] قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لغدوة أو روحة في سبيل الله خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب. وسأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أيّ الناس أفضل فقال: مؤمن مجاهد في سبيل الله بنفسه وماله، قالوا: ثمّ من قال: مؤمن في شعب من الشعاب يتقي الله ويدع الناس من شرّه. عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ما من أحد يدخل الجنة يحبّ أن يرجع إلى الدنيا، وانّ له ما على الأرض من شيء غير الشهيد فإنّه يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرّات لما يرى من الكرامة. عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين وأثرين قطرة من دموع في خشية الله وقطرة دم تهراق في سبيل الله.

والنبي صلى الله عليه وآله وسلم لما كان في مكة قليل الرجال مشوش الحال من مشركي قريش كانت دعوته مقصورة على التبليغ وحده لكنها لم تؤثر إلّا على عدة محدودة لاغراق القوم في لجاجهم وعتوهم فلما هيأ الله له اسباب الهجرة بالأنصار وتمكن في قلوبهم وجد من الضروري مناوشة المشركين وتصفيتهم الحساب على الحادهم بالله وانتباذهم عن السنن الصحيحة فشرع يبعث السرية بعد الثانية

(١) في كتاب الجهاد والغزوات ج ٤ ص ٣٣٣ وما بعدها.

إعداداً لحملة قوية تكون منه فلعل الله ينتج من ورائها فتحاً منجحاً يذل به الشرك وأهله ويعزُّ به الإسلام وأهله فكانت وقعة بدر التي رنّ اسمها في مساحة الجزيرة طولاً وعرضاً، والتي كسرت من شوكة الشرك بما أخذ معها في الانحطاط والتضعضع شيئاً فشيئاً حتى تلاشى في أخيره كأن لم يكن وشرح هذه الحادثة كما تقرأه.

غزوة بدر

قال ابن اسحاق (١): ثمّ انّ رسول الله ﷺ سمع بأبي سفيان بن حرب مقبلاً من الشام في عير لقريش عظيمة فيها أموال لقريش وتجارة من تجاراتهم وفيها ثلاثون رجلاً من قريش أو أربعون فندب المسلمين اليهم وقال: هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعلّ الله ينفلكموها، فانتدب الناس فخفّ بعضهم وثقل بعضهم وذلك انهم لم يظنوا انّ رسول الله ﷺ يلقى حرباً وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الأخبار ويسأل من لقى من الركبان تخوفاً على أمر الناس حتى أصاب خبراً من بعض الركبان انّ محمّداً قد استنفر اصحابه لك ولعيرك فحذر عند ذلك فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم ويخبرهم انّ محمّداً قد عرض لها في اصحابه فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة.

قال ابن اسحاق: وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال رؤيا أفزعتها فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له: ياأخي والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتني وتخوفت أن يدخل على قومك منها

(١) السيرة الهشامية: ج ١ ص ٦٠٦ وما بعدها.

شرّ ومصيبة فاكتم عني ما أُحدثك به، فقال لها: وما رأيت؟ قالت: رأيت راكباً أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح ثمّ صرخ بأعلا صوته: ألا أنفروا يا لغدر لمصارعكم في ثلاث[١] فأرى الناس اجتمعوا إليه ثمّ دخل المسجد والناس يتبعونه فبينا هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة ثمّ صرخ بمثلها ألا انفروا يا لغدر لمصارعكم في ثلاث ثمّ مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها ثمّ أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوى حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار إلّا دخلتها منها فلقة.

قال العباس: والله انّ هذه لرؤيا وأنت فاكتميها ولا تذكريها لأحد ـ إلى أن يقول ـ فقام ضمضم بن عمرو الغفاري وهو يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره قد جدع بعيره وحوله رحله وشق قميصه وهو يقول: يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمّد في أصحابه لا أرى أن تدركوها الغوث الغوث فتجهز الناس سراعاً وقالوا: أيظن محمّد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي[٢] كلا والله ليعلمن غير ذلك فكانوا بين رجلين امّا خارج وامّا باعث مكانه رجلاً وأوعبت قريش فلم يتخلف من أشرافها أحد[٣].

قال: ولما أجمعت قريش المسير ذكرت الذي كان بينها وبين بني بكر فكاد ذلك يثنيهم فتبدى لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي وكان من اشراف بني كنانة فقال لهم: أنا لكم جار من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه فخرجوا سراعا.

---

(١) أي يا آل غدر جمع غدور.

(٢) أي توفق فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

(٣) أي خرجوا بأسرهم.

قال ابن اسحاق: وخرج رسول الله ﷺ في ليال مضت من شهر رمضان في أصحابه ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف، قال ابن هشام: وكان أبيض، وكان أمام رسول الله ﷺ رايتان سوداوان احداهما مع علي بن أبي طالب يقال لها العقاب والأُخرى مع بعض الأنصار.

قال الطبري [١]: وخرج رسول الله ﷺ فيما بلغني عن غير ابن اسحاق لثلاث ليال خلون من شهر رمضان في ثلاث مأة وبضعة عشر رجلاً من أصحابه فاختلف في مبلغ الزيادة على العشرة فقال بعضهم كانوا ثلاثمأة وثلاثة عشر رجلاً وقال آخرون كانوا ثلاث مأة وسبعة، وامّا عامة السلف فإنّهم قالوا كانوا ثلاثمأة رجل وبضعة عشر رجلاً.

وقال ابن سعد [٢]: خرج رسول الله من المدينة يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان على رأس تسعة عشر شهراً من مهاجره ﷺ وخرج في ثلاث مأة وخمسة نفر كان المهاجرون منهم أربعة وسبعين رجلاً وسائرهم من الأنصار.

روى البيهقي الهندي [٣] عن ابن عباس قال: كان صاحب راية المهاجرين علي بن أبي طالب وصاحب راية الأنصار سعد بن عبادة. وعن ابن عباس أيضاً قال: كان لواء رسول الله يوم بدر مع علي بن أبي طالب ولواء الأنصار مع سعد بن عبادة.

وروى المتقي الهندي أيضاً [٤] عن ابن عبادة قال: كانت راية رسول الله في

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٢٧٢ من الطبعة الأُولى.

(٢) الطبقات: ج ٣ ص ٥٠.

(٣) منتخب كنز العمال: ج ٤ ص ١٠٢.

(٤) منتخب كنز العمال: ج ٤ ص ١٥٧.

المواطن كلها راية المهاجرين مع علي بن أبي طالب وراية الأنصار مع سعد بن عبادة حتى كان يوم فتح مكة دفعت راية قضاعة إلى أبي عبيدة بن الجراح ودفعت راية بني سليم إلى خالد بن الوليد وكانت راية الأنصار مع سعد بن عبادة وراية المهاجرين مع علي بن أبي طالب ـ ابن عساكر.

وروى المتقي الهندي أيضاً [١] عن جابر بن سمرة قالوا: يا رسول الله من يحمل رايتك يوم القيامة؟ قال: من يحسن أن يحملها إلّا من حملها في الدنيا علي بن أبي طالب (الطبراني في الكبير).

وذكر أحمد بن حنبل [٢] قال: عن أبي اسحاق عن هبيرة خطبنا الحسن بن علي فقال: لقد فارقكم رجل بالأمس لم يسبقه الأولون بعلم ولا يدركه الآخرون، كان رسول الله ﷺ يبعثه بالراية جبريل عن يمينه ومكائيل عن شماله لا ينصرف حتى يفتح له. عن عمرو بن حبشي قال: خطبنا الحسن بن علي بعد قتل عليّ فقال: لقد فارقكم رجل بالأمس ما سبقه الأولون بعلم ولا أدركه الآخرون، إن كان رسول الله ليبعثه ويعطيه الراية فلا ينصرف حتى يفتح له وما ترك من صفراء ولا بيضاء إلّا سبعمائة درهم من عطائه كان يرصدها لخادم لأهله.

وروى الحاكم [٣] عن عكرمة عن ابن عباس قال: لعلي أربع خصال ليست لأحد: هو أوّل عربي وعجمي صلّى مع رسول الله ﷺ وهو الذي كان لواؤه معه في كل زحف والذي صبر معه يوم المهراس وهو الذي غسله وأدخله قبره. قال

---

(١) منتخب كنز العمال: ج ٥ ص ٥٠.

(٢) مسند أحمد: ج ١ ص ١٩٩ من طبعته على المسانيد بمصر.

(٣) في المستدرك: ج ٣ ص ١١.

الذهبي في اسناده زكريا بن يحيى الوقار وهو متهم. أقول: لا قيمة لتعقب الذهبي إن كان له منظور في متن الرواية فإنّ جميع هذه الخصال الأربعة لها شواهد عديدة تثبتها وامّا جرحه للرجل فهو جرح مجرد عن ذكر العلة والسبب، والحاكم من ائمة الصناعة فلو كان يجد هذا الحديث مخدوشاً براويه هذا لما استدركه.

عن مقسم عن ابن عباس انّ رسول الله ﷺ دفع الراية إلى علي يوم بدر وهو ابن عشرين سنة. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. أقول: قد سبق الكلام حول سنّ علي عند البعثة فلا نطيل هنا.

وروى الحاكم أيضاً [١] عن مالك بن دينار قال: سألت سعيد بن جبير فقلت: يا أبا عبد الله من كان حامل راية رسول الله ﷺ؟ قال: فنظر إليّ وقال: كأنك رخيّ البال، فغضبت وشكوته إلى اخوانه من القراء، فقلت: ألا تعجبون من سعيد اني سألته من كان حامل راية رسول الله ﷺ، فنظر إليّ وقال: إنّك لرخي البال قالوا انك سألته وهو خائف من الحجاج وقد لاذ بالبيت فسله الآن، فسألته فقال: كان حاملها عليّ هكذا سمعته من عبد الله بن عباس. هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ولهذا الحديث شاهد من حديث زنفل العرفي وفيه طول فلم اخرجه. أقرّه الذهبي كما هو.

وذكر الحافظ محب الدين الطبري [٢] عن ابن عباس ؓ قال: كان علي أخذ راية رسول الله ﷺ يوم بدر، فقال الحكم يوم بدر والمشاهد كلّها. أخرجه

---

(١) المستدرك: ج ٣ ص ١٣٧.

(٢) في كتابه ذخائر العقبى: ص ٧٥ تحت عنوان انّه حمل راية النبي ﷺ يوم بدر وكان يحملها في المشاهد كلها.

أحمد في المناقب، وعن علي قال: سكرت يد عليّ ﷺ يوم أُحد فسقط اللواء من يده فقال رسول الله ﷺ: ضعوه في يده اليسرى فإنّه صاحب لوائي في الدنيا والآخرة. أخرجه ابن الحضرمي، وعن مالك بن دينار سألت سعيد بن جبير واخوانه من القراء من كان حامل راية رسول الله ﷺ قالوا كان حاملها علي ﷺ: أخرجه أحمد في المناقب.

وذكر الحافظ الكنجي [١] قال: أخبرنا ابراهيم بن بركات الخشوعي إلى أن أنهى سنده إلى أبي شيبة عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس ان راية المهاجرين كانت مع علي عليه السلام في المواقف كلها يوم بدر ويوم احد ويوم حنين ويوم الأحزاب ويوم فتح مكة ولم تزل معه في المواقف كلها. قلت: رواه محدث الشام في كتابه بطرق شتى.

وأخبرنا أبو اسحاق الدمشقي: إلى أن يقول: حدثنا سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال: لعلي عليه السلام أربع خصال: أوّل عربي وعجمي صلّى مع النبي ﷺ وهو الذي كان لواؤه معه في كل زحف وهو الذي صبر معه يوم المهراس انهزم الناس كلهم غيره وهو الذي غسله وهو الذي أدخله في قبره. ذكره في ترجمة علي عليه السلام.

وأخبرنا ابراهيم ـ إلى أن يقول ـ عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال: قيل يا رسول الله من يحمل رايتك يوم القيامة قال: من عسى يحملها إلّا من حملها في الدنيا علي بن أبي طالب، قلت: ذكره محدث الشام في ترجمة علي عليه السلام من كتابه بطرق شتى عن جابر وعن أنس.

---

(١) في كتابه كفاية الطالب الباب ٩٥ في انّ علياً كان صاحب لواء رسول الله ﷺ ص ١٩٣ وما بعدها.

أخبرنا بقية السلف المعمر يوسف بن خليل بن عبد الله الدمشقي بحلب رحلت إليه في طلب الحديث سنة أربعين وستماءة ومولده في سنة خمس وخمسين وخمسماءة إلى أن يقول: حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة انّ علي بن أبي طالب كان صاحب لواء رسول الله ﷺ في كل مشهد، قلت: هكذا رواه الحافظ بن سعد في كتاب الطبقات.

عود على نقول ابن اسحاق

قال ابن اسحاق وكانت ابل أصحاب رسول الله ﷺ يومئذ سبعين بعيراً فاعتقبوها فكان رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب ومرثد بن أبي مرثد الغنوي يعتقبون بعيراً وكان حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وأبو كبشة وأنسة موليا رسول الله ﷺ يعتقبون بعيراً وكان أبو بكر وعمرو عبد الرحمن بن عوف يعتقبون بعيراً.

أقول: فأين يكون ما يقوله أبناء التسنن في حق أبي بكر انّه كان متمولاً مثرياً وانّه صرف ثروته في سبيل اعلاء كلمة الإسلام عن هذا الموضع الذي حكم فيه أهل السيرة بأنّ أبا بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف لم يكن عندهم إلّا بعير واحد يعتقبون عليه فأين ذهبت الثروة وان تكن فخير مظانها هذه الحوادث المهمة التي لا تنفرج إلّا عن تقدم منجح أو تأخر هادم مسقط فلم تأخر القوم عن صرفها في هذه المآزق الحرجة والمظان المرموقة.

قال ابن اسحاق: وجعل على الساقة قيس بن أبي صعصعة أخابني مازن بن النجار وكانت راية الأنصار مع سعد بن معاذ فيما قال ابن هشام ـ إلى أن يقول ـ وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش فقام أبو بكر الصديق فقال: وأحسن ثمّ قام عمر بن الخطاب فقال واحسن

ثمّ قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انّا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد [١] لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له به.

أقول: لمثل هذا يقال انّه صحابي مؤمن خالص من الشوائب مستميت في ذات الحق والدفاع عن حوزته لا للسواد المنتشر الذي لا يسمن ولا يغني وهم الكثير ممن ترجم لهم في معاجم الصحابة بل الأكثر والمقداد من رجال الحقيقة وأهل الهمم العالية وأفضل من كثير من شيوخ الصحابة، وورد فيه من التجليل والتبجيل عن لسان النبي الأُمّي ﷺ ما قلّ وروده في حق غيره، ومما تسالم عليه فريقا الشيعة والسنة أيضاً، فليس هواته من فريق دون فريق حتى يحصل في النفس شيء مما أوردوه له، فمن ذلك:

روى المتقي الهندي [٢] انّ الجنة تشتاق إلى أربعة: علي وعمار وسلمان والمقداد. الطبراني في الكبير عن أنس.

وروى أيضاً [٣] انّ الله تعالى أمرني بحب أربعة وأخبرني انّه يحبهم علي منهم وأبو ذر والمقداد وسلمان. الترمذي، وابن ماجة، والحاكم في المستدرك عن بريدة.

---

(١) موضع بناحية اليمن ولي قول انها مدينة الحبشة.

(٢) في كتابه منتخب كنز العمال ج ٥ ص ١٢٥ من مطبوعته على هامش مسند أحمد بمصر.

(٣) المصدر نفسه: ص ١٢٦.

وروى أيضاً [١] اشتاقت الجنة إلى أربعة : علي وسلمان وأبي ذر والمقداد ، أبو نعيم في الحلية ، وابن عساكر عن ابن بريدة عن أبيه .

وروى الحاكم في المستدرك [٢] عن خارق عن طارق عن عبد الله قال : شهدت من المقداد مشهداً لأن أكون صاحبه أحبّ اليّ مما عدل به انّه أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال : انا والله يا رسول الله لا نقول كما قال قوم موسى لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ، ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك فرأيت النبي ﷺ يشرق لذلك وسرّه ذلك ، صححه الحاكم والذهبي جميعاً .

عود على بدء

قال : ثمّ قال رسول الله ﷺ : أشيروا عليّ أيّها الناس وإنّما يريد الأنصار وذلك انهم عدد الناس [٣] وانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا : يا رسول الله انا براء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا فإذا وصلت الينا فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبنائنا ونسائنا فكان رسول الله ﷺ يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلّا ممن دهمه بالمدينة من عدوه وان ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم فلما قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن معاذ والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ، قال : أجل ، قال : فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا انّ ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) ج ٣ ص ٣٤٩.

(٣) أي أكثرهم.

يا رسول الله لما اردت فنحن معك فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا انا لصبر في الحرب صدق في اللقاء لعل الله يريك منا ما تقرّ به عينك فسر بنا على بركة الله، فسرّ رسول الله ﷺ بقول سعد ونشّطه ذلك، ثمّ قال: سيروا وابشروا فإنّ الله تعالى قد وعدني احدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم.

قال: ثمّ ارتحل رسول الله فنزل قريباً من بدر فركب هو ورجل من أصحابه حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش وعن محمّد وأصحابه وما بلغه عنهم فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما، فقال رسول الله ﷺ: إذا أخبرتنا أخبرناك، قال أذاك بذاك؟ قال: نعم، قال الشيخ: فإنّه بلغني أنّ محمّداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي به رسول الله. وبلغني أنّ قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي فيه قريش، فلما فرغ من خبره قال: ممن أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ: نحن من ماء ثمّ انصرف عنه، قال يقول الشيخ: ما من ماء أمن ماء العراق، ثمّ رجع رسول الله إلى أصحابه فلما أمسى بعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون الخبر له عليه فأصاروا راوية[1] لقريش فيها اسلم غلام بني الحجاج وعريض أبو يسار غلام بني العاص بن سعيد فأتوا بهما فسألوهما ورسول الله ﷺ قائم يصلي فقالا نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء فلما سلّم رسول الله ﷺ قال لهما: أخبراني

(١) الراوية الابل التي يستقى عليها الماء.

عن قريش ؟ قالا : هم والله وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى فقال لهما رسول الله ﷺ : كم القوم قالا كثير ، قال : ما عدتهم ، قالا : لا ندري ، قال : كم ينحرون كل يوم ؟ قالا : يوماً تسعاً ويوماً عشراً ، فقال رسول الله ﷺ : القوم فيما بين التسع مئة والألف ثمّ قال لهما : فمن فيهم من اشراف قريش ؟ قالا : عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو البختري بن هشام ، وحكيم بن حزام ، ونوفل بن خويلد ، والحارث بن عامر بن نوفل ، وطعيمة بن عدي بن نوفل ، والنضر بن الحارث ، وزمعة بن الأسود ، وأبو جهل بن هشام ، وامية بن خلف ، ونبيه ومنبّه ابنا الحجاج ، وسهيل بن عمرو ، وعمرو بن عبد ود ، فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال : هذه مكة قد القت اليكم أفلاذ كبدها .

قال ابن اسحاق : وكان بسبس بن عمرو وعدي بن أبي الزغباء قد مضيا حتى نزلا بدراً فأتيا إلى تل قريب من الماء ثمّ أخذا شناً لهما يستقيان فيه ومجدّي بن عمرو الجهني على الماء فسمع عدي وبسبس جاريتين من جواري الحاضر [(١)] وهما يتلازمان [(٢)] على الماء والملزومة تقول لصاحبتها : إنّما تأتي العير غداً أو بعد غد فأعمل لهم ثمّ أقضيك الذي لك قال مجدي صدقت ثمّ خلّص بينهما وسمع ذلك عدي وبسبس فجلسا على بعيريهما ثمّ انطلقا حتى أتيا رسول الله ﷺ فأخبراه بما سمعا ، وأقبل أبو سفيان بن حرب حتى تقدم العير حذراً حتى ورد الماء فقال لمجديّ بن عمرو هل أحسست أحداً ؟ فقال : ما رأيت أحداً أنكره إلّا اني قد رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التلّ ثمّ استقيا في شن لهما ثمّ انطلقا فأتى أبو سفيان مناخهما فأخذ من أبعار بعيريهما ففتّه فإذا فيه النوى ، فقال

---

(١) الحاضر القوم النازلون على الماء.

(٢) التلازم تعلق الغريم بغريمه.

هذه والله علائف يثرب فرجع إلى أصحابه سريعاً فضرب وجه عيره عن الطريق فساحل بها وترك بدراً بيسار وانطلق حتى أسرع.

قال ابن اسحاق: ولما رأى أبو سفيان انّه قد أحرز عيره أرسل إلى قريش انكم إنّما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا، فقال أبو جهل بن هشام: والله لا نرجع حتى نرد بدراً، وكان بدر موسماً من مواسم العرب يجتمع لهم به سوق كل عام فنقيم عليه ثلاثاً فننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبداً بعدها فامضوا.

وقال الأخنس بن شريق الثقفي: وكان حليفاً لبني زهرة يا بني زهرة قد نجّى الله لكم أموالكم وخلّص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل وإنّما نفرتم لتمنعوه وماله فاجعلوا لي جبنها وارجعوا فإنّه لا حاجة لكم بأن تخرجوا في غير منفعة لا ما يقول هذا يعني أبا جهل فرجعوا فلم يشهدها زهري واحد، أطاعوه وكان فيهم مطاعاً، ولم يكن بقي من قريش بطن إلّا وقد نفر منهم ناس إلّا بني عدي بن كعب لم يخرج منهم رجل واحد، قال: ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي خلف العقنقل وبطن الوادي وهو يليل بين بدر وبين العقنقل الكثيب الذي خلّفه قريش والقلب [١] ببدر في العدوة الدنيا من بطن يليل إلى المدينة وبعث الله السماء وكان الوادي دهساً [٢] فأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه منها ما لبّد لهم الأرض ولم يمنعهم عن السير وأصاب قريشاً منها ما لم يقدروا على أن يرتحلوا معه فخرج رسول الله ﷺ يبادرهم إلى الماء حتى إذا جاء أدنى ماء من بدر نزل

---

(١) جمع قليب وهو البئر.

(٢) الدهس المكان اللين الذي لم يبلغ أن يكون رملاً.

به فقال الحباب بن المنذر بن الجموح: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة، قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة، فقال: يا رسول الله فإنّ هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثمّ نغوّر[١] ما وراءه من القلب ثمّ نبني عليه حوضاً فنملؤه ماءً ثمّ نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله: لقد أشرت بالرأي فنهض رسول الله ﷺ ومن معه من الناس فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه ثمّ أمر بالقلب فغوّرت وبنى حوضاً على القليب الذي نزل عليه فملىء ماءً ثمّ قذفوا فيه الآنية، ثمّ انّ سعد بن معاذ قال: يا نبي الله ألا نبني لك عريشاً تكون فيه ونعدّ عندك ركائبك ثمّ نلقى عدونا فإن أعزّنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك مما أحببنا وإن كانت الأُخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد لك حباً منهم ولو ظنوا انك تلقى حرباً ما تخلّفوا عنك يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير ثمّ بنى لرسول الله ﷺ عريش فكان فيه.

قال ابن اسحاق: وقد ارتحلت قريش حين أصبحت فأقبلت فلما رآها رسول الله ﷺ تصوبت من العقنقل وهو الكثيب الذي جاءوا منه إلى الوادي قال: اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني اللهم أحنهم[٢] الغداة، وقد قال رسول الله ﷺ: وقد رأى عتبة بن ربيعة في القوم على جمل له أحمر ان يكن في أحد من القوم خير فعند

---

(١) أي نطمس الآبار كلها سوى ما نحتاج إليه منها.

(٢) أي أهلكهم.

صاحب الجمل الأحمر إن يطيعوه يرشدوا.

قال ابن اسحاق: ولما اطمئن القوم بعثوا عمير بن وهب الجمحي فقالوا: احزر [١] لنا أصحاب محمّد، قال: فاستجال بفرسه حول العسكر ثمّ رجع اليهم فقال: ثلاث مأة رجل يزيدون قليلاً أو ينقصون، ولكن أمهلوني حتى أنظر اللقوم كمين أو مدد، قال: فضرب في الوادي حتى أبعد فلم ير شيئاً قال: ولكني قد رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا نواضح يثرب تحمل الموت الناقع قوم ليس معهم منعة ولا ملجأ إلّا سيوفهم، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلاً منكم فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك، فروا رأيكم فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في الناس فأتى عتبة بن ربيعة فقال: يا أبا الوليد انك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها هل لك إلى أن لا تزال تذكر فيها بخير إلى آخر الدهر، قال: وما ذاك يا حكيم؟ قال: ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي، قال: قد فعلت أنت عليّ بذلك إنّما هو حليفي فعليّ عقله وما أصيب من ماله فأت ابن الحنظلية يعني أبا جهل بن هشام ثمّ قام عتبة بن ربيعة خطيباً فقال: يا معشر قريش انكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمّداً وأصحابه شيئاً والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته فارجعوا وخلّوا بين محمّد وبين سائر العرب فإن أصابوه فذاك الذي أردتم وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرّضوا منه ما تريدون.

قال حكيم: فانطلقت حتى جئت أبا جهل فوجدته قد نثل [٢] درعاً له من

---

(١) الحزر هو التقدير بالحدس.

(٢) أي أخرج.

جرابها فهو يهنئها [١] فقلت له : يا أبا الحكم انّ عتبة أرسلني اليك بكذا وكذا للذي قال ، فقال : انتفخ والله سحره حين رأى محمّداً وأصحابه كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمّد وما بعتبة ما قال ولكنه قد رأى انّ محمّداً وأصحابه أكلة جزور وفيهم ابنه فقد تخوفكم عليه ثمّ بعث إلى عامر بن الحضرمي فقال : هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيت ثارك بعينك فقم فانشد خفرتك [٢] ومقتل أخيك فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف ثمّ صرخ : واعمراه واعمراه ، فحميت الحرب وحقب [٣] الناس واستوسقوا [٤] على ما هم عليه من الشر وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة ، فلما بلغ عتبة قول أبي جهل انتفخ والله سحره [٥] قال : سيعلم مصفرّ استه [٦] من انتفخ سحره أنا أم هو ، ثمّ التمس عتبة بيضة ليدخلها في رأسه فما وجد في الجيش بيضة تسعه من عظم هامته فلما رأى ذلك اعتجر على رأسه ببرد له .

قال ابن اسحاق : وقد خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي وكان رجلاً شرساً سيء الخلق فقال : أُعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنّه أو لأموتنّ دونه ، فلما خرج خرج إليه حمزة بن عبد المطلب فلما التقيا ضربه حمة فأطنّ قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض فوقع على ظهره متشخب رجله دماً نحو أصحابه ثمّ حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يريد أن يبرّ يمينه واتبعه حمزة

---

(١) يدهنها .

(٢) أي ذكره قريشاً بما لك عليها من عهد وذمة .

(٣) أي اشتد .

(٤) أي اجتمعوا .

(٥) السحر الرئة وما حولها .

(٦) كناية عن استعمال الطيب وآلات الترف وان الرجل ليس من أهل الحرب المهتمين لها .

فضربه حتى قتله في الحوض.

قال: ثمّ خرج بعده عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة حتى إذا فصل من الصف دعا إلى المبارزة فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة وهم عوف ومعوّذ ابنا الحارث ـ وامهما عفراء ـ ورجل آخر يقال هو عبد الله بن رواحة، فقالوا: من أنتم؟ فقالوا: رهط من الأنصار، قالوا: ما لنا بكم من حاجة ثمّ نادى مناديهم يا محمّد أخرج الينا أكفاءنا من قومنا، فقال رسول الله ﷺ قم يا عبيدة بن الحارث وقم يا حمزة وقم يا علي، فلما قاموا ودنوا منهم قالوا من أنتم قال عبيدة: عبيدة، وقال حمزة: حمزة، وقال علي: عليّ، قالوا: نعم أكفاء كرام، فبارز عبيدة وكان أسن القوم عتبة بن ربيعة وبارز حمزة شيبة بن ربيعة وبارز علي الوليد بن عتبة، فأمّا حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله، وأمّا علي فلم يمهل الوليد أن قتله، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين كلاهما أثبت صاحبه وكرّ حمزة وعلي بأسيافهما على عتبة فذففا عليه واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه.

قال ابن اسحاق: ثمّ تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض وقد أمر رسول الله ﷺ أصحابه ألّا يحملوا حتى يأمرهم وقال: إن اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل، ورسول الله ﷺ في العريش معه أبو بكر الصديق.

أقول: ما مقام رسول الله في العريش فذلك لازم قائد القوم أن يكون وتدهم الثابت حتى لا تختل جبهته بقتله أو انكساره، وامّا طلب أبي بكر للدعة والسلامة في هذا الموطن الحرج فلماذا وليس هذه الموقف بأوّل موقف خافت له ولصاحبيه فانك سوف تقرأ عن هؤلاء الرفقة انهم لم يكونوا دائماً إلّا ناظرين للوضع كالمتفرج لا مباشرين للخطوب ولا مغامرين بأنفسهم كما يفعل اخوتهم المسلمون في كافة هاته الجبهات الدامية وان كانوا إذا حيس الحيس وانفرجت

الأزمة تقدموا يطالبون بسوابقهم ومواقفهم.

وإذا تكـــون كـــريهة أدعـــى لهـــا وإذا يحاس الحيس يدعى جندب

عليّ يدك هذه الأضراس المتصلبة ويفتح أبـواب النـجاح فـإذا بـردت كـل القضايا الحارة تقدم القوم يريدون الخلافة وبسط الحكومة على النـاس كـانهم يطالبون الناس مساعيهم الغرّ اليهم وأياديهم المشكورة لديهم.

قال ابن اسحاق: وقد رمى مهجع مولى عمر بن الخطاب بسهم فقتل فكان أوّل قتيل من المسلمين ثمّ رمى حارثة بن سراقة أحد بني عـدي بـن النـجار وهـو يشرب من الحوض بسهم فأصاب نحره فقتل، قال: ثمّ خرج رسـول الله ﷺ إلى الناس فحرّضهم وقال: والذي نفس محمّد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلّا أدخله الله الجنة، فقال عمير بن الحمام اخو بني سلمة وفي يده تمرات يأكلهن بخ بخ أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلّا أن يقتلني هؤلاء ثمّ قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل، وقال عوف بن الحارث وهو ابن عفراء: يا رسول الله ما يضحك الرب من عبده، قال غمسه يده في العدو حاسراً فنزع درعاً كانت عليه فقذفها ثمّ أخذ سيفه فقاتل القوم حـتى قتل، ولما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قال أبو جهل بن هشام: اللهم اقطعنا للرحم وآتنا بما لا يعرف فأحنه الغداة فكان هو المستفتح.

ثمّ انّ رسول الله أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل قريشاً بها ثمّ قال: شـاهت الوجوه ثمّ نفحهم بها وأمر أصحابه فقال: شدّوا فكانت الهزيمة فقتل الله تعالى من قتل من صناديد قريش وأسر من أسر من أشرافـهم فـلما وضـع القـوم أيـديهم يأسرون ورسول الله في العريش وسعد بن معاذ قائم على باب العريش الذي فيه رسول الله ﷺ متوشح السيف في نفر من الأنصار يحرسون رسـول الله ﷺ

يخافون عليه كرّة العدو ورأى رسول الله ﷺ في وجه سعد بن معاذ الكراهـية لما يصنع الناس قال ﷺ له: والله لكأنك يا سعد تكره ما يصنع القوم، قال: أجل يا رسول الله كانت أوّل وقعة أوقعها الله بأهل الشرك فكان الاثخان في القتل بأهل الشرك أحب إليّ من استبقاء الرجال.

عن ابن عباس: انّ النبي ﷺ قال لأصحابه يومئذ: اني قد عرفت انّ رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهاً لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقى منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله ومن لقي أبا البختري بن هشام ابن الحارث بن أسد فلا يقتله ومن لقى العباس بن عبد المطلب فلا يقتله فإنّه إنّما أُخرج مستكرهاً. قال ابن اسحاق: وإنّما نهى رسول الله ﷺ عن قتل أبي البختري لأنّه كان أكف القوم عن رسول الله وهو بمكة، وكان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه وكان ممن قام في نقض الصحيفة فلقيه المجذر بن ذياد البلوى فقال المجذر لأبي البختري: انّ رسول الله ﷺ قد نهانا عن قتلك ومع أبي البختري زميل له قد خرج معه من مكة وهو جنادة بن مليحة بنت زهير بن الحارث بن أسد، قال: وزميلي فقال له المجذر: لا والله ما نحن بتاركي زميلك ما أمرنا رسول الله ﷺ إلّا بك وحدك، فقال: لا والله إذاً لأموتن أنا وهو جميعاً، لا تتحدث عني نساء مكة اني تـركت زميلي حرصاً على الحياة، فاقتتلا فقتله المـجذر ثـمّ انّ المـجذر أتـى رسـول الله ﷺ فقال: والذي بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأسر فآتيك به فأبى إلّا أن يقاتلني فقاتلته فقتلته.

عن عبد الرحمن بن عوف قال: كان امية بن خلف صديقاً لي بمكة حـتى إذا كان يوم بدر مررت به وهو واقف مع ابنه على بن امية آخذ بيده ومعي ادراع قد استلبتها فأنا أحملها فلما رآني قال لي: يا عبد الإله فقلت نعم، قال: هل لك فيّ فأنا خير لك من هذه الأدراع التي معك، قلت: نعم، قال: فـطرحت الأدراع مـن

يدي وأخذت بيده ويد ابنه وهو يقول: ما رأيت كاليوم قط أما لكم حاجة في اللبن [١] ثمّ خرجت أمشي بينهما فقال لي امية بن خلف من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره؟ قلت: ذاك حمزة بن عبد المطلب، قال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل، قال عبد الرحمن: فوالله اني لأقودهما إذ رآه بلال معي وكان هو الذي يعذب بلالاً بمكة على ترك الإسلام قال رأس الكفر امية بن خلف لا نجوت ان نجا، ثمّ صرخ بأعلا صوته: يا أنصار الله رأس الكفر امية بن خلف، قال فأحاطوابنا وأنا أذب عنه فضرب رجل بالسيف رجل ابنه فوقع وصاح امية صيحة ما سمعت مثلها قط فقلت: انج بنفسك ولا نجاة بك فوالله ما أغني عنك شيئاً قال فقطعوهما بأسيافهم حتى فرغوا منهما.

فلما فرغ رسول الله ﷺ من عدوه أمر بأبي جهل أن يلتمس في القتلى، وكان أوّل من لقى أبا جهل معاذ بن عمرو بن الجموح اخو بني سلمة قال سمعت القوم: وأبو جهل قد أحاطت به رجاله لا يوصل إليه، وهم يقولون: أبو الحكم لا يخلص إليه فلما سمعتها جعلته من شأني فصمدت نحوه فلما أمكنني حملت عليه فضربته ضربة أطنّت قدمه بنصف ساقه فوالله ما شبهتها حين طاحت إلّا بالنواة تطيح من تحت مرضخة [٢] النوى حين يضرب بها، قال: وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي فتعلقت بجلدة من جنبي وأجهضني القتال عنه فلقد قاتلت عامة يومي واني لأسحبها خلفي فلما آذتني وضعت عليها قدمي ثمّ تمطيت بها حتى طرحتها.

قال ابن اسحاق: ثمّ عاش بعد ذلك حتى كان زمان عثمان، ثمّ مرّ بأبي جهل

---

(١) أي فداء ليه ابل ذات لبن.

(٢) المرضخة آلة يدق بها النوى للعلف.

وهو عقير معوّذ بن عفراء فضربه حتى أثبته فتركه وبه رمق وقاتل معوّذ حتى قتل فمرّ عبد الله بن مسعود بأبي جهل حين أمر رسول الله أن يلتمس في القتلى فوجده بآخر رمق قال فعرفته فوضعت رجلي على عنقه ثمّ قلت له هل أخزاك الله يا عدو الله، قال: وبماذا أخزاني أعار على رجل قتلتموه، أخبرني لمن الدائرة اليوم؟ قلت: لله ولرسوله، ثمّ احتززت رأسه وجئت به رسول الله فالقيته بين يديه فحمد الله.

قال ابن اسحاق: وأمر رسول الله بالقتلى أن يطرحوا في القليب فطرحوا فيه إلّا ما كان من امية بن خلف فإنّه انتفخ في درعه فملاها فذهبوا ليحركوه فتزايل لحمه فأقروه والقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة فلما القاهم في القليب وقف عليهم رسول الله ﷺ فقال: يا أهل القليب هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً فاني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً.

قال ابن اسحاق ثمّ بعث رسول الله ﷺ عند الفتح عبد الله بن رواحة بشيراً إلى أهل العالية بما فتح الله على رسوله وعلى المسلمين وبعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة قال اسامة بن زيد فأتانا الخبر حين سوّينا التراب على رقية ابنة رسول الله التي كانت عند عثمان بن عفان: انّ زيد بن حارثة قد قدم قال فجئته وهو واقف بالمصلّى قد غشيه الناس وهو يقول: قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو جهل بن هشام وزمعة بن الأسود وأبو البختري العاص بن هشام وامية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج قال قلت: يا ابت أحق هذا؟ قال: نعم والله يا بنيّ.

ثمّ أقبل رسول الله ﷺ قافلاً إلى المدينة ومعه الأسارى من المشركين وفيهم عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث واحتمل رسول الله ﷺ معه النفل الذي أُصيب من المشركين ثمّ أقبل رسول الله ﷺ حتى إذا خرج من مضيق

الصفراء قسم هنالك النفل الذي أفاء الله على المسلمين من المشركين على السواء.

قال ابن اسحاق: حتى إذا كان رسول الله ﷺ بالصفراء قتل النضر بن الحارث قتله علي بن أبي طالب ثمّ خرج حتى إذا كان بعرق الظبية قتل عقبة بن أبي معيط قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري. قال ابن هشام: ويقال قتله علي بن أبي طالب فيما ذكر لي ابن شهاب الزهري وغيره من أهل العلم. ثمّ مضى رسول الله ﷺ حتى قدم المدينة قبل الاسارى بيوم. قال ابن هشام: وحدثني بعض أهل العلم انّه كان مع المسلمين يوم بدر من الخيل فرس مرثد بن أبي مرثد الغنوي وفرس المقداد بن عمرو البهراني وفرس الزبير بن العوام.

من حضر بدراً من المسلمين

من بني هاشم والمطلب: ١ ـ محمّد بن عبد الله ﷺ. ٢ ـ حمزة بن عبد المطلب. ٣ ـ علي بن أبي طالب. ٤ ـ زيد بن حارثة. ٥ ـ أنسة مولى رسول الله. ٦ ـ أبو كبشة مولى رسول الله. ٧ ـ أبو مرثد كناز. ٨ ـ وابنه مرثد بن أبي مرثد حليفا حمزة بن عبد المطلب. ٩ ـ عبيدة بن الحارث وأخواه. ١٠ ـ الطفيل بن الحارث. ١١ ـ والحصين بن الحارث. ١٢ ـ وعوف بن اثاثة بن عبّاد بن المطلب. اثنا عشر رجلاً.

من بني عبد شمس وحلفائهم: ١٣ ـ أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة. ١٤ ـ سالم مولى أبي حذيفة. ١٥ ـ عبد الله بن جحش بن رئاب. ١٦ ـ عكّاشة بن محصن. ١٧ ـ شجاع بن وهب بن ربيعة. ١٨ ـ وأخوه عقبة بن وهب. ١٩ ـ ويزيد بن رقيش بن رئاب. ٢٠ ـ وأبو سنان بن محصن اخو عكاشة بن محصن. ٢١ ـ وابنه سنان بن أبي سنان. ٢٢ ـ ومحرز بن نضلة بن عبد الله. ٢٣ ـ وربيعة بن أكثم.

من حلفاء بني كبير بن غنم بن دودان بن أسد: ٢٤ ـ ثقف بن عمرو وأخواه. ٢٥ ـ مالك بن عمرو. ٢٦ ـ ومدلج بن عمرو. ٢٧ ـ وأبو مخشي حليف لهم. قال ابن اسحاق ستة عشر رجلاً.

والحق انهم خمسة عشرة رجلاً وذلك انّ ابن اسحاق عدّ معهم عثمان بن عفان بزعمه انّه تخلّف على امرئته رقية بنت رسول الله ﷺ فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه فيعد ابن اسحاق ذلك نظير حضوره في المعركة وهو اشتباه فإنّ الغائب لا يعدّ حاضراً على نحو الحقيقة والكلام فيها قطعاً.

ومن بني نوفل بن عبد مناف: ٢٨ ـ عتبة بن غزوان. ٢٩ ـ وخبّاب مولى عتبة بن غزوان ـ رجلان.

ومن بني أسد بن عبد العزى: ٣٠ ـ الزبير بن العوام بن خويلد. ٣١ ـ حاطب بن أبي بلتعة. ٣٢ ـ سعد مولى حاطب. ثلاثة نفر.

ومن بني عبد الدار بن قصي: ٣٣ ـ مصعب بن عمير. ٣٤ ـ سويبط بن سعد، رجلان.

ومن بني زهرة بن كلاب: ٣٥ ـ عبد الرحمن بن عوف. ٣٦ ـ سعد بن أبي وقاص. ٣٧ ـ واخوه عمير بن أبي وقاص، ومن حلفائهم: ٣٨ ـ المقداد بن عمرو. ٣٩ ـ عبد الله بن مسعود. ٤٠ ـ ومسعود بن ربيعة. ٤١ ـ وذو الشمالين. ٤٢ ـ وخبّاب بن الأرت، ثمانية نفر.

ومن بني تيم بن مرة: ٤٣ ـ أبو بكر. ٤٤ ـ بلال مولى أبي بكر. ٤٥ ـ عامر بن فهيرة. ٤٦ ـ صهيب بن سنان. قال ابن اسحاق خمسة نفر وذلك لأنّه عدّ فيهم طلحة بن عبيد الله مع اعترافه انّه لم يكن حاضر بدر وإنّما كان بالشام فقدم بعد رجوع رسول الله من بدر فكلّمه فضرب له بسهمه فعدّه في حاضري بدر اشتباه كما سلف في عثمان بن عفان.

من بني مخزوم: ٤٧ ـ أبو سلمة بن عبد الأسد. ٤٨ ـ شماس بن عثمان بن الشريد. ٤٩ ـ والأرقم بن أبي الأرقم. ٥٠ ـ عمار بن ياسر. ٥١ ـ معتب بن عوف، خمسة نفر.

ومن بني عدي بن كعب وحلفائهم ٥٢ ـ عمر بن الخطاب. ٥٣ ـ زيد بن الخطاب. ٥٤ ـ مهجع مولى عمر. ٥٥ ـ عمرو بن سراقة بن المعتمر. ٥٦ ـ وأخوه عبد الله بن سراقة. ٥٧ ـ وواقد بن عبد الله حليف لهم. ٥٨ ـ خولّي بن أبي خولّي. ٥٩ ـ ومالك بن أبي خولى حليفان لهم. ٦٠ ـ عامر بن ربيعة حليف آل الخطاب. ٦١ ـ عامر بن البكير بن عبد ياليل. ٦٢ ـ عاقل بن البكير. ٦٣ ـ خالد بن البكير. ٦٤ ـ أياس بن البكير، حلفاء بني عدي بن كعب.

قال: ابن اسحاق أربعة عشر رجلاً: وذلك انّه عدّ من حاضري بدر سعيد بن زيد مع اعترافه بأنّه كان في الشام وقدم منها بعد رجوع رسول الله من بدر فكلّمه فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وهو اشتباه منه كما أسلفناه في عثمان وطلحة.

ومن بني جمح وحلفائهم: ٦٥ ـ عثمان بن مظعون. ٦٦ ـ وابنه السائب بن عثمان. ٦٧ ـ وأخواه قدامة بن مظعون. ٦٨ ـ وعبد الله بن مظعون. ٦٩ ـ معمر بن الحارث، خمسة نفر.

ومن بني سهم: ٧٠ ـ رجل.

ومن بني عامر بن لؤي: ٧١ ـ أبو سبرة بن أبي رهم. ٧٢ ـ عبد الله بن مخرمة. ٧٣ ـ عبد الله بن سهيل بن عمرو. ٧٤ ـ عمير بن عوف. ٧٥ ـ سعد بن خولة حليف لهم، خمسة نفر.

ومن بني الحارث بن فهر: ٧٦ ـ أبو عبيدة بن الجراح. ٧٧ ـ وعمرو بن الحارث بن زهير. ٧٨ ـ سهيل بن وهب. ٧٩ ـ صفوان بن وهب أخوه وهما ابنا

بيضاء. ٨٠ ـ عمرو بن أبي سرح، خمسة نفر. فجميع من شهد بدراً من المهاجرين ومن ضرب له رسول الله ﷺ بسهمه واجره ثلاثة وثمانون رجلاً.

أقول: ثمانون عدة الحاضرين منهم وثلاثة عدة من ضرب له بسهمه وأجره كما يقال: قال ابن هشام كثير من أهل العلم غير ابن اسحاق يذكرون في المهاجرين ببدر في بني عامر بن لؤي وهب بن سعد بن أبي سرح وحاطب بن عمرو وفي بني الحارث بن فهر عياض بن زهير.

الأنصار ومن معهم

من بني عبد الأشهل وحلفائهم: ٨١ ـ سعد بن معاذ. ٨٢ ـ وعمرو بن معاذ. ٨٣ ـ والحارث بن اوس بن معاذ. ٨٤ ـ والحارث بن أنس بن رافع. ٨٥ ـ وسعد بن زيد بن مالك. ٨٦ ـ وسلمة بن سلامة بن وقش. ٨٧ ـ وعبّاد بن بشر بن وقش. ٨٨ ـ وسلمة بن ثابت بن وقش. ٨٩ ـ ورافع بن يزيد بن كرز. ٩٠ ـ والحارث بن خزمة. ٩١ ـ ومحمّد بن مسلمة. ٩٢ ـ وسلمة بن أسلم بن حريش. ٩٣ ـ وأبو الهيثم بن التيهان. ٩٤ ـ وعبيد بن التيهان. ٩٥ ـ وعبد الله بن سهل، خمسة عشر رجلاً.

ومن بني ظفر: ٩٦ ـ قتادة بن النعمان بن زيد. ٩٧ ـ وعبيد بن اوس بن مالك، رجلان.

ومن بني عبد بن رزاح وحلفائهم: ٩٨ ـ نصر بن الحارث بن عبد. ٩٩ ـ ومعتّب بن عبد. ١٠٠ ـ وعبد الله بن طارق، ثلاثة نفر.

ومن بني حارثة وحلفائهم: ١٠١ ـ مسعود بن سعد. ١٠٢ ـ وأبو عبس بن جبر. ١٠٣ ـ وأبو بردة بن نيار، ثلاثة نفر.

ومن بني عمرو بن عوف: ١٠٤ ـ عاصم بن ثابت بن قيس. ١٠٥ ـ ومعتّب بن

قشير. ١٠٦ ـ وأبو مليل بن الأزعر. ١٠٧ ـ وعمرو بن معبد. ١٠٨ ـ وسهل بن حنيف، خمسة نفر.

ومن بني أُمية بن زيد بن مالك: ١٠٩ ـ مبشر بن عبد المنذر. ١١٠ ـ ورفاعة بن عبد المنذر. ١١١ ـ وسعد بن عبيد. ١١٢ ـ وعويم بن ساعدة. ١١٣ ـ ورافع بن عنجدة. ١١٤ ـ وعبيد بن أبي عبيد. ١١٥ ـ وثعلبة بن حاطب، سبعة نفر. وذكر ابن اسحاق انّ أبا لبابة بن عبد المنذر والحارث بن حاطب خرجا مع النبي ﷺ فرجّعهما لأمر وضرب لهما بسهمين مع أصحاب بدر ولذلك عدّهم في عدة حاضري بدر ونحن أسقطناهم من العدد لأنّ المنظور من حضر فقط.

ومن بني عبيد بن زيد بن مالك وحلفائهم: ١١٦ ـ أنيس بن قتادة. ١١٧ ـ ومعن بن عدي بن الجد. ١١٨ ـ وثابت بن أقرم. ١١٩ ـ وعبد الله بن سلمة. ١٢٠ ـ وزيد بن أسلم. ١٢١ ـ وربعيّ بن رافع، ستة نفر. قال ابن اسحاق: وخرج عاصم بن عدي بن الجد فرده رسول الله ﷺ وضرب له بسهمه مع أصحاب بدر فعدّه في العدد وأسقطناه نحن لأنّه لم يحضر بدراً.

ومن بني ثعلبة بن عمرو بن عوف: ١٢٢ ـ عبد الله بن جبر. ١٢٣ ـ وعاصم بن قيس. ١٢٤ ـ وأبو ضيّاح بن ثابت بن النعمان. ١٢٥ ـ وأبو حنّة. قال ابن هشام هو أخو أبي ضيّاح ويقال أبو حبة بالباء. ١٢٦ ـ وسالم بن عمير. ١٢٧ ـ والحارث بن النعمان، وخوات بن جبير، قال ابن اسحاق: ضرب له رسول الله ﷺ بسهم مع أصحاب بدر فهو إذاً ليس من حاضريها فالعدة إذن ستة لا سبعة.

ومن بني حجبي وحلفائهم: ١٢٨ ـ منذر بن محمّد. ١٢٩ ـ وأبو عقيل بن عبد الله بن ثعلبة، رجلان.

ومن بني غنم: ١٣٠ ـ سعد بن خيثمة. ١٣١ ـ ومنذر بن قدامة. ١٣٢ ـ ومالك

بن قدامة. ١٣٣ ـ والحارث بن عرفجة. ١٣٤ ـ وتميم مولى بني غنم، خمسة نفر.

من بني معاوية وحلفائهم: ١٣٥ ـ جبر بن عتيك. ١٣٦ ـ ومالك بن نميلة حليف لهم. ١٣٧ ـ والنعمان بن عصر حليف لهم أيضاً، ثلاثة نفر. فجميع من شهد بدراً من الأوس مع رسول الله سبعة وخمسون ومن ضرب له بسهمه مع البدريين أربعة يكون المجموع واحداً وستين رجلاً.

من بني امرىء القيس من الخزرج: ١٣٨ ـ خارجة بن زيد. ١٣٩ ـ وسعد بن الربيع. ١٤٠ ـ عبد الله بن رواحة. ١٤١ ـ وخلاد بن سويد، أربعة نفر.

ومن بني زيد من الخزرج: ١٤٢ ـ بشير بن سعد. ١٤٣ ـ وأخوه سماك بن سعد، رجلان.

ومن بني عدي من الخزرج: ١٤٤ ـ سبيع بن قيس. ١٤٥ ـ وعبّاد بن قيس أخوه. ١٤٦ ـ وعبد الله بن عبس، ثلاثة نفر.

ومن بني أحمد من الخزرج: ١٤٧ ـ يزيد بن الحارث بن قيس، رجل.

ومن بني جشم وزيد ابني الحارث بن الخزرج: ١٤٨ ـ خبيب بن إساف. ١٤٩ ـ وعبد الله بن زيد. ١٥٠ ـ وأخوه حريث بن زيد. ١٥١ ـ وسفيان بن نسر، أربعة نفر.

ومن بني جدارة من الخزرج: ١٥٢ ـ تميم بن يعار. ١٥٣ ـ وعبد الله بن عمير. ١٥٤ ـ وزيد بن المزّين. ١٥٥ ـ وعبد الله بن عرفطة، أربعة نفر.

ومن بني الابجر: ١٥٦ ـ عبد الله بن ربيع، رجل.

ومن بني عوف بن الخزرج: ١٥٧ ـ عبد الله بن عبد الله بن أبيّ. ١٥٨ ـ واوس بن خولى، رجلان.

ومن بني جزء وحلفائهم: ١٥٩ ـ زيد بن وديعة. ١٦٠ ـ وعقبة بن وهب

حليف لهم. ١٦١ ـ ورفاعة بن عمرو. ١٦٢ ـ وعامر بن سلمة حليف لهم. ١٦٣ ـ وأبو حميضة معبد بن عبّاد. ١٦٤ ـ وعامر بن البكير حليف لهم، ستة نفر.

ومن بني سالم: ١٦٥ ـ نوفل بن عبد الله، رجل.

ومن بني أصرم: ١٦٦ ـ عبادة بن الصامت. ١٦٧ ـ وأخوه اوس بن الصامت، رجلان.

ومن بني دعد: ١٦٨ ـ النعمان بن مالك، رجل.

ومن بني قريوش: ١٦٩ ـ ثابت بن هزّال، رجل.

ومن بني مرضخة: ١٧٠ ـ مالك بن الدخشم، رجل.

ومن بني لوذان وحلفائهم: ١٧١ ـ ربيع بن اياس. ١٧٢ ـ وأخوه ورقة بن إياس. ١٧٣ ـ وعمر بن اياس حليف لهم، ثلاثة نفر. قال ابن اسحاق ومن حلفائهم: ١٧٤ ـ المجذر بن زياد. ١٧٥ ـ وعبادة بن الخشخاش. ١٧٦ ـ ونحّاب بن ثعلبة. ١٧٧ ـ وعبد الله بن ثعلبة. ١٧٨ ـ وزعموا أنّ عتبة بن ربيعة حليف لهم من بهراء قد شهد بدراً، خمسة نفر.

ومن بني ساعدة: ١٧٩ ـ أبو دجانة سماك بن خرشة. ١٨٠ ـ والمنذر بن عمرو، رجلان.

ومن بني البديّ وحلفائهم: ١٨١ ـ أبو أسيد مالك بن ربيعة. ١٨٢ ـ ومالك بن مسعود، رجلان.

ومن بني طريف بن الخزرج وحلفائهم: ١٨٣ ـ عبد ربه بن حق. ١٨٤ ـ وكعب بن حمار. (٥ و ٦ ١٨٧) وضمرة وزياد وبسبس بنو عمرو. ١٨٨ ـ وعبد الله بن عامر ستة نفر.

ومن بني جشم بن الخزرج: ١٨٩ ـ خراش بن الصمة بن عمرو بن الجموح. ١٩٠ ـ والحباب بن المنذر بن الجموح. ١٩١ ـ وعمير بن الحمام بن الجموح.

١٩٢ ـ وتميم مولى خراش بن الصمة. ١٩٣ ـ وعبد الله بن عمرو بن حرام. ١٩٤ ـ ومعاذ بن عمرو بن الجموح. ١٩٥ ـ ومعوّذ بن عمرو بن الجموح. ١٩٦ ـ وخلاد بن عمرو بن الجموح. ١٩٧ ـ وعقبة بن عامر بن نابي. ١٩٨ ـ وحبيب بن أسود مولى لهم. ١٩٩ ـ وثابت بن ثعلبة بن زيد. ٢٠٠ ـ وعمير بن الحارث بن ثعلبة، اثنا عشر رجلاً.

ومن بني عبيد وحلفائهم: ٢٠١ ـ بشر بن البراء بن معرور. ٢٠٢ ـ والطفيل بن مالك بن خنساء. والطفيل بن النعمان بن خنساء. ٢٠٤ ـ وسنان بن صيفي. ٢٠٥ ـ وعبد الله بن الجد بن قيس. ٢٠٦ ـ وعتبة بن عبد الله بن صخر. ٢٠٧ ـ وجبار بن صخر. ٢٠٨ ـ وخارجة بن حمير. ٢٠٩ ـ وعبد الله بن حمير حليفان لهم، تسعة نفر.

ومن بني خناس: ٢١٠ ـ يزيد بن المنذر. ٢١١ ـ ومعقل بن المنذر. ٢١٢ ـ وعبد الله بن النعمان. ٢١٣ ـ والضحاك بن حارثة. ٢١٤ ـ وسواد بن زريق. ٢١٥ ـ ومعبد بن قيس. ١١٦ ـ وعبد الله بن قيس، سبعة نفر.

ومن بني النعمان: ٢١٧ ـ عبد الله بن عبد مناف. ٢١٨ ـ وجابر بن عبد الله بن رئاب. ٢١٩ ـ وخليدة بن قيس. ٢٢٠ ـ والنعمان بن سنان مولى لهم، أربعة نفر.

ومن بني سواد: ٢٢١ ـ يزيد بن عامر بن حديدة. ٢٢٢ ـ وسليم بن عمرو بن حديدة. ٢٢٣ ـ وقطبة بن عامر بن حديدة. ٢٢٤ ـ وعنترة مولى سليم بن عمرو، اربعة نفر.

ومن بني عدي بن نابي: ٢٢٥ ـ عبس بن عامر بن عدي. ٢٢٦ ـ وثعلبة بن غنمة بن عدي. ٢٢٧ ـ وكعب بن عمرو بن عبّاد. ٢٢٨ ـ وسهل بن قيس بن أبي كعب. ٢٢٩ ـ وعمرو بن طلق بن زيد. ٢٣٠ ـ ومعاذ بن جبل، ستة نفر.

ومن بني زريق: ٢٣١ ـ قيس بن محصن بن خالد. ٢٣٢ ـ والحارث بن قيس

ابن خالد. ٢٣٣ ـ وجبير بن اياس بن خالد. ٢٣٤ ـ وأبو عبادة سعد بن عثمان. ٢٣٥ ـ وأخوه عقبة بن عثمان. ٢٣٦ ـ وذكوان بن عبد قيس. ٢٣٧ ـ ومسعود بن خلدة بن عامر، سبعة نفر.

ومن بني خالد: ٢٣٨ ـ عبّاد بن قيس بن عامر، رجل.

ومن بني خلدة: ٢٣٩ ـ أسعد بن يزيد بن الفاكه. ٢٤٠ ـ والفاكه بن بشر. ٢٤١ ـ ومعاذ بن ماعص. ٢٤٢ ـ وأخوه عائذ بن ماعص. ٢٤٣ ـ ومسعود بن سعد بن قيس، خمسة نفر.

ومن بني العجلان: ٢٤٤ ـ رفاعة بن رافع بن العجلان. ٢٤٥ ـ وأخوه خلاد بن رافع. ٢٤٦ ـ وعبيد بن زيد بن عامر، ثلاثة نفر.

ومن بني بياضة: ٢٤٧ ـ زياد بن لبيد بن ثعلبة. ٢٤٨ ـ وفروة بن عمرو بن وذقة. ٢٤٩ ـ وخالد بن قيس بن مالك. ٢٥٠ ـ ورجيلة بن ثعلبة بن خالد. ٢٥١ ـ وعطية بن نويرة بن عامر. ٢٥٢ ـ وخليفة بن عدي، ستة نفر.

ومن بني حبيب: ٢٥٣ ـ رافع بن المعلّى بن لوذان، رجل.

ومن بني النجار: ٢٥٤ ـ أبو أيّوب خالد بن زيد الأنصاري، رجل.

ومن بني عسيرة: ٢٥٥ ـ ثابت بن خالد بن النعمان، رجل.

ومن بني عمرو: ٢٥٦ ـ عمارة بن حزم بن زيد. ٢٥٧ ـ وسراقة بن كعب بن عبد العزّى، رجلان.

ومن بني عبيد بن ثعلبة: ٢٥٨ ـ حارثة بن النعمان بن زيد. ٢٥٩ ـ وسليم بن قيس، رجلان.

ومن بني عائذ وحلفائهم: ٢٦٠ ـ سهيل بن رافع. ٢٦١ ـ وعدي بن الزغباء حليف لهم، رجلان.

ومن بني زيد: ٢٦٢ ـ مسعود بن أوس بن زيد. ٢٦٣ ـ وأبو خزيمة بن أوس

ابن زيد. ٢٦٤ ـ ورافع بن الحارث بن سواد، ثلاثة نفر.

ومن بني سواد وحلفائهم: ٥ و ٦ ـ ٢٦٧ ـ عوف ومعوذ ومعاذ بنو الحارث بن رفاعة وهم بنو عفراء. ٢٦٨ ـ والنعمان بن عمرو بن رفاعة. ٢٦٩ ـ وعامر بن مخلّد بن الحارث. ٢٧٠ ـ وعبد الله بن قيس بن خالد. ٢٧١ ـ وعصيمة حليف لهم. ٢٧٢ ـ ووديعة بن عمرو حليف أيضاً. ٢٧٣ ـ وثابت بن عمرو. ٢٤٧ ـ وزعموا أنّ أبا الحمراء مولى الحارث بن عفراء قد شهد بدراً، عشرة نفر.

ومن بني عامر بن مالك: ٢٧٥ ـ ثعلبة بن عمرو بن محصن. ٢٧٦ ـ وسهل بن عتيك بن عمرو. والحارث بن الصمة بن عمرو كسر به بالروحاء فضرب له النبي بسهمه، وعلى قاعدتنا لا يعدّ في عداد حاضري بدر، ثلاثة نفر.

ومن بني عمرو بن مالك. ٢٧٧ ـ أبيّ بن كعب بن قيس. ٢٧٨ ـ وأنس بن معاذ بن أنس، رجلان.

ومن بني عدي بن عمرو: ٢٧٩ ـ أوس بن ثابت بن المنذر. ٢٨٠ ـ وأبو شيخ أبيّ بن ثابت بن المنذر. ٢٨١ ـ وزيد بن سهل بن الأسود، ثلاثة نفر.

ومن بني عدي بن النجار: ٢٨٢ ـ حارثة بن سراقة بن الحارث. ٢٨٣ ـ وعمرو بن ثعلبة بن وهب. ٢٨٤ ـ وسليط بن قيس بن عمرو. ٢٨٥ ـ وأبو سليط أسيرة بن عمرو. ٢٨٦ ـ وثابت بن خنساء بن عمرو. ٢٨٧ ـ وعامر بن امية بن زيد. ٢٨٨ ـ ومحرز بن عامر بن مالك. ٢٨٩ ـ وسواد بن غزية بن أهيب حليف لهم، ثمانية نفر.

ومن بني حرام بن جندب: ٢٩٠ ـ قيس بن سكن بن قيس. ٢٩١ ـ وأبو الأعور بن الحارث بن ظالم. ٢٩٢ ـ وسليم بن ملحان. ٢٩٣ ـ وحرام بن ملحان، أربعة نفر.

ومن بني مازن بن النجار: ٢٩٤ ـ قيس بن أبي صعصعة. ٢٩٥ ـ وعبد الله بن

كعب بن عمرو. ٢٩٦ ـ وعصيمة حليف لهم، ثلاثة نفر.

ومن بني خنساء بن مبذول: ٢٩٧ ـ عمير بن عامر بن مالك. ٢٩٨ ـ وسراقة بن عمرو بن عطية، رجلان.

ومن بني ثعلبة بن مازن: ٢٩٩ ـ قيس بن مخلّد بن ثعلبة. رجل.

ومن بني دينار بن النجار: ٣٠٠ ـ النعمان بن عبد عمرو. ٣٠١ ـ والضحاك بن عبد عمرو. ٣٠٢ ـ وسليم بن الحارث بن ثعلبة. ٣٠٣ ـ وجابر بن خالد بن عبد الأشهل. ٣٠٤ ـ وسعد بن سهيل بن عبد الأشهل، خمسة نفر.

ومن بني قيس بن مالك: ٣٠٥ ـ كعب بن زيد بن قيس. ٣٠٦ ـ وبجير بن أبي بجير حليف لهم، رجلان.

وأضاف ابن هشام استدراكاً على ابن اسحاق: في بني العجلان: ٣٠٧ ـ عتبان بن مالك بن عمرو و ٣٠٨ ـ ومليل بن وبرة بن خالد. ٣٠٩ ـ وعصمة بن الحصين بن وبرة. وفي بني حبيب: ٣١٠ ـ هلال بن المعلّى.

قال ابن اسحاق: فجميع من شهد بدراً من الخزرج مئة وسبعون رجلاً وجميع من شهد بدراً من المسلمين من المهاجرين والأنصار من شهدها منهم ومن ضرب له بسهمه وأجره ثلاث مأة رجل وأربعة عشر رجلاً من المهاجرين ثلاثة وثمانون رجلاً ومن الأوس واحد وستون رجلاً ومن الخزرج ـ كما سلف ـ مئة وسبعون رجلاً.

من استشهد من المسلمين يوم بدر

١ ـ عبيدة بن الحارث. ٢ ـ عمير بن أبي وقاص اخو سعد. ٣ ـ ذو الشمالين. ٤ ـ عاقل بن البكير. ٥ ـ مهجع مولى عمر بن الخطاب. ٦ ـ صفوان بين بيضاء. ٧ ـ سعد بن خيثمة. ٨ ـ مبشر بن عبد المنذر. ٩ ـ يزيد بن الحارث. ١٠ ـ عمير

ابن الحمام. ١١ ـ رافع بن المعلّى. ١٢ ـ حارثة بن سراقة بن الحارث. ١٣ و ١٤ ـ عوف ومعوّذ ابنا الحارث بن رفاعة وهما ابنا عفراء.

من قتل ببدر من المشركين

١ ـ حنظلة بن أبي سفيان، قتله زيد بن حارثة مولى النبي ﷺ. ويقال اشترط فيه حمزة وعلي وزيد. ٢ و ٣ ـ الحارث بن الحضرمي وعامر بن الحضرمي قتل عامراً عمار بن ياسر وقتل الحارث النعمان بن عصر. ٤ و ٥ ـ وعمير بن أبي عمير وابنه قتل عمير بن أبي عمير سالم مولى أبي حذيفة. ٦ ـ عبيدة بن سعد بن العاص قتله الزبير بن العوام. ٧ ـ والعاص بن سعيد بن العاص قتله علي بن أبي طالب. ٨ ـ عقبة بن أبي معيط قتله عاصم بن ثابت صبراً ويقال قتله علي بن أبي طالب. ٩ ـ عتبة بن ربيعة اشترك في قتله عبيدة وحمزة وعلي. ١٠ ـ شيبة بن ربيعة قتله حمزة بن عبد المطلب. ١١ ـ الوليد بن عتبة قتله علي بن أبي طالب. ١٢ ـ عامر بن عبد الله من بني أنمار بن بغيض قتله علي بن أبي طالب. ١٣ ـ الحارث بن عامر بن نوفل قتله خبيب بن إساف الخزرجي. ١٤ ـ وطعيمة بن عدي بن نوفل قتله علي بن أبي طالب ويقال حمزة بن عبد المطلب. ١٥ ـ زمعة بن الأسود بن المطلب قتله ثابت بن الجذع اخو بني حرام ويقال اشترك فيه حمزة وعلي بن أبي طالب وثابت. ١٦ ـ الحارث بن زمعة قتله عمار بن ياسر. ١٧ ـ عقيل بن الأسود بن المطلب قتله حمزة وعلي اشتركا فيه. ١٨ ـ وأبو البختري العاص بن هشام قتله المجذّر بن ذياد. ١٩ ـ ونوفل بن خويلد بن أسد قتله علي بن أبي طالب. ٢٠ ـ النضر بن الحارثة قتله علي بن أبي طالب. ٢١ ـ زيد بن مليص قتله بلال ويقال المقداد بن عمرو. ٢٢ ـ عمير بن عثمان التيمي قتله علي بن أبي طالب ويقال عبد الرحمن بن عوف. ٢٣ ـ عثمان بن

مالك قتله صهيب بن سنان. ٢٤ ـ أبو جهل بن هشام ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح فقطع رجله ثمّ ضربه معوّذ بن عفراء حتى أثبته وبه رمق ثمّ ذفف عليه عبد الله بن مسعود. ٢٥ ـ العاص بن هشام قتله عمر بن الخطاب. ٢٦ ـ يزيد بن عبد الله قتله عمار بن ياسر. ٢٧ ـ أبو مسافع الأشعري قتله أبو دجانة الساعدي. ٢٨ ـ حرملة بن عمرو قتله خارجة بن زيد الخزرجي ويقال علي بن أبي طالب. ٢٩ ـ مسعود بن أبي امية بن المغيرة قتله علي بن أبي طالب. ٣٠ ـ أبو قيس بن الوليد بن المغيرة قتله حمزة بن عبد المطلب. ٣١ ـ أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة قتله علي بن أبي طالب. ويقال قتله عمار بن ياسر. ٣٢ ـ رفاعة بن أبي رفاعة المخزومي قتله سعد بن الربيع الخزرجي. ٣٣ ـ المنذر بن أبي رفاعة قتله معن بن عدي بن الجد. ٣٤ ـ عبد الله بن المنذر بن أبي رفاعة قتله علي بن أبي طالب. ٣٥ ـ السائب بن أبي السائب، وينكر ابن هشام أن يكون قتل يوم بدر. ٣٦ ـ الأسود بن عبد الأسد المخزومي قتله حمزة بن عبد المطلب. ٣٧ ـ حاجب بن السائب بن عويمر المخزومي قتله علي بن أبي طالب. ٣٨ ـ عويمر بن السائب بن عويمر قتله النعمان بن مالك القوقلي. ٣٩ و ٤٠ ـ عمرو بن سفيان وجابر بن سفيان قتل عمراً يزيد بن رقيش وقتل جابراً أبو بردة بن نيار. ٤١ ـ منبه بن الحجاج قتله أبو اليسر اخو بني سلمة. ٤٢ ـ ابنه العاص بن منبه بن الحجاج قتله علي بن أبي طالب. ٤٣ ـ نبيه بن الحجاج قتله حمزة وسعد بن أبي وقاص اشتركا فيه. ٤٤ ـ أبو العاص بن قيس بن عدي قتله علي بن أبي طالب ويقال النعمان بن مالك القوقلي ويقال أبو دجانة. ٤٥ ـ عاصم بن عوف بن ضبيرة قتله أبو اليسر اخو بني سلمة. ٤٦ ـ امية بن خلف قتله رجل من الأنصار من بني مازن ويقال: بل قتله معاذ بن عفراء وخارجة بن زيد وخبيب بن إساف اشتركوا في قتله. ٤٧ ـ علي بن امية بن خلف قتله عمار بن ياسر. ٤٨ ـ أوس بن معير بن

لوذان الجمحي قتله علي بن أبي طالب ويقال قتله الحصين بن الحارث بن المطلب وعثمان بن مظعون اشتركا فيه. ٤٩ ـ معاوية بن وهب قتله خالد وإياس ابنا البكير ويقال أبو دجانة. إلى هنا اشترك ابن اسحاق وابن هشام في هذه العدة.

ثمّ انفرد ابن هشام باستدراكاته على ابن اسحاق مؤكداً انّ قتلى المشركين في بدر كانوا سبعين وأسراهم كذلك فقال: ٥١ ـ وهب بن الحارث الأنماري. ٥٢ ـ عامر بن زيد اليماني. ٥٣ ـ عقبة بن زيد اليماني. ٥٤ ـ عمير مولى بني أسد بن عبد العزّى. ٥٥ ـ نبيه بن زيد بن مليص. ٥٦ ـ عبيد بن سليط من قيس. ٥٧ ـ مالك بن عبيد الله بن عثمان التيمي. ٥٨ ـ ويقال عمرو بن عبد الله بن جدعان. ٥٩ ـ حذيفة بن أبي حذيفة بن المغيرة قتله سعد بن أبي وقاص. ٦٠ ـ هشام بن أبي حذيفة قتله صهيب بن سنان. ٦١ ـ زهير بن أبي رفاعة قتله أبو أسيد مالك بن ربيعة. ٦٢ ـ السائب بن أبي رفاعة قتله عبد الرحمن بن عوف. ٦٣ ـ عائذ بن السائب بن عويمر جرحه الحمزة فمات من جراء هذه الجراحة. ٦٤ ـ عمير من طي. ٦٥ ـ خيار من القارة. ٦٦ ـ سبرة بن مالك. ٦٧ ـ الحارث بن منبه بن الحجاج قتله صهيب بن سنان. ٦٨ ـ عامر بن عوف بن ضبيرة قتله عبد الله بن سلمة العجلاني ويقال أبو دجانة.

وابن هشام في استدراكه هذا كما تراه أهمل ذكر القاتلين من المسلمين لمن ذكرهم من قتلى المشركين إلّا قليلاً، وفي الخمسين الذين اشترك هو مع ابن اسحاق في تحقيق حالهم جاء ذكر لعلي بن أبي طالب في واحد وعشرين موضعاً من رقم أعدادهم فإذا بابن أبي طالب يربح نصف هذه المعركة التي منها ابتدأ عزّ المسلمين وذل المشركين وهو ربح له ماله من القيمة فليفخر عليّ ما شاء بموقفه هذا وبنظائره ويحق له الفخر على كلّ أحد بلا استثناء.

قال ابن أبي الحديد [١]: فجميع من قتل ببدر في رواية الواقدي من المشركين في الحرب وصبراً اثنان وخمسون رجلاً قتل علي عليه السلام منهم مع الذين شرك في قتلهم أربعة وعشرين رجلاً وقد كثرت الرواية انّ المقتولين ببدر كانوا سبعين ولكن الذين عرفوا وحفظت أسماؤهم من ذكرناه.

وقال ابن سعد [٢] عند كلامه على العدة التي خرجت مع النبي إلى بدر: انها تبلغ ثلاث مأة وخمسة نفر وثمانية تخلّفوا لعلة ضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسهامهم وأُجورهم ثلاثة من المهاجرين عثمان بن عفان تخلّف على امرأته رقية لمرضها وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بعثهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتحسسان خبر العير وخمسة خلّفه على أهل العالية والحارث بن حاطب ردّ ممن الروحاء إلى بني عمرو بن عوف لشيء بلغه عنهم والحارث بن الصمة كسر بالروحاء وخوّات بن جبير كسر أيضاً.

قال [٣]: وكان فداء الأسرى كل رجل منهم أربعة آلاف إلى ثلاثة آلاف إلى ألفين إلى ألف إلّا قوماً لا مال لهم منّ عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقال [٤]: أسر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر سبعين أسيراً وكان يفادي بهم على قدر أموالهم وكان أهل مكة يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون فمن لم يكن له فداء دفع إليه عشر غلمان من غلمان المدينة فعلّمهم فإذا حذقوا فهو فداؤه.

وذكر الطبري [٥] عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال: كان المهاجرون

---

(١) شرح نهج البلاغة: ج ٣ ص ٣٥٨ في كلامه على غزوة بدر.

(٢) الطبقات: ج ٣ ص ٥١.

(٣) المصدر نفسه: ص ٥٧.

(٤) المصدر نفسه: ص ٦١.

(٥) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٢٧٢.

يوم بدر سبعة وسبعين رجلاً وكان الأنصار مأتين وستة وثلاثين رجلاً وكان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب وصاحب راية الأنصار سعد بن عبادة.

وقال ابن الصباغ المالكي [١]: وهذا تفصيل شيء من مواقف أبي الحسن عليه السلام ومواطن جهاده التي قام فيها بالفروض والسنن فمنها ما كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدمه إلى المدينة الشريفة وعمر علي عليه السلام إذ ذاك سبع وعشرون سنة فاتفقت غزوة بدر التي أردت بالشرك فقصمت مطاه وفصمت عراه فيومها يوم خصّه الله تعالى بابدار بدره وبشرت بالنصر تباشير فجره ونزلت في الملائكة المسومة لإمداد نصره وانقسمت جموع المشركين يومئذ إلى مجدول بقتله ومخذول بأسره فكان علي عليه السلام خائضاً لجج غمراته بقلب لا ينحرف وقدم إقدام لا ينصرف يقطّ بشبا سيفه رقاب الهام قط الأقلام فكان عدة من قتل علي كرّم الله وجهه من مقاتلة المشركين على ما قيل في المغازي احداً وعشرين قتيلاً منهم من اتفق الناقلون على انفراده بقتله وهم تسعة:

١ ـ الوليد بن عتبة بن ربيعة خال معاوية بن أبي سفيان قتله مبارزة وكان شجاعاً جريئاً فتاكاً وقاحاً تهابه الأبطال. ٢ ـ والعاص بن سعيد بن العاص بن امية وكان هولاً عظيماً من الرجال المعدودين. ٣ ـ وعامر بن عبد الله. ٤ ـ ونوفل ابن خويلد وكان من شياطين قريش وكان من أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وكانت قريش تقدمه وتعظمه ولما عرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حضوره سأل الله أن يكفيه امره فقتله علي بن أبي طالب عليه السلام. ٥ ـ ومسعود بن امية بن المغيرة.

---

(١) في كتابه الفصول المهمة: ص ٣٥ وما بعدها.

٦ ـ وأبو قيس بن الفاكه . ٧ ـ وعبد الله بن المنذر بن أبي رفاعة . ٨ ـ والعاص بن منبه بن الحجاج . ٩ ـ وحاجب بن السائب . وأمّا الذين شاركه في قتلهم غيره فهم أربعة ؛ وامّا المختلف فيهم فسبعة ـ اهـ ملخصاً ـ .

روى الحاكم [١] عن قيس بن عباد قال : سمعت أبا ذر يقسم لنزلت هذه الآية في هؤلاء الرهط الستة يوم بدر عليّ وحمزة وعبيدة وشيبة وعتبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة : هذان خصمان اختصموا في ربهم ـ إلى قوله تعالى ـ نذقه من عذاب أليم .

وعن قيس بن عباد عن علي قال : نزلت هذان خصمان اختصموا في ربهم في الذين بارزوا يوم بدر حمزة بن عبد المطلب وعلي وعبيدة بن الحارث وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة قال علي : وأنا أوّل من يجثو للخصومة على ركبتيه بين يدي الله يوم القيامة . لقد صح الحديث بهذه الروايات عن علي كما صح عن أبي ذر الغفاري وان لم يخرجاه ، ولم يتعقبه الذهبي .

وذكر الحاكم أيضاً [٢] عن محمّد بن اسحان الثقفي عن محمّد بن عمرو الباهلي عن الأصمعي قال : كان خالد بن سعيد وأبان بن سعيد وعمرو بن سعيد من أهل الوابق في الإسلام واحيحة والعاص ابنا سعيد بن العاص قتلا يوم بدر كافرين وإنّما قتلهما علي بن أبي طالب .

قال أبو الفرج ابن الجوزي في الأحاديث الموضوعة بزعمه : عمار بن اخت سفيان عن طريف الحنظلي عن أبي جعفر محمّد بن علي قال : نادى مناد من السماء يوم بدر يقال له رضوان : لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا علي . عمار

---

(١) في المستدرك ج ٢ ص ٣٨٦.

(٢) في المستدرك : ج ٣ ص ٢٣٩ عند تعرضه لعمرو بن سعيد بن العاص بن امية .

متروك. قال السيوطي: قلت كلا بل ثقة ثبت حجة من رجال مسلم وأحد الأولياء الأبدال والمصنف تبع ابن حبان في تجريحه وقد ردّ عليه [١].

وقال الحافظ الكنجي [٢]: أخبرنا العدل زين الامناء أبو الغنائم سالم بن الحسن بن صصرى التغلبي قراءة عليه وأنا أسمع في منزله بدمشق، إلى أن أنهى سنده إلى عمار بن محمّد عن سعد بن طريف الحنظلي عن أبي جعفر محمّد بن علي عليه السلام قال: نادى ملك من السماء يوم بدر يقال له رضوان: لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا علي.

وأخبرنا الشيخ العلّامة رئيس العراق أبو محمّد يوسف بن الحافظ عبد الرحمن بن علي الواعظ المعروف بابن الجوزي قراءة عليه وأنا أسمع بمدينة حلب: إلى أن أنهى سنده إلى عمار بن محمّد عن سعد بن طريف الحنظلي عن أبي جعفر محمّد بن علي قال: نادى... الخ، مثل الأوّل.

وأخبرنا بقية السلف عبد الله بن الحسين الحموي بحلب ـ إلى أن قال ـ حدثني عمار بن محمّد عن سعد بن طريف الحنظلي عن أبي جعفر محمّد بن علي وساق مثل الأوّل.

وأخبرنا بقية الأُدباء أبو أحمد موهوب بن أحمد بن اسحاق بن موهوب ابن الجواليقي قراءة عليه وأنا أسمع ـ إلى أن يقول ـ حدثنا عمار بن محمّد وساق مثل الأوّل في كل شيء.

وأخبرنا المقري أبو الفضل مرجان بن أبي الحسن بن هبة الله بن شقيرة

---

(١) اللئالىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة: ج ١ ص ١٨٩ من طبعته القديمة بمصر.

(٢) في كفاية الطالب: الباب التاسع والستون في تخصيص علي عليه السلام بقول الملك يوم بدر وندائه من السماء لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا علي، وذكر طرقه: ص ١٤٤.

الواسطي بحماة ـ حتى يقول ـ حدثني عمار بن محمّد وساق مثل الأوّل في كل شيء.

وأخبرنا المعمر بقية السلف عبد الحق بن خلف بن عبد الحق الدمشقي قراءة عليه وأنا أسمع بجامع جبل قاسيون ـ إلى أن يقول ـ حدثني عمار بن محمّد وساق مثل الأوّل عيناً.

وأخبرنا من ألحق الصغار بالكبار أبو اسحاق ابراهيم بن حاجب الحجاب عثمان بن يوسف بن أيّوب الكاشغري المعروف والده بازارتق قراءة عليه وأنا أسمع ـ حتى يقول ـ حدثني عمار بن محمّد وساق عين الأوّل.

أخبرنا المشايخ الحفاظ عبد الرحمن بن أبي الفهم بن عبد الرحمن البلداني بدمشق، والفقيه العلّامة أبو محمّد يوسف بن أبي الفرج عبد الرحمن بحلب، والمفتي أبو الفضل عبد الكريم بن محمّد بالموصل، ومحمّد بن القاسم العدل بتكريت، والحافظ محمّد بن محمود، والمعيد محمّد بن أبي البدر بن فتيان، والفقيه عبد الغني بن أحمد بن فهد، وصدقة بن الحسين بن محمّد بن علي بن الوزير، ويوسف بن علي بن شروان المقري، والصاحب أبو المعالي هبة الله بن الحسن بن هبة الله بن الدوامي، والفقيه نصر بن أبي السعود بن بطة، وشيخ الشيوخ بقية السلف عبد الرحمن بن شيخ الشيوخ عبد اللطيف بن أبي سعيد الصوفي، والمقري علي بن محمّد المدائني، والعدل بن ابراهيم بن بكروس، ومن لا أُحصيهم كثرة ببغداد ـ إلى أن يقول ـ قالوا جميعاً: حدثنا عمار بن محمّد عن سعد بن طريف الحنظلي عن أبي جعفر محمّد بن علي عليه‌السلام قال: نادى ملك من السماء يوم بدر يقال له رضوان: لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا علي.

قلت: أجمع أئمة الحديث على نقل هذا الجزء كابراً عن كابر رزقناه الله عاليا بحمد الله عن الجم الغفير كما سقناه ورواه الحاكم مرفوعاً وأخرجه عنه البيهقي

في مناقبه . أخبرنا بذلك : الحافظ ابن النجار أخبرنا المؤيد الطوسي أخبرنا الامام أبو عبد الله الفراوي أخبرنا الامام البيهقي ونصر الأموي حدثنا أبو أيّوب سليمان بن أحمد بن يحيى البغوي حدثنا أبو عمارة محمّد بن أحمد بن المهدي حدثنا عبد الجبار بن عبد الله ، حدثنا سليمان بن بلال عن جعفر بن محمّد عن أبيه عن جده عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ يوم بدر هذا رضوان ملك من ملائكة الله ينادي : لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا علي ، قلت : أخرجه البيهقي صاحب السنن مع جلالة قدره عن الامام الحافظ أبي عبد الله الحاكم صاحب المستدرك على البخاري ومسلم وطالعته من كتاب الخوارزمي أخرجه عنهما .

اقتران علي بفاطمة

قال أبو جعفر الطبري في حديثه عن السنة الثانية للهجرة (١) وفي هذه السنة في صفر لليال بقين منه تزوج علي بن أبي طالب عليه السلام فاطمة رضي الله عنها حدثت بذلك عن محمّد بن عمر قال : حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن اسحاق بن عبد الله بن أبي فروة عن أبي جعفر ، ويقول الطبري في ص ٣٠٠ من المصدر نفسه ؛ وأمّا الواقدي فإنّه زعم انّ ابن أبي سبرة حدثه عن اسحاق بن عبد الله عن أبي جعفر ان علي بن أبي طالب عليه السلام بنى بفاطمة في ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهراً ؛ وقال ابن حجر في ترجمة فاطمة من الاصابة : وتزوجها علي أوائل المحرم سنة اثنتين بعد عائشة بأربعة أشهر ، وقيل غير ذلك . وقال في موضع آخر من الترجمة نفسها : ومن طريق عمر بن علي قال : تزوج علي فاطمة في رجب سنة مقدمهم إلى المدينة وبنى بها مرجعه من بدر ، ومع هذا فهناك أقوال

(١) ج ٢ ص ٢٦٢ من طبعته الأولى.

أُخر لا تخلو من ضعف.

روى المتقي الهندي في منتخب كنز العمال (ج ٥ ص ٣١) حاكياً عن النبي ﷺ: اسكتي فقد أنكحتك أحب أهل بيتي إليّ قاله لفاطمة، الحاكم في المستدرك عن أسماء بنت عميس.

ـ المصدر نفسه ـ أما علمت انّ الله عزوجل اطلع إلى أهل الأرض فاختار منهم أباك فبعثه نبياً ثمّ اطلع الثانية فاختار بعلك فأوحى إليّ فأنكحته واتخذته وصياً قاله لفاطمة. الطبراني في الكبير عن أبي أيّوب وفيه عباية بن ربعي شيعي غال.
أقول: يريد ان يوهن الحديث بهذه الكلمة على انها ان لم تكن شرفاً لصاحبها فهي ليست بموهنة وكلمة الغلو عند الجماعة رائجة الإطلاق على كل شيعي معروف بالتشيع.

(المصدر نفسه) أما ترضين أن زوجتك أقدم امتي سلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً. أحمد في المسند والطبراني في الكبير عن معقل بن يسار.

ما يبكيك فما ألوتك في نفسي وقد أصبت لك خير أهل وأيم الذي نفسي بيده لقد زوجتك سعيداً في الدنيا وانّه في الآخرة لمن الصالحين. الطبراني في الكبير عن ابن عباس.

يا أنس أتدري ما جائني به جبريل من عند صاحب العرش قال انّ الله أمرني أن أُزوّج فاطمة من علي. البيهقي في السنن والخطيب وابن عساكر عن أنس قال: كنت عند النبي ﷺ فغشيه الوحي فلما سرى عنه قال: فذكره: أي الحديث المزبور.

وروى المتقي الهندي أيضاً [١] عن علي قال: خطب أبو بكر وعمر فاطمة إلى

(١) المصدر نفسه: ص ٣٨.

رسول الله فأبى رسول الله عليهما فقال عمر: أنت لها يا علي، قال: مالي من شيء إلّا درعي وجملي وسيفي فتعرض ذات يوم لرسول الله فقال: يا علي هل لك من شيء؟ قال: جملي ودرعي، قال: أرنيهما، فزوجني رسول الله فاطمة فلما بلغ فاطمة ذلك بكت فدخل عليها رسول الله فقال: مالك تبكين يا فاطمة والله لقد أنكحتك أكثرهم علماً وأفضلهم حلماً وأقدمهم سلماً، ابن جرير وصححه والدولابي في الذرية الطاهرة.

(المصدر نفسه: ص ٣٩) عن ابن عباس قال: لما زوج النبي فاطمة من علي قالت فاطمة: يا رسول الله زوجتني من رجل فقير ليس له شيء؟ فقال لها النبي: أما ترضين انّ الله اختار من أهل الأرض رجلين أحدهما أبوك والآخر بعلك، الخطيب في المتفق وسنده حسن.

وروى المتقي الهندي أيضاً[١] عن أبي جرير حدثني محمّد بن الهيثم حدثني الحسين بن حماد حدثنا يحيى بن يعلى الأسلمي عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أنس بن مالك قال: جاء أبو بكر إلى النبي ﷺ فقعد بين يديه فقال: يا رسول الله قد علمت مناصحتي وقدمي في الإسلام واني واني قال: وما ذاك قال: تزوجني فاطمة، فسكت عنه أو قال أعرض عنه فرجع أبو بكر إلى عمر فقال: هلكت وأهلكت، قال: وما ذاك قال خطبت فاطمة إلى النبي ﷺ فأعرض عني، قال مكانك حتى آتي النبي ﷺ فأطلب مثل الذي طلبت فأتى عمر النبي ﷺ فقعد بين يديه فقال: يا رسول الله قد علمت مناصحتي وقدمي في الإسلام واني واني، قال: وما ذاك؟ قال: تزوجني فاطمة، فأعرض عنه فرجع عمر إلى أبي بكر فقال انّه ينتظر أمر الله فيها انطلق بنا إلى علي حتى

---

(١) المصدر نفسه: ص ٩٩.

نأمره أن يطلب مثل الذي طلبنا .

قال علي : فأتياني وأنا أُعالج فسيلاً فقالا : ابنة عمك تخطب ، قال فنبهاني لأمر فقمت أجرّ ردائي على عاتقي طرف وطرفاً أجرّه على الأرض حتى أتيت رسول الله فقعدت بين يديه فقلت يا رسول الله قد عرفت قدمي في الإسلام ومناصحتي واني واني ، قال : وما ذاك يا علي ؟ قلت : تزوجني فاطمة ، قال : وعندك شيء قلت : فرسي وبدني ، قال : أعني درعي ، قال : أمّا فرسك فلابدّ لك منها ، وأمّا درعك فبعها فبعتها بأربعماءة وثمانين فأتيته بها فوضعتها في حجره فقبض منها قبضة فقال : يا بلال ابغنا بها طيباً وأمرهم أن يجهزوها فجعل لهم سريراً ووسادة من أدم حشوها ليف وملاء البيت كثيباً يعني رملاً وقال لي : إذا أتتك فلا تحدث شيئاً حتى آتيك فجاءت مع ام ايمن حتى قعدت في جانب البيت وأنا في جانب وجاء رسول الله ﷺ فقال : ههنا أخي فقالت أُم أيمن أخوك : أو أخوك وقد زوجته ابنتك ؟ قال : نعم ، فدخل فقال لفاطمة : ائتيني بماء فقامت إلى قعب في البيت فجعلت فيه ماءً فأتت به فأخذه فمجّ فيه ثمّ قال لها : قومي فنضح بين ثدييها وعلى رأسها وقال : اللهم اني أُعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ، وقال لها : أدبري فأدبرت فنضح بين كتفيها ثمّ قال : اللهم إني أُعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ثمّ قال لعلي : ائتني بماء فعلمت الذي يريد فقمت فملأت القعب ماءً فأتيته به فأخذ منه بفيه ثمّ مجّه فيه ثمّ صبّ على رأسي وبين ثديي ثمّ قال : اللهم إني أُعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم ، ثمّ قال : أدبر فأدبرت فصب بين كتفي وقال : اللهم إني أُعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم ، وقال لي : ادخل بأهلك باسم الله والبركة .

(المصدر نفسه : ص ١٠٠) عن أنس قال : كنت قاعداً عند النبي ﷺ فغشيه الوحي فلما سرى عنه قال : أتدري يا أنس ما جاء به جبريل من عند صاحب

العرش ؟ قلت : بأبي وأُمي وما جاء به جبريل من عند صاحب العرش ؟ قال : انّ الله أمرني أن أُزوّج فاطمة من علي [١].

(المصدر نفسه : ص ١٠١) عن علي قال : لما تزوجت فاطمة قلت : يا رسول الله ما أبيع فرسي أو درعي ، قال : بع درعك فبعتها بثنتي عشرة أوقية وكان ذلك مهر فاطمة [٢].

(المصدر نفسه) عن الشعبي قال : قال عليّ لقد تزوجت فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وما لي ولها فراش غير جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه ناضحنا بالنهار وما لي خادم غيرها ، هناد والدينوري .

أقول : انّ من يزأوّل التاريخ الاسلامي ويبحث بتدقيق عن أفراد البيت النبوي يجد بوضوح انّ فاطمة ابنة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم لها مقام جليل في نظر نبي الإسلام بحيث لا يدانيها فيه رجل ولا امرأة من الأُمّة المسلمة ما سوى علي بن أبي طالب ، واني أرسل هذه الكلمة حاكية عن معنى حقيقي لا يشوبه أقل تجوز ولا توسع كما سنبحث عن ذلك وندلل بالآثار الواردة عن مصدر النبوة ؛ وعلى انّ زينب ورقية وأُم كلثوم شقائق هذه المرأة وأخواتها لأُمها خديجة بنت خويلد وأبيها محمّد بن عبد الله لا نرى لهن أقل مقاربة لهذه الأُخت لا في نظر النبي ولا في نظر غيره ، وليس ذلك لصدور ما يسقطهن عن الأنظار حاشاهن من صغير الذنوب وكبيرها ، ولكن المعنويات التي تربعت في نفس فاطمة والروحيات الفاضلة التي تشبعت بها روحها الطاهرة لم تكن توجد لغيرها نساءً ورجالاً ما سوى أبيها وبعلها ولولا ذاك لما قدسها أبوها تقديساً عزّ أن يجيء بمثله لانسان

---

(١) الخطيب وابن عساكر في تاريخيهما.

(٢) أبو يعلى في مسنده.

غير علي بن أبي طالب ، ولما بجّلها بعلها تبجيلاً انحطّ عنده كل ذي مقام ، وامّا العيان فقد كشفها لنا على صغر سنّها عالمة عابدة زاهدة مصونة من كل تلويث متحلية بكل فضل ، وسيأتيك في الباب المخصص بها من هذا الكتاب ما يجسم لك هذه المدعيات لهذا كان التزوج بهذه المرأة منظوراً إليه من كافة أعيان الصحابة على انها حين ذاك كانت صغير السنّ جداً ولكن المواهب الراقية كانت تشعّ عليها فتحرك رغبات الراغبين في المجد وأهله نحوها .

وعلى أثر هذه المؤهلات الممتازة تقدم لخطبتها كثيرون لأنّهم أدركوا من أبيها السهولة في تزويج بناته كزينب ورقية وأُم كلثوم فظنوا انّ الأمر في فاطمة عنده كالأمر في بناته الأُخر ، وإذا بالواحد بعد الواحد منهم يجبه بالرد وتساق إلى مسامعه كلمة انّ تزويجها مربوط بأمر السماء لا بنظر محمّد ، حتى يتقدم عليّ خاطباً ، ولكن بكف صفر فاقدة لحطام الدنيا فيزوجه رسول الله راغباً وترضى فاطمة أيضاً بهذا الزواج على قلّة ما في يده .

وما يسوقه أبناء التسنن من انها بكت عندما بلغها انّ خاطبها وهو علي بن أبي طالب صفر الكف من كل شيء وولولت فأقنعها أبوها وبعد أن رضيت فذلك ما لا أعتقد صحته منسوباً اليها بعدما روى القوم أنفسهم في حقها ما لا يساق إلّا إلى الأنبياء الكرام والأولياء العظام ، ومن يكن يملك مثل هذه القابليات العظيمة العيار لا يجوز أن يقال في حقه ما قيل في حقها انها بكت عندما بلغها فقر خاطبها مع ما تعرفه من مقامه الروحي أكثر من غيرها لأنّه رحمها القريب وأخص تلميذ تلمذ على أبيها وأنهد فتى يعرف في جيله بطولة وشجاعة وتقدماً في الأنظار .

وأثر العظمة في هذين الأبوين ـ عليّ وفاطمة ـ ظهر بارزاً في أبنائهما الغرّ رجالاً ونساءً كما ستقرؤه وافياً في البحث عن أحوالهم ، وبذلك صرّح الكتاب العزيز جاهراً بطهارتهم من الأرجاس والأدناس تعظيماً لشأنهم وكشفاً عن

حقائقهم للناس حتى يتبعوا فيهم أثر الله سبحانه .

ولمزيد قدسهم وعظيم شأنهم وعلوّ مقامهم أهلّهم الله تعالى لأن يباهل بهم ويندحر في موقفهم الباطل ويظهر الحق ظهوراً بيّناً وذلك موقف لا يقف فيه المشوب من الناس أصلاً لأنّه مقام اصحار بالحقائق واظهار لمحتويات الضمائر وليس من هذه المواقف التي تروج بالتشخص الفارغ والتقدم المعزز بالقهر والسطوة أو المشفوع بالشفاعة والرشوة وما قارب ذلك من الوسائل الفاسدة التي تعمل لاحراز التشخص من أي طريق يكون ، فهنا يبحث عن نقاط : أوّلها آية التطهير :

١ ـ آية التطهير

روى أحمد [١] عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثوبه فوضعه على عليّ وفاطمة وحسن وحسين فقال : ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾ في حديث طويل .

وروى أحمد أيضاً [٢] عن أنس بن مالك انّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يمرّ ببيت فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى الفجر فيقول : الصلاة يا أهل البيت ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾ .

وروى أحمد أيضاً [٣] عن شداد أبي عمار قال : دخلت على واثلة بن الأسقع وعنده قوم فذكروا عليّاً فلما قاموا قال لي : ألا أخبرك بما رأيت من رسول الله ؟

---

(١) في المسند : ج ١ ص ٣٣٠ من طبعته على المسانيد.

(٢) في المسند : ج ٣ ص ٢٥٩.

(٣) في المسند : ج ٤ ص ١٠٧.

قلت: بلى، قال: أتيت فاطمة أسألها عن عليّ قالت: توجه إلى رسول الله فجلست أنتظره حتى جاء رسول الله ومعه علي وحسن وحسين آخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل فأدنى عليّاً وفاطمة فأجلسهما بين يديه وأجلس حسناً وحسيناً كل واحد منهما على فخذه ثمّ لفّ عليهم ثوبه أو قال كساء ثمّ تلا هذه الآية ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾، وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحق.

وروى أحمد أيضاً (١) عن شهر بن حوشب قال: سمعت أُم سلمة زوج النبي حين جاء نعي الحسين بن علي لعنت أهل العراق فقالت: قتلوه قتلهم الله غرّوه وأذلّوه لعنهم الله فإني رأيت رسول الله ﷺ جائته فاطمة غدية (تصغير غدوة) ببرمة قد صنعت له فيها عصيدة تحمله في طبق لها حتى وضعتها بين يديه فقال لها: أين ابن عمك؟ قالت: هو في البيت، قال: فاذهبي فادعيه وائتيني بابنيه، قالت: فجاءت تقود ابنيها كل واحد منهما بيد وعلي يمشي في أثرهما حتى دخلوا على رسول الله فأجلسهما في حجره وجلس علي عن يمينه وجلست فاطمة عن يساره قالت أُم سلمة: فاجتبذ من تحتي كساءً خيبرياً كان بساطاً لنا على المنامة في المدينة فلفه النبي عليهم جميعاً فأخذ بشماله طرفي الكساء وألوى بيده اليمنى إلى ربه عزوجل قال: اللهم أهلي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، اللهم أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً اللهم أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، قلت: يا رسول الله ألست من أهلك؟ قال: فادخلي في الكساء قالت فدخلت في الكساء بعد ما قضى دعائه لابن عمه وابنيه وابنته فاطمة.

---

(١) في المسند: ج ٦ ص ٢٩٨.

وروى الحاكم [١] عن عطاء بن يسار عن أُم سلمة انها قالت: في بيتي نزلت هذه الآية: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ قالت: فأرسل رسول الله إلى علي وفاطمة والحسن والحسين فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي قالت أم سلمة: يا رسول الله ما أنا من أهل البيت؟ قال: انك على خير وهؤلاء أهل بيتي اللهم أهلي أحق. هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ولم يتعقبه الذهبي.

وروى الحاكم أيضاً [٢] عن واثلة بن الأسقع قال: جئت أُريد عليّاً فلم أجده فقالت فاطمة: انطلق إلى رسول الله يدعوه فاجلس، فجاء مع رسول الله فدخل ودخلت معهما قال: فدعا رسول الله حسناً وحسيناً فأجلس كل واحد منهما على فخذه وأدنى فاطمة من حجره وزوجها ثمّ لفّ عليهم ثوبه وأنا أُشاهد فقال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ اللهم هؤلاء أهل بيتي. هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ولم يتعقبه الذهبي، أقول: وقد كرر الحاكم هذين الحديثين بسنديهما المذكورين [٣].

وروى الحاكم أيضاً [٤] عن صفية بنت شيبة قالت: حدثتني أُم المؤمنين عائشة قالت: خرج النبي غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن والحسين فأدخلهما معه ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها معهما ثمّ جاء عليّ فأدخله معهم ثمّ قال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾،

---

(١) في المستدرك: ج ٢ ص ٤١٦.

(٢) المصدر نفسه من جميع وجوهه.

(٣) في ج ٣ ص ١٤٦ و ص ١٤٧ من مستدركه.

(٤) المستدرك: ج ٣ ص ١٤٧.

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، أقرّه الذهبي كما هو.

وروى الحاكم أيضاً [١] عن علي بن اثبت الجزري عن بكير بن مسمار مولى عامر بن سعد سمعت عامر بن سعد يقول: قال سعد: نزل على رسول الله الوحي فأدخل عليّاً وفاطمة وابنيهما تحت ثوبه ثمّ قال: اللهم هؤلاء اهلي وأهل بيتي، قال الذهبي: قلت علي وبكير تكلم فيهما. اقول: لا يضر هذا ـ إن ثبت ـ بأصل مادة الحديث بعد ما أقرها الذهبي نفسه في عدة أحاديث ذكرها الحاكم فضلاً عن غيره.

وروى الحاكم أيضاً [٢] عن عبد الرحمن بن أبي بكر المليكي عن اسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عن أبيه قال: لما نظر رسول الله ﷺ إلى الرحمة هابطة قال: ادعوا اليّ ادعوا اليّ فقالت صفية من يارسول الله؟ قال: أهل بيتي عليّاً وفاطمة والحسن والحسين، فجيء بهم فألقى عليهم النبي ﷺ كسائه ثمّ رفع يديه ثمّ قال: اللهم هؤلاء آلي فصلّ على محمّد وآل محمّد وأنزل الله عزوجل: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾، هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه. وقد صحت الرواية على شرط الشيخين انّه علّمهم الصلاة على أهل بيته كما علّمهم الصلاة على آله. قال الذهبي: قلت المليكي ذاهب الحديث. أقول: قد ثبت عندك أيّها القارىء صحة مادة آية التطهير في أهل البيت المذكورين عند الذهبي فضلاً عن غيره وامّا مادة الصلاة على محمّد وعلى أهل محمّد وعلى آله فسوف نسوق أحاديثها معترفاً بها من الذهبي وغيره إذاً فلا يضرنا ما يقوله الذهبي في بعض رجال الحاكم

---

(١) المستدرك: ج ٣ ص ١٤٧.

(٢) المستدرك: ج ٣ ص ١٤٧ و ١٤٨.

لبعض مروياته في كتابه المذكور أصاب في جرحه لهم أم أخطأ.

وروى الحاكم أيضاً [١] عن أنس بن مالك انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يمرّ بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج لصلاة الفجر يقول: الصلاة يا أهل البيت ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾، هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، أقرّه الذهبي كما هو.

وقال القندوزي [٢] في صحيح مسلم عن عائشة أُم المؤمنين قالت: خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم غداة غد وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن فأدخله ثمّ جاء الحسين فأدخله ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها ثمّ جاء علي فأدخله ثمّ قال: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾، أيضاً أخرج الحاكم هذا الحديث عن عائشة.

وفي سنن الترمذي في مناقب أهل البيت حدثنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا محمّد بن سليمان الاصبهاني عن يحيى بن عبيد عن عطاء عن عمر ابن أبي سلمة ربيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: نزلت ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾ في بيت أُم سلمة فدعا النبي عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء ثمّ قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، قالت ام سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: أنت على مكانك وأنت إلى خير. وفي الباب عن ام سلمة ومعقل بن يسار وأبي الحمراء وأنس بن مالك.

وفي سنن الترمذي بعدما ذكر مناقب الأصحاب عن أُم سلمة انّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم جلّل علي والحسن والحسين وعلى فاطمة كساء ثمّ قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي

---

(١) في المستدرك: ج ٣ ص ١٥٨.

(٢) في كتابه ينابيع المودة: ج ١ ص ١٠٦ وما بعدها من طبعة صيدا.

وخاصتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، فقالت أُم سلمة وأنا معهم يا رسول الله ؟ قال: قفي في مكانك انك إلى خير. هذا حديث حسن صحيح وأحسن شيء روي في هذا الباب عن أنس وعمر بن أبي سلمة وأبي الحمراء.

وفي حديث الكبريت الأحمر للشيخ علاء الدولة السمناني ﷺ أخرج البيهقي والحاكم وصححه نحو حديث الترمذي عن ام سلمة.

وأخرج الطبراني وابن جرير وابن المنذر عن ام سلمة رضي الله عنها قالت: في بيتي نزلت ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾ فجاءت فاطمة ببرمة فيها ثريد فقال ﷺ لها: ادعي لنا زوجك وحسناً وحسيناً فدعتهم فبينا هم يأكلون إذ نزلت هذه الآية فغشاهم بكساء خيبري كان عليه فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ثلاث مرات. أيضاً أخرج هذا الحديث عن سعد بن أبي وقاص. وأيضاً أخرج أحمد وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر والحاكم والبيهقي والطبراني عن واثلة بن الأسقع نظيراً لما مرّ فلا نكرر.

وفي جواهر العقدين: أخرج أحمد في المناقب وابن جرير والطبراني عن أبي سعيد الخدري قال: نزلت هذه الآية ـ آية التطهير ـ في خمسة: النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين ـ اهـ ملخصاً ـ.

وقد جوّد المحب الطبري الحافظ هذا الفصل في كتابه ذخائر العقبى [١] فقال: باب في بيان انّ فاطمة وعليّاً والحسن والحسين هم أهل البيت المشار اليهم في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾، وتجليله اياهم بكساء ودعائه لهم.

---

(١) ص ٢١ وما بعدها من طبعة مصر.

عن عمر بن أبي سلمة ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ الآية، في بيت امّ سلمة رضي الله عنها فدعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره ثمّ قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، قالت أُم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: أنت على مكانك وأنت على خير. أخرجه الترمذي وقال: حديث غريب. وفي رواية أنت على خير أنت من أزواج النبي.

وعن أُم سلمة انّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم جلل على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساءاً وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامّتي [1] أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقالت ام سلمة: أنا معهم يا رسول الله؟ قال: انك على خير، أخرجه الترمذي وقال حسن.

وعنها انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذ ثوباً وجلله فاطمة وعلياً والحسن والحسين وهو معهم وقرأ هذه الآية ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ ﴾ ـ الآية ـ قالت: فجئت أدخل معهم فقال: مكانك انك على خير. وعنها انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لفاطمة: ائتي بزوجك وابنيك فجائت بهم وأكفأ عليهم كساء فدكياً ثمّ وضع يده عليهم ثمّ قال: اللهم انّ هؤلاء آل محمّد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمّد انك حميد مجيد، قالت ام سلمة: فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: انك على خير. خرجهما الدولابي في الذرية الطاهرة.

وعنها قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيته يوماً إذ قالت الخادم انّ علياً وفاطمة بالسدة فقال لي قومي فتنحي عن أهل بيتي قالت فقمت فتنحيت في

(١) الحامة الخاصة ومنه الحميم.

البيت قريباً فدخل علي وفاطمة ومعهم الحسن والحسين وهما صبيان صغيران فأخذ الصبيين فوضعهما في حجره وقبلهما واعتنق عليّاً باحدى يديه وفاطمة بالأُخرى وقبل فاطمة وقبل عليّاً فأغدق عليهما خميصة سوداء ثمّ قال: اللهم إليك لا إلى النار أنا وأهل بيتي قالت قلت: وأنا يا رسول الله صلّى الله عليك قال: وأنت. أخرجه أحمد وخرج الدولابي معناه مختصراً.

وعنها قالت: جاءت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غدية ببرمة [١] وقد صنعت له فيها عصيدة تحملها في طبق لها حتى وضعتها بين يديه فقال لها: أين ابن عمك؟ قالت: هو في البيت قال: اذهبي فادعيه وائتيني بابنيه، قالت: فجاءت تقود ابنيها كل واحد منهما بيد وعلي يمشي في أثرها حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأجلسهما في حجره وجلس عليّ على يمينه وفاطمة على يساره قالت ام سلمة واجتذب من تحتي كساءً خيبرياً كان بساطاً لنا على المنامة فلفّهم رسول الله جميعاً وأخذ بطرفي الكساء وأومأ بيده اليمنى إلى ربه عزوجل وقال: اللهم أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، قلت: يا رسول الله لست منهم؟ قال: بلى فأدخلني في الكساء قالت فدخلت في الكساء بعدما قضى دعائه لابن عمه ولابنته ولابنيه. وعنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندنا منكساً رأسه فعملت له فاطمة حريرة فجاءت ومعها حسن وحسين فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أين زوجك؟ اذهبي فادعيه فجاءت به فأكلوا فأخذ كساءً فأداره عليهم وأمسك طرفه بيده اليسرى ثمّ رفع اليمنى إلى السماء وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي وخاصتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا أنا حرب لمن حاربهم سلم لمن سالمهم عدو لمن عاداهم، أخرجه ابن القبابي في معجمه.

---

(١) الغدية تصغير الغد والبرمة القدر.

وعنها قالت: في بيتي أُنزلت: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ ﴾ ـ الآية ـ قالت: فأرسل رسول الله ﷺ إلى فاطمة وعلي والحسن والحسين فقال: هؤلاء أهل بيتي فقلت: يا رسول الله أما انا من أهل البيت؟ قال: بلى إن شاء الله تعالى، أخرجه أبو الخير القزويني الحاكمي وقال: صحيح اسناده ثقات رواته.

وعن واثلة بن الأسقع قال: سألت عن علي في منزله فقيل لي ذهب يأتي برسول الله ﷺ إذ جاء فدخل رسول الله ﷺ ودخل علي فجلس رسول الله على الفراش وأجلس فاطمة عن يمينه وعليّاً عن يساره وحسناً وحسيناً بين يديه وقال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾، اللهم هؤلاء أهل بيتي قال واثلة بن الأسقع: فقلت من ناحية البيت وأنا يا رسول الله من أهلك وأنت من أهلي، قال واثلة انها من أرجى ما أرتجي. أخرجه أبو حاتم وأخرجه أحمد في مسنده وأخرجه في المناقب قال: وأجلس حسناً على فخذه اليمنى وقبله وحسيناً على فخذه اليسرى وقبله وفاطمة بين يديه ثمّ دعا بعلي فجاءه ثمّ أردف عليهم كساءً خيبرياً كأني أنظر إليه ثمّ قال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ ﴾ الآية. فقيل لواثلة ما الرجس؟ قال: الشك في الله عزوجل.

وعن عائشة قالت: خرج النبي ﷺ ذات غداة وعليه مرط مرجل من شعر فجاء الحسن بن علي فأدخله فيه ثمّ جاء الحسين فأدخله فيه ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها فيه ثمّ جاء علي فأدخله فيه ثمّ قال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ ﴾ ـ الآية ـ أخرجه مسلم وأخرج أحمد معناه عن واثلة وزاد في آخره اللهم هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحق.

عن أبي سعيد الخدري في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ ﴾ ـ الآية ـ قال: نزلت في خمسة في رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين. أخرجه

أحمد في المناقب وأخرجه الطبراني.

عن أنس بن مالك انّ رسول الله ﷺ كان يمرّ بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر ويقول: الصلاة يا أهل البيت ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ ﴾ ـ الآية ـ أخرجه أحمد. وعن أبي الحمراء قال: صحبت رسول الله تسعة أشهر فكان إذا أصبح أتى على باب علي وفاطمة وهو يقول: يرحكم الله إنّما يريد الله ـ الآية ـ أخرجه عبد بن حميد ـ اهـ مخلصاً ـ.

وفي كتاب التاج الجامع للأُصول في أحاديث الرسول (ج ٣ ص ٣٦٣ وما بعدها) عن عائشة قالت: خرج النبي غداة وعليه مرط مرّحل [١] من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثمّ جاء الحسين فأدخله معه ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها ثمّ جاء علي فأدخله ثمّ قال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾، رواه مسلم والترمذي ولفظه نزلت هذه الآية: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ في بيت أُم سلمة فدعا النبي ﷺ فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره فجللهم بكساء [٢] ثمّ قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت أُم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: أنت على مكانك وانت إلى خير.

وجوّد الشوكاني هذا الفصل أيضاً [٣] فقال: أخرج الترمذي وصححه وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في سننه من طرق

(١) المرحل هنا بالحاء المهملة أي منقوش فيه صورة الرحل وقد سبق مكرراً بالجيم أي انّه على صورة الرجال.

(٢) هذا تكرير لا معنى له انصافاً.

(٣) في تفسيره فتح القدير ج ٤ ص ٢٧٠ عند تعرضه لسورة الأحزاب.

عن ام سلمة قالت في بيتي نزلت: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾، وفي البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين فجللهم رسول الله ﷺ بكساء كان عليه ثمّ قال: هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن ام سلمة أيضاً انّ النبي ﷺ كان في بيتها على منامة له عليه كساء خيبري فجاءت فاطمة ببرمة فيها حريرة فقال رسول الله ﷺ: ادعي زوجك وابنيك حسناً وحسيناً فدعتهم فبينما هم يأكلون إذ نزلت على النبي ﷺ ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ فأخذ النبي ﷺ بفضلة كسائه فغشّاهم اياها ثمّ أخرج يده من الكساء وألوى بها إلى السماء ثمّ قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، قالها ثلاث مرات، قالت ام سلمة: فادخلت رأسي في الستر فقلت: يا رسول الله وأنا معكم؟ فقال: انك إلى خير مرتين.

وأخرجه أيضاً أحمد من حديثها. وقد أخرجه الطبراني عنها من طريقين بنحوه. وقد ذكر ابن كثير في تفسيره لحديث ام سلمة طرقاً كثيرة في مسند أحمد وغيره. وأخرج ابن مردويه والخطيب من حديث أبي سعيد الخدري نحوه. وأخرج الترمذي وابن جرير والطبراني وابن مردويه عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾، وذكر نحو حديث ام سلمة. وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد ومسلم وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم عن عائشة قالت: خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن والحسين فأدخلهما معه ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها معه ثمّ جاء علي فأدخله معه ثمّ قال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾.

وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في سننه عن واثلة بن الأسقع قال: جاء رسول الله إلى فاطمة ومعه علي وحسن وحسين حتى دخل فأدنى عليّاً وفاطمة وأجلسهما بين يديه وأجلس حسناً وحسيناً كل واحد منهما على فخذه ثمّ لفّ عليهم ثوبه وأنا مستدبرهم ثمّ تلا هذه الآية: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ** ﴾ وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، قلت: يا رسول الله وأنا من أهلك قال: وأنت من أهلي قال: واثلة انّه لأرجى ما أرجوه، وله طرق في مسند أحمد.

وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد والترمذي وحسّنه وابن جرير وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه عن أنس انّ رسول الله ﷺ كان يمرّ بباب فاطمة إذا خرج إلى صلاة الفجر ويقول الصلاة يا أهل البيت الصلاة ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾.

وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن أبي الحمراء قال: رابطت المدينة سبعة أشهر على عهد رسول الله ﷺ قال: رأيت رسول الله إذا طلع الفجر جاء إلى باب علي وفاطمة فقال: الصلاة، ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾. وقد طعن الشوكاني في سند هذا الحديث فإن تمّ جرحه فمادته تماماً مؤيدة موفرة بما سلف عن أنس.

٢ ـ آية المباهلة

ذكر الشوكاني في تفسيره فتح القدير [١] قال: أخرج الحاكم وصححه وابن

---

(١) ج ١ ص ٣١٦ عند تعرضه لسورة آل عمران.

مردويه وأبو نعيم في الدلائل عن جابر قال: قدم على النبي ﷺ العاقب والسيد فدعاهما إلى الإسلام فقالا: أسلمنا يا محمّد فقال: كذبتما إن شئتما أخبرتكما ما يمنعكما عن الإسلام قالا هات قال: حب الصليب ورب الخمر وأكل لحم الخنزير قال جابر: فدعاهما إلى الملاعنة فواعداه على الغد فغدا رسول الله وأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين ثمّ تقدم إليهما فأبيا أن يجيباه وأقرّا له فقال: والذي بعثني بالحق لو فعلا لأمطر الوادي عليهما ناراً. قال جابر: فيهم نزلت: ﴿ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا ﴾ الآية، قال جابر: أنفسنا وأنفسكم رسول الله وعلي وأبناؤنا الحسن والحسين ونساؤنا فاطمة، ورواه أيضاً الحاكم من وجه آخر عن جابر وصححه وفيه انهم قالوا للنبي هل لك أن نلاعنك.

وذكر الزمخشري في الكشاف عند تفسيره الآية النازلة في المباهلة من سورة آل عمران: فقال روى انهم لما دعاهم إلى المباهلة قالوا: حتى نرجع وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى؟ فقال: والله لقد عرفتم يا معشر النصارى انّ محمّداً نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم والله ما باهل قوم نبياً قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فإن أبيتم إلّا ألف دينكم والاقامة على ما أنتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم فأتوا رسول الله ﷺ وقد غدا محتضناً الحسين آخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول: إذا أنا دعوت فأمّنوا، فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة، فقالوا: يا أبا القاسم رأينا أن لا نباهلك وأن نقرك على دينك ونثبت على ديننا، قال: فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم، فأبوا، قال: فإني أُناجزكم، فقالوا: مالنا بحرب العرب طاقة، ولكن نصالحك على أن

لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على أن نؤدي اليك كل عام ألفي حلة ألفاً في صفر وألفاً في رجب، وثلاثين درعاً عادية من حديد فصالحهم على ذلك وقال: والذي نفسي بيده انّ الهلاك قد تدلى على أهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي ناراً ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على رؤوس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلّهم حتى يهلكوا.

وعن عائشة: انّ رسول الله خرج وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن فأدخله ثمّ جاء الحسين فأدخله ثمّ فاطمة ثمّ علي ثمّ قال: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ** ﴾.

فإن قلتَ: ما كان دعاؤه إلى المباهلة إلّا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه وذلك أمر يختص به وبمن يكاذبه فما معنى ضمّ الأبناء والنساء ؟

قلتُ: ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض أعزته وأفلاذ كبده وأحب الناس إليه لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته وأعزته هلاك الاستئصال إن تمّت المباهلة، وخصّ الأبناء والنساء لأنّهم أعزّ الأهل وألصقهم بالقلوب، وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل، ومن ثمة كانوا يسوقون مع أنفسهم الظعائن في الحروب لتمنعهم عن الهرب ويسمون الذادة عنها بأرواحهم حماة الحقائق وقدمهم في الذكر على الأنفس لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وليؤذن بأنّهم مقدمون على الأنفس مفدون بها وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام.

وفي مسند أحمد [١] عن عامر بن سعد عن أبيه قال: سمعت رسول الله يقول

---

(١) ج ١ ص ١٨٥ من طبعته على المسانيد.

له: وخلّفه في بعض مغازيه فقال علي: أتخلفني مع النساء والصبيان؟ قال: يا علي أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلّا انّه لا نبوة بعدي، وسمعته يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فتطاولنا لها فقال: ادعوا لي عليّاً فأتى به أرمد فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه، ولما نزلت هذه الآية ﴿ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ﴾ دعا رسول الله عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللهم هؤلاء اهلي.

وروي الحاكم في المستدرك [١] عن بكير بن مسمار عن عامر بن سعد عن أبيه قال: لما نزلت هذه الآية ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ﴾ دعا رسول الله عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللهم هؤلاء أهلي، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأقره الذهبي كما هو.

وروى البيهقي في سننه (ج ٧ ص ٦٣) عن بكير بن مسمار مولى عامر بن سعد قال: سمعت عامر بن سعد يقول: قال سعد: نزل على رسول الله الوحي فأدخل عليّاً وفاطمة وابنيهما تحت ثوبه وقال: اللهم هؤلاء اهلي وأهل بيتي. وروى حاتم بن اسماعيل عن بكير بن مسمار عن عامر بن سعد عن أبيه قال: لما نزلت هذه الآية ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ ﴾ دعا رسول الله عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللهم هؤلاء أهلي.

وقال الشيخ علاء الدين الصوفي المعروف بالخازن في تفسيره المعروف باسمه [٢] قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِمَا جَاءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ

---

(١) ج ٣ ص ١٥٠.

(٢) ج ١ ص ٣١٥.

أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِل فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ قال المفسرون: لما قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية على وفد نجران ودعاهم إلى المباهلة قالوا: حتى نرجع وننظر في أمرنا ثمّ نأتيك غداً فلما خلا بعضهم ببعض قالوا للعاقب وكان كبيرهم وصاحب رأيهم ما ترى يا عبد المسيح ؟ قال: لقد عرفتم يا معشر النصارى انّ محمّداً نبي مرسل ولئن فعلتم ذلك لتهلكن فإن أبيتم إلّا الاقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادتكم فأتوا رسول الله ﷺ وقد احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي يمشي خلفها والنبي ﷺ يقول لهم: إذا دعوت فأمنّوا، فلما رآهم أسقف نجران قال: يا معشر النصارى اني لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً لأزاله من مكانه فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة.

وفي التاج الجامع للأُصول في أحاديث الرسول (ج ٣ص ٣٢٩) عن سعد بن أبي وقاص قال: أمرني معاوية أن أسب أبا تراب فقلت: أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله ﷺ فلن أسبه لأن تكون لي واحدة منهم أحب إليّ من حمر النعم، قد خلفه رسول الله ﷺ في بعض مغازيه فقال علي: يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان فسمعت رسول الله ﷺ يقول: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلّا انّه لا نبوة بعدي، وسمعته يقول يوم خيبر: لأُعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال: فتطاولنا لها فقال: ادعوا إلي عليّاً فأتى به أرمد فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه ولما نزلت هذه الآية: ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ﴾ دعا رسول الله ﷺ عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً وقال: اللهم هؤلاء أهلي ـ رواه مسلم والترمذي ـ.

وفي ذخائر العقبى (ص ٢٥) عن أبي سعيد لما نزلت هذه الآية: ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا

نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ ﴾ ـ الآية ـ دعا رسول الله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً وقال: اللهم هؤلاء أهلي. أخرجه مسلم والترمذي.

وفي ينابيع المودة[1] وفي آية ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ﴾ فقد غدا ﷺ محتضناً الحسين وآخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهؤلاء هم أهل الكساء فهم المراد في آية المباهلة وهم المراد في آية ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾

٣ـ الصلاة على النبي وعلى آله

في ينابيع المودة (ج ٩ ص ١١٩ و ١٢٠) والآية الثانية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾، وصحّ عن كعب بن عجرة قال: لما نزلت هذه الآية قلنا: يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك؟ فقال: قولوا: اللهم صلّ على محمّد وعلى آل محمّد إلى آخره. وفي رواية الحاكم: فقلنا: يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ قال: قولوا: اللهم صلّ على محمّد وعلى آل محمّد إلى آخره. وفيه دليل ظاهر على انّ الأمر بالصلاة عليه الصلاة على آله أيضاً مراد من هذه الآية وانّه جعل نفسه منهم ومن ثمة قال في دعائه لأهل الكساء انهم مني وأنا منهم فاجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك عليّ وعليهم. ويروى: لا تصلّوا عليّ الصلاة البتراء، فقالوا: وما الصلاة البتراء؟ قال: تقولون اللهم صلّ على محمّد وتسكتون، بل قولوا: اللهم صلّ على محمّد وعلى آل محمّد. وقد أخرج الديلمي انّه ﷺ قال: الدعاء محجوب حتى يصلى على محمّد وآله.

---

(١) ج ٢ ص ١١٩ من طبعة صيدا.

وللشافعي :

يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر أنّكم من لم يصلّ عليكم لا صلاة له

وفي مسند أحمد [١] عن موسى بن طلحة عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله كيف الصلاة عليك ؟ قال: قل اللهم صلّ على محمّد وعلى آل محمّد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمّد وعلى آل محمّد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد.

وفي (ج ٥ من المسند: ص ٢٧٤) عن أبي مسعود الأنصاري انه قال: أتانا رسول الله ﷺ في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك ؟ قال: فسكت رسول الله حتى تمنينا انّه لم يسأله ثمّ قال: قولوا: اللهم صلّ على محمّد وعلى آل محمّد كما صلّيت على ابراهيم وبارك على محمّد كما باركت على آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم.

(وفي المستدرك للحاكم النيسابوري: ج ١ ص ٢٦٨) عن أبي مسعود عقبة بن عمرو قال: أقبل رجل حتى جلس بين يدي رسول الله ﷺ ونحن عنده فقال: يا رسول الله أمّا السلام عليك فقد عرفناه فكيف نصلي عليك إذا نحن صلينا عليك في صلاتنا صلى الله عليك ؟ قال: فصمت حتى أحببنا أنّ الرجل لم يسأله ثمّ قال: إذا أنتم صليتم علي فقولوا: اللهم صلّ على محمّد النبي الأُمي وعلى آل محمّد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمّد النبي الأُمي

---

(١) ج ١ ص ١٦٢ من طبعته على المسانيد بمصر.

وعلى آل محمّد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهـيم انك حـميد مـجيد. صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ولم يتعقبه الذهبي.

(وفي المستدرك أيضاً ج ١ ص ٢٦٩) عن ابن مسعود عن رسول الله انّه قال: إذا تشهد أحدكم في الصلاة فليقل: اللهم صلّ على محمّد وعلى آل محمّد وبارك على محمّد وعلى آل محمّد وارحم محمّداً وآل مـحمّد كـما صـليت وبـاركت وترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد.

وفي المستدرك أيضاً (ج ٣ ص ١٤٧ و ١٤٨) عبد الرحـمن بـن أبـي بكـر المليكي عن اسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عن أبيه قال: لما نـظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرحمة هابطة قال: ادعوا الي ادعوا الي فقالت صفية من يا رسول الله؟ قال: أهل بيتي عليّاً وفاطمة والحسن والحسين فجيء بـهم فألقـى عليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم كسائه ثمّ رفع يديه ثمّ قال: اللهم هؤلاء آلي فصل على محمّد وعلى آل محمّد وأنزل الله عزوجل: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّـهُ لِيُذْهِبَ عَـنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْـلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾، هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه. وقد صحّت الرواية على شرط الشيخين انّه علّمهم الصلاة على أهل بيته كما علّمهم الصـلاة على آله عبد الرحمن بن أبي ليلى يقول: لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا اهدى لك هدية سمعتها من النبي صلى الله عليه وآله وسلم قلت بلى فاهدها الي قال: سألنا رسول الله فقلنا يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ قال: قولوا اللهم صـلّ عـلى مـحمّد وعلى آل محمّد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد، اللهم بارك على محمّد وعلى آل محمّد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد. وقد روى هذا الحديث باسناده وألفاظه حرفاً بـعد حـرف الامـام محمّد بن اسماعيل البخاري عن موسى بن اسماعيل في الجامع الصحيح وإنّما خرجته ليعلم المستفيد انّ أهل البيت والآل جميعاً هم.

وفي سنن الترمذي (ج ٢ ص ٣٥٢ من طبعة أحمد شاكر) باب ما جاء في صفة الصلاة على النبي ﷺ : الترمذي بسنده عن كعب بن عجرة قال : قلنا يا رسول الله هذا السلام عليك قد علمنا فكيف الصلاة عليك ؟ قال : قولوا اللهم صلّ على محمّد وعلى آل محمّد كما صليت على ابراهيم انك حميد وبارك على محمّد وعلى آل محمّد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد قال : وفي الباب عن علي وأبي حميد وأبي مسعود وطلحة وأبي سعيد وبريدة وزيد بن خارجة وأبي هريرة .

وفي منتخب كنز العمال للمتقي الهندي (ج ١ ص ٣٥١) عن كعب بن عجرة عدّهن في يدي جبريل وقال جبريل هكذا انزلت من عند ربّ العزة اللهم صلّ على محمّد وعلى آل محمّد كما صلّيت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمّد وعلى آل محمّد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد ، اللهم وترحم على محمّد وعلى آل محمّد كما ترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وتحنن على محمّد وعلى آل محمّد كما تحننت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وسلم على محمّد وعلى آل محمّد كما سلمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد .

(المصدر نفسه : ص ٣٥٤) عن علي قال : كل دعاء محجوب عن السماء حتى تصل على محمّد وعلى آل محمّد . عبيد الله بن محمّد بن حفص العيشي في حديثه وعبد القادر الرهاوي في الأربعين .

المصدر نفسه : ج ٣ ص ٢٠٨) : الصلاة في التشهد على النبي ﷺ : إذا صليتم عليّ فقولوا : اللهم صل على محمّد النبي الامي وعلى آل محمّد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمّد النبي الأُمي وعلى آل

محمّد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد، وذكر صوراً عديدة من لون هذه الصلاة على محمّد وعلى آل محمّد بطرق متعددة.

(المصدر نفسه ج ٥ ص ٩٣) اللهم انك جعلت صلاتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك على ابراهيم وآل ابراهيم اللهم انهم مني وأنا منهم فاجعل صلاتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك عليّ وعليهم، يعني عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً [١].

(المصدر نفسه: ج ٥ ص ٩٦) عن ام سلمة انّ رسول الله قال لفاطمة: ائتيني بزوجك وابنيك فجاءت بهم فألقى عليهم رسول الله كساءً كان تحتي خيبرياً أصبناه من خيبر ثمّ رفع يديه فقال: اللهم انّ هؤلاء آل محمّد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمّد كما جعلتها على آل ابراهيم انك حميد مجيد فرفعت الكساء لأدخل فجذبه رسول الله من يدي وقال انك على خير [٢].

آل محمّد هم أصحاب الكساء

هذا ولا يسع هذا الكتاب استقصاء ما ورد في المقصود بآية التطهير وآية المباهلة وبالصلاة على آل محمّد وما ذكرناه نموذج منه، ولكن اللازم توضيح أكثر في مفاد هذه الفقرات الثلاث فنقول:

لا شبهة انّ العرف الدارج يتناول لفظ الأهل إذا تجرد عن كل قرينة وخصوصية في كل من يمتّ إلى الإنسان بنسب وسبب محفوظ فيهما جانب الاتصال والعاطفة والانتصار في الشدائد والعاديات الدارجة فيما بين الأرحام

(١) الطبراني في الكبير عن واثلة.

(٢) أبو يعلى في مسنده وابن عساكر في التاريخ.

ولا شبهة انّ الأقرب للانسان في نظرهم أوّل صدقاً وانطباقاً من غيره وما جمعناه تحت هذه الكلمة من معنى مفروغ عن الاعتراف به في العرف السائر ولا حاجة إلى التدليل عليه، نعم القرائن والخصوصيات لها الدخل المهم في توجيه هذا اللفظ ـ الأهل ـ إلى حيّز مخصوص كما لها عين هذا الدخل في توجيه غيره من الألفاظ ومن هنا جاءت الاصطلاحات وكثرت كثرة هائلة لا حدّ لتعدادها ومن جملة ذلك لفظ الأهل في لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنّه في الأغلب الأكثر استعمال خاص في بعض مدلوله العرفي العام بالضرورة من أقوال النبي نفسه وأفعاله أيضاً.

وهذه كتب السيرة والتاريخ والحديث شواهد صدق على هذه الدعوى كما تنطبق بصراحة انّ خاصة النبي من كل أسر العالم وأفراده لم تتجاوز فاطمة وبعلها وابنيهما إلى أيّ أحد يفرض، فلا تزال هذه السلسلة الصغيرة ورد فمه وهدف أحاديث تفضيله وتشريفه وتبجيله بما يعترف به المؤالف والمخالف، ونحن في هذه المقامات نتجنب ما يختص به كل فريق لأهل هواه وإنّما نذكر ما يتحدث به أبناء السنة في حق هذه العصابة فإنّهم غير متهمين عليها في سرد فضائلها إن لم نتهمهم على اخفاء كثير مما ورد في حقها من جانب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولتعزيز الموقف نذكر ما يلي:

ذكر المتقي الهندي [1] انّ لكل بني أب عصبة ينتمون اليها إلّا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم وهم عترتي خلقوا من طينتي ويل للمكذبين بفضلهم، من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله. الحاكم في المستدرك وابن عساكر عن جابر.

---

(١) منتخب كنز العمال ج ٥ ص ٩٢.

وذكر أيضاً (١): اللهم انك جعلت صلاتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك على ابراهيم وآل ابراهيم اللهم انهم مني وأنا منهم فاجعل صلاتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك عليّ وعليهم يعني عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً. (الطبراني في الكبير عن واثلة).

وذكر أيضاً (٢) عن أُم سلمة انّ رسول الله قال لفاطمة: ائتيني بزوجك وابنيك فجاءت بهم فألقى عليهم رسول اله كساءً كان تحتي خيبرياً أصبناه من خيبر ثمّ رفع يديه فقال: اللهم انّ هؤلاء آل محمّد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمّد كما جعلتها على آل ابراهيم انك حميد مجيد، فرفعت الكساء لأدخل فجذبه رسول الله من يدي وقال: انك على خير (أبو يعلى في مسنده وابن عساكر في التاريخ).

وذكر أيضاً (٣) عن أنس انّ النبي ﷺ كان يمرّ ببيت فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى الفجر فيقول: الصلاة يا أهل البيت ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾. ابن أبي شيبة.

وذكر أيضاً المصدر نفسه (ص ٣٠) انّ الله جعل ذرية كل نبي في صلبه وان الله جعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب. الطبراني في الكبير عن جابر. والخطيب في التاريخ عن ابن عباس.

وفي مسند أحمد (ج ١ ص ١٨٥) عن عامر بن سعد عن أبيه: قد تقدمت هذه الرواية وفي ذيلها: ولما نزلت هذه الآية ندع أبنائنا وأبناءكم دعا رسول الله ﷺ

---

(١) المصدر نفسه: ص ٩٣.

(٢) المصدر نفسه: ص ٩٦.

(٣) المصدر نفسه من جميع الوجوه.

عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللهم هؤلاء أهلي، وذكر الحاكم في مستدركه هذا الحديث بنصه (ج ٣ ص ١٥٠)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وأقرّه الذهبي في تلخيص المستدرك، وقد أسلفناه نحن آنفاً.

وقال المحب الطبري في كتابه ذخائر العقبى (ص ٢١) باب في بيان انّ فاطمة وعليّاً والحسن والحسين هم أهل البيت المشار اليهم في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾، وذكر عدة أحاديث في ذلك عن عدة محدثين وقد لخصنا نقوله آنفاً فلا نعيد وذكر المحب الطبري أيضاً في كتابه المذكور (ص ٢٥) عن أبي سعيد لما نزلت هذه الآية: ﴿ **فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ** ﴾ ـ الآية ـ دعا رسول الله ﷺ عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً وقال: اللهم هؤلاء اهلي، أخرجه مسلم والترمذي.

وذكر أيضاً [١] عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربى** ﴾ قالوا: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: علي وفاطمة وابناهما، أخرجه أحمد في المناقب.

وذكر القندوزي [٢]: الباب الثاني والثلاثون في تفسير قوله تعالى: ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربى** ﴾ أخرج أحمد في مسنده بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربى** ﴾ قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: علي وفاطمة والحسن والحسين. أيضاً أخرج هذا الحديث الطبراني في معجمه الكبير

---

(١) المصدر نفسه من جميع الوجوه.

(٢) في كتابه ينابيع المودة: ج ١ ص ١٠٥ من طبعة صيدا.

وابن أبي حاتم في تفسيره والحاكم في المناقب والواحدي في الوسيط وأبو نعيم الحافظ في حلية الأولياء والثعلبي في تفسيره والحمويني في فرائد السمطين.

وفي ينابيع المودة أيضاً [١] حاكياً عن جواهر العقدين عن حذيفة بن اليمان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يا أيّها الناس انّه لم يعط احد من ذرية الأنبياء الماضين ما أُعطي الحسين بن علي خلا يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليه السلام، يا أيّها الناس انّ الفضل والشرف والمنزلة والولاية لرسول الله وذريته فلا تذهبن بكم الأباطيل. أخرجه ابن حبان في كتاب التنبيه والحافظ جمال الدين الزرندي في كتابه درر السمطين.

وفي الكتاب المزبور أيضاً (ج ١ ص ١٧٤) عن أبي وائل عن ابن عمر قال: كنّا إذا عددنا أصحاب النبي ﷺ قلنا: أبو بكر وعمر وعثمان، فقال رجل لابن عمر: فعليّ ما هو؟ قال: انّ عليّاً من أهل البيت لا يقاس به احد هو مع رسول الله ﷺ في درجته، انّ الله يقول: ﴿ **الذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم** ﴾ ففاطمة مع أبيها ﷺ في درجته وعليّ معهما مع الحسن والحسين.

وفي الكتاب المذكور (ج ٢ ص ٦٩) ناقلاً عن كتاب مودة القربى: أبو رياح مولى أُم سلمة رفعه لو علم الله تعالى انّ في الأرض عباداً أكرم من علي وفاطمة والحسن والحسين لأمرني أن أُباهل بهم، ولكن أمرني بالمباهلة مع هؤلاء وهم أفضل الخلق فغلبت بهم النصارى.

وفي الكتاب المذكور (ج ٢ ص ٩١) وأخرج الدارقطني عن عاصم بن ضمرة وهبيرة وعمرو بن واثلة قالوا: قال عليّ كرّم الله وجهه يوم الشورى: والله

---

(١) ج ١ ص ١٦٦. الباب الرابع والخمسون في فضائل الحسنين.

لأحتجنّ عليهم بما لا يسطيع قريشيهم ولا عربيهم ولا عجميهم رده، ثمّ قال لهم خصالاً صدقوها إلى أن قال: نشدتكم بالله هل بكم أحد أقرب إلى رسول الله ﷺ مني وهل فيكم من جعله الله نفس نبيه نفسه وابناه ابناه ونسائه نسائه غيري؟ قالوا: لا، وقال: فنشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ أنت أبو ولدي غيري؟ قالوا: لا.

وفي الكتاب المذكور (ج ٢ ص ١٢٠) أخرج الديلمي عن أبي سعيد الخدري انّ النبي ﷺ قال: وقفوهم انهم مسؤولون عن ولاية عليّ وكأنّ هذا مراد الواحدي بقوله: انهم مسؤولون عن ولاية علي وأهل البيت لأنّ الله افترض المودة في القربى فتكون عليهم المطالبة. أقول: وقد تقدم انّ المراد بالقربى هم أهل العباء صرفاً.

وفي الكتاب المذكور (ج ٢ ص ١٢٢) عند ذكره الآية: ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا** ﴾ أخرج الثعلبي في تفسير هذه الآية عن جعفر الصادق رضي الله عنه أنّه قال: نحن حبل الله الذي قال الله تبارك وتعالى: ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا** ﴾ وكان جده زين العابدين رضي الله عنه إذا تلا قوله: ﴿ **يا أيّها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** ﴾ يقول دعاءً طويلاً يشتمل على طلب اللحوق بدرجة الصادقين وبالدرجات العلية وفي وصف المحن التي ابتلى بها وعلى بيان ما انتحلته المبتدعة المفارقون لأئمة الدين من الشجرة النبوية ثمّ يقول: وذهب آخرون إلى التقصير في أمرنا واحتجوا بمتشابه القرآن فتأولوا بآرائهم واتهموا مأثور الخبر إلى أن قال: وقد درست أعلام هذه الأُمّة وذهبت الأُمّة بالفرقة والاختلاف فيكفر بعضهم بعضاً والله تعالى يقول: ﴿ **ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات** ﴾ فمن الموثوق على ابلاغ الحجة وتأويل الآيات إلّا أهل الكتاب وهم أبناء أئمة الهدى ومصابيح الدجى

الذين احتج الله تعالى بهم على عباده ولم يدع الخلق سدى من غير حجة هل تعرفونهم أو تجدونهم إلّا من فروع الشجرة المباركة وبقايا الصفوة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا أو برّأهم من الآفات وافترض مودتهم في الكتاب، وهذا الأثر صريح في انّ المراد بأهل البيت مطلقاً هم مصداق آية التطهير وآية القربى وهم أهل العباء خاصة.

وفي الكتاب المذكور (ج ٢ ص ١٢٣) وفي رواية: وإنّما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني اسرائيل من دخله غفر له، وانّ الله تبارك وتعالى لما خلق الدنيا بأسرها من أجل النبي ﷺ جعل دوامها بدوامه ودوام أهل بيته لأنّهم يساوونه في خمسة اشياء ولأنّه قال في حقهم: اللهم انهم مني وأنا منهم ولأنّهم بضعة منه بواسطة فاطمة رضي الله عنها امهم بضعته فأقيموا مقامه في الأمان، وهذا صريح في انّ أهل بيته هم أبناء علي وفاطمة.

وفي الكتاب المذكور (ج ٢ ص ١٢٦ و ١٢٧) الآية الرابعة عشر: ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً** ﴾ إلى قوله: ﴿ **وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون** ﴾: أخرج أحمد والطبراني وابن أبي حاتم والحاكم عن ابن عباس انّ هذه الآية لما نزلت قالوا: يا رسول الله من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: علي وفاطمة وابناهما. وأخرج الطبراني انّ زين العابدين رضي الله عنه لما جيء به أسيراً بعد قتل أبيه الحسين رضي الله عنه وأُقيم على درج دمشق قال بعض جفاة أهل الشام: الحمد لله الذي قتلكم وقطع قرن الفتنة، فقال: ما قرأت: ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربى** ﴾، قال: وأنتم هم؟ قال: نعم.

وفي الكتاب المذكور (ج ٢ ص ١٥٦) وقال الحافظ جمال الدين الزرندي المدني في كتابه معراج الوصول انّ الامام الشافعي رحمه الله أنشد:

وممّا نفى نومي وشيّب لمتي … تصاريف أيّام لهن خطوب
تأوب همّي والفؤاد كئيب … وأرقّ عيني والرقاد غريب
تزلزلت الدنيا لآل محمّد … وكادت لهم صمّ الجبال تذوب
فمن يبلغن عني الحسين رسالة … وان كرهتها أنفس وقلوب
قتيل بلا جرم كأنّ قميصه … صبيغ بماء الارجوان خضيب
نصلي على المختار من آل هاشم … ونؤذي بنيه إنّ ذا لعجيب
لئن كان ذنبي حبّ آل محمّد … فذلك ذنب لست عنه أتوب
هم شفعائي يوم حشري وموقفي … وبغضهم للشافعي ذنوب

فلم يخطر في بال الشافعي انّ المراد بآل البيت غير ذراري النبي من علي وفاطمة فإنّ الدنيا لم تتزلزل لغير هؤلاء ولم يصب غيرهم من قريش بالفوادح كما أُصيبوا.

وفي الكتاب المذكور (ج ٣ ص ١ من طبعة صيدا) وفي جواهر العقدين للشريف السيد نور الدين علي السمهودي المصري أعلم علماء مصر والحجاز ومصنف تاريخ المدينة المنورة نقل البيهقي عن الربيع بن سليمان وهو أحد أصحاب الشافعي قال: قيل للإمام الشافعي انّ ناساً لا يصبرون على سماع منقبة أو فضيلة لأهل البيت الطيبين فإذا رأوا واحداً منّا يذكرها يقولون هذا رافضي فأنشأ الشافعي :

برئت إلى المهيمن من أُناس … يرون الرفض حبّ الفاطمية
على آل الرسول صلاة ربي … ولعنته لتلك الجاهلية

ونقل الإمام فخر الدين الرازي انّ المزني قال: قلت للشافعي : انك لتوالي أهل

البيت فلو عملت في هذا الباب أبياتاً فقال ـ وذكر أبياتاً ـ إلى أن قال: وروى البيهقي أيضاً عن الربيع بن سليمان قال: انشد الشافعي:

يا راكباً قف بالمحصب من منى ... واهتف بساكن خيفها والناهض
سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى ... فيضاً كملتطم الفرات الفائض
إن كان رفضاً حب آل محمّد ... فليشهد الثقلان انّي رافضي

ولا شبهة انّ المراد بآل البيت في كافة هذه المراحل النثرية والشعرية هم آل محمّد من علي وفاطمة ومن سبب بغضهم جاء اصطلاح النصب ومن جهة التودد اليهم حصل التشيع وظهرت كلمة الرفض ولا تساق هذه الألفاظ في سبيل مبغضي ومحبي بني العباس أو بني أبي لهب وهكذا سائر سلاسل بني هاشم بواضح الضرورة.

ومن نظير ما سبق في الكتاب المذكور (ج ٣ ص ٤) وفي جواهر العقدين قال أبو الحسن بن سعيد في كنوز المطالب في فضائل علي بن أبي طالب: انّ الشعراء يشتغلون ببغداد بمشهد الكاظم رضي الله عنه في مدح أهل البيت وأنكر بعض من غلب عليه التعصب والتقليد فقلت هذه الأبيات:

يا أهل بيت المصطفى عجباً لمن ... يأبى حديثكم من الأقوام
والله قد أثنى عليكم قبلها ... وبهديكم شدّت عرى الإسلام
الله يحشر كل من عاداكم ... يوم الحساب مزلزل الأقدام
ويرى شفاعة جدكم من دونه ... ويذاد عن حوض طريداً ظامي

قال الحافظ أبو عبد الله جمال الدين محمّد بن أبي المظفر يوسف الزرندي المدني في كتابه معارج الوصول في معرفة آل الرسول قال الامام الشافعي ﵀:

يا أهل بيت رسول الله حبكم — فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر أنّكم — من لم يصلّ عليكم لا صلاة له

وقد سلف انّ المراد بالآل في آية التطهير والقربى والمباهلة هم أهل العباء خاصة فضلاً عما سبق من صريح ارادة الشافعي لهم بخصوصهم.

وفي الكتاب المذكور حاكياً (ج ٢ ص ١٣٩) من سرّه أن يحيى حياتي ويموت مماتي ويسكن جنة عدن عند شجرة طوبى التي غرسها ربي فليوال عليّاً من بعدي وليوال وليّه وليقتد بالأئمة من بعدي فإنّهم عترتي خلقوا من طينتي ورزقوا فهماً وعلماً فويل للمكذبين لهم من أُمتي القاطعين فيهم صلتي لا أنالهم الله شفاعتي، ذكره صاحب الحلية.

وفي الكتاب المذكور (ج ٣ ص ١٧) حاكياً عن كتاب فصل الخطاب لمحمد خواجه بارساي البخاري قال: روى الامام الواحدي باسناده عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربى** ﴾ قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: علي وفاطمة وولداهما.

وقال الإمام فخر الدين الرازي: روي انّه قيل يا رسول الله من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم؟ فقال: علي وفاطمة وابناهما، فثبت انّ هؤلاء الأربعة هم المخصوصون بمزيد المودة والتعظيم لوجوه: الأوّل هذه الآية، والثاني: انّه صلى الله عليه وآله وسلم كان يحبهم وثبت ذلك بالنقل المتواتر وبالعقل فيجب على كلّ الأُمّة اتباعه لقوله تعالى: واتبعوه لعلكم تهتدون، والثالث انّ الدعاء للآل عظيم وقد جعل هذا الدعاء في خاتمة التشهد في الصلاة وهذا التعظيم لم يوجد في غير الآل.

وقال في الكتاب المذكور[1]: قال بعض الشافعية في قصيدته الدالية المشهورة:

وسائلي عن حب أهل البيت هل	أسرّ اعلاني بهم أم أجحد
والله مخلوط بلحمي ودمي	حبهم هم الهدى والرشد
حيدرة والحسنان بعده	ثمّ علي وابنه محمّد
وجعفر الصادق وابن جعفر	موسى يتلوه علي السند
أعني الرضا ثمّ ابنه محمّد	ثمّ علي وابنه المسدد
الحسن التالي ويتلو تلوه	محمّد بن الحسن الممجد
فإنّهم أئمتي وسادتي	وان لحاني معشر وفندوا
أئمة أكرم بهم أئمة	أسماؤهم مسرودة تطرد

إلى آخر ما قال.

وقال في الكتاب المذكور (ج ٣ ص ١٥٠): أخرج الحافظ جمال الدين الزرندي المدني في درر السمطين بسنده عن أبي الطفيل وجعفر بن حبان قال: خطب الحسن بن علي رضي الله عنهما بعد شهادة أبيه قال: أيّها الناس أنا ابن البشر وأنا ابن النذير وأنا ابن السراج المنير وأنا ابن الذي أرسله الله رحمة للعالمين وأنا ابن الداعي إلى الله وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وأنا من أهل البيت الذين كان جبرائيل عليه السلام ينزل عليهم وأنا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم على المؤمنين فقال سبحانه وتعالى: ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربى** ﴾ ﴿ **ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً** ﴾،

---

(١) ج ٣ ص ١٤٢.

واقتراف الحسنة مودتنا، ولما نزلت ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ قالوا: يا رسول الله كيف الصلاة عليك؟ قال: قولوا اللهم صلّ على محمّد وعلى آل محمّد فحق على كل مسلم أن يصلّي علينا فريضة واجبة ـ إلى أن يقول ـ فأخرج جدي صلى الله عليه وآله وسلم يوم المباهلة من الأنفس أبي ومن البنين أنا وأخي الحسين ومن النساء أُمّي فاطمة فنحن أهله ولحمه ودمه ونحن منه وهو منّا وهو يأتينا كل يوم عند طلوع الفجر فيقول: الصلاة يا أهل البيت يرحمكم الله ثمّ يتلو: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾، إلى آخر ما قال.

وذكر الحافظ الكنجي (١) أخبرنا شيخنا وسيدنا العلّامة شافعي الزمان سفير الخلافة أبو محمّد عبد الله بن أبي الوفا الباذرائي عن الحافظ أبي محمّد عبد العزيز بن الأخضر أخبرنا أبو الفتح الكروخي؛ وقرأت على القاضي الفقيه العالم صدر الشام أبي العرب اسماعيل بن حامد بن عبد الرحمن الخزرجي القوصي الشافعي قال: أخبرنا أبو حفص عمر بن محمّد بن معمر أخبرنا أبو الفتح عبد الملك الكروخي أخبرنا القاضي أبو عامر محمّد بن القاسم الأزدي وغيره حدثنا أبو محمّد الجراحي أخبرنا أبو العباس محمّد المحبوبي أخبرنا الحافظ أبو عيسى حدثنا قتيبة حدثنا محمّد بن سليمان الاصبهاني عن يحيى بن عبيد عن عطاء عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ في بيت أُم سلمة فدعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة وحسناً وحسيناً عليهم السلام وجللهم بكساء

---

(١) في كتابه كفاية الطالب: ص ٢٢٧. عند قوله: الباب المأة في تطهيرهم عليهم السلام من الأنجاس بقوله عزوجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

وعلي عليه السلام خلف ظهره ثمّ قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، قالت أُم سلمة وأنا معهم يا نبي الله؟ فقال: أنت على مكانك وأنت على خير، (قلت) هكذا أخرجه الترمذي في جامعه والطبراني في معجمه الأكبر عن عبد الله بن أحمد حدثنا محمّد بن أبان الواسطي عن محمّد الاصبهاني في ترجمة عمر بن أبي سلمة كما أخرجاه سواء.

وأخرجه الامام أحمد في مناقب علي ولنا به أصل عن شهر بن حوشب عن أُم سلمة انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لفاطمة: ائتيني بزوجك وابنيك فجاءت بهم فألقى عليهم كساء قالت ثمّ وضع يده عليهم ثمّ قال: اللهم انّ هؤلاء آل محمّد فاجعل صلواتك وبركاتك على محمّد وعلى آل محمّد انّك حميد مجيد، قالت أُم سلمة رضي الله عنها فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه من يدي وقال انك على خير. وناهيك به مخرجاً وراوياً وهو صحيح أخرجه مسلم، ثمّ ذكر طريقه إلى مسلم وطريق مسلم إلى عائشة قالت: خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذات غداة وعليه مرط مرحّل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثمّ جاء الحسين فأدخله معه ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها ثمّ جاء علي فأدخله ثمّ قال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾.

وساق الكنجي طريقاً له آخر أنهاه إلى مصعب بن شيبة عن صفية بنت شيبة قالت: قالت عائشة: وساقه مثل الأوّل عن مسلم، وساق أيضاً بطريق له آخر مثل ما سلف عن عائشة. وساق أيضاً بطريق آخر عن أبي سعيد الخدري في قوله عزوجل ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ قال: نزلت في خمسة في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام. قلت: أخرجه الطبراني في المعجم الصغير، وساق سنداً آخر له أنهاه إلى أبي الحمراء قال: صحبت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسعة أشهر وكان إذا أصبح

أتى باب علي وفاطمة وهو يقول: يرحمكم الله ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾ وساق سنداً آخر له وصله بأبي سعيد الخدري قال: حين نزلت: ﴿ **وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها** ﴾ كان يجيء نبي الله إلى باب علي عليه‌السلام صلاة الغداة ثمانية أشهر يقول: الصلاة رحمكما الله ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾، قلت: رواه محدث الشام في مناقب علي من كتابه بطرق شتى.

وذكر الكنجي طرقاً اُخرى آثرنا السكوت عنها طلباً للاختصار فإنّه قد سلف منّا في هذه المادة شيء كثير وإنّما أردفنا بمنقولات هذا الحافظ تعزيزاً للبحث بأنّ المراد بأهل البيت هم هؤلاء المذكورون صرفاً إلّا أن ينص النبي نفسه على واحد من قرابته انّه ممن يطلق عليه ـ أهل البيت ـ في مادة حكم بخصوصه وامّا هذه السياقات فهي كما ترى لا تتجاوز هذه الاسرة إلى أي أحد من أزواجه أو من سائر بني عبد المطلب.

وفي هامش كفاية الطالب «الكتاب الموماً إليه»: ص٢٣٤: وممن صرّح بصحته ـ أي صحة حديث مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق ـ الامام محمّد بن ادريس الشافعي وقد نسب إليه العلّامة العجيلي في ذخيرة المآل الأبيات التالية:

ولما رأيت الناس قد ذهبت بهم ... مذاهبهم في أبحر الغيّ والجهل

ركبت على اسم الله في سفن النجا ... وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسل

وأمسكت حبل الله وهو ولائهم ... كما قد أمرنا بالتمسك بالحبل

إذا افترقت في الدين سبعون فرقة ... ونيفاً على ما جاء في واضح النقل

ولم يك ناج منهم غير فرقة ... فقل لي بها ياذا الرجاحة والعقل

أفـــي الفـرقة الهـلّاك آل مـحمّد	أم الفرقة اللاتي نـجت مـنهم قـل لي
فإن قلت في النـاجين فـالقول واحـد	وإن قلت في الهلّاك حفت عن العدل
إذا كـان مـولى القـوم منهم فـإنني	رضيت بـهم لا زال فـي ظـلهم ظـلي
رضـــيت عـــليّاً لي إمـاماً ونسـله	وأنت مـن البـاقين فـي أوسـع الحـلّ

وأنت كما ترى انّ هذه الأبيات صريحة في انّ الشافعي لم يكن يعرف لأهل البيت معنى معهوداً سوى من أوعزنا اليهم من علي وفاطمة والحسنين ونسلهم المعروفين بالأصالة والامامة وشرف الفضيلة والمعرفة والقدس والزكاة.

وقد كتب في هذا الباب صاحب الفصول المهمة وتذكرة الخواص نظيراً لما أسلفناه فلا نطيل بذكره.

وأنت فيما قرأت يحصل لك علم قاطع بمفاد ما ادعيناه في صدر البحث من أنّ لفظ أهل البيت المجرد عن كل خصوصية تذكر معه وقرينة تقرن به مصروف في لسان النبي عن كل أفراد بني هاشم إلى بيت علي وفـاطمة ومـضافاً إلى مـا سلف يمكننا التدليل بجهات أُخرى.

١ ـ انّ الأفراد المذكورين المدعى فيهم انصراف لفظ أهل البيت اليهم في لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم هم أقرب الناس إليه نسباً ومداخـلة وارتـباطاً وذلك فـي فـاطمة والحسنين أوضح ما يكون وفي علي انّه ابن عمه لأبيه وأُمّه، وشديد لصوق أبي طالب بالنبي من كافة الحيثيات قد تكلمنا عليه في الحلقة الثانية بما لا مزيد عليه فلا يكون في مقربة من هذا الموقف العباس والحـمزة وغـيرهما مـن آل عـبد المطلب أوّلاً وبني هاشم ثانياً والمنازع في ذلك مكذب لكافة فصول التاريخ لا لفصل واحد منه. وانّه عليه السلام نشأ في بيته صلى الله عليه وآله وسلم وتربى في حجره واستمر معه من أوّل تولده صلى الله عليه وآله وسلم إلى حين مفارقته له صلى الله عليه وآله وسلم وخاض معه في كل حديث وحادث

وقد سلف بيان هذا الفصل أيضاً في الحلقة الثانية فلا نعيده فلا يكون ـ كما أسلفنا ـ في مقربة من موقفه هذا عباس ولا غير عباس من كافة أفراد الأُسرة الهاشمية .

٢ ـ انّ الأفراد المذكورين في أنفسهم يملكون من مؤهلات التقدم ما لا يملكه هاشمي ولا غير هاشمي من معاصريهم وغير معاصريهم فإنّ التاريخ مهما تشدد عليهم لا ينكر بارع فضلهم وعلمهم وحلمهم وعبادتهم وطهارتهم وقدسهم ونبوغهم في كافة المعارف العلمية والعملية بما لم يدانهم فيه معاصر متقدم ولا تابع متأخر هاشمياً كان أم غير هاشمي وهذا ابن عباس وهو أعظم عباسي في سلسلته يعترف بشرف التلمذ على أمير المؤمنين علي عليه السلام .

٣ ـ انّ مفاد الحديث المستفيض عن لسان النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في حق أهل البيت من انهم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق وانهم كباب حطة وانهم أمان أهل الأرض وما هو في هذا الرديف من عظمة المضمون وأهمية المعنى لا يجد في الخارج مصدقاً ينطبق عليه بصدق غير الأفراد المذكورين الذين ندعي فيهم انصراف لفظ أهل البيت اليهم بخاصتهم فإنّ أفراد بني هاشم المعاصرين للنبي واللاحقين ـ ما سوى الأفراد المومأ اليهم وسلسلتهم ـ معروفون لمحدوديتهم وليس فيهم من يجوز أن ينطبق عليه أقل القليل من تيك المضامين العالية لأنّهم لم يكونوا من سنخها ولا في مصافها والفاضل فيهم ممدوح فقط ولم يعرف عنهم علم وقدس ودفاع عن الإسلام شديد بل لم ينبه منهم من يجوز أن يستحق مكانة الفضل بالحقيقة العارية عن التعصب ما سوى جعفر بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب وفي رديف لاحق العباس ومن عداهم فوجودات شاخصة قابعة بأسماء عارية عن مؤهلات التقدم في الإسلام من علم جم وقدس معروف وغيرهما من الصفات المهمة .

نعم لا ينكر انهم قرابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورحمه وليس الملاك في دين الإسلام هو

القرب النسبي وحده إذا لم تشفعه المعارف العلمية والعملية والكتاب والسنة متعاضدان في انّ القرب الديني ملاكه كسب الفضائل والتعري عن الرذائل ومن هنا صحّ للنبي أن يقول سلمان منا أهل البيت ولا شبهة انّ مقام قدسه رضي الله عنه عنده ﷺ أهمّ وأعظم من مقامات عالية بين الناس أُحرزت بصرف الانساب الضخمة أُنيطت بهاشم وغير هاشم وهذا من الوضوح بمكان.

وأنت إذا استرسلت في سلاسل الهاشميين بدت لك منها الفوارق كعمود الصباح في غلس الليل حين يحدثك التاريخ عن ولد فاطمة وعلي من حسن وحسين وعلي زين العابدين ومحمّد الباقر وجعفر الصادق وموسى الكاظم وعلي بن موسى الرضا ومحمّد الجواد والعسكريين بكل حديث يملأ الأسماع والقلوب عظمة وأُبهة ورهبة وهيبة من علم وعمل وقدس وورع واباء وعزة نفس وإحاطة بالمعارف بحيث كانت الركائب تزجى اليهم للأخذ من علومهم والتمتع من النظر إلى وجوههم والتلمذ عليهم في العلم والعمل جميعاً وكانت رقاب المخالف والمؤالف خاضة أمام ملكوتيتهم وذكرهم ورد كل لسان وحبهم في قلب كل انسان إلّا أن يكون جلف علج كافر بكل مقدسات العالم.

وحين يحدثك عن بني العباس بأحاديث الخمر والعهر والزنا واللواط والقمار والغناء والرقص والتبذل إلى غاية الوقاحة والاسترسال في دروب السخافة في رجالهم ونسائهم على الإطلاق في أعاليهم قدراً فضلاً عن صغارهم ومحقيرهم، في خلفائهم وأُمرائهم فضلا عن ولاة عهودهم وأقربائهم وخواصهم وحشمهم وخدمهم ومن امتزع بهم، وكيف استطيع أن أجمع سقطهم وسخفهم في هذه الأسطر وقد عجزت دورات الكتب ذات السلاسل المترامية عن الاحاطة بها، ولكن للتدليل على بحث جامع في كتاب واحد أرشدك أن تقرأ الأغاني لأبي الفرج فضلاً عن غيره من كتب الأدب والتاريخ هناك تقف على صفحات تربو

على الألف صفحة تشاهد فيها بصراحة انّ الرشيد وهو أعظمهم خليفة يرقص وأخوه ابراهيم يغني وأُخته علية تغني وانّ أخاه الآخر يعقوب يزمر وهلمّ دواليك وامّا الخمر عندهم فهي أحلّ من الماء شرباً وأكثر منه استعمالاً بصراحة مكشوفة، وكما قلت لك أوّلاً لا أُطيل في هذا الشأن لأنّ مسافة الحديث عنه طويلة بعيدة جداً ولم يقطع أبو الفرج منها إلّا طرفاً في نوع حديثه المبسوط في واحد وعشرين مجلداً وهو كتاب قد تناولته المطابع بكثرة فاقرأه تعرف ذلك بجلاء وصراحة.

فليت شعري هل يكون هؤلاء كسفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق وهم بأنفسهم وكل من يلف لفهم غارقون في أمواج المعاصي بعيدون عن مرضاة الخالق والمخلوق، أو كباب حطة، أو أماناً لأهل الأرض، ولم تفسد الأرض إلّا بهم ولا انكسرت شوكة أحكام الإسلام الحلال والحرام إلّا منهم ـ لا ـ لا يكون ذلك. نعم زين العابدين السجاد ذو الثفنات كسفينة نوح والصادقان اللذان عجّت بفضلهما نوادي الفضل وبقدسهما الممارسات المستطيلة كباب حطة وموسى والرضا والعسكريان أمان لأهل الأرض.

ودعوى أبناء السنة انّ قريشاً ـ فضلاً عمّن هو أدنى إلى النبي ﷺ منهم، مشمولون في أهل البيت المقول فيهم ما سلف وما لم نذكره وهكذا داخلون في العترة الوارد فيهم الأثر فذلك ليس ببعيد منهم بعد أن اعترفوا بامارة المؤمنين ليزيد بن معاوية والوليد بن يزيد ومنعوا من سبهما جزماً وعدوا الحسين خارجاً على ابن معاوية وانّ ابن هند معذور في قتله اياه وفي عامة ارتكاباته لأنّه وجد ذلك من مصلحة الخلافة وهم يعتبرون انعقاد بيعته وان كل خلافة تكون في عرض امارته باطلة وعلى مثل هذا الرديف.

كما انهم لم يتحاشوا خلاف أنفسهم ومروياتهم فبعدما تواتر في حديثهم

جواب النبي ﷺ للسائل كيف نصلي عليك ـ انكم قولوا ـ اللهم صلّ على محمّد وعلى آل محمّد، وفي بعض الطرق انّ الصلاة عليه من دون ذكر الآل معه بتراء، أخذوا يصرون اصراراً لا مزيد عليه في ألسنتهم وفي كتاباتهم على حذف الآل في الصلاة عليه حتى جعلوا ذلك شعاراً لهم في مقابل الشيعة الذين اتبعوا خطوات النبي في الصلاة على محمّد وآل محمّد، وهذه واحدة من الشناشن الاخزمية الموجودة فيهم ومن هنا تعرف انّ كثراً من الديانات قوامها التعصب وان الذي يزرع هذا الزرع الخبيث هو كبير القوم علماً ومعرفة فيابقيا على الأصغار.

واقعة أُحد

وبعد انتهاء معركة بدر وحصول الفوز والنجاح فيها للمسلمين والدبرة على المشركين قام الرسول ﷺ ببعض البعوث والغزوات حسب السوانح التي تحدث في الفترات المتناوبة ولكن لم يكن لها شأن تاريخي ولذلك لم نتحدث عنها كما لم نتحدث عن نظيرها مما سبق على وقعة بدر حتى اتصلت النوبة بوقعة أُحد.

ليعلم الباحث للتاريخ المستخرج لكوامن اسراره انّ ما بين السوانح التي أهابت بوقعة بدر والأُخرى التي تمخضت عن غزوة أُحد فروقاً جمة وهي التي أدّت بنجاح المسلمين في المعركة الأُولى وتدهورت بهم في المعركة الثانية.

منها: انّ المشركين في خروجهم إلى بدر كانوا جدّ مستصغرين لشأن محمّد وأتباعه الجدد معتقدين انهم سوف يقضون عليهم في الوثبة الأُولى، وقد صرحت عباراتهم في مسيرهم إلى بدر عن منوياتهم هذه ولذلك وردوا المعركة عن قلوب راكدة ونفوس متسعة ولم يعيروا الحومة كل همتهم.

ومنها : انّ المسلمين عندما صفّوا في بدر لعدوهم كانوا على حذر كامل ومراعاة لنقاط الضعف فيهم وفي مقابلهم وسهر وحساب لما يوجب تقدمهم في هذه المعركة واحرازهم لنجاحها وذلك لأنّه كانوا جدّ عارفين بعظمة الموقف من كافة وجوهه وان المقدمات العادية حاكمة لعدوهم عليهم من كثرة عددهم وقوة سلاحهم وسوابق تجبرهم واعتنائهم بأنفسهم زائداً ولذلك عندما وردوا الميدان وردوا ناصحين ولأوامر نبيهم طائعين ولم يتخلفوا عن نظام المعركة طرفة عين فأحرزوا نجاح الموقف من ذلك وهذا.

ومنها : انّ قريشاً بعد انهيارها في معركة بدر وروجوعها إلى مكة عرفت من موقف النبي وأتباعه أمامهم ما لم يكن يخطر لها ببال وأيقنت انّ للقوم حساباً لم تكن تزويه في نفسها حتى تحاسبهم به في خروجها إلى بدر فاتخذت لنفسها موقفاً آخر تجاه القوم وحسبت لهم حساباً ثانياً فجاءت احداً بالعزائم التي كان المسلمون منطوين عليها في وقعة بدر لما كانوا يحسبون لهم من حساب دقيق ويحذرون منهم الحذر التام.

ومنها : انّ هذا الفريق عندما انحدر إلى بدر جاء بصدر منشرح وأموال محرزة لم يصبه قرح من قبيله ولم تنكل بخواطره الأيّام أقل تنكيل يعزف مطرباً ويشرب الخمر آنساً وينحر ويأكل فارهاً ملذوذاً وانحدر إلى أُحد وكله غيظ وتحرق وحزن مالىء لشراشر وجوده يرسف في عقد نفسية قد حجّرت قلبه ودوّخت رأسه وسودت في عينه آفاق الحياة بما فقده من الأقارب والأرحام والذوات التي كان يعتز بها في المخاطر والمخاوف وما استلبته منه الأيّام من عز باذخ وشرف عريض وسمعة واسعة وجاه خطير عند منصرفه من واقعة بدر مفلولاً حدّه خائباً جده خابياً زنده.

ومنها : انّ المسلمين بعدما أحرزوا بدراً بالصفة التي مرّت بك قتل لصناديد

قريش وأسر لأشرافهم ونفل واسع من الغنائم والفداء وهم على ما كانوا عليه من قلة في العدد وضعف في السلاح واملاق في الماديات حسبوا أنّ هذه الموفقية في قبال هذا العدو نصيب مقرر لهم لا يفوتهم أبداً لأنّهم يرجون فـي مسـتقبلهم زيادة في عددهم وقوة في سلاحهم وتوسعاً في مادياتهم فإذا كانوا مع حـالتهم الأُولى غالبين فأجدر بهم منتصرين بأوفى من ذلك إذا ترقت حـالتهم مـن ذلك الوصف النازل إلى ما هو أرقى منه وهذا الرقي (بعد رجوعهم مـن بـدر) كأنّـه محسوس لهم لما أفادوه في الماديات وأدخلوه في القـلوب مـن الروعـة فـلا يريدهم أحد بسوء بعد هذا بما كان يريدهم به آنفاً بهذه الروح عندما بلغهم خبر قدوم المشركين من مكة إلى المدينة محاربين ومـناجزين بـرزوا بآرائـهم أوّلاً فاختلفوا فيما بينهم ولم يأخذوا برأي نبيهم في المكث داخل المدينة ومـدافـعة القوم على أبوابها بل الزموه بالشخوص اليهم خارجاً وبعد مطاوعته ﷺ لهـم أظهروا الندم حين لا معنى له إلّا التذبذب وبذلك فقدوا ثلث جماعتهم لرجوع ابن أبيّ بثلاثمائة من الألف الخارجين إلى أُحد من المسلمين زاعماً في علة رجوعه انّ النبي ﷺ لم يأخذ برأيه في المكث داخل المدينة وانّه إنّـما تـابع الاغـرار الذين لا علم لهم بالمواقع الحربية في هذه المنطقة فخرج بخروجهم والأهم من كل ذلك بل هو عمدة الحديث كله في خسارة المسلمين أُحداً بمقدار نفعهم في واقعة بدر انّ النبي ﷺ لما عدّل النظام الحربي لهم في مقابلة عدوهم في أُحد وقرّر لكل فريق منهم موقفاً ووظيفة خاصة لا يتعداها إلى غيرها كما صنع مثل ذلك في بدر لم يعدلوا عن رأيه في بدر ولازم كل سمته ووظيفته وخالفوه في أُحد عندما أخلا الرماة موقفهم أمام الكمين فأحرزوا النصر في بدر لذلك وما هلكوا وانهتكوا في أُحد إلّا من هذا صرفاً وهذه الفوارق التي ذكرناه فوارق مـهمة لهـا قيمتها العالية في سوق التجارب والنظريات الصائبة ولأجلها جاء العـيان عـلى

وفقها ولم يخالفها قيد شعرة كما قرأت آنفاً وكما ستقرأ تالياً .

قال ابن سعد [١] : ثمّ غزا رسول الله ﷺ أُحداً يوم السبت لسبع ليال خلون من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهراً من مهاجره قالوا : لما رجع من حـضر بدراً من المشركين إلى مكة وجدوا العير التي قدم بـها أبـو سـفيان ابـن حـرب موقوفة في دار الندوة فمشت أشراف قريش إلى أبي سفيان فقالوا نـحن طـيبوا أنفس أن تجهزوا بربح هذه العير جيشاً إلى محمّد فقال أبو سفيان : وأنا أوّل من أجاب إلى ذلك وبنون عبد مناف معي فباعوها فصارت ذهباً وكانت ألف بـعير والمال خمسين ألف دينار فسلّم إلى أهـل العـير رؤوس أمـوالهـم وأخـرجـوا أرباحهم وكانوا يربحون في تجارتهم للدينار ديناراً وفـيهم نـزلت : ﴿ **إنّ الذيـن كفروا ينفقون أموالهم ليصدّوا عن سبيل الله** ﴾ وبعثوا رسلهم يسيرون فـي العـرب يدعونهم إلى نصرهم فأوعبوا وتألب من كان معهم من العرب وحضروا فأجمعوا على اخراج الظعن ـ يعني النساء ـ معهم ليذكرنهم قتلى بدر فـيحفظنهم فـيكون أحدّ لهم في القتال وكتب العباس بـن عـبد المـطلب بـخبرهم كـلّه إلى رسـول الله ﷺ فأخبر رسول الله ﷺ سـعد بـن الربـيع بكـتاب العـباس وأرجـف المنافقون واليهود بالمدينة وخرجت قريش من مكة ومعهم أبو عـامر الفـاسق وكان يسمى قبل ذلك الراهب في خمسين رجلاً من قومه وكان عـددهم ثـلاثة آلاف رجل فيهم سبعماءة دراع ومعهم مائتا فرس وثـلاثة آلاف بـعير والظـعن خمس عشرة امرأة وشاع خبرهم ومسيرهم في الناس حـتى نـزلوا ذا الحـليفة فبعث رسول الله ﷺ عينين له أنساً ومؤنساً ابني فضالة الظفريين ليلة الخميس لخمس ليال مضين من شوال فأتيا رسول الله بـخبرهم وانـهم قـد خـلّوا ابـلهم

(١) الطبقات : ج ٣ ص ٧٨ من مطبوعة مصر.

وخيلهم في الزرع الذي بالعريض حتى تركوه ليس به خضراء ثمّ بعث الحباب بن الجموح اليهم أيضاً فدخل فيهم فحزرهم وجاءه بعلمهم وبات سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وسعد بن عبادة في عدّة ليلة الجمعة عليهم السلاح في المسجد بباب رسول الله ﷺ وحرست المدينة حتى أصبحوا.

ورأى رسول الله تلك الليلة كأنّه في درع حصينة وكأنّ سيفه ذا الفقار قد انفصم من عند ظبته وكأنّ بقراً تذبح وكأنّه مردف كبشاً فأخبر بها أصحابه وأوّلها فقال: أمّا الدرع الحصينة فالمدينة وامّا انفصام سيفي فمصيبة في نفسي، وامّا البقر المذبح فقتل في أصحابي وامّا مردف كبشاً فكبش الكتيبة يقتله الله إن شاء الله فكان رأي رسول الله أن لا يخرج من المدينة لهذه الرؤيا فأحب أن يوافق على مثل رأيه فاستشار أصحابه في الخروج فأشار عله عبد الله بن أبيّ بن سلول أن لا يخرج وكان ذلك رأي الأكابر من المهاجرين والأنصار فقال رسول الله ﷺ : امكثوا في المدينة واجعلوا النساء والذراري في الآطام، فقال فتيان أحداث لم يشهدوا بدراً طلبوا من رسول الله ﷺ الخروج إلى عدوهم ورغبوا في الشهادة اخرج بنا إلى عدونا فغلب على الأمر الذين يريدون الخروج فصلى رسول الله الجمعة بالناس ثمّ وعظهم وأمرهم بالجد والجهاد وأخبرهم انّ لهم النصر ما صبروا وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم ففرح الناس بالشخوص ثمّ صلى بالناس العصر وقد حشدوا وحضر أهل العوالي؛ إلى آخر ما ذكروا طابقه على هذا الفصل كل من كتب في السيرة.

وقال الواقدي حسب حكاية ابن أبي الحديد عنه [١]: كانت الألوية يوم خرج المشركون من مكة ثلاثة عقدوها في دار الندوة لواء يحمله سفيان بن عويف

(١) ج ٣ ص ٣٥٩ وما بعدها من شرح النهج.

لبني كنانة ولواء الأحابيش يحمله رجل منهم ولواء لقريش يحمله طلحة بن أبي طلحة ، قال الواقدي : ويقال خرجت قريش ولفّها كلهم من كـنانة والأحـابيش وغيرهم على لواء واحد يحمله طلحة بن أبي طلحة وهو الأثبت عندنا وهم ثلاثة آلاف بمن ضوى لهم وخرجوا بعدة وسلاح كثير وقادوا مأتي فرس وكان فـيهم سبعمائة دارع وثلاثة آلاف بعير ـ إلى أن يقول ـ وكان مقدم قريش يوم الخميس خلون من شوال وكانت الواقعة يوم السبت لسبع خلون من الشهر المزبور وبات وجوه الأوس والخزرج سعد بن معاذ واسيد بن حضير وسعد بن عبادة في عدة منهم ليلة الجمعة عليهم السلاح في المسجد بباب النبي ﷺ خوفاً من تبييت المشركين وحرست المدينة تلك الليلة حتى أصبحوا ـ إلى أن يقول في حديث رأى النبي ﷺ في بقائه داخل المدينة ورأى كثير من المسلمين في الخـروج خارجها ـ فلما خرج رسول الله ندموا جميعاً على ما صنعوا وقال الذين يلّحون على رسول الله ﷺ ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما بـدا لك ومـا كـان لنـا أن نستكرهك والأمر إلى الله ثمّ اليك فقال قد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبـيتم ولا ينبغي لنبي إذا لبس لامته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه .

قال : ثمّ دعا بثلاثة أرماح فعقد ثلاثة ألوية فدفع لواء الأوس إلى أسـيد بـن حضير ودفع لواء الخزرج إلى الحباب بن المنذر بن الجموح ويقال إلى سعد بن عبادة ودفع لواء المهاجرين إلى علي بن أبي طالب ، ويقال إلى مصعب بن عمير .

أقـول : هذا الترديد بين علي ومصعب يذكره عدة من المؤرخين ؛ قال : ثمّ دعا بفرسه فركبه وتقلد قوساً وأخذ بيده قناة والمسـلمون مـتلبسون بـالسلاح قـد أظهروا الدروع فهم مأة دارع فلما ركب ﷺ خرج السعدان أمامه يعدوان سعد بن معاذ وسعد بن عبادة كل واحد منهما دارع والناس عن يمينه وشماله وعرض

عسكره بالشيخين [١] فعرض عليه غلمان منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت وأُسامة بن زيد والنعمان بن بشير وزيد بن أرقم والبراء بن عازب واسيد بن ظهير وعرابة بن اوس وأبو سعيد الخدري وسمرة بن جندب ورافع بن خديج . قال الواقدي فردّهم رسول الله ﷺ قال رافع بن خديج فقال ظهير بن رافع يا رسول الله انّه رام يعينني قال وجعلت أتطاول وعليّ خفّان لي فأجازني رسول الله ﷺ فلما أجازني قال سمرة بن جندب لمريّ بن سنان الحارثي وهو زوج امه يا ابة أجاز رسول الله ﷺ رافع بن خديج وردني وأنا أصرح رافعاً ، فقال : مرّى يا رسول الله رددت ابني وأجزت رافع بن خديج وابني يصرعه ، فقال رسول الله تصارعا فصرع سمرة رافعاً فأجازه رسول الله .

أقول : هذه العزائم الراسخة والشوق إلى المسابقة في سبيل الله هي التي كسرت المشركين في عامة مواقفهم مع النبي وإنّما انتكث أمر أُحد عليهم لمخالفتهم رسول الله من أمر هذه الواقعة في موضعين : اصرارهم على الخروج إلى المشركين خارج المدينة وترك الرماة موقفهم أمام الكمين ومن هذه العورة انكشفوا وقتلوا تقتيلا .

قال الواقدي : وأقبل ابن أبيّ فنزل ناحية العسكر فجعل حلفاؤه ومن معه من المنافقين يقولون لابن أبيّ أشرت عليه بالرأي ونصحته وأخبرته ان هذا رأي من مضى من آبائك وكان ذلك رأيه مع رأيك فأبى أن يقبله وأطاع هؤلاء الغلمان الذين معه فصادفوا من ابن أبيّ نفاقاً وغشاً فبات رسول الله ﷺ بالشيخين وبات ابن أبيّ في أصحابه وفرغ رسول الله من عرض من عرض وغابت الشمس

---

(١) الشيخان اطمان كانا في الجاهلية فيهما شيخ أعمى وعجوز عمياء يتحدثان فسمى الاطمان الشيخين.

فأذّن بلال بالمغرب فصلى رسول الله ﷺ بأصحابه ثمّ أذّن بالعشاء فصلى ﷺ بهم أيضاً واستعمل على الحرس محمّد بن مسلمة في خمسين رجلاً يطيفون بالعسكر وكان المشركون قد رأوا رسول الله حيث نزل بالشيخين فجمعوا خيلهم وظهرهم واستعملوا على حرسهم عكرمة بن أبي جهل في خيل من المشركين ونام رسول الله فلما كان السحر قال: أين الأدلاء من رجل يدلنا على الطريق ويخرجنا على القوم من كثب فقام أبو خثيمة الحارثي فقال: أنا يا رسول الله فخرج رسول الله وركب فرسه فسلك به في بني حارثة ولبس رسول الله من الشيخين درعاً واحدة حتى انتهى إلى أُحد فلبس درعاً أُخرى ومغفراً وبيضة فوق المغفر فلما نهض رسول الله من الشيخين زحف المشركون على تعبية وحانت صلاة الصبح فصلّى ﷺ بأصحابه الصبح صفوفاً وانخذل ابن أبيّ من ذلك المكان في كتيبة فأتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام فقال: أُذكركم الله دينكم ونبيكم وما شرطتم له أن تمنعوه مما تمنعون منه أنفسكم وأولادكم ونسائكم، فقال ابن أبيّ ما أرى انّه يكون بينهم قتال وان أطعتني يا أبا جابر لترجعن فإنّ أهل الرأي والحجى قد رجعوا ونحن ناصروه في مدينتنا وقد خالفنا فيما أشرنا عليه من الرأي فأبى إلّا طواعية الغلمان فلما أبى على عبد الله بن عمرو أن يرجع ودخل هو وأصحابه أزقة المدينة قال لهم أبو جابر: أبعدكم الله انّ الله سيغني النبي والمؤمنين عن نصركم فانصرف ابن أبي وهوَ يقول: أيعصيني ويطيع الولدان وانصرف عبد الله بن عمرو يعدو حتى لحق برسول الله وهو يسوّي الصفوف فلما أُصيب أصحاب رسول الله ﷺ سرّ ـ ابن أبيّ ـ وأظهر الشماتة وقال: عصاني وأطاع من لا رأي له.

قال الواقدي: وجعل رسول الله ﷺ يصف اصحابه وجعل الرماة خمسين رجلاً على عينين عليهم عبد الله بن جبير وجعل احداً خلف ظهره واستقبل

المدينة وجعل عينين عن يساره وأقبل المشركون واستدبروا المدينة في الوادي واستقبلوا أُحداً وصفوا صفوفهم واستعملوا على الميمنة خالد بن الوليد وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل ولهم مجنبتان مأتا فرس وجعلوا على الخيل صفوان بن امية ويقال عمرو بن العاص وعلى الرماة عبد الله بن أبي ربيعة وكانوا مأة رامي ودفعوا اللواء إلى طلحة بن أبي طلحة واسم أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي ، وصاح أبو سفيان يومئذ : يا بني عبد الدار نحن نعرف أنكم أحق باللواء منّا وانّا إنّما أتينا يوم بدر من اللواء وإنّما يؤتى القوم من قبل لوائهم فالزموا لوائكم وحافظوا عليه أو خلوا بيننا وبينه فانا قوم مستميتون موتورون نطلب ثاراً حديث العهد وجعل يقول إذا زالت الألوية فما قوام الناس وبقاؤهم بعدها ، فغضبت بنو عبد الدار وقالوا : نحن سلم لواءنا لا كان هذا أبداً ، وامّا المحافظة عليه فسترى ثمّ أسندوا الرماح إليه وأحدقت به بنو عبد الدار وأغلظوا لأبي سفيان بعض الاغلاظ فقال أبو سفيان : فنجعل لواء آخر قالوا : نعم ولا يحمله إلّا رجل من بني عبد الدار لا يكون غير ذلك .

قال الواقدي : وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمشي على رجليه يسوّي تلك الصفوف ويبوّء أصحابه مقاعد للقتال يقول تقدم يا فلان وتأخر يا فلان حتى انّه ليرى منكب الرجل خارجاً فيؤخره فهو يقوّمهم كأنّما يقوّم القداح حتى إذا استوت الصفوف سأل من يحمل لواء المشركين قيل بنو عبد الدار قال : نحن أحق بالوفاء منهم ، أين مصعب بن عمير ؟ قال : ها أنا ذا ، قال : خذ اللواء فأخذه مصعب فتقدم به بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال البلاذري : أخذه من علي فدفعه إلى مصعب بن عمير لأنّه من بني عبد الدار .

أقول : لا حزازة في ذلك فإنّ مراعاة التناسب قاضية في المقام بمثله بل بحسنه .

قال الواقدي: ثمّ قام ﷺ فخطب النـاس فـقال: أيّـها النـاس أُوصـيكم بـما أوصاني به الله في كتابه من العمل بطاعته والتناهي عن محارمه ثمّ انكـم اليـوم بمنزل أجر وذخر لمن ذكر الذي عليه ثمّ وطّن نفسه على الصبر واليقين والجد والنشاط فإنّ جهاد العدو شديد، شديد كربه قليل من يصبر عليه إلّا من عـزم له على رشده انّ الله مع من أطاعه وانّ الشيطان مع من عصاه فاستفتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد والتمسوا بذلك ما وعدكم الله وعليكم بالذي أمركم به فـاني حريص على رشدكم انّ الاختلاف والتنازع والتثبيط من أمر العجز والضعف وهو مما لا يحبه الله ولا يعطي عليه النصر والظفر، أيّها الناس انّه قذف في قلبي انّ من كان على حرام فرغب عنه ابتغاء ما عند الله غفر الله له ذنبه، ومـن صـلّى عـلى محمّد صلّى الله عليه وملائكته عشراً، ومن أحسن من مسلم أو كافر وقع أجره على الله في عاجل دنياه أو في آجل آخرته، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخـر فعليه الجمعة يوم الجمعة إلّا صبياً أو امرأة أو مريضاً أو عبداً مملوكاً ومن استغنى عنها استغنى الله عنه والله غني حميد، ما أعلم من عمل يقربكم إلى الله إلّا وقـد أمرتكم به ولا أعلم من عمل يقربكم إلى النار إلّا وقد نهيتكم عنه وانّه قد نـفث الروح الأمين في روعي انّه لن تموت نفس حتى تستوفي أقصى رزقها لا ينقص منه شيء وان أبطأ عنها فاتقوا الله ربكم واجملوا في طلب الرزق ولا يـحملنكم استبطاؤه على أن تطلبوه بمعصية ربكم فإنّه لا يقدر على ما عنده إلّا بطاعته، قد بيّن لكم الحلال والحرام غير انّ بينهما شبهاً من الأمر لم يعلمها كثير من الناس إلّا من عصم، فمن تركها حفظ عرضه ودينه ومن وقع فيها كان كالراعي إلى جـنب الحمى أوشك أن يقع فيه ويفعله، وليس مـلك إلّا وله حـمى ألا وان حـمى الله محارمه والمؤمن من المؤمنين كالرأس من الجسد إذا اشتكى تداعى إليه سـائر جسده والسلام عليكم.

أقـول: يغلب على الظن انّ كثيراً من هذه الخطبة لم يقله رسول الله ﷺ في موقفه ذاك، بل بعض فقراتها لا يصح من طريق المنطق نعم صدرها إلى قوله ولا يعطى عليه النصر والظفر مما يناسب الموقف فإنّ فيه تثبيتاً للعزائم وشحذاً من الضمائر وتعزيزاً للموقف، وأمّا قوله: ومن أحسن من مسلم أو كافر وقع أجره على الله في عاجل دنياه أو في آجل آخرته فإنّما يصح في حق المسلم وحده، وأمّا الكافر فلانكاره أصل التدين الصحيح لا يكون من المأجورين أصلاً وليس له أقل شأن عند الله سبحانه بل هو عدوه بلا ريب، وباقي فصول الخطبة لا يرتبط بالمقام كالحث على صلاة الجمعة والصلاة على النبي وما إلى ذلك، والنبي ﷺ من أبلغ الناطقين فكيف يدع مراعاة التناسب جانباً ويفيض بكلامه خارجاً عنها، هذا ما لا تجوز نسبته إلى أقل البلغاء فكيف به وهو سيدهم ورئيسهم.

قال: وأوّل من أنشب الحرب بينهم أبو عامر طلع في خمسين من قومه فنادى بالأوس أنا أبو عامر، قالوا: الأمر حباً بك ولا أهلاً يا فاسق، فقال: لقد أصاب قومي بعدي شر ومعه عبيد أهل مكة فتراموا بالحجارة هم والمسلمون حتى تراضخوا بها ساعة إلى أن ولّى أبو عامر وأصحابه، قال الواقدي: وجعلت نساء المشركين قبل أن يلتقي الجمعان أمام صفوف المشركين يضربن بالاكبار والدفاف والغرابيل ثمّ يرجعن فيكنّ إلى مؤخر الصف حتى إذا دنوا من المسلمين تأخر النساء فقمن خلف الصفوف وجعلن كلّما ولّى رجل حرضنه وذكرنه قتلى بدر وكان قزمان من المنافقين وكان قد تخلف عن أُحد فلما أصبح عيّره نساء بني ظفر فقلن يا قزمان قد خرج الرجال وبقيت استحي يا قزمان ألا تستحي مما صنعت ما أنت إلّا امرأة خرج قومك وبقيت في الدار فأحفظنه فدخل بيته وأخرج قوسه وجعبته وسيفه وكان يعرف بالشجاعة وخرج يعدو حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ وهو يسوّي صفوف المسلمين فجاء من خلف الصف حتى انتهى إلى

الصف الأوّل فكان فيه وكان أوّل من رمى بسهم من المسلمين جعل يرسل نبلاً كأنّها الرماح وانّه ليكتّ كتيت الجمل ثمّ صار إلى السيف ففعل الأفاعيل حتى إذا كان آخر ذلك قتل نفسه وكان رسول الله إذا ذكره قال: من أهل النار.

قال: فلما انكشف المسلمون كسر جفن سيفه وجعل يقول: الموت أحسن من الفرار يا للأوس قاتلوا على الأحساب واصنعوا مثل ما أصنع، قال فيدخل بالسيف وسط المشركين حتى يقال قد قتل ثمّ يطلع فيقول أنا الغلام الظفري حتى قتل منهم سبعة وأصابته الجراحة وكثرت فيه فوقع فمرّ به قتادة بن النعمان فقال له أبا الغيداق قال قزمان لبيك قال: هنيئاً لك الشهادة، قال قزمان: اني والله ما قاتلت يا أبا عمر على دين ما قاتلت إلّا على الحفاظ أن تسير قريش الينا فتطأ سعفنا، قال: فآذته الجراحة فقتل نفسه فقال النبي ﷺ انّ الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر.

قال الواقدي: وتقدم رسول الله ﷺ إلى الرماة فقال: احموا ظهورنا فانّا نخاف أن نؤتى من ورائنا والزموا مكانكم لا تبرحوا منه وان رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم وإن رأيتمونا نقتل فلا تعينونا ولا تدفعوا عنّا اللهم اني أُشهدك عليهم ارشقوا خيلهم بالنبل فإنّ الخيل لا تقدم على النبل وكان للمشركين مجنبتان ميمنة عليها خالد بن الوليد وميسرة عليها عكرمة بن أبي جهل، وعمل رسول الله ﷺ لنفسه ميمنة وميسرة ودفع اللواء الأعظم إلى مصعب بن عمير ودفع لواء الأوس إلى اُسيد بن حضير ولواء الخزرج إلى سعد بن عبادة وقيل إلى الحباب بن المنذر فجعلت الرماة تحمي ظهور المسلمين وترشق خيل المشركين بالنبل حتى ولّت هاربة، قال بعض المسلمين: والله لقد رمقت نبلنا يومئذ ما رأيت سهماً واحداً مما ترمى به خيلهم يقع في الأرض امّا في فرس أو في رجل ودنا القوم بعضهم من بعض وقدموا طلحة بن أبي طلحة

صاحب لوائهم وصفّوا صفوفهم وأقاموا النساء خلف الرجال يضربن بين أكتافهم بالاكبار والدفوف وهند وصواحبها يحرضن ويذمرن الرجال ويذكرن من أُصيب ببدر ويقلن:

نحن بنات طارق نمشي على النمارق
إن تقبلوا نعانق أو تدبروا نفارق
فراق غير وامق

قال الواقدي: وبرز طلحة بن أبي طلحة فصاح من يبارز فقال علي عليه السلام له هل لك في مبارزتي قال: نعم فبرزا بين الصفين ورسول الله جالس تحت الراية عليه درعان ومغفر وبيضة فالتقيا فبرزه علي بضربة على رأسه فمضى السيف حتى فلق هامته إلى أن انتهى إلى لحيته فوقع وانصرف عليّ فقيل له هلا ذففت عليه؟ قال: انّه لما صرع استقبلني بعورته فعطفني عليه الرحم وقد علمت انّ الله سيقتله وهو كبش الكتيبة فلما قتل طلحة سرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكبر تكبيراً عالياً وكبّر المسلمون ثمّ شد أصحاب رسول الله على كتائب المشركين فجعلوا يضربون وجوههم حتى انتقضت صفوفهم ولم يقتل إلّا طلحة بن أبي طلحة وحده ثمّ حمل لواء المشركين بعد طلحة أخوه عثمان بن أبي طلحة فارتجز وقال:

انّ على ربّ اللواء حقا أن يخضب الصعدة أو تندقا

فتقدم باللواء والنسوة خلفه يحرضن ويضربن بالدفوف فحمل عليه حمزة بن عبد المطلب فضربه بالسيف على كاهله فقطع يده وكتفه حتى انتهى إلى مؤزره فبدا سحره ورجع فقال أنا ابن ساقي الحجيج ثمّ حمل اللواء أخوهما أبو سعد بن أبي طلحة فرماه سعد بن أبي وقاص فأصاب حنجرته وكان دارعاً وعليه مغفر لارفرف عليه وعلى رأسه بيضة فأدلع لسانه ادلاع الكلب ثمّ حمل لواء

المشركين بعد أبي سعد مسافع بن أبي طلحة فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح فقتله .

قال الواقدي : ثمّ حمل اللواء بعد الحارث أخوه كلاب بن طلحة بن أبي طلحة فقتله الزبير بن العوام .

أقـول : لم يذكر الواقدي في حملة اللواء بعد مسافع بن أبي طلحة من اسمه الحارث وإن كان فيما سيجيء عنه ما يـوضح ذلك فـانتظر ، ثـمّ حـمله أخـوه الجلاس بن طلحة بن أبي طلحة فقتله طلحة بن عبيد الله ثمّ حمله ارطاة بن عبد شرحبيل فقتله علي بن أبي طالب ثمّ حمله شريح بن قانط فقتل لا يـدرى مـن قتله ، ثمّ حمله صؤاب غلام بني عبد الدار فاختلف في قاتله فقيل قتله علي بن أبي طالب وقيل سعد بن أبي وقاص وقيل قزمان وهو أثبت الأقوال .

قال الواقدي : وقالوا : ما ظفر الله نبيه في موطن قط ما ظفره وأصحابه يوم أُحد حتى عصوا الرسول وتنازعوا في الأمر ، لقـد قـتل أصـحاب اللـواء وانكشـف المشركون منهم لا يلوون ونساؤهم تدعوا بالويل بعد ضرب الدفوف والفرح .

قال الواقدي : وقد روى كثير من الصحابة ممن شهد أُحداً قال : كل واحد منهم والله اني لأنظر إلى هند وصواحبها منهزمات ما دون أخـذهنّ شـيء لمـن أراده ولكن لا مرد لقضاء الله .

قالوا : وكان خالد بن الوليد كلما أتى من قبل يسرة النبي ليجوز حتى يأتيهم من قبل السفح ترده الرماة حتى فعل وفعلوا ذلك مراراً ولكن المسلمين أتوا من قبل الرماة انّ رسول الله أوعز اليهم فقال : قوموا على مصافكم فاحموا ظـهورنا فإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا وان رأيتمونا نقتل فلا تـنصرونا فـلما انـهزم المشركون وتبعهم المسلمون يضعون السلاح فيهم حيث شاؤا حتى أخرجـوهم عن المعسكر ووقعوا ينهبونه قال بعض الرماة لبعض لم تقيمون ههنا في غير شيء

قد هزم الله العدو وهؤلاء اخوانكم ينتهبون عسكرهم فادخلوا عسكر المشركين فاغنموا مع اخوانكم، فقال بعضهم: ألم تعلموا أنّ رسول الله قال لكم احموا ظهورنا وان غنمنا فلا تشركونا فقال الآخرون لم يرد رسول الله ﷺ هذا وقد أذل الله المشركين وهزمهم فادخلوا العسكر فانتهبوا مع اخوانكم فلما اختلفوا خطبهم اميرهم عبد الله بن جبير وكان يومئذ معلماً بثياب بيض فحمد الله وأمرهم بطاعة رسوله وأن لا يخالف أمره فعصوه وانطلقوا فلم يبق معه إلّا نفير ما يبلغون العشرة منهم الحارث بن أنس بن رافع يقول: يا قوم اذكروا عهد نبيكم اليكم وأطيعوا أميركم فأبوا وذهبوا إلى عسكر المشركين ينتهبون وخلوا الجبل فنظر خالد بن الوليد إلى خلاء الجبل وقلّة أهله فكرّ بالخيل وتبعه عكرمة بن أبي جهل فانطلقا إلى موضع الرماة فحملوا عليهم فراماهم القوم حتى أُصيبوا ورمى عبد الله بن جبير حتى فنيت نبله ثمّ طاعن بالرمح حتى انكسر ثمّ كسر جفن سيفه فقاتل حتى قتل.

قال الواقدي: فروى رافع بن خديج قال: لما قتل خالد الرماة أقبل بالخيل وعكرمة بن أبي جهل يتلوه فخالطنا وقد انتقضت صفوفنا ونادى ابليس وتصور في صورة جعال بن سراقة انّ محمّداً قد قتل ثلاث صرخات فابتلي يومئذ جعال بن سراقة ببلية عظيمة حين تصور ابليس في صورته وان جعالا ليقاتل مع المسلمين أشدّ القتال وانّه إلى جنب أبي بردة بن نيار وخوات بن جبير قال رافع بن خديج فوالله ما رأينا دولة كانت أسرع من دولة المشركين علينا وأقبل المسلمون على جعال بن سراقة يريدون قتله يقولون هذا الذي صاح انّ محمّداً قد قتل فشهد له خوات بن جبير وأبو بردة انّه كان إلى جنبهما حين صاح الصائح وانّ الصائح غيره. قال الواقدي: فروى رافع قال: أتينا من قبل أنفسنا ومعصية نبينا واختلط المسلمون وصاروا يقتتلون ويضرب بعضهم بعضاً وما يشعرون بما

يصنعون من الدهش والعجل وقد جرح يومئذ أسيد بن حضير جرحين ضربه أحدهما أبو بردة بن نيار وما يدري يقول خذها وأنا الغلام الأنصاري وكرّ أبو زعنة في حومة القتال فضرب أبا بردة ضربتين ما يشعر انّه هو يقول خذها وأنا أبو زعنة حتى عرفه بعد فكان إذا لقيه قال: انظر ما صنعت بي فيقول أبو زعنة وأنت قد ضربت أسيد بن حضير ولا تشعر ولكن هذا الجرح في سبيل الله فذكر ذلك لرسول الله فقال: هو في سبيل الله يا أبا بردة لك أجره حتى كأنّك ضربك أحد المشركين ومن قتل فهو شهيد.

قال الواقدي: وكان الشيخان حسيل بن جابر ورفاعة بن وقش شيخين كبيرين قد رفعا في الآطام مع النساء فقال أحدهما لصحابه: لا أبا لك ما نستبقي من أنفسنا فوالله ما نحن إلّا هامة اليوم أو غد وما بقي من أجلنا إلّا القليل فلو أخذنا سيوفنا فلحقنا برسول الله ﷺ لعلّ الله يرزقنا الشهادة فلحقا برسول الله فاما رفاعة فقتله المشركون وامّا حسيل بن جابر فالتفت عليه سيوف المسلمين وهم لا يعرفونه حين اختلطوا وابنه حذيفة يقول أبي أبي حتى قتل فقال حذيفة يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ما صنعتم فزاد به عند رسول الله خيرا وأمر رسول الله بديته أن تخرج ويقال: انّ الذي أصابه عتبة بن مسعود فتصدق حذيفة ابنه بدمه على المسلمين.

قال الواقدي: لمّا صاح الشيطان انّ محمّداً قد قتل سقط في أيدي المسلمين وتفرقوا في كل وجه واصعدوا في الجبل فكان أوّل من بشرهم بكون رسول الله سالماً كعب بن مالك، قال كعب: عرفته فجعلت أصيح هذا رسول الله وهو يشير إليّ باصبعه علي فيه أن اسكت قال ودعا رسول الله ﷺ بكعب فلبس لامته وألبس كعباً لامة نفسه وقاتل كعب يومئذ قتالاً شديداً جرح من جرائه سبعة عشر جرحاً.

قال الواقدي : ولما صاح الشيطان انّ محمّداً قد قتل قال أبو سفيان بن حرب : يا معشر قريش أيكم قتل محمّداً ، قال ابن قميئة أنا قتلته ؟ قال نسوّرك كما تفعل الأعاجم بأبطالها وجعل أبو سفيان يطوف بأبي عامر الفاسق في المعركة هل يرى محمّداً بين القتلى فمرّ بخارجة بن زيد أبي زهير فقال يا أبا سفيان هل تدري من هذا قال : لا ، قال : هذا خارجة بن زيد ، هذا سيد بن الحارث بن الخزرج ومرّ بعباس بن عبادة بن نضلة إلى جنبه قال : أتعرفه قال : لا ، قال : هذا ابن قوقل هذا الشريف في بيت الشرف ثمّ مرّ بذكوان بن عبد قيس فقال : وهذا من ساداتهم ثمّ مرّ بابنه حنظلة بن أبي عامر فوقف عليه فقال أبو سفيان : من هذا ؟ قال : هذا أعزّ من ههنا عليّ هذا ابني حنظلة ، قال أبو سفيان : ما نرى مصرع محمّد ولو كان قتل لرأيناه كذب ابن قميئة ولقى خالد بن الوليد فقال : هل تبيّن عندك قتل محمّد ؟ قال : لا ، رأيته أقبل في نفر من أصحابه مصعدين في الجبل ، فقال أبو سفيان : هذا حق كذب ابن قميئة زعم انّه قتله .

وروى الواقدي عن نافع بن جبير قال : سمعت رجلاً من المهاجرين يقول : شهدت احداً فنظرت إلى النبل يأتي من كل ناحية ورسول الله ﷺ في وسطها كل ذلك يصرف عنه ولقد رأيت عبد الله بن شهاب الزهري يقول يومئذ : دلوني على محمّد فلا نجوت إن نجا وانّ رسول الله إلى جنبه ما معه أحد ثمّ جاوزه ولقى عبد الله بن شهاب صفوان بن امية فقال له صفوان : ترحّت هلّا ضربت محمّداً فقطعت هذه الشأفة فقد أمكنك الله منه ، قال ابن شهاب : وهل رأيته ، قال : نعم أنت إلى جنبه ، قال : والله ما رأيته أحلف بالله انّه منا لممنوع خرجنا أربعة تعاهدنا وتعاقدنا على قتله فلم نخلص إلى ذلك .

أقول : لا عجب من أن يكون الله سبحانه قد منع نفسه في هذا الحرج وان خلصت الجراحات إلى أطرافه بما أثقلته فإنّ لله به عناية ليكون تمام نور الإسلام

على يده وتطهير الجزيرة من الشرك بموقفه هو لا بمن يكون بعده.

قال الواقدي: فروى نملة بن أبي نملة واسم أبي نملة عبد الله بن معاذ وكـان أبوه معاذ اخا البراء بن معرور لأُمّه، قال: لما انكشف المسلمون ذلك اليوم نظرت إلى رسول الله ﷺ وما معه أحد إلّا نفير أحدقوا به من أصحابه من المهاجرين والأنصار فانطلقوا به إلى الشعب وما للمسلمين لواء قائم ولا فئة ولا جـمع وان كتائب المشركين لتحوسهم مقبلة ومدبرة في الوادي يلتقون ويفترقون ما يرون أحداً يردّهم.

قال الواقدي: وحدثني ابراهيم بن محمّد بن شرحبيل العبدري عن أبيه قال: حمل مصعب اللواء فلما جال المسلمون ثبت به مصعب فأقبل ابن قميئة وهـو فارس فضرب يد مصعب فقطعها فقال مصعب وما محمّد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل، وأخذ اللواء بيده اليسرى وحنى عليه فضربه فقطع اليسرى فـضمه بعضديه إلى صدره وهو يقول: وما محمّد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل، ثمّ حمل عليه الثالثة بالرمح فأنفذه واندق الرمح ووقع مـصعب وسـقط اللـواء[1]

---

(١) في السيرة الهشامية ج ٢ ص ٧٣ قال ابن اسحاق: وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله ﷺ حتى قتل وكان الذي قتله ابن قميئة الليثي وهو يظن انّه رسول الله فرجع إلى قريش فـقال: قـتلت محمّداً فلما قتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله اللواء علي بن أبي طالب وقاتل علي ورجال من المسلمين، قال ابن هشام: لما اشتد القتال يوم أُحد جلس رسول الله ﷺ تحت رايـة الأنـصار وأرسل إلى علي بن أبي طالب أن قدّم الراية فقدم علي وقال: أنا أبو القصم فناداه أبو سعد بن أبي طلحة وهو صاحب لواء المشركين ان هل لك في البراز من حاجة قال نعم فبرزا بين الصفين فاختلفا ضربتين فضربه علي فصرعه ثمّ انصرف عنه ولم يجهز عليه فقال له أصحابه أفلا أجـهزت عـليه؟ فقال: انّه استقبلني بعورته فعطفتني عنه الرحم وعرفت انّ الله قد قتله. ويروي ابن هشام عـن ابـن اسحاق انّ أبا سعد المذكور قتله سعد بن أبي وقاص.

وابتدره رجلان من بني عبد الدار سويبط بن حرملة وأبو الروم فأخذه أبو الروم فلم يزل بيده حتى دخل به المدينة حين انصرف المسلمون.

قال الواقدي: وقالوا: انّ رسول الله لما لحمه القتال وخلص إليه وذب عنه مصعب بن عمير وأبو دجانة حتى كثرت به الجراحة جعل رسول الله يقول: من رجل يشري نفسه فوثبت فئة من الأنصار خمسة منهم عمارة بن زياد بن السكن فقاتل حتى أُثبت وفاءت فئة من المسلمين حتى أجهضوا أعداء الله، فقال رسول الله لعمارة بن زياد: ادن مني حتى وسّده رسول الله قدمه وان به لأربعة عشر جرحاً حتى مات وجعل رسول الله يذمر الناس ويحضّهم على القتال وكان رجال في المشركين قد أكثروا الرمي على المسلمين منهم حيان[1] بن العرقة وأبو اسامة الجشمي فجعل النبي ﷺ يقول لسعد: ارم فداك أبي وأُمي فرمى حيان بن العرقة بسهم فأصاب ذيل أُم أيمن وكانت جاءت يومئذ تسقي الجرحى فقلبها وانكشف ذيلها عنها فاستغرب حيان بن العرقة ضحكاً وشقّ ذلك على رسول الله فدفع إلى سعد بن أبي وقاص سهماً لا نصل له وقال: ارم به فرمى موضع السهم في سغرة نحر حيّان فوقع مستلقياً وبدت عورته، قال سعد: فرأيت النبي ضحك يومئذ حتى بدت نواجذه وقال استقاد لها سعد.

ورمى يومئذ مالك بن زهير الجشمي المسلمين رمياً شديداً وكان هو وريّان[2] بن العرقة قد اسرعا في أصحاب رسول الله ﷺ وأكثروا فيهم القتل يستتران بالصخر ويرميان فبينا هم على ذلك أبصر سعد بن أبي وقاص مالك بن

---

(١) ضبط ابن الأثير (في تاريخ: ج ٢ ص ١١٣) حبان بكسر الحاء المهملة وبالباء الموحدة وآخره نون.

(٢) وضبط ابن الأثير أيضاً (ج ٢ من تاريخه ص ١١٣) زبأنّ بالزأي والباء الموحدة وآخره نون.

زهير يرمي من وراء صخرة قد رمى وأطلع رأسه فيرميه سعد فأصاب السهم عينه حتى خرج من قفاه فنزى في السماء قامة ثمّ رجع فسقط فقتله الله.

قال الواقدي: ورمى رسول الله عن قوسه يومئذ حتى صارت شظايا وباشر رسول الله القتال بنفسه فرمى بالنبل حتى فنيت نبله وانكسرت سية قوسه وقبل ذلك انقطع وتره وبقيت في يده قطعة تكون شبراً في سة القوس فأخذ القوس عكاشة بن محصن يوتره له فقال: يا رسول الله لا يبلغ الوتر فقال: مدّه يبلغ، قال عكاشة فوالذي بعثه بالحق لمددته حتى بلغ وطويت منه ليتّين أو ثلاثة على سية القوس ثمّ أخذه رسول الله فما زال يرامي القوم وأبو طلحة أمامه يستره مترساً عنه حتى نظرت إلى سة قوسه قد تحطمت فأخذها قتادة بن النعمان.

قال الواقدي: وكان أبو طلحة يوم أُحد قد نثل كنانته بين يدي النبي ﷺ وكان رامياً وكان صيتاً، فقال رسول الله لصوت أبي طلحة في الجيش خير من أربعين رجلاً، وكان في كنانته خمسون سهماً نثلها بين يدي رسول الله وجعل يصيح نفسي دون نفسك يا رسول الله، فلم يزل يرمي بها سهماً سهماً وكان رسول الله يطلع رأسه من خلف أبي طلحة بين أُذنه ومنكبه ينظر إلى مواقع النبل حتى فنيت نبله وهو يقول: نحري دون نحرك جعلني الله فداك، قالوا انّ رسول الله كان ليأخذ العود من الأرض فيقول ارم يا أبا طلحة فيرمي به سهماً جيداً.

قال الواقدي: وكان الرماة المذكورون من أصحاب رسول الله جماعة منهم سعد بن أبي وقاص وأبو طلحة وعاصم بن ثابت والسائب بن عثمان بن مظعون والمقداد بن عمرو وزيد بن حارثة وحاطب بن أبي بلتعة وعتبة بن غزوان وخراش بن الصمة وقطبة بن عامر بن حديدة وبشر بن البراء بن معرور وأبو نائلة سلكان بن سلامة وقتادة بن النعمان.

قال الواقدي: ورمي أبو رهم الغفاري بسهم فأصاب نحره فجاء إلى رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم فبصق عليه فبرأ فكان أبو رهم بعد ذلك يسمى المنحور.

وروى أبو عمرو محمّد بن عبد الواحد الزاهد اللغوي غلام ثعلب ورواه أيضاً محمّد بن حبيب في أماليه انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما فرّ معظم أصحابه عنه يوم أُحد كثرت عليه كتائب المشركين وقصدته كتيبة من بني كنانة ثمّ من بني عبد مناة بن كنانة فيها بنو سفيان بن عويف وهم خالد بن سفيان وأبو الشعثاء بن سفيان وأبو الحمراء بن سفيان وغراب بن سفيان فقال رسول الله: يا علي اكفني هذه الكتيبة فحمل عليها وانا لتقارب خمسين فارساً وهو عليه السلام راجل فما زال يضربها بالسيف حتى تتفرق عنه ثمّ تجتمع عليه هكذا مراراً حتى قتل بني سفيان بن عويف الأربعة وتمام العشرة منها ممّن لا يعرفون بأسمائهم، فقال جبريل لرسول الله: يا محمّد انّ هذه المواساة، لقد عجبت الملائكة من مواساة هذا الفتى، فقال رسول الله: وما يمنعه وهو مني وأنا منه، فقال جبريل: وأنا منكما، قال وسمع ذلك اليوم صوت من قبل السماء لا يرى شخص الصارخ به ينادي مراراً: لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا علي، فسئل رسول الله عنه فقال هذا جبرئيل.

قلت: وقد روى هذا الخبر جماعة من المحدثين وهو من الأخبار المشهورة ووقفت عليه في بعض نسخ مغازي محمّد بن اسحاق ورأيت بعضها خالياً عنه وسألت شيخي عبد الوهاب بن سكينة رحمه الله عن هذا الخبر فقال: خبر صحيح فقلت: فما بال الصحاح لم تشتمل عليه؟ قال: أو كلّما كان صحيحاً تشتمل عليه كتب الصحاح، كم قد أهمل جامعوا الصحاح من الأخبار الصحيحة.

أقول: قال ابن هشام (١): وحدثني بعض أهل العلم انّ ابن أبي نجيح قال: نادى مناد يوم أُحد:

---

(١) السيرة الهشامية: ج ٢ ص ١٠٠.

لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا علي [١]

وقال الطبري [٢] حدثنا أبو كريب قال: حدثنا عثمان بن سعيد قال: حدثنا حبان بن علي عن محمّد بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن جده قال: لما قتل علي بن أبي طالب أصحاب الألوية أبصر رسول الله ﷺ جماعة من مشركي قريش فقال لعلي: احمل عليهم فحمل عليهم ففرّق جمعهم وقتل عمرو بن عبد الله الجمحي، قال: ثمّ أبصر رسول الله ﷺ جماعة من مشركي قريش فقال لعلي احمل عليهم فحمل عليهم ففرّق جماعتهم وقتل شيبة بن مالك أحد بني عامر بن لؤي، فقال جبريل: يا رسول الله انّ هذه للمواساة، فقال رسول الله ﷺ: انّه مني وأنا منه، فقال جبريل: وأنا منكما، قال: فسمعوا صوتاً:

لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا علي

قال ابن الأثير [٣]: وكان الذي قتل أصحاب اللواء علي، قاله أبو رافع، قال: فلما قتلهم أبصر النبي ﷺ جماعة من المشركين فقال لعلي احمل عليهم ففرقهم وقتل فيهم ثمّ أبصر جماعة أُخرى فقال له: احمل عليهم فحمل عليهم وفرّقهم وقتل فيهم فقال جبريل: يا رسول الله هذه المواساة، فقال رسول الله: انّه مني وأنا منه، فقال جبريل: وأنا منكما، قال فسمعوا صوتاً:

لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا علي

---

(١) وحكى عنه ذلك ابن كثير في البداية والنهاية (ج ٤ ص ٤٧ مقتصراً على لا سيف إلّا ذو الفقار وحده وحذف منه لا فتى إلّا علي، فانظر إلى هذا التدليس والخيانة والتعصب الممقوت.

(٢) في تاريخه: ج ٣ ص ١٧ من طبعته الأُولى.

(٣) في تاريخ: ج ٢ ص ١٠٧.

وقال ابن الصباغ المالكي في كتابه الفصول المهمة (ص ٣٨) روى محمّد بن اسحاق انّ عليّاً رضي الله عنه لما فرغ من القتال ناول سيفه فاطمة وأنشد يقول:

أفاطم هاك السيف غير ذميم ... فلست برعديد ولا بلئيم
لعمري لقد أعذرت في نصر أحمد ... وطاعة ربّ بالعباد عليم

وقال ابن اسحاق في هذا اليوم هبت ريح فسمع هاتف يقول:

لا سيف إلّا ذو الفقار ... ولا فتى إلّا علي

وأنشد الخطيب ضياء الدين أخطب خوارزم الموفق بن أحمد الخوارزمي ثمّ المكي رحمة الله تعالى عليه:

أسد الأله وسيفه وقناته ... كالظفر يوم صياله والناب
جاء النداء من الأله وسيفه ... بدم الكماة يسحّ في تسكاب
لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى ... إلّا علي هازم الأحزاب

وقال [١]: روى الحافظ محمّد بن عبد العزيز الجنابذي في كتاب معالم العترة النبوية مرفوعاً إلى قيس بن سعد عن أبيه انّه سمع عليّاً يقول: أصابتني يوم احد ست عشرة ضربة سقطت إلى الأرض في أربع منها فجائني رجل حسن الوجه طيب الريح فأخذ بضبعي فأقامني ثمّ قال أقبل عليهم فانك في طاعة الله ورسوله وهما عنك راضيان، قال علي: فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: يا علي اقرّ الله عينك ذاك جبرئيل ـ اهـ ملخصاً ـ.

---

(١) ص ٤٠ من الكتاب الآنف الذكر.

وقال سبط ابن الجوزي [١] عند كلامه على حديث علي مني وأنا منه قيل إنّما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي مني وأنا منه في يوم أُحد فذكر أحمد في الفضائل قال: لما قصد صاحب لواء المشركين يوم أُحد رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم فـداه عـلي بـنفسه وحمل على صاحب اللواء فقتله فنزل جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمّد انّ هذه لهـي المواساة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: علي مني وأنا منه فقال جبرئيل: وأنا مـنكما، وذكره محمّد بن اسحاق في المغازي أيضاً قال الزهري إنّما قال جبرئيل ان هذه لهي المواساة لأنّ الناس فرّوا عن رسول الله يوم أُحد حتى عثمان بن عفان.

وقال الحافظ الكنجي [٢]: الباب السابع والستون فـي تـخصيص عـلي عليه السلام بقوله صلى الله عليه وآله وسلم علي مني وأنا منه: أخبرنا بقية السلف ابراهيم بن بركات الخشوعي بدمشق ـ إلى أن أنهى سنده إلى محمّد بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن أبي رافع قال: لما كان يوم أُحد نظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى نفر من قريش فقال لعلي: احمل عليهم فحمل عليهم فقتل هاشم بن امية المخزومي وفـرق جـماعتهم ثـمّ نـظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى جماعة من قريش فقال لعلي: احمل عليهم فحمل عليهم وفرق جماعتهم وقتل فلاناً الجمحي ثمّ نظر إلى نفر من قريش فقال لعلي: احمل عليهم فحمل عليهم وفرق جماعتهم وقتل أحد بني عامر بن لؤي فقال له جبرئيل هذه المواساة، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: انّه مني وأنا منه، فقال جبرئيل: وأنا منكم يا رسول الله، قلت: هذا سياق ابن عساكر في كتابه وطرقه.

ثمّ روى بسند آخر أنهاه إلى الأجلح عن أبي بردة عن أبيه عن الـنبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: علي مني وأنا منه (قلت) هذا حديث حسن رواه ابن السماك فـي الجـزء

---

(١) في تذكرة الخواص: ص ٤٣.

(٢) في كتابه كفاية الطالب: ص ١٤٢ و ١٤٣.

الرابع من مسنده وأخرجه الطبراني في معجمه الكبير في ترجمة حبشي بن جنادة السلولي بطرق شتى بزيادة لفظ فمنها عن أبي اسحاق عن حبشي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: علي مني وأنا منه ولا يؤدي عني إلّا أنا أو علي، وناهيك به راوياً.

وقال الحافظ محب الدين الطبري [١]: عن أبي رافع قال: لما قتل علي أصحاب الألوية يوم أُحد قال جبريل عليه السلام: يا رسول الله انّ هذه لهي المواساة، فقال له النبي ﷺ: انّه مني وأنا منه، فقال جبريل عليه السلام: وأنا منكما يا رسول الله، خرّجه أحمد في المناقب.

وذكر المتقي الهندي في كتابه منتخب كنز العمال (ج ٥ ص ٣٠): أنت مني وأنا منك قاله لعلي (الشيخان عن البراء؛ والحاكم في المستدرك عن علي.

وذكر أيضاً [٢]: ما تريدون من علي، ما تريدون من علي، ما تريدون من علي، انّ عليّاً مني وأنا منه وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي (الترمذي والحاكم في المستدرك).

وذكر أيضاً [٣]: علي مني وأنا من علي ولا يؤدي عني إلّا أنا أو علي، (أحمد في المسند؛ والترمذي؛ والنسائي؛ وابن ماجة عن حبشي بن جنادة).

وذكر أيضاً (المصدر هو بعينه ما سبق): علي مني بمنزلة رأسي من بدني. (الخطيب في التاريخ، والديلمي في الفردوس عن ابن عباس).

وذكر أيضاً (ج ٥ ص ٥٢) عن أبي رافع قال: لما أقبلت على عليّ يوم أُحد

---

(١) في كتابه ذخائر العقبى: ص ٦٨.

(٢) المصدر نفسه من جميع الوجوه.

(٣) المصدر عينه من جميع وجوهه.

أصحاب الألوية قال جبريل: يارسول الله انّ هذه لهي المواساة، فقال النبي ﷺ: انّه مني وأنا منه، فقال جبريل: وأنا منكما يا رسول الله. (الطبراني في الكبير).

وروى أحمد بن حنبل في المسند [١]: عن حبشي بن جنادة قال يحيى بن آدم السلولي وكان قد شهد يوم حجة الوداع قال: قال رسول الله: علي مني وأنا منه ولا يؤدي عني إلّا أنا أو علي، وقال ابن أبي بكير: لا يقضي عني ديني إلّا أنا أو علي، وذكر أحمد هذا الحديث عن حبشي بن جنادة بألفاظ متقاربة ثلاث مرات (ص ١٦٥).

وروى أحمد أيضاً في المسند (ج ٥ ص ٣٥٦) عن بريدة قال: قال رسول الله: علي مني وأنا منه وهو وليكم بعدي وانّه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي.

وذكر القندوزي [٢] في المشكاة عن حبشي بن جنادة قال: قال رسول الله ﷺ: علي مني وأنا من علي، ولا يؤدي عني إلّا أنا أو علي، رواه الترمذي ورواه أحمد أيضاً عن حبشي بن جنادة وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح، أيضاً رواه ابن ماجة عن ابن جنادة.

وفي المشكاة عن عمران بن حصين قال: انّ النبي قال: ان عليّاً مني وأنا منه وهو وليّ كل مؤمن بعدي، رواه الترمذي.

وفي المشكاة عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله لعلي: أنت مني وأنا منك، رواه الترمذي، أيضاً موفق بن أحمد والحمويني أخرجاه عن البراء، وفي المناقب عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله: علي مني وأنا منه وقال

---

(١) ج ٤ ص ١٦٤ من طبعته على المسانيد.

(٢) في كتابه ينابيع المودة: ج ١ ص ٥٢ من طبعة صيدا.

جبرئيل : انا منكما .

وروى الشبلنجي في نور الأبصار (ص ٨٧) عن ابن عباس قال : خرج طلحة بن أبي طلحة يوم أُحد فكان صاحب لواء المشركين فقال : يا أصحاب محمّد تزعمون انّ الله يجعلنا بأسيافكم إلى النار ويجعلكم بأسيافنا إلى الجنة ، فأيكم يبرز إليّ ؟ فرز إليه علي بن أبي طالب وقال : والله لا أُفارقك حتى أعجلك بسيفي إلى النار ، فاختلفا بضربتين فضربه عليّ على رجله فقطعها وسقط إلى الأرض فأراد أن يجهز عليه فقال أُنشدك الله والرحم ياابن عم فانصرف عنه إلى موقفه فقال المسلمون : هلّا أجهزت عليه ، فقال ناشدني الله ولن يعيش ، فمات من ساعته وبشر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك فسرّ وسرّ المسلمون ، قال ابن اسحاق كان الفتح يوم أُحد بصبر عليّ رضي الله عنه .

روى الحافظ محمّد بن عبد العزيز الجنابذي في كتابه معالم العترة النبوية مرفوعاً إلى قيس بن سعد عن أبيه انّه سمع عليّاً يقول : أصابتني يوم أُحد ست عشرة ضربة سقطت إلى الأرض في أربع منهن فجاء رجل حسن الريح وأخذ بضبعي فأقامني ثمّ قال : أقبل عليهم فانك في طاعة الله ورسوله وهما عنك راضيان ، قال علي : فأتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرته فقال : يا علي أقرّ الله عينيك ذاك جبريل عليه السلام .

قال الواقدي : ويروى انّ سهل بن حنيف جعل ينضح بالنبل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال نبّلوا سهلاً فإنّه سهل وقاتل طلحة بن عبيد الله يومئذ عن النبي قتالاً شديداً ، وقال علي عليه السلام لقد كان يوم أُحد يوماً قتل فيه أصحاب رسول الله وأصابت رسول الله فيه الجراحة وأشهد لسمعت رسول الله يقول : ليت اني غودرت مع أصحابي بحضن الجبل ثمّ قال عليّ لقد رأيتني يومئذ واني لأذبّهم في ناحية وأبا دجانة لفي ناحية يذب طائفة منهم حتى فرّج الله ذلك كلّه ولقد

رأيتني وانفردت منهم يومئذ فرقة خشيناها فيها عكرمة بن أبي جهل فدخلت وسطهم بالسيف فضربت به واشتملوا عليّ حتى أفضيت إلى آخرهم ثمّ كررت فيهم الثانية حتى رجعت من حيث جئت ولكن الأجل استأخر. وحدث من نظر إلى الحباب بن المنذر بن الجموح وانّه ليحوشهم يومئذ كما تحاش الغنم ولقد اشتملوا عليه حتى قيل قد قتل ثمّ برز والسيف في يده وافترقوا عنه وجعل يحمل على فرقة منهم وانهم ليهربون منه إلى جمع منهم وصار الحباب إلى النبي ﷺ وكان الحباب يومئذ معلماً بعصابة خضراء في مغفره.

قال الواقدي: وكان عباس بن عبادة بن نضلة المعروف بابن قوقل وخارجة بن زيد بن أبي زهير واوس بن أرقم في حومة الوغى وعباس رافع صوته يقول: يا معشر المسلمين الله ونبيكم هذا الذي أصابكم بمعصية نبيكم وعدم النصر فما صبرتم ثمّ نزع مغفره عن رأسه وخلع درعه وقال لخارجة بن زيد هل لك في درعي ومغفري، قال خارجة: لا أنا أُريد الذي تريد، فخالطوا القوم جميعاً وعباس يقول: ما عذرنا عند ربنا أن أُصيب نبينا ومنّا عين تطرف، قال فيقول خارجة: لا عذر لنا والله عند ربنا ولا حجة فأمّا عباس فقتله سفيان بن عبد شمس السلمي ولقد ضربه عباس ضربتين فجرحه جرحين عظيمين فارتث يومئذ جريحاً وأخذت خارجة بن زيد الرماح فجرح بضعة عشر جرحاً فمرّ به صفوان بن أُمية فعرفه فقال: هذا من أكابر أصحاب محمّد وبه رمق فأجهز عليه وقتل أوس بن أرقم.

قال الواقدي: وفي يوم أُحد انتمى رسول الله ﷺ فقال: انا ابن العواتك، وقال أيضاً: أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب، قال الواقدي: بينا عمر بن الخطاب يومئذ في رهط من المسلمين قعود إذ مرّ بهم أنس بن النضر بن ضمضم عم أنس بن مالك فقال: ما يقعدكم؟ قالوا: قتل رسول الله، قال: فما تصنعون

بالحياة بعده، قوموا فموتوا على ما مات عليه، ثمّ قام فجالد بسيفه حتى قتل، فقال عمر بن الخطاب: اني لأرجو أن يبعثه الله امة وحده يوم القيامة وجد به سبعون ضربة في وجهه ما عرف حتى عرفته أُخته.

قال الواقدي: كان وحشي عبداً لابنة الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، ويقال [١] كان لجبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف فقالت له ابنة الحارث: انّ أبي قتل يوم بدر فإن أنت قتلت أحد الثلاثة فأنت حر، محمّداً أو علي بن أبي طالب أو حمزة بن عبد المطلب، فاني لا أرى في القوم كفواً لأبي غيرهم، فقال وحشي: امّا محمّد فقد علمت اني لا أقدر عليه وانّ أصحابه لن يسلموه، وأمّا حمزة فوالله لو وجدته نائماً ما أيقظته من هيبته، وأمّا علي فألتمسه، قال وحشي: فكنت يوم أُحد ألتمسه فبينا أنا في طلبه إذ طلع عليّ فطلع رجل حذر مرس كثير الالتفات، فقلت ما هذا بصاحبي الذي ألتمس، وإذا أنا بحمزة يفري الناس فرياً فكمنت له إلى صخرة فاعترض له سباع ابن ام أنمار وكانت أُمّه ختّانة بمكة وكان يكنى أبا نيار فقال له حمزة وأنت أيضاً يا ابن مقطعة البظور ممن يكثر علينا هلمّ إليّ فاحتمله حتى إذا برقت قدماه رمى به فبرك عليه فشحطه شحط الشاة ثمّ أقبل عليّ مكباً حين رآني فلما بلغ المسيل وطأ على جرف فزلت قدمه فهزت حربتي حتى رضيت منها فأضرب بها في خاصرته حتى خرجت من مثانته وكرّ عليه طائفة من أصحابه فأسمعهم يقولون: أبا عمارة فلا يجيب فقلت قد مات والله الرجل وذكرت هنداً وما لقيت على أبيها وعمها

---

(١) وعن ابن هشام: ودعا جبير بن مطعم غلاماً له حبشياً يقال له وحشي يقذف بحربة له قذف الحبشة قلما يخطىء بها فقال له اخرج مع الناس فإن أنت قتلت حمزة عم محمّد بعمي طعيمة بن عدي فأنت عتيق.

وأخيها وانكشف عنه أصحابه حين أيقنوا بموته ولا يروني فأكرّ عليه فشـقفت بطنه واستخرجت كبده وجئت بها إلى هند بنت عتبة فقلت ماذا لي إن قتلت قاتل أبيك ؟ قالت : سلبي فقلت هذه كبد حمزة فمضغتها ثـمّ لفـظتها فـنزعت ثـيابها وحليها فأعطتنيه ثمّ قالت : إذا جئت مكة فلك عشرة دنانير .

قال الواقدي : وكانت العصابة التي ثبتت مع رسول الله أربعة عشر رجلاً ، سبعة من المهاجرين وسبعة من الأنصار ، امّا المهاجرون فعليّ وأبو بكر وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله وأبو عبيدة بن الجراح والزبير بن العوام ، وأمّا الأنصار فالحباب بن المنذر وأبو دجانة وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح والحارث بن الصمة وسهل بن حنيف وسعد بن معاذ واسـيد بـن حـضير ـ قال ـ وقد روي انّ سعد بن عبادة ومحمّد بن مسلمة ثبتا يومئذ ولم يفرّا ومـن روى ذلك جعلهما مكان سعد بن معاذ واسيد بن حضير قال : وبايعه يومئذ على الموت ثمانية ، ثلاثة من المهاجرين وخمسة من الأنصار ، فأمّا المهاجرون فعلي وطلحة والزبير ، وأمّا الأنصار فأبو دجانة والحارث بـن الصـمة والحـباب بـن المنذر وعاصم بن ثابت وسهل بن حنيف ، ولم يقتل منهم ذلك اليوم أحد ، وأمّا باقي المسلمين ففرّوا ورسول الله ﷺ يدعوهم في اخراهم حتى انـتهى مـنهم إلى قريب من المهراس . ويقال : ثبت يومئذ بين يديه ثلاثون رجلاً كـلهم يـقول وجهي دون وجهك ونفسي دون نفسك وعليك السلام غير مودع .

قال ابن أبي الحديد في ذيل هذا الكلام : قد اختلف في عمر بن الخطاب هل ثبت يومئذ أم لا مع اتفاق الرواة كافة على انّ عثمان لم يثبت فالواقدي ذكر انّه لم يثبت ومحمّد بن اسحاق والبلاذري جعلاه ممن ثـبت ، وقـال الرواة مـن أهـل الحديث انّ أبا بكر لم يفر يومئذ وانّه ثبت فيمن ثبت وان لم يكن نقل عنه قتال ، وامّا رواة الشيعة فإنّهم يروون انّه لم يثبت إلّا علي وطلحة والزبير وأبـو دجـانة

وسهل بن حنيف وعاصم بن ثابت.

أقول: ما ذكره كل من الواقدي وابن أبي الحديد محل نظر، فقد ذكر اليعقوبي في تاريخ (ج ٢ ص ٣٥) فقال: انهزم المسلمون حتى بقي رسول الله ﷺ وما معه إلّا ثلاثة نفر علي والزبير وطلحة.

وفي كتاب التاج للأُصول في أحاديث الرسول (ج ٤ ص ٤٢٢) عن أنس انّ رسول الله أفرد يوم أُحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلما رهقوه قال: من يردهم عنّا وله الجنة أو هو رفيقي في الجنة فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة فقال رسول الله لصاحبيه [١]: ما أنصفنا أصحابنا، رواه مسلم.

فهذه النقول كما ترى فيها مناقضة صريحة لما سبق وإن كانت النقول الآنفة فيها قوة لكثرة ما يكرر المؤرخون موقف علي وطلحة وأبي دجانة وسهل بن حنيف في المضائق الحرجة وامّا ذكر أبي بكر وعمر وأشباههما في الثابتين وقد انهزم الناس كافة وفيهم من هو خير منهما بالتجارب القاطعة فهو تعلل لا ينهض به دليل ولا يشهد له الاعتبار فإنّ الشيخين المذكورين ومن هو على رقمهما لم يعرف لهما التاريخ موقفاً واحداً في كافة حروب النبي ﷺ فضلاً عن أمثال هذه المضائق المحرجة وصرف حضورهم في جملة الحضّار لا قيمة له أصلاً بل قد دلل التاريخ على انهزام هذا الرعيل الخافت وجبنهم في مواقف واجمالاً لم يعرف التاريخ هؤلاء القوم وبخاصة خلفاءنا الثلاثة بشيء من الشجاعة أو خوض الميادين وان حضروا ساحات الوغى ناظرين والمماري في ذلك لا قيمة له.

---

(١) القرشيين ما أنصفنا أصحابنا الأنصار حتى تركناهم ينزلون الوغى وحدهم حتى فنوا. غاية المأمول.

قال الواقدي: لما صاح الشيطان لعنه الله انّ محمّداً قد قتل يخزيهم بذلك تفرقوا في كل وجه وجعل الناس يمرون على النبي ﷺ لا يلوي عليه أحد منهم ورسول الله يدعوهم في اخراهم حتى انتهت هزيمة قوم منهم إلى المهراس فتوجه رسول الله ﷺ يريد أصحابه في الشعب وأصحابه في الجبل أوزاع يذكرون مقتل من قتل منهم ويذكرون ما جائهم عن رسول الله ﷺ قال كعب بن مالك فكنت أوّل من عرفته وعليه المغفر فجعلت أصيح وأنا في الشعب هذا رسول الله حيّ سويّ فجعل يومىء إليّ بيده على فيه أي اسكت ثمّ دعا بلامتي فلبسها ونزع لامته وطلع على أصحابه في الشعب بين السعدين سعد عبادة وسعد بن معاذ يتكفأ في الدرع وكان إذا مشى تكفأ تكفؤاً ويقال انّه كان يتوكأ على طلحة بن عبيد الله وما صلى يومئذ الظهر إلّا جالساً للجراح التي كانت أصابته.

قال الواقدي: ولما تحاجزوا وأراد أبو سفيان الانصراف أقبل يسير على فرس له فوقف على أصحاب النبي وهم في عرض الجبل فنادى بأعلا صوته: أعل هبل ثمّ صاح: أين ابن أبي كبشة يوم بيوم بدر ألا انّ الأيّام دول وانصرف أبو سفيان إلى أصحابه وأخذوا في الرحيل فأشفق رسول الله والمسلمون من أن يغيروا على المدينة فيهلك الذراري والنساء فقال رسول الله لسعد بن أبي وقاص [١] اذهب فأتنا بخبر القوم فإنّهم إن ركبوا الابل وجنبوا الخيل فهو الظعن إلى مكة وإن ركبوا الخيل وجنبوا الابل فهو الغارة على المدينة، والذي نفسي بيده إن ساروا اليها لأسيرن اليهم ثمّ لأُناجزنّهم، قال سعد: فتوجهت أسعى وأرصدت في نفسي ان أفزعني شيء رجعت إلى النبي فخرجت في آثارهم حتى إذا كانوا بالعقيق وأنا بحيث أراهم وأتأملهم ركبوا الابل وجنبوا الخيل،

(١) في الطبري علي بن أبي طالب مكان سعد.

فقلت انّه الظعن إلى بلادهم. قال الواقدي: ذكر سعيد بن المسيب وأبو سعيد الخدري انّه قتل من الأنصار خاصة أحد وسبعون وبمثله قال مجاهد ثمّ ذكر من غير الأنصار عشرة فيكون جميع من قتل من المسلمين ذلك اليوم واحداً وثمانين رجلاً، وهو أعلا عدد يذكر في قتلاهم رحمهم الله.

قال الواقدي: قتل من بني عبد الدار (من المشركين) طلحة بن أبي طلحة صاحب لواء قريش، قتله علي بن أبي طالب مبارزة [١] وعثمان بن أبي طلحة قتله حمزة بن عبد المطلب، وأبو سعد [٢] بن أبي طلحة قتله سعد بن أبي وقاص ومسافع بن طلحة بن أبي طلحة قتله عاصم بن ثابت، وكلاب بن طلحة بن أبي طلحة قتله الزبير بن العوام، والحارث بن طلحة بن أبي طلحة قتله عاصم بن ثابت، والجلاس بن طلحة بن أبي طلحة قتله طلحة بن عبيد الله، وارطاة بن عبد شرحبيل قتله علي بن أبي طالب، وقارظ بن شريح [٣] بن عثمان بن عبد الدار، ويروى قاسط بالسين. قال الواقدي: لا يدرى من قتله، وقال البلاذري: قتله علي بن أبي طالب، وقيل قتله قزمان وأبو عزيز بن عمير اخو مصعب بن عمير

---

(١) قال ابن هشام (السيرة الهشامية: ج ٢ ص ١٥١) أنشدني أبو عبيدة للحجاج بن علاط السلمي يمدح أبا الحسن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ويذكر قتله طلحة صاحب لواء المشركين يوم أُحد:

لله أي مذبب عن حرمة ... أعني ابن فاطمة المعم المخولا
سبقت يداك له بعاجل طعنة ... تركت طليحة للجبين مجدلا
وشددت شدة باسل فكشفتهم ... بالجر إذ يهوون اخول اخولا

الجر: اصل الجبل. وأخول أخول: أي واحداً بعد واحد.

(٢) قال ابن هشام: ويقال قتله علي بن أبي طالب.

(٣) في طبقات ابن سعد شريح بن قارظ.

قتله قزمان فهؤلاء أحد عشر.

ومن بني أسد بن عبد العزى عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسـد قتله أبو دجانة في رواية الواقدي، وفي رواية محمّد بن اسحاق قتله علي بن أبي طالب، وعن البلاذري عن ابن الكلبي انّه قتل يوم بدر. ومن بني زهرة أبو الحكم بن الأخنس بن شريق قتله علي بن أبي طالب، وسباع بن عبد العزى الخزاعـي قتله حمزة بن عبد المطلب، فهذا رجلان. ومن بني مخزوم أبـو امـية بـن أبـي حذيفة بن المغير قتله عليّ، وهشام بن أبي امية بن المغيرة قتله قزمان، والوليد بن العاص بن هشام قتله قزمان، وخالد بن الأعلم العقيلي قتله قزمان، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة قتله الحارث بن الصمة، فهؤلاء خمسة. ومن بني عامر بن لؤي عبيدة بن جابر قتله أبو دجانة وشيبة بن مالك بن المضرب قتله طلحة بـن عبيد الله، وهذا اثنان. ومن بني جمح أبي بن خلف قتله رسول الله بيده، وأبو عزة قتله عاصم بن ثابت صبراً بأمر رسول الله فهذان اثنان. ومن بني عبد مناف بـن كنانة خالد بن سفيان بن عويف، وأبو الشعثاء بن سفيان بن عويف وأبو الحمراء بن سفيان بن عويف وغراب بن سفيان بن عويف هؤلاء الاخوة الأربـعة قـتلهم علي بن أبي طالب في رواية محمّد بن حبيب، وقد رأيت في بعض كـتب أبـي الحسن المدائيني أيضاً انّ عليّاً عليه السلام هو قتل بني سفيان بـن عـويف يـوم أُحـد، وروى له شعراً في ذلك، وامّا البلاذري فلم يذكر لهم قاتلاً ولكنه عدّهم في جملة من قتل من المشركين بأُحد، وكذلك ابن اسحاق لم يذكر من قتلهم والواقدي لم ينقل منهم مقتولاً لعلي إلّا واحداً ومن بني عبد شمس معاوية بن المغيرة بن أبي العاص قتله عليّ في احدى الروايات وقيل قتله زيد بن حارثة وعمار بن ياسر فجميع من قتل من المشركين يوم أُحد ثمانية وعشرون قتل عليّ منهم ما اتـفق عليه وما اختلف فيه اثني عشر انساناً.

حمراء الأسد

قال الواقدي: وبلغ رسول الله ﷺ انّ المشركين قد عزموا أن يردّوا إلى المدينة فينهبوها فأحب أن يريهم قوة فصلّى الصبح يوم الأحد لثمان خلون من شوال ومعه وجوه الأوس والخزرج وكانوا باتوا تلك الليلة في بابه يحرسونه من البيات فيهم سعد بن عبادة وسعد بن معاذ والحباب بن المنذر وأوس بن خولى وقتادة بن النعمان في عدة منهم فلما انصرف من صلاة الصبح أمر بلالاً أن ينادي في الناس أنّ رسول الله ﷺ يأمركم بطلب عدوكم ولا يخرج معنا إلّا من شهد القتال بالأمس فخرج سعد بن معاذ راجعاً إلى قومه يأمرهم بالمسير والجراح في الناس فاشية، عامة بني عبد الأشهل جريح، فقال: انّ رسول الله يأمركم أن تطلبوا عدوكم فيقول أسيد بن حضير وبه سبع جراحات وهو يريد أن يداويها سمعاً وطاعة لله ولرسوله فأخذ سلاحه ولم يعرج على مداواة جراحه ولحق برسول الله وجاء سعد بن عبادة قومه بني ساعدة فأمرهم بالمسير فلبسوا ولحقوا وتتابع الناس ولم يقبل أحداً ممن تخلف عن أُحد غير جابر بن عبد الله الأنصاري ودعا بلوائه وهو معقود لم يحل من أمس فدفعه إلى علي بن أبي طالب وخرج رسول الله وجراحه كما هي ودخل المسجد فصلى ركعتين والناس قد حشدوا ودعا بفرسه على باب المسجد وبعث رسول الله ﷺ ثلاثة نفر من أسلم طليعة في آثار القوم فانقطع أحدهم وانقطع قبال نعل الآخر ولحق الثالث بقريش وهم بحمراء الأسد ولهم زجل يأتمرون في الرجوع إلى المدينة وصفوان بن امية ينهاهم عن ذلك ولحق الذي انقطع قبال نعله بصاحبه فبصرت قريش بالرجلين فعطفت عليهما فأصابوهما وانتهى المسلمون إلى مصرعهما بحمراء الأسد فقبرهما ﷺ في قبر واحد.

قال جابر بن عبد الله: كانت عامة أزوادنا ذلك اليوم التمر وأمرهم رسول الله بجمع الحطب فإذا أمسوا أمرهم أن يوقدوا النيران فيوقد كل رجل ناراً فلقد كنا تلك الليلة نوقد خمسماءة نار حتى ترى من المكان البعيد وذهب ذكر نيراننا ومعسكرنا في كل وجه وكان ذلك مما كبت الله به عدونا.

وجاء معبد بن أبي معبد الخزاعي وهو يومئذ مشرك إلى النبي ﷺ وكانت خزاعة سلماً له ﷺ فقال: يا محمّد عزّ علينا ما أصابك في نفسك وفي أصحابك ولوددنا أنّ الله أعلا كعبك وانّ المصيبة كانت بغيرك ثمّ مضى معبد حتى وجد أبا سفيان وقريشاً بالروحاء وهم يقولون: لا محمّداً أصبتم ولا الكواعب أردفتم فبئسما صنعتم وهم مجمعون على الرجوع إلى المدينة فلما جاء إلى أبي سفيان قال: هذا معبد وعنده الخبر ما وراءك يا معبد؟ قال: تركت محمّداً وأصحابه خلفي يتحرقون عليكم بمثل النيران وقد اجتمع معه من تخلف عنه بالأمس من الأوس والخزرج وتعاهدوا أن لا يرجعوا حتى يلحقوكم فيثأروا منكم وقد غضبوا لقومهم غضباً شديداً ولمن أصبتم من أشرافهم، قالوا: ويحك ما تقول، قال: هو ما أقول لكم، وأرسل معبد رجلاً من خزاعة إلى رسول الله يعلمه انّ أبا سفيان وأصحابه انصرفوا خائفين وجلين فانصرف رسول الله بعد ثلاث إلى المدينة.

إلى هنا قد تميزت جدّ التميز انّ انحرافاً واحداً عن البرامج الصحيحة قد يؤدي إلى اضرار لا تتلافاها الاستدراكات الجليلة فإنّ المسلمين كما قرأت قد خسروا وقعة أُحد خسارة ما لها جبران في كل شيء لأجل مخالفة رماتهم ما أوصاهم به رسول الله ﷺ وهو ثباتهم على مكانهم الذي عيّنه لهم وأوقفهم به كائناً في هذه الوقعة ما كان فانك قد قرأت بوضوح انهم أعطوا من أفرادهم قتلى كثيرين في العدد وفشت بهم الجراحة زائداً عن المعتاد وتحملوا عار الهزيمة

حتى أبعد بعضهم في هزيمته كالخليفة عثمان واطمعوا فيهم المشركين طمعاً جعلهم يرون حربهم كسائر الحروب بعد أن هابوهم هيبة ما لها نظير بعد واقعة بدر وجرّأوا عليهم المنافقين فأخذوا يصارحونهم بالهزء والشماتة وتحرك لذلك عليهم كل من يريد بهم سوءً من متشتتة المخالفين لهم في الدين من مشرك ويهودي وكل واحد من هذه المحاذير له قيمته ووزنه. فلو انّ الرماة ثبتوا في مكانهم وصدّوا عن المسلمين الذين فتحوا الموقف بأيسر قتال من كان لهم في الكمين من المشركين لأحرزوا النصر يقيناً ولغنموا من المال شيئاً كثيراً وأسروا من الرجال والنساء عدداً غير منزور ولما قتل منهم إلّا آحاد معدودين ولعاد المشركون آيسين من التغلب عليهم في أيّ موقف يفرضونه لأنفسهم في مقابل المسلمين ولخاف المنافقون والكتابيون من المسلمين أشدّ من خوف قريش اياهم وهذه منافع جليلة ذات أهمية جداً ولكنها ـ ياللأسف ـ فاتتهم وفضلاً عن ذلك تحملوا ثقل تلك المحاذير التي سردناها بما أتعبهم ثقله وحمله فكم من فرق بين السير على البرنامج الصحيح والانحراف عنه.

وفيما تقرأه من حديث يوم الرجيع وبئر معونة دليل واضح على انّ هذه الاصابات التي أوجعت قلوب المسلمين ونبي الإسلام نتجت من انعكاس وقعة أُحد عند الناس وانتصار المشركين فيها على المسلمين وان حديث يوم الرجيع وبئر معونة مما يهدّ قوى كل مسلم غيور ويتحرق له كل ذي عاطفة ـ فيالله ـ.

ولعمر الحق قد أطيح من رقاب أعزة المسلمين وخيرتهم في هذين الحادثين خمس واربعون ـ على الأقل ـ وخمس وسبعون ـ على الأكثر ـ من غير حرب ولا مناجزة ولا استعداد لقتال فذهبت دماؤهم إلى هذا اليوم هدراً وانك في الحديث عن هذين اليومين سوف تتميز ان جزيرة العرب ما كانت إلّا مسرحاً لوحوش كاسرة وغابات لضواري مفترسة لا تعرف العاطفة ولا تتميز الحسن من

القبيح ولا تدري الحياة البشرية بأخف لون من ألوانها وأضعف مرتبة من مراتبها ومن هذا تنتقل إلى ان موقف نبي الإسلام فيهم كان مهدداً بمخاطر جمة لا يأتي عليها حساب فإنّ رويته في الحياة ورويتهم على ناموسين منفكين فقد كان الرسول يعشر بالحياة ويعرف ما هو لازمها الضروري في تسييرها على مدرجة الرقيّ والكمال والقوم غارون في مزاحمة الوحوش الكاسرة على فرائسها لا يميزهم عنها سوى تخطيط الخلقة من المشي على اثنين والتكلم بألفاظ مفصحة عن مقاصدهم خلافاً للحيوانات العجم وإلّا فالأهداف الحيوية المنظورة للطرفين لهم وللحيوانات العجم واحدة من جميع الوجوه فالغدر والاغتيال واعتداء القويّ على الضعيف وسفك الدماء والتهجم على الأعراض والنواميس وما إلى ذلك كان شارة القوم كما هو شارة الوحوش الكاسرة بلا أدنى فرق.

ولا يعرف مقدار أتعاب النبي ﷺ جسماً وروحاً من لم يقرأ مثل حديث يوم الرجيع وبئر معونة من السيرة كما وانّ المسلمين في عهده خصوصاً الذين ابتلعتهم لهوات المنية والذين خاطروا بأنفسهم جد المخاطرة وحافظوا على وزنهم ذاك إلى حين وفاتهم من أعظم طبقات الموحدين حقاً على الجامعة الإسلامية وأوفرهم أجراً وأسماهم مقاماً عند الله بلا ريب فإنّهم صادفوا من الأذى والبلاء ما لم يصادفه مسلم في سبيل دينه وقد كانوا في سعة من ذلك ببقائهم على الشرك رأساً أو باتخاذهم لدين الإسلام دين عبادة فقط لا دين جهاد ومناجزة أمّا وقد اختاروا الإسلام عامدين قاصدين وتوجهوا الملاقاة المنايا أكثر من سبعين مرة في ظرف عشر سنين فذلك الجدّ والتشمير والمجاهدة والاستماتة في سبيل نصرة العقيدة ومثل هذه الروح تقلّ الجنة في جزائها والخلود الأبدي في الروح والريحان عن مكافاتها انصافاً ولا ريب انّ الله أقدر القادرين وأوفى الأوفياء المتلطفين فسوف يعطيهم ما ترضى به نفوسهم ويكون

ثمناً صالحاً أزاء جهودهم التي بذلوها في ذاته والانتصار لنبيه ودينه.

وانني والله أغبط هؤلاء الأفراد على ما يحملون من عقيدة ويبذلون في سبيلها من نفس ونفيس فإنّها مرحلة صعبة وحتى في أُفق التصور الصحيح وإن جائت ألسنتنا وأقلامنا تلوكها في بضع دقائق غافلة عن اسرار مضامينها وكنوز معارفها فرحمهم الله أكثر مما يستحقون فإنّهم بذلك أحرياء.

يـوم الرجيع

قال ابن هشام عن محمّد بن اسحاق: قدم على رسول الله ﷺ بعد أُحد رهط من عضل والقارة (وهم من الهون بن خزيمة بن مدركة) فقالوا: يا رسول الله انّ فينا اسلاماً فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا في الدين ويقرؤوننا القرآن ويعلموننا شرائع الإسلام فبعث رسول الله ﷺ نفراً ستة من أصحابه وهم مرثد بن أبي مرثد الغنوي وخالد بن البكير الليثي وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح وخبيب بن عدي وزيد بن الدثنة وعبد الله بن طارق وأمّر رسول الله على القوم مرثد بن أبي مرثد الغنوي فخرج مع القوم حتى إذا كانوا على الرجيع ـ ماء لهذيل بناحية الحجاز ـ غدروا بهم فاستصرخوا عليهم هذيلاً فلم يرع القوم وهم في رحالهم إلّا الرجال بأيديهم السيوف قد غشوهم فأخذوا أسيافهم ليقاتلوهم فقالوا لهم: انا والله ما نريد قتلكم ولكنّا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم فأمّا مرثد بن أبي مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت فقالوا: والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً فقاتلوا القوم حتى قتلوا رحمهم الله.

أقـول: وأمر آخر وراء انّ المشرك لا عهد له ولا ذمام هو انّ هؤلاء النفر الستة رضي الله عنهم قد تيقنوا بمصير أمرهم على فرض سلامتهم من هؤلاء الغادرين

إلى مشركي مكة فبلاؤهم حينئذ من قريش أعظم والنكاية التي تحل بهم أشـد فإنّ واقعتي بدر وأُحد لم يمض لهـما إلّا زمـن يسـير والمسـلمون قـد أصـابوا المشركين في الوقعتين جميعاً عدداً غير منزور فكيف بهم إذا وقعوا فـي قـبضة هؤلاء الموتورين ؟ إذاً فلتكن منيتهم على أيدي هؤلاء الغـادرين فـإنّها أطـيب الموتتين على كل حال، امّا الثلاثة الذين استسلموا للأسر فقد عاينوا عـين مـا قلناه وذاقوا الأمرّين ذل الأسر وفضاعة القتل فعفا الله عنهم وأحسن اليـهم فـإنّ البلاء إذا نزل بالانسان أدهشه والحياة أعزّ ما يكون في المـوجودات لكـل ذي نفس وبخاصة الإنسان فحقّ لهم أن يحتملوا بصيص نجاة في الاستئسار.

قال: وأمّا زيد بن الدثنة وخبيب بن عدي وعبد الله بن طارق فـلانوا ورقّـوا ورغبوا في الحياة فأعطوا بأيدهم فأسروهم ثمّ خرجوا إلى مكة ليـبيعوهم بـها حتى إذا كانوا بالظهران [١] انتزع عبد الله بن طارق يده من القـران [٢] ثـمّ أخـذ سيفه واستأخر عنه القوم فرموه بالحجارة حتى قتلوه فقبره رحمه الله بالظهران.

وأمّا خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة فقدموا بهما مكة فابتاع خبيباً حـجير بـن اهاب التميمي حليف بني نوفل لعقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل ليقتله بأبيه، وامّا زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن اُمية ليقتله بأبيه اُمية بن خلف وبـعث بـه صفوان بن امية مع مولى له إلى التنعيم وأخرجوه من الحرم ليقتلوه واجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب فقال له أبو سفيان حين قدّم ليقتل انشدك الله يا زيد أتحبّ أنّ محمّداً عندنا الآن في مكانك لنضرب عنقه وانك فـي أهـلك؟ قال: والله ما أحب انّ محمّداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه واني

---

(١) واد قريب مكة.

(٢) الحبل يربط به الأسير.

جالس في أهلي، فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمّد محمّداً ثمّ قتلوه رحمه الله.

أقول: انّ هذه النفسية التي يحملها هذا المسلم في حق نبيه لا يحملها في كافة الأجيال مسلم لنبيّه إلّا قليل منزور في العدّ فحيّا الله مسلمي عهد محمّد المتفانين في حقه أينما كانوا.

ثمّ خرجوا بخبيب حتى إذا جاءوا به إلى التنعيم ليصلبوه قال لهم: ان رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا، قالوا: دونك فاركع فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ثمّ أقبل على القوم فقال: أما والله لولا أن تظنون انّي إنّما طوّلت جزعاً من القتل لاستكثرت من الصلاة فكان خبيب بن عدي أوّل من سنّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين ثمّ رفعوه على خشبة فلما أوثقوه قال: اللهم انّا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يصنع بنا ثمّ قال: اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تغادر منهم أحداً ثمّ قتلوه رحمه الله.

ومن هنا تتميز انّ عضل والقارة وهذيلاً لما غدروا بهؤلاء النفر لم يكونوا مبعوثين عن وتر آنف لهم في القوم حتى يستقيدوا منهم في هذه الفرصة السانحة وإنّما هي الوحشية تظهر حيناً وحيناً آخر عند انسحاب الموانع عن وجهها فتسيل عنها نتائجها المستقذرة فهذيل عندما فاجؤوا القوم وحاصروهم بادوهم بأننا لا نريد منكم سوى الاستفادة المادية بكم وهي أن نبيعكم على قريش فكأنهم هجموا على سرح ظباء يريدون اقتناصه للاستثمار من لحمه فما الفرق إذاً بين ذؤبأنّ الفلوات وهذا الرعيل من البشر بل الذئب أشرف سجية وأعز طبيعة لا يطارد الحيوانات المأكولة إلّا لأكله وأنت قرأت بصراحة انّ هذيلاً لما أرادتهم للأسر وامتنعوا عليهم أوقعوا بهم تقتيلاً مرّاً فما هي فائدتهم من هذا الاسراف في الدماء لا لداع يعقل.

ويذكر الطبري عقيب ما يقصه من حادثة يوم الرجيع حديثاً طريفاً نأتي به ونتكلم عليه:

قال الطبري[١]: ولما قتل من وجهه النبي ﷺ إلى عضل والقارة من أهل الرجيع وبلغ خبرهم رسول الله بعث عمرو بن امية الضمري إلى مكة مع رجل من الأنصار وأمرهما بقتل أبي سفيان بن حرب، قال عمرو بن امية: بعثني رسول الله بعد قتل خبيب وأصحابه وبعث معي رجلاً من الأنصار فقال: ائتيا أبا سفيان بن حرب فاقتلاه، فخرجت أنا وصاحبي ومعي بعير وليس مع صاحبي بعير وبرجله علة فكنت أحمله على بعيري حتى جئنا بطن يأجج فعقلنا بعيرنا في فناء شعب فأسندنا فيه فقلت لصاحبي: انطلق بنا إلى دار أبي سفيان فإني محاول قتله فانظر فإن كانت مجاولة أو خشيت شيئاً فالحق ببعيرك فاركبه وات المدينة وأخبر رسول الله الخبر وخلّ عني فاني رجل عالم بالبلد جريء عليه نجيب الساق فلما دخلنا مكة ومعي مثل خافية النسر يعني خنجره قد أعددته إن عاقني انسان قتلته به فقال لي صاحبي: هل لك أن نبدأ فنطوف بالبيت اسبوعاً ونصلي ركعتين فقلت: أنا أعلم بأهل مكة منك فلم يزل بي حتى أتينا البيت فطفنا به اسبوعاً وصلينا ركعتين ثمّ خرجنا فمررنا بمجلس من مجالسهم فعرفني رجل منهم فصرخ بأعلا صوته: هذا عمرو بن امية فتبادرتنا أهل مكة وقالوا: تالله ما جاء بعمرو خير وما جاء إلّا لشر وكان عمرو رجلاً فاتكاً متشيطناً في الجاهلية فقاموا في طلبي وطلب صاحبي فقلت له النجاء هذا ما كنت أحذر.

أمّا الرجل (يعني أبا سفيان) فليس إليه سبيل فانج بنفسك فخرجنا نشتد حتى أصعدنا في الجبل فدخلنا في غار فبتنا فيه ليلتنا وأعجزناهم فرجعوا وقد

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٣ ص ٣١.

استترت دونهم بأحجار حين دخلت الغار وقلت لصاحبي أمهلني حتى يسكن الطلب عنا فإنّهم لا يهدؤون عن طلبنا ليلتهم هذه ويومهم هذا حتى يمسوا وانني لفي الغار إذ أقبل عثمان بن مالك بن عبيد الله التيمي يختل بفرس له فلم يزل يدنوا ويختل بفرسه حتى قام علينا بباب الغار فقلت لصاحبي: هذا والله ابن مالك لئن رآنا ليعلمن بنا أهل مكة فخرجت إليه فوجأته بالخنجر تحت الثدي فصاح صيحة أسمع أهل مكة فأقبلوا إليه ورجعت إلى مكاني فدخلت فيه وقلت لصاحبي مكانك واتبع أهل مكة الصوت يشتدون فوجدوه وبه رمق فقالوا من ضربك قال: عمرو بن امية ثمّ مات ولم يستطع أن يخبرهم بمكاننا فقالوا لقد علمنا انّه لم يأت لخير وشغلهم صاحبهم عن طلبنا فاحتملوه ومكثنا في الغار يومين حتى سكن عنا الطلب.

ثمّ خرجنا إلى التنعيم فإذا خشبة خبيب فقال لي صاحبي: هل لك في خبيب ننزله عن خشبته فقلت: أين هو؟ قال: هو ذاك حيث ترى، فقلت: نعم فأمهلني وتنح عني، قال: وحوله حرس يحرسونه فقال عمرو للأنصاري إن خشيت شيئاً فخذ الطريق إلى جملك فاركبه والحق برسول الله وأخبره بالخبر، فاشتددت إلى خشبته واحتملته على ظهري فوالله ما مشيت إلّا نحو أربعين ذراعاً حتى نذروا بي فطرحته فما أنسى وجبته حين سقط فاشتدوا في أثري فأخذت طريق الصفراء فأعيوا فرجعوا وانطلق صاحبي إلى بعيره فركبه وأتى النبي ﷺ فأخبره بأمرنا وأقبلت أمشي حتى إذا أشرفت على غليل ضجنان دخلت غاراً فيه ومعي قوسي وأسهمي فبينا أنا فيه إذ دخل عليّ رجل من بني الديل بن بكر أعور طويل يسوق غنماً له فقال: من الرجل فقلت: رجل من بني بكر، قال: وأنا من بني بكر، ثمّ احد بني الديل ثمّ اضطجع معي فيه فرفع عقيرته يتغنى ويقول:

ولست بمسلمٍ ما دمت حـيّاً ولست أدين دين المسلمينا

فقلت سوف تعلم فلم يلبث الأعرابيّ أن نام وغطّ فقمت إليه فقتلته أسوأ قتلة ثمّ أخرج مثل السبع وأخذت المحجة فإذا رجلان من أهل مكة بعثتهما قـريش يتحسسان من أمر رسول الله ﷺ فعرفتهما فقلت أستأسر فقالا أنحن نستأسر لك فأرمي أحدهما بسهم فأقتله ثمّ قلت للآخر استأسر فاستأسر فأوثقته فقدمت به على رسول الله ﷺ فضحك لي النبي حتى بدت نواجذه ثمّ سألني فأخبرته فقال لي خيراً ودعا لي بخير.

أقـول: ولا سواء ما فعله عمرو بن امية وما فعلته عضل والقارة وهذيل فـإنّ أُولاء متهجمون غادرون صرفاً وعمرو إنّما فتك بعدو للمسلمين عنده ثار صريح فاستقاد لهم منه.

بـئر معونة

قال ابن اسحاق[1]: ثمّ بعث رسول الله ﷺ أصحاب بئر معونة فـي صـفر على رأس أربعة أشهر من أُحد وذلك انّه قدم أبو براء عامر بن مالك بـن جـعفر ملاعب الأسنة على رسول الله المدينة فعرض ﷺ عليه الإسلام ودعاه إليه فلم يسلم ولم يبعد عن الإسلام وقال: يا محمّد لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك، فقال رسـول الله ﷺ: انـي أخشى عليهم أهل نجد، قال أبو براء: أنا لهم جار، فابعثهم فليدعوا النـاس إلى أمرك، فبعث رسول الله ﷺ المـنذر بـن عـامر وأخـا بـني سـاعدة المـعنق

(١) السيرة الهشامية: ج ٢ ص ١٨٣.

ليموت (١) في أربعين رجلاً من أصحابه من خيار المسلمين منهم الحارث بن الصمة وحرام بن ملحان اخو بني عدي بن النجار وعروة بن أسماء بن الصلت السلمي ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي وعامر بن فهيرة في رجال مسمين من خيار المسلمين (٢).

فساروا حتى نزلوا ببئر معونة وهي بين أرض بني عامر وحرّة بني سليم كلا البلدين قريب منها وهي إلى حرة بني سليم أقرب، فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله إلى عامر بن الطفيل فلما أتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا على الرجل فقتله ثمّ استصرخ عليهم بني عامر فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه وقالوا: لن نخفر أبا براء، وقد عقد لهم عقداً وجواراً فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم فأجابوه إلى ذلك فخرجوا حتى غشوا القوم فأحطوا بهم في رحالهم فلما رأوهم أخذوا سيوفهم ثمّ قاتلوهم حتى قتلوا من عند آخرهم ـ يرحمهم الله ـ إلّا كعب بن زيد أخا بني دينار بن النجار فإنّهم تركوه وبه رمق فارتثّ من بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيداً.

وكان في سرح القوم عمرو بن امية الضمري ورجل من الأنصار، قال ابن هشام: هو المنذر بن محمّد بن عقبة بن احيحة بن الجلاح فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما إلّا الطير تحوم على العسكر فقالا: والله انّ لهذه الطير لشأناً فأقبلا لينظرا فإذا القوم في دماءهم وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة فقال الأنصاري لعمرو بن امية: ما ترى؟ قال: أرى أن نلحق برسول الله فنخبره الخبر، فقال الأنصاري: ما كنت لأرغب بنفسي عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو، ثمّ قاتل القوم حتى

---

(١) أي المسرع إلى الموت ليفوز بالشهادة.

(٢) كثير من المؤرخين يقول انّ عدتهم سبعون.

قتل وأخذوا عمرو بن امية اسيراً فلما أخبرهم انّه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل وجزّ ناصيته وأعتقه عن رقبة زعم انها كانت على أُمّه.

أقـول: هذا الإنسان الذي تدعى له زعامة فريق من العرب (عامر بن الطفيل) ترى كم جرت منه جنايات ثقيلة العيار لا عن داع عقلائي يدعو إلى ذلك، أمّـا الرسل فمن عادة الجبابرة معها فضلاً عن غيرهم أن لا يمسوها بسوء، ولو كانوا رسل حرب وانذار، وقد كان حرام بن ملحان حامل كتاب وداعـية ديـن وليس عنده تهديد وانذار، فما الذي أحلّ دمه لذاك المتوحش ولم يظهر على اخوته أقل سوء يريدونه بأي انسان يفرض فعلام ترى هذا الضاري يستصرخ عليهم قبائل العرب وهل حدّث هؤلاء المستصرخون أنفسهم عـندما جـائهم عـامر يـطلب نصرتهم للقضاء على هؤلاء النفر الأزكياء انّه هل يسوغ لنا أن نتابع الرجل على قتل أُناس أبرياء لا سوء بيننا وبينهم وليسوا محل طمع من غنيمة تـراد مـنهم أو تجارة تساق معهم هذا وقد علموا امتناع بني عامر عن اجابة ابن الطفيل في شأن القوم وهؤلاء أدنى له من بني سليم فكيف لم يمنعوا أنفسهم وهم الأجانب عـنه مما منع منه نفسه القريب له، لكنه التوحش المحض والحيونة الخالصة وهما في كل الأشياء لا يعللان بعلة أو بداع عقلائي وقد عزّ على رسول الله مصرع هؤلاء الأنجاب وخسرهم لا عن شيء فهذه واقعة أُحد على ما اشتد الأمر من حـربها عليه ﷺ لم يخسر من قومه صوحبه فيها أكثر مما خلص مـن يـده فـي بـئر معونة.

ففي طبقات ابن سعد (ج ٣ ص ٩٦) عن أنس بن مالك قال: ما رأيت رسول الله ﷺ وجد على أحد ما وجد على أصحاب بئر معونة.

غزوة بني النضير وجلاؤهم

ذكرنا فيما سلف انّ في عداد النفر الذين بعثهم رسول الله ﷺ إلى بئر معونة عمرو بن امية الضمري وانّه أُخذ أسيراً وأرسل أخيراً فلما كان في طريق رجوعه إلى المدينة التقى برجلين من بني عامر كان معهما عقد من النبي ﷺ وجوار لم يكن يعلم به عمرو حتى نزلا في ظل هو فيه فلما سألهما عن أنفسهما وانتسبا إلى بني عامر أمهلهما حتى ناما فعدا عليهما فقتلهما محققاً بذلك في نفسه الثار الذي له عند عامر بن الطفيل عندما أوقع بأهل بئر معونة فلما جاء عمرو النبي ﷺ وأخبره خبر البعث على طوله حتى انتهى إلى واقعة الرجلين وذكرهما لرسول الله قال: لقد قتلت قتيلين لأدينّهما.

ففي شهر ربيع الأوّل سنة أربع على رأس سبعة وثلاثين شهراً من مهاجره (١) خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير ومعه نفر من أصحابه يستعين بهم على دية العامريين اللذين قتلهما عمرو بن امية الضمري وقد كان بنو النضير حلفائه كما كانوا حلفاء بني عامر فكلمهم بذلك فقالوا نفعل يا أبا القاسم ما أحببت وخلا بعضهم ببعض وهمّوا بالغدر به وقال أحدهم: أنا أظهر على البيت فأطرح عليه صخرة وجاء رسول الله الخبر بما همّوا فنهض سريعاً كأنّه يريد حاجة فتوجه إلى المدينة ولحقه أصحابه وبعث اليهم رسول الله أن اخرجوا من بلدي فلا تساكنوني بها وقد هممتم بما هممتم به من الغدر وقد أجّلتكم عشراً فمن رئي بعد ذلك ضربت عنقه، فمكثوا على ذلك أيّاماً يتجهزون فأرسل اليهم ابن أبيّ لا تخرجوا من دياركم وأقيموا في حصونكم فإنّ معي ألفين من قومي وغيرهم من العرب

(١) ابن سعد في الطبقات: ج ٣ ص ٩٨.

يدخلون معكم حصنكم فيموتون عن آخرهم وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان فطمع حييّ بما قال ابن ابيّ فأرسل إلى رسول الله ﷺ : انّا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك ، فصار اليهم النبي ﷺ في أصحابه وعليّ يحمل رايته فلما رأوا رسول الله قاموا على حصونهم معهم النبل والحجارة واعتزلتهم قريظة فلم تعنهم وخذلهم ابن ابيّ وحلفاؤهم من غطفان فأيسوا من نصرهم فحاصرهم رسول الله وقطع نخلهم فقالوا : نحن نخرج عن بلادك ، فقال : لا أقبله اليوم ، ولكن اخرجوا منها ولكم دماؤكم وما حملت الابل إلّا الحلقة [١] فنزلت اليهود على ذلك وقد كان حاصرهم خمسة عشر يوماً فكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم ثمّ اجلاهم عن المدينة وحزن المنافقون عليهم حزناً شديداً .

أقول : لليهود مع النبي ﷺ تاريخ حافل بالمعاهدات تبرم ثمّ تنقض وبالدسائس تكون منهم في الخفاء مع الاصحار بالمجاملة وتزويق الظواهر لنبي الإسلام والمسلمين وهذه الحادثة واحدة منها وهكذا يرينا التاريخ انّ اليهود أخبث خلق الله قلوباً وأسوءهم في الناس نيات وأقربهم إلى الغدر وأبعدهم عن الوفاء وأشهدهم تعنتاً ولجاجة فيما يرتأون من رأى وللآن وإلى ما بعد تلمس فيهم هذه الأرواح المتجافية فهم في حيّز عن مخلوقات الله جميعاً ولم يرهم التاريخ اغتبطوا بذلك حيناً من الدهر وما يرى لهم اليوم من شوكة في مناطق اسرائيل فذلك من تمكين الأجنبي لهم ان يقرّوا في هذا القرار لنفع سياسي يعود له بذلك .

---

(١) أراد بها السلاح من درع وسيف وبيضة وما إلى ذلك .

غزوة ذات الرقاع

أقام رسول الله بعد قفوله من بني النضير شهر ربيع الآخر وبعض جمادى بالمدينة ثمّ غزا نجداً يريد بني محارب وبني ثعلبة بن غطفان ولم يحدث له بها حرب وانصرف الناس.

غزوة بدر الآخرة

ثمّ خرج ﷺ في شعبان إلى بدر لميعاد أبي سفيان حتى نزله فأقام عليه ثماني ليال ينتظر أبا سفيان وخرج أبو سفيان في أهل مكة ثمّ بدا له الرجوع لأنّ العام كان جدباً فلم يروا مصلحة في قيام الحرب.

ثمّ كانت السنة الخامسة من الهجرة

يقول الطبري [1]: في هذه السنة تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش ولابد أن نجول في هذا الموضع ببحث يجلو حقيقة هذا المطلب ويلم بجميع مقدماته وبيان أسبابه.

مقدمات للتوطئة

١ ـ من هو زيد بن حارثة وكم تزوّج ومن زوّجه ومن هي أزواجه

قال ابن عبد البر: زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي أبو اسامة مولى رسول الله كان زيد هذا أصابه سباء في الجاهلية فاشتراه حكيم بن حزام في سوق

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٣ ص ٤٢.

حباشة وهو سوق بناحية مكة كان مجمعاً للعرب يتسوقون بها في كل سنة اشتراه حكيم لخديجة بنت خويلد فوهبته خديجة لرسول الله فتبناه رسول الله بمكة قبل النبوة وهو ابن ثمان سنين وكان رسول الله أكبر منه بعشر سنين وقد قيل بعشرين سنة، وطاف به رسول الله حين تبناه على حلق قريش يقول: هذا ابني وارثاً وموروثاً ويشهدهم على ذلك، هذا كله معنى قول مصعب والزبير بن بكار وابن الكلبي وغيرهم.

وذكر الزبير عن المدائني عن ابن الكلبي عن أبيه عن جميل بن يزيد الكلبي وعن أبي صالح عن ابن عباس وقول جميل أتم، قال: خرجت سعدى بنت ثعلبة أُم زيد بن حارثة وهي امرأة من طيء تزور قومها وزيد معها فأغارت خيل لبني القين بن جسر في الجاهلية فمروا على أبيان بني معن رهط أُم زيد فاحتملوا زيداً وهو يومئذ غلام يفعة فوافوا به سوق عكاظ فعرضوه للبيع فاشتراه منهم حكيم بن حزام بن خويلد لعمته خديجة بنت خويلد بأربعمائة درهم فلما تزوجها رسول الله وهبته له فقبضه، إلى أن يقول: وزوجه رسول الله ﷺ مولاته أُم أيمن فولدت له أُسامة بن زيد وبه كان يكنى.

وساق ابن حجر نحواً من ذلك وقال: فلما تزوجها ـ أي خديجة ـ رسول الله ﷺ وهبته له وكان أبوه حارثة بن شراحيل حين فقده قال:

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل … أحيّ فيرجى أم أتى دونه الأجل

فحجّ ناس من كلب فرأوا زيداً فعرفهم وعرفوه فقال: أبلغوا أهلي هذه الأبيات:

أحنّ إلى قومي وإن كنت نائياً … بأني قطين البيت عند المشاعر

ـ الخ ـ فانطلقوا فأعلموا أباه ووصفوا له موضعه فخرج حارثة وكعب أخوه بفدائه فقدما مكة فسألا عن النبي ﷺ فقيل هو في المسجد فدخلا عليه فقالا: ياابن عبد المطلب ياابن سيد قومه أنتم أهل حرم الله تفكون العاني وتطعمون الأسير جئناك في ولدنا عبدك فامنن علينا وأحسن في فدائه.

قال: وما ذاك؟ قالا: زيد بن حارثة، فقال: أو غير ذلك، ادعوه فخيروه فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني فداءً، قالوا: زدتنا على النصف، فدعاه فقال: هل تعرف هؤلاء؟ قال: نعم، هذا أبي وهذا عمي، قال: فأنا من قد علمت وقد رأيت صحبتي لك فاخترني أو اخترهما، فقال زيد: ما أنا بالذي أختار عليك أحداً، أنت مني بمكان الأب والعم، فقالا: ويحك يا زيد أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك، قال: نعم، اني قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً.

فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك أخرجه إلى الحجر فقال: اشهدوا انّ زيداً ابني، يرثني وأرثه، فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت أنفسهما وانصرفا فدعى زيد بن محمّد حتى جاء الله بالاسلام.

وقال ابن الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس لما تبنى النبي ﷺ زيداً زوّجه زينب بنت جحش وهي بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب وزوجه النبي قبل ذلك مولاته أُم أيمن فولدت له أُسامة ثمّ لما طلق زينب زوجه أُم كلثوم بنت عقبة وامها اروى بنت كريز وامها البيضاء بنت عبد المطلب فولدت له زيد بن زيد ورقية ثمّ طلق ام كلثوم وتزوج درة بنت أبي لهب بن عبد المطلب ثمّ طلقها وتزوج هند ابنت العوام اخت الزبير.

وقال كحالة في كتابه [١]: زينب بنت جحش بن رباب الأسدية أسلمت قديماً وهاجرت مع رسول الله إلى المدينة فخطبها رسول الله لزيد بن حارثة فقالت زينب: يا رسول الله لا أرضاه لنفسي وأنا أيّم قريش، قال: فاني قد رضيته لك فتزوجها زيد بن حارثة.

وقال الشوكاني في تفسيره [٢] عند تكلمه على سورة الأحزاب: ونخص هذه الآية منها: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِيناً ﴾، أخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس قال: انّ رسول الله ﷺ انطلق ليخطب فتاة لزيد بن حارثة فدخل على زينب بنت جحش الأسدية فخطبها قالت: لست بناكحته، قال: بلى فانكحيه، قالت: يا رسول الله أو أمر نفسي فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسوله ـ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة ـ الآية، قالت: قد رضيته لي يا رسول الله منكحاً ؟ قال: نعم، قالت: إذاً لا أعصي رسول الله، قد أنكحته نفسي.

وأخرج نحوه عنه ابن جرير من طريق أُخرى. وأخرج ابن مردويه عنه أيضاً قال: قال رسول الله لزينب: اني أُريد أن أُزوجك زيد بن حارثة، فاني قد رضيته لك، قالت: يا رسول الله لكني لا أرضاه لنفسي، وأنا أيّم قومي وبنت عمتك فلم أكن لأفعل فنزلت هذه الآية: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ ﴾ يعني زيداً ﴿ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ ﴾ يعني زينب ﴿ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً ﴾ يعني النكاح في هذا الموضع ﴿ أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ يقول ليس لهم الخيرة من أمرهم خلاف ما أمر الله به ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِيناً ﴾، قالت: قد أطعتك فاصنع ما شئت

(١) أعلام النساء: ج ١ ص ٤٦٩.

(٢) فتح القدير: ج ٤ ص ٢٧٣.

فزوجها زيداً ودخل عليها، وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد قال: نزلت في أُم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وكانت أوّل امرأة هاجرت فوهبت نفسها للنبي ﷺ فزوجها زيد بن حارثة فسخطت هي وأخوها وقالا: إنّما أردنا رسول الله فزوجنا عبده.

وقال الزمخشري في الكشاف عند تكلمه على سورة الاحزاب: ونخص الآية الموماً اليها منها: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ ﴾ الآية خطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة فأبت وأبى أخوها عبد الله فنزلت ـ أي الآية الآنفة ـ فقالا رضينا يا رسول الله فأنكحها إيّاه وساق عنه اليها مهرها ستين درهماً وخماراً وملحفة ودرعاً وازاراً وخمسين مداً من الطعام وثلاثين صاعاً من تمر وقيل هي أُم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وهي أوّل من هاجر من النساء وهبت نفسها للنبي ﷺ فقال قد قبلت وزوجها زيداً فسخطت هي وأخوها وقالا إنّما أردنا رسول الله فزوجنا عبده.

٢ ـ ما هي ظواهر القرآن في هذه القضية

قال الله سبحانه في الآية ٣٧ من سورة الأحزاب: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولاً ﴾.

فاننا إذا مشينا مع الآية حسبما يعطي سياقها بعيدين عن الخصوصيات التي ربما تورد شارحة لفقراتها من أقوال المؤرخين ومتون الأحاديث التي تروى كان هذا تفسيرها: ﴿ وَ ﴾ اذكر يا محمّد ﴿ إِذْ تَقُولُ ﴾ حين تقول ﴿ لِلَّذِي أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾ أنعم الله عليه بأن جعل عبوديته لك من دون العرب لاحسانك إليه

وتحفيك به وقد كانت العرب تعدّ الاسراء بمنزلة الخدم وأنت اتخذته ولداً وحبوته كل لطف وجميل وأنعمت عليه بالاعتاق وفعل الجميل إليه فأنت منعم ومولى ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ ﴾ هذه الفقرة صريحة بأنّه كان بين زيد وزينب نوع من الشقاق وعدم التلائم فقد روي انه كان يشكو منها غلظة قول وعصيان أمر وأذى باللسان وتعظماً بالشرف بأنّها حرة صريحة وانّه عبد مأسور مملوك وقد تقدم لك انها لم ترض به باداء بدء ولا أخوها عبد الله باعتبار انها حرة محضة وانّه عبد مملوك وان رسول الله ﷺ ألحّ عليها بذلك فقبلت خصوصاً مع تأييد القرآن كما قرأت في البحث الآنف وبذلك يظهر انّه كان بصدد طلاقها وفراقها والنبي يحضه على امساكها دون تسريحها وتقوى الله في حقها فإنّ الطلاق أمر مرغوب عنه إلّا إذا أوجبته الدواعي الملجئة.

﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ لا شبهة انّ هذه الفقرة مبهمة من ناحية النية التي كان يزويها رسول الله في نفسه ـ في هذا المجال أمر زيد وزينب ـ والذي يظهر مما أبداه الله لنبيه قولاً وعملاً أنّ النبي ﷺ كان عازماً على التزوج بها إذا فارقها زوجها من دون أقل اشعار من الآية كما هي أمام نظر كل ناظر وسمع كل سامع وفهم كل ذي فهم بأنّ النبي هويها لجمالها فاستشعرت بذلك وأشعرت زوجها به فنزولاً على مرضاته تفارق هذان الخليطان لينال محمّد رغبته من معشوقته ـ لا ـ لا اشعار فيها بذلك أصلاً، نعم هو احتمال من بين محتملات لا يدعمها داعم وما أكثر الاحتمالات وأقل وزنها من دون مصدر صحيح ﴿ وَتَخْشَى النَّاسَ ﴾ إذا تزوجت بعد زيد بزينب أن يقولوا فيك انّ هذا الطلاق وقع مدبّراً وعن توطئة آنفة ﴿ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ﴾ أي إنّما تلزمك خشية الله من بين كافة الموجودات لأنّه هو وحده موضع الحذر والخشية إذا كنت مرتكب معصية أو ناوياً نية سوء ـ لا الناس ـ فإنّ الإنسان قد يراقب الناس حتى في الأشياء

المباحة حذراً من تزويرهم الاحتمالات التي لا داعم لصحتها ومع ذلك يفيضون في الارجاف به والتنقص منه بلا مبرر ولا مكفر وما أكثر ذلك في خارج العيان بما هو مشهود لكافة الناس في كافة الأدوار ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً ﴾ أي شطراً من حياته ﴿ زَوَّجْنَاكَهَا ﴾ نحن وعلّل الله سبحانه جهة اسناد هذا التزويج لنفسه تعالى بقوله: ﴿ لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ ﴾ أي الذين ينتسبون اليهم بالبنوة ادعاءً لا حقيقة ﴿ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً ﴾ وطلقوهن وفرغن من حبالهم.

هذا كل ما تفيده الآية من ظواهرها وليس في مفادها أقل ما يشعر بالحزازة في قضية زواج محمّد بزينب والذي يؤيده طهارة أطراف هذه القضية من محمّد ﷺ وزيد وزينب في هذا الموضوع الذي طال فيه نزاع المرجفين انّ محمّداً بنفسه كان هو الخاطب لزينب كيما يتزوجها زيد بل كان هو المصرّ على ذلك وهي الآبية لشرفها فيما تزعم لنفسها ولضعة خطيبها زيد في نظرها وزينب كانت بنت عمته ولم يكن الزمن السابق على تزوجه ﷺ هو بها زمن حجاب واستتار فقد كانت منه بمنظر متكرر وجمال المرأة في أوّل شبابها أطرى وأبدع منه بعد ذهاب شرخ الشبيبة منها ولو انّ محمّداً أقدم على الزواج بها بادء بدء لكانت له أيسر امرأة يريد الاتصال بها بعلقة الزوجية بلا ريب لمكان القرب النسبي بينهما فلم تركها أوّلاً حين كان الاتصال بها فاقداً لكل ارجاف وريبة تتصور وخطبها لغيره ثمّ تعشقها بعد أن أوقعها في حضن عتيقه ومولاه هذا ما لا يعقل في حق غيره فضلاً عنه نفسه لأنّ الملاك الذي يدور عليه هذا الحديث هو انّ هدف القضية واحد بجميع عناوينه قبل تزوج زيد وحين التزوج وبعده بل كان قبل التزوج أدعى لترتب العلقة به من كافة وجوه الاعتبار العقلائي ولم يحدث في هذا الهدف تغير في طارء وعارض حتى تتغير الموجبات والنزعات.

وأمّا تجدد ارغبة في الزواج بها بعد طلاق زيد لها فذلك من الرغبات العادية الغير المبعوثة عن مرجحات ذات أهمية فهو كابتداء زواج يكون للانسان من امرأة كان متمكناً من الزواج بها وهي بكر فلم يفعل فلما تزوجت وفرغت امّا بطلاق أو بموت بعل أقدم عليها فتزوج بها فلم يكن فيه الاعراض أوّلاً عن دواع تلزمه بالانصراف ولا إقدامه أخيراً على التزوج كان عن محبة وهيام وهذا في الأُمور العادية للانسان في كافة شؤونه الحيوية أكثر من كل كثير فليتأمل بدقة فإنّه حريّ بالتدقيق لتفهم منه ومن نظائره أسرار كثيرة في الحياة.

٣ـما هي الدواعي لاكثار الرسول من التزوج بالنساء

يرى الإنسان بحاسته ويلمس بلامسته انّ طبقات ذوات الأرواح ومن أبرزها شأناً الإنسان مختلفة بأشد ما يتصور من الاختلاف في نزعات الطبيعة وأثر فاعليتها فمنهم الذي يعيش على مثاقيل من الطعام ومنهم من يأكل الذبيحة برمتها ومنهم من بردت فيه دواعي الشهوة ومنهم الذي احتدمت به حتى لا يطيق القرار ليلة واحدة ولا يوماً واحداً وهذه الأُمور تعد من جملة الغرائز التي خرج بها وجودها القسري عن الحمد والذم طبعاً فإنّه لا حمد ولا ذم فيما لا اكتساب فيه قطعاً ثمّ الشؤون الخاصة بكل فرد ووزنه الداخلي المربوط بحق انفراده خاصاً مما لا يجوز لأيّ أحد فيها نقد ولا تعرض بل ولا أقل تقصد للاطلاع عليها فإنّها ليست من وادي الاجتماعيات التي تشترك بين الأفراد والجماعات فتمس بعاطفة شخص بينما يرتاح لها شخص آخر إذاً فالتكلم في انّ فلاناً كثير الأكل كثير الجماع مثلاً أو انّه يتعرى من كل ملابسه في منزله الانفرادي أو انّه لا يلتذ إلّا بالمأكول والمشروب الفلاني ـ قدحاً ومدحاً ـ باطل من كل أحد وغلط بحت.

أمّا الغرائز الطبيعية فبما انها قسرية فهي ضرورية لمن غرزت فيه وفطر عليها

كالحرارة في النار والبرودة في الثلج، وأمّا الشؤون المنزلية الانفرادية فهي حقل لصاحبها وكل من يداخله فيها ويزعجه من أجلها ظالم البتة لتعديه وظيفته حتماً فكون النبي ﷺ يكثر الجماع ويهوى مباشرة النساء فإنّ أصل التكلم فيه غلط لأنّه من الغرائز المشار اليها مضافاً إلى انها حق فردي داخلي لا اعتراض لانسان فيه ما دام غير مزاحم فيه لأيّ انسان يفرض. والضرة التي ترد على ضرة قبلها جدّ عالمة بأنّها سترد على شريكة لها فهي غير مغشوشة ولا مغبونة والضرة المورود عليها مع انّ لها حق العدالة الواسع في سعة من مطالبة زوجها بالفراق إذا كانت لا تحب البقاء مع ضرتها في حبال هذا الزوج.

هذا هو برنامج القول الطويل في عنوان هذا المطلب فاعتراض من يعترض على نبي الإسلام بأنّه كثير الرغبة في مواقعة النساء وذلك ما يدعوه إلى الاستكثار منهن ساقط من أصله كاعتراضه على أيّ فرد من أفراد الجامعة يفرض بلا خصوصية لفرد على آخر.

ثمّ لنعطف النظر لترجمة من تزوج بها رسول الله من النساء فلننظر هل انّ تيكم النسوة كنّ على عددهن من ربات الجمال وحداثة السن وسائر المؤهلات التي تهيج بالانسان الشبق إلى التحصيل عليهن وقضاء الوطر منهن أم لم يكن الأمر كذلك وهذا فهرست من تزوج بهن من أوّل ما تزوج إلى منتهاه.

روى الحاكم في المستدرك (ج ٤ ص ٢) تحت عنوان أزواج النبي ﷺ: عن الزهري قال: تزوّج رسول الله ﷺ اثنتي عشر امرأة، وعن عبد الله بن محمّد بن عقيل مثله وقد خالفهما في ذلك قتادة بن دعامة وغيره من الأئمّة.

(ص ٣) سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال: تزوج رسول الله خمس عشرة امرأة ست منهن من قريش وواحدة من حلفاء قريش وسبعة من نساء العرب وواحدة من بني اسرائيل ولم يتزوج في الجاهلية غير واحدة وقد خالفهم أبو

عبيدة معمر بن المثنى وقوله فيه أقرب إلى الصواب (حدثناه) أبو النضر محمّد بن يوسف الفقيه أنبأ على بن عبد العزيز حدثنا أبو عبيدة القاسم بن سلام قال: وقد ثبت وصح عندنا ان رسول الله تزوج ثماني عشرة امرأة سبع منهن من قبائل قريش وواحدة من حلفاء قريش وتسعة من سائر قبائل العرب وواحدة من بني اسرائيل من بني هارون بن عمران أخي موسى بن عمران.

قال أبو عبيدة: فأوّل من تزوج ﷺ من نسائه في الجاهلية خديجة ثمّ تزوج بعد خديجة سودة بنت زمعة بمكة في الإسلام ثمّ تزوج عائشة قبل الهجرة بسنتين ثمّ تزوج بالمدينة أُم سلمة ثمّ تزوج حفصة بنت عمر ثمّ تزوج زينب بنت جحش ثمّ تزوج جويرية بنت الحارث ثمّ تزوج ام حبيبة بنت أبي سفيان ثمّ تزوج صفية بنت حيّ ثمّ تزوج ميمونة بنت الحارث ثمّ تزوج فاطمة بنت شريح ثمّ تزوج زينب بنت خزيمة ثمّ تزوج هنداً بنت يزيد ثمّ تزوج أسماء بنت النعمان ثمّ تزوج قتيلة بنت قيس أُخت الأشعث ثمّ تزوج سناء بنت الصلت السليمة. اقتصر الحاكم من ذكرهن هنا على من عددنا. وبقي حسب ما روي اثنتان ثمّ ذكر في تفصيل أزواجه في (ص ٣٤) عن الزهري قال: وتزوج رسول الله ﷺ العالية امرأة من بني بكر بن كلاب. ثمّ روى عن كعب بن عجرة قال: تزوج رسول الله امرأة من بني غفار فلما دخلت عليه ووضعت ثيابها رأى بكشحها بياضاً فقال لها: البسي ثيابك والحقي بأهلك وأمر لها بالصداق هذه ليست بالكلابية وإنّما هي أسماء بنت النعمان الغفارية. وروي عن قتادة قال: تزوج رسول الله ﷺ من أهل اليمن أسماء بنت النعمان وهي ابنة النعمان بن الحارث بن شراحيل بن النعمان فلما دخل بها دعاها فقالت تعال أنت فطلقها. وروي عن قتادة أيضاً قال: تزوج رسول الله أُم شريك الأنصارية من بني النجار وقال: اني أُحبّ أن أتزوج في الأنصار ثمّ قال: اني أكره غيرتهن فلم يدخل بها.

ثمّ ذكر الحاكم (ص ٣٧) رواية عن أبي أسيد الساعدي وكان بدرياً قال: تزوج رسول الله ﷺ أسماء بنت النعمان الجونية فأرسلني فجئت بها فقالت حفصة لعائشة اخضبيها أنت وأنا أمشطها ففعلتا ثمّ قالت لها احداهما انّ النبي يعجبه من المرأة إذا دخلت عليه أن تقول أعوذ بالله منك، فلما دخلت عليه وأغلق الباب وأرخى الستر مدّ يده اليها فقالت أعوذ بالله منك فمال رسول الله ﷺ بكمّه على وجهه فاستتر به وقال: عذت بمعاذ ثلاث مرات قال أبو أسيد ثمّ خرج اليّ فقال: يا أبا أسيد ألحقها بأهلها ومتعها برازقيين يعني كرباسين فكانت تقول ادعوني الشقية، قال ابن عمر قال هشام بن محمّد فحدثني زهير بن معاوية الجعفي انها ماتت كمداً.

وقال أيضاً (ج ٤ ص ٣٨) تحت عنوان سراري النبي ﷺ: أولهن مارية القبطية أم ابراهيم، مصعب بن عبد الله الزبيري قال: ثمّ تزوج رسول الله ﷺ مارية بنت شمعون وهي التي أهداها إلى رسول الله المقوقس صاحب الاسكندرية وولدت مارية لرسول الله ابراهيم، وسلمى مولاة رسول الله، وميمونة بنت سعد مولاة رسول الله، وأميمة مولاة رسول الله، وريحانة مولاة رسول الله ﷺ ـ اهـ ما عن الحاكم ولا يخفى انّ في جملة من هذه النقول والأقوال اختلافاً شديداً.

وقال ابن هشام [١] كان جميع من تزوج رسول الله ﷺ ثلاث عشرة: خديجة بنت خويلد وهي أوّل من تزوج وأصدقها رسول الله عشرين بكرة فولدت لرسول الله ﷺ ولده كلهم إلّا ابراهيم وكانت قبله عند أبي هالة بن مالك فولدت له هند بن أبي هالة وزينب بنت أبي هالة وكانت قبل أبي هالة عند عتيق

(١) السيرة الهشامية: ج ٢ ص ٦٤٣.

بن عابد فولدت له عبد الله وجارية.

وتزوج بعائشة بنت أبي بكر بمكة وبنى بها بالمدينة، وتزوج سودة بنت زمعة وكانت قبله عند السكران بن عمرو، وتزوج بزينب بنت جحش وكانت قبله عند زيد بن حارثة، وتزوج بأُم سلمة بنت أبي امية بن المغيرة المخزومية وكانت قبله عند أبي سلمة فولدت له سلمة وعمر وزينب ورقية، وتزوج بحفصة بنت عمر بن الخطاب وكانت قبله عند خنيس بن حذافة السهمي، وتزوج أُم حبيبة بنت أبي سفيان وكانت قبله عند عبيد الله بن جحش الأسدي، وتزوج بجويرية بنت الحارث الخزاعية وكانت قبله عن ابن عم لها، وتزوج صفية بنت حيي بن أخطب وكانت قبله عند كنانة بن الربيع، وتزوج ميمونة بنت الحارث وكانت قبله عند أبي رهم بن عبد العزى، وتزوج رسول الله زينب بنت خزيمة وكانت قبله عند عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب.

فهؤلاء اللاتي بنى بهن رسول الله ـ احدى عشرة ـ فمات قبله منهن ثنتان خديجة بنت خويلد وزينب بنت خزيمة وتوفي عن تسع وثنتان لم يدخل بهما أسماء بنت النعمان الكندية وعمرة بنت يزيد الكلابية ـ اهملخصاً ـ.

وأنت ترى انّ أغلب هاته النسوة بل كلهن ما سوى عائشة كنّ ثيبات وأيامى وقد قطعن من الحياة الشطر الوافر من أعمارهن وذلك مما يقرب ان الذي كان يدعوه إلى التزوج بهن فضلاً عن موضوع احتدام الذكورية فيه إلى مباشرة النساء (أحد الأُمور) الاتصال بمتشتت أُسر العرب وفي ذلك نوع من جلب المحبة والوصلة بفريق الزوجة وهو له قيمته ووزنه في تكثير الجماعات والأفراد وربط العلاقات المفيدة في السراء والضراء، حفظ كثير من هاته النسوة بعد أزواجهن المسلمين عن الضياع والتلف كزوجة أبي سلمة وزوجة عبيدة بن الحارث الشهيدين، ترويج سنة التزوج بالأيامى والثيبات الفائتات سناً في الحياة حتى

لا يرغب عنهن الرجال ومثل هذا القماش من هاته النسوة إذا لم ترج سوقه يجرّ على صاحبه ويل البؤس والفقر والضعف ووحشة الانفراد وعدم العائل أو تثاقله فإذا سدّ الزوج مثل هذا الفراغ زال البؤس وحصلت القوة وذهبت الوحشة وكل هذه الوجوه تحسن مطلوباً راجحاً في نظر العقول والاعتبارات الصادقة فليتأمل حتى يعرف .

تنبيهان ـ الأوّل: ردّ على هيكل

يذكر هيكل [١] تحت عنوان الفصل السابع عشر أزواج النبي فيقول: في الفترة التي وقعت فيها حوادث الفصلين السابقين ـ يعني الفصل الخامس عشر والسادس عشر ـ تزوج محمّد زينب بنت خزيمة ثمّ تزوج أُم سلمة بنت أبي أُمية بن المغيرة ثمّ تزوج زينب بنت جحش بعد أن طلقها زيد بن حارثة وزيد هذا هو الذي تبناه محمّد وأعتقه ههنا يصيح المستشرقون ويصيح المبشرون انظروا لقد انقلب محمّد الذي كان بمكة داعية قناعة وزهد وتوحيد ورغبة عن شهوات هذه الحياة الدنيا رجل شهوة يسيل منظر المرأة لعابه ولا يكفيه ثلاث نسوة في بيته بل يتزوج اولئك الثلاث اللائي ذكرنا ويتزوج من بعدهن ثلاثاً أُخريات غير ريحانة وهو لا يكفيه أن يتزوج ممن لا بعولة لهن بل هو يشغف حباً بزينب بنت جحش وهي تحت زيد بن حارثة مولاه لغير شيء إلّا انّه مرّ ببيت زيد وهو غائب فاستقبلته زينب وكانت في ثياب تبدي محاسنها فوقع منها في قلبه شيء لجمالها فقال سبحان مقلّب القلوب ثمّ كرر هذه العبارة ساعة انصرافه فسمعتها زينب ورأت في عينه وهج الحب فأعجبت بنفسها وأبلغت زيداً ما سمعت فذهب من

---

(١) في كتابه حياة محمّد: ص ٣٠٧ وما بعدها.

فوره إلى النبي يذكر له استعداده لتسريحها فقال له امسك عليك زوجك واتق الله لكن زينب لم تحسن من بعد عشرته فطلقها وأمسك محمّد عن زواجها وقلبه في شغل بها حتى نزّل الله قوله تعالى: وإذ تقول للذي أنعم الله عليه، الخ.

هكذا حرر هيكل الاشكال، وأجاب بما يلي:

كان في مقدورنا أن نجبه هذه الأقوال جميعاً بقولنا فلتكن صحيحة فماذا فيها مما يطعن على عظمة محمّد أو على نبوته ورسالته ان القوانين التي تجري على الناس لا سلطان لها على العظماء فأولى ألا يكون لها سلطان على المرسلين والأنبياء ألم ير موسى عليه السلام خلافاً بين رجلين هذا من شيعته وهذا من عدوه فوكز الذي من عدوه فقضى عليه وهذا قتل محرم في غير حرب ولا شبه حرب وهذا مخالف للقانون ومع ذلك لم يخضع موسى لقانون ولم يطعن ذلك في نبوته ولا في رسالته ولم يطعن في عظمته وشأن عيسى في مخالفة القانون أكبر من شأن موسى ومن شأن محمّد ومن شأن الأنبياء والمرسلين جميعاً فليس يقف أمره عند بسطة في القوة أو الرغبة بل خرج بمولده وبحياته على قوانين الطبيعة وسننها جميعاً.

أقول: لقد أخطأ هيكل خطئاً لا ينبغي أن يصدر من مثله وذلك بقياسه الانحراف التكليفي عن سنن قانون الوظيفة على الخروج القسري عن قانون الطبيعة وهما من واديين لا تلاقى بينهما فإن التفت على الوظيفة يعدّ جرماً وجناية وعصياناً وقسر الطبيعة على لون مما لا يرتبط باختيار المكلف ولا بارادته ولا يحمد عليه ولا يذم كما أسلفناه فالأفعال الاختيارية كلها حرامها حرام على كل مكلف وواجبها واجب على كل مكلف وهكذا مكروهها ومستحبها لا يفترق عندها مكلف عن مكلف إلّا في موارد يستثنى فيها بعض المكلفين فيخصه من دون إخوانه في التكليف ببعض الأشياء كما يقال في حق

نبي الإسلام انّه اختص بوجوب صلاة الليل الغير الواجبة على من سواه وجوّز له صوم الوصال المحرم على غيره ونظير ذلك امّا انّ النبيّ يكون ممن يشمله نظام عام للتكليف ثمّ يجوز له ـ لعظمته ـ تخطي النظام فذلك ما لا يجوز صدوره عن أقل معتقد بالشرائع ـ ولم ـ لأنّ الأنبياء أُسوة بقية الخلق في كل شيء من الخيرات والطاعات والقيام بالوظائف المقررة فكيف يجوز لهم أن يتخطوا ما سنّ من نظام عام فيكونوا أخسّ أفراد المكلفين وتنعكس بذلك طبعاً دعوتهم من التـقدم إلى التقهقر.

هذا مضافاً إلى وجوب عصمتهم للدواعي العقلائية التي بحثنا عنها في القسم الثاني من هذه السلسلة وقد تقدم استشهاده على ذلك بقضية موسى عندما رأى خلافاً بين رجلين هذا من شيعته وهذا من عدوه فوكز الذي من عدوه فقضى عليه فهو من أشد مواقع الخطأ والغلط وذلك لأنّ الذي كان من شيعته اسرائيلي والذي من عدوه قبطي ولم يولد العداوة بين الاسرائيلين والأقباط أمر خارج عنهما بل الذي ولّده تحكم الأقباط بـالاسرائـيليين وظـلمهم وتـعنتهم عـليهم وسـحقهم لحقوقهم بما بعث نبوة موسى ونهضته واستنقاذ بني اسرائيل من تحكم الأقـباط وقتل العدو المعتدي جائز في كل شريعة سابقة ولاحقة وفي شريعة العقل أيضاً.

وما أزيف قوله: وهذا قتل محرم في غير حرب ولا شبه حرب، فإنّ القتل في الحرب ليس بجائز على اطلاقه، نعم الحرب المشروعة يشرع فيها مـا يـترتب عليها من قتل وجرح وأسر وما يمتّ إلى ذلك من نتائجها وامّا الحرب الجـائرة التي لم يقرها الشرع فكل ما فيها عدوان وظلم وجناية ومثل ذلك القول في القتل بغير حرب فإنّه قد تجوز مباشرته والتلبس به كالقتل قصاصاً ودفاعاً إذا توقف الدفاع على اتلاف النفس ونظير ذلك مما هو مقرر في كتاب الحدود والقصاص في فقه الشريعة وقد لا تجوز كالاعتداء على انسان مصون الدم بالقتل لغير مجوّز

مشروع وموسى عليه السلام كما أسلفنا لم يرتكب إلّا ما هو مباح له من دون شبهة كما أدّت به هذه الاباحة في هذا الفرد إلى الاباحة في عنصر الأقباط في مسير نبوته كما هو مكرر التلاوة والتحديث عنه في القرآن المجيد ولذلك لم يطعن في نبوته ولو انّه ارتكب ذلك في بحث النبوات الخاصة والعامة.

وأمّا خروج موسى عن قانون الطبيعة المألوف بمزيد القوة وخروج عيسى كما ذكر هيكل بمولده وبحياته عن قوانين الطبيعة وسننها جميعاً فذلك لا خصوصية له بالأنبياء ومما كان لكافة أصناف الموجودات منه حصة وقد أسلفنا هذا البحث مفصلاً في القسم الأوّل من سلسلة هذا الكتاب عند تكلمنا على انشعاث مواليد الكون بما استنتجنا منه وجوب كون واجب الوجود مباشراً بلا توسيط لكافة الموجودات في أصل الخلقة وفي اجرائها إلى أن تتلاشى، ونحن قد بيّنا قريباً انّ الغرائز القسرية مما لا تدخل تحت تكليف ولا عقاب ولا ثواب ولا حمد ولا ذم فالكلام عليها يعدّ جزافاً كان مداره على الأنبياء أو على غيرهم، نعم لا بأس بالجواب الثاني لهيكل عن الاشكال الآنف ومن أراد الوقوف عليه راجع كتابه ص ٣٠٩ وما بعدها.

التنبيه الثاني: بنو فاطمة أولاد النبي حقيقة

قال الله تعالى في سورة الأحزاب (آية ٤٠): ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ ﴾، الآية. ونحن لو سلمنا اجراء هذه الآية على ما يلوح منها ويظهر من سلب اُبوة محمّد عن كل رجل يفرض فالسنة المستفيضة بل المتواترة معنى عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم تخصص هذا الاجراء بالنسبة إلى بني فاطمة بنت محمّد وتثبت انهم ولده على الحقيقة وانّه هو عصبتهم، ثبت لنا أن نقول انّ أولاد البنات أولاد على الحقيقة أو لم يثبت إلّا على نحو التجوز ـ فمن ذلك ـ:

ما رواه المتقي الهندي في كتابه [١] انّ لكل بني أب عصبة ينتمون اليها إلّا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم وهم عترتي خلقوا من طينتي ويل للمكذبين بفضلهم، من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله (الحاكم في المستدرك وابن عساكر عن جابر).

وفي (ص ١٠٥ من المصدر نفسه) لكل نبي أب عصبة ينتمون اليهم إلّا ابني فاطمة فأنا وليّهما وعصبتهما (الحاكم في المستدرك عن جابر).

المصدر نفسه من جميع وجوهه: هذان ابناي وابنا ابنتي اللهم اني أُحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما (الترمذي وابن حبان عن أُسامة بن زيد).

وروى المحب الطبري [٢] عن عمر قال: قال رسول الله ﷺ كل ولد أب فإ عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فاني أنا أبوهم وعصبتهم، خرجه أحمد في المناقب، وعن اسامة بن زيد قال: طرقت النبي ﷺ ذات يوم في بعض الحاجة فخرج النبي ﷺ وهو مشتمل على شيء لا أدري ما هو فلما فرغت من حاجتي قلت ما هذا الذي أنت مشتمل عليه فكشف فإذا حسن وحسين على وركيه فقال: هذان ابناي وابنا ابنتي اللهم اني احبهما فأحبهما واحب من يحبهما. خرجه الترمذي وقال حسن غريب.

وذكر الصبان في اسعاف الراغبين (ص ١٣٢ وما بعدها) عدة خصائص لأهل البيت فقال: ومنها ان أولاد فاطمة وذريتهم يسمون أبنائه وينسبون إليه نسبة صحيحة أخرج الطبراني مرفوعاً انّ الله عزوجل جعل ذرية كل نبي في صلبه وان الله تعالى جعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب، وأخرج الطبراني وغيره

---

(١) منتخب كنز العمال: ج ٥ ص ٩٢.

(٢) في ذخائر العقبى: ص ١٢١.

انّه ﷺ قال: كل نبي ام ينتمون إلى عصبة إلّا ولد فاطمة فاني أنا أبوهم وعصبتهم وهذه الخصوصية لأولاد فاطمة فقط دون أولاد بقية بناته فلا يطلق عليه ﷺ انّه أب لهم وانهم بنوه كما يطلق ذلك في أولاد فاطمة.

وقال الحافظ الكنجي [١] أخبرنا الحافظ يوسف إلى أن ينهى سنده إلى جابر قال: قال رسول الله ﷺ: انّ الله عزوجل جعل ذرية كل نبي في صلبه وان الله عزوجل جعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب، قلت: رواه الطبراني في معجمه الكبير في ترجمة الحسن.

وقال أيضاً: أخبرنا يوسف الحافظ بحلب ثمّ ينهى سنده إلى المستظل بن حصين عن عمر قال: سمعت رسول الله يقول: كل بني انثى فإنّ عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فاني أنا عصبتهم وأنا أبوهم، قلت: رواه الطبراني في ترجمة الحسن.

وروى القندوزي [٢] عن عمر مرفوعاً كل ولد أب فإنّ عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فاني أنا أبوهم وعصبتهم. أخرجه أحمد في المناقب.

وكرر القندوزي هذه المادة عن عمر بنحو أوفي (ج ٢ ص ٩٢) فقال: وعن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال: كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلّا سببي ونسبي وكل ولد آدم فإنّ عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فاني أنا أبوهم وعصبتهم، أخرجه أبو صالح والحافظ عبد العزيز بن الأخضر وأبو نعيم في معرفة الصحابة والدارقطني والطبراني في الأوسط.

ولا نطيل عليك بذكر هذه المواد ونظائرها فإنّها كثيرة جداً خصوصاً مادة ـ

---

(١) في كفاية الطالب: ص ٢٣٥.

(٢) في كتابه ينابيع المودة: ج ٢ ص ٤٦.

ابني ـ لواحد من الحسن والحسين ـ وابناي وابنيّ رفعاً ونصباً وجراً لهما معاً فإنّ استيعاب ذلك مما يحتاج إلى كتاب بحياله .

غزوة الخندق

قال الطبري [١] وفيها : أي في السنة الخامسة من الهجرة كانت غزوة رسول الله الخندق في شوال وكان الذي جرّ هذه الغزوة فيما قيل ما كان من اجلاء رسول الله ﷺ بني النضير عن ديارهم فتجمع عدة من أشراف اليهود وخرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم إلى حرب رسول الله وقالوا : انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله فأجابتهم قريش إلى ذلك ثمّ خرج اولئك النفر من اليهود حتى جاءوا غطفان فدعوهم إلى حرب رسول الله وأخبروهم انهم سيكونون معهم عليه وان قريشاً تابعوهم على ذلك فأجابوا هم كما أجابتهم قريش فخرجت وقائدها أبو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن والحارث بن عوف ومسعود بن رخيلة فلما سمع بهم رسول الله وبما جمعوا له ضرب الخندق على المدينة وكان الذي أشار على النبي به سلمان الفارسي وكان أوّل مشهد شهده وهو يومئذ حر وقال : يا رسول الله انّا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا ولما فرغ رسول الله من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من دومة بين الجرف والغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تابعهم من كنانة وأهل تهامة وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد حتى نزلوا إلى جانب أُحد وخرج رسول الله والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر

---

(١) تاريخ الطبري : ج ٣ ص ٤٣ وما بعدها .

بالذراري والنساء فرفعوا في الآطام وخرج حيي بن أخطب حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم وكان قد وادع رسول الله على قومه وعاهده على ذلك فلما سمع كعب بحيي أغلق دونه حصنه ولكن حيياً لم يزل يفتله حتى لواه عن عهده مع الرسول فلما انتهى خبر نكثه إلى النبي ﷺ بعث سعد بن معاذ سيد الأوس وسعد بن عبادة سيد الخزرج ليحققوا له هذه الشائعة وانها إن كانت صدقاً كتما خبرها عن كل أحد سواه ﷺ لئلا تختلّ صفوف المسلمين فأبلغاه تلويحاً انّ القوم غادرون وعند ذلك عظم البلاء على المسلمين واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من بعض المنافقين فأقام رسول الله ﷺ وأقام المشركون بضعاً وعشرين ليلة قريباً من شهر ولم يكن بين القوم حرب إلّا الرمي بالنبل سوى انّ فوارس من قريش: عمرو بن عبد ود وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب قد تلبسوا للقتال وخرجوا على خيلهم ومرّوا على بني كنانة فقالوا تهيأوا للحرب يا بني كنانة فستعلمون اليوم من الفرسان.

ثمّ أقبلوا نحو الخندق حتى وقفوا عليه فلما رأوه قالوا: والله انّ هذه المكيدة ما كانت العرب تكيدها ثمّ تيمموا مكاناً من الخندق ضيقاً فضربوا خيولهم فاقتحمت منه فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتى أخذ عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم وقد كان عمرو بن عبد ود قاتل يوم بدر حتى اثبتته الجراحة فلم يشهد احداً فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مكانه فلما وقف هو وخيله قال له علي: يا عمرو انك كنت عاهدت الله أن لا يدعوك رجل من قريش إلى خلتين إلّا أخذت منه احداهما قال: أجل قال له علي: فاني أدعوك

إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام، قال: لا حاجة لي بذلك، قال: فاني أدعوك إلى النزال، قال: ولم ياابن أخي فوالله ما أحب أن أقتلك، قال علي: ولكني والله أحب أن أقتلك فحمى عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره أو ضرب وجهه ثمّ أقبل على عليّ فتنازلا وتجاولا فقتله علي وخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلان منبه بن عثمان من بني عبد الدار أصابه سهم فمات منه بمكة ومن بني مخزوم نوفل بن عبد الله بن المغيرة وكان اقتحم الخندق فتورط فيه فرموه بالحجارة فقال: يا معشر العرب قتلة أحسن من هذه فنزل إليه عليّ فقتله.

روى المتقي الهندي في كتابه[١] عن علي قال: قال رسول الله ﷺ يوم الخندق: اللهم انك أخذت عبيدة بن الحارث يوم بدر وحمزة بن عبد المطلب يوم أُحد وهذا علي فلا تدعني فرداً وأنت خير الوارثين ـ الديلمي ـ.

عن ابن عباس قال: سمعت عمر يقول: جاء عمرو بن عبد ود فجعل يجول بفرسه حتى جاوز الخندق وجعل يقول: هل من مبارز وسكت أصحاب رسول الله ثمّ قال رسول الله: هل يبارزه أحد؟ فقال عليّ دعني يا رسول الله فإنّما أنا بين حسنيين امّا أن أقتله فيدخل النار وامّا أن يقتلني فأدخل الجنة، فقال رسول الله اخرج يا علي، فقال له عمرو من أنت ياابن أخي؟ قال: أنا علي، قال: انّ أباك كان نديماً لي لا أحب قتالك، فقال علي: انك كنت أقسمت لا يسألك أحد ثلاثاً إلّا أعطيته، فاقبل مني واحدة، فقال عمرو: وما ذاك؟ قال: أدعوك أن تشهد أن لا اله إلّا الله وأنّ محمّد رسول الله، فقال عمرو: ليس إلى ذلك سبيل، قال: فترجع فلا تكون علينا ولا معنا، قال: اني نذرت أن أقتل حمزة فسبقني إليه وحشي ثمّ

---

(١) منتخب كنز العمال: ج ٤ ص ١٢٥.

اني نذرت أن أقتل محمّداً، قال عليّ : فانزل فنزل فاختلفا في الضـربة فـضربه عليّ فقتله (المحاملي في أماليه).

وروى الحاكم [١] عن ابن عباس قال : قتل رجل من المشركين يوم الخندق فطلبوا ان يواروه فأبى رسول الله حتى أعطوه الدية [٢] وقتل من بني عامر بـن لؤي عمرو بن عبد ود قتله علي بن أبي طالب مـبارزة ، هـذا حـديث صـحيح الاسناد ولم يخرجاه ، ولم يتعقبه الذهبي .

عن ابن شهاب قال : قتل من المشركين يوم الخندق عمرو بن عبد ود قتله علي بن أبي طالب اسناد هذه المغازي صحيح على شرط الشيخين .

عن يونس بن بكير عن ابن اسحاق قال : كان عمرو بن عبد ود ثالث قريش وكان قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة ولم يشهد احداً فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مشهده فلما وقف هو وخيله قال له علي يا عمرو قد كنت تعاهد الله لقريش ان لا يدعو رجل إلى خلتين إلّا قبلت منه احداهما فقال عمرو أجل ، فقال له فاني ادعوك إلى الله عزوجل وإلى رسوله والإسلام ، فقال لا حاجة لي في ذلك ، قال فاني أدعوك إلى البراز ، قال ياابن أخي لم فوالله ما أحب أن أقـتلك ، فقال علي : لكني والله أحب أن أقتلك فحمى عمرو فاقتحم عن فرسه فعقره ثـمّ أقبل فجاء إلى علي وقال من يبارز فقام علي وهو مقنع في الحديد فقال أنا له يا نبي الله فقال انّه عمرو بن عبد ود اجلس ، فنادى عمرو ألا رجل فأذن له رسول

---

(١) مستدرك الحاكم : ج ٣ ص ٣٢.

(٢) هذا الرجل هو نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي كان اقتحم الخندق فتورط فيه فقتل فـغلب المسلمون على جسده فقال ابن اسحاق انّ النبي بذل جسده للمشركين لا بازاء شيء ويـقول ابـن هشام اعطوا رسول الله بجسده عشرة آلاف درهم فيما بلغني عن الزهري.

الله فمشى إليه علي وهو يقول:

لا تـــعجلن فـــقد أتـــاك   مجيب صوتك غير عاجز
ذو نـــــــيّة وبـــــصيرة   والصدق منجي كـل فـائز
انـــــي لأرجـــو أن أُقـيم   عــليك نــائحة الجــنائز
مـــــن ضـــــربة نــجلاء   يبقى ذكرها عند الهـزاهـز

فقال له عمرو: من أنت، قال: أنا علي، قال: ابن من، قال: ابن عبد مناف أنا علي بن أبي طالب، فقال عندك ياابن أخي من أعــمامك مـن هـو أسـنّ مـنك فانصرف فاني أكره أن اهريق دمك، فقال علي: لكني والله ما أكره أن اهريق دمك فغضب فنزل فسلّ سيفه كأنّه شعلة نار ثمّ أقبل نحو عليّ مغضباً واستقبله عـلي بدرقته فضربه عمرو في الدرقة فقدّها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه وضربه عليّ على حبل العاتق فسقط وثار العجاج فسمع رسول الله التكبير فعرف انّ عليّاً قتله فثمّ يقول علي(١):

فصدرت حين تركته مـتجدلاً   كالجذع بين دكادك وروابـي
وعففت عن أثوابـه ولو انـني   كـنت المـقطر بـزّني أثـوابـي
عبد الحجارة من سفاهة عقله   وعبدت ربّ محمّد بـصواب

ثمّ أقبل عليّ نحو رسول الله ووجهه يتهلل فقال عمر بن الخطاب هلّا سلبته درعه فليس للعرب درع خيراً منها، فقال ضربته فاتقاني بسوءته واستحييت ابن عمي أن أسلبه وخرجت خيله منهزمة حتى أقحمت من الخندق.

---

(١) ذكر أبياتاً لا تخلو من الغلط نذكر الصحيح منها.

(ص ٣٣) عن يحيى بن محمّد بن عباد بن هانيء عن محمّد بن اسحاق بن يسار قال: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال: لما قتل علي بن أبي طالب عمرو بن عبد ود أنشأت أُخته عمرة بنت عبد ود ترثيه فقالت:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله بكيته ما أقام الروح في جسدي
لكن قاتله من لا يعاب به وكان يدعى قديماً بيضة البلد

وسمعت أبا العباس محمّد بن يعقوب سمعت أحمد بن عبد الجبار العطاردي سمعت يحيى بن آدم يقول ما شبهت قتل عليّ عمراً إلّا بقول الله عزوجل وقتل داود جالوت فهزموهم باذن الله.

(ص ٣٤) عن ابن لهيعة قال قال عروة بن الزبير وقتل من كفار قريش يوم الخندق من بني عامر بن لؤي ثمّ من بني مالك بن حسل عمرو بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل قتله علي بن أبي طالب.

قد ذكرت في مقتل عمرو بن عبد ود من الأحاديث المسندة عن عروة بن الزبير وموسى بن عقبة ومحمّد بن اسحاق بن يسار ما بلغني ليتقرر عند المنصف من أهل العلم انّ عمرو بن عبد ود لم يقتله ولم يشترك في قتله غير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وإنّما حملني على هذا الاستقصاء فيه قول من قال من الخوارج انّ محمّد بن مسلمة أيضاً ضربه ضربة وأخذ بعض السلب ووالله ما بلغنا هذا عن أحد من الصحابة والتابعين.

(ص ٣٢) قال الحاكم عقيب روايته عن ابن عباس: انّ عمرو بن عبد ود قتله علي بن أبي طالب مبارزة، وله شاهد عجيب حدثنا لؤلؤ بن عبد الله المقتدري في قصر الخليفة ببغداد حدثنا أبو الطيب أحمد بن ابراهيم بن عبد الوهاب المصري بدمشق حدثنا أحمد بن عيسى الخشاب بتنيس حدثنا عمرو بن أبي

سلمة حدثنا سفيان الثوري عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله لمبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن عبد ود يوم الخندق أفضل من أعمال أُمتي إلى يوم القيامة. واتهم الذهبي هذا الحديث بأنّه من وضع الروافض ولم يزد على هذه الدعوى شيئاً كما لم يبين وجه هذه التهمة.

وذكر الشبلنجي في نور الأبصار (ص ٨٧) فقال: ومن شجاعته رضي الله عنه قتاله في غزوة الخندق وذلك انّه لما بلغ رسول الله انّ قريشاً تجمعت وقائدهم أبو سفيان بن حرب وان غطفان تجمعت وقائدهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر واتفقوا مع بني النضير من اليهود على قصد رسول الله وحصار المدينة أخذ النبي ﷺ في حراسة المدينة بحفر الخندق عليها وعمل النبي فيه بنفسه الشريفة وأحكمه في أيّام فلما فرغ رسول الله ﷺ من حفره أقبلت قريش بجموعها وجيوشها ومن تبعها في كنانة وأهل تهامة في عشرة آلاف وأقبلت غطفان ومن تبعها من أهل نجد فنزلوا من فوق المسلمين ومن أسفلهم كما قال الله تعالى: ﴿ **إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم** ﴾ فخرج النبي ﷺ ومن معه من المسلمين وكانوا ثلاثة آلاف وجعلوا الخندق بينهم واتفق اليهود مع المشركين على قتال رسول الله ﷺ فلما رأى المسلمون ذلك اشتد الأمر عليهم وكان مع المشركين من قريش عمرو بن عبد ود وكان من مشاهير الصناديد وعكرمة بن أبي جهل وجاؤوا حتى وقفوا على الخندق ثمّ قصدوا مكاناً ضيقاً منه وضربوا خيولهم فاقتحمته وجالت خيولهم بين الخندق وبين المسلمين فلما رأى ذلك عليّ خرج ومعه نفر من المسلمين وبادروا الثغرة التي دخلوا منها وأخذوا عليهم المضيق الذي اقتحمته خيولهم فرجع عمرو بن عبد ود من بينهم ومعه ولده حسل وقال: هل من مبارز ؟ فأراد علي أن يبرز إليه فأرسل النبي ﷺ لعلي أن لا يبرز إليه فجعل عمرو ينادي هل من مبارز وجعل يقول: أين حميتكم أين جنتكم التي

تزعمون انّ من قتل دخلها أفلا يبرز إليّ رجل منكم ؟ فجاء علي رضي الله عـنه إلى النبي ﷺ فقال: أنا له يا رسول الله فقال انّه عمرو، قال وإن كان عمراً فأذن له في مبارزته ونزع عمامته عن رأسه وعمم علياً بها وقال: امض لشأنك فخرج علي وعمرو يقول:

ولقد بححت من النـداء بجمعكم هل مـن مـبارز

ووقفت إذ وقف الشجاع بموقف القـرن المـناجز

وكـــذاك انــي لم أزل مـتبرعاً قـبل الهـزاهـز

انّ الشـجاعة فـي الفتى والجود من خير الغرائـز

فأجابه علي رضي الله عنه

لا تــعجلن فــقد أتــاك مجيب صوتك غير عاجز

ذو نـــيّة وبـــصيرة والصدق منجي كـل فـائز

انـــي لأرجـو أن أقـيم عـليك نـائحة الجـنائز

مـــن ضـــربة نـجلاء يبقى ذكرها عند الهـزاهـز

ثمّ قال: يا عمرو انك كنت قد أخذت على نفسك عهداً أن لا يدعوك رجل من قريش إلى احدى خلتين إلّا أجبته إلى واحدة منهما، قال: أجل، فقال علي: اني أدعوك إلى الله تعالى وإلى رسوله وإلى الإسلام، فقال: أمّا هذه فـلا حـاجة لي فيها، فقال له علي: فإذا كرهت هذه فاني أدعوك إلى النزال، قال ولم ياابن أخي فما أحب أن أقتلك ولقد كان أبوك خلّاً لي، فقال علي: امّـا أنـا والله فأحب أن أقتلك فحمى عمرو وغضب من كلامه واقتحم عن فـرسه إلى الأرض وضـرب وجهها ونزل عليّ عن فرسه وأقبل كل منهما على الآخر فتصاولا وتجاولا ساعة ثمّ ضربه عليّ على عاتقه بالسيف رمى جنبه إلى الأرض وتركه قتيلاً ثـمّ ركب

عليّ رضي الله عنه فرسه وكرّ على ابنه حسل فقتله أيضاً فخرجت خيول قريش منهزمة ورمى عكرمة بن أبي جهل رمحه وفرّ وأرسل الله عليهم ريحاً وجـنوداً وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال.

وقال ابن هشام (١): حدثني الثقة انّه حدّث عن ابن شهاب الزهري انّه قال: قتل علي بن أبي طالب يومئذ عمرو بن عبد ود وابنه حسل بن عمرو، قال ابـن اسحاق (٢٢٦) وألقى عكرمة بن أبي جهل رمحه يومئذ وهو منهزم عن عـمرو فقال حسان بن ثابت:

ففرّ وألقى لنـا رمـحه لعلك عكرم لم تفعل

وقال ابن كثير (٢): ذكر الحافظ البيهقي في دلائل النبوة عن ابن اسحاق فـي موضع آخر من السيرة قال: خرج عمرو بن عبد ود وهو مقنع بالحديد فنادى من يبارز فقام علي بن أبي طالب فقال: أنا له يا نبي الله فقال انّه عمرو اجـلس ثـمّ نادى عمرو ألا رجل يبرز فجعل يؤنبهم ويقول: أين جنتكم التي تزعمون انّه من قتل منكم دخلها أفلا تبرزون اليّ رجلاً، فقام علي فقال: أنا يا رسول الله فـقال اجلس ثمّ نادى الثالثة فقال:

ولقد بححت من النـداء بجمعكم هل مـن مـبارز
ووقفت إذ وقف الشجاع بموقف القـرن المـناجز
ولذلك انـــي لم أزل مـتسرعاً قـبل الهـزاهـز
انّ الشـجاعة فـي الفـتى والجود من خير الغرائـز

(١) السيرة الهشامية: ج ٢ ص ٢٥٣.

(٢) البداية والنهاية: ج ٤ ص ١٠٦.

قال: فقام علي رضي الله عنه وقال: يا رسول الله أنا، فقال انّه عمرو فقال: وإن كان عمراً فأذن له رسول الله فمشى إليه حتى أتى وهو يقول:

لا تـعجلن فـقد أتـاك مجيب صوتك غير عاجز
فـي نـيّة وبـصيرة والصدق منجي كـل فـائز
انـي لأرجـو أن أقـيم عـليك نـائحة الجـنائز
مـن ضـربة نـجلاء يبقى ذكرها عند الهـزاهـز

فقال عمرو: ومن أنت، قال: أنا علي، قال ابن عبد مناف قال: أنا علي بن أبي طالب، فقال: يا ابن أخي من أعمامك من هو أسنّ منك فاني أكـره أن اهـريق دمك، فقال له علي: لكني والله لا أكره أن اهريق دمك فغضب فنزل وسلّ سيفه كأنّه شعلة نار ثمّ أقبل نحو علي مغضباً واستقبله علي بدرقته فضربه عمرو في درقته فقدّها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجّه وضربه عليّ عـلى حـبل عاتقه فسقط وثار العجاج وسمع رسول الله التكبير فعرفنا انّ علياً قد قـتله فـثمّ يقول علي:

أعليّ تقتحم الفوارس هكـذا عني وعنهم أخّروا أصـحابي
اليوم يمنعني الفرار حـفيظتي ومصمم في الرأس ليس بنابي

إلى أن قال:

عبد الحجارة من سفاهة رأيه وعبدت رب محمّد بـصواب

إلى آخر ما قال، ثمّ أقبل عـليّ نـحو رسـول الله ﷺ ووجـهه يـتهلل ـ اهـ ملخصاً ـ.

ثمّ لعلك تقول من أين أحرزت ان لعمرو بن عبد ود شأناً في الشجاعة والفروسية حتى تعد قتله فضيلة لعلي فأُجيبك لأُمور: منها: ذكر الناس له بذلك وتحرق المشركين في قتله تحرقاً يدل على عظيم مقامه عندهم فقد قال ابن اسحاق [١] قال مسافع بن عبد مناف بن وهب الجمحي يبكي عمرو بن عبد ود ويذكر قتل علي بن أبي طالب إيّاه:

عمرو بن عبد كان أوّل فارس ... جزع المذاد وكان فارس يليل [٢]

سمح الخلائق ماجد ذو مرّة ... يبغي القتال بشكة لم ينكل [٣]

ولقد علمتم حين ولّوا عنكم ... انّ ابن عبد فيهم لم يعجل

حتى تكنفه الكماة وكلهم ... يبغي مقاتله وليس بمؤتلي [٤]

ولقد تكنفت الأسنة فارساً ... بجنوب سلع غير نكس اميل [٥]

تسل النزال عليّ فارس غالب ... بجنوب سلع ليته لم ينزل

فاذهب عليّ فما ظفرت بمثله ... فخراً ولا لاقيت مثل المعضل

نفسي الفداء لفارس من غالب ... لاقى حمام الموت لم يتحلحل

وقال مسافع أيضاً يؤنب فرسان عمرو الذين كانوا معه فأجلوا عنه وتركوه:

---

(١) السيرة الهشامية: ج ٢ ص ٢٦٦.

(٢) جزع: قطع. والمذاد: موضع. ويليل: واد ببدر.

(٣) الشكة السلاح.

(٤) أي ليس بمقصر.

(٥) تكنفه: أحاط به. وسلع: موضع قرب المدينة. والنكس: الضعيف. والأُميل: الذي لا رمح أو لا ترس معه.

عمرو بن عبد والجياد يقودها ... خيل تقاد له وخيل تنعل
اجلت فوارسه وغادر رهطه ... ركناً عظيماً كان فيها أوّل
عجباً وان أعجب فقد أبصرته ... مهما تسوم عليّ عمراً ينزل
لا تبعدنّ فقد أصبت بقتله ... ولقيت قبل الموت أمراً يثقل
وهبيرة المسلوب ولّى مدبراً ... عند القتال مخافة أن يقتل
وضرار كان البأس منه محضراً ... ولّى كما ولّى اللئيم الأعزل

قال ابن اسحاق: وقال هبيرة بن أبي وهب يعتذر من فراره ويبكي عمراً ويذكر قتل عليّ إيّاه:

لعمري ما وليت ظهري محمّداً ... وأصحابه جبناً ولا خيفة القتل
ولكنني قلّبت أمري فلم أجد ... لسيفي غناءً إن ضربت ولا نبلي
وقفت فلما لم أجد لي مقدّما ... صدرت كضرغام هزبر أبي شبل
ثنى عطفه عن قرنه حين لم يجد ... مكرّاً وقدماً كان ذلك من فعلي
فلا تبعدن يا عمرو حياً وهالكاً ... وحق لحسن المدح مثلك من مثلي
ولا تبعدن يا عمرو حياً وهالكاً ... فقد بنت محمود الثنا ماجد الأصل
فمن لطراد الخيل تقدع بالقنا ... وللفخر يوماً عند قرقرة البزل (١)
هنالك لو كان ابن عبد لزارها ... وفرّجها حقاً فتى غير ما وغل (٢)
فعنك عليّ لا أرى مثل موقف ... وقفت على نجد المقدّم كالفحل
فما ظفرت كفاك فخراً بمثله ... أمنت به ما عشت من زلّة النعل

---

(١) تقدع تكف.

(٢) الوغل: الفاسد من الرجال.

وقال هبيرة بن أبي وهب يبكي عمرو بن عبد ود ويذكر قتل عليّ إيّاه:

لقد علمت علياً لؤي بن غالب　　لفارسها عمرو إذا ناب نائب
لفارسها عمرو إذا ما يسومه　　عليّ وان الليث لابد طالب
عشية يدعوه عليّ وانه　　لفارسها إذ خام عنه الكتائب (١)
يا لهف نفسي انّ عمراً تركته　　بيثرب لا زالت هناك المصائب

إلى غير ذلك من مقطعات الشعر في هذه المناسبة.

ومنها: راجع حد الأقل الشرح الحديدي ج ٣ ص ٢٨٠: انّه لما جاز الخندق في ستة فرسان هو أحدهم فصار مع أصاب النبي ﷺ على أرض واحدة وهم ثلاثة آلاف ودعاهم إلى البراز مراراً لم ينتدب أحد منهم للخروج إليه ولا سمح أحد منهم بنفسه حتى وبّخهم وقرعهم وناداهم ألستم تزعمون انّه من قتل منا فالى النار ومن قتل منكم فالى الجنة أفلا يشتاق أحدكم أن يذهب إلى الجنة أو يقدم عدوّه إلى النار فسكتوا كلهم ونكلوا وملكهم الرعب والوهل وقد روى الناس كلهم الشعر الذي أنشده لما نكل القوم بجمعهم عنه وانّه جال بفرسه واستدار وذهب يمنة ثمّ ذهب يسرة ثمّ وقف تجاه القوم فقال:

ولقد بححت من النداء　　بجمعكم هل من مبارز
ووقفت إذ جبن المشجّع　　وقفة القرن المناجز
وكذلك انـي لم أزل　　متسرعاً قبل الهزاهز
انّ الشجاعة في الفتى　　والجود من خير الغرائز

(١) خام: جبن ورجع.

فلما برز إليه عليّ أجابه فقال له:

لا تـعجلن فـقد أتـاك	مجيب صوتك غير عاجز
ذو نـيّة وبـصيرة	يرجـو الغـداة نـجاة فـائز
انـي لأرجـو أن أُقـيم	عـليك نـائحة الجـنائز
مـن ضـربة تـفنى و	يبقى ذكرها عند الهـزاهـز

ومنها: هرب أصحابه الذين معه عندما قتله علي عليه السلام جزعاً من شدة الموقف حتى ألقى عكرمة رمحه وعلى مقربة من فعله كان الباقون في حـال انّ هـؤلاء الجمع لما خرجوا على خيلهم مرّوا بمنازل بني كنانة فقالوا: تهيؤا يا بـني كـنانة للحرب فستعلمون من الفرسان اليوم ثمّ أقبلوا تعنق بهم خيلهم [١] فلولا ادلالهم بأنفسهم لما تقدموا إلى اقتحام الخندق من دون كافة الناس ولو لم يكن عـمرو فيهم الشاخص الأوّل لما فرّوا عند ما قتل لكنهم عندما فروا منهزمين بعد مـقتل صاحبهم صرحوا لعامة الناس انهم لا شيء بـعد صـاحبهم وانّـه كـان عـمدتهم وعمادهم وفارسهم الذي تقدموا بتقدمه وهذا من الوضوح بمكان.

قال القندوزي [٢]: قال الحافظ جلال الديـن السـيوطي فـي مـصحف ابـن مسعود: كفى الله المؤمنين القتال بعلي، في المناقب عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما برز علي إلى عمرو بن عبد ود قال النبي: برز الايمان كله إلى الشرك كله، فلما قتله قال: أبشر يا علي فلو وزن عملك اليـوم بـعمل امـتي لرجـح عـملك بعملهم.

---

(١) السيرة الهشامية: ج ٢ ص ٢٢٤.

(٢) في ينابيع المودة: ج ١ ص ٩٢ وما بعدها.

وفي المناقب عن حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله: ضربة علي في يوم الخندق أفضل من أعمال امتي إلى يوم القيامة. وفي المناقب بالسند عن زياد بن مطرّف قال: كان ابن مسعود يقرأ وكفى الله المؤمنين القتال بعلي وسبب نزوله انّ عمرو بن عبد ود كان فارساً مشهوراً يعد بألف فارس وكان قد شهد بدراً ولم يشهد أُحداً ويوم الخندق نادى: هل من مبارز فلم يجبه أحد فقام علي عليه السلام وقال: أنا يا رسول الله، فقال: انّه عمرو اجلس، فنادى ثانية فلم يجبه أحد فقام علي عليه السلام وقال: انا يا رسول الله فقال انّه عمرو فقال: وإن كان عمراً فاستأذن النبي، قال حذيفة بن اليمان: ألبسه رسول الله درعه الفضول وعممه عمامته السحاب على رأسه تسعة أدوار وقال له: تقدم فلما ولّى قال النبي برز الايمان كله إلى الشرك كله، وقال: ربّ لا تذرني فرداً اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن شماله ومن فوق رأس ومن تحت قدميه فاستقبل علي عمراً فضربه عمرو بسيفه فشجّ رأسه ثمّ انّ علياً ضربه على حبل عاتقه فسقط إلى الأرض فسمعنا تكبير علي فقال رسول الله قتله علي وقال: ابشر يا علي فلو وزن اليوم عملك بعمل امة محمّد لرجح عملك بعملهم ونزلت آية: ﴿ **وكفى الله المؤمنين القتال** ﴾ بعلي.

أيضاً: محمّد بن العباس بسنده عن مرة عن ابن مسعود أورد هذا الحديث بعينه. أيضا: عن جعفر الصادق قال: قوله تعالى: ﴿ **وكفى الله المؤمنين القتال** ﴾ بعلي، لأنّه قتل عمرو بن عبد ود. وأيضاً أبو نعيم الحافظ أخرج هذا الحديث نحوه. اهـ ملخصاً.

ونحن مشياً مع جنبة التاريخ العمومي لا نرى رجوع الأحزاب عن المدينة مسبباً عن قتل عمرو بن عبد ود وحده بل نعدّ ذلك جزءاً من علة الرجوع والاجزاء الباقية للعلة المذكورة هي ما سنورده عليك ذيلاً:

قال ابن اسحاق[١]: كانت عائشة ام المؤمنين في حصن بني حارثة يوم الخندق وكان من أحرز حصون المدينة وكانت أُم سعد بن معاذ معها في الحصن فمرّ سعد وعليه درع مقلّصة قد خرجت منها ذراعه كلها وفي يده حربة يرقل بها ويقول:

لبّث قليلاً يشهد الهيجا حمل   لا بأس بالموت إذا حان الأجل[٢]

فقالت له أُمّه الحق أي بني فقد والله أخّرت، فقالت عائشة لأُمّه يا أُم سعد والله لوددت أنّ درع سعد كانت أسبغ مما هي، قالت وخفت عليه حيث أصاب السهم منه فرمى سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الأكحل[٣] رماه حبّان بن قيس بن العرقة أحد بني عامر بن لؤي فلما أصابه قال: خذها مني وأنا ابن العرقة، فقال له سعد: عرّق الله وجهك في النار، اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها فإنّه لا قوم أحب اليّ أن أُجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه اللهم وان كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة ولا تمتني حتى تقرّ عيني من بني قريظة.

قال ابن اسحاق، وأقام رسول الله ﷺ وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم عليهم واتيانهم اياهم من فوقهم ومن أسفل، قال: ثمّ انّ نعيم بن مسعود الغطفاني أتى رسول الله فقال: يا رسول الله اني قد أسلمت وانّ قومي لم يعلموا باسلامي فمرني بما شئت فقال رسول الله ﷺ: إنّما أنت فينا

---

(١) السيرة الهشامية: ج ٢ ص ٢٢٦ وما بعدها.

(٢) وفي رواية جمل بالجيم وكلاهما اسمان علميان لرجل وهذا الشعر تمثل به سعد وليس من قوله.

(٣) الأكحل عرق في الذراع.

رجل واحد فخذّل عنا إن استطعت فإنّ الحرب خدعة، فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة وكان لهم نديماً في الجاهلية فقال: يا بني قريظة قد عرفتم ودّي اياكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا: صدقت، لست عندنا بمتهم، فقال لهم: انّ قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم البلد بلكم فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على التحول منه إلى غيره وان قريشاً وغطفان قد جاؤوا لحرب محمّد وأصحابه وقد ظاهرتموهم عليه وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره فليسوا كأنتم فإن رأوا انهزة أصابوها وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلّوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من اشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم فقالوا له لقد أشرت بالرأي.

ثمّ خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: قد عرفتم ودّي لكم وفراقي محمّداً وانّه قد بلغني أمر قد رأيت عليّ حقاً أن أبلغكموه نصحاً لكم فاكتموا عليّ، فقالوا: نفعل، قال: فاعلموا أنّ معشر اليهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمّد وقد عرّفوه بذلك هل يرضيك يا محمّد أن نأخذ لك من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم فتضرب أعناقهم ثمّ نكون معك على من يبقى منهم حتى نستأصلهم فأرسل اليهم افعلوا ذلك إن كنتم صادقين، فإن بعثت اليكم اليهود يلتمسون رهناً من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلاً واحداً وجاء إلى غطفان بمثل ما جاء به إلى قريش وحذّرهم.

فلما كانت ليلة السبت ـ من شوال سنة خمس ـ كان من صنع الله لرسوله أن أرسل أبو سفيان ورؤوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم: انا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمّداً فأرسلوا اليهم انّ اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه

شيئاً وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً فأصابه ما لم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل محمّداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا فلما رجعت الرسل بمقالة بني قريظة قالت قريش وغطفان والله انّ الذي حدثكم به نعيم بن مسعود لحق، فأرسلوا إلى بني قريظة انا والله لا ندفع اليكم رجلاً واحداً فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فلما وصل اليهم جواب قريش وغطفان قالوا: انّ الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق فانخذل بعضهم عن بعض وبعث الله عليهم الريح في ليال شاتية باردة شديدة البرد فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح أبنيتهم فانكفأت قريش راجعة وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين إلى بلادهم ولما أصبح رسول الله انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة ووضع المسلمون أسلحتهم.

غزوة بني قريظة

قال ابن اسحاق: فلما كان الظهر أتى جبريل رسول الله فقال: اوقد وضعت السلاح يا رسول الله، قال: نعم، فقال جبريل: انّ الله عزوجل يأمرك بالمسير إلى بني قريظة فاني عامد اليهم فمزلزل بهم فأمر رسول الله مؤذناً فأذن في الناس من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلّين العصر إلّا ببني قريظة، وقدّم رسول الله علي بن أبي طالب برايته إلى بني قريظة وابتدرها الناس فسار عليّ حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله فرجع حتى لقى رسول الله بالطريق فأبلغه ذلك فقال له رسول الله: لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً فلما دنا رسول الله من حصونهم قال: يا اخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته ولما أتى رسول الله بني قريظة نزل على بئر من آبارها من ناحية أموالهم وتلاحق به الناس وحاصرهم خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم

الرعب.

وقد كان حيي بن أخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه فلما أيقنوا بأنّ رسول الله غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد لهم: يا معشر اليهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون واني عارض عليكم خلالاً ثلاثاً فخذوا أيها شئتم، قالوا: وما هي؟ قال: نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم انّه نبي مرسل وبذلك تأمنون على جميع ما أنتم عليه، قالوا: لا نفارق ديننا ولا نستبدل به غيره، قال: فإذا أبيتم عليّ هذه فهلمّ فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثمّ نخرج إلى محمّد وأصحابه رجالاً مصلتي اسيوف لم نترك وراءنا ثقلاً، قالوا: نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم، قال: فإن أبيتم عليّ هذه فإنّ الليلة ليلة السبت وانّه عسى أن يكون محمّد واصحابه قد أمنونا فيها فانزلوا لعلّنا نصيب من محمّد وأصحابه غرّة، قالوا: نفسد سبتنا علينا ما كنا فاعلين فقال لهم: ما بات رجل منكم منذ ولدته أُمّه ليلة واحدة من الدهر حازماً.

ثمّ انهم بعثوا إلى رسول الله أن ابعث الينا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف وكانوا حلفاء الأوس لنستشيره في أمرنا فأرسله رسول الله اليهم فلما رأوه قام إليه الرجال وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه فرقّ لهم وقالوا له: يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمّد، قال: نعم وأشار بيده إلى حلقه ـ انّه الذبح ـ قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت انني قد خنت الله ورسوله ثمّ انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده وقال: لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله عليّ مما صنعت فنزلت له التوبة من الله بوسيلة رسوله ﷺ.

قال: فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله فتواثبت الأوس فقالوا:

يا رسول الله انهم موالينا دون الخزرج وقد فعلت في موالي اخواننا بالأمس ما قد علمت وقد كان رسول الله قبل بني قريظة قد حاصر بني قينقاع وكانوا حلفاء الخزرج فنزلوا على حكمه فسأله اياهم عبد الله بن أبي بن سلول فوهبهم له فلما كلّمته الأوس قال رسول الله ﷺ : ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ، قالوا : بلى قال رسول الله : فذاك إلى سعد بن معاذ وكان رسول الله قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم يقال لها رفيدة في مسجده وكانت هذه المرأة تداوي الجرحى وكان رسول الله قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب فلما حكّمه رسول الله في بني قريظة أتاه قومه فحملوه على حمار قد وطّؤوه له وكان رجلاً جسيماً جميلاً ثمّ أقبلوا معه إلى رسول الله وهم يقولون : يا أبا عمرو أحسن في مواليك فإنّ رسول الله إنّما ولّاك ذلك لتحسن فيهم فلما أكثروا عليه قال : لقد أنى لسعد ألّا تأخذه في الله لومة لائم فلما انتهى سعد إلى رسول الله والمسلمين قال رسول الله قوموا إلى سيدكم فقاموا إليه فقالوا : يا أبا عمرو انّ رسول الله قد ولّاك أمر مواليك لتحكم فيهم فقال سعد : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم لما حكمت ، قالوا : نعم قال : وعلى من ههنا في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ وهو معرض عن رسول الله اجلالاً له فقال رسول الله : نعم ، قال سعد : فاني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذراري والنساء ، فقال رسول الله لسعد : لقد حكمت فيهم بحكم الله .

قال ابن هشام : حدثني بعض من أثق به من أهل العلم انّ علي بن أبي طالب صاح وهم محاصروا بني قريظة : يا كتيبة الايمان وتقدم هو والزبير بن العوام وقال : والله لأذوقن ما ذاق حمزة أو لأفتحن حصنهم ، فقالوا : يا محمّد ننزل على حكم سعد بن معاذ .

قال ابن اسحاق : ثمّ استنزلوا فحبسهم رسول الله بالمدينة وخرج إلى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم فخندق بها خنادق ثمّ بعث اليهم فضرب أعناقهم ثمّ انّ رسول الله قسم أموال بني قريظة ونسائهم وأبنائهم على المسلمين وأعلم ذلك اليوم سهمان الخيل وسهمان الرجال وأخرج منها الخمس فكان للفارس ثلاثة أسهم للفارس للفرس سهمان ولفارسه سهم، وللراجل من ليس له فرس سهم .

قال ابن اسحاق : فلما انقضى شأن بني قريظة انفجر بسعد بن معاذ جرحه فمات منه شهيداً رضوان الله عليه فشيد الله ورسوله من الذكر له ما يستحقه وما هو أهل له ، وكان من قتل من المسلمين في الخندق وبني قريظة ومن قتل من المشركين في الخندق عدداً منزوراً .

الأحداث الكائنة سنة ست من الهجرة

قال الطبري [١]: وخرج رسول الله في جمادي الأُولى على رأس ستة أشهر من فتح بني قريظة إلى بني لحيان يطب بأصحاب الرجيع خبيب بن عدي وأصحابه الذين سبق لك انهم قتلوا غدراً ـ وأظهر انّه يريد الشام ليصيب من القوم غرة ، فلما وصل إلى أمكنتهم وجدهم قد حذروا وتمنعوا في رؤوس الجبال ثمّ قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة فلم يقم إلّا ليالي قلائل حتى أغار عيينة بن حصن الفزاري في خيل لغطفان على لقاح رسول الله بالغابة وفيها رجل من بني غفار وامرأته فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللقاح وهي ....:

(١) تاريخ الطبري: ج ٣ ص ٥٩ وما بعدها.

غزوة الغابة

قال ابن سعد[١]: وكانت لقاح رسول الله عشرين لقحة ترعى بالغابة وهي على بريد من المدينة طريق الشام وجاء الصريخ فنادى الفزع الفزع فنودي يا خيل الله اركبي وكان أوّل ما نودي بها وركب رسول الله فخرج مقنعاً بالحديد فوقف فكان أوّل من أقبل إليه المقداد بن عمرو وعليه الدرع والمغفر شاهراً سيفه فعقد له رسول الله لواء في رمحه وقال: امض حتى تلحقك الخيول انّا على أثرك، قال المقداد: فخرجت فأدركت أُخريات العدو وقد قتل أبو قتادة مسعدة فأعطاه رسول الله فرسه وسلاحه وقتل عكاشة بن محصن أثار بن عمرو بن أثار وقتل المقداد بن عمرو حبيب بن عيينة بن حصن وقرفة بن مالك بن حذيفة بن بدر وقتل من المسلمين محرز بن نضلة قتله مسعدة وأدرك سلمة بن الأكوع القوم وهو على رجليه فجعل يراميهم بالنبل ويقول:

خذها أنا ابن الأكوع　　　اليوم يوم الرضّع

حتى انتهى بهم إلى ذي قرد وهي ناحية خيبر قال سلمة فلحقنا رسول الله والناس والخيول عشاء فقلت يا رسول الله انّ القوم عطاشى فلو بعثتني في مأة رجل استنقذت ما بأيدهم من السرح وأخذت بأعناق القوم فقال النبي ﷺ: ملكت فأسجح وذهب الصريخ إلى عمرو بن عوف فجاءت الامداد فلم تزل الخيل تأتي والرجال على أقدامهم وعلى الابل حتى انتهوا لى رسول الله بذي قرد فاستنقذوا عشر لقاح وأفلت القوم بما بقي وهي عشر.

---

(١) الطبقات: ج ٣ ص ١٢٣.

قال ابن اسحاق [١]: فأقام رسول الله بالمدينة ـ أي بعد عودته من غزوة الغابة ـ بعض جمادى الآخرة ورجباً ثمّ غزا بني المصطلق من خزاعة في شعبان سنة ست.

غزوة بني المصطلق

بلغ رسول الله انّ بني المصطلق يجمعون له وقائدهم الحارث بن أبي ضرار ـ أبو جويرية زوجة النبي ﷺ ـ فلما سمع رسول الله بهم خرج اليهم حتى لقيهم على ماء لهم يقال له المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل فتزاحف الناس واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق وقتل من قتل منهم ونفّل رسول الله ﷺ أبنائهم ونسائهم وأموالهم فأفائهم عليه.

قصة صلح الحديبية

قال الطبري: ثمّ أقام رسول الله بالمدينة ـ أي بعد رجوعه من بني المصطلق ـ شهر رمضان وشوال وخرج في ذي القعدة من سنة ست معتمراً ومن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب وساق معه الهدي وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه وليعلم الناس انّه إنّما جاء زائراً لهذا البيت معظماً له وكان ما ساقه سبعين بدنة وعدة من معه ألفاً وأربعماءة على الأشهر قال الزهري: فخرج رسول الله ﷺ حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي فقال له: يا رسول الله هذه قريش قد سمعوا بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمور وقد نزلوا بذي طوى يحلفون بالله لا تدخلها عليهم أبداً.

---

(١) السيرة الهشامية: ج ٢ ص ٢٨٩.

قال الطبري: ونزل رسول الله ﷺ بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء فلم يلبث الناس أن نزحوه فشكى إلى رسول الله العطش فنزع سهماً من كنانته ثمّ أمرهم أن يجعلوه فيه فوالله ما زال يجيش لهم بالريّ حتى صدروا عنه فبينا هم كذلك جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة وكانوا عيبة نصح لرسول الله من أهل تهامة فقال: اني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي قد نزلوا أعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت، فقال النبي: انّا لم نأت لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين وانّ قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فإن شاؤوا ماددناهم مدة ويخلّوا بيني وبين الناس فإن أظهر فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وان هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأُقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي أو ليفنذنّ الله أمره، فقال بديل: سنبلغهم ما تقول، فانطلق حتى أتى قريشاً فقال: انّا قد جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولاً فإن شئتم أن نعرضه عليكم فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا أن تحدثنا عنه بشيء وقال ذو الرأي منهم هات ما سمعته يقول: قال: سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبي، فقام عروة بن مسعود الثقفي وقال: دعوني آتيه فجاء إلى رسول الله ورأى منه ما حكاه بديل بن ورقاء الخزاعي فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على كسرى وقيصر والنجاشي والله ما رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمّد محمّداً وانّه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من كنانة: دعوني آتيه فقالوا ائته فلما أشرف على النبي وأصحابه قال النبي ﷺ هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له فبعثت له واستقبله قوم يلبّون فلما رأى ذلك قال: سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء ان يصدّوا عن البيت.

ثمّ دعا رسول الله عثمان بن عفان فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش

يخبرهم انّه لم يأت لحرب وإنّما جاء زائراً لهذا البيت معظماً له فخرج عثمان إلى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة فنزل عن دابته فحمله بين يديه ثمّ أردفه وأجاره حتى بلّغ رسالة رسول الله فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالته اليهم ان شئت ان تطوف البيت فطف به قال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله والمسلمين أنّ عثمان قد قتل فقال رسول الله لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس إلى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة. قال جابر: بايعنا رسول الله على أن لا نفرّ ولم نبايعه على الموت ثمّ بلغه ﷺ انّ ما طرقهم من أمر عثمان باطل لا صحة له.

قال الزهري: ثمّ بعثت قريش سهيل بن عمرو اخا بني عامر بن لؤي إلى رسول الله وقالوا له: ائت محمّداً فصالحه ولا يكن في صلحه إلّا أن يرجع عنّا عامه هذا، فوالله لا تتحدث العرب انّه دخل علينا عنوة أبداً فأقبل سهيل بن عمرو فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً قال: قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ تكلم فأطال الكلام وتراجعا ثمّ جرى بينهما الصلح فعن علي عليه السلام قال: دعاني رسول الله فقال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل لا أعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم، فقال رسول الله: اكتب باسمك اللهم فكتبتها ثمّ قال: اكتب هذا ما صالح عليه محمّد رسول الله سهيل بن عمرو، فقال سهيل: لو شهدت أنّك رسول الله لم اُقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك فقال النبي ﷺ: اكتب هذا ما صالح عليه محمّد بن عبد الله سهيل بن عمرو اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض على انّه من أتى رسول الله من قريش بغير إذن وليّه ردّه عليهم ومن جاء قريشاً ممن مع رسول الله لم تردّه عليه، وانّه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم

دخل فيه فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن في عقد رسول الله وعهده، وتواثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم، وانك ترجع عنا عامنا هذا فلا تدخل علينا مكة وانّه إذاكان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثاً وانّ معك سلاح الراكب السيوف في القرب لا تدخلها بغير هذا فبينا رسول الله يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو ـ المذكور في هذا الصلح ـ يرسف في الحديد قد انفلت إلى رسول الله ـ أي انّه كان مسلماً ولكن أهله منعوه من الخروج إلى رسول الله فقيدوه.

وقد كان أصحاب رسول الله خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع وما تحمّل عليه رسول الله ﷺ في نفسه دخل الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا أن يهلكوا فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وأخذ بلببه وقال: يا محمّد قد لجّت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا، قال: صدقت، قال: فجعل ينتره بلببه ويجرّه إلى قريش وجعل أبو جندل يصرخ بأعلا صوته: يا معشر المسلمين أُردّ إلى المشركين يفتنوني في ديني، فزاد الناس ذلك شراً إلى ما بهم فقال رسول الله: يا أبا جندل احتسب فإنّ الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، انّا قد عقدنا بيننا وبين القوم عقداً وصلحاً وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهداً وانّا لا نغدر بهم، فلما فرغ من الكتاب أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين ورجالاً من المشركين.

ثمّ انّ رسول الله نحر بدنته وحلق وفعل مثل ذلك أصحابه على حنق فيهم وغيظ مما جرى في هذا الصلح.

فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة جاءه أبو بصير رجل من قريش وكان ممن حبس بمكة ممن أسلم فيها واستضعف فلما قدم على رسول الله ﷺ كتب فيه

أزهر بن عبد عوف والأخنس بن شريق إلى رسول الله وبعثا رجلاً من بني عامر بن لؤي ومعه مولى لهم فقدما على رسول الله بكتاب أزهر والأخنس فقال رسول الله: يا أبا بصير انّا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ولا يصلح لنا في ديننا الغدر ونّ الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، قال: فانطلق معهما حتى إذا كان بذي الحليفة جلس إلى جدار وجلس معه صاحباه فقال أبو بصير أصارم سيفك هذا يا اخا بني عامر، قال: نعم، قال انظر إليه، قال: إن شئت فاستله فاستله أبو بصير ثمّ علاه به حتى قتله وخرج المولى سريعاً حتى أتى النبي ﷺ وهو جالس في المسجد فلما رآه رسول الله طالعاً قال: انّ هذا رجل قد رأى فزعاً فلما انتهى إلى رسول الله قال: ويلك مالك ؟ قال: قتل صاحبكم صاحبي، فوالله وفت ذمتك وأدّى عنك أسلمتني ورددتني اليهم ثمّ أنجاني الله منهم، فقال النبي ﷺ: ويل أُمّه مسعر حرب لو كان معه رجال فلما سمع ذلك عرف انّه سيردّه اليهم فخرج أبو بصير إلى ساحل البحر بطريق قريش الذي كانوا يأخذونه إلى الشام وبلغ المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة قول رسول الله لأبي بصير ويل أُمّه مسعر حرب لو كان معه رجال فخرجوا إلى أبي بصير وانفلت أبو جندل بن سهيل بن عمرو فلحق بأبي بصير فاجتمع إليه قريب من سبعين رجلاً منهم فكانوا قد ضيقوا على قريش فما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلّا اعترضوا لهم فقتلوهم وأخذوا أموالهم فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ يناشدونه بالله وبالرحم لما أرسل اليهم فمن أتاه فهو آمن فآواهم رسول الله فقدموا عليه المدينة ـ اهملخصاً ـ.

وتذكر هنا عدة بعوث للرسول ﷺ لا يهمنا من ذكرها شيء لأننا إنّما نكتب من السيرة ما يهم الباحث الناقد ذكره.

غـزوة خيبـر

قال ابن سعد [١]: في جمادى الأُولى سنة سبع من الهجرة غزا رسول الله ﷺ خيبر وهي على ثمانية برد من المدينة قالوا: أمر رسول الله أصحابه بالتهيؤ لغزوة خيبر فخرج واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري وأخرج معه أُم سلمة زوجته فلما نزل بساحتهم لم يتحركوا تلك الليلة ولم يصح لهم ديك حتى طلعت الشمس وأصبحوا وأفئدتهم تخفق وفتحوا حصونهم وغدوا إلى أعمالهم معهم المساحي والكرازين [٢] والمكاتل فلما نظروا إلى رسول الله قالوا: محمّد والخميس يعنون بالخميس الجيش فولوا هاربين إلى حصونهم وجعل رسول الله يقول: الله أكبر خربت خيبر أنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين ووعظ رسول الله الناس وفرّق بينهم الرايات ولم تكن الرايات إلّا يوم خيبر إنّما كانت الألوية فكانت راية النبي السوداء من برد لعائشة تدعى العقاب ولواؤه أبيض ودفعه إلى علي بن أبي طالب وراية إلى الحباب بن المنذر وراية إلى سعد بن عبادة وكان شعارهم يا منصور أمت، فقاتل رسول الله المشركين وقاتلوه أشد القتال وقتلوا من أصحابه عدة وقتل منهم جماعة كثيرة وفتحها حصناً حصناً وهي حصون ذوات عدد وأخذ كنزل آل أبي الحقيق الذي كان في مسك جمل وكانوا قد غيّبوه في خربة فدل الله رسوله عليه فاستخرجه وقتل منهم ثلاثة وتسعين رجلاً واستشهد من أصحاب النبي ﷺ خمسة عشر رجلاً.

قال ابن سعد: أخبرنا عفان بن مسلم عن وهيب عن سهيل عن أبيه عن أبي

---

(١) الطبقات: ج ٣ ص ١٥٢ وما بعدها.

(٢) الكرازين: جمع كرزن وهو الفأس.

هريرة قال: قال رسول الله يوم خيبر: لأدفعن الراية إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ويفتح عليه، قال عمر: فما أحببت الامارة قبل يومئذ فتطاولت لها واستشرفت رجاء أن يدفعها إليّ فلما كان الغد دعا عليّاً فدفعها إليه فقال: قاتل ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك فسار قريباً ثمّ نادى: يا رسول الله علام أُقاتل، قال: حتى يشهدوا أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا مني دمائهم وأموالهم إلّا بحقها وحسابهم على الله.

وعن سلمة انّ نبي الله أرسلني إلى علي فقال: لأُعطينّ الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله يوحبه الله ورسوله، قال: فجئت به أقوده أرمد فبصق رسول الله في عينيه ثمّ أعطاه الراية فخرج مرحب يخطر بسيفه فقال:

قد علمت خيبر انّي مرحب ... شاكي السلاح بطل مجرّب
إذا الحروب أقبلت تلهب

فقال علي بن أبي طالب:

أنا الذي سمتني أُمّي حيدرة ... كليث غابات كريه المنظرة
اكيلهم بالصاع كيل السندرة [١]

ففلق رأس مرحب بالسيف وكان الفتح على يديه.

في كتاب التاج للأُصول في أحاديث الرسول (ج ٤ ص ٤٢٩) عن سهل بن سعد انّ رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: لأُعطينّ الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيّهم

(١) السندرة مكيال واسع.

يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله كلهم يرجو أن يعطاها فقال : أين علي بن أبي طالب ، فقالوا : هو يا رسول الله يشتكي عينيه ، قال : فأرسلوا إليه فأتى به فبصق رسول الله في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية فقال علي : يا رسول الله أُقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال : أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثمّ ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لإن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم ، رواه الشيخان .

وفي رواية : لما قدموا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه ويقول :

قد علمت خيبر انّي مـرحب　　　شاكي السلاح بطل مـجرّب
إذا الحروب أقبلت تلهب

فقال علي :

أنا الذي سمتني أُمّي حيدرة　　　كليث غابات كريه المـنظرة
اوفيهم بالصاع كيل السندرة [١]

ثمّ ضرب رأس مرحب فقتله ثمّ كان الفتح على يديه . ثـمّ قـال فـي هـامش التاج : ورد انّ النبي ﷺ أرسل أبا بكر باللواء فرجع لم يفتح حصنهم لمـناعته وقوته وكان يسمى القموص فلما كان الغد أرسل عمر فذهب فرجـع ولم يـفتح الحصن وقتل محمود بن مسلمة فقال ﷺ : لأدفعنّ لوائي غداً إلى رجل يفتح الله عليه فأرسل إلى علي وبصق في عينيه ودعا له ففتح الله عليه وكان أوّل الفتح

---

(١) السندرة مكيال واسع.

قتله لمرحب ملكهم.

وروى أحمد بن حنبل [١] عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: كان أبي يسمر مع عليّ وكان علي يلبس ثياب الصيف في الشتاء وثياب الشتاء في الصيف فقيل له لو سألته فسأله فقال: انّ رسول الله بعث اليّ وأنا أرمد العين يوم خيبر فقلت: يا رسول الله اني أرمد العين قال: فتفل في عيني وقال: اللهم اذهب عنه الحر والبرد فما وجدت حراً ولا برداً منذ يومئذ، وقال: لأُعطينّ الراية رجلاً يحب الله ورسوله ليس بفرّار فاستشرف لها أصحاب النبي فأعطانيها.

وروي أيضاً [٢] عن عامر بن سعد عن أبيه قال: سمعت رسول الله يقول يوم خيبر: لأُعطينّ الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فتطاولنا لها فقال: ادعوا الي عليّاً فأتى به أرمد فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه.

وروى أحمد أيضاً (ج ٢ ص ٣٨٤) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله يوم خيبر لأدفعن الراية إلى رجل يحب الله ورسوله يفتح الله عليه، قال فقال عمر: فما أحببت الامارة قبل يومئذ فتطاولت لها واستشرفت رجاء أن يدفعها إليّ فلما كان الغد دعا عليّاً عليه السلام فدفعها إليه.

وروى أحمد أيضاً (ج ٤ ص ٥١ و ٥٢) عن اياس بن سلمة قال: أخبرني أبي قال: بارز عمي يوم خيبر مرحب اليهودي فقال مرحب:

قد علمت خيبر انّي مرحب شاكي السلاح بطل مجرّب
إذا الحروب أقبلت تلهب

(١) مسند أحمد: ج ١ ص ٩٩.

(٢) المصدر نفسه: ص ١٨٥.

فقال عمي عامر :

قد علمت خيبر اني عـامر شاكي السلاح بطل مغامر

فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر وذهب يسفل له فـرجـع السيف على ساقه فقطع اكحله فكانت فيها نفسه ، قال سلمة بن الأكوع : لقـيت ناساً من صحابة النبي فقالوا : بطل عمل عامر ، قتل نفسه . قال سلمة : فجئت إلى نبي الله أبكي ، قلت : يا رسول الله بطل عمل عامر ، قال : من قال ذاك ؟ قلت : ناس من أصحابك ، فقال رسول الله كذب من قال ذاك بل له أجره مرتين انّه حين خرج إلى خيبر جعل يرجز بأصحاب رسول الله وفيهم النبي ﷺ يسوق الركاب وهو يقول :

تـــالله لولا الله مـــا اهــتدينا ولا تـــصدقنا ولا صـــلينا
انّ الذيــن قــد بــغوا عـلينا إذا أرادوا فـــتنة أبــــينا
ونحن عن فضلك ما استغنينا فـــثبّت الأقــدام إن لاقــينا
وأنزلن سكينة علينا

فقال رسول الله : من هذا ؟ قال ـ عامر ـ يا رسول الله قال : غفر لك ربك ، قال : وما أستغفر ﷺ لانسان قط يخصه إلّا استشهد فلما سمع ذلك عمر بن الخطاب قال : يا رسول الله لو متعتنا بعامر فتقدم فاستشهد .

قال سلمة : ثمّ انّ نبي الله أرسلني إلى علي فقال : لأُعطين الراية اليـوم رجـلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، قال فجئت به أقوده أرمد فبصق نبي الله في عينيه ثمّ أعطاه الراية فخرج مرحب يخطر بسيفه فقال :

قد علمت خيبر اني مـرحب شاكي السلاح بطل مـجرّب

إذا الحروب أقبلت تلهب

فقال علي بن أبي طالب :

أنا الذي سمتني أُمّي حيدرة كليث غابات كريه المـنظرة

اوفيهم بالصاع كيل السندرة [١]

ففلق رأس مرحب بالسيف وكان الفتح على يديه .

وروى أحمد في المسند أيضاً (ج ٥ ص ٣٥٣) عن بريدة قال : حاصرنا خيبر فأخذ اللواء أبو بكر فانصرف ولم يفتح له ثمّ أخذه من الغد فـخرج ورجـع ولم يفتح له وأصاب الناس يومئذ شدة وجهد فقال رسول الله : اني دافع اللواء غداً إلى رجل يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله لا يرجع حتى يـفتح له ، فـبتنا طـيبة أنفسنا انّ الفتح غداً فلما أن أصبح رسول الله صلّى الغداة ثـمّ قـام قـائماً فـدعا باللواء والناس على مصافهم فدعا عليّاً وهو أرمد فتفل في عينيه ودفع إليه اللواء وفتح له ، قال بريدة : وأنا فيمن تطاول لها .

وروى أيضاً (المصدر نفسه : ص ٣٥٨) عن بريدة الأسلمي قال : لمـا نـزل رسول الله بحصن أهل خيبر أعطى رسول الله اللواء عمر بن الخطاب ونهض معه من نهض من المسلمين فلقوا أهل خيبر فقال رسول الله لأُعطين اللواء غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فلما كان الغد دعا عليّاً وهو أرمد فتفل في عينه وأعطاه اللواء ونهض الناس معه فلقى أهل خيبر وإذا مرحب يـرتجز بـين أيديهم وهو يقول :

---

(١) السندرة مكيال واسع.

قد علمت خيبر انّي مـرحب — شاكي السلاح بطل مـجرّب
أطعن أحياناً وحيناً أضرب — إذا اللـيوث أقـبلت تـلهب

قال: فاختلف هو وعلي ضربتين فضربه على هامته حتى عض السيف مـنها أضراسه وسمع أهل العسكر صوت ضربته قال: وما تتامّ آخر الناس مـع عـلي حتى فتح له ولهم.

وروى الحاكم في المستدرك (ج ٣ ص ٣٧) عن سلمة بن عمرو بن الأكوع قال: بعث رسول الله أبا بكر إلى بعض حصون خيبر فقاتل وجهد ولم ين فتح، هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه، ولم يتعقبه الذهبي.

وروى أيضاً (المصدر نفسه) عن عبد الرحمن عن أبي ليلى عن علي انّه قال: يا أبا ليلى أما كنت معنا بخيبر؟ قال: بلى والله كنت معكم، قال: فإنّ رسـول الله بعث أبا بكر إلى خيبر فسار بالناس وانهزم حـتى رجـع. هـذا حـديث صـحيح الاسناد ولم يخرجاه، ولم يتعقبه الذهبي.

وروى أيضاً (المصدر نفسه) عن أبي موسى الحنفي عن علي قال: سار النبي إلى خيبر فلما أتاها بعث عمر وبعث معه الناس إلى مدينتهم أو قصرهم فقاتلوهم فلم يلبثوا أن هزموا عمر وأصحابه فجاءوا يجبنونه ويجبنهم، فسـار إلى النـبي الحديث، هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه، ولم يتعقبه الذهبي.

وروى الحاكم أيضاً (المصدر نفسه: ص ٣٨) عن جابر انّ النبي دفع الرايـة يوم خيبر إلى عمر فانطلق فرجع يجبّن أصحابه ويجبنونه، هذا حديث صـحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، قال الذهبي: القاسم واه، أقول: إن تمّ له تضعيفه لهذا الإنسان فمادة الحديث مشفوعة بما تقدم مما قرره الذهبي ولم يخدشه.

وروى الحاكم أيضاً: (المصدر من جميع وجوهه) عن جابر بن عبد الله قال:

لما كان يوم خيبر بعث رسول الله رجلاً فجبن فجاء محمّد بن مسلمة فقال: يا رسول الله لم أر كاليوم قط قتل محمود بن مسلمة فقال رسول الله: لا تمنّوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فانكم لا تدرون ما تبتلون معهم وإذا لقيتموهم فقولوا اللهم أنت ربنا وربهم ونواصينا ونواصيهم بيدك وإنّما تقتلهم أنت، ثمّ الزموا الأرض جلوساً فإذا غشوكم فانهضوا وكبّروا ثمّ قال رسول الله: لأبعثن غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبانه لا يولي الدبر يفتح الله على يديه فاستشرف الناس وعلي يومئذ أرمد، فقال له رسول الله ﷺ: سر، فقال: يا رسول الله ما أبصر موضعاً فتفل في عينيه وعقد له ودفع إليه الراية فقال علي: يا رسول الله على ما أُقاتلهم؟ قال: على أن يشهدوا أن لا إله إلّا الله واني رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد حقنوا مني دمائهم وأموالهم إلّا بحقها وحسابهم على الله عزوجل، قال: قال فلقيهم ففتح الله عليه، قد اتفق الشيخان على اخراج حديث الراية ولم يخرجاه بهذه السياقة.

وروى الحاكم أيضاً (المصدر نفسه) عن اياس بن سلمة قال: حدثني أبي قال: شهدنا مع رسول الله خيبر حين بصق رسول الله في عيني علي فبرأ فأعطاه الراية فبرز مرحب وهو يقول:

قد علمت خيبر انّي مرحب شاكي السلاح بطل مجرّب
إذا الحروب أقبلت تلهب

قال فبرز له علي وهو يقول:

أنا الذي سمتني أُمّي حيدرة كليث غابات كريه المنظرة
اوفيكم بالصاع كيل السندرة (١)

---

(١) السندرة مكيال واسع.

قال: فضرب مرحباً ففلق رأسه فقتله وكان الفتح، هذا حديث صحيح عـلى شرط مسلم ولم يخرجاه بهذه السياقة.

وروى المتقي الهندي[١] عن علي قال: سار رسول الله إلى خيبر فلما أتـاها بعث عمر ومعه الناس إلى مدينتهم أو إلى قصرهم فـلم يـلبثوا أن هـزموا عـمر وأصحابه فجاء يجبّنهم ويجبنونه فساء ذلك رسول الله فقال: لأبعثن عليهم رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يقاتلهم حتى يفتح الله له ليس بفرّار فتطاول الناس ومدّوا أعناقهم يرونه أنفسهم رجاء ما قال، فمكث رسول الله ساعة فقال: أين علي، فقالوا: هو أرمد قال: ادعوه فلما أتيته فتح عيني ثـمّ تـفل فـيها ثـمّ أعطاني اللواء فانطلقت به سعياً خشية أن يحدث رسول الله فيهم حـدثاً أو فـيّ حتى أتيتها فقاتلتهم فبرز مرحب يرتجز وبرزت أرتجز كما يرتجز حتى التـقينا فقتله الله بيدي وانهزم أصحابه فتحصنوا وأغلقوا الباب فأتـينا البـاب فـلم أزل أُعالجه حتى فتحه الله، ابن أبي شيبة والبزار وسنده حسن.

وروى المتقي الهندي أيضاً[٢] عن بريدة قال: لما كان يوم خيبر أخذ اللـواء أبو بكر فرجع ولم يفتح له فلما كان من الغد أخذه عمر فلم يـفتح له وقـتل ابـن مسلمة ورجع الناس فقال رسول الله: لأدفعنّ لوائـي هـذا إلى رجـل يـحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله لن يرجع حتى يفتح عليه فبتنا طيبة أنفسنا أنّ الفتح غداً، فصلّى رسول الله الغداة ثمّ دعا باللواء وقام قائماً فما منّا رجل له منزلة من رسول الله إلّا وهو يرجو أن يكون ذلك الرجل حتى تطاولت أنا لها ورفعت رأسي لمنزلة لي كانت منه فدعا علي بن أبي طالب وهو يشتكي عينيه فمسحها ثمّ دفع

---

(١) في منتخب كنز العمال: ج ٤ ص ١٢٧.

(٢) المصدر نفسه: ص ١٢٨.

إليه اللواء ففتح له، ابن جرير.

وللمتقي الهندي سياقات كثيرة في هذا الباب وبما انها تشاكل ما أسلفناه عن غيره فلا نكرر.

وقال أبو جعفر الطبري [١] حدثنا ابن بشار عن محمّد بن جعفر عن عوف عن ميمون أبي عبد الله انّ عبد الله بن بريدة حدث عن بريدة الأسلمي قال: لما نزل رسول الله ﷺ بحصن أهل خيبر أعطى رسول الله اللواء عمر بن الخطاب ونهض من نهض معه من الناس فلقوا أهل خيبر فانكشف عمر وأصحابه فرجعوا إلى رسول الله ﷺ يجبّنه أصحابه ويجبنهم فقال رسول الله: لأعطين اللواء غداً رجلاً يحب الله ورسوله فلما كان من الغد تطاول لها أبو بكر وعمر فدعا عليّاً وهو أرمد فتفل في عينيه وأعطاه اللواء ونهض معه من الناس من نهض فلقى أهل خيبر فإذا مرحب يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر انّ مرحب ... شاكي السلاح بطل مجرّب

أطعن أحياناً وحيناً أضرب ... إذا الليوث أقبلت تلهب

فاختلف هو وعلي ضربتين فضربه عليّ على هامته حتى عضّ السيف منها بأضراسه وسمع أهل العسكر صوت ضربته فما تتامّ آخر الناس مع علي حتى فتح الله له ولهم.

قال أبو جعفر: حدثنا أبو كريب عن يونس بن بكير عن المسيب بن مسلم الأودي عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله ربما أخذته الشقيقة فيلبث اليوم واليومين لا يخرج فلما نزل رسول الله خيبر أخذته الشقيقة فلم

---

(١) ج ٣ ص ٩٣ وما بعدها.

يخرج إلى الناس وان أبا بكر أخذ راية رسول الله ثمّ نهض فقاتل قتالاً شديداً ثمّ رجع فأخذها عمر فقاتل قتالاً شديداً هو أشد من القتال الأوّل ثمّ رجع فأخبر بذلك رسول الله فقال: أما والله لأعطينها غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يأخذها عنوة، قال: وليس ثمّ علي فتطاولت لها قريش ورجا كلّ واحد منهم أن يكون صاحب ذلك فأصبح فجاء علي عليه السلام على بعير له حتى أناخ قريباً من خباء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو أرمد وقد عصب عينيه بشقة برد قطري فقال رسول الله: مالك؟ قال: رمدت، فقال رسول الله: ادن مني فدنا منه فتفل في عينيه فما وجع منها حتى مضى لسبيله ثمّ أعطاه الراية فنهض بها ومعه الناس وعليه حلّة ارجوان حمراء قد أخرج خملها فأتى مدينة خيبر وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر معصفر يمان وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه وهو يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر انّي مرحب ... شاكي السلاح بطل مجرّب

فقال علي:

أنا الذي سمتني أمّي حيدرة ... اكيلكم بالسيف كيل السندرة
ليث بغابات شديد قسورة

فاختلفا ضربتين فبدره علي فضربه فقدّ الحجر والمغفر ورأسه حتى وقع في الأضراس وأخذ المدينة، قال أبو جعفر: حدثنا ابن حميد عن سلمة عن محمّد بن اسحاق عن عبد الله بن الحسن عن بعض أهله عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: خرجنا مع علي بن أبي طالب حين بعثه رسول الله برايته فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم فضربه رجل من اليهود فطرح ترسه من يده

فتناول علي رضي الله عنه باباً كان عند الحصن فتترس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثمّ ألقاه من يده حين فرغ فلقد رأيتني في نفر سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه. وأيّد ابن هشام هذا الحديث في سيرته (ج ٢ ص ٣٣٥) بذكره له وعدم تشككه فيه كما ذكر خبر ذهاب الشيخين بالراية ورجوعهما مجهدين من غير فتح وقول النبي ﷺ عقيب رجوعهما بلا نتيجة لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرّار (ج ٢ ص ٣٣٤) وإنّما لم نذكره بطوله لأنّه قد سلف منا ذكره مفصلاً ولا داعي للاعادة.

وذكر ابن كثير [١] ما ذكره ابن اسحاق عن أبي رافع مولى رسول الله من حديث تناول علي لباب الحصن وترسه به وان ثمانية نفر من الحضار جهدوا على أن يقبلوه فما استطاعوا وقال في آخره وفي هذا الخبر جهالة وانقطاع ظاهر أي لقوله فيه عن عبد الله بن الحسن عن بعض أهله. ثمّ قال: ولكن روى الحافظ البيهقي والحاكم من طريق مطلب بن زياد عن ليس بن أبي سليم عن أبي جعفر الباقر عن جابر انّ عليّاً حمل الباب يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه فاقتحموها وانّه جرّب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلاً. قال: وفيه ضعف أيضاً.

أقول: هذا تحكم بارد وما هي جهة الضعف فيه وقد تكرر ورود هذه المادة في الحديث، ثمّ قال ابن كثير، وفي رواية ضعيفة عن جابر ثمّ اجتمع عليه سبعون رجلاً وكان جهدهم ان أعادوا الباب.

---

(١) في البداية والنهاية ج ٤ ص ١٨٩.

أقـول : كذلك لم يذكر مدرك ضعف الرواية المومأ اليها [١] وقد سبق لابن كثير سوق المتنوع مما سقناه من حديث ذهاب الشيخين بالراية ورجوعهما خـائبين وإعطاء الراية لعلي وقتله لمرحب وافـتتاح المـوقف عـلى يـديه وإنّـما أهـملنا التعرض له لأنّه مجانس لما مرّ عليك ومن طراز ما آنفناه فلا نعيد ، راجع لذلك ما قبل صفحة (١٨٩ من ج ٤ من البداية والنهاية طبع مصر) من الصفحات .

وقال هيكل [٢] : وقف المسلمون أمام حصون خيبر متأهبين كـاملي العـدة وتشاور اليهود فيما بينهم فأشار عليهم زعيمهم سلّام بن مشكم فأدخلوا أموالهم وعيالهم حصني الوطيح والسلالم وأدخـلوا ذخـائرهم حـصن نـاعم ودخـلت المقاتلة وأهل الحرب حصن نطاة ودخل سلّام بن مشكم معهم يحرضهم عـلى الحرب والتقى الجمعان حول حصن نطاة واقتتلوا قتالاً شديداً حتى قيل انّ عدد الجرحى من المسلمين في هذا اليوم بلغ خمسين ، فكم كان إذاً عدد الجرحى من اليهود ؟ وتوفي سلام بن مشكم فتولى الحارث بن أبي زينب قيادة اليهود وخرج من حصن ناعم يريد منازلة المسلمين فدحره بنو الخزرج واضطروه أن يـرتدّ إلى الحصن على أعقابه وضيق المسلمون الحصار على حصون خـيبر واليـهود يستميتون في الدفاع عنها ايماناً منهم بأنّ هزيمتهم أمام محمّد هي القضاء الأخير

---

(١) وقد تعرض السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء لهذه المواد التي ذكر ابن كثير انّ فيها ضعفاً من غير أن يخدشها بضعف فقال قال جابر بن عبد الله : حمل علي الباب على ظهره يوم خيبر حتى صـعد المسلمون عليه ففتحوها وانهم جربوه بعد ذلك فلم يحمله إلّا أربعون رجلاً . أخرجه ابن عـساكـر وأخرج ابن اسحاق في المغازي وابن عساكر عن أبي رافع انّ علياً تناول باباً عند الحصن حـصن خيبر فترس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله علينا ثمّ ألقاه فلقد رأيتنا ثمانية نفر نجهد أن نقلب ذلك الباب لما استطعنا أن نقلبه .

(٢) في كتابه حياة محمّد : ص ٣٧٥.

على بني اسرائيل في بلاد العرب ، وتتابعت الأيّام فبعث الرسول أبا بكر براية إلى حصن ناعم كي يفتحه فقاتل ورجع ولم يكن الحصن قد فتح وبعث الرسول عمر بن الخطاب في الغداة فكان حظه حظه أبي بكر فدعا الرسول إليه علي بن أبي طالب ثمّ قال له : خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك ، ومضى علي بالراية فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم فضربه رجل من اليهود فطرح ترسه من يده فتناول علي باباً كان عند الحصن فتترس به فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الحصن وإنّما سقط حصن ناعم بعد أن قتل قائده الحارث بن أبي زينب وهو مما يدل على استماتة اليهود في القتال واستماتة المسلمين في الحصار وفي الهجوم .

وقال صاحب تذكرة الخواص (ص ٢٩ وما بعدها): وقد أخرج أحمد بن حنبل هذا الحديث ـ اشارة إلى حديث الراية يوم خيبر ـ في الفضائل وزاد فيه : فأخذ رسول الله الراية فهزّها ثمّ قال : من يأخذها بحقها فقال فلان : أنا فقال امط [١] ثمّ جاء آخر فقال : أنا فقال امط ، فعل ذلك مراراً بجماعة ثمّ قال : والذي كرّم وجه محمّد لأعطينها رجلاً لا يفرّ هاك يا علي ، فانطلق بها وفتح الله خيبر على يديه . وفي رواية : فجاء علي وهو أرمد لا يبصر موضع قدميه قال علي : فما رمدت عيني بعد ذلك اليوم وما وجدت ألم البرد ولا شدة الحر منذ دعا لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان يلبس ثياب الصيف في الشتاء وثياب الشتاء في الصيف وقال أحمد في الفضائل أيضاً : انهم سمعوا تكبيراً من السماء في ذلك اليوم وقائل يقول :

لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا علي

---

(١) أماطه يميطه أزاله وأذهبه ودفعه.

فاستأذن حسان بن ثابت رسول الله أن ينشد شعراً فأذن له فقال:

جبريل نـادى مـعلناً	والنقع ليس بـمنجلي
والمسلمون أحـدقوا	حول النبي المـرسل
لا سيف إلّا ذو الفـقار	ولا فـــتى إلّا عـــلي

فإن قيل: قد ضعفوا لفظة لا سيف إلّا ذو الفقار، قلنا: الذي ذكروه ان الواقعة كانت في يوم أُحد ونحن نقول: انها كانت في يوم خيبر، وكذا ذكـر أحـمد بـن حنبل في الفضائل ولا كلام في يوم أُحد فإنّ ابن عـباس قـال: لمـا قـتل عـلي طلحة بن أبي طلحة حامل لواء المشركين صاح صائح من السماء: لا سـيف إلّا ذو الفقار، قالوا في اسناد هذه الرواية عيسى بن مهران تكلم فـيه وقـالوا: كـان شيعياً، امّا يوم خيبر فلم يطعن فيه أحد من العلماء. وقيل انّ ذلك كان يوم بـدر والأوّل أصح، وقال جابر بن عبد الله: حمل علي باب خيبر وحده فدحاه ناحية ثمّ جاء بعده اناس يحملونه فلم يحمله إلّا أربعون رجلاً، إلى آخر ما ذكر سبط ابن الجوزي.

أقول قد ذكرنا نحن في ضمن واقعة بدر وواقعة أُحد ما ورد من الآثار في مادة هذه الكلمة ـ لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا علي ـ فاعلم الآن انّه لا منافاة في صدقها في هاته المواقع الثلاث: بدر، أُحد، خيبر، إذ لا يدفع بعضها بعضاً وعليّ في كل هذه المواطن أبدى نصرة واستماتة عدم نظيرهما من كل أحد باللون الذي كان منه وقد تقدم ما يبرهن على ذلك فلا نطيل.

وقال المحب المطبري [١] بعدما نقل طرفاً مما أسلفناه من حديث الراية وخيبر:

---

(١) في ذخائر العقبى: ص ٧٣.

وعن أبي سعيد الخدري انّ رسول الله أخذ الراية وهزّها ثمّ قال: من يأخذها بحقها فجاء فلان فقال أنا، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: والذي يكرم وجه محمّد لأعطينها رجلاً لا يفرّ، هاك يا علي فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر وفدك وجاء بعجوتها وقديدها. أخرجه أحمد، ثمّ ساق ما عن أبي رافع من حديث تترس علي بالباب وقال: أخرجه أحمد في المسند.

وقال عن علي عليه السلام: قال: ما رمدت عيناي منذ تفل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عيني، أخرجه أحمد، وعنه قال: ما رمدت عيناي منذ مسح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجهي وتفل في عيني يوم خيبر حين أعطاني الراية، أخرجه أبو الخير القزويني.

تنبيهان-الأوّل

قال ابن اسحاق [١]: حدثني عبد الله بن سهل اخو بني حارثة عن جابر بن عبد الله: انّ قاتل مرحب اليهودي هو محمّد بن مسلمة، أقول: وهذا القول من الشذوذ بمكان عريض، فقد قرأت فيما سبق استفاضة النقول بل تواترها في انّ قاتله عليّ بلا ريب وانّ هذه الرواية امّا مزورة من أصلها وامّا محرفة بهذا اللون.

وذكرها الطبري من طريق ابن اسحاق الذي ذكرناه، وهكذا نقل عنه غيره فهي رواية واحدة تنكرها الشهرة التاريخية والآثار المستفيضة المروية بطرق وفيرة كثيرة كما قرأت طرفاً من ذلك واستيعاب النقول يوجب خروجنا عن خطتنا في هذا الكتاب فتدبر.

---

(١) السيرة الهشامية: ج ٢ ص ٣٣٣.

التنبيه الثاني - في ردّ الشمس لعليّ

قال المتقي الهندي في كتابه [١]: عن علي قال: لما كنّا بخيبر سهر رسول الله في قتال المشركين فلما كان من الغد وكان مع صلاة العصر وضع رأسه في حجري فنام فاستثقل فلم يستيقظ حتى غربت الشمس فلما استيقظ مع غروب الشمس قلت: يا رسول الله ما صليت صلاة العصر كراهية ان اُوقظك من نومك فرفع رسول الله يده وقال اللهم انّ عبدك تصدق بنفسه على نبيك فاردد عليه شروقها فرأيتها في الحال في وقت العصر بيضاء نقية قمت ثمّ توضأت ثمّ صليت ثمّ غابت، أبو الحسن شاذان الفضلي العراقي في كتاب ردّ الشمس عن هارون بن سعد.

وفي كتاب المعتصر من المختصر من مشكل الآثار للطحاوي [٢]: وفيما يروى عن أسماء بنت عميس انّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلّى الظهر بالصهباء ثمّ أرسل عليّاً في حاجة فرجع وقد صلّى النبي صلى الله عليه وآله وسلم العصر فوضع النبي رأسه في حجر علي فلم يحركه حتى غابت الشمس فقال: اللهم انّ عبدك عليّاً احتسب بنفسه على نبيه فردّ عليه شروقها، قالت أسماء: فطلعت الشمس حتى وقعت على الجبال وعلى الأرض، ثمّ قام عليّ فتوضأ وصلّى العصر ثمّ غابت وذلك بالصهباء، قال: ولا يعارض هذا ما روي عن أبي هريرة لم تحبس الشمس على أحد إلّا ليوشع لأنّ حبسها عند الغروب، غير الرد بعد الغروب، ولا ما روي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لم ترد الشمس مذ ردت على يوشع بن نون ليالي سار إلى بيت

---

(١) منتخب كنز العمال: ج ٤ ص ٢٩١.

(٢) ج ١ ص ٩ باب معجزات النبي.

المقدس لأنّ معناه مذ ردت إلى يومئذ وليس في ذلك ما يـدفع أن يكـون ردّت على عليّ بعد ذلك بدعائه ﷺ ، وهذا من أجلّ علامات النبوة ، وفيه ما يـدلّ على التغليظ في فوت العصر فوقى الله عليّاً ذلك بدعاء النبي لطاعته وكرامته لديه وفيه لعلي المقدار الجليل والرتبة الرفيعة ـ اه ملخصاً ـ.

وقال القاضي عياضي في كتابه الشفهاء (ج ٣ ص ١٠): من طبعته بمصر مع شرحيه نسيم الرياض وشرح علي القاري : ونحن نذكر هنا ما عن الشفاء وشرحه نسيم الرياض جميعاً : وخرج الطحاوي وهو الامام الجليل القدر المحدث أبـو جعفر أحمد بن محمّد الأزدي المصري في مشكل الحديث عـن أسـماء بـنت عميس من طريقين وسندين مختلفين فـي روايـته هـذا الحـديث عـنها ورواه الطبراني بأسانيد مختلفة رجال أكثرها ثقات انّ النبي ﷺ كـان يـوحى إليـه ورأسه في حجر عليّ فلم يصل العصر حتى غربت الشـمس فـقال رسـول الله : أصلّيت يا علي ؟ فقال : لا ، فقال رسول الله : اللهم انّه كان فـي طـاعتك وطـاعة رسولك فاردد عليه الشمس مشرقها ـ أي في شروقها ـ فقالت أسماء : فرأيـتها غربت ثمّ رأيتها طلعت بعد مـا غـربت ووقـعت عـلى الأرض والجـبال وذلك بالصهباء وهي قلعة بقرب خيبر وإليه الإشارة بقوله في الهمزية :

ردّت الشمس والشروق عليه … لعـــليّ حـتى يـتم الأداء
ثـمّ ولّت لهـا صـرير وهـذا … لفـــراق له الوصــال دواء

قال الطحاوي : وهذا الحديثان ثابتان رواية ورواتهما ثقات ، جعلهما حديثين والمذكور حديث واحد تسمحاً لأنّه روي من طريقين وادعى ابن الجوزي انّ هذا الحديث موضوع ، وقد قال الحافظ السيوطي : وكذا السخاوي ان ابن الجـوزي في موضوعاته تحامل تـحاملاً كـثيراً حـتى أدرج فـيه كـثيراً مـن الأحـاديث

الصحيحة كما أشار إليه ابن الصلاح وهذا الحديث صححه المصنف وأشار إلى انّ تعدد طرقه شاهد صدق على صحته وقد صححه قبله كثير من الأئمّة كالطحاوي وأخرجه ابن شاهين وابن منده وابن مردويه والطبراني في معجمه وقال: انّه حسن، وحكاه العراقي في التقريب ولفظه انّه ﷺ صلّى الظهر بالصهباء ثمّ أرسل عليها في حاجة فرجع وقد صلّى النبي العصر فوضع رأسه في حجر علي فنام ولم يحركه حتى غابت الشمس فقال ﷺ: اللهم انّ عبدك عليّاً إنّما احتبس نفسه على نبيه فرد عليه الشمس إلى آخره، وانكار ابن الجوزي فائدة ردها مع القضاء لا وجه له، فإنّها فائتة بعذر مانع عن الأداء، وهو عدم تشويشه على النبي وهذه فضيلة أيّ فضيلة فلما عادت الشمس حاز فضيلة الأداء وقد قال ابن حجر في شرح الارشاد: لو غربت الشمس ثمّ عادت عاد الوقت أيضاً لهذا الحديث.

وانّ السيوطي صنف في هذا الحديث رسالة مستقلة سماها كشف اللبس عن حديث ردّ الشمس وقال: انّه سبق بمثله لأبي الحسن الفضلي أورد طرقه بأسانيد كثيرة وصححه بما لا مزيد عليه، وحكى الطحاوي عن أحمد بن صالح وهو أبو جعفر الطبري الحافظ الثقة انّه كان يقول: لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء لأنّه من علامات النبوة.

أقول: تردد ابن الجوزي في صحة حديث ردّ الشمس من طريق عدم الفائدة في رجوعها بعد غروبها لثبوت القضاء بالغروب فلا يعود الأداء بعود الشروق من أسخف ما يكون، لأنّه تحكم على الشارع نفسه، فإذا رأى الشارع عود الأداء بعود الشروق فلا قيمة لكل رأي يفرض، ولا شبهة انّ النبي لم يدع بعود شروقها بعد غروبها إلّا تحصيلاً لفضل الأداء ومزيته ولا داعي لعودها إلّا ذلك ليس غير، والنبي ﷺ جدّ عارف بمواقع أحكام الله التي إنّما تبلغ العباد من طريقه

وبوسيلته فإذا لم يكن النبي يرى فائدة في عودها لعلي بالنسبة إلى صلاته لما دعا بردها حتماً فإنّه ﷺ بدعائه ذلك حينئذ يعد عابثاً لاغياً وحاشا من كانت كل أفعاله وأقواله منوطة بمراعاة المصالح الدقيقة أن يصدر منه أقل عبث ولغو.

وفي شرح عليّ القاري على الشفاء في الموضع الذي رقمناه آنفاً وفي المواهب قال شيخنا: قال أحمد: لا أصل له ـ أي لحديث ردّ الشمس ـ وتبعه ابن الجوزي فأورده في الموضوعات ولكن قد صححه الطحاوي والقاضي عياض وأخرجه ابن منده وابن شاهين من حديث أسماء بنت عميس وابن مردويه من حديث أبي هريرة ـ اهـ ـ قال القسطلاني: وروى الطبراني أيضاً في معجمه الكبير باسناد حسن كما حكاه ابن العراقي في شرح التقريب عن أسماء بنت عميس ولفظه: انّ رسول الله ﷺ صلّى الظهر بالصهباء ثمّ أرسل عليّاً في حاجة فرجع وقد صلّى النبي ﷺ العصر فوضع ﷺ رأسه في حجر علي فقال له النبي صلّيت العصر ؟ قال: لا يا رسول الله، فدعا الله تعالى فردّ عليه الشمس حتى صلّى العصر، قالت: فرأيت الشمس طلعت بعد ما غابت حين ردت حتى صلّى العصر، قال: وروى الطبراني أيضاً في معجمه الأوسط بسند حسن عن جابر انّ رسول الله ﷺ أمر الشمس فتأخرت ساعة من النهار ـ اهـ ملخصاً ـ.

وقال الصبان في كتابه اسعاف الراغبين (ص ١٦٢): ومن كراماته انّ الشمس ردت عليه لما كان رأس النبي ﷺ في حجره والوحي ينزل عليه وعليّ لم يصل العصر فما سرى عنه إلّا وقد غربت الشمس فقال ﷺ: اللهم انّه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس فطلعت بعدما غربت وحديث ردّها صححه الطحاوي والقاضي في الشفاء وحسّنه شيخ الإسلام أبو زرعة وتبعه غيره، وردوا على جمع قالوا انّه موضوع.

وقال القندوزي [١] في جمع الفوائد: أسماء بنت عميس قال: انّ النبي ﷺ صلّى الظهر بالصهباء فأرسل عليّاً في حاجة فرجع وقد صلّى النبي العصر فوضع رأسه في حجر علي فنام فلم يحركه عليّ حتى غابت الشمس فقال ﷺ اللهم انّ عبدك عليّاً احتسب نفسه على نبيك فرد عليه الشمس، قالت أسماء: فطلعت عليه الشمس حتى وقعت على الجبال وعلى الأرض وقام عليّ فتوضأ وصلّى العصر ثمّ غابت الشمس وذلك بالصهباء.

أيضاً أخرج ابن المغازلي والحمويني وموفق بن أحمد الخوارزمي وهم جميعاً بالاسناد عن أسماء بنت عميس قالت: أوحى الله إلى نبيه فتغشاه الوحي فستره عليّ بثوبه حتى غابت الشمس فلما سرى عنه قال: يا علي صلّيت العصر؟ قال: لا يا رسول الله شغلت عنها بك فقال ﷺ اللهم اردد الشمس إلى علي قالت أسماء فرجعت حتى بلغت حجرتي.

وفي الصواعق المحرقة: ومن كراماته الباهرة انّ الشمس ردّت إليه لمّا كان رأس النبي ﷺ في حجره والوحي ينزل عليه وعلي لم يصلّ العصر فغربت الشمس فلما سرى الوحي عنه ﷺ قال: اللهم انّ عليّاً في طاعتك وطاعة نبيك فاردد عليه الشمس فعادت بعدما غربت، صححه الطحاوي والقاضي في الشفاء وحسّنه شيخ الإسلام أبو زرعة وتبعه غيره ـ اهـ ملخصاً ـ.

وقال أبو الفرج ابن الجوزي في موضوعاته [٢]: أنبأنا محمّد بن ناصر أنبأنا عبد الوهاب بن محمّد بن منده أنبأنا أبي حدثنا عثمان بن أحمد التنيسي حدثنا أبو امية حدثنا أبو عبيد الله بن موسى حدثنا فضيل بن مرزوق عن ابراهيم بن

(١) في كتابه ينابيع المودة: ج ١ ص ١٣٧، الباب السابع والأربعون في ردّ الشمس بعد غروبها.

(٢) اللآلىء المصنوعة: ج ١ ص ١٧٤.

الحسن بن الحسن عن فاطمة بنت الحسين عن أسماء بنت عميس قالت: كان رسول الله يوحى إليه ورأسه في حجر علي فلم يصلّ العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: صليت؟ قال: لا، قال: اللهم انّه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس، قالت أسماء: فرأيتها غربت ثمّ رأيتها طلعت بعدما غربت.

قال الجوزقاني: هذا حديث منكر مضطرب، وقال المؤلف: موضوع اضطربت فيه الرواة فرواه سعيد بن مسعود عن عبيد الله بن موسى عن فضيل عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن علي بن الحسين عن فاطمة بنت علي عن أسماء وفضيل ضعّفه يحيى وقال ابن حبان يروي الموضوعات ويخطىء على الثقات ورواه ابن شاهين حدثنا أحمد بن محمّد بن سعيد الهمداني حدثنا أحمد بن يحيى الصوفي حدثنا عبد الرحمن بن شريك حدثنا أبي عن عروة بن عبد الله بن قشير عن فاطمة بنت علي بن أبي طالب عن أسماء به وعبد الرحمن قال أبو حاتم واهي الحديث وشيخ ابن شاهين هو ابن عقدة رافضي رمى بالكذب وهو المتهم به، ورواه ابن مردويه من طريق داود بن فراهيج عن أبي هريرة قال: نام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورأسه في حجر علي ولم يكن صلّى العصر حتى غربت الشمس فلما قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا له فردت عليه الشمس حتى صلّى ثمّ غابت ثانية وداود ضعّفه شعبة.

قال السيوطي في تعقيبه قلت فضيل الذي أعلى به الطريق الأوّل ثقة صدوق احتج به مسلم في صحيحه وأخرج له الأربعة وعبد الرحمن بن شريك وان وهّاه أبو حاتم فقد وثّقه غيره، وروى عنه البخاري في الأدب وابن عقدة من كبار الحفاظ والناس مختلفون في مدحه وذمه، قال الدارقطني: كذب من اتهمه بالوضع، وقال حمزة السهمي: ما يتهمه بالوضع إلّا باطل، وقال أبو علي الحافظ:

أبو العباس إمام حافظ محله محل من يسأل عن التابعين وأتباعهم وداود وثّقه قوم وضعّفه آخرون.

أقول: إلى هنا زيّف السيوطي ما ادعاه أبو الفرج من التنديد بفضيل وعبد الرحمن بن شريك وابن عقدة وداود وان حديث ردّ الشمس موضوع بهؤلاء، ثمّ شرع في تأييد الحديث المزبور فقال: ثمّ الحديث صرّح جماعة من الأئمّة والحفاظ بأنّه صحيح، قال القاضي عياض في الشفاء: أخرج الطحاوي في مشكل الحديث عن أسماء بنت عميس من طريقين انّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يوحى إليه ورأسه في حجر علي فذكر هذا الحديث قال الطحاوي: وهذا الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات وحكى الطحاوي انّ أحمد بن صالح كان يقول: لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء لأنّه من علامات النبوة، انتهى ما في الشفاء.

والحديث الأوّل أخرجه الطبراني عن الحسين بن اسحاق التستري عن عثمان بن أبي شيبة وحدثنا عبيد عن أبي بكر بن أبي شيبة قالا: حدثنا عبيد الله بن موسى به أخرجه العقيلي حدثنا أحمد بن داود عن عمار بن مطر عن فضيل بن مرزوق به وقال عمار الغالب على حديثه الوهم، انتهى.

ومن طرقه ما أخرجه الخطيب في تلخيص المتشابه قال: حدثنا يوسف بن يعقوب النيسابوري عن عمرو بن حماد عن سويد بن سعيد عن المطلب بن زياد عن ابراهيم بن حيان عن عبد الله بن الحسن عن فاطمة الصغرى ابنة الحسين عن الحسين بن علي قال: كان رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجر علي وكان يوحى إليه فلما سرى عنه قال: يا علي صلّيت العصر؟ قال: لا، قال: اللهم انك تعلم انّه كان

في حاجتك [١] وحاجة رسولك فردّ عليه الشمس فردها عليه فصلى علي وغابت الشمس، قال الخطيب ابراهيم بن حيان كوفي في عداد المجهولين.

وأخرجه أبو بشر الدولابي في الذرية الطاهرة قال: حدثني اسحاق بن يونس حدثنا سويد بن سعيد به.

ثمّ وقفت على جزء مستقل في جمع طرق هذا الحديث تخريج أبي الحسن شاذان الفضلي وها أنا أسوقه هنا ليستفاد:

قال: أنبأنا أبو الحسن أحمد بن عمير عن ابراهيم بن سعيد الجوهري عن يحيى بن يزيد بن عبد الملك عن أبيه عن داود بن فراهيج عن أبي هريرة وعن عمارة بن فيروز عن أبي هريرة انّ رسول الله أُنزل عليه حين انصرف من العصر وعلي بن أبي طالب قريب منه ولم يكن علي أدرك الصلاة فاقترب علي إلى النبي ﷺ فأسنده إلى صدره فلم يسر عن النبي حتى غابت الشمس فالتفت رسول الله فقال: من هذا هذا؟ فقال علي: يا رسول الله أنا لم أُصلّ العصر وقد غابت الشمس، فالتفت فقال: اللهم اردد الشمس على عليّ حتى يصلّي فرجعت الشمس لموضعها الذي كانت فيه حتى صلّى علي.

وقال: حدثنا أبو الحسن أحمد بن عمير عن أحمد بن الوليد بن برد الأنطاكي عن محمّد بن اسماعيل بن أبي فديك عن محمّد بن موسى القطري عن عون بن محمّد عن امهام جعفر عن جدتها أسماء بنت عميس انّ رسول الله صلّى الظهر بالصهباء ثمّ أنفذ عليّاً لى حاجة فرجع وقد صلّى رسول الله العصر فوضع رسول الله رأسه في حجر علي فنام فلم يحركه حتى غابت الشمس فقال رسول الله ﷺ: اللهم انّ عبدك عليّاً احتسب بنفسه على نبيه فردّ عليه شرقها، قالت

---

(١) المنظور بالحاجة هنا الخدمة والانشغال بالوظيفة لله سبحانه كما لا يخفى.

أسماء فطلعت الشمس حتى وقعت على الجبال وعلى الأرض فقام عليّ فتوضأ وصلّى العصر ثمّ غابت الشمس وذلك في الصهباء في غزوة خيبر.

حدثنا أبو الحسن علي بن ابراهيم بن اسماعيل بن كعب الدقاق بالموصل عن علي بن جابر الأودي عن عبد الرحمن بن شريك عن أبيه عن عروة بن عبد الله بن قشير قال: دخلت على فاطمة ابنة عليّ فقالت: حدثتني أسماء ابنة عميس انّ النبي ﷺ أوحى إليه فستره علي بثوبه حتى غابت الشمس فلما سرى عن النبي قال: يا علي صلّيت العصر؟ قال: لا، قال: اللهم اردد الشمس على عليّ، قالت: فرجعت الشمس حتى رأيتها في نصف الحجر أو قالت: نصف حجرتي.

حدثنا أبو الفضل محمّد بن عبيد الله القصار بمصر عن يحيى بن أيّوب العلاف عن أحمد بن صالح عن محمّد بن اسماعيل بن أبي فديك عن محمّد بن موسى عن عون بن محمّد عن امه ام جعفر عن أسماء ابنة عميس انّ رسول الله صلّى الظهر بالصهباء ثمّ أرسل عليّاً في حاجة فرجع وقد صلّى النبي ﷺ العصر فوضع النبي رأسه في حجر علي فلم يحركه حتى غابت الشمس فقال: اللهم انّ عبدك عليّاً احتسب بنفسه على نبيه فردّ عليه شرقها قالت أسماء فطلعت الشمس حتى وقعت على الجبال وعلى الأرض فقام عليّ فتوضأ فصلّى العصر ثمّ غابت وذلك بالصهباء في غزوة خيبر.

حدثنا أبو محمّد بن الصابوني عن عبيد الله بن الحسين القاضي بأنطاكية عن علي بن عبد الرحمن بن المغيرة عن أحمد بن صالح عن أحمد بن فديك نحوه قال أحمد بن صالح هذه دعوة النبي ﷺ فلا تستكثر، أخرجه الطبراني في الكبير عن اسماعيل بن الحسن عن أحمد بن صالح به حدثنا أبو جعفر محمّد بن الحسين الاشناني عن اسماعيل بن اسحاق الراشدي عن يحيى بن سالم عن صباح المروزي عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن الحسن عن

امه فاطمة ابنة الحسين عن أسماء بنت عميس قالت: اشتغل علي مع رسول الله ﷺ في قسمة الغنائم يوم خيبر حتى غابت الشمس فقال رسول الله ﷺ: يا علي صلّيت العصر ؟ قال: لا يا رسول الله، فتوضأ رسول الله ﷺ وجلس في المسجد فتكلم بكلمتين أو ثلاثة كانها من كلام الحبشة فارتجعت الشمس كهيئتها في العصر فقام علي فتوضأ وصلّى العصر ثمّ تكلم رسول الله بمثل ما تكلم به قبل ذلك فرجعت الشمس إلى مغربها فسمعت لها صريراً كالمنشار في الخشبة وطلعت الكواكب.

حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى الجرادي بالموصل عن علي بن المنذر عن محمّد بن فضيل عن فضيل بن مرزوق عن ابراهيم بن الحسن عن فاطمة بنت عليّ عن أسماء بنت عميس قالت: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي يكاد يغشى عليه، فأنزل عليه يوماً ورأسه في حجر علي حتى غابت الشمس فرفع رسول الله رأسه فقال: صليت العصر يا علي ؟ قال: لا يارسول الله فدعا الله فردّ عليه الشمس حتى صلّى العصر قالت: فرأيت الشمس بعدما غابت حين ردّت حتى صلى العصر، أخرجه الطبراني عن جعفر بن أحمد بن سنان الواسطي عن علي بن المنذر به.

أخبرني أبو طالب محمّد بن صبيح بدمشق عن علي بن العباس عن عباد بن يعقوب عن علي بن هاشم عن صباح بن يحيى عن عبد الله بن الحسين بن جعفر عن حسين المقتول عن فاطمة بنت علي عن اُم الحسن بنت علي عن أسماء بنت عميس قالت: لما كان يوم خيبر شغل علي بما كان من قسمة الغنائم حتى غابت الشمس فسأل النبي علياً هل صليت العصر، قال: لا، فدعا الله تعالى فارتفعت حتى توسطت المسجد فصلى علي فلما صلّى غابت الشمس قال: فسمعت لها صريراً كصرير المنشار في الخشبة.

وحدثنا عباد عن علي بن هاشم عن صباح عن أبي سلمة مولى آل عبد الله بن الحارث بن نوفل عن محمّد بن جعفر بن محمّد بن علي عن اُمه اُم جعفر بنت محمّد عن جدتها أسماء بنت عميس قالت: كان النبي في هذا المكان ومعه عليّ إذ اُغمي عليه فوضع رأسه في حجر علي فلم يزل كذلك حتى غابت الشمس ثمّ أفاق فقعد فقال: يا علي هل صلّيت، قال: لا، فقال: اللهم انّ عليّاً كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس، فخرجت من تحت هذا الجبل كأنّما خرجت من تحت سحابة فقام علي فصلى فلما فرغ آبت مكانها.

حدثنا عبيد الله بن الفضل التهياني الطائي عن عبيد الله بن سعيد بن كثير بن عفير عن أبي اسحاق ابراهيم بن رشيد الهاشمي الخراساني عن يحيى بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب قال: أخبرني أبي عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب قال: لمّا كنّا بخيبر شهد رسول الله قتال المشركين فلما كان من الغد وكان مع صلاة العصر جئته ولم اُصل صلاة العصر فوضع رأسه في حجري فنام فاستثقل فلم يستيقظ حتى غربت الشمس فقلت: يا رسول الله ما صليت صلاة العصر كراهية ان أوقظك من نومك فرفع يده ثمّ قال: اللهم انّ عبدك تصدق بنفسه على نبيك فاردد عليه شرقها قال فرأيتها على الحال في وقت العصر بيضاء نقية حتى قمت ثمّ توضأت ثمّ صلّيت ثمّ غابت.

حدثنا أبو الحسن بن صفوة عن الحسن بن علي علي بن محمّد العلوي الطبري عن أحمد بن العلاء الرازي عن اسحاق بن ابراهيم التيمي عن الضبي عن ابراهيم النخعي عن علقمة عن أبي ذر قال: قال علي يوم الشورى: أنشدكم بالله هل فيكم من ردت له الشمس غيري حين نام رسول الله ﷺ وجعل رأسه في حجري حتى غابت الشمس فانتبه فقال يا علي صليت العصر ؟ قلت: اللهم لا، فقال: اللهم اردها عليه فإنّه كان في طاعتك وطاعة رسولك.

حدثنا أبو الحسن خيثمة بن سليمان عن عثمان بن خرزاذ عن محفوظ بن بحر عن الوليد بن عبد الواحد عن معقل بن عبيد الله عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله انّ النبي أمر الشمس أن تتأخر ساعة من النهار فتأخرت ساعة من النهار، انتهى ما في الجزء من الطرق.

وحديث جابر أخرجه الطبراني في الأوسط من طريق الوليد بن عبد الواحد به وقال لم يروه عن أبي الزبير إلّا معقل ولا عنه إلّا الوليد وروى ابن أبي شيبة في مسنده طرقاً من حديث أسماء وهو قولها: كان النبي ﷺ يوحى إليه ورأسه في حجر علي لم يزد على ذلك. ومما يشهد بصحة ذلك قول الامام الشافعي وغيره ما أُوتي نبي معجزة إلّا اوتي نبينا ﷺ نظيرها أو أبلغ منها وقد صح انّ الشمس حبست على يوشع ليالي قاتل الجبّارين فلابد أن يكون نبينا ﷺ نظير ذلك فكانت هذه القصة نظير تلك، والله أعلم. انتهى ما عن السيوطي في اللئالىء المصنوعة.

وقال الحافظ الكنجي [1]: نعتضد بالله ونقول: منكر ذلك امّا أن ينكره من حيث الإمكان أو من حيث صحة النقل من عدالة الرواة، امّا القسم الأوّل: فإنّ المتكلم فيه أحد رجلين: إمّا من يثبت الشرائع أو ينفيها، امّا نفاتها كالدهرية والفلاسفة والمنجمين فلا كلام معهم، وامّا مثبتوها لا يتمكنون من ذلك للحديث الذي خرجه مسلم في صحيحه في حبس الشمس كما أخبرنا الامام الحافظ عثمان إلى أن ينهي سنده إلى أبي الحسين مسلم بن الحجاج وهو بسنده إلى أبي هريرة عن رسول الله ﷺ فذكر أحاديث منها وقال رسول الله: وهو حديث

---

(١) في كتابه كفاية الطالب: ص ٢٣٧، فصل في الحديث المروي في ردّ الشمس بدعاء النبي ﷺ حتى صلّى علي بن أبي طالب العصر.

مطول مورد الشاهد منه: فقال للشمس أنت مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها عليّ شيئاً فحبست عليه حتى فتح الله عليه، حتى قال في نهاية هذا الحديث: قلت: هذا حديث متفق على صحته رواه البخاري وأخرجه مسلم ورواه أحمد بن حنبل في مسنده وقال: انّ الشمس حبست ليوشع بن نون ورواه الطبراني في معجمه كذلك ولا يخلو امّا أن يكون ذلك معجزة لموسى عليه السلام أو ليوشع عليه السلام فإن كان لموسى فنبينا صلى الله عليه وآله وسلم أفضل وعليّ أقرب إليه من يوشع إلى موسى، وإن كان معجزة ليوشع فإن كان نبياً فعليّ مثله وان لم يكن نبياً فعليّ أفضل منه، إذ قال النبي: علماء أُمتي كأنبياء بني اسرائيل ـ أي بحذف كاف التشبيه ـ وحذف الكاف لقوة المشابهة والمعنى انّ أنبياء بني اسرائيل دعاة إلى الله سبحانه بالوعظ والزجر والتحذير والترغيب والترهيب وعلماء امته قائمون في هذا المقام منخرطون في سلك هذا النظام وعلي عليه السلام أولى الناس بهذا النصّ لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: أقضاكم عليّ.

وامّا القسم الثاني وهو الانكار من حيث العدالة: من نقل ذلك ذكره في كتابه: فقد عده جماعة من العلماء في معجزاته صلى الله عليه وآله وسلم فمنهم ابن سبع ذكره في شفاء الصدور وحكم بصحته، ومنهم القاضي عياض ذكره في الشفاء وحكى فيه عن الطحاوي انّه ذكر ذلك في شرح مشكل الحديث قال: روي من طريقين صحيحين، وقال ابن خزيمة: كان أحمد بن صالح يقول: لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حديث أسماء بنت عميس في ردّ الشمس لأنّه من علامات نبوة نبينا. وقد شفى الصدور الامام الحافظ أبو الفتح محمّد بن الحسين الأزدي الموصلي في جمع طرقه في كتاب مفرد ورواه الحافظ أبو عبد الله الحاكم في تاريخه في ترجمة عبد الله بن حامد بن محمّد بن ماهان الفقيه الواعظ المحدث وخرجه عنه كما أخبرنا بقية السلف محمّد بن سعيد بن الموفق بن علي بن جعفر النيسابوري ببغداد عن أبي زرعة طاهر بن الحافظ أبي الفضل بن محمّد بن طاهر

المقدسي عن أحمد بن علي بن عبد الله بن خلف الشيرازي عن الامام الحافظ أبي عبد الله محمّد بن عبد الله بن نعيم بن الحكم النيسابوري قال: حدثني عبد الله بن حامد بن ماهان عن أبي بكر محمّد بن جعفر عن محمّد بن عبيد الكندي عن عبد الرحمن بن شريك قال: حدثني أبي عن عروة عن عبد الله قال: دخلت على فاطمة بنت علي عليها السلام فرأيت في عنقها خرزة ورأيت في يدها سكتين غليظتين وهي عجوز كبيرة، فقلت لها: ما هذا؟ قالت: انّه يكره للمرأة أن تتشبه بالرجال ثمّ حدثتني عن أسماء بنت عميس حديثها انّ عليّاً دفع إلى النبي صلى الله عليه وآله وقد أوحى إليه يجلله بثوبه فلم يزل كذلك حتى أدبرت الشمس ـ يقول غابت أو كادت تغيب ـ ثمّ ان نبي الله سرى عنه فقال: أصلّيت يا علي؟ قال: لا، فقال النبي صلى الله عليه وآله: اللهم ردّ الشمس على عليّ فرجعت الشمس حتى بلغت نصف المسجد، قال أبي: وحدثني به موسى الجهني عن فاطمة بنت علي مثله. قلت: هكذا ذكره الحاكم في تاريخ نيسابور في هذه الترجمة وقد أملاه أبو منصور أحمد بن شعيب بن صالح البخاري ببغداد في جامع المنصور في ملأ من أهل الحديث.

أخبرنا عبد الله بن عمر الليثي عن أبي الوقت عبد الأوّل بن عيسى بن نسيب السحري عن أبي عيسى سعيد بن أبي أحمد المعلم في سنة ثلاث وستين وأربعماءة عن الامير أبي أحمد خلف بن أحمد بن محمّد بن الليث بن خلف بن فرقد العرني مولى أمير المؤمنين قدم علينا بهراة سنة ٣٤٣ عن الامام أبي منصور البخاري عن حامد بن سهل عن يحيى بن سليمان بن نضلة عن ابراهيم بن محمّد بن عبد الله بن الحسن عن فاطمة بنت علي عن ام حسن بنت علي عن أسماء بنت عميس قالت: أمر رسول الله عليّاً يوم خيبر أن يقسم الغنائم على الناس فشغل عن الصلاة حتى كادت الشمس تغرب فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي: صلّيت

العصر؟ قال: لا يا رسول الله، شغلني ما أمرتني فدعا رسول الله أن ترد عليه الشمس حتى يصلي علي فأقبلت الشمس ولها حفيف كحفيف المنشار إذا وقع في الخشب حتى توسطت مسجد خيبر فقام علي فصلى فلما فرغ من صلاته غربت الشمس.

أخبرنا أبو بكر بن الخازن عن أبي زرعة عن أبي بكر بن خلف عن الحاكم عن أبي بكر بن أبي دارم الحافظ بالكوفة من اصل كتابه عن منذر بن محمّد بن منذر عن أبيه قال: حدثني عمي حدثنا أبي عن أبان بن تغلب عن عامر بن واثلة قال: كنت على الباب يوم الشورى وعليّ في البيت فسمعته يقول: استخلف أبو بكر وانا في نفسي أحق بها منه فسمعت وأطعت واستخلف عمر وأنا في نفسي أحق بها منه فسمعت وأطعت وأنتم تريدون أن تستخلفوا عثمان إذاً لا اسمع ولا أطيع جعلني عمر في خمسة أنا سادسهم لا يعرف لهم فضل، أما والله لأحاجنّهم بخصال لا يستطيع عربيهم ولا عجميهم المعاهد منهم والمشرك أن ينكر منها خصلة، أنشدكم بالله أيّها الخمسة أفيكم أخو رسول الله غيري؟ قالوا: لا، قال: أفيكم أحد له عم مثل عمي حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله غيري؟ قالوا: لا، قال: أفيكم أحد له أخ مثل أخي المزيّن بالجناحين يطير مع الملائكة في الجنة؟ قالوا: لا، قال: أفيكم أحد له زوجة مثل زوجتي فاطمة سيد نساء الأُمّة غيري؟ قالوا: لا، قال: أفيكم أحد له سبطان مثل الحسن والحسين سبطي هذه الأُمّة ابني رسول الله غيري؟ قالوا: لا، قال: أفيكم أحد قتل مشركي قريش قبلي؟ قالوا: لا، قال: أفيكم أحد ردت عليه الشمس بعد غروبها حتى صلّى العصر غيري؟ قالوا: لا، قال: أفيكم أحد قال له رسول الله ﷺ حين قرّب إليه الطير فأعجبه اللهم ائتني بأحب خلقك اليك يأكل معي من هذا الطير فجئت وما أعلم ما كان من قول النبي ﷺ فدخلت غيري؟ قالوا: لا. هكذا رواه الحاكم

في كتابه بجميع طرقه ـ اهملخصاً ـ.

أقـول: وذكر ذلك سبط ابن الجوزي في كتابه (١) ولا نعيد مـا ذكـر خـوف الاطالة.

وبعد هذا كله فلا مؤاخذة على هذه المادة لا من جهة النقل ولا من جهة العقل، امّا النقل فقد سبق لك وهو حد الاقل يثبت وقوعه الخارجي من طـريق أخـبار الآحاد والتشكك فيه يوجب التشكك في كثير من الآثار التي يعتزّ بها أهل النقل والأثر بلا ريب، وامّا العقل فلا يحيل ذلك على الله بعد أن كان اصل الفعل مقدوراً لا يمتنع عن تعلق القدرة به والسمع دليل الوقوع، نعم تبقى نـقطة يسـئل عـنها فيقال: طلوع الشمس وغروبها جميعاً مما لا يخفى على الناس، فإذا كان للقضية المزبورة صحة فلم لم يستفض نقلها ويكثر ذكرها، لكن الجواب عن ذلك هين بعد أن كان مجرى القضية بنحو عادي لا مقدمة له تستجلب النظر حتى تترصد الناس لوقوع الواقعة فتشهدها وها نحن نرى الناس جملة لا يلتفتون إلى الاهلة فلا يرونها إلّا بعد مضي ليالي من اصل رؤيتها لمن ترصد لها ومثل ذلك يقال في خسوف القمر والكسوف الجزئي للشمس وملاكه التغافل وعدم التـرصد فـمن القريب جداً أن تغيب الشمس ثمّ تعود بمقدار ربع ساعة أو نـصف سـاعة فـلا يلتفت الناس إلى انها غابت ثمّ طلعت لعزوب أذهانهم عـنها إلّا للـمترصد كـما أسلفناه وهذا الأمر نوعي في الناس في أغلب الموارد فهو ليس مورداً للاستبعاد فضلاً عن الامتناع فتدبر.

خاتمة: ذكر العباسي في معاهد التـنصيص (ج ٤ ص ١٩٨) عـند تـعرضه لشواهد التلميح فقال: ومن ظريف ما يحكى هنا ما روي ان المـظفر المـروزي

(١) تذكرة الخواص: ص ٥٥ وما بعدها.

الواعظ جلس يوماً ما بالناجية ببغداد بعد العصر وأورد حديث ردّ الشمس لعلي عليه السلام وأخذ في ذكر فضائله فنشأت سحابة غطت الشمس وظن انها غابت فأومأ اليها وارتجل:

لا تغربي يا شمس حتى ينتهي — مدحي لآل المصطفى ولنجله
واثني عنانك إن أردت ثنائهم — أنسيت إذ كان الوقوف لأجله
إن كان للمولى وقوفك فليكن — هذا الوقوف لخيله ولرجله

فطلعت الشمس من تحت الغيم عند انتهاء الأبيات فلا يدرى ذلك اليوم ما رمي عليه من الأموال والثياب.

قال ابن اسحاق: فلما فرغ رسول الله من خيبر قذف الله الرعب في قلوب أهل فدك حين بلغهم ما أوقع الله تعالى بأهل خيبر فبعثوا إلى رسول الله يصالحونه على النصف من فدك فقدمت عليه رسلهم فقبل ذلك منهم فكانت فدك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خالصة لأنّه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب.

قال ابن هشام: عن سفيان بن عيينة عن الأجلح عن الشعبي ان جعفر بن أبي طالب قدم على رسول الله يوم فتح خيبر فقبّل رسول الله بين عينيه والتزمه وقال: ما أدري بأيهما أنا أسر بفتح خيبر أم بقدوم جعفر، قال ابن اسحاق ومكث من أقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى بعث فيهم رسول الله إلى النجاشي عمرو بن امية الضمري فحملهم في سفينتين فقدم بهم عليه وهو بخيبر بعد الحديبية.

قال ابن اسحاق: فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة من خيبر أقام بها شهري ربيع وجماديين ورجباً وشعبان ورمضان وشوالاً لا يبعث فيما بين ذلك غزوة أو سرية ثمّ خرج في ذي القعدة في الشهر الذي صده فيه المشركون معتمراً

عمرة القضاء مكان عمرته التي صدوه عنها فدخل مكة في ذي القعدة في الشهر الحرام الذي صدوه فيه من سنة سبع فأقام رسول الله بمكة ثلاثاً فأوعز إليه المشركون بالخروج منها طبق الشرط فخرج ثمّ انصرف إلى المدينة في ذي الحجة ـ اهملخصاً مجوداً ـ .

غزوة مؤتة
وهي بأدنى البلقاء دون دمشق

قال ابن سعد في الطبقات (ج ٣ ص ١٧٤): وكانت هذه الغزوة في جمادى الأُولى سنة ثمان قالوا: بعث رسول الله ﷺ الحارث بن عمير الأزدي إلى ملك بصرى بكتاب فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره فاشتد ذلك عليه وندب الناس فأسرعوا وعسكروا بالجرف وهم ثلاثة آلاف فقال رسول الله ﷺ: أمير الناس زيد بن حارثة فإن قتل فجعفر بن أبي طالب فإن قتل فعبد الله بن رواحة فإن قتل فليرتض المسلمون منهم رجلاً فليجعلوه عليهم وعقد لهم رسول الله لواءاً أبيض ودفعه إلى زيد بن حارثة وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير وأن يدعوا من هناك إلى الإسلام فإن أجابوا وإلّا استعانوا عليهم بالله وقاتلوهم وخرج مشيعاً لهم حتى بلغ ثنية الوداع فوقف وودعهم فلما فصلوا من المدينة سمع العدو بمسيرهم فجمعوا لهم وقام فيهم شرحبيل بن عمرو فجمع أكثر من مأة ألف وقدم الطلائع أمامه وقد نزل المسلمون معان من ارض الشام وبلغ الناس انّ هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء في مأة ألف من بهراء ووائل وبكر ولخم وجذام فأقاموا ليلتين لينظروا في أمرهم وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره الخبر فشجّعهم عبد الله بن رواحة على المضي.

أقـول : لم يصب ابن رواحة رحمه الله في هذا التشجيع والتسرع إلى المـوت فإنّ جمعه ومهما بلغ من الحدة والشدة والاستماتة لا يقوم لطرف من ذلك الجيش الجرار وتكون شهادتهم لو استشهدوا بأسرهم من الضائعات المأسوف عليها إذ لا يترتب عليها أقل نتيجة دنيوية من كبح العدو واغتنامه ولا دينية من تبليغ الدين الإسلامي في جماعات يرون الموت دون عقائدهم أهون عليهم من نزع دينهم الموروث إلى دين جديد لم يمضغوه فيعرفوه ومع تخلف هاتين النـتيجتين فأي فائدة في المجالدة التي لا تعود بالضرر إلّا على أهلها الضعاف وهم المسلمون في هذا الموقف والنبي ﷺ لم يلزمهم عندما ساروا إلى مؤتة بالمناجزة على كل حال ولقد كان لهم في ابلاغهم اياه خبر الموقف متسع يقفون فـيه عـلى القـرار النهائي فلم يفعلوا رحمهم الله .

قال ابن سعد : فمضوا إلى مؤتة ووافاهم المشركون فجاء منهم ما لا قبل لأحد به من العدد والسلاح والكراع والديـباج والحـرير والذهب فـالتقى المسـلمون والمشركون فقاتل الأُمراء يومئذ على أرجلهم فأخذ اللواء زيد بن حارثة فقاتل وقاتل معه المسلمون على صفوفهم حتى قتل طعناً بالرماح رضي الله عنه ، ثمّ أخذ اللواء جعفر بن أبي طالب فنزل عن فرس له شقراء فعرقبها فكانت أوّل فرس عرقبت في الإسلام وقاتل حتى قتل رضي الله عنه ثمّ أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فقاتل حـتى قتل رضي الله عنه عنه فاصطلح الناس على خالد بن الوليد فأخذ اللواء وانكشف الناس فكانت الهزيمة فتبعهم المشركون فقتل من قتل من المسلمين ورفـعت الأرض لرسول الله حتى نظر إلى معترك القوم وبهذا الوضع المؤسف انتهت وقـعة مـؤتة ورجع فلّهم إلى رسول الله ﷺ .

فتح مكة

قال ابن الأثير (١): وأقام رسول الله بعد غزوة مؤتة جمادي الآخرة ورجباً ثمّ انّ بني بكر بن عبد مناة عدت على خزاعة وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له الوتير وكانت خزاعة في عهد رسول الله وبكر في عهد قريش في صلح الحديبية وكان سبب ذلك انّ رجلاً من بني الحضرمي اسمه مالك بن عباد وكان حليفاً للأسود بن رزن الديلي ثمّ البكري في الجاهلية خرج تاجراً فلما كان بأرض خزاعة قتلوه وأخذوا ماله فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه فعدت خزاعة على بني الأسود بن رزن وهم سلمى وكلثوم وذؤيب فقتلوهم بعرفة عند انصباء الحرم وكانوا من أشراف بني بكر فبينما خزاعة وبكر على ذلك جاء الإسلام واشتغل الناس به فلما كان صلح الحديبية ودخلت خزاعة في عهد النبي ودخلت بكر في عهد قريش اغتنمت بكر تيك الهدنة وأرادوا أن يصيبوا من خزاعة ثأرهم بقتل بني الأسود فخرج نوفل بن معاوية الديلي بمن تبعه من بكر حتى بيّت خزاعة على ماء الوتير وقيل كان سبب ذلك انّ رجلاً من خزاعة سمع رجلاً من بكر ينشد هجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فشجّه فهاج الشر بينهم وثارت بكر بخزاعة حتى بيّتوهم بالوتير وأعانت قريش بني بكر على خزاعة بسلاح ودواب وقاتل معهم جماعة من قريش مختفين منهم صفوان بن امية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو فانحازت خزاعة إلى الحرم وقتل منهم نفر فلما دخلت خزاعة الحرم قالت بكر: يا نوفل انا قد دخلنا الحرم إلهك إلهك، فقال كلمة عظيمة: لا إله له اليوم يا بني بكر أصيبوا ثأركم فلعمري انكم لتسرقون في الحرم

---

(١) في تاريخه: ج ٢ ص ١٦١ وما بعدها.

أفلا تصيبون ثاركم فيه فلما نقضت بكر وقريش العهد الذي بينهم وبين النبي بما استحلت من خزاعة خرج عمرو بن سالم الخزاعي ثمّ الكعبي حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة فوقف عليه وهو في المسجد جالس بين ظهراني الناس ثمّ قال:

يا ربّ اني ناشد محمّداً   حليف أبينا وأبيه الاتلدا

في أبيات من جملتها:

انّ قريشاً أخلفوك الموعدا   ونقضوا ميثاقك المؤكدا

فقال رسول الله ﷺ: قد نصرت يا عمرو بن سالم، ثمّ عرض لرسول الله ﷺ عنان من السماء فقال: انّ هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب وكان بين عبد المطلب وخزاعة حلف قديم فلهذا قال عمرو بن سالم حلف أبينا وأبيه الأتلدا، ثمّ خرج بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدموا على النبي المدينة فأخبروه الخبر ثمّ انصرفوا راجعين إلى مكة، وكان رسول الله قد قال للناس: كأنكم بأبي سفيان قد جاء ليجدد العهد خوفاً ويزيد في المدة ومضى بديل فلقي أبا سفيان بعسفان يريد النبي ليجدد العهد خوفاً منه فقال لبديل: من أين أقبلت؟ قال: من خزاعة في الساحل وبطن هذا الوادي، قال: أو ما أتيت محمّداً؟ قال: لا، فقال أبو سفيان لأصحابه لما راح بديل: انظروا بعر ناقته فإن جاء المدينة لقد علف النوى فنظروا بعر الناقة فرأوا فيه النوى ثمّ خرج أبو سفيان حتى أتى النبي فدخل على ابنته ام حبيبة زوج النبي فلما أراد أن يجلس على فراش رسول الله طوته عنه فقال: ما أدري أرغبت به عني أم رغبت بي عنه فقالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت مشرك نجس فلم أحب أن تجلس عليه، فقال: لقد

أصابك يا بنية بعدي شر ، فقالت : بل هداني الله للاسلام .

ثمّ خرج حتى أتى النبي فكلمه فلم يرد عليه شيئاً ثمّ أتى أبا بكر فكلمه ليكلم له رسول الله فقال : ما أنا بفاعل ، وهكذا صنع معه عمر ثمّ خرج حتى أتى علـيّاً وعنده فاطمة والحسن غلام يدبّ بين يديها فكلمه في ذلك فقال له : لقـد عـزم رسول الله على أمر لا نستطيع أن نكلمه فيه ، والتفت إلى فاطمة فقال : يـا بـنت محمّد هل لك أن تأمري ابنك هذا أن يجير بين الناس فيكون سيد العرب ، فقالت : ما بلغ ابني أن يجير بين الناس وما يجير على رسول الله أحد فالتفت إلى عـليّ فقال له : أرى الأُمور قد اشتدت عليّ فانصحني ، قال : أنت سيد كنانة فقم فأجر بين الناس ثمّ الحق بأرضك فقام أبو سفيان في المسجد فقال : أيّـها النـاس قـد أجرت بين الناس ثمّ ركب بعيره وقدم مكة وأخبر قريشاً بما جرى له وما أشار له علي عليه فقالوا له : والله ما زاد على أن سخر بك ، ثمّ انّ رسول الله تجهز وأمـر الناس بالتجهز إلى مكة ، وقال : اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها فكتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش يعلمهم الخبر وسيّره مع امرأة من مزينة وقيل مع سارة مولاة لبني المطلب تعلمهم الخبر فأرسل رسول الله عليّاً والزبير فأدركاها بالحليفة وأخذا منها الكـتاب وجـاءا بـه إلى رسـول الله فأحضر حاطباً وقال له : ما حملك على هذا ، فقال : والله اني لمؤمن بالله ورسوله ما بدلت ولا غيرت ولكن لي بين أظهرهم أهل وولد وليس لي عشيرة فصانعتهم عليهم ، فقال عمر : يا رسول الله دعني أضرب عنقه فإنّه قد نافق ، فقال رسول الله وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم .

اقـول : قد استفاضت هذه الكلمة في أُصول أبناء التسنن ولكنها لا تنطبق مع موازين الإسلام فإنّه ليس من أُصول الإسلام أن يهدم حضور بـدر فـضلاً عـن

السابق من الذنوب ما يجنيه البدري بعد ذلك إلى أن يموت بل لا قائل به فضلاً عن كونه مردوداً من جهة المنطق ودليل العقل فإنّ الحسنة ومهما ضخمت لا تذهب السيئات الطارئة على الإطلاق مضافاً إلى انّ مفاد هذه الكلمة ـ اعملوا ما شئتم ـ اغراء للمكلفين بالجهل وهو بنفسه يناقض ما لأجله ألقيت التكاليف على عواتق المكلفين.

قال: ثمّ مضى رسول الله واستخلف على المدينة ابارهم كلثوم بن حصين الغفاري وخرج لعشر مضين من رمضان ـ سنة ثمان ـ وفتح مكة لعشر بقين منه واستوعب معه المهاجرون والأنصار وخرجت سليم في سبعماءة ومزينة في ألف وفي كل القبائل عدد واسلام وأدركه عيينة بن حصن الفزاري بالعرج والأقرع بن حابس بالسقيا ولقيه العباس بن عبد المطلب بالجحفة وقيل بذي الحليفة مهاجراً فأمره رسول الله ﷺ أن يرسل رحله إلى المدينة ويعود، وقال له: أنت آخر المهاجرين وأنا آخر الأنبياء.

أقول: قد استفاض عن النبي الأكرم ﷺ انّه قال: لا هجرة بعد الفتح أو ما هو بهذا المضمون ويشفعه المنطق، فإنّ مكة قبل الفتح كانت كانون الشرك ومأوى المشركين وقوة لكل من يريد نبي الإسلام ودينه بسوء ولذلك لم يستطع المسلم فيها ولا في غيرها أن يجهر باسلامه خوفاً من المشركين فيهيب به الوضع الجائر إلى الهجرة بدينه إلى المدينة بعد هجرة رسول الله اليها كما سبقت الهجرة إلى الحبشة زمان كان النبي في مكة لم يهاجر بعد فبعد أن فتحت مكة قهراً على اهلها ذلّت الجزيرة بنوعها لعزة الإسلام فكان المسلم حراً أينما يكون فلم يكن تحركه من مكان إلى مكان من دواعي احراز دينه وتظاهره به بل يعدّ شبه سفر، وما يكون هذا شأنه لا يكون هجرة.

ووجه آخر: وهو انّ اسلام كل من أسلم قبل فتح مكة كان نوعاً عن عقيدة

جازمة راسخة وايمان حقيقي بدعوة الإسلام ونبيه، وأمّا مسلمة الفتح خصوصاً أهل مكة فلم يكن اسلامهم إلّا خضوعاً للوضع القاهر لا أكثر، وامّا عقائدهم فتلك العقائد الوثنية التي كانوا عليها قبل يوم الفتح وسيأتي ما يدل على ذلك بوضوح فحركة أمثال هؤلاء من مكان إلى مكان ولو كان بعنوان الانتقال لا يعدّ هجرة بالمعنى الذي آنفناه وليس للهجرة معنى في لسان الشريعة إلّا هو ووجهه واضح جدّ الوضوح ومن هنا قال النبي للعباس: أنت آخر المهاجرين لأنّ هجرته إلى دار الإسلام كانت قبل الفتح والعباس أظهر الإسلام معتقداً له لا كما أظهره أبو سفيان ونظراؤه فإنّ رائحة الشرك لا تزال تظهر منهم وعليهم إلى أن ماتوا وفقرات التاريخ الثابت آية ذلك.

قال: ولقيه أيضاً مخرمة بن نوفل وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي امية بنقب العقاب فالتمسا الدخول على رسول الله ﷺ وكلمته أُم سلمة فيهما وقالت له: ابن عمك وابن عمتك وصهرك، قال: لا حاجة لي بهما امّا ابن عمي فهتك عرضي وامّا ابن عمتي وصهري فهو الذي قال بمكة ما قال فلما سمعا ذلك وكان مع أبي سفيان ابن له اسمه جعفر قال: والله ليأذنن لي أو لآخذن بيد ابني هذا ثمّ لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً، فلما بلغ ذلك رسول الله رقّ لهما فأذن لهما فدخلا عليه فأسلما، وقيل انّ عليّاً قال لأبي سفيان بن الحارث ائت رسول الله من قبل وجهه فقل له ما قال اخوة يوسف ليوسف ﴿ **تالله لقد آثرك الله علينا وان كنّا لخاطئين** ﴾ فإنّه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه فعلاً ولا قولاً ففعل ذلك فقال له رسول الله ﷺ ﴿ **لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين** ﴾ وقرّبهما فأسلما وقدم رسول الله ﷺ مرّ الظهران في عشرة آلاف فارس فلما نزل ﷺ هذا المنزل قال العباس بن عبد المطلب: يا هلاك قريش والله لئن بغتها رسول الله في بلادها فدخل عنوة انّه

لهلاك قريش إلى آخر الدهر فجلس على بغلة النبي وقال: اخرج إلى الأراك لعلّي أرى حطّاباً أو رجلاً يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله فيأتونه ويستأمنونه قال فخرجت أطوف في الاراك إذ سمعت صوت أبي سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء الخزاعي قد خرجوا يتجسسون الخبر فقال أبو سفيان: ما رأيت نيراناً قط أكثر من هذه فقال بديل هذه نيران خزاعة فقال أبو سفيان خزاعة أذل من ذلك فقلت: يا أبا حنظلة ـ وهي كنية أبي سفيان ـ فقال أبو الفضل قلت نعم قال لبيك فداك أبي وامي ما وراءك فقلت: هذا رسول الله في المسلمين أتاكم في عشرة آلاف، قال: ما تأمرني، قلت: تركب معي فاستأمن لك رسول الله فوالله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فردفني فخرجت أركض به نحو رسول الله فكلما مررت بنار من نيران المسلمين ونظروا إليّ يقولون عم رسول الله على بغلة رسول الله حتى مررنا بنار عمر بن الخطاب فقال أبو سفيان: أي أنت أو هذا أبو سفيان: الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ثمّ اشتد نحو النبي وركضت البغلة فسبقت عمر ودخل عمر على رسول الله فأخبره وقال: دعني أضرب عنقه فقلت: يا رسول الله اني قد أجرته، فلما أكثر فيه عمر قلت مهلاً يا عمر فوالله ما تصنع هذا إلّا انّه رجل من بني عبد مناف ولو كان من بني عدي ما قلت هذه المقالة فقال: مهلاً يا عباس فوالله لأسلامك يوم أسلمت كان أحبّ إليّ من اسلام الخطاب لو أسلم، فقال رسول الله اذهب فقد أمناه حتى تغدو عليّ به بالغداة فرجعت به إلى منزلي فلما أصبح غدوت به على رسول الله ﷺ فلما رآه قال: ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلّا الله، قال: بلى بأبي أنت وأُمي يا رسول الله لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئاً فقال: ويحك ألم يأن لك أن تعلم إني رسول الله فقال: بأبي أنت وامي أمّا هذه ففي النفس منها شيء، قال العباس: فقلت له: ويحك اشهد شهادة الحق قبل أن تضرب عنقك قال: فتشهد.

أقـول: إن يكن قال كلمة الشهادة في حضور النبي فهو لم يعتقدها قلباً وقالباً فانك بعد أسطر ستقرأ قوله للعباس: لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً، قال هذه المقالة بعد اظهاره لكلمة الشهادة كما ستقرأ قوله عـندما انـهزم المسـلمون فـي حنين مظهراً للماتة آنساً بهزيمة أصحاب النبي عن لسان ابن اسـحاق [١]: لمـا انهزم الناس ورأى من كان مع رسول الله ﷺ من جفاة أهل مكة الهزيمة تكلم رجال منهم بما في أنفسهم من الضغن فقال أبـو سـفيان بـن حـرب: لا تـنتهي هزيمتهم دون البحر، وان الأزلام لمعه في كنانته إلى غير ذلك من الموارد التـي نشير اليها في أمكنتها فمثل هذه الذوات الغارقة في الوثنية التي بارزت جهدها وبما تملك من قوة وحول كلمة الإسلام ونبيه وأصحرت بما تكنّ ضمائرها من كل خبث ولؤم وضغينة حارة يستحيل عليها أن تلتفت لفت الإسلام ببضع دقائق فإنّ العقيدة ليست من قبيل الاصباغ التي تعطي مـفعولها بـالآونة القـصيرة بـل تحتاج إلى إقبال في النفس أوّلاً لتلقي المطالب الحقة ومن بعد ذلك تشرع فـي عرضها على النفس من الوجهة المنطقية فإذا قبلتها وأذعنت بها برهاناً اخـذت تروض نفسها الشيء بعد الشيء حتى تسلو ما كانت عـليه سـابقاً لينـتمركز مـا اعتقدته لاحقاً وهذه المقدمات كلها معدومة في أبي سفيان ونظير أبي سفيان كما رأيت وكما سترى، على انّ أمثال هذا الرجل لم يعاصروا النبي مظهرين للاسلام إلّا مدة وجيزة ومع ذلك كانوا فيها بعيدين عنه داراً ومزاراً فلم يتأثروا بـتعاليمه التي يلقيها على حاضريه ولم يتمرنوا على دينه الذي استجدوه وبعد وفاته ﷺ حدثت قلاقل السقيفة فنجم نفاق أبي سفيان وتذبذبه الصريح وارتد أكثر أهـل البوادي فهوّنت هذه الحوادث على مردة أهل مكة أمر الإسـلام وان لم يـنبذوه

---

(١) السيرة الهشامية: ج ٢ ص ٤٤٣.

صريحاً ويعاودوا الشرك الصريح جهاراً خصوصاً وهم يجدون المتصدين لزعامة الإسلام أُناساً غير موزونين عندهم من جهة المعنويات بميزان راجح كابن أبي قحافة وابن الخطاب وابن عفان، نعم سيطر الإسلام عليهم في زمان هؤلاء المشايخ وبالأخص الأولين منهم بالقهر والغلبة القامعة فلم يستطيعوا تفلتاً على الدين واظهاراً للشرك وازدراء بالمشايخ المذكورين وان كانت مراحلهم العملية لا تقلّ عن أعمال الشرك الصريح من ارتكاب محرمات الشريعة والتهاون بوظائفها كما سيجيء البحث عن ذلك مفصلاً في بابه فعدّ أمثال هؤلاء في المسلمين فضلاً عن نظمهم في سلك الصحابة من الأغلاط الواضحة وان لجّ فيها أبناء التسنن مكابرة وعناداً ولا غرض لنا في المكابر العنود.

قال: وأسلم معه حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء وقال رسول الله للعباس: اذهب فاحبس أبا سفيان عند خطم [١] الجبل بمضيق الوادي حتى تمرّ عليه جنود الله فقلت: يا رسول الله انّه يحب الفخر فاجعل له شيئاً يكون له عزاً في قومه، فقال: نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن.

أقول: ذكر صاحب الهامش على هذا الموضع من تاريخ ابن الأثير فقال: انّ بعض العلماء رأى علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه في النوم فقال له: انكم لما فتحتم مكة قلتم: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ولما ملك بنو امية بامارة يزيد قتلوا الحسين ومن معه أكثر من سبعين هاشمياً، فقال: أما سمعت أبيات ابن صيفي ـ وهو المشهور بحيص بيص ـ قال: لا، قال: اذهب فاسمعها منه فلما ذهب إليه حلف انّه لم يسمعها منه أحد لأنّه قالها في تلك الليلة وهي:

---

(١) خطم الجبل أنفه وهو المضيق يكون فيه.

ملكنا فكان العفو منا سجيّة　　فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وحللتم قتل الأسارى وطالما　　مننا على الأسرى فنعفو ونصفح
وحسبكم هذا التفاوت بيننا　　فكل إناء بالذي فيه ينضح

قال: ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن.

أقول: هذه الفقرة التي اطردها ابن الأثير قلّما يذكرها غيره ـ قال ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن، قال العباس: فخرجت به فحبسته عند خطم الجبل فمرت عليه القبائل فيقول من هؤلاء فأقول: أسلم فيقول مالي ولأسلم ويقول من هؤلاء؟ فأقول: جهينة، فيقول: مالي ولجهينة حتى مرّ رسول الله في كتيبته الخضراء مع المهاجرين والأنصار في الحديد لا يرى منهم إلّا الحدق فقال: من هؤلاء؟ فقلت: هذا رسول الله في المهاجرين والأنصار، فقال: ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة، لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً، فقلت: ويحك انها النبوة، فقال: نعم إذاً.

أقول: ما أبرد هذا الجواب وأبعد هذا الاستدراك عن الواقع، فقلت: الحق بقومك سريعاً فحذّرهم فخرج حتى أتى مكة ومعه حكيم بن حزام فصرخ في المسجد يا معشر قريش هذا محمّد قد جاءكم بما لا قبل لكم به، فقالوا: فما، قال: قال من دخل داري فهو آمن، قالوا: ويحك وما تغني عنا دارك، فقال: ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن، ثمّ قال: يا معشر قريش أسلموا تسلموا ـ أي من ايقاع محمّد بكم بدليل ما بعده ـ فأقبلت امرأته هند فأخذت بلحيته وقالت: يا آل غالب اقتلوا هذا الشيخ الأحمق، فقال: أرسلي لحيتي وأقسم لئن لم تسلمي أنت لتضربنّ عنقك ادخلي بيتك فتركته وبعث رسول الله في أثرهما ـ أي أثر أبي سفيان وحكيم بن حزام ـ الزبير وأمره أن يدخل ببعض

الناس من كداء[1] وكان على الجنبة اليسرى وأمر سعد بن عبادة أن يدخل ببعض الناس من كدى فقال سعد حين وجهه اليوم يوم الملحمة فسمعها بعض المهاجرين فأعلم رسول الله بها فقال لعلي بن أبي طالب: أدركه فخذ الراية منه وكن أنت الذي تدخل بها، وأمر خالد بن الوليد أن يدخل من اسفل مكة في بعض الناس وكان معه أسلم وغفار ومزينة وجهينة وقبائل من العرب ولما وصل رسول الله ﷺ إلى ذي طوى وقف على راحلته وهو معتجر بشقة برد حبرة أحمر وقد وضع رأسه تواضعاً لله تعالى حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح حتى انّ أسفل لحيته لتمسّ واسطة الرحل ثمّ تقدم ودخل من اذاخر بأعلاها وضربت قبته هناك وكان عكرمة بن أبي جهل وصفوان بن امية وسهل بن عمر وقد جمعوا ناساً بالخندمة ليقاتلوا ومعهم الأحابيش وبنو بكر وبنو الحارث بن عبد مناة فلقيهم خالد بن الوليد فقاتلهم فقتل من المسلمين ثلاثة عشر رجلاً ثمّ انهزم المشركون وكان مع عكرمة حماس بن قيس وكان قد قال لامرأته لآتينك بخادم من أصحاب محمّد فلما عاد اليها منهزماً قال لها اغلقي عليّ بابي، فقالت له تستهزىء به: أين الخادم؟ فقال:

انك لو شهدت يوم الخندمة — إذ فرّ صفوان وفرّ عكرمة
لم تنطقي في اللوم أدنى كلمة

وكان رسول الله قد عهد إلى امرائه أن لا يقتلوا أحداً إلّا من قاتلهم فلما انهزم المشركون وأراد المسلمون دخول مكة قام في وجوههم نساء مشركات يلطمن وجوه الخيل بالخمر وقد نشرن شعورهن فرآهن رسول الله وإلى جنبه أبو بكر

---

(١) كداء كساء جبل بأعلا مكة وكدى كقرى جبل بأسفل مكة.

فتبسم رسول الله وقال: يا أبا بكر كيف قال حسان فأنشده:

تكاد جيادنا مستمطرات ... يلطّمهن بالخمر النساء

وكان رسول الله ﷺ قد أمر بقتل ثمانية رجال وإن وجدوا تحت أستار الكعبة، وأربع نسوة، فأمّا الرجال فمنهم عكرمة بن أبي جهل كان يشبه أباه في إيذاء الرسول فلما فتح النبي مكة خافه على نفسه فهرب إلى اليمن وأسلمت امرأته أُم حكيم بنت الحارث بن هشام فاستأمنت له وخرجت في طلبه فأدركته وهو يريد ركوب البحر فقالت جئتك من عند أوصل الناس وأحلمهم وأكرمهم وقد أمنك فرجع وأسلم ومنهم صفوان بن امية بن خلف وكان أيضاً شديداً على النبي فهرب خوفاً منه إلى جدة فقال عمير بن وهب الجمحي يا رسول الله ان صفوان سيد قومي وقد خرج هارباً منك فأمنه، قال: هو آمن وأعطاه عمامته التي دخل بها مكة ليعرف بها أمانه فخرج بها عمير فأدركه بجدة فأعلمه بأمانه وقال: انّه أحلم الناس وأوصلهم وانّه ابن عمك وعزه عزك وشرفه شرفك قال: اني أخافه على نفسي، قال: هو أحلم من ذلك، فرجع صفوان وقال للرسول: انّ هذا يزعم انك أمنتني، قال: صدق، قال: اجعلني بالخيار شهرين، قال: أنت فيه أربعة أشهر، فأقام معه كافراً وشهد معه حنيناً والطائف.

ومنهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح من بني عامر بن لؤي وكان قد أسلم وكتب الوحي للرسول فكان إذا تلا عليه عزيز حكيم يكتب عليم حكيم وأشباه ذلك ثمّ ارتد وقال لقريش: اني أكتب أحرف محمّد في قرآنه حيث شئت ودينكم خير من دينه، فلما كان يوم الفتح فرّ إلى عثمان بن عفان وكان أخاه من الرضاعة فغيّبه عثمان حتى اطمئن الناس ثمّ أحضره عند الرسول وطلب له الأمان فصمت النبي طويلاً ثمّ أمنه فأسلم وعاد، فلما انصرف قال رسول الله لأصحابه لقد صمتّ

ليقتله أحدكم فقالوا هلّا أومأت إلينا فقال: ما كان للنبي أن يقتل بالاشارة انّ الأنبياء لا تكون لهم خائنة الأعين.

أقول: وقد راج هذا الخبيث المستهزء بالله وبالرسول عند المشايخ الذين تربعوا على مسند الخلافة بعد النبي ﷺ فكان من كبار الولاة عندهم وأهل الحقائق والسوابق يعاينون إلى هذه المناصب من بعيد لا يكال لشخصياتهم الحشف البالي ـ لا يقال ـ ان المشايخ إنّما استعملوا مثل ابن أبي سرح والوليد بن عقبة والمغيرة بن شعبة وأخّروا أهل السوابق والحقائق من مهاجري وأنصاري لأنّ اولئك كانوا واجدين لمؤهلات الرياسة وادارة الأُمور بلون لم يكن عند الآخرين وهو الذي أوجب تقدمهم ـ لأنّا نقول ـ ليس الأمر كذلك وان أمثال ابن أبي سرح لم يكن ما يدّعي لهم من الدهاء والحنكة مصروفاً إلى منافع الناس العامة ولا مصوناً ببرامج الشريعة بل كانوا من ناحية يراعون ميولهم وأهوائهم ومن ثانية لا يهتمون لوظائف الشريعة إلّا بما يخافون من مخالفته الوضع السائد وسنقوم بتحرير ذلك فيما يجيء.

ومنهم عبد الله بن خطل وكان قد اسلم فأرسله رسول الله مصدقاً ومعه رجل من الأنصار وغلام له رومي قد أسلم فكان الرومي يخدمه ويصنع له الطعام فنسي يوماً أن يصنع له طعاماً فقتله وارتدّ وكان له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله فقتله سعيد بن حريث أخو عمرو بن حريث وأبو برزة الأسلمي اشتركا في دمه.

ومنهم الحويرث بن نقيذ بن وهب بن عبد بن قصي وكان يؤذي رسول الله بمكة وينشد الهجاء فيه فلما كان يوم الفتح هرب من بيته فلقيه علي بن أبي طالب فقتله.

ومنهم مقيس بن صبابة وإنّما أمر بقتله لأنّه قتل الأنصاري الذي قتل أخاه هشاماً خطئاً وارتد فلما انهزم أهل مكة يوم الفتح اختفى بمكان هو وجماعة

وشربوا الخمر فعلم به نميلة بن عبد الله الكلبي فأتاه فضربه بالسيف حتى قتله.

ومنهم عبد الله بن الزبعري السهمي وكان يهجو رسول الله بمكة ويعظم القول فيه فهرب يوم الفتح هو وهبيرة بن أبي وهب المخزومي زوج ام هاني بنت أبي طالب إلى نجران فأما هبيرة فأقام بها مشركاً حتى هلك وامّا ابن الزبعري فرجع إلى رسول الله لما لم ير بدأً من الرجوع وأسلم لما لم يسعه إلّا الإسلام.

ومنهم وحشي بن حرب قاتل حمزة هرب يوم الفتح إلى الطائف ثمّ قدم في وفد أهله على رسول الله وهو يتلو كلمة الشهادة فقال: أوحشي؟ قال: نعم، قال: أخبرني كيف قتلت عمي فأخبره فبكى ثمّ قال غيّب وجهك عني.

وهرب حويطب بن عبد العزى فرآه أبو ذر في حائط فأخبر النبي بمكانه فقال: أوليس قد امنّا الناس إلّا من قد أمرنا بقتله فأخبره بذلك فجاء إلى النبي فأسلم قيل انّه دخل يوماً على مروان بن الحكم وهو على المدينة فقال له مروان: يا شيخ تأخر اسلامك فقال: لقد هممت به غير مرة فكان يصدني عنه أبوك.

وامّا النساء فمنهن هند بنت عتبة وكان رسول الله أمر بقتلها لما فعلت بحمزة ولما كانت تؤذي رسول الله بمكة فجاءت إليه مع النساء متخفية فأسلمت.

ومنهن سارة وهي مولاة عمرو بن عبد المطلب وهي التي حملت كتاب حاطب بن أبي بلتعة في قول بعضهم وكانت قدمت على رسول الله مسلمة فوصلها فعادت إلى مكة مرتدة فأمر بقتلها فقتلها علي بن أبي طالب.

ومنهم قينتا عبد الله بن خطل وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله فأمر بقتلهما فقتلت احداهما وفرّت الأُخرى وتنكرت وجاءت إلى رسول الله فأسلمت.

ولما دخل رسول الله مكة كانت عليه عمامة سوداء فوقف على باب الكعبة وقال: لا إله إلّا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ألا كل دم أو مأثرة أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلّا سدانة البيت وسقاية الحاج، ثمّ

قال: يا معشر قريش ما ترون اني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء، فعفا عنهم وكان الله قد أمكنه منهم وكانوا له فيئاً فلذلك سمى أهل مكة الطلقاء.

أقول: من هذا الموقف وحده للنبي فضلاً عن بقية مواقفه تستظهر روحه العظيمة التي تبطنت فيه بما لم يكن قليل منها في كافة الخلق فانك قد قرأت الحديث عن مقاومة قريش للنبي بصورها المتنوعة من التوهين اليدوي واللساني والاجلاب عليه ليلاً ونهاراً بشتى الطرق المقدورة لهم وقرأت كيف زاحموا المسلمين على أرواحهم فضلاً عن عقائدهم وكان المسلم إذا سقط اليهم في مكة عدوّ قتله من أنفس الشهوات التي يتعللون بها ولعل حديث اسيري وقعة الرجيع ليس ببعيد عنك ومع هذه الحزازات المعرقة تجد النبي الأكرم فضلاً عن تأمينه لأبي سفيان الذي لو عثر بمحمد كما عثر به محمّد لفعل به من المثلة والتشويه في قتله ما يعود تمثيلهم بحمزة بازاء ابداعه الجديد حديثاً لا يسترعى السمع ولا يستوقف النظر يجعل داره مثابة وأمناً ويعطيه له ولأولاده يوم حنين مئات الابل ووفير العطاء بما لم تنل أقل القليل منه جماعة الأنصار الذين آووا النبي وأفنوا أنفسهم وأموالهم في حروبه صوناً له ولأتباعه ولدعوته وبنظير ما عمله مع أبي سفيان فعل بكافة ملاحدة قريش الأشداء وهذا صنع لم يقع لكافة الفاتحين في العالم مع حفظ ألوان مقدماته ومقارناته الخارجية نعم حصل لكثير من الملوك الفاتحين عفو عام عمن غزوه ففتحوه لكن هؤلاء الفاتحين إنّما يريدون الناس عدواناً للتحكم عليهم صرفاً فقد يقابلهم الطرف بحشد الجيوش والتحصن بالحصون فينقهر للفاتح على عدم حزازة آنفة وعدم كل سابقة جارحة ومثل هذا العفو لا يعدّ عفواً فضلاً عن كونه مما يستحق عليه صاحبه التبجيل والتكريم.

إذاً فمثل هذا ليس بشيء من القياس إلى ذاك من كافة وجوهه وبه يعظم كيان النبي الذي لم يعد ان يكون واحداً من أهل الجزيرة العربية نشأ نشأتهم وعاش في محيطهم لم يتجاوزه فكانت أخلاقه معاكسة لأخلاق أهله معاكسة النقيض لنقيضه، وما ذاك إلّا بتعليم الله وبعثه إلى تحقيق أعلا المكارم وأشرف الأخلاق لتمتاز شخصيته ونفسيته على كل الشخصيات والنفسيات.

قال: وطاف بالكعبة سبعاً ودخلها وصلّى فيها ورأى فيها صور الأنبياء فأمر بها فمحيت وكان على الكعبة ثلاث مأة وستون صنماً وكان بيده قضيب فكان يشير به إلى الأصنام وهو يقرأ قل جاء الحق وزهق الباطل انّ الباطل كان زهوقا فلا يشير إلى صنم منها إلّا سقط لوجهه ثمّ جلس ﷺ للبيعة على الصفا واجتمع الناس ليبايعوه فكان يبايعهم على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا فكانت هذه بيعة الرجال وامّا بيعة النساء فإنّه لما فرغ من بيعة الرجال أتاه نساء من نساء قريش فقال لهن تبايعنني على أن لا تشركن بالله شيئاً ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن ولا تعصينني في معروف فكانت بيعتهن على ذلك.

ولما جاء وقت الظهر أمر رسول الله بلالاً أن يؤذن على ظهر الكعبة وقريش فوق الجبال فمنهم من يطلب الأمان ومنهم من قد أمن فلما أذّن وقال أشهد أنّ محمّداً رسول الله قالت جويرية بنت أبي جهل لقد أكرم الله أبي حين لم يشهد نهيق بلال فوق الكعبة، وقال خالد بن أسد أخو عثمان بن أسد لقد أكرم الله أبي فلم ير هذا اليوم، وقال الحارث بن هشام: ليتني متّ قبل هذا اليوم، وقال جماعة نحو هذا القول ثمّ أسلموا ـ اهملخصاً ـ.

أقول: ليس اسلامهم مع هذه الروحيات التي عاشوا بها وماتوا عليها مما يعتدّ به وإنّما أحرزوا بذلك أوطانهم وأموالهم وأنفسهم وأعراضهم صرفاً.

قال ابن هشام [١]: وبلغني عن يحيى بن سعيد انّ النبي ﷺ حين افتتح مكة ودخلها قام على الصفا يدعو الله وقد أحدقت به الأنصار فقالوا فيما بينهم أترون رسول الله ﷺ إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها فلما فرغ من دعائه قال: ماذا قلتم ؟ قالوا: لا شيء يا رسول الله، فلم يزل بهم حتى أخبروه، فقال النبي: معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم.

أقول: ولا ريب فيما قال لهم فإنّه أوفى الناس ذمة للأعداء الألداء فكيف به مع الأصحاب الأصفياء الذين واسوه في كل شيء يقدرون عليه من النفس والنفيس على انّه لا حاجة لهم بكل ما بذلوه من عزيز نفس ونفيس وإنّما الحاجة للنبي وحده فخدمة الأنصار لله ولرسوله خدمة تقدر وتشكر جهد مدلول هاتين الكلمتين رضي الله عمن استقام منهم على الطريقة الحقة حتى مات فإنّهم بذلك أحرياء وأولى من كل أحد به انصافاً والله وليّ الجزاء.

مسير خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بني جذيمة من كنانة ومسير عليّ لتلافي خطأ خالد

قال ابن اسحاق [٢]: وقد بعث رسول الله ﷺ فيما حول مكة السرايا تدعو إلى الله عزوجل ولم يأمرهم بقتال وكان ممن بعث خالد بن الوليد وأمره أن يسير بأسفل تهامة داعياً ولم يبعثه مقاتلاً فوطىء بني جذيمة فأصاب منهم، قال ابن اسحاق فحدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف عن أبي جعفر محمّد بن علي قال: بعث رسول الله خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعياً ولم يبعثه مقاتلاً ومعه

(١) السيرة الهشامية: ج ٢ ص ٤١٦.

(٢) السيرة الهشامية: ج ٢ ص ٤٢٨ وما بعدها.

قبائل من العرب فوطئوا بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة فلما رآه القوم أخذوا السلاح فقال خالد ضعوا السلاح فإنّ الناس قد أسلموا، قال ابن اسحاق فحدثني بعض أصحابنا من أهل العلم من بني جذيمة قال: لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له جحدم: ويلكم يا بني جذيمة انّه خالد والله ما بعد وضع السلاح إلّا الاسار وما بعد الاسار إلّا ضرب الأعناق والله لا أضع سلاحي أبداً، قال فأخذه رجال من قومه فقالوا يا جحدم أتريد أن تسفك دمائنا انّ الناس قد أسلموا ووضعوا السلاح ووضعت الحرب وأمن الناس فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ووضع القوم السلاح لقول خالد، قال ابن اسحاق: فحدثني حكيم بن حكيم عن أبي جعفر محمّد بن علي قال: فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك فكتفوا ثمّ عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم فلما انتهى الخبر إلى رسول الله رفع يديه إلى السماء ثمّ قال: اللهم إنّي أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد.

قال ابن اسحاق: فحدثني حكيم بن حكيم عن أبي جعفر محمّد بن علي قال: ثمّ دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضوان الله عليه فقال: يا علي اخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك فخرج عليّ حتى جائهم ومعه مال قد بعث به رسول الله ﷺ فودى لهم الدماء وما اصيب لهم من الأموال حتى انّه ليدى لهم ميلغة الكلب حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلّا وداه وبقيت معه بقية من المال فقال لهم علي رضوان الله عليه حين فرغ منهم هل بقي لكم بقية من دم أو مال لم يؤد لكم؟ قالوا: لا، قال: فإنّي أعطيكم هذه البقية من هذا المال احتياطاً لرسول الله مما يعلم ولا تعلمون ففعل ثمّ رجع إلى رسول الله فأخبره الخبر فقال: أصبت وأحسنت، ثمّ قالم رسول الله ﷺ فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه حتى انه ليرى ما تحت منكبيه يقول: اللهم إني

أبرأ اليك مما صنع خالد بن الوليد ثلاث مرات .

قال ابن اسحاق : وقد كان جحدم قال لهم حين وضعوا السلاح ورأى ما يصنع خالد ببني جذيمة يا بني جذيمة ضاع الضرب قد كنت حذرتكم ما وقعتم فيه ، وقد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف فيما بلغني كلام في ذلك فقال له عبد الرحمن بن عوف عملت بأمر الجاهلية في الإسلام ، فقال : إنّما ثأرت بأبيك فقال عبد الرحمن كذبت قد قتلت قاتل أبي ولكنك ثأرت بعمك الفاكه بن المغيرة حتى كان بينهما شرّ فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : مهلاً يا خالد دع عنك أصحابي فوالله لو كان لك أُحد ذهباً ثمّ أنفقته في سبيل الله ما أدركت غدوة رجل من أصحابي ولا روحته .

وأورد البخاري في صحيحه (ج ٣ ص ٤٧) باب بعث النبي خالد بن الوليد إلى بني جذيمة : ما ذكره ابن اسحاق ولكن بلون محرّف فقال حدثنا محمود عن عبد الرزاق عن معمر وحدثني نعيم عن عبد الله عن معمر عن الزهري عن سالم عن أبيه قال : بعث النبي خالد بن الوليد إلى بني جذيمة فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون صبأنا صبأنا فجعل خالد يقتل منهم ويأسر ودفع إلى كل رجل منا أسيره حتى إذاكان يوم من الأيّام أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره فقلت : والله لا أقتل أسيري ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره حتى قدمنا على النبي ﷺ فذكرناه له فرفع النبي يده فقال : اللهم اني أبرأ اليك مما صنع خالد مرتين .

أقول : سوف نتكلم على هذا الحديث وكل حديث يروى في هذه الواقعة بمثل المضمون الذي رواه البخاري .

وأيّد ابن سعد في الطبقات (ج ٣ ص ١٩٥) ما ذكره ابن اسحاق وفنّد بمضمون ما رواه ما قدمناه عن البخاري في صحيحه : فقال سرية خالد بن الوليد

إلى بني جذيمة من كنانة وكانوا بأسفل مكة على ليلة بناحية يلملم في شوال سنة ثمان من مهاجر رسول الله وهو يوم الغميصاء.

قالوا: لما رجع خالد بن الوليد من هدم العزّى ورسول الله مقيم بمكة بعثه إلى بني جذيمة داعياً إلى الإسلام ولم يبعثه مقاتلاً فخرج في ثلاثمائة وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار وبني سليم فانتهى اليهم خالد فقال: ما أنتم قالوا: مسلمون قد صلينا وصدقنا بمحمد وبنينا المساجد في ساحاتنا واذّنا فيها قال فما بال السلاح عليكم؟ قالوا: انّ بيننا وبين قوم من العرب عداوة فخفنا أن تكونوا هم فأخذنا السلاح، قال: فضعوا السلاح، قال: فوضعوه فقال لهم استأسروا فاستأسر القوم فأمر بعضهم فكتف بعضاً وفرّقهم في أصحابه فلما كان من السحر نادى خالد من كان معه اسير فليدافّه والمدافة الاجهاز عليه بالسيف، فأمّا بنو سليم فقتلوا من كان في أيديهم وأمّا المهاجرون والأنصار فأرسلوا أُساراهم فبلغ النبي ما صنع خالد فقال: اللهم اني أبرأ اليك مما صنع خالد، وبعث علي بن أبي طالب فودى لهم قتلاهم وما ذهب منهم ثمّ انصرف إلى رسول الله فأخبره.

وقال الطبري [1]: حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة عن محمّد بن اسحاق عن حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف عن أبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين قال: بعث رسول الله حين افتتح مكة خالد بن الوليد داعياً ولم يبعثه مقاتلاً ومعه قبائل من العرب سليم ومدلج وقبائل من غيرهم فلما نزلوا على الغميصاء وهي ماء من مياه بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة على جماعتهم وكانت بنو جذيمة قد أصابوا في الجاهلية عوف بن عبد عوف أبا عبد الرحمن بن عوف والفاكه بن المغيرة وكانا أقبلا تاجرين من اليمن حتى إذا نزلا بهم قتلوهما

---

(١) في تاريخه: ج ٣ ص ١٢٣ وما بعدها.

وأخذوا أموالهما فلما كان الإسلام وبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد سار حتى نزل ذلك الماء فلما رآه القوم أخذوا السلاح فقال لهم خالد: ضعوا السلاح فإنّ الناس قد أسلموا، ثمّ ساق الطبري كلما سقناه عن ابن اسحاق آنفاً عن السيرة الهشامية حرفاً حرفاً فلا نعيد.

وقال ابن الأثير [١]: وكان رسول الله قد بعث السرايا بعد الفتح فيما حول مكة يدعون الناس إلى الإسلام ولم يأمرهم بقتال وكان ممن بعث خالد بن الوليد بعثه داعياً ولم يبعثه مقاتلاً فنزل على الغميصاء ماء من مياه جذيمة وكانت جذيمة أصابت في الجاهلية عوف بن عبد عوف أبا عبد الرحمن بن عوف والفاكه بن المغيرة عم خالد كانا أقبلا تاجرين من اليمن فأخذت مامعهما وقتلتهما فلما نزل خالد ذلك الماء أخذ بنو جذيمة السلاح فقال لهم خالد: ضعوا السلاح فإنّ الناس قد أسلموا، فوضعوا السلاح فأمر خالد بهم فكتفوا ثمّ عرضهم على السيف فقتل منهم من قتل فلما انتهى الخبر إلى النبي رفع يديه إلى السماء ثمّ قال: اللهم إنّي أبرأ اليك مما صنع خالد، ثمّ أرسل عليّاً ومعه مال وأمره أن ينظر في أمرهم فودى لهم الدماء والأموال حتى انّه ليدي ميلغة الكلب وبقي معه من المال فضلة فقال لهم علي: هل بقي لكم مال أو دم لم يود؟ قالوا: لا، قال: فاني أعطيكم هذه البقية احتياطاً لرسول الله، ففعل ثمّ رجع إلى رسول الله فأخبره فقال: أصبت وأحسنت.

وأورد ابن كثير في البداية والنهاية ما ذكره ابن اسحاق مفصلاً وخلطه بغيره من النقول كما ذكر ذلك هيكل في كتابه حياة محمّد ﷺ ٤١٣ ولكن اختصره اختصاراً ظنّ به تعمية ما جنى خالد بن الوليد في هذه الواقعة المؤلمة.

---

(١) في تاريخه: ج ٢ ص ١٧٣، غزوة خالد بن الوليد بني جذيمة.

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة خالد بن الوليد: وبعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الغميصاء ماء من مياه جذيمة فقتل منهم ناساً لم يكن قتله لهم صواباً فوداهم رسول الله وقال: اللهم إنّي أبرأ اليك مما صنع خالد وخبره بذلك من صحيح الأثر.

أقول: قد كانت الجزيرة العربية قبل الاستيلاء التام للاسلام عليها مثالاً مقبوح المنظر للوحشية من جميع جهاتها ولم يكن فيها منفد لأقل ضوء من سيرة الإنسان المعتدل فقد كان شنّ الغارات من بعضهم على بعض لا لعداء يتصور كسباً كثير الباعة والشراة فانك تأتي إلى الحي من أحيائهم فتجدهم آمنين مطمئنين يملكون أنفسهم وأهليهم وأعراضهم وأموالهم فلا تنكفأ منهم بعد سويعات إلّا وقد اغير عليهم فالمال منتهب والرجال منهم صرعى على وجه البوغاء تمج أوداجهم الدم الطري وآخرون هم ونساؤهم وذراريهم أسرى يعرضون للبيع فيشتريهم المشتري كما يشتري الحيوان الصامت بلا أدنى فرق فتجد الإنسان الحر بعد سويعات عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء يستخدم في جهات الخدمة ولا يعود لحريته إلّا بعد فداء يفتدى به وإلّا ترامت به المعاملات من يد إلى يد ولزق وبه عار العبودية ما دام له نسل في الدنيا وتجد المرأة المحصنة ذات البعل والاطفال بعيدة عن بعلها وأطفالها من غير طلاق وقع بينهما ما مفترشة لانسان آخر ينال منها ما ينال المالك من مملوكته وزوجها ينظر إليه من قريب شاء أو من بعيد وليس به رد هذا العدوان عن ناموسه وام ذراريه فهذا تصوير صغير لوضع كثير الوقوع خطير الثمن في نفس الإنسان.

ويمرّ الغريب على حي من الأحياء عاطشاً أو جائعاً فبدل أن ينال بغيته من طعام أو شراب يأخذه أفراد الحي من عرض طريقه أسيراً فيبيعونه بأي ثمن شاءوا وتصدف الصدف بالرجل منهم على المرأة في غرة منها فإذا استضعفها

أسرها ونال منها الخنا أو فحش بها وأرسلها ، وامّا إذا حصلت لهم عثرة بتاجر مستطرق أو ظعن سائر فذاك مما يعدونه من الغنائم الباردة في ناسه وأجناسه وحيوانه وكلما فيه وعلى طول الخط ترى الفيافي مملوءة بسرّاقهم وكلهم سارقون وتجدهم زرافات ووحدانا هائجين من منازلهم يفتشون على تحصيل مظنة من المظان التي استطردناها آنفاً فلا يصدهم عن ارتكاب أعظم الجرائم أقل وازع انساني لأنّهم ليسوا محلاً لتعاليم الانسانية على اطلاقها وما يتحدث به عن كرم بعضهم وجوده فهو من هذه الطرق النابية والسرقات المفضوحة .

وأمّا حديث الغيرة فيهم فحديث مكذوب لأنّ الذي يقدم على أعراض الناس ليس بغيور لا في نفسه ولا على غيره ، وامّا التحديث عن سائر مكارم الأخلاق فيهم فهو باطل لأنّ ما كانوا عليه لا يلتئم مع أرذل الخلق الانساني فضلاً عن الشريف منه ولا أراني بحاجة إلى أن أبرز لك المصادر التاريخية تشهد بصدق ما كتبت عنهم بل كل كتاب تعرّض لأيامهم وأوضاعهم وأحوالهم تجد فيه آلافاً مؤلفة من طرز ما تحدثنا به وهو واضح مكشوف ، وقد تقدم لك نموذج من ذلك في قتلى الرجيع وبئر معونة وما يحضرك الآن من حديث خالد بن الوليد مع بني جذيمة لون منه أيضاً ، وحقّ لخالد أن يرتكب هذه القضية المفضوحة وتنفرج يداه عن هذا الغدر الرذيل فإنّه ابن أُولئك الطغام الوحوش وليس اتصاله بالاسلام باظهار كلمتي الشهادة مما سلخه عن الوضع العمومي لأهل الجزيرة وصيّره انساناً مسلماً بحق هاتين الكلمتين فإنّ العلم والمعرفة ليسا من أنواع الصبغ الذي يقلب لون الشيء في الآن الواحد من البياض إلى السواد فلا يكون دخول المدرسة وحده من غير تعلم وتدرس سالخاً لجهل الجاهل ومعطياً له الفضل والصلاح بالضرورة ونوع الذين اتصلوا بالاسلام من عرب الجزيرة لم يمتز بهم الدين الجديد عما كانوا عليه من الروحيات إلّا بمجرد لفظ المسلم ومجرد اللفظ

هواء وهراء فلا بدع إذا استرسل أكثر أفراد المسلمين إلى الجهل القومي كما كانوا عليه وكان أسلافهم من قبل.

ولا بدع من النبي إذا اختار السكوت عن كثير من جهلهم لأنّه جدّ قاطع ان تصيير أتباعه أناساً كاملين مما يحتاج إلى دربة وافرة ولا يتأتى ذلك في الزمان القصير، ومن يقف على حديث الافك وحديث ليخرجن الأعزّ منها الأذل وحديث منافقي المدينة معه ﷺ يجد مصاديق ثقيلة الوزن ضخمة العيار صدرت من أتباع محمّد ﷺ في حضور محمّد وجوبه بها خاصة محمّد بصراحة واجهار والنبي المحنك المدرب بتدريب الله تعالى يجد نفسه مجبوراً على الاصاخة لمثل هذه الحوادث وإلّا فليس به أن يتقدم بنفسه ولا أن يقدم دينه شبراً واحداً ومطالعة السيرة النبوية وحدها كافية لاعطاء هذه النتائج، وامّا نفخ الطائفيين في سحر خالد بن الوليد وانّه سيف الله وسيف الرسول كنفخهم في سحر ابن شعبة الغادر الأعور الزاني وكنفخهم في سحر صخر بن حرب وأولاده، ونظير هذه الكتل الجانية العابثة الخارجة بسيرها عن نظام الإنسان الكامل فضلاً عن كونه موصوفاً مع ذلك بالاسلام مما لا قيمة له في سوق العلم وهل يكون سيف الله الذي لا يزال يكرر التوصية في الاحتياط بالدماء والنفوس والأعراض والأموال غادراً نابياً عن سنة الحق متسرعاً إلى الشبهات فاتكاً بخلق الله ـ حاشا الله وتعالى عن ذلك ـ الشرع الاسلامي الذي يكره للانسان أن يكون جازراً قصاباً على انّه لا يذبح إلّا ما يحل ذبحه وأكله يبعد بعداً شاسعاً عن الروية التي كان يتخذها خالد بن الوليد وأشباهه الفاتكون السفاكون ولكن الطائفيين بعد أن انحازت بهم عصبياتهم إلى جانب ما هم عليه تركوا الدفاع عن صميم الدين وراء أظهرهم فجاء سنّيهم يصرّ على انّ عسكر جمل عائشة نزل به جبرئيل من الجنة مثلاً لتركبه أُمّ المؤمنين في اصلاح ذات بين المسلمين في حرب الجمل وجاء

غلاة الشيعة بنقيض ما جاء به خصماؤهم ناسبين ذلك إلى أهل بيت الرسالة بما هم من تعليمه ووقوعهم طرفاً للنسبة إليه بريئون جد البراءة.

ولكن لأبناء التسنن أهداف مرموزة في تشييدهم لشخصية خالد بن الوليد والمغيرة بن شعبة ومعاوية بن أبي سفيان ونظير هؤلاء الزعانف، وذلك هو ارادتهم المباهات بمن ذكروا لزعماء الشيعة من علي وآل علي، ولكن هيهات ضاق بهم القوس منزعاً، فإنّ عليّاً في سيرته الانسانية الإسلامية الداخلية والخارجية من أجلا مجالى نواميس البشرية الحقة والإسلام العملي الصريح ولا يكاد يدانيه في طرائقه العظيمة أعظم المسلمين قدراً وأجلّهم خطراً فيما بين الناس، فإنّ الواقع المكشوف اطلع عليّاً كما اطلع غيره من بين كافة التعصبات حتى شهدتهم الأحدق بأسرها ضاحين غير مستورين وعرفت كلا وما تزيّا به وفرع عنه من صفات وخلال؛ وعلى كل حال فموقف النبي ﷺ في جملة أصحابه وما هو فيه بالحالة التي كشفنا عن زاوية منها لك هو الذي دعاه إلى أن لا يقتل خالداً قوداً وقصاصاً وأن يدي القوم المغدورين به تمام الدية عن كل شيء.

ـ قد يقال ـ يستشم من كلامك أيّها الكاتم انّ النبي كان عاجزاً عن قتل خالد وإلّا فقد كانت وظيفته الشرعية قتله قوداً وعدم الابقاء عليه والمجاملة له قطعاً، فتجاب: نعم كان عاجزاً عن قتل خالد وأشباهه لعلمه انّ ذلك مما يهيج عليه انقلاباً أو شبه انقلاب بدليل انّه كم سكت على أفعال ابن أبيّ شيخ منافقي المدينة الذي كان للنبي في المدينة كما كان أبو جهل وأبو سفيان له ﷺ في مكة وكم جامل أشداء قريش ورضخ وحتى لمشركيهم ما غنمته قوى المسلمين في حرب حنين حتى الجأته المجاملات إلى حرمان الأنصار من النفل بما هيج من عواطفهم وان أسكتهم ببليغ نصحه وخالص محبته لهم وايمانه بايمانهم فهذا

ونظيره من البراهين الواضحة التي تلمسك انّ النبي كان من أصحابه على حذر بل خطر عظيم في كثير من الأحيان ويكفي شاهداً على ذلك أن يصفه أخص أصحابه به ويقول انّه يهجر في أعزّ ساعات اتصال المحب بحبيبه ـ فالله ـ.

وقد كان من واجب خالد إن كان انساناً مسلماً بل وحتى إذا لم يكن بمسلم وكان فيه من التورع والتثبت أقل مسكة فيما رواه له البخاري ـ كما سلف ـ فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون صبأنا صبأنا ان يتأمل في مفهوم كلمتهم وما هو مرادهم منها وان لا يتسرع بسفك دمائهم ولكان من واجبه ان يتوقف عن قتلهم كما توقف أصحابه الذين كانوا معه كما هو منطوق الحديث، فقلت: والله لا أقتل أسيري ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره.

وامّا مساندة أبناء التسنن له بأنّه لم يفهم من قولهم صبأنا انهم أسلموا ولم يكتف إلّا بالتصريح فذلك مما يعود عليهم وعليه جميعاً فقد كان من لازمه أن يتبين تمام التبين فإذا ثبت له ولغيره صراحة كفرهم اعمل السيف فيهم وامّا قولهم في حقه في هذه الواقعة انّه تأول فأخطأ فتلك كلمة لم يفهموا معناها كما لم يفهموا معنى الاجتهاد ومصداق المجتهد ولذلك جاءوا يتناقضون في إطلاق هذه الكلمة وعلى من تصدق فبينا تراهم يصفون بها الجهلاء العاطلين في سوق العلم والفضيلة كخالد بن الوليد فيقولون في حقه تغطية لوجوه جناياته ومخازيه انّه مجتهد تأول فأخطأ، إذا بهم يعتزون بهذه الكلمة على النوابغ من أهل العلم والنظر الفنّانين الذين قضوا أعمارهم في مدارسة العلوم المتنوعة ولا يجيزون اطلاقها إلّا على أئمتهم الأربعة ليس غير، فهذا هو التهور الخليط بالجهل انصافاً وتمام القول يجيء في حديثنا عن المشايخ في مبحث الإمامة.

غزوة رسول الله هوازن بحنين

قال أبو جعفر الطبري[١]: أقام النبي بمكة عام الفتح نصف شهر لم يزد على ذلك حتى جاءت هوازن وثقيف فنزلوا بحنين واد إلى جنب ذي المجاز وهم يومئذ عامدون يريدون قتال النبي ﷺ، وكانوا قد جمعوا قبل ذلك حين سمعوا بمخرج رسول الله من المدينة وهم يظنون انّه إنّما يريدهم حيث خرج من المدينة فلما أتاهم انّه قد نزل مكة أقبلت هوازن عامدين إلى النبي وأقبلوا معهم ثقيف حتى نزلوا حنيناً يريدون النبي، فلما حدّث وهو بمكة أن قد نزلت هوازن وثقيف بحنين يسوقهم مالك بن عوف أحد بني نصر وهو رئيسهم يومئذ عمد النبي حتى قدم عليهم فوافاهم بحنين، ولما أجمع الرسول السير إلى هوازن ليلقاهم ذكر له انّ عند صفوان بن امية أدراعاً وسلاحاً فأرسل إليه فقال: يا أبا أُمية وهو يومئذ مشرك أعرنا سلاحك هذا نلقي فيه عدونا غداً، فقال له صفوان: أغصباً يا محمّد، قال: بل عارية مضمونة حتى نؤديها اليك، قال: ليس بهذا بأس، فأعطاه مأة درع بما يصلحها من السلاح ثمّ خرج رسول الله ومعه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين فتح الله بهم مكة فكانوا اثني عشر ألفاً.

قال ابن سعد[٢]: فانتهى ﷺ إلى حنين مساء ليلة الثلاثاء لعشر ليال خلون من شوال سنة ثمان فبعث مالك بن عوف ثلاثة نفر يأتونه بخبر أصحاب رسول الله فرجعوا إليه وقد تفرقت أوصالهم من الرعب ووجّه رسول الله عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي فدخل عسكرهم فطاف به وجاء بخبرهم، فلما كان من الليل

---

(١) في تاريخه: ج ٣ ص ١٢٥ وما بعدها.

(٢) في الطبقات: ج ٣ ص ٢٠٠.

عمد مالك بن عوف إلى أصحابه فعبأهم في وادي حنين وأوعز اليهم أن يحملوا على محمّد وأصحابه حملة واحدة، وعبّأ رسول الله أصحابه في السحر وصفّهم صفوفاً ووضع الألوية والرايات في أهلها فمع المهاجرين لواء يحمله علي بن أبي طالب وراية يحملها سعد بن أبي وقاص وراية يحملها عمر بن الخطاب ولواء الخزرج يحمله الحباب بن المنذر، ويقال: لواء الخزرج الآخر مع سعد بن عبادة، ولواء الأوس مع اسيد بن حضير، وفي كل بطن من الأوس والخزرج لواء أو راية يحملها رجل منهم مسمّى، وكذلك قبائل العرب فيهم الألوية والرايات يحملها قوم منهم مسمّون.

وانحدر رسول الله في وادي حنين على تعبئة وركب بغلته البيضاء دلدل ولبس درعين ومغفراً وبيضة فاستقبلهم من هوازن شيء لم يروا مثله قط من السواد والكثرة وذلك في غبش الصبح وخرجت الكتائب من مضيق الوادي وشعبه فحملوا حملة واحدة فانكشفت خيل بني سليم مولية وتبعهم أهل مكة وتبعهم الناس منهزمين فجعل رسول الله ﷺ يقول: يا أنصار الله وأنصار رسوله أنا عبد الله ورسوله ورجع ﷺ إلى العسكر وثاب إليه من انهزم وثبت معه يومئذ العباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب والفضل بن عباس وأبو سفيان بن الحارث بن عبد الطلب في نفر آخرين من أهل بيته وأصحابه وجعل يقول للعباس ناد يا معشر الأنصار يا أصحاب السمرة [١] يا أصحاب سورة البقرة، فنادى وكان صيتاً فأقبلوا كأنّهم الابل إذا حنّت إلى أولادها يقولون يا لبيك يا لبيك فحملوا على المشركين فأشرف رسول الله فنظر إلى قتالهم فقال: الآن حمي الوطيس:

---

(١) السمرة: الشجرة التي كانت عندها بيعة الرضوان عام الحديبية.

أنا النبي لا كذب　　　أنا ابن عبد المطلب

قال ابن اسحاق[١]: وكان رجل من هوازن على جمل له احمر بيده راية سوداء في رأس رمح له طويل أمام هوازن وهوازن خلفه إذا أدرك طعن برمحه وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن ورائه فاتبعوه فبينا هذا الرجل يصنع ما يصنع إذ هوى له علي بن أبي طالب ورجل من الأنصار يريدانه قال: فيأتيه علي بن أبي طالب من خلفه فضرب عرقوبي الجمل فوقع على عجزه ووثب الأنصاري على الرجل فضربه ضربة أطنّ قدمه بنصف ساقه فسقط عن رجله صريعاً واجتلد الناس فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله ﷺ.

قال ابن اسحاق: ولما انهزم الناس عن رسول الله ورأى من كان معه ﷺ من جفاة أهل مكة الهزيمة تكلم رجال منهم بما في أنفسهم من الضغن فقال أبو سفيان بن حرب: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، وان الأزلام لمعه في كنانته وصرخ جبلة بن الحنبل وهو مع أخيه صفوان بن امية مشرك في المدة التي جعل له رسول الله ألا بطل السحر اليوم فقال له صفوان: اسكت فضّ الله فاك فوالله لأن يربني[٢] رجل من قريش أحب إليّ من أن يربني رجل من هوازن. وقال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة أخو بني عبد الدار: قلت اليوم أدرك ثأري من محمّد، وكان أبوه قتيل يوم أُحد قال: فأدرت برسول الله لأقتله فأقبل شيء حتى تغشّى فؤادي فلم أطق ذاك وعلمت انّه ممنوع مني، قال: والتفت رسول الله ﷺ إلى أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وكان ممن صبر يومئذ مع رسول

---

(١) السيرة الهشامية: ج ٢ ص ٤٤٣.

(٢) أي يكون لي ربا.

الله ﷺ وكان حسن الإسلام حين أسلم وهو آخذ بثفر [١] بغلته فقال من هذا قال: أنا ابن امك يا رسول الله.

قال ابن سعد [٢]: وأمر رسول الله ﷺ بطلب العدو بعد الهزيمة فانتهى بعضهم إلى الطائف وبعضهم نحو نخلة وتوجه قوم منهم إلى اوطاس فعقد رسول الله لأبي عامر الأشعري لواء ووجهه في طلبهم وكان معه سلمة بن الأكوع فانتهى إلى عسكرهم فإذا هم ممتنعون فقتل منهم أبو عامر تسعة مبارزة ثمّ برز له العاشر معلماً بعمامة صفراء فضرب أبا عامر فقتله واستخلف أبو عامر أبا موسى الأشعري فقاتلهم حتى فتح الله عليه وقتل قاتل أبي عامر.

ووقف مالك بن عوف على ثنية من الثانيا حتى مضى ضعفاء أصحابه وتتامّ آخرهم ثمّ هرب فتحصن في قصر بلّية ويقال دخل حصن ثقيف وأمر رسول الله بالسبي والغنائم أن تجمع فجمع ذلك كله وحدروه إلى الجعرانة فوقف بها إلى أن انصرف رسول الله من الطائف وهم في حظائر لهم يستظلون بها من الشمس وكان السبي ستة آلاف رأس والابل أربعة وعشرين ألف بعير والغنم أكثر من أربعين ألف شاة وأربعة آلاف أوقية فضة.

حصار الطائف

قال أبو جعفر الطبري [٣]: لما قدم فلّ ثقيف الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتهم وصنعوا الصنائع للقتال فسار رسول الله من فوره حتى نزل الطائف فأقام

---

(١) الثفر بالتحريك السير يكون في مؤخر السرج.

(٢) في الطبقات: ج ٣ ص ٢٠٢.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٣ ص ١٣٢ وما بعدها.

نصف شهر يقاتلهم رسول الله واصحابه وقاتلتهم ثقيف من وراء الحصن لم يخرج إليه في ذلك أحد منهم وأسلم من حولهم من الناس كلهم وجاءت رسول الله وفودهم.

وفي حديث له آخر قال: فحاصرهم رسول الله وقاتلهم قتالاً شديداً وتراموا بالنبل حتى إذا كان الشدخة عند جدار الطائف دخل نفر من أصحاب رسول الله تحت دبّابة ثمّ زحفوا بها إلى جدار الطائف فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار فخرجوا من تحتها فرمتهم ثقيف بالنبل وقتلوا رجالاً فأمر رسول الله بقطع أعناب ثقيف فلما مضت خمس عشرة ليلة من حصار الطائف استشار رسول الله نوفل بن معاوية الديلي وقال: يا نوفل ما ترى في المقام عليهم؟ قال: يا رسول الله ثعلب في جحران أقمت عليه أخذته وان تركته لم يضرك، قال: واستشهد بالطائف من أصحاب رسول الله اثنا عشر رجلاً سبعة من قريش ورجل من بني ليث وأربعة من الأنصار.

أموال هوازن وسباياها

قال ابن هشام [١]: ثمّ خرج رسول الله ﷺ حين انصرف عن الطائف حتى نزل الجعرانة فيمن معه من الناس وقد قال له رجل من أصحابه يوم ظعن عن ثقيف: يا رسول الله ادع عليهم فقال رسول الله ﷺ: اللهم اهد ثقيفاً وأت بهم، ثمّ أتاه وفد هوازن بالجعرانة وكان مع رسول الله من سبي هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء ومن الابل والشاء ما لا يدرى ما عدّته.

قال ابن اسحاق: انّ وفد هوازن أتوا رسول الله ﷺ وقد أسلموا فقالوا:

---

(١) السيرة الهشامية: ج ٢ ص ٤٨٨ وما بعدها.

يا رسول الله انّا أصل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامنن علينا منّ الله عليك، قال: وقام رجل من هوازن يقال له زهير فقال: يا رسول الله إنّما في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كنّ يكفلنك ولو انّا ملّحنا للحارث بن أبي شمر أو للنعمان بن المنذر [١] ثمّ نزل منّا بمثل الذي نزلت به رجونا عطفه وعائدته علينا وأنت خير المكفولين، فقال رسول الله: أبناؤكم ونسائكم أحب إليكم أم أموالكم؟ فقالوا: يا رسول الله خيّرتنا بين أموالنا وأحسابنا بل ترد الينا نساءنا وأبناءنا فهو أحب إلينا، فقال لهم: امّا ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم وإذا ما أنا صليت الظهر بالناس فقوموا فقولوا انا نستشفع برسول الله إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا فسأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم فلما صلّى رسول الله بالناس الظهر قاموا فتكلموا بالذي أمرهم به فقال الرسول: ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، فقال المهاجرون: وما لنا فهو لرسول الله وقالت الأنصار مثل مقالتهم، فقال الأقرع بن حابس: أمّا أنا وبنو تميم فلا، وقال عيينة بن حصن: أما انا وبنو فزارة فلا، وقال عباس بن مردان: امّا انا وبنو سليم فلا، فقالت بنو سليم: بلى ما كان لنا فهو لرسول الله.

أقول: لا بدع من الأقرع وعيينة وعباس أن يقولوا ما قالوا، فإنّهم إنّما مشوا مع النبي لخاصة الاستفادة وليس لرسول الله ولا لمقامه وشخصه عندهم أقل حرمة، فقال رسول الله: امّا من تمسّك منكم بحقه من هذا السبي فله بكل انسان ستّ فرائض من أوّل سبي أصيبه فردّوا إلى الناس أبنائهم ونسائهم فحصل ذلك وردت اليهم نساؤهم وذراريهم وسأل النبي وفد هوازن عن مالك بن عوف

---

(١) ملحنا: أرضعنا والملح الرضاع والحارث بن أبي شمر الغساني من ملوك غساسنة الشام والنعامن بن المنذر ملك العراق.

ما فعل فقالوا هو بالطائف مع ثقيف فقال ﷺ : أخبروا مالكاً انّه إن أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله وأعطيته مأة من الابل ، فصادفت هذه المقالة هوى من مالك فأدرك النبي بالجعرانة أو بمكة فردّ عليه أهله وماله وأعطاه مئة من الابل وأسلم فاستعمله رسول الله على من أسلم من قومه .

قال ابن اسحاق : ولما فرغ رسول الله من ردّ سبايا حنين إلى أهلها ركب واتبعه الناس يقولون : يا رسول الله علينا فيئنا من الابل والغنم حتى الجئوه إلى شجرة فاختطفت عنه ردائه فقال : ردّوا عليّ ردائي أيّها الناس فوالله لو كان لكم بعدد شجر تهامة نعماً لقسمته عليكم ثمّ ما ألفيتموني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً .

أقول : هذا شاهد آخر ممّا يشهد انّ رسول الله عاش مع نوع اصحابه بالمجاملة ومصانعة الظواهر وانّه كان يجد منهم وفيهم ما لو صارحهم به وكاشفهم عليه لما بقي معه إلّا نفر قليل وشاهد آخر ما يرويه ابن اسحاق [١] عن الزهري عن سنان بن أبي سنان الدؤلي عن أبي واقد الليثي انّ الحارث بن مالك قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حديثوا عهد بالجاهلية قال فسرنا معه إلى حنين قال وكانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواط يأتونها كل سنة فيعلقون أسلحتهم عليها ويذبحون عندها ويعكفون عليها يوماً ، قال : فرأينا ونحن نسير مع رسول الله سدرة خضراء عظيمة قال : فتنادينا من جنبات الطريق يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط قال رسول الله ﷺ : الله أكبر قلتم والذي نفس محمّد بيده كما قال قوم موسى لموسى : اجعل لنا إلٰهاً كما لهم آلهة ، قال انكم قوم تجهلون ، انها السنن لتركبنّ سنن من كان قبلكم .

---

(١) السيرة الهشامية : ج ٢ ص ٤٤٢.

ثمّ قام إلى جنب بعير فأخذ وبرة من سنامه فجعلها بين اصبعيه ثمّ رفعها وقال: أيّها الناس والله ما لي من فيئكم ولا هذه الوبرة إلّا الخمس والخمس مردود عليكم فأدوا الخياط والمخيط فإنّ الغلول يكون على أهله عاراً وناراً وشناراً يوم القيامة، قال: فجاء رجل من الأنصار بكبة من خيوط شعر أراد أن يعمل منها برذعة لبعير له ثمّ طرحها من يده وارجع عقيل بن أبي طالب ابرة أخذها فألقاها في الغنائم.

قال ابن سعد (١): وأعطى المؤلفة قلوبهم أوّل الناس فأعطى أبا سفيان بن حرب أربعين أوقية ومأة من الابل، قال ابني يزيد قال: أعطوه أربعة أوقية ومأة من الابل، قال ابني معاوية قال: أعطوه أربعين أوقية ومأة من الابل وأعطى حكيم بن حزام مأة من الابل ثمّ سأله مأة أُخرى فأعطاه اياها وأعطى نصير بن كلدة مأة من الابل وأعطى أسيد بن جارية الثقفي مأة من الابل وأعطى العلاء بن حارثة الثقفي خمسين بعيراً وأعطى مخرمة بن نوفل خمسين بعيراً وأعطى الحارث بن هشام مأة من الابل وأعطى سعيد بن يربوع خمسين من الابل وأعطى صفوان بن امية مأة من الابل وأعطى قيس بن عمرو مأة من الابل وأعطى حويطب بن عبد العزى مأة من الابل وأعطى هشام بن عمرو العامري خمسين من الابل وأعطى الأقرع بن حابس التميمي مأة من الابل وأعطى عيينة بن حصن مأة من الابل وأعطى مالك بن عوف مأة من الابل وأعطى العباس بن مرداس أربعين من الابل، فقال في ذلك شعراً فأعطاه مأة من الابل، ويقال خمسين، وأعطى ذلك كله من الخمس وهو أثبت الأقوال عندنا.

ثمّ أمر زيد بن ثابت باحصاء الناس والغنائم ثمّ فضّها على الناس فكانت

---

(١) في الطبقات: ج ٣ ص ٢٠٣.

سهامهم لكل رجل أربع من الابل وأربعون شاة فإن كان فارساً أخذ اثني عشر من الابل أو عشرين ومأة شاة وإن كان معه أكثر من فرس واحد لم يسهم له.

قال ابن اسحاق [١]: وحدثني محمّد بن ابراهيم بن الحارث التيمي انّ قائلا قال لرسول الله ﷺ من اصحابه: يا رسول الله أعطيت عيينة بن حصن والأقرع بن حابس مئة مئة وتركت جعيل بن سراقة الضمري؟ فقال رسول الله: أما والذي نفس محمّد بيده لجعيل بن سراقة خير من طلاع الأرض [٢] كلهم مثل عيينة بن حصن والأقرع بن حابس ولكني تألفتهما ليسلما ووكلت جعيل بن سراقة إلى اسلامه.

وعن أبي سعيد الخدري قال: لما أعطى رسول الله ما أعطى من تلك العطايا في قريش وفي قبائل العرب ولم يكن في الأنصار منها شيء وجد هذا الحيّ من الأنصار في أنفسهم حتى كثرت منهم القالة حتى قال قائلهم لقد لقى والله رسول الله قومه فدخل عليه سعد بن عبادة فقال: يا رسول الله انّ هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء؟ قال: فأين أنت من ذلك يا سعد؟ قال: يا رسول الله ما أنا إلّا من قومي، قال: فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة، قال: فخرج سعد فجمع الأنصار في تلك الحظيرة فلما اجتمعوا له أتاه سعد فقال: قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار فأتاهم رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثمّ قال: يا معشر الأنصار ما قالة بلغتني عنكم وجدة وجدتموها عليّ في أنفسكم؟ ألم

(١) السيرة الهشامية: ج ٢ ص ٤٩٦ وما بعدها.

(٢) طلاع الأرض ما يملؤها ويطفح عليها.

آتكم ضلّالاً فهداكم الله وعالة فأغناكم الله وأعداء فألّف الله بين قلوبكم ؟ قالوا: بلى، الله ورسوله أمنّ وأفضل، ثمّ قال: ألا تجيبونني يا معشر الأنصار، قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله ولرسوله المنّ والفضل، قال ﷺ: أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدّقتم أتيتنا مكذباً فصدقناك ومخذولاً فنصرناك وطريداً فآويناك وعائلاً فآسيناك أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة [١] من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى اسلامكم ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم، فوالذي نفس محمّد بيده لولا الهجرة لكنت امرءً من الأنصار ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار، قال: فبكى القوم حتى اخضلوا لحاهم وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظاً ثمّ انصرف رسول الله وتفرقوا.

قال ابن اسحاق [٢]: ثمّ خرج رسول الله ﷺ من الجعرانة معتمراً وأمر ببقايا الفيء فحبس بمجنّة بناحية مرّ الظهران فلما فرغ رسول الله ﷺ من عمرته انصرف راجعاً إلى المدينة واستخلف عتّاب بن أسيد على مكة وخلّف معه معاذ بن جبل يفقه الناس في الدين ويعلمهم القرآن وأتبع رسول الله ﷺ ببقايا الفيء، قال ابن هشام: وبلغني عن زيد بن أسلم انّه قال لما استعمل النبي ﷺ عتاب بن اسيد على مكة رزقه كل يوم درهماً فقام فخطب الناس فقال: أيّها الناس أجاع الله كبد من جاع على درهم فقد رزقني رسول الله ﷺ درهماً كل يوم فليست بي حاجة إلى أحد.

---

(١) اللعاعة بقلة خضراء نعامة.

(٢) السيرة الهشامية: ج ٢ ص ٥٠٠.

أقـول : لقد غاب عن رسول الله ﷺ انّ الذيـن ورثـوا الخـلافة مـن بـعده أمويين كانوا أم عباسيين أم من سواهم جعلوا مـال الله الذي لا تـقوم المـلايين بحسابه دريئة شهواتهم الساقطة حتى كرعت فيه الجواري المـوامس والغـلماء المأبونون والشعراء السـاقطون والمـغنون المـتزندقون والطـبالون والزمّـارون وعاصروا المسكرات ، هذا فضلاً عن خرجهم الخارج عن معتاده فـي مآكـلهم ومشاربهم وخدمهم وحرمهم وحجابهم وكتابهم ووزرائهم وليس بي أن أحصي ذلك في سلسلة كتب فضلاً عن هـذا المـقام الضـيق بـحقائقه فـيالله ولـلخلافة الإسلامية بأي مردة للانس قامت وإلى أيّ زندقة والحاد انحدرت وظلت على جريها هذا احقاباً مترابطة لا ينهيها إلّا إذن الله بقيام الساعة وحشر طوائف العالم إليه .

معركة تبوك

قال ابـن سـعد [١]: ثـمّ غـزا رسـول الله تـبوك فـي رجب سـنة تسـع مـن مهاجره ﷺ ، قالوا : بلغ رسول الله ﷺ انّ الروم قد جمعت جـموعاً كـثيرة بالشام وانّ هرقل قد رزق أصحابه لسنة وأجـلبت مـعه لخـم وجـذام وعـاملة وغسان وقدّموا مـقدماتهم إلى البـلقاء فـندب رسـول الله النـاس إلى الخـروج وأعلمهم المكان الذي يريد ليتأهبوا لذلك ، وبعث إلى مكة وإلى قـبائل العـرب يستنفرهم وذلك في حرّ شديد وأمرهم بالصدقة فحملوا صدقات كثيرة وقوّوا في سبيل الله وجاء البكاؤون وهم سبعة يستحملونه فقال ﷺ : لا أجد ما أحملكم عليه فتولّوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألّا يجدوا ما ينفقون وجاء ناس من

---

(١) في الطبقات : ج ٣ ص ٢١٨.

المنافقين يستأذنون رسول الله في التخلف من غير علة فأذن لهم وهم بضعة وثمانون رجلاً فاعتذروا إليه فلم يعذرهم، وكان عبد الله بن أبيّ بن سلول قد عسكر على ثنية الوداع في حلفائه من اليهود والمنافقين فكان يقال ليس عسكره بأقل العسكرين فلما سار رسول الله تخلف ابن أبيّ ومن كان معه.

أقول: يريد بذلك تشتيت معسكر النبي وادخال الوهن فيهم وسيجيء لذلك مزيد بيان، وتخلف نفر آخر من المسلمين أيضاً، يأتي الكلام عليهم، وأمر رسول الله كل بطن من الأنصار والقبائل من العرب أن يتخذوا لواء أو راية ومضى لوجهه يسير بأصحابه حتى قدم تبوك في ثلاثين ألفاً من الناس والخيل عشرة آلاف فرس فأقام بها عشرين ليلة يصلي ركعتين ولحقه بها أبو خيثمة السالمي وأبو ذر الغفاري وهرقل يومئذ بحمص.

وقال ابن اسحاق [١]: ثمّ أقام رسول الله بالمدينة ما بين ذي الحجة إلى رجب ثمّ أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم وذلك في زمان من عسرة الناس وشدة من الحر وجدب من البلاد وحين طابت الثمار والناس يحبّون المقام في ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذي هم عليه وكان رسول الله قلّما يخرج في غزوة إلّا كنّى عنها وأخبر انّه يريد غير الوجه الذي يصمد له إلّا ما كان من غزوة تبوك فإنّه بيّنها للناس لبعد الشقّة وشدة الزمان وكثرة العدو الذي يصمد له ليتأهب الناس لذلك أهبته فأمر الناس بالجهاز وأخبرهم انّه يريد الروم.

وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض: لا تنفروا في الحرّ زهادة في الجهاد وشكاً في الحق وارجافاً برسول الله فأنزل الله: ﴿**وقالوا لا تنفروا في الحرّ قل نار جهنم أشدّ حرّاً لو كانوا يفقهون**﴾ وبلغ رسول الله ﷺ انّ ناساً من المنافقين

---

(١) السيرة الهشامية: ج ٢ ص ١٥ وما بعدها.

يجتمعون في بيت سويلم اليهودي يثبّطون الناس عن رسول الله في غزوة تبوك فبعث اليهم النبي طلحة بن عبيد الله في نفر من اصحابه وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم ففعل طلحة .

قال ابن اسحاق : ثمّ انّ رسول الله جدّ في سفره وأمر الناس بالجهاز وحضّ أهل الغنى على النفقة والحملان في سبيل الله فحمل رجال من أهل الغنى واحتسبوا وأنفق عثمان بن عفان في ذلك ألف دينار .

أقول : ان يكن لعثمان في الإسلام خدمة تذكر فهي هذه النفقة ، ولم يكن له أقل شأن في الدفاع عن حريم الإسلام منذ هاجر النبي إلى أن قبضه الله تعالى إليه بل لم يزل امّا غائباً عن الوقائع وامّا فارّاً فيها ، وأغلب المهاجرين والأنصار خير منه في المواقع الحساسة بلا ريب ، واستعراض التاريخ كاف في ذلك فلا نطيل على انّه استدرك هذا الألف الدينار بملايين الدنانير عندما أفضت الأُمور إليه كما سيجيء التحديث عن أحداثه فانتظر .

ثمّ انّ رجالاً من المسلمين أتوا رسول الله وهم البكاؤون وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم فاستحملوا رسول الله وكانوا أهل حاجة فقال : لا أجد ما أحملكم عليه فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً وجاءه المعذرون من الأعراب فاعتذروا إليه فلم يعذرهم الله تعالى ثمّ استتبّ برسول الله سفره وأجمع السير وقد كان نفر من المسلمين أبطأت بهم النية عن رسول الله حتى تخلفوا عنه .

فلما خرج رسول الله ضرب عسكره على ثنية الوداع [١] واستعمل على المدينة محمّد بن مسلمة الأنصاري في قول وسباع بن عرفطة في قول ثاني

---

(١) ثنية الوداع : ثنية مشرفة على المدينة يطؤها من يريد مكة .

وعلي بن أبي طالب في قول ثالث [١].

أقـول: لا غضاضة على عليّ وهو في المدينة قد استخلفه رسـول الله ﷺ باللون الذي سيجيء شرحه ان يكون غيره محل استعمال رسول الله فـإنّ لكـل مسلم حظاً في الإسلام وعند الرسول يلزم أن يؤتاه حتى يعرف ان دين الإسلام ليس دين محاباة ولا مداهنة ولا دين طائفية ونعرة خاصة على انّ الباقين بـعد رسول الله ليسوا إلّا النساء والصـبيان والعـجزة والمـنافقين فـما اسـتعمال مـن يستعمل لذلك إلّا كشبه نظارة ومعاينة للوضع تحرز للرسول فإذا عاد من سفره اطلع عليها وعلم علم ما كان في غيابه لا أكثر كما هو واضح.

قال ابن اسحاق: وضرب عبد الله بن أبيّ عسكره على حدة أسفل منه وكـان فيما يزعمون ليس أقل العسكرين فلما سار رسول الله تخلّف عنه عبد الله بن أبيّ فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب.

أقـول: كما كان للرسول ﷺ أعداء أشداء من مشركي قريش كذلك كان له في المدينة وأشدهم وطأة عليه ﷺ هذا المنافق المتعوس عبد الله بن أبيّ فقد كان يتحرى كل مظنة توجب خذلانِ الرسول وانهيار دعوته واندحار اصـحابه وهو على طول الخط منذ هاجر النبي إلى المدينة حتى مات هذا المتعوس يجدّ الجدّ كله في اطفاء نور الله وتحزيب الأحزاب على رسوله نظير أبي سفيان فـي مشركي مكة وقد كان له جاه عريض وأفراد تابعون لا يقلّون عدداً عن التابعين

---

(١) قال اليعقوبي في تاريخه (ج ٢ ص ٥٢): واستخلف علياً على المدينة واستعمل الزبير على راية المهاجرين وطلحة على الميمنة وعبد الرحمن بن عوف على الميسرة وخرجت النسـاء والصـبيان يودعونه عند الثنية فسماها ثنية الوداع وهكذا قال السيوطي في تاريخ الخلفاء في الفصل الذي عقده لعلي ففي جملة ما ذكر وشهد مع رسول الله ﷺ بدراً وأحداً وسـائر المشـاهد إلّا تـبوك فـإنّ النبي ﷺ استخلفه على المدينة.

الناصحين للرسول ﷺ وقد قرأت انّه انخذل يوم اُحد بثلث الجيش وهنا بـما يعادله ويناصفه وكانت مواقف رسول الله معه ومع أتباعه المنافقين خطرة جـداً لأنّه ماكان يرى النبي متوجهاً إلى عمل إلّا توجه إلى نقيضه وحشد الحشد لنقضه وما كان بطوق النبي قتله لأنّه كان فضلاً عن مراعاة جنبة أتباعه وخشية أن يثير منهم حزباً مفاتحاً بالقتال يخاف تشتت أصحابه هو ﷺ فإنّهم كانوا يـعظمون موقفه العشائري منهم لسيادته السابقة وان كانوا لا يتبعونه فـي خـطواتـه ضـد النبي ﷺ بل تركوه مسكوتاً عنه من ناحيتهم لا له ولا عليه ولهذه المقارنات الخارجية التي احتفت به كان يجترأ على النبي جرءة ممقوتة وماكان بـالنبي أن يردّ عليه بل كان يتخذ السكوت كاظماً لغيظه صابراً منه على مضض وفي طول السيرة أحاديث من ذلك لا يسعنا شرحها الآن.

ومن هنا تعرف انّ النبي لم يكن في دار هجرته مرفهاً عليه إلّا بنسبة مقامه في المدينة إلى مقامه في مكة قبل الهجرة لا أكثر وسيأتيك في ثنايا التحديث عـن غزوة تبوك ما يؤيد ذلك.

غزوة تبوك وحديث المنزلة

قال: وخلف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضوان الله عليه على أهله وأمره بالاقامة فيهم فأرجفت به المنافقون وقالوا: ما خلّفه إلّا استثقالاً له وتخففاً منه فلما قال ذلك المنافقون أخذ علي بن أبي طالب سلاحه ثمّ خرج حتى أتى رسول الله وهو نازل بالجرف [١] فقال: يا نبي الله زعم المنافقون انك إنّما خلفتني انك استثقلتني وتخففت مني فقال: كذبوا ولكـنني خـلفتك لمـا تـركت ورائـي

---

(١) موضع على ثلاثة أميال من المدينة.

فارجع فاخلفني في أهلي أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلّا انّه لا نبي بعدي فرجع علي إلى المدينة ومضى رسول الله على سفره.

قال ابن اسحاق: وحدثني محمّد بن طلحة بن يزيد بن ركانة عن ابراهيم بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه سعد انّه سمع رسول الله ﷺ يقول لعلي هذه المقالة.

أقول: حديث المنزلة حديث متواتر بين الفريقين لا ينكره أحد وقد أكثر المحدثون من ذكره في مسانيدهم فمن ذلك ما ذكره ابن كثير [١] قال: وقد روى البخاري ومسلم هذا الحديث من طريق شعبة عن سعد بن ابراهيم بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه به.

وقد قال أبو داود الطيالسي في مسنده حدثنا شعبة عن الحكم عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: خلّف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب في غزوة تبوك فقال: يا رسول الله أتخلفني في النساء والصبيان؟ فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير انّه لا نبي بعدي. وأخرجاه من طرق عن شعبة نحوه وعلقه البخاري أيضاً من طريق أبي داود عن شعبة.

وقال الامام أحمد حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا حاتم بن اسماعيل عن بكير بن مسمار عن عامر بن سعد عن أبيه سمعت رسول الله ﷺ يقول له: وخلفه في بعض مغازيه فقال علي: يا رسول الله تخلفني مع النساء والصبيان؟ فقال: يا علي أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلّا انّه لا نبي بعدي. ورواه مسلم والترمذي عن قتيبة زاد مسلم ومحمّد بن عباد كلاهما عن حاتم بن اسماعيل به وقال الترمذي: حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

---

(١) البداية والنهاية: ج ٥ ص ٧.

وفي كتاب التاج للأُصول في أحاديث الرسول (ج ٤ ص ٤٤٦) عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: خرج النبي إلى تبوك واستخلف عليّاً فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء ؟ قال: ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلّا انّه لا نبي بعدي ؛ رواه الشيخان.

وذكر النسائي في الخصائص: تحت عنوان ذكر منزلة على بن أبي طالب عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أخبرنا بشر بن هلال البصري عن جعفر بن سليمان عن حرب بن شداد عن وساد عن سعيد بن المسيب عن سعد بن أبي وقاص قال: لما غـزا رسول الله غزوة تبوك خلف علي في المدينة فقالوا فيه ملّه وكره صحبته، فـتبع عليّ النبيّ حتى لحقه في الطريق قال: يا رسول الله خلفتني بالمدينة مع الذراري والنساء حتى قالوا: ملّه وكره صحبته فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم يا علي إنّما خلفتك على أهلي أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير انّه لا نبي بعدي.

أخبرنا القديم بن زكريا بن دينار الكوفي قال: حدثنا أبو نعيم قال حدثنا عبد السلام عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن سعد بـن أبـي وقـاص انّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي: أنت مني بمنزلة هارون من موسى.

أخبرنا زكريا بن يحيى قال: أخبرنا أبو مصعب انّ الدراوردي حدثه عن هشام عن سعيد بن المسيب عن سعد قال: لما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى تبوك خرج علي فتبعه فشكا وقال: يا رسول الله أتتركني مع الخوالف ؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلّا النبوة.

ذكر الاختلاف على محمّد بن المنكدر في هذا الحديث:

أخبرنا اسحاق بن موسى بن عبد الله بن يزيد الأنصاري قال: حدثنا داود بن كثير الرقي عن محمّد بن المنكدر عن سعيد بن المسيب عن سعد انّ رسول الله

قال لعلي: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلّا انّه لا نبي بعدي.

أخبرنا صفوان بن محمّد بن عمرو قال: حدثنا أحمد بن خالد قال حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن محمّد بن المنكدر قال سعيد بن المسيب أخبرني ابراهيم بن سعد انّه سمع اباه سعداً وهو يقول: قال النبي لعلي: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلّا انّه لا نبوة بعدي؟ قال سعيد فلم أرض حتى أتيت سعداً فقلت شيء حدث به ابنك فقال ما هو يا ابن أخي، فقلت: هل سمعت النبي يقول لعلي كذا وكذا، قال: نعم وأشار إلى اذنيه وإلّا فاستكتا لقد سمعته يقول ذلك، وخالفه يوسف بن الماجشون فرواه عن محمّد بن المنكدر عن سعيد بن عامر بن سعد عن أبيه وتابعه على روايته عن عامر بن سعد علي بن زيد بن جدعان.

أخبرنا زكريا بن يحيى قال: حدثنا ابن الشوارب قال حدثنا حماد بن زيد عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن عامر بن سعد انّ النبي قال لعلي: أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير انّه لا نبي بعدي، قال سعيد: فأحببت أن أشافه بذلك سعداً فأتيته فقلت: ما حديث حدثني به عنك عامر فأدخل اصبعيه في أُذنيه وقال: سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإلّا فاستكتا.

أخبرنا محمّد بن وهب الحراني عن سكن بن سكن عن شعبة عن علي بن زيد قال: سمعت سعيد بن المسيب يحدث عن سعد انّ رسول الله قال لعلي: ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى قال علي: رضيت فسألته بعد ذلك فقال: بلى بلى قال أبو عبد الرحمن وما علمت أحداً تابع عبد العزيز بن الماجشون على روايته عن محمّد بن المنكدر عن سعيد بن المسيب غير ابراهيم بن سعد على انّ ابراهيم بن سعد قد روى هذا الحديث عن أبيه.

أخبرنا محمّد بن بشار البصري قال حدثنا محمّد يعني ابن جعفر قال أخبرنا

شعبة بن ابراهيم قال: سمعت ابراهيم بن سعد يحدث عن أبيه عن النبي ﷺ انّه قال لعلي: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى.

أخبرنا عبد الله بن سعد البغدادي عن أبيه عن ابن اسحاق عن محمّد بن طلحة بن يزيد بن ركانة عن ابراهيم بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه سعد انّه سمع رسول الله يقول لعلي حين خلفه في غزوة تبوك على أهله ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلّا انّه لا نبي بعدي.

قال أبو عبد الرحمن وقد روى هذا الحديث عن عامر بن سعد عن أبيه من غير حديث سعيد بن المسيب.

أخبرنا محمّد بن المثنى عن أبي بكر الحنفي عن بكير بن مسمار قال: سمعت عامر بن سعد يقول: قال معاوية لسعد بن أبي وقاص: ما يمنعك أن تسب ابن أبي طالب؟ قال: لا أسبه ما ذكرت ثلاثاً قالهن رسول الله ﷺ لأن تكون لي واحدة منهن أحبّ إليّ من حمر النعم، ما أسبّه ما ذكرت حين نزل الوحي عليه فأخذ عليّاً وابنيه وفاطمة فأدخلهم تحت ثوبه ثمّ قال: ربّ هؤلاء أهل بيتي وأهلي، ولا أسبه ما ذكرت حين خلفه في غزوة غزاها فقال علي خلفتني مع الصبيان والنساء؟ قال: أو لا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلّا انّه لا نبوة بعدي، وما أسبه ما ذكرت يوم خيبر حين قال رسول الله لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويفتح الله بيده فتطاولنا فقال: أين علي؟ فقالوا: هو أرمد، قال: ادعوه فبصق في عينيه ثمّ أعطاه الراية ففتح الله عليه.

أخبرنا محمّد بن بشار عن محمّد بن شعبة عن الحكم عن مصعب بن سعد قال: خلف رسول الله علي بن أبي طالب في غزة تبوك فقال: يا رسول الله تخلفني بين النساء والصبيان؟ فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلّا انّه لا نبي بعديى. خالفه ليث فقال عن عائشة بنت سعد.

أخبرنا الحسن بن اسماعيل بن سليمان المصيصي الخالدي عن المطلب عن ليث عن الحكم عن عائشة بنت سعد انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي في غزوة تبوك: أنت ياابن أبي طالب مني مكان هارون من موسى إلّا انّه لا نبي من بعدي، قال أبو عبد الرحمن وشعبة أحفظ وليس ضعيف الحديث فقد روته عائشة بنت سعد.

أخبرنا زكريا بن يحيى عن أبي مصعب الدراوردي عن عبد المجيد عن عائشة عن أبيها انّه قال: خرج رسول الله حتى أتى ثنية الوداع من غزوة تبوك وعلي يشتكي وهو يقول: أتخلفني مع الخوالف؟ فقال النبي: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلّا النبوة.

أخبرنا الفضل بن سهل البغدادي عن أحمد الزبيري عن عبد الله بن خبيب بن أبي ثابت عن حمزة بن عبد الله عن أبيه عن سعد قال: خرج رسول الله في غزوة تبوك وخلف عليّاً فقال: أتخلفني؟ فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلّا انّه لا نبي بعدي.

ذكر الاختلاف على عبد الله بن شريك في هذا الحديث:

أخبرنا القاسم بن زكريا بن دينار الكوفي عن أبي نعيم عن فطر عن عبد الله بن شريك عن عبد الله بن أرقم الكناني عن سعد بن أبي وقاص انّ النبي قال لعلي: أنت مني بمنزلة هارون من موسى.

أخبرنا أحمد بن يحيى الكوفي عن دعبل عن اسرائيل عن عبد الله بن شريك عن حرب بن سلك قال: قال سعد بن مالك انّ رسول الله غزا على ناقته الجدعاء وخلف عليّاً وجاء عليّ حتى تعدى الناقة فقال: يا رسول الله زعمت قريشك انك إنّما خلفتني انك استثقلتني وكرهت صحبتي، وبكى علي عليه السلام فنادى رسول الله

في الناس ما منكم أحد وله حاجة بابن أبي طالب أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلّا انّه لا نبي بعدي، قال علي: رضيت.

أخبرنا عمر بن علي عن يحيى بن سعيد عن موسى الجهني قال: دخلت على فاطمة بنت علي فقال لها رفيقي: هل عندك شيء من والدك يرهب، قالت: حدثتني أسماء بنت عميس انّ رسول الله قال لعلي: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلّا انّه لا نبي بعدي.

أخبرنا أحمد بن سليمان عن جعفر بن عون عن موسى الجهني قال: أدركت فاطمة بنت علي وهي بنت ثمانين سنة فقلت لها: تحفظين عن أبيك شيئاً؟ قالت: لا ولكني سمعت أسماء بنت عميس تقول: سمعت من رسول الله ﷺ يقول: يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلّا انّه ليس من بعدي نبي.

حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم عن أبي نعيم عن حسن بن صالح عن موسى الجهني عن فاطمة بنت علي عن اسماء بنت عميس انّ رسول الله قال: يا علي انك مني بمنزلة هارون من موسى إلّا انّه لا نبي بعدي.

وروى أحمد في المسند (ج ١ ص ١٧٠) عن عائشة بنت سعد عن ابيها انّ علياً خرج مع النبي حتى جاء ثنية الوداع وعلي يبكي يقول: تخلفني مع الخوالف؟ فقال: أو ما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلّا النبوة.

(المصدر نفسه: ص ١٧٣) عن سعيد بن المسيب قال: قلت لسعد بن مالك اني أُريد أن أسألك عن حديث وأنا أهابك أن أسألك عنه، فقال: لا تفعل يابن أخي إذا علمت انّ عندي علماً فسلني عنه ولا تهبني، قال فقلت: قول رسول الله لعلي حين خلفه بالمدينة في غزوة تبوك؟ فقال سعد: خلف النبي علياً بالمدينة في غزوة تبوك فقال: يا رسول الله أتخلفني في الخالفة في النساء والصبيان؟ فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، قال: بلى يا رسول الله.

(المصدر نفسه: ص ١٧٧) عن ابن المسيب قال: حدثنا ابن لسعد بن مالك عن أبيه قال: فدخلت على سعد فقلت حديث حدثت به عنك حين استخلف رسول الله عليّاً على المدينة قال: فغضب وقال: من حدثك به فكرهت أن أخبره انّ ابنه حدثنيه فيغضب عليه، ثمّ قال: انّ رسول الله حين خرج في غزوة تبوك استخلف عليّاً على المدينة فقال علي: يا رسول الله ما كنت أحبّ أن تخرج وجهاً إلّا وأنا معك، فقال: أو ما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير انّه لا نبي بعدي.

(المصدر نفسه: ١٨٢) عن مصعب بن سعد عن سعد بن أبي وقاص قال: خلف رسول الله علي بن أبي طالب في غزوة تبوك فقال: يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان؟ قال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير انّه لا نبي بعدي.

(المصدر نفسه: ص ١٨٤) عن حمزة بن عبد الله عن أبيه عن سعد قال: لما خرج رسول الله في غزوة تبوك خلف عليّاً فقال له: أتخلفني؟ قال له: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلّا انّه لا نبي بعدي.

(المصدر نفسه: ص ١٨٥) عن عامر بن سعد عن أبيه قال: سمعت رسول الله يقول له وقد خلفه في بعض مغازيه فقال علي: أتخلفني مع النساء والصبيان؟ قال: يا علي أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلّا انّه لا نبوة بعدي.

(المصدر نفسه: ص ٣٣٠) عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس، من جملة حديث مفصل قال: وخرج صلى الله عليه وآله وسلم بالناس في غزوة تبوك فقال له علي: أخرج معك، فقال له نبي الله: لا، فبكى علي، فقال له: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلّا انك لست بنبي انّه لا ينبغي أن أذهب إلّا وأنت خليفتي.

(المصدر نفسه: ص ٣٢ من ج ٣) عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله لعلي: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلّا انّه لا نبي بعدي.

وروى الحاكم بطريقه [١] عن بكير بن مسمار قال: سمعت عامر بن سعد يقول: قال معاوية لسعد بن أبي وقاص: ما يمنعك أن تسب ابن أبي طالب؟ فقال: لا أسبّه ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله ﷺ لأن تكون لي واحدة منهن أحب الي من حمر النعم، قال له معاوية: ما هن يا أبا اسحاق: فقال: من جملة حديث مفصل: ولا أسبه ما ذكرت حين خلفه في غزوة تبوك غزاها رسول الله فقال له علي: خلفتني مع الصبيان والنساء، قال: ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلّا انّه لا نبوة بعدي. وقال في ختامه: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة وقد اتفقا جميعاً على اخراج حديث المؤاخاة وحديث الراية، ولم يتعقبه الذهبي سوى انه قال: انّه على شرط مسلم فقط.

وقال المتقي الهندي [٢]: يا علي أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلّا انّه ليس بعدي نبي. (أحمد في المسند والشيخان والنسائي وابن ماجة عن سعد).

وأخرج المحب الطبري [٣] ما رواه البخاري ومسلم وأبو حاتم عن سعد بن أبي وقاص وما أخرجه ابن اسحاق في مغازيه وما أخرجه أحمد في المناقب عن أسماء بنت عميس ولكن بهذا اللفظ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: اللهم اني أقول كما قال أخي موسى: واجعل لي وزيراً من أهلي أخي عليّاً اشدد

---

(١) المستدرك: ج ٣ ص ١٠٨.

(٢) في منتخب كنز العمال: ج ٥ ص ٣١.

(٣) في كتابه ذخائر العقبى: ص ٦٣.

به أزري وأشركه في أمري كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً انك كنت بنا بصيرا.

وعن أسماء بنت عميس أيضاً قالت: هبط جبريل على النبي ﷺ قال: يا محمّد انّ ربك يقرئك السلام ويقول لك: عليّ منك بمنزلة هارون من موسى لكن لا نبي بعدك، أخرجه الامام علي بن موسى الرضا.

القندوزي [١] عن ابن عباس قال: قال رسول الله لعلي لما خرج إلى غزوة تبوك وخرج الناس معه دون علي فبكى: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلّا انّه لا نبي من بعدي انّه لا ينبغي أن أذهب إلّا وأنت خليفتي، رواه ابن المغازلي.

وفي الحديث الأوّل من الأربعين حديثاً التي ذكرها الهيثمي في صواعقه في فضائل علي [٢]: أخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص وأحمد والبزار عن أبي سعيد الخدري والطبراني عن أسماء بنت عميس وعن ام سلمة وحبشي بن جنادة وابن عمر وابن عباس وجابر بن سمرة والبراء بن عازب وزيد بن أرقم قالوا جميعاً: انّ رسول الله ﷺ خلّف علي بن أبي طالب في غزوة تبوك فقال: يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان؟ فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير انّه لا نبي بعدي.

وأورد الحافظ الكنجي بطرقه المشروحة في كتابه [٣] حديث المنزلة عن بكير بن مسمار مولى عامر بن سعد عن عامر عن سعد، وعن شعبة عن الحكم عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه وقال عقيب ذلك: (قلت) هذا حديث

---

(١) في ينابيع المودة: ج ٢ ص ٥٨ من مطبوعة صيدا.

(٢) ينابيع المودة: ج ٢ ص ١٠٥.

(٣) كفاية الطالب، في الباب السبعين منه ص ١٤٨.

متفق على صحته رواه الأئمّة الحفاظ كأبي عبد الله البخاري في صحيحه ومسلم بن الحجاج في صحيحه وأبي داود في سننه وأبي عيسى الترمذي في جامعه وأبي عبد الرحمن النسائي في سننه وابن ماجة القزويني في سننه واتفق الجميع لى صحته حتى صار ذلك اجماعاً منهم، قال الحاكم النيسابوري: هذا حديث دخل في حد التواتر وقد نقل عن شعبة بن الحجاج انّه قال في قوله ﷺ لعلي: أنت مني بمنزلة هارون من موسى كان هارون أفضل اُمّة موسى فوجب أن يكون علي أفضل من كل امة محمّد ﷺ صيانة لهذا النص الصحيح الصريح كما قال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح.

وذكر الكنجي طرقاً اُخرى غير ما أشرنا إليه وعقّبها بقوله: وروى الحافظ الدمشقي في كتابه قول النبي لعلي: أنت مني بمنزلة هارون من موسى عن عدد كثير من أصحاب رسول الله منهم عمر وعلي وسعد وأبو هريرة وابن عباس وابن جعفر ومعاوية وجابر بن عبد الله وأبو سعيد الخدري والبراء بن عازب وزيد بن أرقم وجابر بن سمرة وأنس بن مالك وزيد بن أبي اوفى ونبيط بن شريط ومالك بن الحويرث واُم سلمة وأسماء بنت عميس [١] وفاطمة بنت حمزة وغيرهم، وذكر لكل واحد منهم طرقاً وألفاظهم مختلفة واتحد معنى الجميع.

وقال السيوطي في تاريخ الخلفاء في الفصل الذي عقده لعلي: وأخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص انّ رسول الله ﷺ خلّف علي بن أبي طالب في غزوة تبوك فقال: يا رسول الله تخلفني في النسياء والصبيان؟ فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير انّه لا نبي بعدي ـ أخرجه أحمد والبزار ـ من حديث أبي سعيد الخدري ـ والطبراني ـ من حديث أسماء

(١) أو ـ بنت قيس.

بنت قيس وأُم سلمة وحبشي بن جنادة وابن عمر وابن عباس وجابر بن سمرة والبراء بن عازب وزيد بن أرقم.

أقول: استقصاء طرق هذا الحديث فضلاً عن كونه غير ملائم لخطة كتابنا هذا عسر جداً والتكلم على مفاده وتحليل تركيبه موكول إلى مبحث الإمامة إن شاء الله.

قال ابن اسحاق: ثمّ رجع علي إلى المدينة ومضى رسول الله ﷺ على سفره ثمّ انّ أبا خيثمة رجع بعد أن سار رسول الله ﷺ أيّاماً إلى أهله في يوم حار فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائطه قد رشّت كل واحدة منهما عريشها وبرّدت له فيه ماءً وهيأت له طعاماً فلما دخل قام على باب العريش فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له فقال: رسول الله ﷺ في الضحّ[1] والريح والحر وأبو خيثمة في ظل بارد وطعام مهيأ وامرأة حسناء في ماله مقيم ما هذا بالنصف ثمّ قدّم ناضحه وارتحله ولحق برسول الله ﷺ وأخبره الخبر فدعا له بخير. وقد كان رسول الله ﷺ حين مرّ بالحجر نزلها واستقى الناس من بئرها فلما راحوا قال رسول الله: لا تشربوا من مائها شيئاً ولا تتوضؤا منه للصلاة وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الابل ولا تأكلوا منه شيئاً ولا يخرجن أحد منكم الليلة إلّا ومعه صاحب له ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله إلّا انّ رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته وخرج الآخر في طلب بعير له فأمّا الذي ذهب لحاجته فإنّه خنق على مذهبه وأمّا الذي ذهب في طلب بعيره فاحتملته الريح حتى طرحته بجبل طيء فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال: ألم أنهكم أن يخرج منكم أحد إلّا ومعه صاحبه ثمّ دعا رسول الله للذي أُصيب فشفي وأمّا الآخر فإنّ

---

(١) الضح الشمس.

طيئاً جاءت به إلى النبي عندما عاد إلى المدينة .

قال : فلما أصبح النـاس ولا مـاء مـعهم شكـوا ذلك إلى رسـول الله ﷺ فدعا ﷺ فأرسل الله سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا حاجتهم من الماء .

قال ابن اسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبـيد عـن رجال من بني عبد الأشهل قال : قلت لمحمود هل كان الناس سعرفون النـفاق فيهم ؟ قال : نعم والله كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن أبيه ومن عمه وفي عشيرته ثمّ يلبس بعضهم بعضاً على ذلك ، فلقد أخبرني رجال من قومي عن رجل مـن المنافقين معرفو نفاقه كان يسير مع رسول الله حيث سار فلما كان من أمر الناس بالحجر من جهة فقدان الماء ودعا رسول الله ﷺ حين دعا فأرسل الله السحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس أقبلنا عليه نقول : ويحك هل بعد هذا شيء ؟ قال : سحابة مارّة ثمّ كان رسول الله ﷺ ببعض الطريق فضلّت ناقته فخرج اصحابه في طلبها وعند رسول الله رجل من اصحابه يقال له عمارة بن حزم وكان عـقبياً بدرياً وكان في رحله انسان منافق يدعى زيداً فقال هذا المنافق : أليس مـحمّد يزعم انّه نبي ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته فقال رسـول الله من غير أن تبلغه مقالة هذا المنافق وكان عمارة بن حزم كما أسـلفناه عـنده ولم يكن في رحله : انّ رجلاً قال هذا محمّد يخبركم انّه نبي ويزعم انّه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدري أين ناقته واني والله ما أعلم إلّا ما علمني الله وقد دلني الله عليها وهي في هذا الوادي في شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تأتوني بها فذهبوا فجاؤوا بها فرجع عمارة بن حزم إلى رحـله فـقال : والله لعجب من شيء حدثناه رسول الله ﷺ آنفاً عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكذا وكذا للذي قال ذلك المنافق الذي كان في رحله فقال رجل ممن كان في رحـل

عمارة وسمع مقالة المنافق ولم يكن عند رسول الله: زيد والله، قال هذه المقالة قبل أن تأتي فأقبل عمارة على زيد يجأ في عنقه ويقول: إليّ عباد الله انّ في رحلي لداهية وما أشعر، اُخرج أي عدو الله من رحلي فلا تصحبني.

أقول: لقد كان الرسول الله ﷺ على طول مكثه في المدينة مبتلياً بمثل هؤلاء المتلونين الذين كانت أذيتهم له أضعاف ما يحصل له من أذى المشركين المنابذين له المنحازين عنه فإنّ هؤلاء المنافقين كما ترى لا يفارقونه في حل ولا مرتحل ولا يستهدفونه من سيرهم هذا إلّا اغواء لضعفاء بالقاء الشبه على حركات النبي وسكناته باسم انهم مسلمون ناقدون لا يتحرون إلّا اراءة الحقائق وكشف التعمية والعدو البعيد مهما كان أخف وطأة على الإنسان من عدوه اللاصق به الغير المفارق له ولأنّ المسلم لا يقرب المشرك حتى يغتر بأقواله وعلى فرض استماعه له لا يعود معتقداً بمسموعه منه لاعتقاده فيه كل سوء، بخلاف المنافق فإنّه بظاهره مسلم فقرب المسلم منه شيء يعدّ من مجاري العادة والاستماع منه ضروريّ هذا القرب إلّا أن يكون السامع فطناً ملتفتاً يميز دخائل القلوب بالسرعة فعندها يسيء الظن بجليسه الذي يصحر بالمخالفة الباطنية آناً بعد آن. وما أكثر هذا النفاق في أصحاب النبي غاية ما هناك يتفاوت فيهم شدة وضعفاً بروزاً وخفاءً وقد بقي هذا الداء فيهم سارياً ماشياً إلى ما بعد وفاته ﷺ فما ماتوا إلّا وأورثوه أولادهم وكل صحابي فاسق فإنّه محمول على هذه الخطة العوجاء بلا ريب وسنجول حول ذلك فيما يجيء إن شاء الله.

قال: ثمّ مضى رسول الله ﷺ سائراً فجعل يتخلف عنه الرجل ـ أي طلباً للعافية من مشقة هذا المسير ـ فيقولون: يا رسول الله تخلف فلان فيقول دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه.

لا شبهة انّ المأخوذ بالغصب وشبهه لا خير فيه ان لم يكن مظنة لتوريد الشر

وتوليد الضعف والوهن ـ حتى قيل يا رسول الله قد تخلف أبو ذر وأبطأ به بعيره فقال: دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم وان يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه وتمهّل أبو ذر على بعيره فلما أبطأ عليه تركه وحمل متاعه على ظهره ثمّ خرج يتبع أثر رسول الله ماشياً ونزل رسول الله في بعض منازله فنظر ناظر من المسلمين فقال: يا رسول الله انّ هذا الرجل يمشي على الطريق وحده فقال رسول الله كن أبا ذر فلما تأمله القوم قالوا هو والله أبو ذر، فقال الرسول: رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده.

أقول: أبو ذر من رجالات الحقائق والصراحة ومن خيرة العرب نفساً ومعتقداً في الله ورسوله وان زوته دول الارجاف والحطّ من كرامة الفضيلة فقد أصحر به الحق على رغم كل الآناف التي لم تكن تهوى نبوغه وطلوعه فجاء يذكره التاريخ العمومي بأجل ذكر مع عراء عن كل عصبية وطائفية فلله هو وقد ورد في فضله حديث يشيد بمقامه قدر ما يستحق:

فقد روى المتقي الهندي [١] انّ أبا ذر ليباري عيسى بن مريم في عبادته (الطبراني في الكبير عن ابن مسعود). وروى أيضاً (المصدر نفسه): ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء من ذي لهجة أصدق ولا أوفى من أبي ذر شبه عيسى بن مريم (الترمذي وابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرك عن أبي ذر).

وروى أيضاً (المصدر نفسه) من سرّه أن ينظر إلى تواضع عيسى بن مريم فلينظر إلى أبي ذر (أبو يعلى في مسنده عن أبي هريرة).

وروى أيضاً (المصدر نفسه: ص ١٥٧): ما أظلت الخضراء ولا أقلّت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر يطلب شيئاً من الزهد عجز عنه الناس (ابن

(١) في كتابه منتخب كنز العمال: ج ٥ ص ١٥٦.

عساكر عن علي).

وروى أيضاً (المصدر نفسه) ما أظلت الخضراء ولا أقلّت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر فإذا أردتم أن تنظروا إلى شبيه عيسى بن مريم هدياً وبراً ونسكاً فعليكم به (ابن عساكر عن أبي هريرة).

وروى أيضاً (المصدر نفسه): عن أبي الدرداء انّه ذكر أبا ذر فقال: انّ رسول الله كان يأتمنه حين لا يأتمن أحداً ويسرّ إليه حين لا يسرّ إلى أحد (ابن جرير).

وروى المتقي الهندي [١]: انّ الله تعالى أمرني بحب أربعة، وأخبرني انّه يحبهم: عليّ منهم وأبو ذر والمقداد وسلمان (الترمذي وابن ماجة والحاكم في المستدرك عن بريدة).

وروى أيضاً (المصدر نفسه) اشتاقت الجنة إلى أربعة: علي وسلمان وأبي ذر والمقداد (أبو نعيم في الحلية وابن عساكر عن ابن بريدة عن أبيه).

ذكر الحاكم [٢] فقال: حدث أبو حمزة قال: قال لنا ابن عباس: ألا أُخبركم باسلام أبي ذر ؟ قال: قلنا: بلى، قال: قال أبو ذر: كنت رجلاً من غفار فبلغنا انّ رجلاً خرج بمكة يزعم انّه نبي فقلت لأخي انطلق إلى هذا الرجل فكلمه وائتني بخبره فانطلق فلقيه ثمّ رجع فقلت: ما عندك ؟ فقال: والله لقد رأيت رجلاً يأمر بالخير وينهى عن الشر، قال: فقلت له: لم يشفني الخبر، قال: فأخذت جراباً وعصا ثمّ أقبلت إلى مكة فجعلت لا أعرفه وأكره أن أسأل عنه وأشرب من ماء زمزم وأكون في المسجد، قال: فمرّ بي عليّ فقال: كأنّ الرجل غريب ؟ قلت: نعم، قال: فانطلق إلى المنزل فانطلقت معه لا يسألني عن شيء ولا أُخبره، قال:

(١) في منتخب كنز العمال: ج ٥ ص ١٢٦.

(٢) في المستدرك: ج ٣ ص ٣٣٨.

ثمّ لما أصبحت غدوت إلى المسجد لأسأل عنه وليس أحد يخبرني عنه بشيء فمرّ بي علي فقال: أما آن للرجل أن يعرف منزله بعد، قلت: لا، قال: انطلق معي، فقال: ما أقدمك هذه البلدة، قلت له: إن كتمت عليّ أخبرتك، قال: فاني أفعل، قلت له: بلغنا انّه خرج من ههنا رجل يزعم انّه نبي، فأرسلت أخي ليكلمه فرجع ولم يشفني من الخبر فأردت أن ألقاه، قال: أما انك قد رشدت هذا وجهي فاتبعني وادخل حيث أدخل واني إن رأيت أحداً أخافه عليك قمت إلى الحائط كأني أصلح نعلي وامض أنت، قال: فمضى ومضيت معه حتى دخل فدخلت معه على النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله أعرض عليّ الإسلام فعرض علي الإسلام فأسلمت مكاني، قال: فقال لي: يا أبا ذر اكتم هذا الأمر وارجع إلى بلدك فإذا بلغك ظهورنا فاقبل، قال: فقلت: والذي بعثك بالحق لأصرخنّ بها بين أظهرهم فجاء إلى المسجد وقريش فيه فقال: يا معشر قريش أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، فقالوا: قوموا إلى هذا الصابيء فقاموا فضربت لأموت فأدركني العباس فأكبّ عليّ ثمّ أقبل عليهم فقال: ويلكم تقتلون رجلاً من بني غفار ومتجركم وممركم على غفار، فأقلعوا عني فلما أصبحت الغد رجعت فقلت مثل ما قلت بالأمس فقالوا قوموا إلى هذا الصابىء فأدركني العباس فأكبّ عليّ وقال مثل مقالته بالأمس فكان أوّل اسلام أبي ذر. صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقرّه الذهبي كما هو في تلخيص المستدرك.

وروى الحاكم [١] عن مالك بن مرثد عن أبيه عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: ما تقلّ الغبراء ولا تظل الخضراء من ذي لهجة أصدق ولا أوفى من أبي ذر شبيه عيسى بن مريم، فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله فنعرف ذلك

(١) في المستدرك: ج ٣ ص ٣٤٢.

له ، قال : نعم فاعرفوه له . صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي كما هو .

وروى الحاكم أيضاً (المصدر نفسه) عن ابن حرب الديلمي قال : سمعت عبد الله بن عمرو يقول : سمعت النبي ﷺ يقول : ما أظلت الخضراء ولا أقلّت الغبراء على رجل أصدق لهجة من أبي ذر . أقرّه الذهبي .

وروى الحاكم أيضاً (المصدر نفسه) عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : ما أظلت الخضراء ولا أقلّت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر . أقرّه الذهبي .

وروى الحاكم أيضاً (المصدر نفسه : ص ٣٤٤) عن عبد الرحمن بن غنم قال : كنت مع أبي الدرداء فجاء رجل من قبل المدينة فسأله فأخبره انّ أبا ذر مسيّر إلى الربذة فقال أبو الدرداء : انّا لله وإنّا إليه راجعون ، لو انّ أبا ذر قطع لي عضواً أو يداً ما هجته بعدما سمعت النبي ﷺ يقول : ما أظلت الخضراء ولا أقلّت الغبراء من رجل أصدق لهجة من أبي ذر ، قال الذهبي سنده جيّد .

وروى أيضاً (المصدر نفسه) : عن خليفة بن خياط قال : مات أبو ذر بالربذة سنة اثنتين وثلاثين وصلى عليه عبد الله بن مسعود وفيها ياضا مات عبد الله بن مسعود وصلاة عبد الله عليه لا تبعد فقد روي انّه كان في الرهط من أهل الكوفة الذين وقفوا للصلاة عليه فعن مجاهد عن ابراهيم بن الأشتر عن أبيه عن أُم ذر قالت : لما حضرت أبا ذر الوفاة بكيت ، فقال لي : ما يبكيك ؟ قلت : ومالي لا أبكي وأنت تموت بفلاة من الأرض وليس عندي ثوب يسعك كفناً لي ولا لك ولابد منه لنعشك قال : فابشري ولا تبكي فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا يموت بين امرأين مسلمين ولدان أو ثلاثة فيحتسبان فيريان النار أبداً واني سمعت رسول الله ﷺ يقول : لنفر أنا فيهم ليموتنّ رجل منكم بفلاة من الأرض

تشهده عصابة من المؤمنين وليس من أُولئك النـفر أحـد إلّا ومـات فـي قـرية وجماعة فأنا ذلك الرجل والله ما كذبت ولا كذبت فابصري الطريق فقلت اني وقد ذهب الحاج وتقطعت الطريق، فقال: اذهبي وتبصري، قالت: فكنت أشـتد إلى الكثيب ثمّ أرجع فأمرضه فبينما أنا وهو كذلك إذا أنا برجال على رحالهم كأنهم الرخم تجدّ بهم رواحلهم قالت: فألحت بثوبي فأسرعوا إليّ حـتى وقـفوا عـليّ فقالوا: من هو؟ قلت: أبو ذر، قالوا: صاحب رسـول الله؟ قـلت: نـعم، فـفدوه بآبائهم وامهاتهم وأسرعوا إليه حتى دخلوا عليه فقال لهم: أبشروا فاني سـمعت رسول الله ﷺ يقول لنفر أنا فيهم ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض تشهده عصابة من المؤمنين وما من اولئك النفر رجل إلّا وقد هلك في قـرية وجـماعة وتالله ما كذبت ولا كذبت أنتم تسمعون انّه لو كان عندي ثوب يسعني كفناً لي أو لامرأتي لم أكفن إلّا في ثوب لي أو لها، اني أُنشدكم الله ثمّ اني انشدكم الله أن لا يكفنني رجل منكم كان أميراً أو عريفاً أو بريداً أو نقيباً وليس من اولئك النفر إلّا وقد قارف ما قال إلّا فتى من الأنصار فقال: أنا أُكفنك يا عم أُكفنك في ردائي هذا وفي ثوبين في عيبتي من غزل أُمي، قال: أنت فكفني فكفنه الأنصاري في النفر الذين حضروه وقاموا عليه ودفنوه في نفر كلهم يمان. أقره الذهبي كما هو.

أقـول: هكذا فعلت خلافة الأشياخ بالخلّص من أصحاب رسول الله ترفيهاً عن بني الحكم وبني أبي سفيان بن حرب ومن كان على مشربهم فـي الزنـدقة والنفاق والتهجم على محو سنن الله وسنن رسوله.

وقال ابن اسحاق: حدثني بريدة بن سفيان الأسلمي عـن مـحمّد بـن كـعب القرظي عن عبد الله بن مسعود قال: لما نفى عثمان أبا ذر إلى الربذة وأصابه بها قدره لم يكن معه أحد إلّا امرأته وغلامه فأوصاهما أن غسّـلاني وكـفناني ثـمّ ضعاني على قارعة الطريق فأوّل ركب يمرّ بكم قولوا له: هذا أبـو ذر صـاحب

رسول الله ﷺ فأعينونا على دفنه، فلما مات فعلا به ذلك ثمّ وضعاه على قارعة الطريق وأقبل عبد الله بن مسعود في رهط من أهل العراق يريدون العمرة فلم يرعهم إلّا الجنازة على ظهر الطريق قد كادت الابل تطؤها وقام اليهم الغلام فقال: هذا أبو ذر صاحب رسول الله فأعينونا على دفنه قال فاستهل عبد الله بن مسعود يبكي ويقول: صدق رسول الله تمشي وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك، ثمّ نزل هو واصحابه فواروه ثمّ حدثهم عبد الله بن مسعود حديثه وما قال له رسول الله في مسيره إلى تبوك.

قال ابن اسحاق: وقد كان رهط من المنافقين منهم وديعة بن ثابت اخو بني عمرو بن عوف ومنهم رجل من أشجع حليف لبني سلمة يقال له مخشّن بن حمير يشيرون إلى رسول الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك فقال بعضهم لبعض: أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً، والله لكأنّا بكم غداً مقرّنين في الحبال ارجافاً وترهيباً للمؤمنين.

أقول: وهذا نموذج آخر مما كان يلقاه الرسول ﷺ في دار هجرته ومن أمثال هؤلاء كان يتألف فريق أصحابه ويقال لهم وبالأخص في لسان أبناء التسنن (صحابة).

قال: ولما انتهى رسول الله إلى تبوك أتاه يحنة بن رؤبة صاحب أيلة فصالح رسول الله وأعطاه الجزية وأتاه أهل جرباء واذرح فأعطوه الجزية فكتب رسول الله لهم كتاباً فهو عندهم.

وقال ابن سعد (١): وكان اكيدر من كندة قد ملكهم وكان نصرانياً فانتهى إليه خالد وقد خرج من حصنه في ليلة مقمرة إلى بقر يطاردها هو وأخوه حسّان

---

(١) في الطبقات: ج ٣ ص ٢١٩.

فشدّت عليه خيل خالد بن الوليد فاستأسرا كيدر وامتنع أخوه حسّان وقاتل حتى قتل وهرب من كان معهما فدخل الحصن وأجار خالد اكيدر من القتل حتى يأتي به رسول الله على أن يفتح له دومة الجندل ففعل وصالحه على الفي بعير وثمانمائة رأس وأربعمائة درع وأربعمائة رمح.

قال ابن اسحاق: ثمّ انّ خالداً قدم بأكيدر على رسول الله ﷺ فحقن له دمه وصالحه على الجزية ثمّ خلّى سبيله فرجع إلى قريته. وأقام رسول الله بتبوك بضع عشرة ليلة لم يجاوزها ثمّ انصرف قافلاً إلى المدينة.

مسجد ضرار

وهو مكان اسسه جماعة من المنافقين يقال ان عدتهم اثنا عشر رجلاً من منافقي المدينة باسم المسجد ولكن الله فضح منوياتهم في أصل بنائه فقال فيه:

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ ٱللّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لاتَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَٱللّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ * أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللّهُ لايَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ * لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَٱللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [١].

---

(١) سورة التوبة: الآيات ١٠٧ ـ ١١٠.

قدوم عروة بن مسعود الثقفي على رسول الله وذكر وفد الطائف

قال ابن الأثير [١]: وفيها ـ أي سنة تسع ـ قدم عروة بن مسعود الثقفي على النبي مسلماً وقيل بل أدركه في الطريق مرجعه من الطائف وسأله أن يرجع إلى قومه بالاسلام فقال رسول الله ﷺ: انهم قاتلوك فقال: أنا أحب اليهم من أبكارهم ورجا أن يوافقوه لمنزلته فيهم فلما رجع إلى الطائف صعد إلى علية له وأشرف منها عليهم وأظهر الإسلام ودعاهم إليه فرموه بالنبل من كل وجه فأصابه سهم فقتله فقيل له ما ترى في دمك فقال: كرامة أكرمني الله بها.

وفي هذه السنة في رمضان قدم وفد ثقيف على رسول الله ﷺ وسبب ذلك انهم ائتمروا بينهم ورأوا أنّ من يحيط بهم من العرب قد نصبوا لهم القتال وشنوا الغارات عليهم وكان أشدهم في ذلك مالك بن عوف النصري فلا يخرج منهم مال إلّا نهب ولا انسان إلّا أُخذ فلما رأوا عجزهم اجتمعوا وأرسلوا عبد ياليل بن عمرو بن عمير والحكم بن عمرو بن وهب وشرحبيل بن غيلان وهؤلاء من الأحلاف وأرسلوا من بني مالك عثمان بن أبي العاص وأوس بن عوف ونمير بن خرشة فخرجوا حتى قدموا على رسول الله فأنزلهم في قبة في المسجد فكان خالد بن سعيد بن العاص يمشي بينهم وبين النبي وكان رسول الله يرسل اليهم ما يأكلونه مع خالد فأسلموا وكان فيما سألوا رسول الله أن يدع الطاغية وهي اللات لا يهدمها ثلاث سنين فأبى عليهم وسألوه أن يعفيهم من الصلاة فقال: لا خير في دين لا صلاة فيه فأجابوا وأسلموا.

---

(١) تاريخ ابن الأثير: ج ٢ ص ١٩٣.

حج أبي بكر بالناس سنة تسع

قال ابن اسحاق [١]: ثمّ اقام رسول الله ﷺ بقية رمضان وشوالاً وذا القعدة ثمّ بعث أبا بكر أميراً على الحج من سنة تسع ليقيم للمسلمين حجهم والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم فخرج أبو بكر ومن معه من المسلمين ونزلت براءة في نقض ما بين الرسول وبين المشركين من العهد الذي كانوا عليه فيما بينه وبينهم أن لا يصد عن البيت أحد جاءه ولا يخاف أحد في الشهر الحرام وكان ذلك عهداً عاماً بينه وبين الناس من أهل الشرك وكانت بين ذلك عهود بين رسول الله وبين قبائل العرب خاصة إلى آجال مسماة.

ارسال علي بتبليغ براءة

قال ابن اسحاق: وحدثني حكيم بن حكيم بن عبّاد بن حنيف عن أبي جعفر محمّد بن علي انّه قال: لما نزلت براءة على رسول الله وقد كان بعث أبا بكر ليقيم للناس الحج قيل له: يا رسول الله لو بعثت بها إلى أبي بكر فقال: لا يؤدي عني إلّا رجل من أهل بيتي ثمّ دعا علي بن أبي طالب فقال له: اخرج بهذه القصة من صدر براءة وأذّن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى انّه لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عند رسول الله عهد فهو إلى مدته، فخرج علي بن أبي طالب على ناقة رسول الله العضباء حتى أدرك أبا بكر بالطريق فلما رآه أبو بكر قال: أأمير أم مأمور، فقال: بل مأمور ثمّ مضيا فأقام أبو بكر للناس الحج والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من

(١) السيرة الهشامية: ج ٢ ص ٥٤٣ وما بعدها.

الحج التي كانوا عليها في الجاهلية حتى إذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب فأذّن في الناس بالذي أمره به رسول الله فقال: أيّها الناس انّه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو له إلى مدته، وأجّل الناس أربعة أشهر من يوم أذّن فيهم ليرجع كل قوم إلى مأمنهم أو بلادهم، ثمّ لا عهد لمشرك ولا ذمة إلّا أحد كان له عند رسول الله عهد إلى مدة فهو إلى مدته فلم يحج بعد ذلك العام مشرك ولم يطف بالبيت عريان، ثمّ قدما على رسول الله ﷺ.

أقول: بيت القصيد من جماع هذا الباب هو قوله ﷺ لا يؤدي عني إلّا رجل من أهل بيتي أو ما هو من نمطه كما سيجيء، وامّا ولاية الحج بالناس فهو أمر عادي لا قيمة له كما سنوفي البحث حقه في بحثنا عن الامامة. وفي الباب أحاديث جمة بطرق متعددة ومضامين متقاربة لا تنافي بينها أصلاً وجماعها انّ النبي اختصّ عليّاً لأنّه منه بتبليغ صدر براءة عنه ﷺ لأهل الموسم، فمن ذلك :

ما رواه النسائي في الخصائص، تحت عنوان: قول النبي ﷺ له: لا يؤدي عني إلّا أنا أو علي. أخبرنا أحمد بن سليمان عن اسماعيل عن أبي اسحاق عن حبشي بن جنادة السلولي قال: قال رسول الله ﷺ: علي مني وأنا منه فلا يؤدي عني إلّا أنا أو علي.

ذكر توجيه النبي ﷺ براءة مع علي

أخبرنا محمّد بن بشار عن عفان وعبد الصمد قالا: حدثنا حماد بن سلمة عن سماك بن حرب عن أنس قال: بعث النبي براءة مع أبي بكر ثمّ دعاه فقال: لا ينبغي أن يبلغ هذا إلّا رجل من أهلي فدعا عليّاً فأعطاه اياها.

أخبرنا العباس بن محمّد الدوري قال: حدثنا أبو نوح عن يونس بن أبي اسحاق عن أبي اسحاق عن زيد بن سبيع عن علي انّ رسول الله بعث ببراءة إلى أهل مكة مع أبي بكر ثمّ اتبعه بعلي فقال له: خذ الكتاب فامض به إلى أهل مكة، قال: فلحقه فأخذ الكتاب منه فانصرف أبو بكر وهو كئيب فقال لرسول الله ﷺ: أنزل فيّ شيء؟ قال: لا إلّا اني أمرت أن أُبلغه أنا أو رجل من أهل بيتي.

أخبرنا زكريا بن يحيى قال: حدثنا عبد الله بن عمر قال: حدثنا اسباط عن فطر عن عبد الله بن شريك عن عبد الله بن أرقم قال: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر ببراءة حتى إذا كان ببعض الطريق أرسل عليّاً فأخذها منه ثمّ سار بها فوجد أبو بكر في نفسه فقال رسول الله ﷺ له: لا يؤدي عني إلّا أنا أو رجل مني.

أخبرنا اسحاق بن ابراهيم بن راهويه قال: قرأت على أبي قرأت على موسى بن طارق عن أبي صالح قال: حدثني عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبي الزبير عن جابر انّ النبي ﷺ حين رجع من عمرة الجعرانة بعث أبا بكر على الحج فأقبلنا معه حتى إذا كنّا بالعرج ثوّب بالصبح فلما استوى للتكبير سمع الرغوة خلف ظهره فوقف عن التكبير وقال: هذه رغوة ناقة رسول الله الجدعاء لقد بدا لرسول الله في الحج فلعله أن يكون رسول الله ﷺ فنصلي معه فإذا علي عليها فقال أبو بكر: أمير أم رسول؟ قال: لا بل رسول أرسلني رسول الله ببراءة أقرؤها على الناس في مواقف الحج فقدمنا معه فلما كان قبل التروية بيوم قام أبو بكر فخطب الناس فحدثهم عن مناسكهم حتى إذا فرغ قام علي فقرأ على الناس براءة حتى ختمها ثمّ خرجنا معه حتى إذا كان يوم عرفة قام أبو بكر فخطب الناس فحدثهم عن مناسكهم حتى إذا فرغ قام عليّ فقرأ على الناس براءة حتى ختمها

فلما كان النفر الأوّل قام أبو بكر فخطب الناس فحدثهم كيف ينفرون أو كيف يرمون فعلمهم مناسكهم فلما فرغ قام علي فقرأ على الناس براءة حتى ختمها.

وروى أحمد (١) عن أبي بكر انّ النبي ﷺ بعثه ببراءة لأهل مكة لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلّا نفس مسلمة من كان بينه وبين رسول الله مدة فأجله إلى مدته والله بريء من المشركين ورسوله قال: فسار بها ثلاثاً ثمّ قال لعلي عليه السلام: الحقه فردّ عليّ أبا بكر وبلغها أنت، قال: ففعل فلما قدم على النبي أبو بكر بكى، قال: يا رسول الله حدث فيّ شيء؟ قال: ما حدث فيك إلّا خير ولكن أُمرت أن لا يبلغه إلّا أنا أو رجل مني.

وروى أحمد أيضاً (٢) عن علي قال: لما نزلت عشر آيات من براءة على النبي ﷺ دعا النبي أبا بكر فبعثه بها ليقرأها على أهل مكة ثمّ دعاني النبي فقال لي: أدرك أبا بكر فحيثما لحقته فخذ الكتاب منه فاذهب به إلى أهل مكة فاقرأه عليهم فلحقته بالجحفة فأخذت الكتاب منه ورجع أبو بكر فقال: يا رسول الله نزل فيّ شيء؟ قال: لا ولكن جبريل جاءني فقال: لن يؤدي عنك إلّا أنت أو رجل منك.

وروى أحمد أيضاً (٣) عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس من جملة حديث مطوّل قال فيه: ثمّ بعث فلاناً بسورة التوبة فبعث عليّاً خلفه فأخذها منه قال لا يذهب بها إلّا رجل مني وأنا منه. ولا شبهة انّ المراد بفلان أبو بكر، وإنّما عمّى اسمه أبناء التسنن تكرمة لشيخهم فيما يزعمون له.

---

(١) في المسند: ج ١ ص ٣.

(٢) في المسند: ج ١ ص ١٥١.

(٣) في المسند: ج ١ ص ٣٣٠.

وروى أحمد أيضاً (١) عن حبشي بن جنادة قال يحيى بن آدم السلولي وكان قد شهد يوم حجة الوداع قال: قال رسول الله: عليّ مني وأنا منه ولا يؤدي عني إلّا أنا أو علي، وقال ابن أبي بكير: لا يقضي عني ديني إلّا أنا أو علي. وكرر أحمد هذا الحديث عن حبشي بن جنادة بألفاظ متقاربة ثلاث مرات (٢).

وروى الحاكم (٣) عن مقسم عن ابن عباس انّ رسول الله ﷺ بعث أبا بكر وأمره أن ينادي بهؤلاء الكلمات فاتبعه عليّاً فبينا أبو بكر ببعض الطريق إذ سمع رغاء ناقة رسول الله ﷺ فخرج أبو بكر فزعاً فظن انّه رسول الله فإذا علي فدفع إليه كتاب رسول الله قد أمّره على الموسم وأمر عليّاً أن ينادي بهؤلاء الكلمات فقام علي يام التشريق فنادى انّ الله بريء من المشركين ورسوله فسيحوا في الأرض أربعة اشهر، لا يحجن بعد العام مشرك ولا يطوفنّ بالبيت عريان، ولا يدخل الجنة إلّا مؤمن، فكان علي ينادي بها فإذا بحّ قام أبو هريرة فنادى. صحيح الاسناد ولم يخرجاه. وأقرّه الذهبي كما هو.

أقول: هذه الاضافة فإذا بحّ قام أبو هريرة فنادى مزورة بلا ريب لما استفاض في مادة التحديث ببراءة عن النبي الأكرم ﷺ انّه لا يؤدي عنه إلّا هو أو علي أو رجل من أهل بيته، وقيام أبي هريرة بذلك أداء بلا مرية مضافاً إلى خلو الطرق عن هذه الزيادة كما رأيت وكما سترى.

وروى المتقي الهندي (٤) عن أبي بكر انّ النبي بعثه ببراءة إلى أهل مكة أن

---

(١) في المسند: ج ٤ ص ١٦٤.

(٢) ص ١٦٥ من المجلد ٤.

(٣) في المستدرك: ج ٣ ص ٥٢.

(٤) في كتابه كنز العمال: ج ١ ص ٤٤٤.

لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلّا نفس مسلمة من كان بينه وبين رسول الله عهد فأجله إلى مدته والله برىء من المشركين ورسوله ، فسار بها ثلاثاً ثمّ قال لعلي : الحقه فردّ علي أبا بكر وبلّغها أنت ففعل فلما قدم أبو بكر بكى فقال : يا رسول الله حدث فيّ شيء ؟ قال : ما حدث فيك إلّا خير ولكن أُمرت أ، لا يبلّغه إلّا أنا أو رجل مني .

وأورد الحافظ الكنجي في كفاية الطالب حديث ابلاغ براءة عن سعد بن أبي وقاص وقال : رواه امام أهل الحديث أحمد بن حنبل وتابعه الطبراني (راجع : ص ١٥٢) وما بعدها من الكتاب المزبور .

وقال ابن كثير [١] : قال الامام أحمد : حدثنا عفان حدثنا حماد عن سماك عن أنس بن مالك انّ رسول الله ﷺ بعث براءة مع أبي بكر فلما بلغ ذا الحليفة قال : لا يبلّغها إلّا أنا أو رجل من أهل بيتي فبعث بها مع علي بن أبي طالب . وقد رواه الترمذي من حديث حماد بن سلمة وقال : حسن غريب من حديث أنس . وقد روى عبد الله بن أحمد عن لوين عن محمّد بن جابر عن سماك عن حلس عن علي انّ رسول الله ﷺ لما أردف أبا بكر بعلي فأخذ منه الكتاب بالجحفة رجع أبو بكر فقال : يا رسول الله نزل فيّ شيء ؟ قال : لا ولكن جبريل جاءني فقال : لا يؤدي عنك إلّا أنت أو رجل منك . وعقب ابن كثير هذا الحديث الأخير وقال : هذا ضعيف الاسناد ومتنه فيه نكارة .

أقول : إن يكن في رجال السند ضعف رجالي حق فهو منجبر بعشرات الأحاديث ، وامّا النكارة التي يدعيها في المتن فهي دعوى فارغة ومضمون المتن موجود في كثير من المتون كما قرأت وكما ستقرأ .

---

(١) في البداية والنهاية : ج ٥ ص ٣٨.

وقال الطبري [١]: وبعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب على أثر أبي بكر فأدركه بالعرج فقرأ عليّ عليه براءة يوم النحر عند العقبة فحدثني محمّد بن الحسين قال: حدثنا أحمد بن المفضل قال: حدثنا أسباط عن السدي قال: لما نزلت هذه الآيات إلى رأس الأربعين يعني من سورة براءة بعث بهن رسول الله ﷺ مع أبي بكر وأمّره على الحج فلما سار فبلغ الشجرة من ذي الحليفة اتبعه بعلي فأخذها منه فرجع أبو بكر إلى النبي فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأُمي أنزل فيّ شيء؟ قال: لا ولكن لا يبلّغ عني غيري أو رجل مني. ومثل ما أورده الطبري هنا أورده ابن الأثير في تاريخه [٢].

وقال اليعقوبي [٣]: وفي تلك السنة أي سنة تسع: وجّه علي بن أبي طالب بسورة براءة فأخذها من أبي بكر فقال: يا رسول الله هل نزل فيّ شيء؟ قال: لا ولكن جبريل قال لي: لا يبلغ هذا إلّا أنت أو رجل من أهلك فقرأها على أهل مكة.

وبنظيره قال المسعودي في مروج الذهب (ج ٢ ص ٢٩٧) عند تعرضه لسنة تسع من الهجرة فراجع. وبمثله قال هيكل في كتابه حياة محمّد (ص ٤٥٥ من طبعته الثالثة).

وقال القندوزي [٤] في الترمذي عن أنس بن مالك قال: بعث النبي ﷺ ببراءة مع أبي بكر، ثمّ دعاه فقال: لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا إلّا رجل من

---

(١) في تاريخه: ج ٣ ص ١٥٤.

(٢) راجع: ج ٢ ص ٩٨ تحت عنوان حج أبي بكر.

(٣) في تاريخه: ج ٢ ص ٦٠ و ٦١.

(٤) في ينابيع المودة: ج ١ ص ٨٦ تحت عنوان الباب الثامن عشر.

أهلي، فدعا عليّاً فأعطاه إيّاها. هذا حديث حسن غريب.

وذكر عن جمع الفوائد عن جابر وعن الترمذي عن مقسم عن ابن عباس نظيراً لما سبق فلا نطيل فراجع.

وفي محكي الصواعق (١) السادس: أخرج أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة عن حبشي بن جنادة قال: قال رسول الله ﷺ: علي مني وأنا من علي ولا يؤدي عني إلّا علي.

وقال سبط ابن الجوزي في كتابه (٢): تفسير معنى قوله: ولا يؤدي عني إلّا علي، ذكر أهل السير انّ النبي ﷺ بعث أبا بكر يحج بالناس سنة تسع من الهجرة وقال له: انّ المشركين يحضرون الموسم ويطوفون بالبيت عراة ولا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك، وأعطاه أربعية آية من صدر سورة براءة ليقرأها على أهل الموسم فلما سار دعا رسول الله عليّاً فقال له: اخرج بهذه الآيات من صدر براءة فإذا اجتمع الناس إلى الموسم فأذن بها ودفع إليه ناقتة العضباء فأدرك أبا بكر بذي الحليفة فأخذ منه الآيات فرجع أبو بكر إلى رسول الله فقال: بأبي أنت وأُمي هل نزل فيّ أو في شأني شيء؟ قال: لا ولكن لا يبلغ عني غيري أو رجل مني. وذكر أحمد في الفضائل انّ رسول الله ﷺ قال له: انّ جبرئيل جاءني فقال: ابعث عليّاً فلما كان يوم النحر قام عليّ في الناس فأذّن بصدر براءة كما أمره رسول الله ﷺ ـ اه ملخصاً ـ.

واستقصاء ما ورد في الباب مما يطول بنا، فلنكتف بما ذكرناه وفيه بلاغ.

---

(١) راج ج ٢ ص ١٠٩ من ينابيع المودة طبع صيدا.

(٢) تذكرة الخواص: ص ٤٢ و ٤٣.

تزاحم الوفد على الرسول (ص) سنة تسع

لم تكن حركة الإسلام قبل فتح مكة في جملة قبائل العرب إلّا حركة ضئيلة لا قيمة لها ولا وزن بالبيان الذي موجناه في مطاوي هذه الحلقة وجماعه انّ سكّان جزيرة العرب ماكانوا يعيرون العقائد اللامعة والأخلاق العالية في جامعة بني الإنسان إلّا نظراً قاصراً وخطى قصيرة لأكبابهم على سنن الوحشية الضارية من سفك دم ونهب مال وفتك بناموس وأسر انسان يستضعف وشنّ غارات وحروب وسرقة ولصوصية على هذا ونظيره كانت تدور ساعات أيّامهم ولياليهم لا يلتفتون إلى غيره على ما أنكت بهم من جراءه الشرور والشقوة فما أفشى الفقر والموت والتشتت وتفكك الأُسر والعوائل والأفراد فيهم وغاية ما يذكر لهم من نباهة في رجالهم ونسائهم التمرد والمفاخرة والمباهاة بالأعراض الساقطة لا بالجوهر واللباب.

وسرد الشواهد لذلك مما لا معنى له هنا لترامي شقق ما يستشهد به وجلالة المقام عن ذلك فمن جراء هذه الأرواح المظلمة المتربعة في أشباحهم ما كانوا يجدون الدعوة إلى مكارم الأخلاق بالطرز الذي جائهم به محمّد ﷺ وحرره علماء الأخلاق في زبرهم إلّا قلباً لكيانهم من طبيعة إلى طبيعة ثانية تباين الأُولى تماماً من كافة الوجوه ولذلك استعصوا بالداعية الاسلامي ولجّوا معه واضطروه إلى أضيق الموارد ولولا عناية من الله برسوله وعباده لما ارغمت قريش بعد هن وهن على الخضوع للاسلام وافتتحت مكة وسقطت قبل ذلك وبعده عدة حصون وقرى وقبائل للمشركين من يهود وغير يهود لم تر متشتتة القبائل بداً من ملاقاة محمّد ﷺ والارتباط به بما يقعد من قائمه عليهم ويكفكف من منتشر توهجه فيهم فسالت إليه الوفود للتفاهم معه بما يرضيه لا انها سارت إليه مؤمنة به فإنّ

الايمان عن نزعتها الحيوية جدّ بعيد ولذلك لمّا مات محمّد انقلبوا على أعقابهم سراعاً مرتدين ولم يعودوا إلى المسالمة إلّا بعد أن قهرهم المسلمون مرة ثـانية وهكذا بقيت العشائر العربية لا دينية إلى يومنا هذا وستبقى كذلك ما دام لها عمر في الوجود وما اسلام المسلم منها إلّا لفظ فارغ ملقى على صخرة من جلمود لا يرجى من قساوتها لين ولا من تشددها رخاوة ولا من عـملها خـير وهـذا مـن الشهود بمكان عريض.

قال ابن اسحاق [١]: فقدم عليه عطارد بن حاجب في أشراف بني تميم فنادوا رسول الله ﷺ من وراء حجراته أن اخرج الينا يا محمّد فآذى ذلك رسول الله فخرج اليهم فقالوا: يا محمّد جئناك نفاخرك فأذن لشاعرنا وخطيبنا.

أقول: انظر إلى هذا التوحش الممقوت من هذه الخصيات التي كانت تعد في الطراز الأوّل من رجالات العرب وإلى سوء أدبهم قولاً وفعلاً فليت شعري مـاذا يكون من شاعرهم وخطيبهم وأشخصهم دابة هاملة ووحش نافر طبعاً لا يكون منهما إلّا الجهل والجرءة البغيضان، ثـمّ سـرد ابـن اسـحاق مـا قـال شـاعرهم وخطيبهم ولم يكن ما سرده لهم إلّا من نموذج ما جاؤا به أوّل مرة وفاتحوا به نبيّ الإسلام.

وقدم على رسول الله ﷺ وفد بني عامر فيهم عامر بن الطـفيل وأراد هـذا الوحش المتمرد الغدر برسول الله مع سوء أدب أصحر به وقد قال له قومه يا عامر انّ الناس أسلموا فأسلم، قال: والله لقد كنت آليت ألّا أنتهي حتى تـتبع العـرب عقبي أفأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش.

يقول هذا الوحش مقالته هذه وهو قد طعن في الثمانين من السـنين فكأنـها

(١) السيرة الهشامية: ج ٢ ص ٥٦٠ وما بعدها.

مرّت عليه وهو هائم مع الوحش في الفيافي الجرداء لم ير انساناً قط حتى تمرن روحه وتلين عواطفه من مجالسته وممارسته .

وبعث بنو سعد بن بكر إلى رسول الله ﷺ رجلاً منهم يقال له ضمام بن ثعلبة فأقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ في اصحابه فقال : أيكم ابن عبد المطلب ، فقال النبي : أنا ابن عبد المطلب فسأل الرسول عن مسائل أجابه عنها فآمن وأسلم ثمّ جاء قومه داعياً إلى الإسلام فتابعوه .

ووفد عليه الجارود بن عمرو في جماعة عبد القيس فأسلم ، وقدم وفد بني حنيفة ومعهم مسيلمة الكذاب فلما انصرفوا عن رسول الله وانتهوا إلى اليمامة ارتد مسيلمة وتنبأ فتابعوه قومه . وقدم زيد الخيل في وفد طيء فأسلم وسمّاه الرسول زيد الخير ، وقدم فروة بن مسيك المرادي على الرسول فأسلم واستعمله النبي ﷺ فأسلم لكنه ارتد بعد وفاة الرسول شأن أكثر العرب . وقدم الأشعث بن قيس في وفد كندة فأسلموا ، وقدم على النبي صرد بن عبد الله الأزدي فأسلم في وفد من الأزد . وقدم على رسول الله كتاب ملوك حمير مقدمه من تبوك ورسولهم إليه باسلامهم الحارث بن عبد كلال وجماعة آخرون .

وبعث فروة بن عمرو الجذامي إلى رسول الله رسولاً باسلامه وأهدى له بغلة بيضاء وكان فروة عاملاً للروم على من يليهم من العرب وكان منزله معان وما حولها من أرض الشام فلما بلغ الروم ذلك منه حبسوه ثمّ قتلوه ثمّ صلبوه .

وبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى بني الحارث بن كعب بنجران [1] وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثاً فدعاهم فأجابوا وأسلموا .

وقدم على رسول الله ﷺ رفاعة بن زيد الجذامي فأسلم وكتب له الرسول

---

(١) نجران بلد بين اليمن وهجر .

كتاباً إلى قومه فلما بلغهم أجابوه وأسلموا. ووفد من همدان وفد وأسلموا. وأطال ابن سعد في ذكر الوفود فراجع طبقاته [١].

بعث النبي علياً إلى اليمن

قال ابن سعد [٢]: وبعث رسول الله ﷺ علياً إلى اليمن في شهر رمضان سنة عشر من الهجرة وعقد له لواء وعممه بيده وقال: امض ولا تلتفت فإذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك فخرج في ثلاثمائة فارس فكانت أوّل خيل دخلت إلى تلك البلاد وهي بلاد مذحج فلقى جمعهم فدعاهم إلى الإسلام فأبوا ورموا بالنبل والحجارة فصفّ أصحابه ودفع لواءه إلى مسعود بن سنان السلمي ثمّ حمل عليهم عليّ بأصحابه فقتل منهم عشرين رجلاً فتفرقوا وانهزموا فكفّ عن طلبهم ثمّ دعاهم إلى الإسلام فأسرعوا وأجابوا وبايعه نفر من رؤسائهم على الإسلام وقالوا: نحن على من وراءنا من قومنا وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله ثمّ قفل فوافى النبي ﷺ بمكة قد قدمها للحج سنة عشر ـ اهـ ملخصاً ـ. وقال ابن هشام (ج ٢ ص ٦٤١): انّ النبي ﷺ بعث علياً إلى اليمن مرتين.

وقال الطبري [٣]: وفيها ـ أي سنة عشر ـ وجّه رسول الله علي بن أبي طالب في سرية إلى اليمن في رمضان، فعن البراء بن عازب قال: بعث رسول الله خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام فكنت فيمن سار معه فأقام عليه ستة أشهر لا يجيبونه إلى شيء فبعث النبي علي بن أبي طالب وأمره أن يقفل

---

(١) ج ٢ من ص ٥٦ إلى منتهى ص ١٢١.

(٢) الطبقات: ج ٣ ص ٢٢٢.

(٣) في تاريخه: ج ٣ ص ١٥٩.

خالداً ومن معه فإن أراد أحد ممن كان مع خالد بن الوليد أن يعقب معه تركه قال البراء: فكنت فيمن عقب معه فلما انتهينا إلى أوائل اليمن بلغ القوم الخبر فجمعوا له فصلّى بنا عليّ الفجر فلما فرغ صفنا صفاً واحداً ثمّ تقدم بين أيدينا فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ فأسلمت همدان كلها في يوم واحد وكتب بذلك إلى رسول الله فلما قرأ كتاب خرّ ساجداً ثمّ جلس فقال: السلام على همدان السلام على همدان ثمّ تتابع أهل اليمن على الإسلام.

روى المتقي الهندي في كتابه [١] عن علي قال: أتى النبي ﷺ ناس من الين فقالوا: ابعث فينا من يفقهنا في الدين ويعلمنا السنن ويحكم فينا بكتاب الله، فقال النبي: انطلق يا عليّ إلى أهل اليمن ففقههم في الدين وعلمهم السنن واحكم فيهم بكتاب الله، فقلت: انّ أهل اليمن قوم طغام يأتوني من القضاء بما لا علم لي به فضرب النبي على صدري ثمّ قال: اذهب فإنّ الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك فما شككت في قضاء بين اثنين حتى الساعة ـ ابن جرير ـ.

وروى المتقي الهندي أيضاً (ج ٥ ص ٣٧) عن علي قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن فقلت: يا رسول الله بعثتني إلى قوم هم أسنّ مني وأنا حدث لا أبصر القضاء فوضع يده على صدري وقال: اللهم ثبّت لسانه واهد قلبه، يا علي إذا جلس اليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأوّل فانك إذا فعلت ذلك تبيّن لك القضاء فما أشكل عليّ قضاء بعد [٢].

وروى المتقي الهندي أيضاً (ج ٥ ص ٣٥): انطلق فاقرأها على الناس فإنّ الله

---

(١) منتخب كنز العمال: ج ٥ ص ٣٦.

(٢) الحاكم في المستدرك. وابن سعد، وأحمد في مسنده، والعدني، وأبو داود، والترمذي، وقال حسن. وأبو يعلى في مسنده، وابن جرير وصححه. وابن حبان في صحيحه، والبيهقي في السنن.

يثبت لسانك ويهدي قلبك انّ الناس سيتقاضون اليك فإذا أتاك الخصمان فلا تقض لواحد حتى تسمع كلام الآخر، فإنّه أجدر أن تعلم لمن الحق، البيهقي في شعب الايمان عن علي.

عليّ أقضى الصحابة

وروى الحاكم [١] عن علقمة عن عبد الله قال: كنا نتحدث انّ أقضى أهل المدينة علي بن أبي طالب، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقرّه الذهبي كما هو.

وروى الحاكم أيضاً (المصدر نفسه) عن أبي البختري قال: قال عليّ: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن قال: فقلت: يا رسول الله اني رجل شاب وانّه يرد عليّ من القضاء ما لا علم لي به، قال: فوضع يده على صدري وقال: اللهم ثبّت لسانه واهد قلبه فما شككت في القضاء أو في قضاء بعده. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأقرّه الذهبي كما هو. وأورده صاحب الصواعق المحرقة في الحديث العاشر من الأحاديث التي ساقها في فضل علي.

وروى الحافظ المحب الطبري في كتابه [٢] عن أنس انّ النبي ﷺ قال: أقضى أُمتي عليّ. أخرجه البغوي في المصابيح في الحسان، وعن عمر قال: أقضانا علي. أخرجه الحافظ السلفي. وعن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: تخصم الناس بسبع ولا يحاجّك أحد من قريش، أنت أوّلهم ايماناً بالله وأوفاهم بعهد الله وأقومهم بأمر الله وأقسمهم بالسوية وأعدلهم في

(١) في المستدرك: ج ٣ ص ١٣٥.

(٢) ذخائر العقبى: ص ٨٣ وما بعدها.

الرعية وأبصرهم بالقضية وأعظمهم عند الله مزية. أخرجه الحاكمي، وعن علي قال: لما بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن قاضياً وأنا حديث السن قلت: يا رسول الله تبعثني إلى قوم تكون بينهم أحداث ولا علم لي بالقضاء، قال: انّ الله سيهدي لسانك ويثبت قلبك، قال: فما شككت في قضاء بين اثنين. خرجه أحمد.

وذكر النسائي في الخصائص تحت عنوان: ذكر قوله ﷺ لعلي: انّ الله سيهدي قلبك: أخبرنا أبو جعفر عن عمرو البصري عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن علي قال: بعثني رسول الله إلى اليمن وأنا شاب حديث السن قال: فقلت: يا رسول الله تبعثني إلى قوم تكون بينهم أحداث وأنا شاب حديث السن قال انّ الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك، قال: ما شككت في حديث أقضي بين اثنين.

أخبرنا محمّد بن المثنى عن أبي معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن علي قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى أهل اليمن لأقضي بينهم فقلت: يا رسول الله لا علم لي بالقضاء، فضرب بيده على صدري وقال: اللهم اهد قلبه وسدّد لسانه فما شككت في قضاء بين اثنين حين جلست في مجلسي. قال أبو عبد الرحمن النسائي: هذا حديث سمعته من عمرو بن مرة عن أبي البختري قال: أخبرني من سمع عليّاً، قال أبو عبد الرحمن البختري: لم يسمع من علي شئاً. أقول: هذا ينافي ما سبق عن الحاكم انّ أبا البختري سمع من علي وتأييد الذهبي له في ذلك.

أخبرنا أحمد بن سليمان الرهاوي عن يحيى بن آدم عن شريك عن سماك عن حنش بن المعتمر عن علي قال: بعثني رسول الله إلى اليمن وأنا شاب فقلت: يارسول الله تبعثني إلى قوم ذوي أسنان أقضي بينهم ولا علم لي بالقضاء؟ فوضع

يده على صدري ثمّ قال: انّ الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك يا علي إذا جلس اليك الخصمان فلا تقضي بينهما حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأوّل فانك إذا فعلت ذلك تبدّى لك القضاء، قال علي: فما أشكل علي قضاء بعد ذلك.

أخبرنا أحمد بن سليمان عن يحيى بن آدم عن اسرائيل بن أبي اسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي قال: بعثني رسول الله إلى اليمن فقلت انك تبعثني إلى قوم هم أنسّ مني لأقضي بينهم؟ فقال: انّ الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك.

أخبرنا شعيب عن أبي اسحاق عن عمرو بن حبشي عن علي، واخبرني أبو عبد الرحمن زكريا بن يحيى عن محمّد بن العلاء عن معاوية بن هشام عن شيبان عن أبي اسحاق عن عمرو بن حبشي عن علي قال: بعثني رسول الله إلى اليمن فقلت: يا رسول الله انك تبعثني إلى شيوخ ذوي أسنان اني أخاف أن لا أصيب فقال: انّ الله سيثبت لسانك ويهدي قلبك. وأورد الحافظ الكنجي نظير ذلك في كتابه الطالب في الباب الخامس عشر، راجع ص ٣٩.

وروى الحافظ أبو نعيم الاصبهاني [(١)] عن محمّد بن جعفر بن الهيثم عن جعفر بن محمّد الصائغ عن قبيصة بن عقبة عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال عمر: عليّ أقضانا.

حدثنا ابراهيم بن أحمد بن أبي حصين عن محمّد بن عبد الله الحضرمي عن خلف بن خالد العبدي عن بشر بن ابراهيم الأنصاري عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل قال: قال النبي: يا علي أخصمك بالنبوة ولا نبوة بعدي وتخصم الناس بسبع ولا يحاجك فيها أحد من قريش: أنت أولهم ايماناً بالله وأوفاهم بعهد الله وأقومهم بأمر الله وأقسمهم بالسوية وأعدلهم في الرعية

---

(١) في كتاب حلية الأولياء: ج ١ ص ٦٥ وما بعدها.

وأبصرهم بالقضية وأعظمهم عند الله مزية .

حدثنا محمّد بن المظفر عن عبد الله بن اسحاق عن ابراهيم الأنماطي عن القاسم بن معاوية الأنصاري عن عصمة بن محمّد عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ لعلي وضرب بين كتفيه : يا علي لك سبع خصال لا يحاجك فيهن احد يوم القيامة : أنت أوّل المؤمنين ايماناً وأوفاهم بعهد الله وأقومهم بأمر الله وأرأفهم بالرعية وأقسمهم بالسوية وأعلمهم بالقضية وأعظمهم مزية يوم القيامة .

وقال الهيثمي في الصواعق المحرقة في الفصل الثالث الذي عقده لثناء الصحابة على علي : أخرج ابن سعد عن أبي هريرة قال : قال عمر بن الخطاب : عليّ أقضانا . وأخرج الحاكم عن ابن مسعود قال : أقضى أهل المدينة علي . وأخرج ابن عساكر عن ابن مسعود قال : أفرض أهل المدينة وأقضاها علي .

وقال سبط ابن الجوزي [١] حديث في قضاءه : قال أحمد في الفضائل : حدثنا نمير عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن علي عليه السلام قال : بعثني رسول الله إلى اليمن وأنا شاب فقلت : يا رسول الله تبعثني إلى قوم لأقضي بينهم وأنا شاب لا علم لي بالقضاء ؟ فقال : ادن مني فدنوت منه فضرب في صدري وقال : اللهم اهد قلبه وثبت لسانه ، قال : فما شككت بعدها في قضاء بين اثنين . وأخرجه في المسند أيضاً ، وذكره ابن اسحاق وغيره في المغازي ـ اهملخصاً ـ .

وقال ابن كثير [٢] : قال الامام أحمد حدثنا يحيى عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن علي قال : بعثني رسول الله إلى اليمن وأنا حديث السن

---

(١) في كتابه تذكرة الخواص : ص ٤٩.

(٢) في البداية والنهاية : ج ٥ ص ١٠٧.

قال: فقلت: تبعثني إلى قوم تكون بينهم أحداث ولا علم لي بالقضاء ؟ قال: انّ الله سيهدي لسانك ويثبت قلبك، قال: فما شككت في قضاء بين اثنين. ورواه ابن ماجة من حديث الأعمش به، وقال الامام أحمد حدثنا اسود بن عامر حدثنا شريك عن سماك عن حنش عن علي قال: بعثني رسول الله إلى اليمن قال فقلت: يارسول الله تبعثني إلى قوم أسن مني وأنا حدث لا أبصر القضاء، قال: فوضع يده على صدري وقال: اللهم ثبت لسانه واهد قلبه، يا علي إذا جلس اليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر ما سمعت من الأوّل فانك إذا فعلت ذلك تبيّن لك، قال: فما اختلف عليّ قضاء بعد، أو ما أشكل علي قضاء بعد، ورواه أحمد أيضاً وأبو داود من طرق عن شريك والترمذي من حديث زائدة كلاهما عن سماك بن حرب عن حنش بن المعتمر وقيل ابن ربيعة الكناني الكوفي عن علي به، ثمّ ساق عدة قضايا لعلي عليه السلام لسنا بصدد ذكرها الآن. ونكتفي من حديث هذا الباب بما ذكرناه.

حجّة الوداع

قال الطبري[(١)]: فلما دخل ذو القعدة من هذه السنة أعني سنة عشر تجهز النبي إلى الحج فأمر الناس بالجهاز له وخرج صلى الله عليه وآله وسلم إلى الحج لخمس ليال بقين من ذي القعدة لا يذكر ولا يذكر الناس إلّا الحج حتى إذا كان بسرف وقد ساق صلى الله عليه وآله وسلم معه الهدي واشراف من اشراف الناس أمر الناس أن يحلّوا بعمرة إلّا من ساق الهدي، ودخل الرسول مكة فحلّ كل من كان لا هدي معه وحلّ نساؤه بعمرة، وكان الرسول قد بعث علي بن أبي طالب إلى نجران فلقيه بمكة وقد أحرم

(١) في تاريخ: ج ٣ ص ١٦٧ وما بعدها.

فدخل عليّ على فاطمة فوجدها قد أحلّت وتهيأت فقال: مالك يابنة رسول الله؟ قالت: أمرنا رسول الله أن نحل بعمرة فأحللنا ثمّ أتى رسول الله ﷺ فلما فرغ من الخبر عن سفره قال له الرسول: انطلق فطف بالبيت وحلّ كما حلّ أصحابك فقال: يا رسول الله اني قد أهللت بما أهللت به فأمره مع ذلك بأن يحل، قال: قلت: يا رسول الله اني قلت حين أحرمت اللهم اني أهللت بما أهلّ به عبدك ورسولك، قال: فهل معك من هدي؟ قلت: لا، فأشركه رسول الله في هديه وثبت على احرامه مع رسول الله حتى فرغا من الحج ونحر رسول الله الهدي عنهما.

حدثنا ابن حميد عن سلمة عن ابن اسحاق عن يحيى ابن عبد الله عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن ركانة قال: لما أقبل علي بن أبي طالب من اليمن ليلقى رسول الله بمكة تعجل إلى رسول الله واستخلف على جنده الذين معه رجلاً من أصحابه فعمد ذلك الرجل فكسى رجالاً من القوم حللاً من البز الذي كان مع علي بن أبي طالب فلما دنا جيشه خرج علي ليلقاهم فإذا هم عليهم الحلل فقال: ويحك ما هذا؟ قال: كسوت القوم ليجملوا به إذا قدموا في الناس، فقال: ويلك انزع من قبل أن تنتهي إلى رسول الله، قال: فانتزع الحلل من الناس وردها في البز وأظهر الجيش شكاية لما صنع بهم فعن أبي سعيد الخدري قال: شكا الناس علي بن أبي طالب فقام رسول الله فينا خطيباً فسمعته يقول: يا أيّها الناس لا تشكو عليّاً فوالله انّه لأخشن في ذات الله أو في سبيل الله.

وروى الحاكم[1] عن عمرو بن شاس الأسلمي وكان من أصحاب الحديبية قال: خرجنا مع علي إلى اليمن فجفاني في سفره ذلك حتى وجدت في نفسي

---

(١) في المستدرك: ج ٣ ص ١٢٢.

فلما قدمت أظهرت شكايته في المسجد حتى بلغ ذلك رسول الله قال: فدخلت المسجد ذات غداة ورسول الله في ناس من أصحابه فلما رآني حدّد اليّ النظر حتى إذا جلست قال: يا عمرو أما والله لقد آذيتني، فقلت: أعوذ بالله أن أُوذيك يا رسول الله، قال: بلى، من آذى عليّاً فقد آذاني. هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه، وأقرّه الذهبي كما هو.

وروى الحاكم أيضاً [١] ما ساقه الطبري وابن اسحاق عن أبي سعيد الخدري قال: شكى علي بن أبي طالب إلى رسول الله فقام فينا خطيباً فسمعته يقول: أيّها الناس لا تشكوا عليّاً فوالله انّه لأخشن في ذات الله أو في سبيل الله. هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه، وأقره الذهبي كما هو.

وروى المتقي الهندي [٢]: من آذى عليّاً فقد آذاني (أحمد في المسند، والبخاري في التاريخ، والحاكم في المستدرك عن عمرو بن شاس).

وروى أيضاً (ج ٥ ٣٤): أيّها الناس لا تشكوا عليّاً فوالله انّه لأخيشن في ذات الله أو في سبيل الله. (أحمد في مسنده، والحاكم في المستدرك، وسعيد بن منصور في سننه عن أبي سعيد).

وروى أيضاً (المصدر نفسه): لا تسبوا عليّاً فإنّه ممسوس في ذات الله. (الطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية عن كعب بن عجرة).

وراجع الحلية لأبي نعيم [٣] لقول النبي فيه: أيّها الناس لا تشكوا عليّاً فوالله انّه لأخشين في ذات الله عزوجل. ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً فيه: لا تسبوا عليّاً فإنّه

---

(١) المستدرك: ج ٣ ص ١٣٤.

(٢) في كتابه منتخب كنز العمال: ج ٥ ص ٣٠.

(٣) ج ١ ص ٦٨ في الفصل الذي عقده لعلي عليه السلام.

ممسوس في ذات الله تعالى. والحديث في لزوم حبه وتحريم بغضه وأذيته وما إلى ذلك طويل عريض ليس هذا محله.

وقال اليعقوبي [١] عند تعرضه لحجة الوداع: ووقف عند زمزم وأمر ربيعة بن امية بن خلف فوقف تحت صدر راحلته وكان صبياً فقال: يا ربيعة قل يا أيّها الناس انّ رسول الله يقول لعلكم لا تلقونني على مثل حالي هذه هل تدرون أي بلد هذا وهل تدرون أي شهر هذا وهل تدرون أيّ يوم هذا، فقال الناس: نعم هذا البلد الحرام والشهر الحرام واليوم الحرام، قال ﷺ: فإنّ الله حرم عليكم دمائكم وأموالكم كحرمة بلدكم هذا وكحرمة شهركم هذا وكحرمة يومكم هذا ألا هل بلّغت؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد. واتقوا الله ولا تبخسوا الناس أشيائهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين فمن كانت عنده أمانة فليؤدها ثمّ قال ﷺ: الناس في الإسلام سواء الناس طفّ [٢] الصاع لآدم وحواء لا فضل لعربي على عجمي ولا عجمي على عربي إلّا بتقوى الله ألا هل بلّغت؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد ثمّ قال ﷺ: كل دم كان في الجاهلية موضوع تحت قدمي وأوّل دم أضعه دم آدم بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وكان آدم بن ربيعة مسترضعاً في هذيل فقتله بنو سعد بن بكر، وقيل في بني ليث فقتلته هذيل، ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد، قال ﷺ: وكل رباً كان في الجاهلية فهو موضوع تحت قدمي وأوّل رباً أضعه ربا العباس بن عبد المطلب ألا هل بلّغت؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد.

قال ﷺ: يا أيّها الناس إنّما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا

---

(١) في تاريخه: ج ٢ ص ٩٠.

(٢) أي بعضهم قريب من بعض في المقاييس الفطرية.

يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرّم الله ألا وان الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض وانّ عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله منها أربعة حرم رجب الذي بين جمادى وشعبان يدعونه رجب مضر [١] وثلاثة متوالية ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ألا هل بلّغت ؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد. قال ﷺ: أُوصيكم بالنساء خيراً فإنّما هنّ عوار عندكم لا يملكن لأنفسهن شيئاً وإنّما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكتاب الله ولكم عليهن حق ولهن عليكم حق كسوتهن ورزقهن بالمعروف ولكم عليهن أن لا يوطئن فراشكم أحداً ولا يأذنّ في بيوتكم إلّا بعلمكم وإذنكم فإن فعلن شيئاً من ذلك فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح ألا هل بلّغت ؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد. قال ﷺ: فأوصيكم بمن ملكت ايمانكم فأطعموهم مما تأكلون والبسوهم مما تلبسون وان أذنبوا فكلوا عقوباتهم إلى شراركم ألا هل بلّغت ؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد.

ثمّ قال ﷺ: انّ المسلم أخو المسلم لا يغشه ولا يخونه ولا يغتابه ولا يحل له دمه ولا شيء من ماله إلّا بطيب نفسه ألا هل بلّغت ؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد. ثمّ قال ﷺ: انّ الشيطان قد يئس أن يعبد بعد اليوم ولكن يطاع فيما سوى ذلك من أعمالكم التي تحتقرون فقد رضي به، ألا هل بلّغت ؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد. ثمّ قال ﷺ: أعدى الأعداء لله قاتل غير قاتله وضارب غير ضاربه ومن كفر نعمة مواليهِ فقد كفر بما أنزل الله على محمّد ومن انتمى إلى غير أبيه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ألا هل بلّغت ؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد. ثمّ قال ﷺ: ألا اني إنّما أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا لا إله الا

---

(١) لأنّ مضر كانت تعظمه أكثر من غيرهم.

الله واني رسول الله وإذا قالوها عصموا مني دمائهم وأموالهم إلّا بحق وحسابهم على الله ، ألا هل بلّغت ؟ قالوا : نعم ، قال : اللهم اشهد . ثمّ قال ﷺ : لا ترجعوا بعدي كفاراً مضلين يملك بعضكم رقاب بعض اني قد خلفت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، ألا هل بلّغت ؟ قالوا : نعم ، قال : اللهم اشهد . ثمّ قال ﷺ : انكم مسؤولون فليبلغ الشاهد من الغائب ـ إلى أن يقول ـ :

وخرج ﷺ ليلاً ـ أي من مكة ـ منصرفاً إلى المدينة فصار إلى موضع بالقرب من الجحفة يقال له غدير خم لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة وقام خطيباً وأخذ بيد علي بن أبي طالب فقال : ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : بلى يارسول الله قال : فمن كنت مولاه فعليّ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . ثمّ قال ﷺ : أيّها الناس اني فرطكم وأنتم واردون عليّ الحوض واني سائلكم حين تردون عليّ عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، قالوا : وما الثقلان يا رسول الله ؟ قال : الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرف بأيديكم فاستمسكوا به ولا تضلوا ولا تبدلوا وعترتي أهل بيتي ـ اهـ ملخصاً ـ .

أقول : هنا مقام التعرّض لمقامين : حديث الغدير ، والمهم مما ورد في أهل بيته عليهم السلام .

المقام الأوّل ـ حديث الغدير

روى أحمد في المسند (ج ١ ص ٨٤) عن زاذان أبي عمر قال : سمعت عليّاً في الرحبة وهو ينشد الناس من شهد رسول الله يوم غدير خم وهو يقول : ما قال فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا انهم سمعوا رسول الله وهو يقول : من كنت مولاه فعليّ مولاه .

وروى أيضاً (ج ١ ص ٨٨) عن زياد بن أبي زياد قال : سمعت علي بن أبي

طالب ينشد الناس فقال انشد الله رجلاً مسلماً سمع رسول الله يقول يوم غدير خم ما قال فقام اثنا عشر بدرياً فشهدوا.

وروى أيضاً (ج ١ ص ١١٨) عن سعيد بن وهب وعن زيد بن يثيع قالا نشد علي الناس في الرحبة من سمع رسول الله يقول يوم غدير خم إلّا قام، قال: فقام من قبل سعيد ستة ومن قبل زيد ستة فشهدوا انهم سمعوا رسول الله يقول لعلي يوم غدير خم أليس الله أولى بالمؤمنين؟ قالوا: بلى، قال: اللهم من كنت مولاه فعليّ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه.

وروى أيضاً (ج ١ ص ١١٩) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: شهدت عليّاً في الرحبة ينشد الناس انشد الله من سمع رسول الله يقول يوم غدير خم من كنت مولاه فعليّ مولاه لما قام فشهد، قال عبد الرحمن: فقام اثنا عشر بدرياً كأني أنظر إلى أحدهم فقالوا: نشهد انا سمعنا رسول الله يقول يوم غدير خم ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجي أُمهاتهم فقلنا بلى يا رسول الله قال فمن كنت مولاه فعليّ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه.

وروى أيضاً (المصدر نفسه) عن سماك بن عبيد بن الوليد العبسي قال: دخلت على عبد الرحمن بن أبي ليلى فحدثني انّه شهد عليّاً في الرحبة قال انشد الله رجلاً سمع رسول والله وشهده يوم غدير خم إلّا قام ولا يقوم إلّا من قد رآه، فقام اثنا عشر رجلاً فقالوا: قد رأيناه وسمعناه حيث أخذ بيده يقول: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله. فقام إلّا ثلاثة لم يقوموا فدعا عليهم فأصابتهم دعوته.

وروى أيضاً (ج ١ ص ٣٣٠) عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس ـ من جملة حديث مطول ـ قال: وقال له رسول الله: أنت وليي في كل مؤمن بعدي وقال: من كنت مولاه فإنّ مولاه علي.

وروى أيضاً (ج ٤ ص ٢٨١) عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال :كنا مع رسول الله في سفر لنا بغدير خم فنودي فينا الصلاة وكسح لرسول الله تحت شجرتين فصلى الظهر وأخذ بيد علي فقال : ألستم تعلمون اني أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا : بلى قال : ألستم تعلمون اني أولى بكل مؤمن من نفسه قالوا بلى قال : فأخذ بيد علي فقال : من كنت مولاه فعليّ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، قال : فلقيه عمر بعد ذلك فقال له : هنيئاً ياابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة ، قال أبو عبد الرحمن : حدثنا هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نحوه .

وروى أيضاً (ج ٤ ص ٣٦٨) عن عطية العوفي قال : سألت زيد بن أرقم فقلت له : انّ ختناً لي حدثني عنك بحديث في شأن عليّ يوم غدير خم فأنا أحب أن أسمعه منك فقال : انكم معشر أهل العراق فيكم ما فيكم فقلت له : ليس عليك مني بأس ، فقال : نعم كنا بالجحفة فخرج رسول الله الينا ظهراً وهو آخذر بعضد علي فقال : يا أيّها الناس ألستم تعلمون اني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، قالوا : بلى قال : فمن كنت مولاه فعليّ مولاه ، قال : فقلت له : هل قال اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، قال : إنّما أخبرك كما سمعت .

وروى أيضاً (ج ٤ ص ٣٧٠) عن أبي الطفيل قال : جمع علي الناس في الرحبة ثمّ قال لهم انشد الله كل امرىء مسلم سمع رسول الله يقول يوم غدير خم ما سمع لما قام فقام ثلاثون من الناس وقال أبو نعيم فقام ناس كثير فشهدوا حين أخذه بيده فقال للناس أتعلمون اني أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا : نعم يارسول الله ، قال : من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، قال : فخرجت وكأنّ في نفسي شيئاً فلقيت زيد بن أرقم فقلت له : اني سمعت

عليّاً يقول كذا وكذا، قال: فما تنكر قد سمعت رسول الله يقول ذلك له.

وروى أيضاً (ج ٤ ص ٣٧٢) عن ميمون أبي عبد الله قال: قال زيد بن أرقم وأنا أسمع: نزلنا مع رسول الله بواد يقال له وادي خم فأمر بالصلاة فصلاها بهجير قال فخطبنا وظلل لرسول الله بثوبه على شجرة سمرة من الشمس فقال: ألستم تعلمون اولستم تشهدون اني أولى بكل مؤمن من نفسه قالوا: بلى قال فمن كنت مولاه فإنّ عليّاً مولاه اللهم عاد من عاداه ووال من والاه. وكرر أحمد هذا الحديث عن زيد بن أرقم في هذه الصفحة.

وروى أيضاً (ج ٥ ص ٣٤٧) عن بريدة قال: غزوت مع علي اليمن فرأيت منه جفوة فلما قدمت على رسول الله ذكرت عليّاً فتنقصته فرأيت وجه رسول الله يتغير فقال: يا بريدة ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم قلت: بلى يارسول الله قال: من كنت مولاه فعلي مولاه.

وروى النسائي في الخصائص تحت عنوان قول النبي ﷺ لعلي: من كنت وليه فهذا وليه. عن أحمد بن المثنى عن يحيى بن معاذ عن أبي عوانة عن سليمان عن حبيب بن أبي ثابت عن الطفيل عن زيد بن أرقم قال: لما دفع النبي ﷺ من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقمّمن ثمّ قال: كأني دعيت فأجبت واني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ثمّ قال: انّ الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن ثمّ انّه أخذ بيد علي فقال: من كنت وليه فهذا وليّه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه فقلت لزيد سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: انّه ما كان في الدوحات احد إلّا رآه بعينيه وسمعه بأُذنيه.

أخبرنا محمّد بن العلاء الكوفي عن أبي معاوية عن الأعمش عن سعيد بن عمير عن أبي بريدة عن أبيه قال: بعثنا رسول الله ﷺ واستعمل علينا عليّاً فلما

رجعنا سألنا كيف رأيتم صحبة صاحبكم فاما شكوته انا وامّا شكاه غيري فرفعت رأسي وكنت رجلاً مكباً وإذا وجه رسول الله قد احمرّ وقال: من كنت وليه فعلي وليّه.

عن محمّد بن المثنى عن أبي أحمد عن عبد الملك بن أبي عيينة عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: حدثني بريدة قال: بعثني النبي ﷺ مع علي إلى اليمن فرأيت منه جفوة فلما رجعت شكوت إلى النبي فرفع رأسه اليّ وقال: يا بريدة من كنت مولاه فعليّ مولاه.

عن أبي داود عن أبي نعيم عن عبد الملك بن أبي عيينة عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن بريدة قال: خرجت مع علي إلى اليمن فرأيت منه جفوة فقدمت على النبي فذكرت علياً فتنقصته فجعل رسول الله ﷺ يتغير وجهه فقال: يا بريدة ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم قلت: بلى يارسول الله قال: من كنت مولاه فعلي مولاه.

عن زكريا بن يحيى عن نصر بن علي عن عبد الله بن داود عن عبد الواحد بن أيمن عن أبيه انّ سعداً قال: قال رسول الله: من كنت مولاه فعليّ مولاه.

عن قتيبة بن سعيد عن ابن أبي عدي عن عوف عن ميمون أبي عبد الله قال: قال زيد بن أرقم: قام رسول الله فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: ألستم تعلمون اني أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى نشهد لأنت أولى بكل مؤمن من نفسه قال: فاني من كنت مولاه فهذا مولاه وأخذ بيد علي.

محمّد بن يحيى بن عبد الله النيسابوري وأحمد بن عثمان بن حكيم جميعاً عن عبد الله بن موسى عن هانيء بن أيّوب عن طلحة عن عمرو بن سعد انّه سمع عليّاً وهو ينشد في الرحبة من سمع رسول الله يقول من كنت مولاه فعليّ مولاه فقام ستة نفر فشهدوا.

عن محمّد بن المثنى عن محمّد عن شعبة عن أبي اسحاق عن سعيد بن وهب قال: قام خمسة أو ستة من أصحاب رسول الله ﷺ فشهدوا انّ رسول الله قال من كنت مولاه فعليّ مولاه.

عن علي بن محمّد بن علي قاضي المصيصة عن خلف عن شعبة عن أبي اسحاق عن سعيد بن وهب انّه قام صحابة ستة وقال زيد بن يثيع وقام مما يلي المنبر ستة فشهدوا انهم سمعوا رسول الله يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه.

عن أبي داود عن عمران بن أبان عن شريك عن أبي اسحاق عن زيد بن يثيع قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول على منبر الكوفة: اني أُنشد الله رجلاً ولا يشهد إلّا أصحاب محمّد ﷺ سمع رسول الله يوم غدير خم يقول: من كنت مولاه فعليّ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه فقام ستة من جانب المنبر الآخر فشهدوا انهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول ذلك، قال شريك فقلت لأبي اسحاق: هل سمعت البراء بن عازب يحدث بهذا عن رسول الله ﷺ قال: نعم، قال أبو عبد الرحمن عمران بن أبان الواسطي ليس بقوي في الحديث.

عن أحمد بن شعيب عن قتيبة بن سعيد عن جعفر بن سليمان عن يزيد عن مطرّف بن عبد الله عن عمران بن حصين انّ رسول الله قال: ما تريدون من علي انّ عليّاً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي.

عن أحمد بن شعيب عن واصل بن عبد الأعلى الكوفي عن ابن فضيل عن الأجلح عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: بعثنا رسول الله إلى اليمن مع خالد بن الوليد وبعث عليّاً على جيش آخر وقال ان التقيتما فعليّ على الناس وان تفرقتما فكل واحد منكما على جنده فلقينا بني زبيد من أهل اليمن وظفر المسلمون بالمشركين فقاتلنا المقاتلة وسبينا الذرية فاصطفى علي جارية لنفسه من السبي وكتب بذلك خالد بن الوليد إلى النبي وأمرني أن أنال منه فدفعت الكتاب إليه

ونلت من علي فتغير وجه رسول الله وقال: لا تبغض يا بريدة عليّاً فإنّ عليّاً مني وأنا منه وهو وليكم بعدي.

عن أحمد بن شعيب عن هارون بن عبد الله البغدادي عن مصعب بن المقدام عن فطر بن خليفة عن أبي الطفيل، وعن أبي داود عن محمّد بن سليمان عن فطر عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال: جمع علي الناس في الرحبة فقال: انشد بالله كل امرىء سمع من رسول الله يقول يوم غدير خم ألستم تعلمون اني أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو قائم ثمّ أخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه قال أبو الطفيل: فخرجت وفي نفسي منه شيء فلقيت زيد بن أرقم فأخبرته فقال: تشك؟ أنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واللفظ لأبي داود.

عن أحمد بن شعيب: إلى أنهى سنده إلى عائشة بنت سعد وعامر بن سعد عن سعد انّ رسول الله خطب فقال: امّا بعد أيّها الناس فاني وليكم قالوا صدقت ثمّ أخذ بيد علي فرفعها ثمّ قال: هذا وليي والمؤدي عني والى الله من والاه وعادى من عاداه.

أحمد بن عثمان البصري أبو الجوزاء ـ حتى ينهيه ـ إلى بنت سعد عن سعد قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيد علي فخطب فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: ألم تعلموا اني أولى بكم من أنفسكم قالوا: نعم، صدقت يا رسول الله ثمّ أخذ بيد علي فرفعها فقال: من كنت وليه فهذا وليه وان الله ليوالي من والاه ويعادي من عاداه.

عن أحمد بن شعيب عن زكريا بن يحيى عن يعقوب بن جعفر بن أبي كثير عن مهاجر بن مسمار عن عائشة بنت سعد عن سعد قال: كنّا مع رسول الله بطريق مكة وهو متوجه اليها فلما بلغ غدير خم وقف للناس ثمّ ورد من تبعه ولحقه من

تخلّف فلما اجتمع الناس إليه قال: أيّها الناس من وليكم قالوا الله ورسوله ثلاثاً ثمّ أخذ بيد علي فأقامه ثمّ قال: من كان الله ورسوله وليه فهذا وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه.

أحمد بن شعيب عن الحسين بن حريث المروزي عن الفضل بن موسى عن الأعمش عن أبي اسحاق عن سعيد بن وهب قال: قال علي في الرحبة انشد بالله من سمع رسول الله ﷺ يوم غدير خم يقول انّ الله ورسوله ولي المؤمنين ومن كنت وليّه فهذا وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره قال: فقال سعيد قام إلى جنبي ستة وقال زيد بن يثيع قام عندي ستة وقال عمر وذو أمر أحبّ من أحبّه وابغض من أبغضه وساق الحديث رواه اسرائيل عن أبي اسحاق عن عمر وذي أمر.

أحمد بن شعيب عن علي بن محمّد بن علي عن خلف بن تميم عن اسرائيل عن أبي اسحاق عن عمر وذي أمر قال: شهدت علياً بالرحبة ينشد أصحاب محمّد أيكم سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم ما قال، فقام أُناس فشهدوا انهم سمعوا رسول الله يقول: من كنت مولاه فعليّ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه واحبّ من أحبّه وابغض من أبغضه وانصر من نصره.

وقال السيوطي في تاريخ الخلفاء في الفصل الذي عقده لعلي بن أبي طالب: وأخرج الترمذي عن أبي سريحة أو زيد بن أرقم عن النبي ﷺ قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه. وأخرجه أحمد عن علي وأبي أيّوب الأنصاري وزيد بن أرقم وعمر وذي أمر، وأبو يعلى عن أبي هريرة والطبراني عن ابن عمر ومالك بن الحويرث وحبشي بن جنادة وجرير وسعد بن أبي وقاص وأبي سعيد الخدري وأنس، والبزار عن ابن عباس وعمارة وبريدة وفي أكثرها زيادة اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. ولأحمد عن أبي الطفيل قال: جمع علي الناس سنة خمس

وثلاثين في الرحبة ثمّ قال لهم: انشد بالله كل امرىء مسلم سمع رسول الله يقول يوم غدير خم ما قال لما قام فقالم إليه ثلاثون من الناس فشهدوا انّ رسول الله قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه.

وقال المتقي الهندي[١] من كنت مولاه فعليّ مولاه، أحمد في المسند عن بريدة وابن ماجة عن البراء والترمذي والنسائي والضياء عن زيد بن أرقم.

وروى أيضاً (المصدر نفسه) من كنت وليه فعلي وليه (أحمد في المسند والنسائي والحاكم في المستدرك عن بريدة).

وروى الحاكم[٢]: عن أبي عوانة عن الأعمش عن سعد بن عبيدة عن عبد الله بن بريدة الأسلمي قال: اني لأمشي مع أبي إذ مرّ بقوم ينتقصون عليّاً ويقولون فيه، فقال: اني كنت أنال من علي وفي نفسي عليه شيء وكنت مع خالد بن الوليد في جيش فأصابوا غنائم فعمد علي إلى جارية من الخمس لنفسه وكان بين عليّ وبين خالد شيء فقال خالد: هذه فرصتك وقد عرف خالد الذي في نفسي على عليّ قال فانطلق إلى النبي فاذكر ذلك له فأتيت النبي فحدثته وكنت رجلاً مكباباً وكنت إذا حدثت الحديث أكببت ثمّ رفعت رأسي فذكرت للنبي أمر الجيش ثمّ ذكرت له أمر علي فرفعت رأسي وأوداج رسول الله قد احمرّت، قال: فقال النبي: من كنت وليّه فإنّ عليّاً وليّه وذهب الذي في نفسي عليه. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة إنّما أخرجه البخاري من حديث علي بن سويد بن منجوف عن عبد الله بن بريدة عن أبيه مختصراً وليس في هذا الباب أصح من حديث أبي عوانة هذا عن الأعمش عن سعد بن عبيدة، ولم يتعقبه

---

(١) في كتابه منتخب كنز العمال: ج ٥ ص ٣٠.

(٢) في المستدرك: ج ٢ ص ١٢٩.

الذهبي في تلخيص المستدرك.

واخرج الحاكم أيضاً[١] عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم قال: لما رجع رسول الله من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقممن فقال: كأني قد دعيت فأجبت اني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله تعالى وعترتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ثمّ قال: انّ الله عزوجل مولاي وأنا مولى كل مؤمن ثمّ أخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فهذا وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. وذكر الحديث بطوله، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بطوله.

قال: شاهده حديث سلمة بن كهيل عن أبي الطفيل أيضاً صحيح على شرطهما حدثناه أبو بكر بن اسحاق ـ إلى ان يقول ـ عن أبي الطفيل عامر بن واثلة انّه سمع زيد بن أرقم يقول: نزل رسول الله بين مكة والمدينة عند شجرات خمس دوحات عظام فكنس الناس ما تحت الشجرات ثمّ راح رسول الله عشية فصلى ثمّ قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ فقال: ما شاء الله ان يقول ثمّ قال: أيّها الناس اني تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن اتبعتموهما وهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي ثمّ قال: أتعلمون اني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ثلاث مرات قالوا: نعم، فقال رسول الله من كنت مولاه فعلي مولاه، وحديث الأسلمي صحيح على شرط الشيخين.

قال الذهبي تعليقاً على ما استشهد به الحاكم من حديث سلمة بن كهيل: لم يخرّجا لمحمد وقد وهّاه السعدي. أقول: لا يشترط في الاستدراك أكثر من أن يكون من تركه المستدرك عليه على وصف من خرّج له فمحمد بنظر الحاكم

---

(١) المستدرك ج ٣ ص ١٠٩.

كذلك وامّا تضعيف السعدي فهو لا حكومة له على مثل الحاكم الذي هو من شيوخ الصناعة باعتراف الذهبي نفسه فضلاً عن غيره.

(المستدرك ج ٣ ص ١١٠) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن بريدة الأسلمي قال: غزوت مع علي إلى ايمن فرأيت منه جفوة فقدمت على رسول الله فذكرت عليّاً فتنقصته فرأيت وجه رسول الله يتغير فقال: يا بريدة ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم قلت: بلى يا رسول الله فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه وذكر الحديث، هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وأقرّه الذهبي كما هو.

وروى الحاكم أيضاً (المصدر نفسه من جميع الوجوه) عن عمران بن حصين قال: بعث رسول الله سرية واستعمل عليهم علي بن أبي طالب فمضى علي في السرية فأصاب جارية فأنكروا ذلك عليه فتعاقد أربعة من أصحاب رسول الله إذا لقينا النبي أخبرناه بما صنع علي قال عمران: وكان المسلمون إذا قدموا من سفر بدؤا برسول الله فنظروا إليه وسلموا عليه ثمّ انصرفوا إلى رحالهم فلما قدمت السرية سلموا على رسول الله فقام أحد الأربعة فقال: يا رسول الله أم‌تر انّ عليّاً صنع كذا وكذا فأعرض عنه ثمّ قام الثاني فقال مثل ذلك فأعرض عنه ثمّ قام الرابع فقال: يا رسول الله ألم‌تر انّ عليّاً صنع كذا وكذا فأقبل عليه رسول الله والغضب في وجهه فقال: ما تريدون من علي انّ عليّاً مني وأنا منه وولي كل مؤمن، هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وأقرّه الذهبي كما هو.

وذكر الحاكم [١] فقال: وامّا ما ذكر من اعتزال سعد بن أبي وقاص عن القتال فحدثناه أبو زكريا يحيى بن محمّد العنبري حدثنا ابراهيم بن أبي طالب حدثنا

(١) في المستدرك: ج ٣ ص ١١٦.

علي بن المنذر حدثنا ابن فضيل حدثنا مسلم الملائي عن خيثمة بن عبد الرحمن قال: سمعت سعد بن مالك[١] وقال له رجل: ان عليّاً يقع فيك انّك تخلفت عنه فقال سعد: والله انّه لرأي رأيته وأخطأ رأيي انّ عليّ بن أبي طالب أعطي ثلاثاً لأن أكون أُعطيت احداهن كان أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها، لقد قال له رسول الله يوم غدير خم بعد حمد الله والثناء عليه هل تعلمون اني أولى بالمؤمنين قلنا نعم قال: اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه وال من والاه وعاد من عاداه وجيء به يوم خيبر وهو أرمد ما يبصر فقال: يا رسول الله اني أرمد فتفل في عينيه ودعا له فلم يرمد حتى قتل وفتح عليه خيبر وأخرج رسول الله عمه العباس وغيره من المسجد فقال له العباس تخرجنا ونحن عصبتك وعمومتك وتسكن عليّاً فقال: ما أنا أخرجتكم وأسكنته ولكن الله أخرجكم وأسكنه، قال الذهبي سكت الحاكم عن تصحيحه ومسلم متروك.

أقول: امّا سكوته عن تصحيحه فقد لا يكون في نظره في درجة الصحيح وكون مسلم متروكاً عند بعض لا حجة فيه على الحاكم فإنّه خريت الصناعة له سهمه من النظر والمعرفة في أحوال الرجال على انّ كافة مواد حديث سعد من حديث الغدير والراية واخراج النبي من سوى علي من المسجد ثابتة في نفسها بطرق موفورة جداً قد سلف نموذج منها ومروية عن سعد بطرق شتى كما سلفت الإشارة إلى ذلك في متشتت الأبواب السالفة فراجع كلا في محله.

وقال صاحب الصواعق في الفصل الثاني الذي أعدّه لفضائل علي من كتابه المذكور الحديث الرابع قال ﷺ يوم غدير خم: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانّه رواه عن النبي ﷺ ثلاثون صحابياً وان

---

(١) سعد بن مالك هو سعد بن أبي وقاص.

كثيراً من طرقه صحيح أو حسن.

وأورد المحب الطبري في كتابه[١] ما أورده أحمد في المسند عن البراء بن عازب، وقد أسلفناه. وزاد فقال: وأخرجه في المناقب من حديث عمر وزاد بعد قوله وعاد من عاداه وانصر من نصره واحبّ من أحبّه، قال شعبة: أو قال وابغض من أبغضه. ثمّ قال: وعن عمر وقد جاءه أعرابيان يختصمان فقال لعلي: اقض بينهما يا أبا الحسن فقضى علي بينهما فقال أحدهما: هذا يقضي بيننا فوثب إليه عمر وأخذ بتلبيبه وقال: ويحك ما تدري من هذا هذا مولاي ومولى كل مؤمن ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن. خرجّه ابن السمّان في كتاب الموافقة. وعن عمران بن حصين انّ رسول الله ﷺ قال: انّ عليّاً مني وأنا منه وهو وليّ كل مؤمن بعدي. أخرجه أحمد والترمذي وقال: حسن غريب، وأبو حاتم.

وقال القندوزي[٢]: ابن ماجة بسندع عن البراء بن عازب قال: اقبلنا مع النبي ﷺ في حجته التي حج فنزل في بعض الطريق فأمر بالصلاة جامعة فأخذ بيد علي فقال: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا: بلى فقال: ألست أولى بكل مؤمن من نفسه قالوا: بلى قال: فهذا وليّ من أنا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه.

وحكى عن ابن المغازلي وموفق بن أحمد الخوارزمي حديث الغدير بسنديهما إلى زيد بن أرقم.

ثمّ قال: في مسند أحمد بن حنبل بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: جمع علي الناس في رحبة مسجد الكوفة فقال: أنشد الله كل امرىء مسلم

(١) ذخائر العقبى: ص ٦٧ في باب انّ من كان النبي مولاه فعلي مولاه.

(٢) في ينابيع المودة: ج ١ ص ٣٠ وما بعدها.

سمع رسول الله يقول يوم غدير خم ما سمع إلّا قام فقام سبعة عشر رجلاً وقالوا: انّ رسول الله ﷺ حين أخذ بيدك قال للناس: أتعلمون اني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: نعم، قال: من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. أيضاً عبد الله بن أحمد في زيادات المسند بسنده عن أبي الطفيل أخرج حديث الاستشهاد المزبور كذلك ابن المغازلي وموفق بن أحمد أخرجاه.

ثمّ قال أحمد في مسنده: عن يحيى بن آدم عن حبيش بن الحارث بن لقيط عن رباح بن الحارث قال: جاء رهط إلى علي بالرحبة فقالوا له: السلام عليك يامولانا، قال: كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟ قالوا: سمعنا من رسول الله يقول يوم غدير خم: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، قال رباح: فلما اتبعتهم وسألت من هم قالوا: هم نفر من الأنصار فيهم أبو أيّوب الأنصاري. أيضاً ابن المغازلي أخرج هذا الحديث.

قال القندوزي: وفي كتاب الاصابة للشيخ ابن حجر العسقلاني الشافعي في ترجمة أبي قدامة الأنصاري: قال: في باب الكنى والألقاب من الاصابة (ج ٤ ص ١٥٩ من المطبوعة بضميمة الاستيعاب) أبو قدامة الأنصاري ذكره أبو العباس بن عقدة في كتاب الموالاة الذي جمع فيه طرق حديث من كنت مولاه فأخرج فيه من طريق محمّد بن كثير الموالاة الذي جمع فيه طرق حديث من كنت مولاه فأخرج فيه من طريق محمّد بن كثير عن فطر عن أبي الطفيل قال: كنا عند علي فقال: أنشد الله من شهد يوم غدير خم فقام سبعة عشرة رجلاً منهم أبو قدامة الأنصاري فشهدوا انّ رسول الله قال ذلك. ثمّ قال: يحتمل أن يكون اسمه ونسبه أبو قدامة بن سهيل بن الحارث بن جعدية بن ثعلبة بن سالم بن مالك بن واقف.

أقول: هذا الذي ذكرته نصّ عبارة الاصابة وفي الينابيع عنها تغيير يسير

لا قيمة له . ثمّ قال القندوزي : عقيب ذلك : وطريق آخر عن يعلى بن مرة وطريق آخر عن أبي اسحاق قال : حدثني من لا أُحصي ، وطريق آخر عن زر بن حبيش قال : في رحبة مسجد الكوفة أنشد الناس عليّ فقام سبعة عشر رجلاً شهدوا انّ رسول الله قال : من كنت مولاه فعلي مولاه ، منهم قيس بن ثابت وحبيب بن بديل بن ورقاء وزيد بن شراحيل الأنصاري وعامر بن ليلى الغفاري وعبد الرحمن بن مدلج وأبو أيّوب الأنصاري وأبو زينب الأنصاري وأبو قدامة الأنصاري وعبد الرحمن بن عبد ربه وناجية بن عمرو الخزاعي .

أقول : تعرض ابن حجر في اصابته لهؤلاء المذكورين جميعاً في حرف الحاء (ج ١ ص ٣٠٤) حبيب بن بديل بن ورقاء الخزاعي له ولأبيه ولأخيه عبد الله صحبة ذكره ابن شاهين في الصحابة وروى حديثه ابن عقدة في كتاب الموالاة باسناد ضعيف من رواية أبي مريم عن زر بن حبيش قال : قال علي : من ههنا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقام اثنا عشر رجلاً منهم قيس بن ثابت وحبيب بن بديل بن ورقاء فشهدوا انهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من كنت مولاه فعلي مولاه .

وقال في حرف الزاي (ج ١ ص ٥٥٠) زيد بن شراحيل الأنصاري ـ أو يزيد ـ روى ابن عقدة في كتاب الموالاة من طريق عمرو بن عبد الله بن يعلى بن مرة عن أبيه عن جده قال : لما قدم علي الكوفة نشد الناس من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : من كنت مولاه فعلي مولاه فانتدب له بضعة عشر رجلاً منهم زيد أو يزيد بن شراحيل الأنصاري واسناده ضعيف جداً .

وقال في باب الكنى والألقاب (ج ٤ ص ٨٠) أبو زينب بن عوف الأنصاري قال أبو موسى ذكره أبو العباس بن عقدة في كتاب الموالاة من طريق علي بن الحسن العبدي عن سعد هو الأسكاف عن الأصبغ بن نباتة قال : نشد علي الناس

في الرحبة من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يوم غدير خم ما قال إلّا قام فقام بضعة عشر رجلاً منهم أبو أيّوب وأبو زينب بن عوف فقالوا: نشهد انا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: وأخذ بيدك يوم غدير خم فرفعها فقال: ألستم تشهدون اني قد بلغت؟ قالوا نشهد، قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه وفي سنده غير واحد من المنسوبين إلى الرفض.

وقال في حرف النون (ج ٣ ص ٥١٢) ناجية بن عمرو الخزاعي ذكره ابن عقدة في كتاب الموالاة وأخرج من طريق عمرو بن عبد الله بن يعلى بن مرة عن جده سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه فلما قدم على الكوفة نشد الناس فانتشدنا له بضعة عشر رجلاً منهم أبو أيّوب وناجية بن عمرو الخزاعي.

وقال في حرف العين (ج ٢ ص ٢٤٨) عامر بن ليلى بن ضمرة ذكره ابن عقدة في كتاب الموالاة وأخرج باسناده من طريق عبد الله بن سنان عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد وعامر بن ليلى بن ضمرة قال: لما صدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حجة الوداع أقبل حتى إذا كان بالجحفة فذكر الحديث في غدير خم وأخرجه أبو موسى من طريق ابن عقدة وقال: غريب جداً.

ثمّ قال بلا فاصلة عامر بن ليلى الغفاري: ذكره ابن منده أيضاً وأورد من طريق عمرو بن عبد الله بن يعلى بن مرة عن أبيه عن جده قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه فلما قدم علي الكوفة نشد الناس فانتشد سبعة عشرة رجلاً منهم عامر بن ليلى الغفاري وجوز أبو موسى ان يكون هو الذي قبله وتبعه ابن الأثير ووجهه بأن يكون الأوّل عامر بن ليلى من ضمرة فصحفت من فصارت بن ولا شك انّ كل غفاري فهو من ضمرة لأنّه غفار بن مليل بن ضمرة، قلت: إلّا ان اختلاف المخرج يرجح التعدد.

وقال في حرف العين (ج ٢ ص ٤٠١) عبد الرحمن بن عبد رب الأنـصاري ذكره ابن عقدة في كتاب الموالاة فيمن روى حديث من كنت مولاه فعلي مولاه وساق من طريق الأصبغ بن نباتة قال: لما نشد علي الناس في الرحبة من سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول يوم غدير خم ما قال إلّا قام ولا يقوم إلّا من سمع فقام بـضعة عشر رجلاً منهم أبو أيّوب وأبو زينب وعبد الرحمن بن عبد رب فقالوا: نشهد انا سمنعنا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: انّ الله وليي وأنا ولي المؤمنين فمن كنت مولاه فعلي مولاه، وفي سنده من لا يعرف.

وقال في حرف العين أيضاً من المجلد المذكور (ص ٤١٣) عبد الرحمن بن مدلج ذكره أبو العباس بن عقدة في كتاب الموالاة وأخرج من طريق موسى بن النضر بن الربيع الحمصي حدثني سعد بن طالب أبو غيلان حدثني أبو اسـحاق حدثني من لا أحصي ان عليّاً نشد الناس في الرحـبة مـن سـمع قـول رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه فقام نفر منهم عبد الرحمن بن مدلج فشهدوا انهم سمعوا إذ ذاك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأخرجه ابن شـاهين عـن ابـن عـقدة واستدركه أبو موسى.

أقـول: تعقبات ابن حجر لبعض هذه الطرق التي ساقها عن ابن عـقدة كـلّها لا مقيل لها من مادة القضية وهي استنشاد عليّ وقيام بضعة عشر رجلاً واعترافهم بمادة حديث الغدير على اختلاف زوائده وتراكـيبه وتـقرأ فـيما يأتـي انّ هـذا الاستنشاد ثابت من طريق محدثين كثيرين غير ابن عقدة وكذلك قيام بضعة عشر رجلاً واعترافهم وفي بعض الطرق انهم اثنا عشر بدرياً بهذه الخصوصية وكذلك مادة حديث الغدير على تنوع حروفها ثابتة من عشرات الطرق فإن كان نظر ابن حجر هو التردد في كون القائم هو أبا زينب بهذا الاسم وعبد الرحمن مدلج بهذه النسبة فذاك شيء طفيف لا يهمنا منه قدر جناح بعوضة، إذ لا نستهدف خـاصة

أبي زينب فلو كان أبو رباب مكانه لانطبق عليه ـ قول بضعة عشر رجلاً ـ ولا نختص بعبد الرحمن بن مدلج حتى لو كان مكانه عبد الله أو عبد العزى لجاز أن يكون من مصاديق بضعة عشر رجلاً الوارد في كثير من الطرق الثابت بلا ريب وإن كان من نظره تضعيف قصة الغدير بمتعلقاتها فذاك دونه خرط القتاد بعدما تصدر فحول أئمة الحديث لاثباتها متنوعة المادة قوية الأثر برجالها القائمين بها الممثلين لها وان تخلف عنها البخاري والتفت لفت الرواية عن الخوارج وعن البقر ينطق والذئب يتكلم فكانت رواياته هذه في نظر أبناء التسنن تلو آيات الذكر الحكيم والسخافة في العالم لا يبلغ قعرها مسبار وهذا الذي عليه القوم من جملتها بلا ريب.

ثمّ قال القندوزي في ينابيعه عقيب ما أسلفناه عنه: وامّا الذين أخبروا بحديث من كنت مولاه فعلي مولاه من غير استشهاد عليّ فهم حبة بن جوين البجلي وحذيفة بن أسيد وعامر بن ليلى بن ضمرة وعبد الله بن ياميل قالوا: لما كان يوم غدير خم دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم الصلاة جامعة فأخذ بيد علي فرفعه حتى نظرنا بياض ابطيه فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه.

أقول: أورد ابن حجر في الاصابة في حرف الحاء (ج ١ ص ٣٧٢) حبة بن جوين البجلي العرني وقال: قال الطبراني: يقال انّه رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وروى ابن عقدة في كتاب الموالاة باسناد ضعيف جداً عن حبة بن جوين قال: لما كان يوم غدير خم دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم الصلاة جامعة فذكر حديثه من كنت مولاه فعلي مولاه فأخذ بيد علي حتى نظرت إلى آباطهما وأنا يومئذ مشرك قال ابن الأثير: هذا الحديث قاله النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي في حجة الوداع ولم يحج يومئذ احد من المشركين فلو صح لكان صحابياً وليس هو بصحابي اتفاقاً، قلت: إن صحّ احتمل أن يكون حبة رآه اتفاقاً ولم يكن قصد الحج حينئذ ولكن السند ضعيف وحبة

اتفقوا على ضعفه إلّا العجلي فوثقه ومشّاه أحمد وقال صالح وسط ولحبة روايات عن علي وابن مسعود وعمار وعنه سلمة بن كهيل وأثنى على دينه وعبادته جداً والحكم بن عتيبة [١] وغير واحد من أهل الكوفة.

أقول: إن ثبتت صحبته فذاك وإلّا فتحديثه بحديث الغدير يكون من مؤيدات رواياته بلا ريب ولم يضعّف حبة من ضعفه إلّا لأنّه يروي في حق علي ما لا يهواه أبناء التسنن ويكفي في اعتباره أخذ مشاهير الرواة عنه ومهما كان فهو أحسن حالاً وأسلم ضميراً وأصحّ معتقداً من عمران بن حطان الذي روى البخاري عنه في كتابه الذي يعتد به أبناء السنة اعتدادهم بالقرآن المنزل من عند الله.

وقال في حرف الحاء أيضاً (ص ٣٠٦ من المجلد المذكور) حذيفة بن أسيد بالفتح أبو سريحة بمهملتين على وزن عجيبة الغفاري مشهور بكنيته شهد الحديبية وذكر فيمن بايع تحت الشجرة ثمّ نزل الكوفة وروى أحاديث أخرج له مسلم وأصحاب السنن وله عن أبي بكر وأبي ذر وعلي روى عنه أبو الطفيل ومن التابعين الشعبي وغيره.

وقال في حرف العين (ج ٢ ص ٣٧٤) عبد الله بن ياميل آخره لأُمم رأيته مجوّداً بخط الصريفيني ذكره أبو العباس بن عقدة في جمع طرق حديث من كنت مولاه فعلي مولاه أخرج بسند له إلى ابراهيم بن محمّد أظنه ابن أبي يحيى عن جعفر بن محمّد عن أبيه وايمن بن نابل بنون وموحدة ابن عبد الله بن ياميل قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه، الحديث واستدركه أبو موسى.

---

(١) عتيبة بعين وتاء وياء وباء وهاء تأنيث مصغراً.

ثمّ قال القندوزي[١]: وفي المناقب أخرج محمّد بن جرير الطبري صاحب التاريخ خبر غدير خم من خمسة وسبعين طريقاً وأفرد له كتاباً سماه كتاب الولاية. أيضاً أخرج خبر غدير خم أبو العباس أحمد بن محمّد بن سعيد بن عقدة وأفرد له كتاباً وسماه الموالاة وطرقه مأة وخمسة. وعن بعض أكابر العلماء[٢] انّه قال متعجباً: رأيت مجلداً في بغداد في يد صحاف فيه روايات خبر غدير خم مكتوباً عليه المجلدة الثامنة والعشرون من طرق قوله ﷺ من كنت مولاه فعلي مولاه وتتلوه المجلدة التاسعة والعشرون.

ثمّ قال في (ص ٣٦): وعن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: لما صدر النبي ﷺ من حجة الوداع قال على المنبر: يا أيّها الناس اني مسؤول وانكم مسؤولون فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد انك قد بلّغت وجهدت ونصحت فجزاك الله خيراً، فقال: أليس تشهدون أن لا إله إلّا الله وانّ محمّداً عبده ورسوله وانّ جنته حق وناره حق والبعث بعد الموت حق؟ قالوا: بلى نشهد بذلك، قال: اللهم اشهد، ثمّ قال: أيّها الناس انّ الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ثمّ قال: اني فرطكم وانكم واردون عليّ الحوض حوض أعرض مما بين بصري إلى صنعاء فيه عدد النجوم قدحان من فضة واني سائلكم حين تردون علي عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم وعترتي أهل بيتي فاستمسكوا بهما فلا تضلوا وانّه نبأني اللطيف الخبير انهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، أخرجه الطبراني في الكبير

---

(١) في ينابيعه: ج ١ ص ٣٤.

(٢) هو أبو المعالي الجويني.

والضياء في المختارة.

وأخرج أبو نعيم في الحلية وغيره عن أبي الطفيل انّ عليّاً قام فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أنشد من شهد يوم غدير خم إلّا قام ولا يقوم رجل يقول نبئت أو بلغني إلّا رجل سمعت أُذناه ووعاه قلبه، فقام سبعة عشر رجلاً منهم خزيمة بن ثابت وسهل بن سعد وعدي بن حاتم وعقبة بن عامر وأبو أيّوب الأنصاري وأبو سعيد الخدري وأبو شريح الخزاعي وأبو قدامة الأنصاري وأبو يعلى الأنصاري وأبو الهيثم بن التيهان ورجال من قريش، فقال علي: هاتوا ما سمعتم، فقالوا: نشهد انا أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حجة الوداع ونزلنا بغدير خم ثمّ نادى بالصلاة فصلينا معه ثمّ قام فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أيّها الناس ما أنتم قائلون؟ قالوا: قد بلّغت فقال: اللهم اشهد ثلاث مرات، ثمّ قال: انـي أوشك أن أُدعى فأُجيب واني مسؤول وأنتم مسؤولون ثمّ قال: أيّها الناس اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي إن تمسكتم بهما لن تضلوا فانظروا كيف تخلفوني فيهما، وانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض نبأني بذلك اللطيف الخبير، ثمّ قال: انّ الله مولاي وأنا مولى المؤمنين ألستم تعلمون اني أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى ثلاثاً ثمّ أخذ بيك يا أمير المؤمنين فرفعها وقال: من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، فقال علي: صدقتم وأنا على ذلك من الشاهدين.

وأخرج ابن عقدة في الموالاة عن عامر بن ليلى بن ضمرة وحذيفة بن أسيد قالا: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أيّها الناس انّ الله مولاي وأنا أولى بكم من أنفسكم، ألا ومن كنت مولاه فهذا مولاه وأخذ بيد علي فرفعها حتى عرفه القوم أجمعون ثمّ قال: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. وقد أورد صاحب الينابيع هذه الأحاديث عن جواهر العقدين للشريف السمهودي.

وأورد الشبلنجي في كتابه نور الأبصار (ص ٧٨) قال: نقل الإمام أبو اسحاق الثعلبي في تفسيره انّ سفيان بن عيينه سئل عن قوله تعالى: سأل سائل بعذاب واقع فيمن نزلت؟ فقال: للسائل لقد سألتني عن مسألة لم يسألني عنها أحد قبلك، حدثني أبي عن جعفر بن محمّد عن آبائه انّ رسول الله لما كان بغدير خم نادى الناس فاجتمعوا فأخذ بيد علي وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه فشاع ذلك في أقطار البلاد وبلغ ذلك الحارث بن النعمان الفهري فأتى رسول الله على ناقة له فأناخ راحلته ونزل عنها وقال: يا محمّد أمرتنا عن الله عزوجل أن نشهد أن لا إله إلّا الله وأنك رسول الله فقبلنا منك وأمرتنا أن نصلي خمساً فقبلنا منك وأمرتنا أن نصوم رمضان فقبلنا وأمرتنا بالحج فقبلنا ثمّ لم ترض بهذا حتى رفعت بضبع ابن عمك تفضله علينا، فقلت من كنت مولاه فعلي مولاه فهذا شيء منك أم من الله عزوجل فقال النبي: والذي لا إله إلّا هو انّ هذا من الله عزوجل، فولّى الحارث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمّد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فما وصل إلى راحلته حتى رماه الله بحجر سقط على هامته فخرج من دبره فقتله، فأنزل الله عزوجل: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ [1].

وأورد هذا الأثر الطبرسي في تفسيره عند تعرضه لسورة المعارج فقال: أخبرنا السيد أبو الحمد قال: حدثنا أبو القاسم الحسكاني قال: حدثنا أبو عبد الله الشيرازي قال: حدثنا أبو بكر الجرجاني قال: حدثنا أبو أحمد الطبري قال: حدثنا محمّد بن سهل قال: حدثنا زيد بن اسماعيل مولى الأنصار قال: حدثنا محمّد بن أيّوب الواسطي قال: حدثنا سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمّد

---

(١) سورة المعارج: الآية ١ ـ ٣.

الصادق عن آبائه قال: لما نصب رسول الله عليّاً يوم غدير خم وساق بقية الخبر.

أقول: قد يقال: يكف يلتئم مفاد هذا الأثر وما ادعي من نزول هذه السورة بمكة قبل الهجرة فإنّه يقال في الجواب: لا ملزم من نفس السورة بمكية كلها أو بعضها ولا بمدنية الكل أو البعض إلّا ما يشعره قوله عزوجل: ﴿**والذين في أموالهم حقّ معلوم للسائل والمحروم**﴾ من نزول هذه الآية بالمدينة لتعرضها للحقوق المالية التي لم تكن قبل الهجرة بطور قاطع على انّ هذه الآية ليست نصاً في المطلوب إذ قد يراد منها الحثّ على الاحسان والمواساة وهذا المعنى مندوب إليه في كل وقت وفي كل شريعة فلم يبق إلّا الأثر الوارد في كون السورة مكية عن آحاد المفسرين كما ورد مدنية بعضها عن بعض آخر وقد قرأت ذلك عن الثعلبي والطبرسي. وهذا القولان لا يتنافيان لأنّ القول بمدنية البعض لا يزاحم ما يتضمن المكية بنحو مرسل مطلق فقد ثبت انّ القضية المهملة بحكم الجزئية، نعم ينافي ذلك التصريح بأنّ كل آية آية من السورة نزلت بمكة وهو مفقود من طريق المنطق والقول المشفوع بالبرهان وان يكن فدعوى صرفة.

وقال الصبان في اسعاف الراغبين (١٥٢) وقال صلى الله عليه وآله وسلم يوم غدير خم: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه واحبّ من أحبه وابغض من أبغضه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار، ورواه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثون صحابياً وكثير من طرقه صحيح أو حسن.

وأورد الحافظ الكنجي في كتابه كفاية الطالب في الباب الأوّل من أبوابه طرقاً لنفسه جمة وصلها بأحمد بن حنبل وأبي عيسى الترمذي فيما ساقاه من حديث الغدير ثمّ قال: وجمع الدارقطني الحافظ طرقه في جزء وجمع الحافظ بن عقدة الكوفي كتاباً مفرداً فيه وروى أهل السير والتواريخ قصة غدير خم وذكره محدث الشام في كتابه بطرق شتى عن غير واحد من الصحابة والتابعين وأخبرني

بذلك عالياً المشايخ فساق سنده حتى أنهاه إلى مطلب بن زياد عن عبد الله بن محمّد بن عقيل قال: كنت عند جابر بن عبد الله في بيته وعلي بن الحسين ومحمّد بن الحنفية وأبو جعفر فدخل رجل من أهل العراق فقال: بالله إلّا ما حدثتني ما رأيت وما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: كنا بالجحفة بغدير خم وثمّ ناس كثير من جهينة ومزينة وغفار فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من خباء فأشار بيده ثلاثاً فأخذ بيد علي بن أبي طالب وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه.

ثمّ ساق سنداً آخر عن سعيد بن المسيب قال: قلت لسعد بن أبي وقاص: اني أريد أن أسألك عن شيء واني أتقيك، قال: سل عما بدا لك فإنّما أنا ابن عمك، قال: قلت: مقام رسول الله فيكم يوم غدير خم، قال: نعم قام فينا بالظهيرة فأخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره، فقال أبو بكر وعمر: أمسيت يا ابن أبي طالب مولى كل مؤمن ومؤمنة ثمّ قال في آخر كلامه هذا حديث مشهور حسن روته الثقات وانضمام هذه الأسانيد بعضها إلى بعض حجة في صحة النقل.

وقال ابن الصباغ المالكي في كتابه الفصول المهمة (ص ٢٢): روى الترمذي عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من كنت مولاه فعلي مولاه روى هذا اللفظ بمجرده ولم يزد عليه وزاد غيره وهو الزهري ذكر اليوم والزمان والمكان قال: لما حج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حجة الوداع وعاد قاصداً المدينة قام بغدير خم وهو ماء بين مكة والمدينة وذلك في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة الحرام وقت الهاجرة فقال: أيّها الناس اني مسؤول وأنتم مسؤولون هل بلّغت؟ قالوا: نشهد انك قد بلغت ونصحت، قال: وأنا أشهد اني قد بلّغت ونصحت... ثمّ قال: أيّها الناس أليس تشهدون أن لا إله إلّا الله واني رسول الله قالوا: نشهد أن لا إله إلّا الله وانك رسول الله، قال: وأنا أشهد مثل ما شهدتم، ثمّ قال: أيّها الناس قد خلّفت

فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي ، كتاب الله وأهل بيتي ألا وان اللطيف أخبرني انهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض حوض كما بين بصري وصنعاء عدد آنيته عدد النجوم وان الله مسائلكم كيف خلفتموني في كتابه وأهل بيتي ثمّ قال : أيّها الناس من أولى الناس بالمؤمنين ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : انّ أولى الناس بالمؤمنين أهل بيتي ، قال ذلك ثلاث مرات ، ثمّ قال في الرابعة : وأخذ بيد علي : من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه يقولها ثلاث مرات ألا فليبلغ الشاهد الغائب . ثمّ ساق ما رواه أحمد بن حنبل عن البراء بن عازب .

وروى الحافظ أبو الفتح أسعد بن أبي الفضائل بن خلف العجلي في كتابه الموجز في فضل الخلفاء الأربعة يرفعه بسنده إلى حذيفة بن أسيد الغفاري وعامر بن ليلى بن ضمرة قال : لما صدر رسول الله ﷺ من حجة الوداع ولم يحج غيرها أقبل حتى إذا كان بالجحفة نهى عن سمرات بالبطحاء أن لا ينزل تحتهن أحد حتى إذا أخذ القوم منازلهم أرسل فقمم ما تحتهن حتى إذا نودي بالصلاة صلاة الظهر عمد اليهن فصلى بالناس تحتهن وذلك يوم غدير خم وبعد فراغه من الصلاة قال : أيّها الناس انّه قد نبأني اللطيف الخبير انّه لم يعمر نبي إلّا نصف عمر النبي الذي كان قبله واني لأظن بأني أُدعى فأُجيب واني مسؤول وأنتم مسؤولون هل بلّغت فما أنتم قائلون ، قالوا : نقول قد بلّغت وجهدت ونصحت وجزاك الله خيراً ، قال : ألستم تشهدون أن لا إله إلّا الله وانّ محمّداً عبده ورسوله وانّ جنته حق وانّ ناره حق والبعث بعد الموت حق قالوا : نشهد ، قال : اللهم اشهد ، قال : أيّها الناس ألا تسمعون ألا فإنّ الله مولاي وأنا أولى بكم من أنفسكم ألا ومن كنت مولاه فعلي مولاه وأخذ بيد علي فرفعها حتى نظر القوم ثمّ قال : اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، ثمّ ساق ما أسلفناه عن أبي اسحاق

الثعلبي في تفسيره. وقال عن علي بن أبي طالب قال: عممني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم غدير خم بعمامة فسدل بطرفها على منكبي وقال: انّ الله أمدّني يوم بدر وحنين بملائكة معتمين هذه العمة، ثمّ قال: وروى الامام أبو الحسن الواحدي في كتابه المسمى بأسباب النزول يرفعه بسنده إلى أبي سعيد الخدري قال: نزلت هذه الآية ﴿يا أيّها الرسول بلّغ ما أُنزل اليك من ربّك﴾ يوم غدير خم في علي بن أبي طالب، وقوله بغدير خم: هو بضم الخاء المعجمة وتشديد الميم مع التنوين اسم لغيظة على ثلاثة أميال من الجحفة عندها غدير مشهور يضاف إلى الغيظة فيقال غدير خم هكذا ذكره الشيخ محيي الدين النووي ـ اهملخصاً ـ.

وأورد سبط ابن الجوزي [١] عدة أحاديث عن أحمد بن حنبل في الفضائل وفي المسند جميعاً فيما يخصّ غدير خم وقول النبي في حقّ علي مقالته المعروفة ولا نطيل بذكرها.

وقال ابن كثير [٢]: فصل في ايراد الحديث الدال على انّه عليه السلام خطب بمكان بين مكة والمدينة مرجعه من حجة الوداع قريب من الجحفة يقال له غدير خم فبيّن فيها فضل علي بن أبي طالب وبراءة عرضه مما كان تكلم فيه بعض من كان معه بأرض اليمن بسبب ما كان صدر منه اليهم من المعدلة التي ظنها بعضهم جوراً وتضييقاً وبخلاً والصواب كان معه في ذلك ولهذا لما فرغ عليه السلام من بيان المناسك ورجع إلى المدينة بين ذلك في أثناء الطريق فخطب خطبة عظيمة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة عامئذ وكان يوم الأحد بغدير خم تحت شجرة هناك فبيّن فيها أشياء وذكر من فضل علي وأمانته وعدله وقربه إليه ما أزاح به ما كان

---

(١) في لسان الخواص: ص ٣٣ وما بعدها.

(٢) في البداية والنهاية: ج ٥ ص ٢٠٨ وما بعدها.

في نفوس كثير من الناس منه ونحن نورد عيون الأحاديث الواردة في ذلك ونبيّن ما فيها من صحيح وضعيف وقد اعتنى بأمر هذا الحديث أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ فجمع فيه مجلدين أورد فيهما طرقه وألفاظه وساق الغث والسمين والصحيح والسقيم على ما جرت به عادة كثير من المحدثين يوردون ما وقع لهم في ذلك الباب من غير تمييز بين صحيحه وضعيفه وكذلك الحافظ البير أبو القاسم بن عساكر أورد أحاديث كثيرة في هذه الخطبة ونحن نورد عيون ما روى في ذلك مع اعلامنا انّه لاحظ للشيعة فيه ولا متمسك لهم ولا دليل لما سنبينه وننبه عليه:

أقول: قد أخطأ ابن كثير في كثير من هذه النقاط التي ساقها فإنّ كل مستعرض لمتنوع الصور الواردة في مادة حديث الغدير لا يرى فيها تعرضاً لمسألة نزع عليّ الحلل من على جنده الذي مضى معه إلى اليمن بالمرة الواحدة نعم هناك شتات أحاديث أسلفناها عن بريدة وعن غيره تتضمن ردع المشركين من علي وان أذيته أذية لرسول الله وانّه عليه السلام منه صلى الله عليه وآله وسلم وانّه عليه السلام لأخشن أو اخيشن أو ممسوس في ذات الله، هذا مجموع ما تفيده الأحاديث الرادعة للشاكين والمنتقصين لعلي عليه السلام وهناك أحاديث أيضاً خارجة في مساقها وطرقها عن حديث يوم الغدير وان كانت تساوقه مضموناً لكنها ليست منه وروداً في الزمان والمكان وحكاية اصل الصدور فليعرف.

وشرح هذه الكليات التي جمعناها في هذه الكلمة يظهر ويتضح من قراءة أعطينا كل فصل حقه من نقوله اللازمة وان لم نستقص إذاً فحديث الغدير لا ربط له أساساً وفرعاً بما يقوله ابن كثير فبيّن فيها فضل علي بن أبي طالب وبراءة عرضه مما كان تكلم فيه بعض من كان معه بأرض اليمن إلى آخر ما قال، وامّا قوله على ماجرت به عادة كثير من المحدثين يوردون ما وقع لهم في ذلك الباب

من غير تمييز بين صحيحه وضعيفه فذلك داء لم يخل منه صغير من المحدثين ولا كبير عظيم في نظير قومه أو حقير والكذب والتزوير وسقط المتاع أكثر من كل شيء عند المحدثين وبالتحقيق القطعي نصف أحاديث صحيح البخاري من طريق أبي هريرة وهو دجال مدلس أقرب إلى الكذب منه إلى الصدق كما سنفي بالبحث عن ذلك فيما يجيء وفيه غير ذلك من حديث التجسيم وتلكم البقر ونطق الذئاب والرواية عن الخوارج والخرافات النابية عن كل ذوق شيء كثير فإذا كان حال أهمّ كتاب في السنة النبوية بهذا اللون فما رأيك بغيره فهذه الخدشة لا يخص بها الطبري ولا ابن عساكر ولا غيرهما من المحدثين والكل فيها شرع سواء ونحن إنّما نعتز بذكر مروياتهم لأنّ ذلك من باب اعتراف الخصم لخصمه بحقه وان تلدد في تحليله بعد الاعتراف بأصله.

ثمّ ذكر ابن كثير في مقدمة منقولاته ما يكون عليه لا له فقال: قال محمّد بن اسحاق في سياق حجة الوداع لما أقبل علي من اليمن ليلقى رسول الله بمكة تعجل إلى رسول الله واستخلف على جنده الذين معه رجلاً من اصحابه فعمد ذلك الرجل فكسى كل رجل من القوم حلة من البز الذي كان مع علي فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم فإذا عليهم حلل قال: ويلك ما هذا ؟ قال: كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس، قال: ويلك انزع قبل أن ينتهي به إلى رسول الله فانتزع الحلل من الناس فردها في البز وأظهر الجيش شكواه لما صنع بهم فعن أبي سعيد الخدري قال: اشتكى الناس عليّاً فقام رسول الله فينا خطيباً فسمعته يقول: أيّها الناس لا تشكوا عليّاً فوالله انّه لأخشن في ذات الله أو في سبيل الله من أن يشكى .

أقول: فأنت كما ترى انّ هذا الحديث وقيام النبي في أصحابه خطيباً بعيد كل البعد عن قضية غدير خم سياقاً ومضموناً، وهكذا ما سيورده من شكوى بريدة

وجواب النبي لهم مبرءً ساحة علي وحاضاً على متابعته ومحبته وعدم أذيته لا دخل له بقصة يوم الغدير سياقاً وان توارد في بعض متونه معها مضموناً ولكن في غير زمان الغدير ومكانه وأصل حدوث الواقعة فيه كما هو جاهر صريح.

ثمّ قال: ورواه الامام أحمد من حديث محمّد بن اسحاق به وقال انّه لا خشن في ذات الله أو في سبيل الله، وروى الامام أحمد بن الفضل بن دكين عن ابن أبي غنية [١] عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن بريدة قال: غزوت مع علي اليمن فرأيت منه جفوة فلما قدمت على رسول الله ذكرت علياً فتنقصته فرأيت وجه رسول الله يتغير فقال: يا بريدة ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قلت: بلى يا رسول الله قال: من كنت مولاه فعلي مولاه. وكذا رواه النسائي عن أبي داود الحراني عن أبي نعيم الفضل بن دكين عن عبد الملك بن أبي غنية [٢] باسناده نحوه وهذا اسناد جيد قوي رجاله كلهم ثقات.

وقد روى النسائي في سننه عن محمّد بن المثنى عن يحيى بن حماد عن أبي معاوية عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم قال: لما رجع رسول الله من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقممن ثمّ قال: كأني دعيت فأجبت اني قد تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، ثمّ قال: الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن ثمّ أخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فهذا وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، فقلت لزيد: سمعته من رسول الله؟ فقال: ما كان في الدوحات أحد إلّا رآه بعينيه وسمعه بأُذنيه، تفرد به النسائي من هذا

---

(١) يحتمل التحريف وانّه ابن أبي عيينة.

(٢) في خصائص النسائي: عيينة.

الوجه قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي: وهذا حديث صحيح.

وقال ابن ماجة: حدثنا علي بن محمّد عن أبي الحسين عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال: أقبلنا مع رسول الله في حجة الوداع التي حج فنزل في الطريق فأمر بالصلاة جامعة فأخذ بيد علي فقال: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى قال: ألست أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى، قال: فهذا ولي من أنا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر عن علي بن زيد بن جدعان عن عدي بن البراء.

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي والحسن بن سفيان حدثنا هدبة عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد وأبي هارون عن عدي بن ثابت عن البراء قال: كنا مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع فلما أتينا على غدير خم كسح لرسول الله تحت شجرتين ونودي في الناس: الصلاة جامعة ودعا رسول الله علياً وأخذ بيده فأقامه عن يمينه فقال: ألست أولى بكل امرىء من نفسه قالوا: بلى قال: فإنّ هذا مولى من أنا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، فلقيه عمر بن الخطاب فقال: هنيئاً لك أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة. ورواه ابن جرير عن أبي زرعة عن موسى بن اسماعيل عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد وأبي هارون العبدي ـ وكلاهما ضعيف ـ يشير به إلى علي بن زيد وأبي هارون [١] عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب به. وروى ابن جرير هذا الحديث من حديث موسى بن عثمان الحضرمي ـ وهو ضعيف جداً ـ عن أبي اسحاق السبيعي عن البراء وزيد بن أرقم فالله أعلم.

---

(١) لكنه محجوج برواية الحفاظ عنهما مع انّه لم يشر إلى ضعفهما آنفاً.

وقال الإمام أحمد: حدثنا ابن نمير عن عبد الملك عن أبي عبد الرحيم الكندي عن زاذان أبي عمر قال: سمعت علياً بالرحبة وهو ينشد الناس من شهد رسول الله يوم غدير خم وهو يقول ما قال، قال: فقام اثنا عشر رجلاً فشهدوا انهم سمعوا من رسول الله ﷺ وهو يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه، تفرد به أحمد وأبو عبد الرحيم، هذا لا يعرف.

وقال عبد الله بن الامام أحمد في مسند أبيه حديث علي بن حكيم الأودي أخبرنا شريك عن أبي اسحاق عن سعيد بن وهب وعن زيد بن يثيع قال: نشد علي الناس في الرحبة من سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم ما قال إلّا قام، قال: فقام من قبل سعيد ستة ومن قبل زيد ستة فشهدوا انهم سمعوا رسول الله يقول لعلي يوم غدير خم: أليس الله أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا: بلى قال: اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. قال عبد الله: وحدثني علي بن حكيم عن شريك عن أبي اسحاق عن عمر وذي أمر مثل حديث أبي اسحاق يعني عن سعيد وزيد وزاد فيه: وانصر من نصره واخذل من خذله. قال عبد الله: وحدثنا علي عن شريك عن الأعمش بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم عن النبي مثله.

وقال النسائي في كتاب خصائص عليّ حدثنا الحسين بن حرب عن الفضل بن موسى عن الأعمش عن أبي اسحاق عن سعيد بن وهب قال: قال علي في الرحبة انشد بالله رجلاً سمع رسول الله يوم غدير خم يقول انّ الله ولي المؤمنين ومن كنت وليه فهذا وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره، وكذلك رواه شعبة عن أبي اسحاق وهذا اسناد جيد، ورواه النسائي أيضاً من حديث اسرائيل عن أبي اسحاق عن عمر وذي أمر قال: نشد علي الناس بالرحبة فقام أُناس فشهدوا انهم سمعوا رسول الله يقول يوم غدير خم: من كنت مولاه فإنّ

عليّاً مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه واحبّ من أحبه وابغض من أبغضه وانصر من نصره. ورواه ابن جرير عن أحمد بن منصور عن عبد الرزاق عن اسرائيل عن أبي اسحاق عن زيد بن وهب وعبد خير عن علي. وقد رواه ابن جرير عن أحمد بن منصور عن عبيد الله بن موسى وهو شيعي ثقة عن فطر بن خليفة عن أبي اسحاق عن زيد بن وهب وزيد بن يثيع وعمر وذي أمر ان عليّاً نشد الناس بالكوفة وذكر الحديث.

وقال عبد الله بن أحمد: حدثني عبيد الله بن عمر القواريري عن يونس بن أرقم عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى شهدت عليّاً في الرحبة ينشد الناس فقال: أشهد الله من سمع رسول الله ﷺ يوم غدير خم يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه لما قام فشهد قال عبد الرحمن فقام اثنا عشر رجلاً بدرياً كأني أنظر إلى أحدهم فقالوا: نشهد انا سمعنا رسول الله يقول يوم غدير خم: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجي أُمهاتهم، فقلنا: بلى يارسول الله قال: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. اسناد ضعيف غريب.

وقال عبد الله بن أحمد: حدثنا أحمد بن عمير الوكيعي عن زيد بن الحباب عن الوليد بن عقبة بن ضرار القيسي عن سماك عن عبيد بن الوليد القيسي قال: دخلت على عبد الرحمن بن أبي ليلى فحدثني انّه شهد عليّاً في الرحبة قال: انشد بالله رجلاً سمع رسول الله وشهده يوم غدير خم إلّا قام، ولا يقوم إلّا من قد رآه، فقام اثنا عشر رجلاً فقالوا: قد رأيناه وسمعناه حيث أخذ بيده يقول: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله فقام إلّا ثلاثة لم يقوموا فدعا عليهم فأصابتهم دعوته. وروى أيضاً عن عبد الأعلى بن عامر التغلبي وغيره عن عبد الرحمن بن أبي ليلى به.

وقال ابن جرير: حدثنا أحمد بن منصور عن أبي عامر العقدي، وروى ابن أبي عاصم عن سليمان الغلابي عن أبي عامر العقدي عن كثير بن زيد عن محمّد بن عمر بن علي عن أبيه عن علي انّ رسول الله حضر الشجرة بخم فذكر الحديث وفيه: من كنت مولاه فإنّ عليّاً مولاه. وقد رواه بعضهم عن أبي عامر عن كثير عن محمّد بن عمر بن علي عن علي منقطعاً.

وقال اسماعيل بن عمرو البجلي ـ وهو ضعيف ـ عن مسعر عن طلحة بن مصرف عن عميرة بن سعد انّه شهد عليّاً على المنبر يناشد أصحاب رسول الله من سمع رسول الله يوم غدير خم فقام اثنا عشر رجلاً منهم أبو هريرة وأبو سعيد وأنس من مالك فشهدوا انهم سمعوا رسول الله يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. وقد رواه عبيد الله بن موسى عن هاني بن أيّوب وهو ثقة عن طلحة بن مصرف به.

وقال عبد الله بن أحمد: حدثني حجاج بن الشاعر عن شبابة عن نعيم بن حكيم عن أبي مريم ورجل من جلساء علي عن علي انّ رسول الله قال يوم غدير خم: من كنت مولاه فعلي مولاه قال: فزاد الناس بعد وال من والاه وعاد من عاداه. روى أبو داود بهذا السند حديث المخرج.

وقال الامام أحمد: حدثنا حسين بن محمّد وأبو نعيم المعنى قالا: حدثنا قطن عن أبي الطفيل قال: جمع علي الناس في الرحبة ـ يعني رحبة مسجد الكوفة ـ فقال: انشد الله كل من سمع رسول الله يقول يوم غدير خم ما سمع لما قام، فقام ناس كثير فشهدوا حين أخذ بيده فقال للناس: أتعلمون اني أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا: نعم يارسول الله قال: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، قال: فخرجت كأنّ في نفسي شيئاً فلقيت زيد بن أرقم فقلت له اني سمعت عليّاً يقول كذا وكذا، قال: فما تنكر سمعت رسول الله يقول ذلك له.

هكذا ذكره الامام أحمد في مسند زيد بن أرقم. ورواه النسائي من حديث الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم به وقد تقدم. وأخرجه الترمذي عن بندار عن غندر عن شعبة عن سلمة بن كهيل: سمعت أبا الطفيل يحدث عن أبي سريحة أو زيد بن أرقم ـ شكّ شعبة ـ أنّ رسول الله قال: من كنت مولاه فعلي مولاه. ورواه ابن جرير عن أحمد بن حازم عن أبي نعيم عن كامل أبي العلاء عن حبيب بن أبي ثابت عن يحيى بن جعدة عن زيد بن أرقم.

وقال الامام أحمد: حدثنا عفان عن أبي عوانة عن المغيرة عن أبي عبيد عن ميمون أبي عبد الله قال: قال زيد بن أرقم وأنا أسمع: نزلنا مع رسول الله منزلاً يقال له وادي خم فأمر بالصلاة فصلاها بهجير قال: فخطبنا وظلل رسول الله بثوب على شجرة ستره من الشمس فقال: ألستم تعلمون ـ أو ألستم تشهدون ـ اني أولى بكل مؤمن من نفسه قالوا: بلى قال: فمن كنت مولاه فإنّ عليّاً مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. ثمّ رواه أحمد عن غندر عن شعبة عن ميمون أبي عبد الله عن زيد بن أرقم إلى قوله: من كنت مولاه فعلي مولاه قال ميمون: حدثني بعض القوم عن زيد انّ رسول الله قال: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وهذا اسناد جيد رجاله ثقات على شرط السنن. وقد صحح الترمذي بهذ السند حديثاً في الريث.

وقال الامام أحمد: حدثنا يحيى بن آدم عن حنش بن الحارث بن لقيط الأشجعي عن رباح بن الحارث قال: جاء رهط إلى علي بالرحبة فقالوا: السلام عليك يا مولانا، قال: كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟ قالوا: سمعنا رسول الله يوم غدير خم يقول: من كنت مولاه فهذا مولاه، قال رباح: فلما مضوا تبعتهم فسألت من هؤلاء قالوا: نفر من الأنصار منهم أبو أيّوب الأنصاري.

وقال الامام أحمد: حدثنا حنش عن رباح بن الحارث قال: رأيت قوماً من

الأنصار قدموا على عليّ في الرحبة فقال: من القوم؟ فقالوا: مواليك يا أمير المؤمنين، فذكر معناه هذا لفظه وهو من أفراده.

وقال ابن جرير: حدثنا أحمد بن عثمان ابن الجوزاء عن محمّد بن خالد بن عثمة عن موسى بن يعقوب الزمعي وهو صدوق عن مهاجر بن مسمار عن عائشة بنت سعد سمعت أباها يقول: سمعت رسول الله يقول يوم الجحفة وأخذ بيد علي فخطب ثمّ قال: أيّها الناس اني وليكم قالوا: صدقت فرفع يد علي فقال: هذا وليي والمؤدي عني وان الله موالي من والاه ومعادي من عاداه، قال شيخنا الذهبي: هذا حديث حسن غريب. ثمّ رواه ابن جرير من حديث يعقوب بن جعفر بن أبي كبير عن مهاجر بن مسمار فذكر الحديث وانّه عليه‌السلام وقف حتى لحقه من بعده وأمر بردّ من كان تقدم فخطبهم الحديث.

وقال أبو جعفر بن جرير الطبري في الجزء الأوّل من كتاب غدير خم: قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي وجدته في نسخة مكتوبة عن ابن جرير حدثنا محمود بن عوف الطائي عن عبيد الله بن موسى عن اسماعيل بن كشيط عن جميل بن عمارة عن سالم بن عبد الله بن عمر قال ابن جرير: أحسبه قال عن عمر وليس في كتابي سمعت رسول الله وهو آخذ بيد علي: من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. وهذا حديث غريب بل منكر واسناده ضعيف، قال البخاري: في جميل بن عمارة: هذا في نظر. وقال المطلب بن زياد عن عبد الله بن محمّد بن عقيل سمع جابر بن عبد الله يقول: كنا بالجحفة بغدير خم فخرج علينا رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم من خباء أو فسطاط فأخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه. قال شيخنا الذهبي: هذا حديث حسن وقد رواه ابن لهيعة عن بكر بن سوادة وغيره عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن جابر بنحوه.

وقال الامام أحمد: حدثنا يحيى بن آدم وابن أبي بكير قالا: حدثنا اسرائيل

عن أبي اسحاق عن حبشي بن جنادة قال يحيى بن آدم وكان قد شهد حجة الوداع قال: قال رسول الله: علي مني وأنا منه ولا يؤدي عني إلّا أنا أو علي. وقال ابن أبي بكير: لا يقضي عني ديني إلّا أنا أو علي. وكذا رواه أحمد أيضاً عن أبي أحمد الزبيري عن اسرائيل. قال الامام أحمد: وحدثناه الزبيري عن شريك عن أبي اسحاق عن حبشي بن جنادة مثله. قال: فقلت لأبي اسحاق: أين سمعت منه؟ قال: وقف علينا على فرس في مجلسنا في جبانة السبيع. وكذا رواه أحمد عن أسود بن عامر ويحيى بن آدم عن شريك. ورواه الترمذي عن اسماعيل بن موسى عن شريك. وابن ماجة عن أبي بكر بن أبي شيبة وسويد بن سعيد واسماعيل بن موسى ثلاثتهم عن شريك به. ورواه النسائي عن أحمد بن سليمان عن يحيى بن آدم عن اسرائيل به. وقال الترمذي: حسن صحيح غريب. ورواه سليمان بن قرم ـ وهو متروك ـ عن أبي اسحاق عن حبشي بن جنادة سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وذكر الحديث.

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة عن شريك عن أبي يزيد الاودي عن أبيه قال: دخل أبو هريرة المسجد فاجتمع الناس إليه فقام إليه شاب فقال: انشدك بالله أسمعت رسول الله يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه؟ قال: نعم. ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن شاذان عن شريك به، تابعه ادريس الأودي عن أخيه أبي يزيد واسمه داود بن يزيد به. ورواه ابن جرير أيضاً من حديث ادريس وداود عن أبيهما عن أبي هريرة فذكره. فأمّا الحديث الذي رواه ضمرة عن ابن شوذب عن مطر الوراق عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال: لما أخذ رسول الله ﷺ بيد علي قال: من كنت مولاه فعلي مولاه فأنزل الله عزوجل: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم**

نـعمتي﴾ قال أبو هريرة: وهو يوم غدير خم من صام يوم ثمان عشـرة مـن ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً فإنّه حديث منكر جداً بل كذب لمـخالفته لمـا ثبت في الصحيحين عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب انّ هذه الآية نزلت فـي يوم الجمعة يوم عرفة ورسول الله واقف بها وكذا قوله ان صيام يوم الثامن عشر من ذي الحجة وهو يوم غدير خم يعدل صيام ستين شهراً لا يصح لأنّه قد ثبت ما معناه في الصحيح انّ صيام شهر رمضان بعشرة أشهر فكيف يكـون صـيام يـوم واحد يعدل ستين شهراً، هذا باطل. وقد قال شيخنا الحافظ أبو عبد الذهبي بعد ايراده هذا الحديث: هذا حديث منكر جداً، ورواه حبشون الخلال وأحـمد بـن عبد الله بن أحمد النيري وهما صدوقان عن علي بن سعيد الرملي عن ضمرة قال: ويروى هذا الحديث من حديث عمر بن الخطاب ومالك بن الحويرث وأنس بن مالك وأبي سعيد وغيرهم بأسانيد واهية، وقال: صدر الحديث متواتراً تيقن انّ رسول الله قاله، وامّا اللهم وال من والاه فزيادة قوية الاسناد وامّـا هـذا الصـوم فليس بصحيح ولا والله ما نزلت هذه الآية إلّا يوم عرفة قبل غدير خم بأيّام والله تعالى أعلم.

أقـول: فالى هنا قد تم اعتراف القوم بتواتر حديث الغدير كما قرأت وأمّا صوم يومه فلا يهمنا صحته وعدم صحته، على انّ ما ذكره في وجه ردّه سخيف، فإنّ كثيراً من مستحبات الشريعة ورد فيها ما لم يرد في الواجـبات واسـتقصاء ذلك ليس هذا محله وليس مدار الثواب في الشريعة، وهكـذا كـثرته وقـلته حسب مزاولة النقول الواردة على ترتب الواجبات في الأهم والمهم ومـن بـعد درجـة الواجب درجة المستحب على اختلاف مراتـبه أيـضاً، بـل انّ كـثيراً مـن ذلك تفضلي حسبي لم تؤخذ فيه مقاييس الأهم فـالأهم مـن كـل أمـر وجـوبي أو استحبابي وكما انّ الرواية الناطقة بنزول: اليوم أكملت لكم دينكم في يوم الجمعة

يوم عرفة من روايات الآحاد، كذلك رواية نزولها يوم الغدير وكـون تـلك مـن رواية عمر بن الخطاب كما يقال وفي صحيحي البخاري ومسـلم وهـذه ليست فيهما فما أكثر ما أغفلاه من الحقائق واستدرك عليهما به، وقول الذهبي: ولا والله ما نزلت هذه الآية إلّا يوم عرفة فهو من ضيق خناقه وإلّا فـالايمان ليست مـن الأدلّة العلمية في مقام النقد والرد وتحليل المطالب على ضوء المنطق ومقاييس الفن.

ثمّ انّ أهم ما في الباب الكلام على ما يؤديه حديث الغدير مع مراعاة الوجهة العامة الجامعة لمتنوع ألوانه وتشتت أساليبه ومحله كـمحل غـيره مـن عـيون الأحاديث ذات المضامين العالية الواردة عن لسان النـبي صلى الله عليه وآله وسلم فـي حـقه عليه السلام مبحث الامامة فاننا نوطأ المقدمات هنا ونأخذ النتيجة من هـناك لأنّـه مـحلها الخاص بها مشياً مع تنظيم الكتاب.

❊ ❊ ❊

المقام الثاني ـ في فضائل أهل البيت

المهم مما ورد في أهل البيت عليهم السلام

ليعلم المتطلع على علم الحديث انّ الأثر الوارد عن لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أهل بيته كثير جداً وكل مادة من مواده لها باب على حدة، واستقصاء ذلك من طريق العامة وحدهم يحتاج إلى تحرير مجلدات ضخمة فضلاً عما تختص به الشيعة من طرق أئمتهم عليهم السلام وقد سبق منا أن تكلمنا على بعض المواد كآية التطهير والمباهلة وشيء مما سواهما وكثير من طرق حديث الغدير ناصّ على فضل أهل البيت كما سلف بعض من ذلك ثمّ تيمناً بالباب نذكر ما يتيسر:

فقد روى أحمد [١] عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله: اني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله عزوجل حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي إلّا انهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض. وروى مثل ذلك عن أبي سعيد أيضاً ص ٥٩ من المجلد المذكور.

وروى أحمد أيضاً [٢] عن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله يوماً خطيباً فينا بماء يدعى خماً بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثمّ قال: أمّا بعد ألا يا أيّها الناس إنّما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي عزوجل فأجيب واني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله تعالى واستمسكوا به فحثّ على كتاب الله ورغب فيه قال: وأهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي. وفي ص ٣٧١ من

(١) في المسند: ج ٣ ص ٢٦.

(٢) في المسند: ج ٤ ص ٣٦٦.

المجلد المذكور: عن علي بن ربيعة قال: لقيت زيد بن أرقم وهو داخل على المختار أو خارج من عنده فقلت له: أسمعت رسول الله يقول: اني تارك في الثقلين؟ قال: نعم.

وروى أيضاً (ج ٥ ص ١٨٩) عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله: اني تارك في خليفتين كتاب الله وأهل بيتي وانهما لن يفترقان حتى يردا علي الحوض جميعاً.

وروى الحاكم [١] عن مسلم بن صبيح عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله: اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض. هذا حديث صحيح الاسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وأقرّه الذهبي في تلخيص المستدرك كما هو.

وروى أيضاً (ص ١٥٠ من المجلد المذكور) عن محمّد بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: احبّوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله وأحبّوا أهل بيتي لحبي. هذا حديث صحيح الاسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه. أقرّه الذهبي.

وروى أيضاً (المصدر نفسه من جميع الوجوه) عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله: والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد إلّا أدخله الله النار. هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وأقرّه الذهبي.

وروى المتقي الهندي [٢]: اشتد غضب الله على من آذاني في عترتي (الديلمي في الفردوس عن أبي سعيد).

---

(١) في المستدرك: ج ٣ ص ١٤٨.

(٢) في كتابه منتخب كنز العمال: ج ٥ ص ٩١.

وروى أيضاً (المصدر نفسه) خيّركم خيركم لأهلي من بعدي . (الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة) .

وروى أيضاً (ص ٩٢ من المجلد المذكور) : مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق (البزار عن ابن عباس وعن ابن الزبير والحاكم في المستدرك عن أبي ذر) .

وروى أيضاً (المصدر نفسه) : النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأُمتي (أبو يعلى في مسنده عن سلمة بن الأكوع) .

وروى أيضاً (المصدر نفسه) : من أحبّ أن يبارك له في أجله وأن يمتعه الله ما خوّله فليخلفني في أهلي خلافة حسنة ومن لم يخلفني فيهم بتك عمره وورد عليّ يوم القيامة مسوداً وجهه (أبو الشيخ في تفسيره وأبو نعيم عن عبد الله بن بدر الخطمي عن أبيه) .

وروى أيضاً (ص ٩٣ من المجلد المذكور) : أيّها الناس اني فرط لكم واني أُوصيكم بعترتي خيراً موعدكم الحوض (الحاكم في المستدرك عن عبد الرحمن بن عوف) .

وروى أيضاً (المصدر نفسه) اللهم أهل بيتي وأنا مستودعهم كل مؤمن (ابن عساكر عن أنس) .

وروى أيضاً (المصدر نفسه) : ما بال أقوام يتحدثون فإذا رأوا الرجل من أهل بيتي قطعوا حديثهم ، والذي نفسي بيده لا يدخل قلب امرىء الايمان حتى يحبهم لله ولقرابتهم مني . (ابن ماجة والروياني والطبراني في الكبير وابن عساكر عن محمّد بن كعب القرظي عن العباس بن عبد المطلب) .

وروى أيضاً (ص ٩٤ من المجلد المذكور) نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد (الديلمي عن أنس) .

وروى المحب الطبري في ذخائر العقبى (ص١٧) عن اياس بن سلمة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأُمتي. أخرجه أبو عمرو الغفاري. وعن علي قال: قال رسول الله ﷺ: النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض. أخرجه أحمد في المناقب. وفي ص ١٨: وعن ابن عباس قال: قال رسول الله: لو انّ رجلاً صفّ بين الركن والمقام فصلى وصام ثمّ لقى الله مبغضاً لأهل بيت محمّد دخل النار. أخرجه ابن السري. وفي ص ٢٠: عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تعلق بها فاز، ومن تخلف عنها غرق. أخرجه الملا في سيرته. وعن علي قال: قال رسول الله: مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تعلق بها فاز ومن تخلف عنها زجّ في النار. أخرجه ابن السري.

إلى هنا تمّ أعظم فصول السيرة النبوية تنظيماً ولم يبق إلّا مقدمات مرضه وتاريخ وفاته وما كان فيها وما اتصل بها بعدها بلا فاصلة، وأرجأنا البحث عن ذلك إلى المجلد اللاحق ليتصل البحث عنه بالبحث عن الامامة فإنّ بينهما تمام الارتباط وعلى الله التكلان.

❊ ❊ ❊

شرح ما يتعلق بهذه الحلقة من الباب الحادي عشر وهو مبحث النبوة ومقدماته

تقدم في المبحث الرابع من مباحث العدل في انّه تعالى يفعل لغرض وانّ الغرض لا يجوز أ، يكون اضراراً بالعبد بل لابد أن يكون نفعاً وعلى انّ الغرض من فعله تعالى النفع فرّع قوله : (**فلابد من التكليف**) وبما انّ هذا اللفظ من غير تفسير وشرح لا يستفاد منه ما يراد فسّره بقوله : (**وهو بعث من تجب طاعته على ما فيه مشقة**) والمشقة ليست شرطاً لازماً له كما سيجيء (**على جهة الابتداء**) متعلق بقوله تجب طاعته (**بشرط الاعلام**) كل ذلك لأجل تحصيل نشأتي المبدأ والمعاد على النحو الأكمل (**أقول لما ثبت انّ الغرض من فعله تعالى**) هو (**نفع العبد ولا نفع حقيقي**) بمعنى أن يكون النفع خالصاً من كل شوب ومستمراً لا انقطاع له (**إلّا الثواب**) أي الجزاء الأُخروي الخالص من كل شوب الباقي ببقاء الله (**لأنّ ما عداه**) أي ما عدا الجزاء الاخروي من كل شيء يقال له في النشأة الأُولى انّه نفع (**امّا دفع ضرر**) كما يقول من اريد به الظلم نفعني فلان في هذا الموقف نفعاً يشكر عليه ويقدر بدفعه عني هذا الطاغي الباغي ، وكما يقول المريض في تقدير طبيبه الذي عالجه فأبرأه لقد نفعني فلان بحسن توجهه ومهارته التامة في الطب أن دفع عني هذه الغائلة ومشى بصحتي على جريها العادي ...

(**أو جلب نفع غير مستمر**) وقواطع النفع الدنيوي كثيرة لا تحصى كأن يموت واجد النعمة فينقطع انتفاعه بما افيد أو يسلبها منه قاهر أو تصيبها شتى الحوادث فتتلفها إذن (**فلا يحسن أن يكون ذلك**) أي ما عدا الثواب (**غرضاً**) يقصده الخالق (**لخلق العبد**) لكن هذا من الاشتباهات الكبيرة فإنّ النشأة الدنيوية إذا

حفظ وزنها الصحيح ونظامها الأتم كانت نشأة ذات روعة وان خفّت كفتها في ميزان يوضع في كفته الأُخرى نفع الآخرة فالنفع إذاً بمطلقه من مقولة التشكيك يخف في الدنيا ويشتد في الآخرة وكلا النفعين يجوز أن يكون غرضاً بلا ريب ولذلك كانت التكاليف الربانية دنيوية اخروية بل ما سوى العبادات من أبواب الفقه وأحكامه وضع لتسوية أُمور الدنيا وحفظ نظامها وتعديل وزنها.

(**ثمّ**) اعطاء (**الثواب**) من المولى (**يقبح الابتداء به**) منه للعباد (**كما يأتي فاقتضت الحكمة توسط التكليف**) بين المثيب والمثاب (**والتكليف لغة مأخوذ من الكلفة وهي المشقة اصطلاحاً ما ذكره المصنف**) بقوله : وهو بعث من تجب طاعته على ما فيه مشقة على جهة الابتداء بشرط الاعلام (**فالبعث على الشيء وهو الحمل عليه**) والسوق نحوه فعلاً كان أو تركاً ايجاداً كان أو إعداماً (**ومن تجب طاعته**) وجودات كثيرة لكنه بالقيود المأخوذة في تعريف المصنف (**هو الله تعالى**) وحده (**فلذلك قال على جهة الابتداء لأنّ وجوب طاعة غير الله كالنبي والامام والوالد والسيد والمنعم تابع ومتفرع على طاعة الله**) وفيه بحث، فانا لو طرحنا قضية الطاعة بين وجود ووجود آخر كاطاعة المستنصح لمن انكشف له انّه ناصح ومصيب لوجدناها لازمة من طريق العقل مع غضّ النظر عن انّ هناك ربّاً ومربوباً ومكلفاً ومكلفاً بكسر الأوّل وفتح الثاني إذاً فليست كل الطاعات متفرعة على طاعة الله سبحانه.

(**وقوله على ما فيه مشقة**) : غلط بلا ريب فإنّ المشقة ان كانت مأخوذة في لغة التكليف على اجمالها واهمالها فهي ليست من اللوازم الغير المنفكة عن التكاليف الشرعية فإنّ من يخشى الضرر من الصوم مكلف بالافطار وليس في الافطار عليه مشقة بل له فيه راحة ونظير هذا في التكاليف الشرعية كثير وقول الشارح : (**احتراز عما لا مشقة فيه كالبعث على النكاح المستلذ**) غلط أيضاً كما

غلط المصنف فإنّه كل نكاح مستلذ ولا داعي له إلّا الشهوة وجملة من أقسام النكاح واجبة في الشرع كمن يخاف الوقوع في المحرمات وهو قادر على دفعه بالتزوج ونظير ذلك (**و**) هكذا يقال في (**أكل المستلذات من الأطعمة والأشربة**) فإنّ هذا ونظيره قد لا يكون واجباً ولا حراماً بأصل الشرع لو خلي هو ونفسه ولكن كثير من العناوين الطارءة تسلكه في سلك التكاليف وملاكاتها، والكلام في التكليف بما هو تكليف أعم من أن ايكون بعناوينه الأولية أم بالعناوين الطارئة فإنّ ذلك كله الزام شرعي يعاقب العبد على مخالفته.

(**وقوله بشرط الاعلام أي بشرط اعلام**) المكلف بالكسر (**المكلف**) بالفتح (**بما كلف به**) فإنّه لا تكليف مع عدم ايصال التكليف إلى من يراد تكليفه إذاً فالاعلام به شرط صحة لا شرط حسن كما يقول الشارح (**وهو من شرائط حسن التكليف**) فإنّ تحسين الشيء وتزويقه لا يكون إلّا بعد قيام عمود ذلك الشيء فإذا كان الشيء المتكلم عنه غير قائم بعد فما هو تحسينه وتزويقه.

(**وشرائط حسنه**) أي حسن التكليف (**ثلاثة: الأوّل عائد إلى التكليف نفسه وهو**) أي ما يعود إلى التكليف نفسه (**أربعة: الأوّل انتفاء المفسدة فيه لأنّه قبيح**). أقول: لا وقع لهذا الشرط فانك قد علمت انّ اصل التكليف قد تفرع على انّ فعل الله لا يكون إلّا لغرض وان الغرض لا يكون إلّا النفع فالتكليف بمجموعه نفع لا ضرر فكيف يشترط فيه انتفاء المفسدة عنه وهل المفسدة إلّا ضرر. (**الثاني تقدمه**) أي تقدم الاعلام به من المكلف بالكسر إلى المكلف بالفتح (**على وقت الفعل**) بما يكون امتثاله مقدوراً للمكلف (**الثالث امكان وقوعه**) ممن كلف به (**لأنّه يقبح التكليف بالمستحيل**) والتعبير بيقبح في هذا المقام غلط بل اللازم أن يقول: يحال التكليف بالمستحيل لأنّ المستحيل ما امتنع وقوعه الخارجي والتكليف بالممتنع ممتنع إذ لا طريق له والقبيح إنّما يقال على ما يمكن ايجاده

وفي ايجاده حزازة لا على ما لا يمكن أصلاً.

(**الرابع ثبوت صفة**) فيه ـ زائدة على ـ أصل ـ حسنه ـ يريد بقوله هذا انّ التكاليف إنّما تتوجه إلى الأشياء إذا كان لها مائز تفترق به حين التعلق عمّا لا ميز فيه أصلاً. مثلا أن يكون شيء جنيس اشياء تساويه من كافة الوجوه لكن طرء له من بعض العناوين ما ميّزه عن مشاركاته فحينئذ يجوز أن يكون متعلقاً للتكليف لكن هذا الشرط ساقط إذ للمولى أن يكلف عبده بما يشاء اختباره به من دون قيد إلّا أن يقال: انّ مراعاة الحكمة في كافة أفعال الله من الكواشف على انّ ما يختاره الله من بين المتساويات عندنا واجد لمزية يعلمها هو ولا نحيط بها ولذلك خصّصه بتعلق التكليف به دون سائر مشاركاته. لكن ما أسمج قوله «إذ لا تكليف بالمباح» فإنّ عنوان الاباحة إذا ثبت لشيء واريد به تساوي طرفي الفعل والترك من حيث جواز الارتكاب امتنع عليه كل عنوان يعاكس هذا العنوان فلا يقال في حقه انّه لا تكليف به إلّا من باب التوضيح الصرف لا ايصال الفائدة إلى السامع أو بيان التقييد والأشياء التي تعتبر مناطاً لكل عنوان تراد اناطته بها يلزم أن تراعى هوياتها لا بشرط حتى يطرء عليها العنوان الطارىء وإلّا لزم فيها تمانع العناوين المتعاكسة أو اجتماع الأمثال وتحصيل الحاصل وكل ذلك غير جائز.

الشرط (**الثاني**) من الشروط الثلاثة التي اعتبرها في حسن التكليف (**عائد إلى المكلف**) بالكسر (**وهو فاعل التكليف وهو**) ينحل إلى (**أربعة**) شروط (**الأوّل علمه بصفات الفعل من كونه حسناً**) حتى يأمر به (**أو قبيحاً**) حتى ينهى عنه وهذا الشرط ساقط في حق الله سبحانه لكون علمه كاشفاً لكل الأشياء (**الثاني علمه بقدر ما يستحقه كل واحد من المكلفين من ثواب وعقاب**) وهذا شرط زائف في كل مكلف يفرض فإنّ المثيب والمعاقب هو المكلف نفسه لا انّه مجر لقانون غيره حتى يحتاج إلى استطلاع ذلك ممن قنّنه.

(**الثالث قدرته على ايصال المستحق حقه**) أي يلزم أن يكون قادراً على ما يعد به من ثواب وما يتوعد به من عقاب . (**الرابع كونه غير فاعل للقبيح**) أقـول : هذا الشرط حشو بل مهمل في جملة هذه الشروط التي أخذها في المكلف ولا معنى له في هذا الباب أصلاً .

(**الثالث**) من الشروط الثلاثة الآنفة الذكر (**عائد إلى المكلف**) بالفتح وهو محل التكليف وهو (**ينحل إلى امور ثلاثة الأوّل قدرته على الفـعل لاسـتحالة تكليف ما لا يطاق كتكليف الأعمى بنقط المصحف والزمن**) الذي لا يقدر على المشي والحركة (**بالطيران**) ، فإن قلت : هذا شرط يعود لفاعل التكـليف انّـه لا يجوز له أن يكلف العاجز لا لمحل التكليف . نقول : هو كذلك إلّا انّ فـيه فـائدة اُخرى وهي انا لو فرضنا من باب فرض المحال تكليف المولى للعاجز من عبيده فهل له أن يؤاخذه على عدم امتثاله لهذا التكليف بسبب العجز نقول : لا لأنّ من شرط محل التكليف قدرته على ما كلف به وهو ليس بقادر بالفرض فـهو ليس بمحل للمؤاخذة أصلاً .

(**الثاني علمه بما كلف به أو امكان علمه به**) فالذي لم يصل إليه التكليف من فاعل التكليف ليس محلاً للمؤاخذة وهكذا الجاهل بالتكليف بعد صدوره إذا لم يكن له طريق ينفذ منه إلى وامّا الجاهل به لتكاسله عن طلب طريقه فـهو ليس بمعذور وهو الذي يقال في حقه انّه جاهل مقصر ولهذا قال الشارح : (**فالجاهل المتمكن من العلم غير معذور . الثالث امكان آلة الفـعل**) وهذا شرط زائد بـعد أخذ القدرة على الفعل شرطاً لأنّ الفعل ان امتنع ايجاده من دون آلته فقد تخلفت القدرة على أصل الفعل وان لم يمتنع ايجاده مع امتناع آلته فاشتراط القدرة على الآلة اشتراط زائد (**ثمّ متعلق التكليف**) أي ما يتعلق به .

(**والعلم امّا عقلي**) أي طريق استقراره في النفس هو العـقل (**كـالعلم بـالله**

وصفاته) التي يلزم من طريق العقول سلبها أو ايجابها (**وعدله و**) أصل (**النبوة والامامة)** لا ما يتفرع على هذين الأصلين فإنّ كثيراً منه سمعي أو اعتباري ذوقي (**أو سمعي**) أي طريق استقراره في النفس هو السمع وحده (**كالشرعيات**) بأنّ هذا حرام وذاك واجب وهلم دواليك (**وامّا الظن فكما في جهة القبلة**) وهذا غلط من الشارح لا يكتفى بالظن ممن له طريق إلى العلم في كل الأشياء وإنّما يكتفى به لتعذر العلم أو لتعسره المخل (**وامّا العمل فكالعبادات**) بعد الوقوف على هوياتها شرعاً.

قال (**وإلّا**) أي وان لم يكن التكليف لازماً من الله لتوجيه عباده نحو ما يصلحهم في النشأتين الدنيوية والأُخروية (**لكان**) الله (**مغرياً**) لعباده « بالقبيح » لأنّه فطرهم فطرة كما احتضنت العقل احتضنت الأهواء النفسية وحاكمية العقل على الأهواء تحتاج إلى معاضد قوي ومساعد يخاف وما ذلك إلّا التكليف بما يتبعه من وعد بالثواب وتوعيد بالعقاب وهذا الذي لخصناه زبدة ما أراد بقوله : (**حيث خلق الشهوات والميل**) النفساني (**إلى القبيح**) في الأكثر (**والنفور عن الحسن**) في الغالب لأنّ فيه تقيداً وكبحاً لجماح النفس التي تحب الاسترسال مطلقة من كل قيد (**فلابد من زاجر**) للنفس عن ارتكاب ما لا يسوغ في شريعة العقل (**وهو التكليف**) بما يتبعه من ثواب وعقاب (**وهو مذهب المعتزلة**) من فريق العدلية (**وهو الحق خلافاً للأشعرية فإنّهم لم يوجبوا على الله تعالى شيئاً لا تكليفاً ولا غيره**) ولا يعرفونه إلّا بما يرويه لهم أبو هريرة ونظراؤه فمذهبهم دائماً دوريّ يعرفون واجب الوجود بما ورد اليهم من السنة في حال انهم معترفون انّ السنة وصاحبها فرعان عن أصل ثبوت الصانع وما له من صفات موجبة أو مسلوبة وهذا هو المحال بنفسه.

(**والدليل على ما قلناه**) من لزوم التكليف عليه تعالى في توجيه عباده إلى

مصالح النشأتين (**انّه لولا ذلك لكان الله فاعلاً للقبيح وبيان ذلك انّه خلق في العبد الشهوة والميل إلى القبائح والنفرة والتأبي عن الحسن**) بالبيان الذي أسلفناه ، (**فلو لم يقرر عنده عقله**) ويؤيده (**ولم يكلفه بوجوب الواجب وقبح القبيح ويعده ويتوعده**) أي يلزمه تعالى بما ألزمه به عقله بالوعد ثواباً للمطيع وبالوعيد عقاباً للعاصي (**لكان الله تعالى مغرياً له**) أي للعبد (**بالقبيح والاغراء بالقبيح قبيح**) على من سوى الله وعليه هو تعالى محال لأنّ الاغراء بالقبيح لا يخلو من داع من الدواعي امّا للجهل بقبحه أو للتشفي من المغرى به أو للعبث المحض وكل ذلك محال على الله ، امّا الجهل فواجب الوجود لازمه الذاتي أن يكون عالماً وارادة التشفي امارة العجز عن الانتقام حين الاساءة والقدرة كالعلم من اللوازم الذاتية لواجب الوجود وارادة العبث دليل نقصان النفس والكمال لواجب الوجود من ذاتياته وقد تقدم هذا البحث عالياً في الحلقة الأُولى فلا نعيد.

قال : (**والعلم**) أي علم الإنسان بقبح القبيح وحسن الحسن من طريق عقله (**غير كاف**) في ردعه عن الأوّل وتوجهه نحو الثاني (**لاستسهال**) النفوس جميعاً إلّا الشاذ الذي لا يعدّ إلّا واحداً في ملايين الناس (**الذم في قضاء الوطر**) النفساني فلا يهم السارق وهو يسرق ما فيه متعة ولذة وتأمين لكثير من اللذات وهكذا الزاني وهو يجد نفسه مغبوطة بهذا العمل الشهوي وهكذا الكلام في غيرهما ممن هو على وتيرتهما ما يقال في حقهم انهم فاعلون للقبيح منحرفون عن جادة الرشد الواقعي فإنّ هذا القول خفيف الكفة أمام تلك الامتاعات المهمة عند النفس (**أقول هذا جواب عن سؤال مقدر**) و (**وتقدير السؤال انّه لم لا يكون العلم باستحقاق**) مجرد (**الذم على القبيح زاجراً عنه و**) هكذا لم لا يكون (**العلم باستحقاق**) مجرد (**المدح على الحسن داعياً إليه وحينئذ لا حاجة**) مع هذا العلم (**إلى التكليف لحصول الغرض بدونه أجاب المصنف بأنّ العلم**)

وحده من غير أن يشفعه وعد بثواب وتوعيد بعقاب من وجود قادر عليهما تمام القدرة وسطوته من أشد سطوات المقتدرين (**غير كاف لأنّه كثيراً ما يستسهل الذم على القبيح مع قضاء الوطر منه خاصة**) أي خصوصاً (**مع حصول الدواعي الحسية**) البارزة في كل انسان (**التي هي في الأكثر تكون قاهرة للدواعي العقلية**) الخفية في أغلب الناس لانصرافهم إلى نفوسهم وبعدهم عن عقولهم وهذا من الأُصول المسلمة انصافاً...

قال: (**وجهة حسنه**) أي حسن التكليف بعد الفراغ من أصل لزومه لأجل تحديد أفعال البشر على طبق النظام المصلح للنشأتين (**التعريض**) أي تعريض الله سبحانه عباده لما فيه منافع تعود إلى أفرادهم بالكسب وهو المعبر عنه في لسان المصنف بقوله (**للثواب أعني النفع المستحق**) بصيغة اسم المفعول (**المقارن**) اعطاؤه ومنحه (**للتعظيم والاجلال**) أي تعظيم الله عبده المطيع المنقاد إلى انفاذ تكاليفه واجلاله تعالى له بسيره على طبق ما أراد منه فإنّ المطيع معزز والعاصي مذلل (**الذي**) وصف للتعظيم (**يستحيل الابتداء به**) فإنّه من الغلط على من سوى الله تعظيم من لا يستحق التعظيم وارتكاب الغلط محال على الله (**أقول: هذا أيضاً**) أي كالفصل السابق (**جواب عن سؤال مقدر**) و (**تقدير السؤال انّ جهة حسن التكليف امّا حصول العقاب**) وحده (**فهو باطل قطعاً**) لأنّ ارادة العقاب وحده هدفاً للمكلف ارادة ضرر بالعبد لا منفذ لها من الحكمة فلا تكون غاية متفردة لله سبحانه ولا للعاقل أيضاً (**أو حصول الثواب**) وحده فإنّ الثواب مخصوص بالمطيع قطعاً فكيف يشركه العاصي فيه وايقاع مثل هذه الشركة يهدم اصل الهدف من التكليف فينهدم التكليف نفسه لأنّ مريد الاطاعة إذا حاسب نفسه وجدها مغبونة بتحمل مشقة الاطاعة لاشتراك غير مريد الطاعة معه في مثل الثواب الذي يثاب به وهذه الخاطرة تحول بينه وبين عمل الطاعة

وتصيّره مثل العاصي في الاحجام عن العمل المطلوب.

قال الشارح: (**وهو أيضاً**) أي كالعقاب (**باطل لوجهين: الأوّل انّ الكافر الذي يموت على كفره**) مع وصول الدعوة إليه أو تمكنه من استعلامها (**مكلف مع عدم حصول الثواب له**) لأنّه عاص فيستحق العقاب (**الثاني: انّ الثواب مقدور لله تعالى ابتداء**) أي بلا توسيط للتكليف في ايصاله إلى العبد (**فلا فائدة في توسط التكليف**) لايصال الثواب منه تعالى إليه (**أجاب**) المصنف (**عنه بأنّ حسنه**) أي التكليف أوّلاً وبالذات (**هو التعريض للثواب**) أي جعل المولى تعالى عبده في معرض الاثابة فإنّ مرحلة الوعد في كل الأشياء سابقة في لسان المتكلم على مرحلة الوعيد ومرحلة الوعيد مرحلة نهائية يخوّف بها المقتدر من في نفسه أن يلجّ في ما كلفه به فأساس التكليف هو التعريض للثواب كما قال وطرداً لتعنت النفوس اللاجة جعلت القاعدة الثانية المقوّمة لانشاء بناء التكليف هي العقوبة فالهدف من التكليف بعد مراعاة تنظيم شؤون العبد واصلاح نشآته منحه ما يستحقه من ثواب وعقاب تعظمياً وتجليلاً في الأوّل وتحقيراً وتذليلاً في الثاني (**لا حصول الثواب**) وفعليته فإنّ فعلية الثواب وكذلك العقاب إنّما تكون بعد تحقق الاطاعة والمعصية (**والتعريض**) أي عرض العبد للثواب (**عام بالنسبة إلى المؤمن**) أي واجد الايمان (**والكافر**) أي فاقده حالة التعريض فهما قبل أن يحكم عليهما بالطاعة والمعصية سيان أمام وظيفة التكليف كل منهما بوسعه أن يستعرض الثواب بالطاعة والعقاب بالمعصية فإذا تقدم أحدهما وأحجم الآخر حصلت فعلية الثواب للمطيع وفعلية العقاب للعاصي.

(**وكون الثواب مقدوراً لله ابتداء**) أي من غير توسيط التكليف بين المثيب والمثاب (**مسلّم**) لأنّ التكليف لا يولد القدرة على الاثابة فإنّ القدرة عليها لا تدور في وجودها وعدمها عليه وإنّما تدور مدار ما تبلغه استطاعة المثيب

وهي في الله غير محدودة لعموم قدرته على كل مقدور (**لكن يستحيل الابتداء به من غير توسط التكليف**) لم قال (**لأنّه مشتمل على التعظيم**) والتجليل والتعزيز (**وتعظيم من لا يستحق التعظيم قبيح عقلاً**) لأنّه ايقاع للشيء في غير موقعه والقبيح على من سوى الله محال عليه (**وقول المصنف في تعريف الثواب انّه النفع المستحق المقارن للتعظيم**) بمنزلة الجنس والفصل (**فالنفع يشمل الثواب والتفضل والعوض فبقيد المستحق خرج التفضل**) لأنّه يكون لا عن استحقاق (**وبقيد المقارن للتعظيم خرج العوض**) لأنّ اعطاء العوض لا يقارن تعظيماً ولا يستلزمه.

قال: المبحث (**الخامس**) من مباحث العدل (**في انّه تعالى يجب عليه**) في مقام التسهيل على العبد لأجل أداء وظيفة التكليف (**اللطف وهو**) أن يهيأ من الأسباب والمقدمات (**ما يقرب العبد إلى الطاعة**) وينشطه إلى الامتثال (**ويبعده عن المعصية**) وينشمر به عن المخالفة وذلك ان الإنسان الطاهر الضمير بالنسبة إلى مولاه يهوى دائماً أن يكون منه ما به رضاء المولى عنه ولكن الاحتفافات والمقارنات الخارجية التي تحيط به والأهواء النفسانية التي تتلوى بعزائمه ونشاطه قد تقف في سبيل خدمته لمولاه حجر عثرة فتؤخره عن المرام الذي يزويه في نفسه ويتمناه على وضعه الذي هو فيه ففي مثل هذا المقام يجب على الله سبحانه مساعدة عبده وتفريج المشكلات عن وجهه حتى يسهل عليه تناول الطاعة من قريب والتجافي عما لا يحل في شرع مولاه بسرعة ومن دون مؤونة وقد تحدّث الله سبحانه في كتابه عن صورة من هذه الألطاف التي استعرضناها هنا بقوله في سورة الكهف: ﴿**إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً**﴾ إلى أن يقول: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدىً * وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا**

رَبُّ ٱلسَّماوَاتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَدْعُوَا مِن دُونِهِ إِلٰهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً﴾ فأنت ترى انّ الله سبحانه لما دعوه باخلاص نية إلى مساعدتهم بتسهيل ما يقربهم إلى طاعته ويبعدهم عن معصيته أجابهم: بأن زادهم هدى على هداهم وربط على قلوبهم.

فمن هنا تميزت بوضوح انّ المراد من اللطف هو ما يكون به نوع من التسهيل على العبد (**و**) انّه (**لا حظّ له في التمكين**) من التكليف بحيث لولاه لما كان التكليف متمكناً منه فإنّ كل ما يتوقف عليه التمكن من الامتثال شرط في أصل صحة التكليف (**ولا يبلغ**) بالعبد حدّ (**الالجاء**) والقسر على الامتثال فإنّ الالجاء لا طاعة كما لا معصية فيه.

ثمّ علّل المصنف وجوب اللطف على الله بالنحو الذي أوضحناه فقال: (**لتوقف غرض المكلف عليه فإنّ المريد لفعل من غيره إذا علم انّه**) أي المأمور (**لا يفعله**) لا من باب التعنت (**إلّا بفعل يفعله المريد من غير مشقة**) عليه وفيه نوع مساعدة للمأمور في انجاز ما أُريد منه (**لو لم يفعله**) أي لو لم يفعل المريد ما به المساعدة والتسهيل على المأمور (**لكان ناقضاً لغرضه**) وهو تحصيل أوامره ونواهيه من هذا العبد ولو لنفع العبد (**وهو**) أي نقض الغرض (**قبيح عقلاً**) لأنّه خلاف المقصود.

(**أقول: ما يتوقف عليه ابقاء الطاعة وارتفاع المعصية تارة يكون التوقف عليه لازماً وبدونه**) أي بدون هذا المتوقف عليه (**لا يقع الفعل وذلك كالقدرة**) على الفعل المكلف به (**والآلة**) له (**وتارة لا يكون كذلك**) أي لا يكون التوقف عليه كالقدرة والآلة (**بل يكون المكلف باعتبار**) حصول (**الطاعة**) منه (**المتوقفة عليه**) أي على ذلك الشيء (**أدنى وأقرب إلى فعل الطاعة**) والامتثال عليه أسهل وأقل مؤونة (**و**) مثل ذلك يقال في (**ارتفاع المعصية**) وعقمها في المكلف (**وذلك**) الذي أشعرنا به (**هو اللطف**) المعنون في كلام المصنف

(**فقوله ولا حظّ له في التمكين اشارة إلى القسم الأوّل**) وهو ما يكون التوقف عليه توقفاً لازماً (**كالقدرة**) والآلة (**فإنّها**) وكذلك الآلة ونظيرها (**ليست لطفاً في الفعل بل شرطاً في**) أصل (**امكانه**) وبدونها لا يمكن (**وقوله ولا يبلغ الالجاء**) نظير قوله ولا حظّ له في التمكين نتيجة (**لأنّه**) أي تسهيل المولى على العبد (**لو بلغ**) حال (**الالجاء**) والقسر على الامتثال (**لكان منافياً للتكليف**) الذي يراد به الاختبار والامتحان فكما انّ التكليف عقيم الانتاج مع فقد شرط الصحة كذلك يعقم انتاجه مع الالجاء والقسر.

(**إذا تقرر هذا فاعلم انّ اللطف تارة يكون من فعل الله**) المنسوب إليه كما في قوله تعالى: ﴿**وَزِدْنَاهُمْ هُدىً * وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ**﴾ (**فيجب عليه وتارة يكون من فعل المكلف**) بأن يكون امتثال المكلف لوظائف مولاه متوقفاً توقف تسهيل على فعل مما ينسب له لكنه إذا لم يلتفت إلى ذلك الفعل لا يمكنه التوسل به (**فيجب عليه تعالى**) حينئذ (**اشعاره به وايجابه عليه**) لطفاً ليتوصل به إلى انجاز التكليف بسهولة (**وتارة يكون من فعل غيرهما**) أي غير الله والمكلف جميعاً (**فيشترط في التكليف العلم به وايجاب الله ذلك الفعل على ذلك الغير**) حتى يتأتى للمكلف بسهولة انجاز ما كلّف به (**و**) تشترط (**اثابته**) تعالى ذلك الغير (**عليه**) أي على الفعل الذي قام به لتسهيل انجاز ما كلف به انسان آخر لكن هذا التصوير بعيد جداً والتصوير الأوّل أقرب التصويرات إلى معنى اللطف (**وإنّما قلنا بوجوب ذلك كلّه على الله لأنّه لولا ذلك لكان ناقضاً لغرضه ونقض الغرض**) من كل أحد (**قبيح عقلاً وبيان ذلك انّ المريد من غيره فعلاً من الأفعال ويعلم المريد انّ المراد منه لا يفعل المطلوب إلّا مع فعل يفعله المريد مع المراد منه من نوع ملاطفة**) يلاطفه بها (**أو مكاتبة**) تدور بينهما (**أو ارسال**) الرسل (**إليه أو السعي إليه**) بنفسه تنشيطاً لعزمه (**وأمثال ذلك من غير مشقة عليه**) أي

على المريد (**في ذلك**) ولا تعنت في المراد منه فإنّ ذلك إن كان منه عن تعنت وتكبر عدّ عاصياً ولما كان اللطف به واجباً بل قد يصير قبيحاً فضلاً عن زوال حسنه (**لو لم يفعل**) المريد (**ذلك**) الذي يسهل معه على المكلف انجاز ما كلف به (**مع تصميم ارادته**) أي المريد (**لعدّه العقلاء ناقضاً لغرضه وذموه على ذلك وكذا**) يقال نظير من هذا (**القول في حق الباري تعالى**) بالنسبة إلى المكلفين (**مع ارادة ايقاع الطاعة وارتفاع المعصية**) وإن كان المستهدف بها ما ينفع العبد فإنّ الله غني عن ذلك كله (**فإنّه لو لم يفعل ما يتوقفان عليه لكان ناقضاً لغرضه ونقض الغرض قبيح**) عليه (**تعالى الله عن ذلك**) علواً كبيراً .

قال : البحث (**السادس**) من مباحث العدل (**في انّه تعالى يجب عليه فعل عوض الآلام الصادرة عنه**) لعباده لا بعنوان عقوبة والآلام الجسمية والروحية الواردة على العبد بقضاء من الله سبحانه لا بعنوان يستحقها ظاهراً كثيرة لا يسعنا الآن عدّها (**ومعنى العوض هو النفع المستحق**) للعبد من مولاه (**الخالي من التعظيم والاجلال**) فإنّ ذلك إنّما يقال للمنقاد إلى الطاعات بانجاز ما كلف به (**وإلّا**) أي وان لم يعوض (**لكان ظالماً تعالى الله عن ذلك وتجب زيادته**) أي العوض (**على**) أصل (**الألم وإلّا لكان**) إيلامه العبد وتعويضه له على قدر ما يستحه الألم من عوض (**عبثاً**) لا يصدر إلّا عن سفيه .

(**أقول : الألم الحاصل للحيوان امّا أن يعلم فيه وجه من وجوه القبح فذلك**) لا (**يصدر**) إلّا (**عنا خاصة**) ولا ينسب إلى الله أصلاً (**أو لا يعلم فيه ذلك**) أي وجه من وجوه القبح (**فيكون حسناً**) إذا كان صادراً عن الله لأنّ أفعاله كلها عن مصالح وامّا إذا كان صادراً عن العباد ولم يعلم له جهة حسن فلا يحكم بحسنه لتخلف الملاك الموجود في الله تعالى عنهم (**وقد ذكر لحسن الألم وجوه : الأوّل كونه مستحقاً**) فما يوقع به من ألم يكون عقوبة (**الثاني كونه مشتملاً على النفع**

الزائد العائد إلى المتألم) فهو يختبر بالحوادث تصوب نحوه ليزيد نفعه وحسن هذا موقوف على رضاء العبد به وإلّا لا يحسن طبعاً مثل هذا يعدّ معاوضة وشبيهاً بالمساومة وكل ذلك لا يقع قهراً ولا يصح قسراً **(الثالث كونه مشتملاً على دفع الضرر الزائد عنه)** الذي لولا توجيه هذا الضرر الأقل إليه لتوجه ذلك الزائد نحوه، وقد يقال في هذا التصوير انّه ما الذي أوجب فرض ذلك الضرر الزائد على هذا العبد حتى يدفع بضرر أقل في حال انّ كلا منهما بلاء من الله وجهه إلى عبده من غير عقوبة تفرض.

(الرابع كونه بما جرت به العادة) أي انّ ما سيق إليه من ألم عادي متعارف فهو لا يهتم له وهذا أيضاً إذا كان منسوباً لله احتاج إلى جهة تصحيح فضلاً عن نسبته إلى العباد وإلّا فكونه ألماً متعارفاً لا يقضي بصحته لأنّ ايقاع أي ألم يفرض بأي أحد يكون يحتاج إلى علة شارحة مبررة لعمل المؤلم بلا ريب. **(الخامس كونه مشتملاً على وجه الدفع)** أي شارحاً للوجوه التي من أجلها جاز توجيه هذا الألم إليه وصحّ دفع الاشكال عنه وأكثر هذه التصويرات كما ترى لا تبرء علية ولا تروي غلة.

(وذلك الحسن) الذي برّر موقع الألم بقابله **(قد يكون صادراً عنا فأما ما كان صادراً عنه تعالى على وجه النفع فيجب فيه أمران: أحدهما العوض عنه وإلّا لكان ظالماً تعالى الله عنه ويجب أن يكون)** العوض **(زائداً)** في القياس **(على الألم إلى حد الرضا)** لا من المتألم وحده بل **(عند كل عاقل)** أي ما يرضاه نوع العقلاء فإذا تمّ رضاهم به فلا عبرة حينئذ بعدم رضا المتألم لأنّه قد يبعد في ما يحصّل له رضاه عن الجادة المعقولة **(لأنّه يقبح في)** محل **(الشاهد ايلام شخص لتعويضه عوض ألمه من غير زيادة لاشتماله على العينية)** وهذا إنّما يتمّ إذا صححنا اصل ايقاع الألم به على ان ايقاع الألم بانسان في مقابل عوض يشرط

له لا يعدّ من المشارطات العقلائية فضلاً عن لزوم زيادة العوض على أصل الألم بالتقدير والتخمين.

(**وثانيهما اشتماله على اللطف**) أي اللطف في ايقاع الألم بالمتألم (**امّا للمتألم أو لغيره**) قد يظنّ في ايقاع الألم بالمتألم لطف له لكن ماذا يبرر ايقاع الألم بانسان واللطف العائد يكون نصيب غيره وهل هو إلّا عبث فكيف يعلل بمثل قوله (**ليخرج من العبث**) كل هذه الاشكالات واردة على من سوى الله سبحانه وامّا هو فلابتناء أفعاله كلها على المصالح ليس بنا في مثل هذه الموارد إلّا تعليلها بالمصلحة أيضاً وإلّا فأنت كما ترى انّ نوع هذه الاستدلالات والتشقيقات هذر من القول لا يرتبط بأدنى العقول دركاً فضلاً عن أهمها وأعظمها (**وامّا ما كان صادراً عنا فما فيه وجه من وجوه القبح فيجب على الله الانتصاف للمتألم من المؤلم لعدله ولدلالة السمع عليه ويكون العوض هنا مساوياً للألم**) لأنّه من باب التقاص (**وإلّا**) أي لو زاد (**لكان ظالماً**) تعالى الله عن ذلك.

(**وههنا فوائد : الأولى العوض هو النفع المستحق**) بصيغة اسم المفعول (**الخالي من تعظيم واجلال فبقيد المستحق خرج التفضل**) لأنّه يكون لا عن استحقاق (**وبقيد الخلو عن التعظيم خرج الثواب. الثانية لا يجب دوام العوض**) بعد انقطاع المعوض إلّا بمقدار يلزم به العقلاء لا أكثر (**لأنّه لا يحسن في**) محل (الشاهد **ركوب الأهوال الخطيرة ومكابدة المشاق العظيمة لنفع منقطع قليل. الثالثة العوض لا يجب حصوله في الدنيا لجواز أن يعلم الله المصلحة في تأخيره**) إلى الآخرة (**بل**) هو (**قد يكون حاصلاً في الدنيا وقد لا يكون. الرابعة الذي يصل إليه عوض ألمه في الآخرة امّا أن يكون من أهل الثواب أو من أهل العقاب فإن كان من أهل الثواب فيكفيه ايصال أعواضه بأن يفرقها الله تعالى على الأوقات**) التي يتنعم بها في دار النعيم (**أو يتفضل عليه بمثلها**)

جملة واحدة وكلمة بمثلها في كلام الشارح غلط إذ لا معنى لها هنا والمعنى ما ذكرناه.

(**وإن كان من أهل العقاب أسقط لها**) أي لآلامه المستحقة للاعواض (**جزءً من عقابه بحيث لا يظهر له التخليف**) عنه (**بأن يفرق القدر**) المسقط (**على الأوقات**) أي أوقات تعذيبه وهذا الحكم من الشارح تحكم بارد لا مدرك له بل من العقل ان يظهر له التخفيف حتى يعلم انّ هذا جبران ما وصل إليه من ألم.

(**الخامسة الألم الصادر عنا**) إلى الغير (**امّا بأمره تعالى**) كالجهاد واقامة الحدود والقصاص على من يستحق ذلك (**أو اباحته**) كما نفعله بالحيوانات العجم (**و**) الألم (**الصادر عن غير العاقل كالعجماوات**) الصادر عنها الألم إلى الغير (**وكذا ما يصدر عنه من تفويت المنفعة**) على انسان (**لمصلحة الغير وانزال الغموم**) والهموم والأحزان (**الحاصلة**) للعبد (**من غير فعل العبد**) وتسبيبه هو ذلك لنفسه (**يجب عوض ذلك كله على الله تعالى لعدله وكرمه**) ونحن مع انا بسطنا نكات هذا البحث قدر ما يسعه هذا الكتاب في متنه وشرحه لا نرى فيه بلغة لآمل لأنّه من البحوث الغير المنقحة بل التي لا يمكن تنقيحها خصوصاً في الآلام الموجهة من الله لمخلوقاته ومن العجماوات بعضها مع بعض ومع قسم البشر أيضاً ومن البشر للعجماوات لكن الذي يهوّن الخطب في البحث عن أفعال الله هو اناطتها بالحكم والمصالح الخفية التي لم تنكشف لنا ولا تنكشف إلّا من طريقه والطريق إليه في مثل هذه النقاط مسدود وما يذكر فيه من كلام مملوء بالمؤاخذات الكلامية انصافاً وقد تكلمنا على هذا الموضع في الحلقة الأُولى من سلسلة هذا الكتاب عند التعرض لشبه الماديين في انكار الصانع.

قال: (**الفصل الخامس في النبوة: النبي**) بالنسبة إلى الوقوع الخارجي منظوراً به نوعية البشر وإنّما قلنا ذلك لأنّه يجوز أن يكون لكل نوع من أنواع

العقلاء جنياً وملائكة واناسي نبي من جنسهم (**هو الإنسان المخبر عن الله تعالى بغير واسطة أحد من البشر . أقول : لما فرغ من مباحث العدل أردف ذلك بمباحث النبوة لتفرعها عليه**) لأنّها لطف في العباد واللطف لمستحقه واجب على العدل (**وعرف النبي بأنّه الإنسان المخبر عن الله تعالى بغير واسطة أحد من البشر فبقيد الإنسان يخرج الملك**) والجن وإنّما اشترط العقلاء أن يكون نبي كل نوع منهم لأنّه لا يحيط بهوية الجنس المخصوص إلّا مجانسه الذي يحمل ذاتاً يشترك فيها بالنظر إلى اصل الفطرة والخلقة مع كافة مجانسيه ومن يكون بهذا الحد يستطيع أن يسبر الوضع الاجتماعي والأخلاقي في أبناء جنسه بخلاف الخارج هوية المباين جنسية فإنّه لا يقوم مثل هذا المقام أصلاً ومهما اوتي من علم ومعرفة (**وبقيد المخبر عن الله يخرج المخبر عن غيره**) فلا يكون نبياً (**وبقيد عدم واسطة بشر يخرج الامام والعالم فانهما يخبران عن الله تعالى بواسطة**) ما وصل اليهم عن (**النبي إذا تقرر هذا فاعلم انّ النبوة مع**) ثبوت أصل (**حسنها خلافاً للبراهمة**) النافين لحسنها رأساً فضلاً عن وجوبها . امّا انّ حسنها ثابت فلانها لا يستهدف منها إلّا هداية البشر إلى ما فيه مصالحهم والاجتناب عما فيه مفاسدهم وتعديل نظام نشأتيهم وفتح أبواب الخيرات العلمية والعملية عليهم ومن هذا ينبعث كونها (**واجبة في الحكمة خلافاً للأشاعرة**) النافين لوجوبها على الله وان أثبتوا حسنها في حال انهم قد أخطأوا حيث اعتبروا الحسن وأنكروا الوجوب ، فإنّ الأنظمة المعدّة لتعديل الحياة وجنبات النشآت عند ثبوت حسنها في العقول يأتي وجوب اجرائها قطعاً وإلّا يتخلّف فرض حسنها بالضرورة .

(**والدليل على ذلك هو انّه لما كان المقصود من ايجاد الخلق هو المصلحة العائدة اليهم**) والمنافع اللاحقة لهم وإلّا فواجب الوجود في نفسه غني عن كل ذلك بفرض وجوب الوجود له (**كان اسعافهم بما فيه مصالحهم وردعهم عما**

فيه مفاسدهم واجباً في الحكمة) لأنّه الغاية من أصل الخلقة وبدون رعايته تكون لغواً **(وذلك)** أي اسعافهم بما فيه المصلحة وردعهم عما فيه المفسدة **(امّا في أحوال معاشهم أو أحوال معادهم امّا)** الكلام **(في أحوال معاشهم فهو انّه لمّا كانت الضرورة داعية في)** مقام **(حفظ النوع الانساني)** من التلاشي والتشتت **(إلى الاجتماع الذي تحصل معه)** معاونة البعض للبعض بقيام كل فرد أو جماعة بعمل خاصّ يسدّ به نقص من نواقص الحياة كما تحصل فيه **(مقاومة كل واحد لصاحبه فيما يحتاج إليه)** وهو مفقود عنده وموجود عند غيره ولا شبهة انّ الواجد يمانع الفاقد تلجّ به الحاجة أو تأمين الشهوة إلى مطاردة الواجد **(استلزم ذلك الاجتماع تجاذباً وتنازعاً يحصلان من محبة كل واحد لنفسه وارادة المنفعة لها دون غيره)** وهذا هو أساس التجاذب **(بحيث يفضي ذلك)** لو خلي هو وطبعه **(إلى فساد النوع واضمحلاله فاقتضت الحكمة وجود عدل)** مأمون **(يفرض شرعاً بين النوع)** ومراده بالشرع هنا المشرعة التي يرد عليها الخصم لحلّ المشكلات والمنظور به مفهومه العام لا الخاص الذي سيجيء بيانه **(بحيث ينقاد كل واحد إلى أمره وينتهي عند زجره)** أي انّ هذه الحيثية مأخوذة في الشارع الذي يتصدر لحل الخصومات وفصلها حتى تحصل النتيجة المطلوبة وهي سكوت الخصمين عن التخاصم والتنازع ثمّ أخ يبيّن انّ هذه الحيثية هل توجد عند كل أحد تخوّله التصدر للقضاء فقال :

(ثمّ لو فرض ذلك الشرع اليهم) أي إلى أفراد النوع بحسب ما يتذوقونه ويرتأونه من أنفسهم **(لحصل)** أي بقي **(ماكان أوّلاً)** من التجاذب والتنازع **(إذ لكل واحد رأي يقتضيه عقله وميل يوجبه طبعه)** لا يسلمه له الفرد الآخر المنحاز برأي وميل على خلاف رأيه وميله **(فلابد حينئذ من شارع متميز)** عن السائرين **(بآيات)** سماوية **(ودلالات)** ربانية **(تدل على صدقه)** ومطابقة ما

يقوله للواقع الصريح (**كي يشرع ذلك الشرع**) الذي يفصل في قضايا الناس (**مبلغاً له عن ربه**) لا مبدعاً له من نفسه (**يعد فيه المطيع**) بوعد من الله الخالق (**ويتوعد العاصي**) بتهديد ممّن يملك التهديد لقدرته على الوفاء به وهو الله سبحانه (**ليكون ذلك**) الوعد والوعيد وكون القضاء من رب السماء (**أدعى إلى انقيادهم لأمره**) فيما يأمرهم به (**ونهيه**) فيما ينهاهم عنه.

(**وأمّا**) الكلام (**في أحوال معادهم فهو انّه لما كانت السعادة الأُخروية لا تحصل إلّا بكمال النفس بالمعارف الحقة**) الخالصة من كل الشوائب (**والأعمال الصالحة**) الكافلة للنجاح والفلاح (**وكان التعلق بالأُمور الدنيوية وانغمار العقل في الملابس البدنية**) والأهواء النفسانية (**مانعاً من ادراك ذلك على الوجه الأتم والنهج الأصوب أو يحصل ادراكه لكن مع مخالجة الشك**) فيه (**ومعارضة الوهم**) لمرتئيات العقل كان (**لابدّ حينئذ من وجود شخص لم يحصل له ذلك التعلق المانع**) الموجود في كافة البشر إلّا من أنتجبه الله لأمر يريده به (**بحيث يقرر لهم**) هذا الشخص المنتجب (**الدلائل ويوضحها لهم ويزيل الشبهات**) عنهم (**بحيث يقرر لهم**) هذا الشخص المنتجب (**الدلائل ويوضحها لهم ويزيل الشبهات**) عنهم (**ويدفعها**) بما يزيحها عن ضمائرهم (**ويعضد ما اهتدت إليه عقولهم ويبين لهم**) بما هداه الله له (**ما لم يهتدوا إليه ويذكرهم خالقهم ومعبودهم ويقرر لهم العبادات**) التي بها يتعبدون (**والأعمال الصالحة**) التي بها يتوسلون وانها (**ما هي وكيف هي على وجه يوجب لهم الزلفى عند ربهم**) والقرب منه تعالى (**ويكررها عليهم ليحفظوا التذكر بالتكرير كي لا يستولي عليهم السهو والنسيان اللذان هما كالطبيعة الثانية للانسان وذلك الشخص المفتقر إليه في أحوال المعاش والمعاد**) الموصوف بالأوصاف الآنفة ولو على سبيل الاجمال (**هو النبيّ فالنبيّ**) إذاً (**واجب في الحكمة**) العقلية

بالشرح الآنف (**وهو المطلوب**) وبه تسقط دعوى البرهميّ والأشعري المنكر أولهما لحسن النبوة والثاني لوجوبها على الله تعالى.

قال: (**وليه**) أي في فصل النبوة (**مباحث**): المبح (**الأوّل في نبوة نبيّنا**) أي نحن المسلمون (**محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب**) بن هاشم (**رسول الله**) بلا ريب (**لأنّه ظهرت المعجزة على يده كالقرآن**) قد أفصحنا عن جماع القول في اعجاز القرآن آنفاً ونقول هنا عن ملاك إعجازه انّه ليس بمعجز فقط من ناحية سلاسة اسلوبه وضخامة تركيبه ورشاقة ألفاظه وحسن صوغه وسبكه بما لا يوجد في أيّ تأليف وجدناه لفصحاء البشر بل الجنبة المهمة لاعجازه تعرضه لشتى جنبات الحيوية بما لم يعرف منه معاصروه بحثاً من بحوثه ولم يدر لهم في بال ولا خاطر وحتى إذا تعدينا بمعارفه جزيرة العرب واستعرضنا به معارف اليونان والرومان والفرس والهند وجدنا له التفوق عليها من كافة جهاته، فقد كان يكثر في هذه العناصر اعتقاد البواطل والجنوح إلى الآراء المتجافية عن المنطق والاعتزاز بالقومية والاعتراف بتفاوت الطبقات من حيث الصور لا الفضائل وشيء كثير من نظير ذلك والقرآن جاء بتعاليمه ضارباً هذه الوجوه السود بحقائقه الناصعة البيض ولا يسعنا فعلاً استقصاء القول في ذلك لتشعب بحوثه وقد كشفنا منه صفحة ناصعة غاصة بالحقائق في صدر مبحث النبوة من حلقات السلسلة فراجع.

(**وانشقاق القمر**) فعن ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله ﷺ: اشهدوا وإنّما قال ذلك لأنّ المشركين سألوا منه آية على صدقه فشق لهم القمر فرقتين فقال رجل منهم: إن كان محمّد سحر القمر فإنّه لا يبلغ من سحره أن يسحر الأرض كلها فاسئلوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوه فسئلوا فأخبروا انهم رأوا

مثل ذلك، وروى هذا الأثر غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود منهم أن وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعليّ وجبير بن مطعم (١).

(**ونبوع الماء من بين أصابعه**) عن أنس انّ النبي دعا بماء فأتى به في قدح رحراح (٢) فوضع يده فيه فجعل الماء ينبع من أصابعه كأنّه العيوب فشربنا قال أنس: فحزرت القوم ما بين السبعين إلى الثمانين (٣).

(**واشباع الخلق الكثير من الطعام القليل**) روي انّ امرأة من الأنصار صنعت طعاماً قليلاً لها ثمّ قالت لزوجها اذهب إلى رسول الله فدعه سرّاً فجاء زوجها فقال: يا رسول الله انّ فلانة قد صنعت طعاماً قليلاً واني أحب أن تأتينا، فقال رسول الله للناس أجيبوا أبا فلان، قال: فجئت وما تكاد تتبعني رجلاي لما تركت عند أهلي ورسول الله قد جاء بالناس فقلت لأمرأتي قد افتضحنا هذا رسول الله قد جاء بالناس معه، قالت أوما أمرتك أن تسرّ ذلك إليه ؟ قال: قد فعلت، قالت فرسول الله أعلم فجاؤوا حتى ملأوا الحجرة وكانوا في الدار وجيء بمثل الكف فوضعت فجعل رسول الله يبسطها في الاناء ويقول ما شاء الله أن يقول ثمّ قال: ادنوا فكلوا فإذا شبع أحدكم فليخل لصاحبه قال: فجعل الرجل يقوم ويقعد الآخر حتى ما بقي من أهل البيت أحد إلّا شبع ثمّ قال: ادع لي أهل الحجرة فجعل يقعد قاعد ويقوم قائم حتى شبعوا ثمّ قال: ادع لي أهل الدار فصنعوا مثل ذلك وبقي مثل ما كان في الاناء فقال رسول الله: كلوا وأطعموا جيرانكم (٤).

---

(١) عياض في الشفاء.

(٢) قريب القعر من سعة فيه.

(٣) طبقات ابن سعد: ج ١ ص ١٦١.

(٤) طبقات ابن سعد: ج ١ ص ١٦٠.

(**وتسبيح الحصى في كفه**) أخرج ابن عساكر عن أنس انّ النبي أخذ كفاً من حصى فسبحن في يده. (**وهي**) أي معجزاته (**أكثر من أن تحصى**) وقد تصدّى لضبطها كثير من رجال الحديث والسيرة (**وادعى النبوة فيكون**) من دعواه النبوة وظهور المعجزات على يده (**صادقاً وإلّا لزم اغراء**) الله سبحانه (**المكلفين بالقبيح**) لاقراره الكاذب المغوي المضل على اغوائه عباده والانحراف بهم عن جادة الصواب (**فيكون محالاً ، أقول : لما كانت المصالح تختلف بحسب اختلاف الأزمان والأشخاص**) بل والأمكنة ونوع الطواريء ذات التأثير الخاص (**كالمريض الذي تختلف أحواله في كيفية المعالجة واستعمال الأدوية بحسب اختلاف مزاجه في تنزلاته في المرض بحيث يعالج في وقت بما يستحيل معالجته به في وقت آخر كانت النبوة والشريعة مختلفتين بحسب اختلاف مصالح الخلق في أزمانهم وأشخاصهم**) وأمكنتهم والطوارىء ذات الأثر الخاص فيهم (**وذلك**) الذي بيّناه (**هو السرّ في نسخ الشرائع بعضها لبعض**) في الأحكام التي شرعت لدواعي خاصة لا في جملة الأحكام التي مشى بعضها مع الأجيال على طول (**إلى أن انتهت النبوة والشريعة إلى سيدنا محمّد** ﷺ **الذي اقتضت الحكمة كون نبوته وشريعته ناسختين لما تقدمهما**) في الأحكام التي شرعها الله لدواعيها الخاصة كما أسلفناه (**باقيتين ببقاء التكليف**) في عواتق المكلفين.

(**والدليل على صحة نبوته هو انّه ادعى النبوة وظهرت المعجزة على يده وكل من كان كذلك كان نبياً حقاً فيحتاج إلى بيان امور : الأوّل : انّه ادعى النبوة. الثاني : انّه ظهرت المعجزة على يده. الثالث : انّه كل من كان كذلك فهو نبي حق ، امّا الأوّل**) وهو انّه ادعى النبوة (**فهو ثابت اجماعاً من**) كافة (**الناس بحيث لم ينكره أحد**) حتى غير المعتقد بدينه (**وامّا الثاني**) وهو ظهور المعجزة

على يده حين ادعائه للنبوة (**فلان المعجز**) معناه (**هو الأمر الخارق للعادة المطابق للدعوى**) التي يدعيها مظهر النبوة (**المقرون بالتحدي**) وايقاف الشخص لنفسه في معرض العموم (**المتعذر على الخلق الاتيان بمثله امّا اعتبار خرق العادة**) في المعجزة (**فإنّه لولاه لما كان معجزاً**) ويعدّ من الأُمور العادية (**كطلوع الشمس من مشرقها وامّا مطابقة**) المعجزة لـ (**لدعوى فلدلالته على صدق ما ادعاه**) أي ليدل ما ظهر منه على صدق ما يجهر به من دعوى (**إذ لو خالف ذلك كما في قضية مسيلمة الكذاب**) حيث يقال انّه تفل في بئر ليزداد ماؤها فجف (**لما دل على الصدق**) بل صارح بالكذب (**وامّا التعذر على الخلق فلانه لو كان**) جائز الوقوع من البشر فضلاً عن كونه (**كثير الوقوع لما دل أيضاً على النبوة**) أي كما لا يدل عليها إذا لم يطابق الدعوى.

(**ولا شك أيضاً**) أي كما لا شك في اصحاره بدعوى النبوة لا شك (**في ظهور المعجزات على يد نبينا وذلك**) في غير القرآن من المعجزات (**معلوم بالتواتر**) في مجموعها ان لم تتواتر أفرادها بالتصافق (**الذي يفيد العلم ضرورة**) وامّا القرآن فهو فوق حدّ التواتر لتناقل الأجيال له جيلاً بعد جيل (**فمن ذلك القرآن الكريم الذي تحدى به الخلق وطلب منهم الاتيان بمثله**) ولو سورة واحدة (**فلم يقدروا على ذلك وعجزت عنه مصاقع الخطباء من العرب العرباء حتى دعاهم عجزهم**) عن ابطاله (**إلى محاربته ومسايفته الذي حصل به ذهاب نفوسهم وأموالهم وسبي ذراريهم ونسائهم**) في وقائعه ﷺ المشهورة معهم (**مع انهم**) لولا اعجازه لهم (**كانوا أقدر على دفع ذلك**) الخطر العظيم الذي وجهوه إلى أنفسهم بالحرب (**لتمكنهم من مفردات الألفاظ وتراكيبها مع انهم كانوا من أهل الفصاحة والبلاغة والكلام**) الجزل (**والخطب**) الرائعة (**والمحاورات**) المقبولة (**فعدولهم عن ذلك إلى المحاربة دليل على عجزهم إذ العاقل لا يختار**

الأصعب مع انجاع الأسهل إلّا لعجزه عنه).

إذاً فليس الذي عدل عنه أسهل ولا ما اختاره أصعب بل القضية معكوسة (**ومن ذلك**) أي من معجزاته (**انشقاق القمر ونبوع الماء من بين أصابعه واشباع الخلق الكثير من الطعام القليل وتسبيح الحصى في كفه وكلام الذراع المسموم**) له (**وحنين الجذع**) إليه (**وكلام الحيوانات الصامتة**) معه (**والإخبار بالغائبات واستجابة دعائه وغير ذلك مما لا يحصى كثرة وذلك معلوم في كتب المعجزات والتواريخ**) والسير (**حتى حفظ منه ما ينيف على الألف**) مورد (**الذي أعظمها وأشرفها الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا تمله الطباع ولا تمجه الأسماع ولا يخلق**) أي يبلى (**بكثرة ترداده ولا تنجلي الظلمات إلّا به . وأمّا الثالث**) وهو انّ كل من ادعى النبوة وظهرت على يده المعجزة فهو نبي حق (**فلانه لو لم يكن صادقاً في دعوى النبوة لكان كاذباً وهو باطل إذ يلزم منه اغراء**) الله سبحانه (**المكلفين باتباع الكاذب**) لأنّه أقرّه على اغوائه ولم يفضحه (**وذلك قبيح لا يفعله الحكيم**) لأنّه يحال عليه .

قال : المبحث (**الثاني**) من مباحث النبوة (**في وجوب عصمته**) أي عصمة النبي مطلقاً و (**العصمة**) في نفسها (**لطف خفي يفعله الله تعالى بالمكلف**) الذي يريد محدودية أفعاله وتروكه لداع يوجبه المنطق كالنبوة في النبي والامامة في الامام ليحصل بذلك لهما تمام التحصن الموجب للقطع بصدقهما فيما يقولان واليقين بمصونيتهما من كل خدشة توجه إلى الإنسان في مقام مؤاخذته أو ملامته وتفنيده (**بحيث لا يكون له**) مع ذلك اللطف (**داع إلى ترك الطاعة وارتكاب المعصية مع قدرته على ذلك**) فيما يجده من نفسه وإنّما يزعه عنه رادع العصمة الكافة له لا عن اختياره حتى يحصل للناس مع حصول هذه القوة فيه اليقين الصارم بأنّ هذا الإنسان لا يرتكب معصية ولا يخل بأمر واجب (**لأنّه**

لولا ذلك) أي العصمة **(لم يحصل الوثوق بقوله)** كما لا مؤمّن له عن الانحراف إلى ما لا يجوز **(فانتفت)** على تقدير عدم الوثوق بقوله **(فائدة البعثة)** المنظور فيها تبليغ ما عن الله إلى عباده حتى يمتثلوا أوامر ربهم فيهم وهذا التبليغ يعقم انتاجه مع عقم الوثوق بأقواله واخباراته وفي ذلك من نقض الغرض ما لا يخفى **(وهو محال)** على الله تعالى.

(أقول: اعلم انّ المعصوم يشارك غيره) من المكلفين **(في الالطاف المقرّبة)** إلى الله بامتثال أوامره ونواهيه **(ويحصل له زائداً على ذلك)** الأمر المشترك **(لأجل)** تثبيت **(ملكة نفسانية)** فيه **(لطف يفعله الله)** به **(بحيث لا يختار معه ترك الطاعة ولا فعل المعصية مع قدرته على ذلك)** لو خلي هو واختياره ولكن وجود العصمة يعقم مقدمات اختياره لما لا يرضاه الله والناس جميعاً من طريق المنطق **(وذهب بعضهم إلى انّ المعصوم لا يمكنه الاتيان بالمعاصي)** لمانع العصمة فقط لا بالنظر إلى نفسه من حيث هي وهذا في النتيجة يشترك مع عدم الامكان الذاتي بالنسبة إلى امتناع صدور المعاصي عنه والوثوق الحتمي بالقول والفعل اللذين يكونان منه لا يحصل بدون ما بيّناه طبعاً.

وقوله: **(وهو باطل وإلّا لما استحق مدحاً)** باطل فإنّ استحقاقه المدح وجزيل الثواب لا على تركه للمحرّم وفعله للواجب فقط وإنّما هو لتصدره إلى مشاق وظيفة النبوة والامامة من تبليغ ونشر أحكام ومبارزة لأعداء الله ومناجزة لمن يريد دين الله بسوء والمتاعب في هذه الطريق جمّة لا يقوى لها كل أحد ومطالعة السيرة بالنسبة إلى الصدمات والمشاق التي عاناها نبي الإسلام أكبر دليل على ما نحمل من جهد وأذى وهذه الصعوبات المجهدة قد تقبلها النبي اختياراً ولم يقسر عليها وآثار أذيتها محسوسة فيه لكل أحد. ثمّ انّ انقيادات النبي والامام بالنسبة إلى الأعمال المرغبة والمستحبة بل المقربة إلى رضوان الله

وليست تحت عنوان خاص من المستحبات مما لا يربطها إلى الزام العصمة شيء فهي من أكبر محطات الثواب لهم عليهم‌السلام فقد كان النبي يصف قدميه للصلاة قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً حتى تتورم لا يرجو من وراء ذلك إلّا القرب من ربه وهكذا كان عليّ يفعل ومثل هذا لا دخل له بالعصمة اللازمة للنبي والامام المتوقف عليها الوثوق بأقوالهما وأفعالهما انها مأخوذة عن متن الواقع صرفاً فيما يترتب عليها من تثبيت أصل الديانة وان ما يحكي به الواقع قولاً وعملاً مطابق له قطعاً هذا هو اللازم الحصول في واجب العصمة لا ما زاد عليه.

(**إذا تقرر هذا فاعلم انّ الناس**) نوعاً لعدم مزاولتهم لأقيسة المنطق والبراهين العقلية الثابتة وعدم تحققهم لهوية الموضوع وهوية الحكم والمناسبة التي يلزم أن تكون بينهما في عقد الحمل (**اختلفوا في**) كثير من الحقائق من حقيقة واجب الوجود إلى ما دونها وداعي اختلافهم الجهل بما بيّناه ومن جملة ذلك اختلافهم في وجوب (**عصمة الأنبياء فجوزت الخارج عليهم الذنوب وعندهم كل ذنب كفر**) وعلى هذا فهم يجوزون الكفر على الدعاة إلى الله وما أشدّ هذا التناقض انصافاً وهذا من الأدلّة الكاشفة عن مبلغ عقلياتهم السخيفة (**والحشوية جوزوا الاقدام على الكبائر ومنهم من منعها عمداً لا سهواً وجوزوا تعمد الصغائر والأشاعرة منعوا الكبائر مطلقاً**) عمداً وسهواً (**وجوزوا الصغائر سهواً**). وأنت ترى مبلغ التحكمات الباردة في هذه الأقوال النابية عن سنن المنطق والذي اعتقده انها أسست على مضامين بعض أخبار الآحاد المروية عن طغام جفاة كأبي هريرة ونظرائه من الذين تستنكرهم الحقائق الثابتة أشد استنكار ولا تعرفهم بشيء من الفضل الموزون (**والامامية**) باللون الذي لخصنا شرحه (**أوجبوا العصمة مطلقاً عن كل معصية عمداً وسهواً وهو الحق لوجهين: الأوّل: ما أشار إليه المصنف وتقريره انّه لو لم يكن الأنبياء معصومين لانتفت**

فائدة البعثة) إلى هي تثبيت دين الله في القلوب عن واقع ثابت (**واللازم**) وهو انتفاء فائدة البعثة (**باطل**) لأنّها بانتفاء فائدتها تنتفي هي نفسها وقد تقدم ثبوتها ولزومها (**فالملزوم**) وهو نفي لزوم العصمة للأنبياء (**مثله**) في البطلان فيجب لزوم عصمتهم.

(**بيان الملازمة انّه إذا جازت المعصية عليهم لم يحصل الوثوق بصحة قولهم**) وفعلهم المنوط بهما ثبوت الدين في قلوب المكلفين (**لجواز الكذب حينئذ عليهم**) قولاً وفعلاً وان ادعى فيهما حكاية الواقع (**وإذا لم يحصل الوثوق**) بهم (**لم يحصل الانقياد لأمرهم ونهيهم فتنتفي فائدة بعثهم وهو محال**) لأنّه نقض للغرض (**الثاني : لو صدر عنهم الذنب لوجب اتباعهم**) لأنّه ارشاد إلى خلاف الواقع وإلى ما فيه المفسدة أيضاً و (**لأنّه قبيح**) لاستلزامه الاغراء بالجهل (**فيكون صدور الذنب عنهم محالاً وهو المطلوب لنا**).

قال : المبحث (**الثالث**) من مباحث النبوة (**في انّه**) أي النبي (**معصوم من أوّل عمره إلى آخره**) امّا لزوم العصمة فهو شرط في النبي مع تلبسه بعنوان النبوة لا مطلقاً لأنّ الوثوق الحتمي إنّما يراد للنبي بعنوان نبوته لا بما انّه الشخص المعيّن المسمى بموسى بن عمران أو محمّد بن عبد الله، نعم عراء من يترشح للنبوة عن كل سابقة سيئة شرط عقلائي لتأمين النفوس به حتى لا تتجافى عنه بعد الدعوة باعتبار ما شوهد منه من خلاف قبلها ومثل هذه الحالة لا ربط لها بالعصمة أصلاً (**لعدم انقياد القلوب إلى طاعة من عهد منه في سالف عمره أنواع المعاصي الكبائر والصغائر و**) كل (**ما تنفر النفس منه . أقول : ذهب القائلون بعصمتهم فيما نقلناه عنهم إلى اختصاص ذلك**) أي ما ذكر لهم من أقوال وآراء في الفصل السابق (**بما بعد الوحي**) والاصحار بالدعوة (**وامّا قبله**) أي قبل الوحي والدعوة (**فمنعوا عنهم الكفر**) بأن لا يكونوا قبل صيرورتهم أنبياء

متخذين للكفر ملة (**والاصرار على الذنب**) لا مناوشتهم له في بعض الأحيان (**وقال أصحابنا**) الامامية (**بوجوب العصمة مطلقاً قبل الوحي وبعده إلى آخر العمر**) ولكن بالبيان الصحيح الذي بيّناه فإنّه ملاك عقلي تام من جميع وجوهه (**والدليل عليه ما ذكره المصنف وهو ظاهر وامّا ما ورد في الكتاب العزيز والأخبار مما يوهم صدور الذنب عنهم فمحول على ترك الأولى**) الذي يجوز ارتكابه ولا حزازة فيه أصلاً . (**جمعاً بين ما دلّ العقل عليه**) لزوماً (**وبين صحة النقل**) إذا تمت له الصحة وإلّا يضرب به عرض الجدار (**مع ان جميع ذلك قد ذكرت له وجوه ومحامل في مواضعه وعليك في ذلك بمطالعة كتاب تنزيه الأنبياء الذي رتبه السيد المرتضى علم الهدى الموسوي وغيره من الكتب ولولا خوف الاطالة لذكرنا نبذة من ذلك**) ولكنا نحيله إلى ما أشرنا إليه فليراجع .

قال : المبحث (**الرابع**) من مباحث النبوة (**يجب أن يكون**) النبي (**أفضل أهل زمانه**) هنا يجب تفسير هذه الكلمة تفسيراً لازماً فإن كان مراده أنّ الفرد الذي يقع عليه انتخاب الله للنبوة يجب أن يكون حين القاء هذا العنوان عليه أفضل أهل زمانه من كافة الوجوه بحيث كل الأفراد مسلمة النزول عنه مقاماً فذلك ليس بشرط بداهة لأنّ المنظور بالنبي الوساطة بين الله وبين عباده ينساق إلى ما يسوقه له من تبليغ حكم ونشر دعاية وقيادة جيش لقمع أعداء الله هذا كل المنظور فيه ولا يرتبط بهذا ان يكون قبل تلبسه بعنوان النبوة كثير الأضياف معروفاً بالشجاعة والدهاء والفضيلة .

نعم يشترط فيه أن لا يكون منحطاً في الأنظار لما كان يصدر منه مما لا تهواه النفوس كما أسلفناه والخارج مطابق كل المطابقة لما ذكرناه فلم يكن محمّد بن عبد الله في زمانه معروفاً بكرم واسع وشجاعة مذكورة ودهاء وفضيلة علم بل

كان غيره أنبه منه وأعرف بلا ريب بل وحتى انّه كان عامياً لا يقرأ ولا يكتب على وجود الكاتبين والقارئين في معاصريه ولا ريب ان الكتابة والقراءة فضل وانعدامهما فيه قبل النبوة لا يعدّ فضلاً بطور قاطع لأنّه كان فرداً من أفراد الناس تمشي عليه الملاكات العامة كما تمشي عليهم وامّا بعد النبوة فنفس اختصاص الله له وتغذيته اياه من علمه الخالص عن الشوائب وأخذه بعضده وتنويهه به وكشفه له عن كثير من الحقائق والاستار التي لم يتوفق لها غيره يعدّ من أهمّ الفضائل وأعلاها فلا عالم إلّا وهو دونه في الفضل لأنّه ﷺ يأخذ علمه عن ينبوعه الصافي وغيره يأخذ عن الناس مما يكثر فيه الخطأ والتلبيس والاشتباه والسفسطة وهلم دواليك في سائر فضائله المتلقاة عن الله سبحانه بتعليمه له وتزكيته اياه فإنّه فيها المنار المتبع وغيره تبع له شاء أو أبى لأنّ الواقع قاهر على كل حال ولكل أحد ومهما عظم مقامه.

نعم لو هيىء مقام لم يعتبر في مستحقه إلّا الأفضلية عند عرض المصاديق للانتخاب منها فاختير المفضول على الفاضل لكان ذلك اجحافاً بالفاضل قطعاً ولا يعود يجوز على الله سبحانه بل ولا على غيره سوى ان الله لا يرتكب الباطل وغيره يرتكبه وان حكم بخطأه لكن هذا لا ربط له بالموضوع الذي بأيدينا من كافة الحيثيات العقلية والخارجية امّا العقلية فقد عرفت وامّا الخارجية فلم ينفرج العيان في معاصري محمّد بن عبد الله عن انسان كان أفضل منه بلا ريب في كافة الفضائل التي يتسابق فيها الكاملون من الناس كما انّ هذا المعنى لم يثبت لمحمد ﷺ بطور جامع قاطع بالنسبة إلى معاصريه وقد أشرنا إلى ذلك هكذا ينبغي أن يفهم هذا الباب (**لقبح تقديم المفضول على الفاضل عقلاً وسمعاً**) بالبيان الذي أسلفناه.

(قال الله تعالى : ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا

لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أقول: يجب اتصاف النبي بجميع الكمالات والفضائل ويجب أن يكون في ذلك أفضل واكمل من كل أحد من أهل زمانه لأنّه يقبح من الحكيم الخبير أن يقدم المفضول المحتاج إلى التكميل على الفاضل المكمل عقلاً وسمعاً، امّا عقلاً فظاهر إذ يقبح في) محل (**الشاهد أن يجعل**) الله (**مبتدئاً في الفقه مقدماً على ابن عباس**) المعروف بالفقاهة (و) هكذا الكلام في (**غيره من الفقهاء و**) هكذا (**يجعل**) الله (**مبتدئاً في المنطق مقدماً على ارسطو**) محرره ومقرره (و) هكذا يجعل الله (**مبتدأ في النحو مقدماً على سيبويه**) إمامه المعروف (**كذا**) الحال (**في كل فن من الفنون وامّا سمعاً فما أشار إليه سبحانه في الآية المذكورة**) في المتن (**وغيرها**) من الآثار السمعية الدالة على ذلك وأنت عرفت منشأ الاشتباه في هذا الفصل من أوّله إلى آخره على انّ تشخيص الأفضل في كافة الفضائل على كافة أبناء العالم شيء يعدّ من المتعذرات وإذا تخلف الحصر الحقيقي فالاضافي لا قيمة له وللمبحث بقية صالحة نأتي عليها في مبحث الامامة فانتظر.

قال: المبحث (**الخامس**) من مباحث النبوة هو انّه (**يجب أن يكون**) النبي (**منزهاً عن دناءة الآباء وعهر الأمهات**) بأن تكون أنسابه موقرة عند الناس محترمة لا ينبز من أجلها بسوء (**و**) هكذا يجب أن يكون منزهاً (**عن الرذائل الخلقية**) فلا تكون أخلاقه وحسبه فيما بين الناس مذكورة بالذكر الجميل معززة بالتكريم والتجليل (**و**) هكذا عن (**العيوب الخلقية**) بأن يكون بشراً سوياً تام الخلقة وكل هذه الشروط عرفية محضة (**لما في**) كل واحد من (**ذلك من النقص**) عند متعارف الأوساط (**فيسقط محله من القلوب**) إذا لم يكن متحلياً بالمحاسن المرغوبة عندهم (**والمطلوب خلافه**) وهو عظمته في النفوس وشرفه فيما بين الناس.

(أقول : لما كان المطلوب من الخلق) المكـلف **(هـو الانـقياد التـام للـنبي واقبال القلوب عليه وجب أن يكون)** فضلاً عن تعزيز الله له بـالآيات النـاهضة بدعوته والمعجزات القائمة بنهوض شريعته **(مـتصفاً بأوصـاف المـحامد مـن كمال العقل والذكاء والفطنة وعدم السهو وقوة الرأي والشهامة والنجدة والعفو والشجاعة والكرم والسخاء والجود والايثار والغيرة والرأفة والرحمة والتواضع واللين وغير ذلك)** من المحاسن وهذه الملكات الفاضلة مواهب ربانية تـوجد في أفراد البشر وان كانت بنحو الاجتماع قليلة الحصول إذاً فلا مانع من طـريق العادة أن تجتمع لانسان من دون مزيد عناية من الله به ليكون ذلك فيه نوعاً من الاعجاز.

نعم موضوع عدم السهو فيه ﷺ يحتاج إلى عناية غيبية لازمة لأنّ البشر لم يعهد في أفراده من لم ينخذل أمام حاكـمية السـهو الذي هـو كـالطبيعة الثـانية للانسان **(و)** كما يجب أن يكون النبي متحلياً بـالفضائل والمـحاسن بـما مـر نموذجه يجب **(أن يكون منزهاً عن كل ما يوجب التنفر عنه وذلك امّا بالنسبة إلى الخارج عنه)** في ذاته التابع له باعتبار متعلقاته **(فكما في دنـاءة الآبـاء وعـهر الامهات وامّا بالنسبة إليه)** في شخص نفسه **(فكما فـي الأكـل عـلى الطـريق ومجالسة الأرذال وان يكون حائكاً أو حجاماً أو زبالاً أو غير ذلك من الصنايع الرذيلة)** عند كثير من الناس وان كانت هذه المهن مقيسة إلى مصالح الاجتماع مما لابد منها ولكن الناس الذين يعتزون بأنفسهم يترفعون عنها ويعدونها عيوباً أما المتجددون فلا يجدون فيها وفي نظائرها أقل بأس ويرونها مـن المشـاغل المولدة للمال والمفيدة للاجتماع من دون تأمل.

(وامّا في أخلاقه فكالحقد والجهل والحسد والفضاضة والغـلظة والبـخل والجبن والمـجون والحـرص عـلى الدنـيا والاقـبال عـليها ومـراعـاة أهـلها

ومحاباتهم في أوامر الله وغير ذلك من الرذائل) التي قررت العقول قبحها واستنكفت العقلاء قاطبة منها (**وامّا في طباعه**) وخلقته (**فكالبرص والجذام والجنون والبكم والبله والابنة لما في ذلك كله**) وفي نظائره أيضاً (**من النقص الموجب لسقوط محله من القلوب**) وان كانت هذه العيوب الجبلية أو الطارءة على الإنسان بالقهر والقسر ليست مما يعاب عليها الإنسان في الواقع لأنّ الله هو الذي أنزلها بالمصابين قضاء وتقديراً لا اختيار معه للعبد ولا خيار ولكن النفوس البشرية بعيدة عن هذه التفسيرات قريبة من مرحلة الظواهر .

إلى هنا نختم القسم الحساس من مباحث النبوة ونكل الباقي إلى القسم المتكفل
بمباحث الإمامة لمزيد ارتباط له به وقد تم هذا القسم تأليفاً في الثاني
والعشرين من شهر رمضان سنة ألف وثلاثمائة وسبع وسبعين
من الهجرة النبوية على يد مؤلفه محمّد بن محمّد طه
بن نصر الله بن الحسين الحويزي الكرمي
وفقه الله تعالى وأعانه على مهماته
انّه قريب مجيب



المحتويات

الاسراء والمعراج ٩

أمّا المدرك من الكتاب ١٠

حديث متنوع عن الاسراء والمعراج ١٣

في تشريع الصلاة وغيرها من الوظائف في الإسلام........ ٢٥

عدّة أحاديث ٤٦

٢ـحديث الأراشي ٤٨

٣ـوفد من نصارى الحبشة........ ٥٠

٤ـمكانة المستضعفين عند الله والمشركين ٥٩

٥ـاتهام المشركين للنبي٦انّه يأخذ عن النصارى ما يدعيه من الوحي ٦٦

٦ـوصف المشركين للنبي انّه أبتر ورد الله عليهم........ ٧٠

٧ـطلب المشركين من النبي أن يكون معه ملك ٧٢

٨ـتسلية الله سبحانه لنبيه محمّد٦ .... ٧٥

٩ـالمستهزؤون وانتقام الله منهم........ ٧٩

وفاة خديجة وأبي طالب وما لموتهما في حياة محمّد ﷺ من الأثر العميق........ ٨٤

من هو أبو طالب ومن هي خديجة ٨٦

ما هي المقدمة الثانية الغزيرة المادة التي صدرت عن أبي طالب ٩٦

خديجة بنت خويلد ١٠٩

خروج النبي إلى الطائف بعد موت عمه أبي طالب........ ١١٤

سورة الجنّ ١٢١

دخول النبي مكة بعد رجوعه من الطائف........ ١٢٨

عرض النبي نفسه على القبائل ١٣١

العقبتان الأُولى والثانية........ ١٣٦

ذكر العقبة الأولى الاثنى عشر ١٣٨
ذكر العقبة الآخرة وهم السبعون الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ١٣٩
أسماء النقباء ١٤٩
من الخزرج ١٤٩
ومن الأوس ١٤٩
نفسية الأنصار وأثرهم في الدين الاسلامي الكريم........ ١٥٨
ما نزل من القرآن بمكة........ ١٦٦
١ ـ سورة الفاتحة ١٦٦
سورة النساء ١٦٨
٢ ـ سورة الأنعام........ ١٦٨
٣ ـ سورة الأعراف ١٧٤
٤ ـ آيات من سورة الأنفال ١٧٦
٥ ـ سورة يونس ١٧٧
٦ ـ سورة هود ١٧٩
٧ ـ سورة يوسف ١٨٠
٨ ـ سورة الرعد........ ١٨٠
٩ ـ سورة إبراهيم ١٨٣
١٠ ـ سورة الحجر........ ١٨٤
١١ ـ سورة النحل ١٨٤
١٢ ـ سورة الاسراء........ ١٨٧
١٣ ـ سورة الكهف........ ١٨٨
١٤ ـ سورة مريم........ ١٨٩
١٥ ـ سورة طه ١٨٩
١٦ ـ سورة الأنبياء ١٨٩
١٧ ـ سورة الحج ١٩٠

١٨ـسورة المؤمنون ١٩٢
١٩ـسورة الفرقان ١٩٢
٢٠ـسورة الشعراء ١٩٣
٢١ـسورة النمل ١٩٤
٢٢ـسورة القصص ١٩٤
٢٣ـسورة العنكبوت ١٩٥
٢٤ـسورة الروم ١٩٦
٢٥ـسورة لقمان ١٩٧
٢٦ـسورة السجدة ١٩٧
٢٧ـسورة سبأ ١٩٩
٢٨ـسورة فاطر ١٩٩
٢٩ـسورة يس ٢٠٠
٣٠ـسورة الصافات ٢٠١
٣١ـسورة صاد ٢٠١
٣٢ـسورة الزمر ٢٠١
٣٣ـسورة المؤمن ٢٠١
٣٤ـسورة فصّلت ٢٠٣
٣٥ـسورة الشورى ٢٠٣
٣٦ـسورة الزخرف ٢٠٤
٣٧ـسورة الدخان ٢٠٥
٣٨ـسورة الجاثية ٢٠٥
٣٩ـسورة الأحقاف ٢٠٦
٤٠ـسورة ق ٢٠٧
٤١ـسورة الذاريات ٢٠٧
٤٢ـسورة الطور ٢٠٧

٤٣ـسورة النجم ٢٠٧
٤٤ـسورة القمر ٢٠٨
٤٥ـسورة الرحمن ٢٠٩
٤٦ـسورة الواقعة ٢٠٩
٤٧ـسورة المجادلة ٢١٠
٤٨ـسورة التغابن ٢١٠
٤٩ـسورة الملك ٢١١
٥٠ـسورة ن والقلم ٢١١
٥١ـسورة الحاقة ٢١١
٥٢ـسورة المعارج ٢١٢
٥٣ـسورة نوح ٢١٢
٥٤ـسورة الجن ٢١٢
٥٥ـسورة المزمل ٢١٢
٥٦ـسورة المدثر ٢١٣
٥٧ـسورة القيامة ٢١٣
٥٨ـسورة الإنسان ٢١٣
٥٩ـسورة المرسلات ٢١٤
٦٠ـسورة عم ٢١٤
٦١ـسورة النازعات ٢١٤
٦٢ـسورة عبس ٢١٤
٦٣ـسورة التكوير ٢١٤
٦٤ـسورة الانفطار ٢١٥
٦٥ـسورة المطففين ٢١٥
٦٦ـسورة الانشقاق ٢١٦
٦٧ـسورة البروج ٢١٦

٦٨ـسورة الطارق ٢١٦
٦٩ـسورة الأعلى ٢١٦
٧٠ـسورة الغاشية ٢١٧
٧١ـسورة الفجر ٢١٧
٧٢ـسورة البلد ٢١٧
٧٣ـسورة الشمس ٢١٧
٧٤ـسورة الليل ٢١٧
٧٥ـسورة الضحى ٢١٧
٧٦ـسورة ألم نشرح ٢١٧
٧٧ـسورة التين ٢١٨
٧٨ـسورة العلق ٢١٨
٧٩ـسورة القدر ٢١٨
٨٠ـسورة لم يكن ٢١٨
٨١ـسورة الزلزلة ٢١٨
٨٢ـسورة العاديات ٢١٨
٨٣ـسورة القارعة ٢١٨
٨٤ـسورة التكاثر ٢١٩
٨٥ـسورة العصر ٢١٩
٨٦ـسورة الهمزة ٢١٩
٨٧ـسورة الفيل ٢١٩
٨٨ـسورة قريش ٢١٩
٨٩ـسورة الماعون ٢١٩
٩٠ـسورة الكوثر ٢٢٠
٩١ـسورة الكافرون ٢٢٠
٩٢ـسورة تبت ٢٢٠

٩٣ ـ سورة الاخلاص ٢٢٠
٩٤ ـ سورة الفلق ٢٢٠
٩٥ ـ سورة الناس ٢٢٠
إذن رسول الله للمسلمين في الهجرة إلى المدينة وخروجه هو بعد ذلك مهاجراً ٢٢١
مبيت علي على فراش النبي ٢٢٧
أوّل الأعمال الدينية التي قام بها النبي ٢٤٧
في بدء وروده إلى دار هجرته ٢٤٧
البحث الأوّل ـ المساجد ٢٥١
البحث الثاني ـ الخطب الدينية ٢٦٣
البحث الثالث ـ المؤاخاة ٢٦٧
(خاتمة) ٢٨١
في سدّ الأبواب التي كانت شارعة إلى مسجد رسول الله إلّا باب علي عليه السلام ٢٨١
صرف القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ٢٩٧
الآيات الواردة في ذلك والكلام في مضامينها ٣٠٠
فرض عدّة تكاليف ٣٠٥
الصيام ٣٠٥
الزكاة ٣٠٦
صلاة العيدين ٣٠٧
صيام شهر رمضان ٣١١
الجهاد ٣١٤
غزوة بدر ٣٢١
عود على نقول ابن اسحاق ٣٢٧
عود على بدء ٣٢٩
من حضر بدراً من المسلمين ٣٤١
الأنصار ومن معهم ٣٤٤

من استشهد من المسلمين يوم بدر ٣٥١
من قتل ببدر من المشركين ٣٥٢
اقتران علي بفاطمة ٣٦٠
١ ـ آية التطهير ٣٦٦
٢ ـ آية المباهلة ٣٧٧
٣ ـ الصلاة على النبي وعلى آله ٣٨٢
آل محمّد هم أصحاب الكساء ٣٨٦
واقعة أُحد ٤٠٤
حمراء الأسد ٤٣٨
يوم الرجيع ٤٤٢
بئر معونة ٤٤٧
غزوة بني النضير وجلاؤهم ٤٥٠
غزوة ذات الرقاع ٤٥٢
غزوة بدر الآخرة ٤٥٢
ثمّ كانت السنة الخامسة من الهجرة ٤٥٢
مقدمات للتوطئة ٤٥٢
١ ـ من هو زيد بن حارثة وكم تزوّج ومن زوّجه ومن هي أزواجه ٤٥٢
٢ ـ ما هي ظواهر القرآن في هذه القضية ٤٥٦
٣ ـ ما هي الدواعي لاكثار الرسول من التزوج بالنساء ٤٥٩
تنبيهان ـ الأوّل: ردّ على هيكل ٤٦٤
التنبيه الثاني: بنو فاطمة أولاد النبي حقيقة ٤٦٧
غزوة الخندق ٤٧٠
غزوة بني قريظة ٤٨٧
الأحداث الكائنة سنة ست من الهجرة ٤٩٠
غزوة الغابة ٤٩١

غزوة بني المصطلق ٤٩٢
قصة صلح الحديبية ٤٩٢
غزوة خيبر ٤٩٧
غزوة مؤتة وهي بأدنى البلقاء دون دمشق ٥٣٠
فتح مكة ٥٣٢
مسير خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بني جذيمة ومسير عليّ لتلافي خطأ خالد ٥٤٧
غزوة رسول الله هوازن بحنين ٥٥٧
حصار الطائف ٥٦٠
أموال هوازن وسباياها ٥٦١
معركة تبوك ٥٦٧
غزوة تبوك وحديث المنزلة ٥٧١
مسجد ضرار ٥٩١
قدوم عروة بن مسعود الثقفي على رسول الله وذكر وفد الطائف ٥٩٢
حج أبي بكر بالناس سنة تسع ٥٩٣
ارسال علي بتبليغ براءة ٥٩٣
ذكر توجيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم براءة مع علي ٥٩٤
تزاحم الوفد على الرسول ص سنة تسع ٦٠١
بعث النبي علياً إلى اليمن ٦٠٤
عليّ أقضى الصحابة ٦٠٦
حجّة الوداع ٦١٠
المقام الأوّل ـ حديث الغدير ٦١٥
المقام الثاني ـ في فضائل أهل البيت ٦٥٣
المهم مما ورد في أهل البيت ٦٥٣
شرح ما يتعلق بهذه الحلقة من الباب الحادي عشر وهو مبحث النبوة ومقدماته ٦٥٧